

# الكتاب

## في علوم الكتاب

تأليف

الإمام المفسر أبي حفص عمر بن علي

ابن عادل الدمشقي الحنبلي

المتوفى بعد سنة ٨٨٠ هـ

تحقيق وتعليق

الشيخ عادل أحمد عبد الموجود      الشيخ علي محمد معوض

شارك في تحقيقه برسائله الجامعية

الدكتور محمد سعد رمضان / الدكتور محمد الطولي الدروقي حرم

الجزء السادس عشر

المترى:

أول سورة سبأ - آخر سورة الزمر

منشورات

محمد عيسى بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

## جميع الحقوق محفوظة

جميع حقوق الملكية الادبية والفنية محفوظة لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تفهيد الكتاب كاملاً أو جزءاً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بعوافقة الناشر خطياً.

Copyright ©  
All rights reserved

Exclusive rights by DAR al-KOTOB al-ILMIYAH Beirut - Lebanon. No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

الطبعة الأولى  
١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

دار الكتب العلمية  
بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البخترى، بناية ملكارت  
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (٩٦١ ١)  
صندوق بريد : ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH  
Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohatory st., Melkart bldg., 1st Floor.  
Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98  
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

ISBN 2-7451-2298-3



9 782745 122988

<http://www.al-ilmiyah.com.lb/>  
e-mail : baydoun@dm.net.lb

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## سورة سبأ

مكية<sup>(١)</sup> وهي خمس وخمسون آية وثمان مائة وثلاث وثمانون كلمة وأربعة آلاف وخمسمائة واثنان عشر حرفاً.

### بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَلَمْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (١) يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَرْجِعُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ (٢) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (٣) لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (٤) وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِرِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجِيمٍ أَلَيْسَ الَّذِي أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (٥)

قوله تعالى: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ»<sup>(٢)</sup> اعلم أن السور المفتوحة بالحمد خمس، سورتان منها في النصف الأول وهما الأنعام والكهف وسورتان في النصف الأخير وهما هذه وسورة الملائكة، والخامسة وهي سورة فاتحة الكتاب تقرأ مع النصف الأول ومع النصف الأخير. والحكمة فيها أن نعم الله مع كثرتها وعدم قدرتنا على إحصائها منحصرة في قسمين نعمة الإيجاد ونعمة الإبقاء فإن الله خلقنا أولاً برحمته وخلق لنا ما نقوم به وهذه النعمة توجد مرة أخرى بالإعادة فإنه خلقنا مرة أخرى ويخلق لنا ما ندوم به فلنا حالتان الإبداء والإعادة وفي كل حالة له تعالى علينا نعمتان نعمة الإيجاد

(١) قال ابن الجوزي في تفسيره ٤٣١/٦ وهي مكية بإجماعهم، وقال الضحاك وابن السائب ومقاتل: فيها آية مدنية وهي قوله: «وَيَزِيءُ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ» وهذه الآية قال بمكيته ابن عباس فيما نقله القرطبي

في الجامع ٢٥٨/١٤.

(٢) بالمعنى من تفسير الرازي ٢٣٨/٢٥.

ونعمة الإبقاء فقال في النصف الأول: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ» إشارة إلى الشكر على نعمة الإيجاد، ويدل عليه قوله تعالى: «الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ» فأشار إلى الإيجاد الأول وقال في السورة الثانية: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً قِيماً لِيُنذِرَ» فأشار إلى الشكر على نعمة الإبقاء. فأشار الشرائع بها البقاء ولولا شرع يُنقاد له لاتبع كل واحد هواه ووقعت المنازعات وأدت إلى التقاتل والتفاني وقال ههنا: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» إشارة إلى نعمة الإيجاد الثاني بدليل قوله: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾ [سبأ: ١] وقال في الملائكة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر: ١] إشارة إلى نعمة الإبقاء بدليل قوله تعالى: ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾ أي يوم القيامة يرسلهم الله مسلمين على المسلمين كما قال تعالى: ﴿وَنُلَقِّهِمُ الْمَلَكَةَ﴾ [الأنبياء: ١٠٣] وقال تعالى عنهم: ﴿سَلَّمْ عَلَيْكُمْ طِينًا فَادَّخَلُوهَا خَلْدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣] وفاتحة الكتاب لما اشتملت على ذكر نعمتين أشار بقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ١] إلى النعمة العاجلة، وأشار بقوله: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ إلى النعمة الآجلة، فرتب الافتتاح والاختتام عليهما.

فإن قيل: قد ذكرتم أن الحمد ههنا إشارة إلى النعم التي في الآخرة فلماذا ذكر الله السموات والأرض؟

فالجواب: أن نعم الآخرة غير مرئية فذكر الله النعم المرئية وهي ما في السموات وما في الأرض ثم قال: «وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ» لتنقاس نعم الآخرة بنعم الدنيا ويعلم فضلها بدوامها<sup>(١)</sup>.

قوله: «الَّذِي لَهُ» يجوز فيه أن يكون تابِعاً وأن يكون مقطوعاً نصباً ورفعاً على المدح فيها<sup>(٢)</sup> و «مَا فِي السَّمَوَاتِ» يجوز أن يكون فاعلاً به وهو الأحسن وأن يكون مبتدأ<sup>(٣)</sup>.  
قوله: «فِي الْآخِرَةِ» يجوز أن يتعلق بنفس الحمد، وأن يتعلق بما تعلق به خبره (وهو الحكيم)<sup>(٤)</sup> يجوز أن يكون معترضاً<sup>(٥)</sup> إذا أعربنا «يَعْلَمُ» حالاً مؤكدة من ضمير الباري تعالى، ويجوز أن يكون «يَعْلَمُ» مستأنفاً، وأن يكون حالاً من الضمير في «الْخَيْرِ».

## فصل

له ما في السموات وما في الأرض ملكاً وخلقاً وله الحمد في الآخرة كما هو له في

(١) تفسير الرازي ٢٥/٢٣٨. (٢) الدر المصون ٤/٤٠٧.

(٣) المرجع السابق.

(٤) السابق وقد قال أبو البقاء في البيان ١٠٦٢: قوله تعالى: «فِي الْآخِرَةِ» يجوز أن يكون ظرفاً للعامل فيه الحمد، أو الظرف وأن يكون حالاً من الحمد والعامل فيه الظرف.

(٥) الدر المصون ٤/٤٠٧ والبيان ١٠٦٢ ومشكل إعراب القرآن ٢٠٣/٢٠٣ والبيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري ٢/٣٧٤.

الدنيا؛ لأن النعم في الدين كلها منه وقيل: الحمد في الآخرة هو حمد أهل الجنة كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ [فاطر: ٣٤] و﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعَدُّهُ﴾ [الزمر: ٧٤] وهو الحكيم الخبير بالحكمة<sup>(١)</sup> هي العلم الذي يتصل به الفعل فإن من يعلم أمراً ولا يأتي بما يناسب علمه لا يقال له حكيم، والفاعل الذي فعله على وفق العلم هو الحكيم، والخبير هو الذي يعلم عواقب الأمور وبواطنها<sup>(٢)</sup>، فقلوه حكيم أي في ابتداء الخلق كما ينبغي وخبير أي بالانتهاء يعلم ما يصدر من المخلوق وما لا يصدر فهو حكيم في الابتداء خبير في الانتهاء<sup>(٣)</sup> ثم بين كمال خيره بقوله: «يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ» أي ما يدخل فيها من الماء والأموات وما يخرج منها من النبات والأموات إذا حشروا.

قوله: «وَمَا يَنْزِلُ» العامة على «يَنْزِلُ» مفتوح الياء مخفف الزاي مسند إلى ضمير «مَا» وعلوي - رضي الله عنه - والسلمي بضمها وتشديد الزاي أي الله تعالى<sup>(٤)</sup>. والمراد الأمطار والملائكة والقرآن. «وَمَا يَغْرُجُ فِيهَا» من الكلام الطيب لقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] والملائكة والأعمال الصالحة لقوله: «وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ» وقدم<sup>(٥)</sup>: «مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ» على: «مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ»؛ لأن الحبة تُبْدَرُ أولاً ثم تسقى ثانياً. وقال: «وَمَا يَغْرُجُ فِيهَا» ولم يقل: «مَا يَغْرُجُ إِلَيْهَا» إشارة إلى قبول الأعمال الصالحة لأن كلمة: «إِلَى» للغاية فلو قال وما يعرج إليها لفهم الوقوف عند السموات فقال: وما يعرج فيها ليفهم نفوذها فيها وصعودها منها ولهذا قال في الكلم الطيب: «إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ»؛ لأن الله هو المنتهى ولا مرتبة فوق الوصول إليه ثم قال: «وَهُوَ الرَّحِيمُ الغَفُورُ» رحيم عند الإنزال حيث ينزل الرزق من السماء غفور عندما يعرج إليه الأرواح والأعيان والأعمال. ثم بين<sup>(٦)</sup> أن هذه النعمة التي يستحق الله بها الحمد هي نعمة الآخرة أنكروها قَوْمٌ فقال: «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ». قوله: «بَلَى» جواب لقولهم<sup>(٧)</sup>: «لَا تَأْتِينَا» وما بعدها قسم على ذلك. وقرأ العامة: لَتَأْتِيَنَّكُمْ بالتأنيث، وقرأ (طَلْق)<sup>(٨)</sup> بالياء<sup>(٩)</sup> فقيل: (أي)<sup>(١٠)</sup> البعث. وقيل: على معنى الساعة أي اليوم. قاله الزمخشري<sup>(١١)</sup> ورده أبو حيان<sup>(١٢)</sup> بأنه ضرورة كقوله:

(١) في «ب» والحكمة وانظر: معالم التنزيل للبغوي ٢٨١/٤.

(٢) في «ب» ومواطنها. (٣) انظر: تفسير الفخر الرازي ٢٣٩/٢٥.

(٤) أي ينزل وقد ذكرت في مختصر ابن خالويه ١٢١ والكشاف ٢٧٩/٣.

(٥) ذكره الرازي في تفسيره ٢٤٠/٢٥. (٦) المرجع السابق.

(٧) في «ب» لقوله. (٨) سقط من «ب» ولم أعثر على ترجمة له.

(٩) ذكرها ابن خالويه في المختصر ١٢١ وابن جني في المحنث ١٨٦/٢ «هارون عن طليق».

(١٠) سقط من «ب» (١١) قاله الزمخشري في الكشاف ٢٧٩/٣.

(١٢) البحر المحيط ٢٥٧/٧ قال: «وَيَبُدُّ أَنْ يَكُونَ ضَمِيرُ السَّاعَةِ لِأَنَّهُ مَذْهُوبٌ بِهِ مَذْهَبُ التَّذْكِيرِ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي الشَّعْرِ».

٤١٠١ - ..... وَلَا أَرْضَ أُنْقَلِ إِنْقَالَهَا<sup>(١)</sup>

وليس مثله، وقيل: (أي)<sup>(٢)</sup> الله بمعنى أمره. ويجوز على قياس هذا الوجه أن يكون: «عالم» فاعلاً لِتَأْتِيَنَّكُمْ في قراءة مَنْ رفعه.

قوله: «عَالِمٌ» قرأ الأَخْوَانُ: عَلَامٌ على صيغة المبالغة وخفضه نعتاً لـ «رَبِّي»<sup>(٣)</sup> أو بدلاً منه. وهو قليل؛ لكونه مشتقاً. ونافعٌ وابنُ عامرٍ عالمٌ بالرفع<sup>(٤)</sup> على هُوَ عالمٌ، أو على أنه مبتدأ وخبره «لَا يَغْرُبُ»<sup>(٥)</sup> أو على أن خبره مضمرة أي هو ذكره الحوفي<sup>(٦)</sup>. وفيه بعد<sup>(٧)</sup>، والباقون عالمٌ بالخفض على ما تقدم وإذا جعل نعتاً فلا بد من تقدير تعريفه. وقد تقدم أن كل صفة يجوز أن تتعرف بالإضافة إلا الصفة المشبهة، وتقدمت قراءتا «يَغْرُبُ» في يُونُسَ<sup>(٨)</sup>.

### فصل

اعلم أن الله تعالى ردَّ على مُنْكَرِي السَّاعَةِ فقال: «قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ» فأخبر بآتيانها وأكدها باليمين.

فإن قيل: إنهم يقولون لا ريب أو إن كانوا يقولون به لكن المسألة الأصولية لا تثبت باليمين فأجاب عن هذا بأنه لم يقتصر على اليمين بل ذكر الدليل وهو قوله: «لَيَجْزِيَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ». وبيان كونه دليلاً هو أن المسيء قد يبقى في الدنيا مدة مديدة في اللذات العاجلة ويموت عليها والمحسن قد يدوم في الدنيا في الآلام الشديدة ويموت فيها فلولا دار تكون للجزاء لكان الأمر على خلاف الحكمة<sup>(٩)</sup>.

(١) عجز بيت من المتقارب صدره:

قَلَامُزْنَةً وَذَقَّتْ وَذَقَّهَا

وهو لعامر بن جوين وشاهده: «أقبل إقبالها» حيث ذكر الفعل «أقبل» الذي يعود على الأرض المؤنثة وهذا خاص بالشعر وضرورته. وقد تقدم.

(٢) سقط من «ب».

(٣) في «ب» لرب بدون ياء.

(٤) القراءتان سَبْعِيَّتَانِ وانظر الإتحاف ٣٥٧ والسبعة ٥٢٦ ومعاني الفراء ٣٥١/٢ وإبراز المعاني ٦٥١ والنشر ٣٤٩/٢ وتقريبه ١٦٢ وحجة ابن خالويه ٢٩١.

(٥) قاله السمين ومكي في الدر ٤٠٨/٤ ومكي في الكشف ٢٠١/٢.

(٦) البحر المحيط ٢٥٧/٧ و ٢٥٨.

(٧) ففيه لجوء إلى التكلف وما يحتاج إلى تقدير لا يقدم على الذي لا يحتاج إلى تقدير.

(٨) عامة القراء بضم الزاي إلا الكسائي فإنه يكسرها حيث يقع والفراء فضل الكسر حيث قال وهو أحب إلي. وقد قال هناك في يونس يقرأ الكسائي هنا وفي سبأ: «يَغْرُبُ» بكسر الزاي ويعزب لغتان وانظر:

الإتحاف ٣٥٧ والسبعة ٣٢٨ ومعاني الفراء ٣٥١/٢ واللباب ٤٣/٤ ب.

(٩) الفخر الرازي ٢٤٠/٢٥ و ٢٤١.

قوله: «لَا يَغْرُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ» فيه لطيفة وهي أن الإنسان له جسم وروح، فالأجسام أجزاءها في الأرض والأرواح في السماء فقوله: «لَا يَغْرُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ» إشارة إلى علمه بالأرواح، وقوله: «وَلَا فِي الْأَرْضِ» إشارة إلى عمله بالأجسام فإذا علم الروح والأجسام قدر على جمعها فلا استبعاد في<sup>(١)</sup> الإعادة.

قوله: «وَلَا أَضْعَرُّ» العامة على رفع «أَضْعَرُّ وَأَكْبَرُ». وفيه وجهان: أحدهما: الابتداء، والخبر قوله «إِلَّا فِي كِتَابٍ».

والثاني: النَّسَقُ على «مِثْقَالٍ» وعلى هذا فيكون: «إِلَّا فِي كِتَابٍ» تأكيداً للنفي في: «لَا يَغْرُبُ» كأنه قال لكنه في كتاب مبين<sup>(٢)</sup>. وقرأ قتادة والأعمش ورويت عن أبي عمرو ونافع أيضاً بفتح الراءين<sup>(٣)</sup>. وفيها وجهان:

أحدهما: أنها «لا» التبرئة وبني اسمها معها، والخبر قوله: «إِلَّا فِي كِتَابٍ»<sup>(٤)</sup>. والثاني: النَّسَقُ على «ذَرَّةٍ»<sup>(٥)</sup> وتقدم في يونس أن حمزة قرأ بفتح زاء «أَضْعَرُّ وَأَكْبَرُ»<sup>(٦)</sup> وهنا وافق على الرفع وتقدم البحث هناك.

قال الزمخشري: فَإِنْ قُلْتُ: هَلَّا جَاَزَ عَطْفُ: «وَلَا أَضْعَرُّ» على «مِثْقَالٍ» وعطف «وَلَا أَكْبَرُ» على ذرة؟

قُلْتُ: يَأْبَى ذَلِكَ حَرْفُ الْإِسْتِثْنَاءِ إِلَّا إِذَا جَعَلْتَ الضَّمِيرَ فِي «عَنْهُ» لِلْغَيْبِ وَجَعَلْتَ الْغَيْبَ اسْمًا لِلْخَفِيَّاتِ قَبْلَ أَنْ تَكْتُبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ لَأَنَّ إِثْبَاتَهَا فِي اللَّوْحِ نَوْعٌ مِنَ الْبُرُوزِ عَنِ الْحِجَابِ عَلَى مَعْنَى أَنَّهُ لَا يَنْفَصِلُ عَنِ الْغَيْبِ شَيْءٌ وَلَا يُزَالُ عَنْهُ إِلَّا مَسْطُورًا فِي اللَّوْحِ<sup>(٧)</sup>. قال أبو حيان: وَلَا يُحْتَاجُ إِلَى هَذَا التَّأْوِيلِ إِذَا جَعَلْنَا الْكِتَابَ لَيْسَ اللَّوْحِ

(١) المرجع السابق.

(٢) السمين ٤/٤٠٨. وقد أجاز أبو البقاء في الرفع وجهاً واحداً وهو النسق فقال: «وبالرفع عطفاً على مثقال» كما أجاز الجر فقال «ولا أصغر» بالجر عطفاً على ذرة. التبيان ١٠٦٢.

(٣) ذكرها البناء في الإتحاف عن المطوعي وهي من الأربعة الشاذة فوق العشرة وانظر المختصر ١٢٦.

(٤) يجوز في «لا» أن تكون عاملة ومهمله يقول ابن هشام في المغني ١/٢٤١: «فأما قوله تعالى: ﴿وَمَا يَغْرُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَضْعَرُّ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ﴾ فظاهر الأمر جواز كون «أصغر وأكبر» معطوفين على لفظ «مثقال» أو على محله، وجواز كون «لا» مع الفتح تبرئة، ومع الرفع مهمله أو عاملة عمل ليس ويقوي العطف أنه لم يقرأ في سورة سبأ في قوله سبحانه وتعالى: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَغْرُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾ إلا بالرفع لما لم يوجد الخفض في لفظ مثقال». ولكن يشكل عليه أنه يفيد ثبوت العزوب عند ثبوت الكتاب فكان ابن هشام رجح الرفع في لفظ «أصغر» وأكبر».

(٥) وتقدم أنه رأي أبي البقاء في التبيان. (٦) مراجع القراءات السابقة.

(٧) قاله الزمخشري في الكشاف ٣/٢٧٩ و ٢٨٠.

المحفوظ<sup>(١)</sup>، وقرأ زيد بن علي بخفض راء أصغر وأكبر<sup>(٢)</sup> وهي مشكلة جداً، وخرجت على أنهما في نية الإضافة إذ الأصل: «ولا أصغره ولا أكبره» وما لا ينصرف إذا أضيف انجر في موضع الجر ثم حذف المضاف إليه ونوي معناه فترك المضاف بحاله<sup>(٣)</sup> وله نظائر كقولهم:

٤١٠٢ - بَيْنَ ذِرَاعَيْنِ وَجَبْهَةِ الْأَسَدِ<sup>(٤)</sup>

٤١٠٣ - يَا تَيْمَ تَيْمَ عَدِي<sup>(٥)</sup>

على خلاف<sup>(٦)</sup>. وقد يفرق بأن هناك ما يدل على المحذوف لفظاً بخلاف هنا. وقد ردّ بعضهم هذا التخريج لوجود «من»؛ لأن «أفعل» متى أضيف لم يجامع «من» وأجيب عن ذلك بوجهين:

أحدهما: أن (من) ليست متعلقة «بأفعل» بل بمحذوف على سبيل البيان؛ لأنه لما حذف المضاف إليه أبهم المضاف فبين «بمن» ومجرورها أي أعني من ذلك والثاني: أنه مع تقديره للمضاف إليه نوي طرحه، فلذلك أتى «بمن»<sup>(٧)</sup> وبدل على ذلك أنه قد ورد التصريح بالإضافة مع وجود «من» قال الشاعر:

٤١٠٤ - نَحْنُ بِعَرَسِ الْوَدِيِّ أَعْلَمْنَا مِمَّا بِرَكْضِ الْجِيَادِ فِي السُّدْفِ<sup>(٨)</sup>

(١) البحر المحيط ٢٥٨/٧.

(٢) المرجع السابق. وقال صاحب شواذ القرآن: وقرئ بالجرح والتنوين منصرفاً. الشواذ ١٩٦ وهي قراءة شاذة لما أخبر فوق ولما سيأتي بعد.

(٣) هذا التعليل والتوجيه من كلام أبي حيان في البحر ٢٥٨/٧.

(٤) سبق هذا البيت.

(٥) هذا بعض بيت من البسيط وهو بتمامه:

..... لَا أَبَا لَكُمْ لَا يَلْفِينَكُمْ فِي سَوَاةِ عُمُرٍ

وعمر هو ابن لجأ التيمي كان بينه وبين جرير مهاجاة. والشاهد في: «تيم» الأولى حيث حذف المضاف إليه ونوي معناه وترك المضاف بحاله. وهذا زعم أبي حيان ومن هذا حذوه والأصل: يا تيم عدي يا تيم عدي.

(٦) فمن العلماء - كسيبويه - يرى أن الثاني مقحم بين المضاف والمضاف إليه، ويجوز أن يكون الأول مضموماً على أنه منادى علم، والثاني: بدلاً من الأول أو عطف بيان أو منادى مضاف وحذف المضاف إليه دلالة الثاني عليه، انظر: الكتاب ٥٣/١ و ٢٥/٢ والمقتضب ٢٢٩/٤ والأشموني ١٥٥/٣.

(٧) هذان التخريجان قالهما أبو حيان - بالمعنى - في بحره ٢٥٨/٧ ومن بعده السمين في الدرر المصون ٤٠٩/٤.

(٨) البيت من المنسرح وهو لسعد القرقر، أو قيس بن الخطيم والوجه الأول. ويروى «بالخيل» بدل «بالجواد» وهو الأصح حتى لا ينكسر البيت عروضياً. والوَدِيُّ النخل الصغير واحده: ودية، السُّدْفُ: الصبح في أوله، ونحن مبتدأ، وأعلمنا هو الخير وهو موطن الشاهد حيث جمع بين الإضافة مع وجود «من» وقد خرج على التعلق بمحذوف وأما نية طرح المضاف إليه. وانظر: البحر المحيط ٢٥٨/٧ والأشموني ٤٧/٣ والمغني ٤٤١ وشرح شواهدة للسيوطي ٨٤٥ ولسان العرب (سدف) وملحقات ديوان قيس بن الخطيم ٢٣٦ وتوضيح المقاصد ١١٩/٣.

وخرج على هذين الوجهين إما التعلق بمحذوف وإما نية طرح المضاف إليه وهذا كما احتاجوا إلى تأويل الجمع بين «أل» ومن في أفعال كقوله:

٤١٥ - وَلَسْتُ بِالْأَكْثَرِ مِنْهُمْ حَصَى ..... (١)

وهذه توجيهات شذوذ ويكفي فيها مثل ذلك.

## فصل (٢)

قوله: «وَلَا أَضَعَّرَ مِنْ ذَلِكَ» إشارة إلى أن مثقال لم يذكر للتحديد بل الأصغر منه لا

يعزب.

فإن قيل: فأبي حاجة إلى ذكر الأكبر وإن من علم الأصغر من الذرة لا بد وأن يعلم

الأكبر؟

فالجواب: لما كان الله تعالى أراد بيان إثبات الأمور في الكتاب فلو اقتصر على

الأصغر لتوهم متوهم أنه يثبت الصغائر لكونها محل النسيان وأما الأكبر فلا ينسى فلا

حاجة إلى إثباته فقال الإثبات في الكبائر ليس كذلك فإن الأكبر فيه أيضاً مكتوب ثم لما

بين علمه بالصغائر والكبائر ذكر أن جميع ذلك وإثباته للجزاء فقال: «لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ»<sup>(٣)</sup>.

قوله: «لِيَجْزِيَ» فيه أوجه:

أحدها: أنه متعلق<sup>(٤)</sup> (بلا) وقال أبو البقاء و (يعزب)<sup>(٥)</sup> بمعنى لا يعزب أي يُخصي

ذلك ليجزي<sup>(٦)</sup>. وهو حسن. أو بقوله: «لِيَأْتِيَنَّكُمْ» أو بالعامل في قوله: «إِلَّا فِي كِتَابٍ»

أي إلا استقر ذلك «في كتاب مبين» لِيَجْزِيَ<sup>(٧)</sup>.

(١) هذا صدر بيت من السريع للأعشى ميمون عجزه:

وَأَنَّما الْمِرَّةُ لِسُكَاثِرِ

ديوانه ٩٤ والحصى العدد هنا والكاثِر: الكثير وهو في تفضيل أحد الناس على بعض والشاهد قوله:

«بالأكثر منهم» فقد جمع بين الألف واللام ومن وذلك ممتنع نحوياً وخرج على أن «مِنْ» للبيان لا

للتفضيل أو أنها للتفضيل ولكنها متعلقة بفعل آخر غير المذكور. والتقدير: بالأكثر أكثر منهم وقد قيل

إن مِنْ هنا بمعنى (في) ويتعلق بالأكثر. وقيل: إن الألف واللام زائدة، انظر في هذا: الخزانة ٢٥٠/٨ -

٢٦٠ والمغني ٥٧٢ وشرح شواهده للسيوطي ٩٠٢ والتصريح ١٠٤/٢ والأشمونى ٤٧/٣ وابن يعيش

(٢) زيادة من «ب» عن «أ». (٣) تفسير الرازي ٢٥١/٢٥.

(٤) التبيان ١٠٦٢ والبيان ٤٧٤/٢ والبحر المحيط ٢٥٨/٧.

(٥) سقط من «ب». (٦) التبيان ١٠٦٢.

(٧) البحر المحيط ٢٥٨/٧ والدر المصون ٤١٠/٤.

## فصل

اعلم أنه تعالى ذكر منهم أمرين الإيمان والعمل الصالح وذكر لهم أمرين المغفرة والرزق الكريم فالمغفرة جزاء الإيمان فكل مؤمن مغفور له لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ١١٦] وقوله عليه (الصلاة) و<sup>(١)</sup> السلام: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَمَنْ (فِي)» <sup>(٢)</sup> قَلْبِهِ وَزُنْ دُرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ» <sup>(٣)</sup> والرزق الكريم مرتب على العمل الصالح وهذا مناسب فإن من عمل لسيد كريم عملاً فعند فراغه من العمل لا بد وأن ينعم عليه. وتقدم وصف الرزق بالكريم أنه <sup>(٤)</sup> بمعنى ذا كرم أو مُكْرِمٍ أو لأنه يأتي من غير طلب بخلاف رزق الدنيا فإنه إن لم يُطْلَبْ ويشبب إليه لا يأتي <sup>(٥)</sup>.

فإن قيل: ما الحكمة في تمييزه الرزق بوصفه بأنه كريم ولم يصف المغفرة؟  
فالجواب: لأن المغفرة واحدة وهي للمؤمنين وأما الرزق فمنه شجرة الرزق والحميم ومنه الفواكه والشرب الطهور فميز الرزق لحصول الانقسام فيه ولم يميز المغفرة لعدم الانقسام فيها <sup>(٦)</sup>.

## فصل

قوله: «أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ» يحتمل وجهين:  
أحدهما: أن يكون ذلك لهم جزاء فيوصله إليهم لقوله: «لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا»  
وثانيهما: أن يكون ذلك لهم واللَّهُ يجزيهم بشيء آخر لأن قوله: «أُولَئِكَ لَهُمْ»  
جُمْلَةٌ (تامة اسمية) <sup>(٧)</sup>، وقوله تعالى: «لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا» (جملة) فعلية مستقلة وهذا أبلغ  
في البشارة من قول القائل: لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ رِزْقًا» <sup>(٨)</sup>.

## فصل

اللام في «ليجزي» للتعليل ومعناه الآخرة للجزاء.  
فإن قيل: فما وجه المناسبة؟  
فالجواب: أن الله تعالى أراد أن لا يقطع ثوابه فجعل للمكلف داراً باقية تكون ثوابه

(١) زيادة من «ب».

(٢) سقط من «ب».

(٣) أورده الفخر الرازي في تفسيره ولم أجده في الكتب المعتمدة في الحديث بهيئته هذه فقد استنده إلى محمد بن إسماعيل البخاري بسنده إلى محمد بن يوسف الفريري.

(٤) في «ب» لأنه وما في «أ» هو الأصح وهو الموافق لتفسير الرازي.

(٥) و (٦) تفسير الفخر الرازي ٢٥/٢٤١. (٧) ما بين القوسين ساقط من (ب).

(٨) قاله الفخر الرازي ٢٥/٣٤١.

واصلاً إليه فيها دائماً أبداً وجعل قبلها داراً فيها الآلام والأسقام وفيها الموت ليعلم المكلف مقدار ما يكون فيه في الآخرة إذا نسبه<sup>(١)</sup> إلى ما قبله<sup>(٢)</sup>.

قوله: «وَالَّذِينَ سَعَوْا» يجوز فيه وجهان:

أظهرهما: أنه مبتدأ و «أولئك» (و)<sup>(٣)</sup> ما بعده خبره.

والثاني: أنه عطف على الذي قبله أي ويجزي الذين سعوا ويكون «أولئك» الذي بعده مستأنفاً و «أولئك» الذي قبله وما في خبره معترضاً بين المتعاطفين<sup>(٤)</sup>.

قوله<sup>(٥)</sup>: «وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ» أي في إبطال أدلتنا معاجزين يحسبون أنهم يفتوتوننا<sup>(٦)</sup> وقد تقدم في الحج قراءة معاجزين<sup>(٧)</sup>. واعلم أنه تعالى لما بين حال المؤمنين يوم القيامة بين حال الكافرين والمراد بهم الذين كذبوا بآياتنا وقوله: «مُعَاجِزِينَ» أي سَعَوْا فِي إِبْطَالِهَا لِأَنَّ الْمَكْذَبَ آتٍ بِإِخْفَاءِ آيَاتِ بِنَاتٍ فَيَحْتَاجُ إِلَى السَّعْيِ الْعَظِيمِ وَالْجَدِّ الْبَلِيغِ لِيُرَوِّجَ كَذِبَهُ لَعَلَّهُ يُعْجِزُ الْمَتَمَسِّكَ بِهِ.

قوله: «أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رَجْزِ أَلِيمٍ» قرأ ابن كثير وحفص هنا وفي الجاثية<sup>(٨)</sup> أَلِيمٌ بِالرَّفْعِ<sup>(٩)</sup> والباقون بالخفض. فالرفع على أنه نعت «لِعَذَابٍ» والخفض على أنه نعت «لِلرَّجْزِ»، إلا أن مكياً ضعف قراءة الرفع واستبعدها قال: لأن الرّجز هو العذاب فيصير التقدير عذاب أليم من عذاب وهذا المعنى غير ممكن<sup>(١٠)</sup>. قال: والاختيار خَفَضُ «أَلِيمٍ» لأنه أصح في التقدير والمعنى إذ تقديره لهم عذابٌ من عذاب أليم أي هذا الصنف من أصناف العذاب، لأن العذاب بعضه ألم من بعض<sup>(١١)</sup>. وأجيب: بأن الرّجز مطلق العذاب فكأنه قيل: لهم هذا الصنف من العذاب من جنس العذاب<sup>(١٢)</sup>، وكأن أبا البقاء لَحَظَ هذا حيث قال: وبالرفع صفة<sup>(١٣)</sup> لعذاب، والرّجز مطلق العذاب.

(١) في (ب) النسبة. (٢) الفخر الرازي ٢٥/٢٤١.

(٣) سقط من (ب).

(٤) انظر: البحر المحيط ٧/٢٥٩ والدر المصون ٤/٤١٠.

(٥) في (ب) فصل بدل من قوله. (٦) انظر: تفسير البغوي والخازن ٥/٢٨٢.

(٧) يقصد قوله عزت حكمته «وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ» الآية ٥١ وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: مُعَاجِزِينَ بغير ألف مشددة والباقون بألف. النشر ٢/٣٤٩ والحجة لابن خالويه ٢٩٠ والسبعة ٥٢٦ و ٤٣٩ والإنحاف ٣١٦ وإبراز المعاني ٦٠٦ ومعاني الفراء ٢/٣٥١ و ٣٥٢.

(٨) وهو قوله: «هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رَجْزِ أَلِيمٍ».

(٩) الإنحاف ٣٥٧ والسبعة ٥٢٦ والمعاني للفراء ٢/٣٥١ و ٣٥٢ والنشر ٢/٣٤٩، وانظر أيضاً البحر المحيط ٧/٢٥٩ وزاد المسير ٦/٤٣٣.

(١٠) في الكشف متمكن.

(١١) وفيه ألم من هذا الصنف وانظر: الكشف ٢/٢٠٢.

(١٢) قاله شهاب الدين السمين ٤/٤١٠. (١٣) انظر: التبيان لأبي البقاء ٦٣/١٠.

## فصل

قال قتادة: الرجز أسوأ<sup>(١)</sup> العذاب فيكون «من» لبيان الجنس كقولك: حاتم من فضة. قال ابن الخطيب: قال هناك<sup>(٢)</sup>: لهم رزق كريم ولم يقدر بمن التبعية فلم يقل: لهم نصيب من رزق، ولا رزق من جنس كريم، وقال ههنا: «لهم عذاب من رجز أليم» بلفظة صالحة للتبعية، وذلك إشارة إلى سعة الرحمة وقلة الغضب وقال هناك: «لهم مغفرة» ثم قال: «ورزق كريم» [الأنفال: ٤] وههنا لم يقل إلا: «لهم عذاب» فزادهم هناك الرزق الكريم، وههنا لم يزد لهم على العذاب وفيما قاله نظر، لقوله تعالى في موضع آخر: «وَزِدْتَهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ» [النحل: ٨٨].

قوله: «وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ» فيه وجهان:

أحدهما: أنه عطف على «الليجزي»<sup>(٣)</sup>. قال الزمخشري: أي وليعلم الذين أوتوا العلم عند مجيء الساعة<sup>(٤)</sup>. وإنما قيده بقوله عند مجيء الساعة لأنه علق: «الليجزي» بقوله: «لَتَأْتِيَنَّكُمْ» فبنى هذا عليه وهو من أحسن ترتيب<sup>(٥)</sup>.

والثاني: أنه مستأنف أخبر عنهم بذلك<sup>(٦)</sup> و «الذي أنزل» هو المفعول الأول وهو فضل، و «الحق» مفعول ثانٍ، لأن الرؤية علمية<sup>(٧)</sup>، وقرأ ابن أبي عمير<sup>(٨)</sup> «الحق بالرفع» على أنه خبر «هو» والجملة في موضع المفعول الثاني وهي لغة تميم يجعلون ما هو فضل مبتدأ وخبر<sup>(٩)</sup> و «من ربك» حال على القراءتين<sup>(١٠)</sup>.

(١) معالم التنزيل والخازن ٥/٢٨٢. (٢) تفسير الرازي ٢٥/٢٤٢.

(٣) الدر المصون ٤/٤١٠ والبيان ١٠٦٣ وبيان ابن الأنباري ٢/٢٧٤.

(٤) قال: «أي وليعلم أولو العلم عند مجيء الساعة أنه الحق علماً لا يزداد عليه في الإيقان ويحتجوا به على الذين كذبوا وتولوا». الكشاف ٣/٢٨٠.

(٥) الدر المصون ٤/٤١٠. (٦) المراجع السابقة.

(٧) البيان ١٠٦٣ والدر المصون ٤/٤١١ ومعاني الفراء ٢/٣٥٢ الذي أسماه - أي الضمير - بالعماد.

(٨) لم يحددها أبو البقاء ١٠٦٣ وقال ابن خالويه في المختصر: «من ربك هو الحق» بالرفع حكاه أبو معاذ. ابن خالويه ١٢١.

(٩) قال في المغني ٤٩٦: «زعم البصريون أنه لا محل له ثم قال أكثرهم: إنه حرف فلا إشكال. وقال الخليل: اسم وقال الكوفيون: له محل. ثم قال الكسائي: محله بحسب ما بعده. وقال الفراء بحسب ما قبله فمحله بين المبتدأ والخبر رفع وبين معمولي «ظن» نصب، وبين معمولي كان رفع عند الفراء ونصب عند الكسائي وبين معمولي إن بالعكس. وقال الفراء في معانيه: ولو رفعت الحق على أن تجعل وهو اسماً كان صواباً» المعاني ٢/٣٥٢. وقال في البحر ٧/٢٥٩: و «هو» فصل وهو مبتدأ والحق خبره والجملة في موضع المفعول الثاني ليرى وهي لغة تميم يجعلون ما هو فضل عند غيرهم مبتدأ. قاله أبو عمر الجرمي.

(١٠) الدر المصون ٤/٤١١.

## فصل

لما بين حال من يسعى في التكذيب في الآخرة بين حاله في الدنيا وهو أن سَعِيَ باطل فإن من أوتِيَ علماً لا يعتبر تكذيبه وهو يعلم أن ما أنزل إلى محمد عليه (الصلاة و) (١) السلام حق وصدق وقوله: هُوَ الْحَقُّ يفيد الحصر أي ليس الحق إلا ذلك وأما قول المكذب فباطل بخلاف ما إذا تنازع حَصْمَان والنزاع لفظي فيكون قول كل واحد حقاً في المعنى (٢)، قال المفسرون: «وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ» يعني مؤمني أهل (٣) الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه «الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ» يعني القرآن هو الحق يعني أنه من عند الله.

قوله: «وَيَهْدِي» فيه أوجه:

أحدها: أنه مستأنف (٤) وفي فاعله احتمالان: أظهرهما: أنه ضمير «الَّذِي» وهو القرآن. والثاني: ضمير الله تعالى ويتعلق (٥) هذا بقوله: «إلى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ»؛ إذ لو كان كذلك لقليل: إلى صِرَاطِهِ ويجب بأنه من الالتفات ومن إبراز المضمرة ظاهراً تنبيهاً على وصفه بهاتين الصِّفَتَيْنِ (٦).

الوجه الثاني: أنه معطوف على موضع «الحق» و «أن» معه مضمرة تقديره هو الحق والهداية.

الثالث: أنه عطف على «الحق» عَطَفَ فعل على اسم لأنه في تأويله (٧) كقوله تعالى: ﴿سَفَّكَتْ وَيَقِضْنَ﴾ [الملك: ١٩] أي وَقَابِضَاتٍ كما عطف الاسم على الفعل بمعناه كقوله:

٤١٠٦ - فَأَلْفَيْتُهُ يَوْمًا يُبِيرُ عَدُوَّهُ وَمُجْرٍ عَطَاءً يَسْتَخِفُّ الْمَعَابِرَ (٨)  
كأنه قيل: وليروه الحق وهادياً.

الرابع: أن «ويهدي» حال من «الَّذِي أَنْزَلَ» ولا بد من إضمار مبتدأ أي وهو يهدي كقوله:

(١) سقط من «أ».

(٢) هذا قول الفخر الرازي في تفسيره المسمى بالتفسير الكبير ٢٥/٢٤٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٤/٢٦١. (٤) الدر المصون ٤/٤١١.

(٥) الأصح كما في «أ» والسمين «ويعلق».

(٦) أورد هذه التوجيهات السمين في الدر ٤/٤١١ وانظر: التبيان ١٠٦٣ والبحر المحيط ٧/٢٥٩.

(٧) المراجع السابقة.

(٨) البيت لتأنيده ذبيان وهو من الطويل ويبيّر: يهلك، والمعابِر: جمع معبر وهو الجمل الكثير الوبر، والشاهد: «ومُجْرٍ عَطَاءً» عطف الاسم هذا على الفعل وهو يبيّر. ديوان التأنيده ٧١، وقد تقدم.

٤١٠٧ - ..... نَجَوْتُ وَأَرْهَنُهُمْ مَالِكًا<sup>(١)</sup>

وهو قليل جداً، ثم قال: «إلى صراط العزيز الحميد» وهاتان الصفتان يفيدان الرهبة والرغبة فالعزيز يفيد التخويف والانتقام من المكذب والحميد يفيد الترغيب في الرحمة للمصدق.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُكُمُ عَلَى رَجُلٍ يَبْتَئِكُمْ إِذَا مُرُقْتُمْ كُلُّ مُمَرِّقٍ إِنَّكُمْ لِنَبِيِّ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنْ شَاءَ نَحْصِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٩﴾﴾

قوله: «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُكُمُ عَلَى رَجُلٍ» لما بين حالة المكذب بالساعة ورد عليه بقوله: «قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ» ثم بين ما يكون بعد إتيانها من جزاء المؤمن على عمله الصالح وجزاء الساعي في تكذيب الآيات بالتعذيب على السيئات وبين حال الكافر والمؤمن بعد قوله عليه (الصلاة<sup>(٢)</sup>) و السلام - «بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ» فتعال المؤمن الذي أنزل إليك من ربك الحق وهو يهدي وقال الكافر المنكر للبعث متعجباً: «هَلْ نَدُكُمُ عَلَى رَجُلٍ يَبْتَئِكُمْ» يخبركم يعنون محمداً ﷺ - وهذا كقول القائل في الاستبعاد: جاء رجل يقول: إن الشمس تطلع من المغرب؛ إلى غير ذلك من المحاولات<sup>(٣)</sup>.

### فصل

إِذَا مُرُقْتُمْ «إذا» منصوب بمقدر أي تُبْعَثُونَ وَتُحْشَرُونَ وَقَتَّ تميزكم لدلالة: «إِنَّكُمْ لِنَبِيِّ خَلْقٍ جَدِيدٍ» عليه ولا يجوز أن يكون العامل «يَبْتَئِكُمْ» لأن التنبئة لم تقع ذلك الوقت ولا «خَلْقٍ جَدِيدٍ» لأن ما بعد «إِنَّ» لا يعمل فيما قبلها<sup>(٤)</sup>. ومن توسع في الظرف أجازته

(١) هذا عجز بيت من المقاربات أشده صاحب اللسان لهمام بن مرة بينما نسبته الجوهري لعبد الله بن همام السلولي وصدرة:

فَلَمَّا خَشِيَتْ أَظْفَارَهُمْ

وقد روي البيت: «بأرهنهم» و: «أرهنتهم» وأنكر بعضهم الرواية الأخيرة، وانظر: اللسان: «رهن» والضاحح للجوهري. وقال ثعلب: الرواة كلهم على أرهنتهم. والشاهد «وأرهنهم» حيث هو خير لمبتدأ محذوف والجملة حالية وحتى تكون في حالتها تلك يتحتم علينا أن نقدر أحد جزئيهما وهو المبتدأ كقولهم: قُمْتُ وَأَصُكُ عَيْنَهُ أَي وَأَنَا أَصُكُ. وقد تقدم.

(٢) سقط من «ب». (٣) انظر: تفسير الرازي ٢٥/٢٤٣.

(٤) قاله ابن الأنباري في البيان ٢/٢٧٥ ومكي في المشكل ٢/٢٠٣ والزجاج في «معاني القرآن وإعرابه»

هذا إذا جعلنا «إذا» ظرفاً محضاً، فإن جعلناه شرطاً كان جوابها مقدرأ أي تبعثون وهو العامل في «إذا» عند جمهور<sup>(١)</sup> النحاة. وجوّز الزجاج أن تكون معمولة لمزقتم<sup>(٢)</sup>، وجعله ابن عطية خطأ وإفساداً للمعنى<sup>(٣)</sup>، قال أبو حيان: وليس بخطأ ولا إفساد<sup>(٤)</sup>.

وقد اختلف في العامل في «إذا» الشرطية، والصحيح أن العامل فيها فعل الشرط كأخواتها من أسماء الشرط<sup>(٥)</sup>. وقال شهاب الدين: والجمهور على خلافه<sup>(٦)</sup>، ثم قال أبو حيان: والجملة الشرطية تحتمل أن تكون معمولة «لِيُنَبِّئُكُمْ» لأنه في معنى: يقول لكم إذا مزقتم<sup>(٧)</sup> تُبْعَثُونَ، ثم أكد ذلك بقوله: «إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ» ويحتمل أن يكون: «إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ»<sup>(٨)</sup> معلقاً «لِيُنَبِّئُكُمْ» ساداً مسد المفعولين ولولا اللام لفتحت «أن» وعلى هذا فجملة الشرط اعتراض، وقد منع قوم التعليق في «اعلم» وبابها والصحيح جوازه<sup>(٩)</sup>، قال:

٤١٠٨ - حَدَارٍ فَقَدْ نُبِّئْتَ إِنَّكَ لِلَّذِي سَخَّرَ بِمَا تَسْعَى فَتَسْعَدُ أَوْ تَشْقَى<sup>(١٠)</sup>  
وقرأ زيد بن عليّ بإبدال الهمزة ياء<sup>(١١)</sup>، وعنه يُنَبِّئُكُمْ مِنْ «أَنْبِيَاءً» كَأَكْرَمِ<sup>(١٢)</sup>  
و «مُمَزَّقٍ» فيه وجهان:

أحدهما: أنه اسم «مصدر»<sup>(١٣)</sup> وهو قياس كل ما زاد على الثلاث أن يجيء مصدره وزمانه ومكانه على زنة اسم مفعوله أي كل تمزيق<sup>(١٤)</sup>.  
والثاني: أنه ظرف مكان، قاله الزمخشري<sup>(١٥)</sup>، أي كل تمزيق<sup>(١٦)</sup> من القبور وبطن

(١) قاله أبو حيان في البحر المحيط ٢٥٩/٧ والسمين في الدر المصون ٤١١/٤.

(٢) قال ذلك في إعراب القرآن ٣٣٣/٤ وقد نقل رأي أبي إسحاق الزجاج كما سبق وانظر رأي الزجاج في كتابه معاني القرآن ٢٤١/٤.

(٣) البحر المحيط ٢٥٩/٧. (٤) المرجع السابق.

(٥) وهو قول المحققين فتكون بمنزلة متى وحيثما، وأياناً.

انظر: الهمع ٦٤/٢، والمعني ٩٦ «إذا».

(٦) انظر: الدر المصون ٤١٢/٤. (٧) في البحر مزقتم كل ممزق.

(٨) وفيه: خلق جديد. (٩) بالمعنى والتقديم والتأخير من كلام أبي حيان ٣٥٩/٧.

(١٠) البيت مجهول القائل وهو من بحر الطويل، وحذار: اسم فعل أمر بمعنى احذر، ونُبِّئْتَ: أُخْبِرْتَ وهو فعل ونائب فاعل. والشاهد: تعليق الفعل «نُبِّئْتَ» عن الجملة «إِنَّكَ لِلَّذِي» باللام ولذا كسرت «إِنْ» وهذا شاهد على تعليق «اعلم» وبابها، البحر المحيط ٢٥٩/٧ والدر المصون ٤١٢/٤، والهمع ١/١٥٨ والتصريح ٢٦٦/١.

(١١) أتى بهذه القراءة أبو حيان في البحر المحيط ٢٥٩/٧ والدر المصون ٤١٢/٤.

(١٢) المرجعان السابقان وانظر: شواذ القرآن ١٩٦.

(١٣) ويريد به المصدر الميمي الذي يبدأ بميم وهو يجيء من فعل ثلاثي وغير ثلاثي كما هو معروف.

(١٤) وانظر المرجعين السابقين أيضاً. (١٥) الكشاف ٣/٢٨٠.

(١٦) قال: «فإن قلت قد جعلت الممزق مصدرأ كَبَيْتِ الكتاب:

الوحش والطيور، ومن مجيء مَفْعَل مجيء التَّفْعِيل قوله:

٤١٠٩ - أَلَمْ تَعْلَمِي مُسَرَّجِي الْقَوَافِي فَلَا عِيَا بِهِنَّ وَلَا اجْتِلَابَا<sup>(١)</sup>

أي تسريحي، والتمزيق التخريق والتقطيع، يقال ثَوَّبَ مُمَزَّقٌ وَمَمَزُوقٌ ويقال: مَزَّقَهُ فهو مَازِقٌ وَمَزَقٌ<sup>(٢)</sup> أيضاً قال:

٤١١٠ - أَنَانِي أَنَّهُمْ مَزَقُونَ عِرْضِي.....<sup>(٣)</sup>

وقال الممزق العبدى - وبه سمي المُمَزَّقُ -:

٤١١١ - فَإِنْ كُنْتُمْ مَأْكُولًا فَكُنْ خَيْرَ أَكِيلٍ وَإِلَّا فَأَذْرِكُنِي وَلَمَّا أَمَزَقِ<sup>(٤)</sup>

أي ولما أبلى وأفتى<sup>(٥)</sup>، و«جديد» عند البصريين بمعنى فاعل يقال: جَدَّ الشَّيْءُ فَهُوَ جَادٌ وَجَدِيدٌ وعند الكوفيين بمعنى مَفْعُولٌ من جَدَّدْتُهُ أَي قَطَعْتُهُ<sup>(٦)</sup>.

## فصل

المعنى أن الكفار قالوا لقومهم متعجبين: إن محمداً يقول: إنكم إذا مئتم ومزقتم كل تمزيق وصرتم تراباً إنكم لفي خلق جديد أي تخلقون خلقاً جديداً.

= البيت فهل يجوز أن يكون مكاناً؟ قلت: نعم ومعناه ما حصل من الأموات في بطون الطير والسباع وما مرت به السيول فذهبت به كل مذهب وما سفته الرياح فطرحته كل مطرح.

(١) من تمام الوافر وهو لجرير النخفي يفتخر بشاعريته وبتنظيمها وبأنه يسرح القوافي فلا يحتلبها ولا يسرقها من غيره. والشاهد في: «مُسَرَّجِي» حيث أتى بلفظ مَفْعَلٌ بمعنى التفعيل فالمسرح بمعنى التسييح. وقد تقدم.

(٢) في «ب» ومزاق ولم أجدها في اللسان مزق. وانظر اللسان «م ز ق» ٤١٩٣.

(٣) هذا صُدْرُ بَيْتٍ من الوافر عجزه:

..... جحاش الكِزْمَلِينِ لَهَا قَدِيدٌ

وهو لزيد الخليل، والكِزْمَلِينِ اسم ماء في جبَلِ طَبِيءٍ، والفديد: الصوت. والشاهد في: «مَزَقُونَ عِرْضِي» حيث إن «مزقا» بمعنى مخرق ومقطع. وفيه شاهد نحوي لا مجال لنا فيه الآن. والبيت في ابن عقيل رقم ٣٥٨ ص ١١٤ وتوضيح المقاصد ٢٥/٣ والأشْمُونِي ٢٩٨/٢ وابن الناطم ١٦٤: والدر المصون ٤١٣/٤.

(٤) من الطويل وهو للممزق العبدى كما أخبر واسمه - كما في المزهري للسيوطي - شاس بن نهار العبدى جاهلي وهذا غير الممزق الحضرمي وجاء به المؤلف دلالة على التمزيق والتقطيع، وانظر: المزهري ٢/٤٤٣ واللسان: «م ز ق» ٤١٩٤ والبحر ٧/٢٥٤ والمغني ٢٧٨ وشرح شواهد للسيوطي ٦٨٠، والأشْمُونِي ٥/٤، والأصمعيات ١٦٦، والكامل للمبرد ١٧١/١ وديوان المفضليات ٥٩١.

(٥) هكذا جيئت بتلك الكلمتين والأصح: وَلَمَّا أُبْلِ وَأَفْنِ حَيْثُ الْجَزْمِ.

(٦) قال في الكشف: فإن قلت: الجديد فعيل بمعنى فاعل أم مفعول؟ قلت: هو عند البصريين بمعنى فاعل تقول: جَدَّ فَهُوَ جَدِيدٌ كَجَدَّ فَهُوَ حَدِيدٌ وَقَلَّ فَهُوَ قَلِيلٌ. وعند الكوفيين بمعنى مَفْعُولٌ من جَدَّه إذا قطعه وقالوا: هو الذي جدَّه النَّاسِجُ السَّاعَةِ فِي الثَّوْبِ. ثم شاع ولهذا قالوا: مِلْحَفَةٌ جَدِيدٌ وهي عند البصريين كقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ وانظر: أيضاً البحر المحيط ٧/٢٦٠.

(قوله)<sup>(١)</sup>: «أَفْتَرَى» هذه همزة الاستفهام وحذفت لأجلها همزة الوصل فلذلك ثبتت همزة الهمزة وصلًا وابتداءً. قال البيهقي: هذه ألف<sup>(٢)</sup> استفهام دخلت على ألف<sup>(٣)</sup> الوصل فلذلك نُصِبَ<sup>(٤)</sup> «عَلَى اللَّهِ كَذِبًا» وبهذه الآية استدلل الجاحظ<sup>(٥)</sup> على أن الكلام ثلاثة أقسام صدق وكذب ولا صدق ولا كذب ووجه الدلالة عنه على القسم.

الثالث: أن قوله «بِهِ جُنَّةٌ» لا جائز أن يكون كذباً لأنه قسم الكذب وقسيم الشيء غيره ولا جائز أن يكون صدقاً لأنهم لم يعتقدوه فثبت قسم ثالث<sup>(٦)</sup>. وأجيب عنه بأن المعنى: أم لم يُفْتَرِ، ولكن عبر عن هذا بقولهم: «أَمْ بِهِ جُنَّةٌ»؛ لأن المجنون لا افتراء له<sup>(٧)</sup>، والظاهر في «أم» هذه أنها متصلة لأنها تقدر بأيّ الشئيين ويجاب بأحدهما لأنه قيل: أي الشئيين واقع افتراءه الكذب أم كونه مجنوناً ولا يضر كونها بعدها جملة لأن الجملة بتأويل المفرد كقوله:

٤١١٢ - لَا أَبَالِي أَنْتَ بِالْحَزْنِ تَيْسٌ      أَمْ جَفَانِي بظَهْرِ غَيْبِ اللَّئِيمِ<sup>(٨)</sup>  
ومثل قول الآخر:

٤١١٣ - لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنْ كُنْتُ دَارِيًّا      شُعَيْثُ بْنُ سَهْمٍ أَمْ شُعَيْثُ بْنُ مِنْقَرٍ<sup>(٩)</sup>  
لأن «منقر» خبر لا نعت كذا أنشده بعضهم مستشهداً على أنها جملة وفيه حذف التنوين بما قبل «ابن» وليس بصفة، وهذا إشارة إلى البحث المتقدم في سورة التوبة<sup>(١٠)</sup>.

(١) ساقط من «ب».

(٢) في «ب» همزة بدل ألف.

(٣) في «ب» نصب بالتاء.

(٤) معالم التنزيل ٢٨٢/٥ وانظر المرجعين السابقين.

(٥) هو أبو عمرو بن بحر الجاحظ إمام أهل البيان والبلاغة له من المصنفات البيان والتبيين، الحيوان، وغير ذلك توفي سنة ٢٥٥، انظر: معجم الأدباء ١٠٩/١٦.

(٦) الدر المصون ٤/٤١٤ وإيضاح القزويني ١٣. (٧) السابقان.

(٨) من الخفيف وهو لحسان بن ثابت - رضي الله عنه - ويروى: ما أبالي بدل من لا أبالي الرواية العليا هنا، والحزن الأرض الغليظة، والتيس: ذكر الماعز و «جفاني» يروى بدل منه «لحاني» أي شمني ولامني يريد أن يبين أن نيبب التيس وتصويته وشم اللئيم عنده سواء. وشاهده: «أم جفاني»؛ حيث إن «أم» معادلة للهمزة الاستفهام والجملة بعدها في تأويل المفرد، كما أخير فوق أي لا أبالي أي الفعلين كان. وانظر: الكتاب ٣/١٨١ وابن الناظم ٢٠٦ والمقتضب ٣/٢٩٨ وديوانه ٨٩.

(٩) هو من الطويل وهو للأسود بن يعفر، وينسب أيضاً للعين المنقرى، وأوس بن حجر. والشاهد فيه كسابقه حيث وقعت «أم» معادلة للهمزة الاستفهامية المحذوفة لدلالة «أم» عليها بتقدير: أشعيت بعضهم أم.. ولا يخفى أن «أم» هنا متصلة كالسابقة ولكنها في تلك المرة وقعت بين جملتين اسميتين وكانت الأولى قد وقعت بين فعليتين وقد تقدم.

(١٠) يقصد قول الله: «وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ» وهي الآية ٣٠ حيث قرأ الكسائي وعاصم بتنوين: «عُزَيْرٌ» والباقي بلا تنوين وخرجت على أن التنوين حذف لالتقاء الساكنين ولوقوع ابن صفة له وهكذا التنظير بالآية.

## فصل

قوله: «أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا» يحتمل أن يكون من تمام قول الكافر<sup>(١)</sup>: «أولاً أي من كلام القائلين: «هَلْ تَدُلُّكُمْ» ويحتمل أن يكون من كلام السامع المجيب للقائل: «هَلْ تَدُلُّكُمْ» كأن السامع لما قيل له: هل ندلكم على رجل قال له وهو<sup>(٢)</sup> يفترى على الله كذباً إن كان يعتقد خلافه «أَوْ<sup>(٣)</sup> بِهِ جُنَّةٌ» مجنون<sup>(٤)</sup>؟ إن كان لا يعتقد خلافه، وفي هذا لطيفة وهي أن الكافر لا يَرْضَى بأن يظهر كذبه ولهذا قسم ولم يجزم بأنه مفتر بل قال مفتر أو مجنون احترازاً من أن يقول قائل: كَيْفَ يَقُولُ بِأَنَّهُ مُفْتَرٍ مَعَ أَنَّهُ جَازٍ أَنْ يَظُنَّ أَنَّ الْحَقَّ<sup>(٥)</sup> ذَلِكَ، وظن الصدق يمنع تسمية القائل مفترياً وكاذباً في بعض المواضع ألا ترى أن من يقول: جَاءَ زَيْدٌ فَإِذَا تَبَيَّنَ أَنَّهُ لَمْ يَجِءْ وَقِيلَ لَهُ: لَمْ كَذَبْتَ؟ يقول: مَا كَذَبْتُ وَإِنَّمَا سَمِعْتُ مِنْ فُلَانٍ فَظَنَنْتُ أَنَّهُ صَادِقٌ فَيُدْفَعُ الْكَذِبَ عَنْ نَفْسِهِ بِالظَّنِّ فَهَمَّ احْتِرَازُوا عَنْ تَبْيِينِ كَذِبِهِمْ فَكُلُّ عَاقِلٍ يَنْبَغِي أَنْ يَحْتَرِزَ عَنِ ظُهُورِ كَذِبِهِ عِنْدَ النَّاسِ وَلَا يَكُونُ الْعَاقِلُ أَدْنَى دَرَجَةٍ مِنَ الْكَافِرِ، ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى أَجَابَهُمْ مَرَّةً أُخْرَى رَدًّا عَلَيْهِمْ فَقَالَ: «بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْعَذَابِ فِي مِقَابَلَةِ قَوْلِهِمْ: «أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا».

وقوله: «فِي الضَّلَالِ الْبَعِيدِ» عن الحق في الدنيا، وهذا في مقابلة قولهم: «بِهِ جُنَّةٌ» وكلاهما مناسب أما العذاب فلأن نسبة المكذب<sup>(٦)</sup> إلى الصادق مؤذٍ، لأنه شهادة عليه بأنه يستحق العذاب فجعل العذاب عليهم حيث نسبوا العذاب إلى البريء وأما الجنون فلأن نسبة الجنون إلى العاقل<sup>(٧)</sup> دونه في الإيذاء فإنه لا يشهد عليه بأنه يعذب وإنما ينسبه إلى عدم الهداية فيبين أنهم هم الضالون، ثم وصف ضلالهم بالبعد لأن من يسمي المهتدي ضالاً يكون أضل، والنبى عليه (الصلاة<sup>(٨)</sup>) والسلام (كان)<sup>(٩)</sup> هادي كل مهتد<sup>(١٠)</sup>.

قوله: «أَفَلَمْ» فيه الرأيان المشهوران، قدره الزمخشري أَعْمَوْا فَلَمْ يَرَوْا<sup>(١١)</sup>، وغيره يدعي أن الهمزة مقدمة على حرف العطف<sup>(١٢)</sup>.

قوله: «مِنَ السَّمَاءِ» بيان للموصول، فيتعلق بمحذوف، ويجوز أن يكون حالاً فيتعلق به أيضاً قيل: (و)<sup>(١٣)</sup> ثُمَّ حَالٌ مَحذُوفَةٌ تَقْدِيرُهُ: أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى كَذَا مَقْهُوراً تَحْتَ

- (١) في «ب» الكافرين.
- (٢) وفيه: أم به جنة.
- (٣) انظر: تفسير الرازي ٢٥/٢٤٤.
- (٤) في «ب» القائل.
- (٥) سقط من «ب».
- (٦) في «ب» الكافرين.
- (٧) وفيه: أم به جنة.
- (٨) انظر: تفسير الرازي ٢٥/٢٤٤.
- (٩) سقط من «ب».
- (١٠) انظر: تفسير الفخر الرازي المرجع السابق ٢٥/٢٤٤.
- (١١) قال ذلك في كشافه ٣/٢٨١.
- (١٢) هذا مذهب الجمهور. وانظر: البحر المحيط ٧/٢٦٠. والمغني ١٦، والهمع ٢/٦٩.
- (١٣) سقط من «ب».

قُدْرَتِنَا، أَوْ مُحِيطًا<sup>(١)</sup> بِهِمْ فَيَعْلَمُوا أَنَّهُمْ حَيْثُ كَانُوا فَإِنَّ أَرْضِي وَسَمَاوِي مُحِيطَةٌ بِهِمْ لَا يَخْرُجُونَ مِنْ أَقْطَارِهَا وَأَنَا الْقَادِرُ عَلَيْهِمْ<sup>(٢)</sup>.

قوله: «إِنْ نَشَأْ» قرأ الأخوان يَشَأُ يَخْسِفُ يُسْقِطُ بالياء في الثلاثة<sup>(٣)</sup>، والباقون بنون العظمة فيها، وهما واضِحَتَانِ، وأدغم الكسائي الفاء في الباء<sup>(٤)</sup> واستضعفها الناس من حيث أدغم الأقوى في الأضعف<sup>(٥)</sup>، قال الفارسي: وذلك لا يجوز لأن الباء أضعف في الصوت من الفاء فلا يدغم<sup>(٦)</sup> فيها وإن كانت الباء يدغم<sup>(٧)</sup> فيها نحو: اضْرِبْ فَلَانًا كما تدغم الباء في الميم كقولك: اضْرِبْ مَالِكًا وإن كانت الميم لا تدغم في الباء نحو: اضْمُمْ بَكَرًا؛ لأن<sup>(٨)</sup> الباء انحطت عن الميم بفقد الغنة<sup>(٩)</sup>، وقال الزمخشري: وليست بالقوية<sup>(١٠)</sup>، وهذا لا ينبغي لأنها تواترت<sup>(١١)</sup>.

### فصل

لما ذكر الدليل بكونه عالم الغيب وكونه جازياً على السيئات والحسنات ذكر دليلاً آخر فيه التهديد والتوحيد فأما دليل التوحيد فذكره السماء والأرض فإنهما يدلان على الوحدانية كما تقدم مراراً ويدلان على الحشر والإعادة لأنهما يدلان على كمال القدرة بقوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ يَقْدِرُ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ﴾ [يس: ٨١] وأما التهديد فقوله: «إِنْ نَشَأْ نَخْسِفُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نَسْقِطُ عَلَيْهُمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ» أي نجعل عين نافعهم ضارهم بالحق<sup>(١٢)</sup> والكشف ثم قال: «إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ» أي فيما يرون من السماء والأرض آية تدل على قدرتنا على البعث «لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ» تائب

(١) الدر المصون ٤/٤١٥. (٢) معالم التنزيل للبيوي ٥/٢٨٢.

(٣) وهي قراءة عيسى والأعمش وابن وثاب أيضاً انظر البحر ٧/٢٦٠ والإتحاف ٣٥٧ والسبعة ٥٢٧ والقرطبي ١٤/٢٦٤ والكشاف ٣/٢٨١ والكشف ٢/٢٠٢.

(٤) ذكر ذلك ابن مجاهد في السبعة ٥٢٧ والبناء في الإتحاف ٢٥٧ وأبو حيان في البحر ٧/٢٦٠.

(٥) الدر المصون ٤/٤١٥ ومن هؤلاء الناس كما أخبر هو أعلى الزمخشري والقرطبي في كتابيهما الكشاف والحجة.

(٦) في «ب» فلا تدغم بالياء يقصد الباء. (٧) وفيها أيضاً تدغم.

(٨) في «ب» إلا أن.

(٩) قال بذلك الفارسي في الحجة مع اختلاف ظفيف في عبارته. الحجة ٦/١٦٤، و ١٦٥ وأبو حيان في البحر ٧/٢٦٠.

(١٠) الكشاف ٣/٢٨١.

(١١) رد صحيح من المؤلف لأن القراءة سنة متبعة ويوجد فيها الفصح والأفصح كما يقول أبو حيان وقد أجازها أبو البقاء في التبيان قال «والإدغام جائز، لأن الفاء والياء متقاربان» البحر المحيط ٧/٢٦٢.

(١٢) الأصح كما في الفخر الرازي بالخسف.

راجع إلى الله بقلبه. ثم إنه تعالى لما ذكر من ينيب من عباده ذكر منهم من أناب وأصاب ومن جملتهم داود<sup>(١)</sup> كما قال تعالى عنه: «فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ».

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلاً يَجِيءُ أُوْبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَالنَّارُ لَهُ الْحَدِيدُ (١٠)﴾ أَنْ أَعْمَلَ سَبْعَتِ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَليحاً إِيَّيَ مَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَاسْلَمْنَا الرِّيحَ غَدُوها شَهْرٌ وَرَوَّاحها شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقَظْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنَ آمْرِنَا نُدْغِقْهُ مِن عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحْرِبٍ وَتَمْثِيلٍ وَجِفَانِ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِن سَائِغِهِ فَلَمَّا خَرَ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَو كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾

قوله تعالى: «وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلاً» فقوله: «مِنَّا» إشارة إلى بيان فضل داود لأن قوله: «وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلاً» مستقبل<sup>(٢)</sup> بالمفهوم وتام كما يقول القائل: أتى الملك زيداً خلعةً، فإذا قال القائل: آتاه منه خلعةً يفيد أنه كان من خاص ما يكون له فكذلك إتياء الله الفضل عام لكن النبوة من عنده خاص بالبعض، ونظيره قوله تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ﴾ [التوبة: ٢١] فَإِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاسِعَةٌ تَصِلُ إِلَى كُلِّ أَحَدٍ لَكِن رَحْمَتُهُ فِي الْآخِرَةِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ رَحْمَةٌ مِنْ عِنْدِهِ لِحَوَاصِهِ<sup>(٣)</sup>، والمراد بالفضل النبوة والكتاب، وقيل: الملك، وقيل: جميع ما أوتي من حُسن الصوت وتلحين الحديد وغير ذلك مما حُصِّ به<sup>(٤)</sup>.

قوله: «يَا جِبَالُ» محكي بقول مضمّر<sup>(٥)</sup>، ثم إن شئت قدرته مصدراً ويكون بدلاً من «فضلاً» على جهة تفسيره به كأنه قيل: آتيناهُ فضلاً قولتاً يَا جِبَالُ، وإن<sup>(٦)</sup> شئت جعلته مستأنفاً.

قوله: «أُوْبِي» العامة على فتح الهمزة، وتشديد الواو، أمراً من التَّأْوِيب وهو

(١) الفخر الرازي ٢٤٤/٢٥ و ٢٤٥.

(٢) في «ب» هكذا وما في «أ» والفخر الرازي مستقل وهو الأصح.

(٣) المرجع السابق. (٤) البغوي والخازن ٢٨٢/٥ و ٢٨٣.

(٥) هذا قول أبي البقاء في التبيان ١٠٦٤ والزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٢٤٣/٤؛ والدر المصون ٤١٦/٤.

(٦) الحق أن الاستئناف لا يجوز إلا بعد أن يقدر القول المضمّر هذا ومن الإمكان أن يقدر مصدراً أو فعلاً فإن قدر فعلاً لنا فيه وجهان: أحدهما: ما ذكره وهو الاستئناف. والثاني: جعله بدلاً من «آتيناهُ» فكلمة الجبال محكية بقول إما مصدر وإما فعل. انظر ذلك في الكشاف ٢٨١/٣ والدر المصون ٤١٦/٤ والبحر ٢٦٢/٧.

التَّرْجِيع<sup>(١)</sup>، وقيل: التسييح بلغة الحَبَشَةِ<sup>(٢)</sup>، وقال القُتَيْبِيُّ<sup>(٣)</sup>: أصله من التَّأْوِيبِ في السير وهو أن يسير النهار كلّه، وينزل ليلاً كأنه قال: اذْأَبِي النَّهَارِ كُلَّهُ بالتسييح معه<sup>(٤)</sup>، وقال وهب: نوحى معه<sup>(٥)</sup>، وقيل: سيرى معه<sup>(٦)</sup>، والتضعيف يُحْتَمَلُ أن يكون للتكثير، واختار أبو حيان أن يكون للتعدي قال: لأنهم قَسَرُوهُ برجع مع التسييح<sup>(٧)</sup>، ولا دليل فيه لأنه دليل معنى<sup>(٨)</sup>.

وقرأ ابنُ عباس والحَسَنُ وقتادةُ وابنُ أبي إسحاق: أُوَيْبِي بضم الهمزة أمراً من آبٍ يُوُوبُ أي ارجع معه بالتسييح<sup>(٩)</sup>.

قوله: «والطير» العامة على نصبه وفيه أوجه:

أحدها: أنه عطف على محل جبال لأنه منصوب تقدير<sup>(١٠)</sup>.

الثاني: أنه مفعول معه قاله الزجاج<sup>(١١)</sup>. ورد عليه بأن قبله لفظ «معه» ولا يقتضي العامل أكثر من مفعول معه واحد إلا بالبدل أو العطف لا يقال: جَاءَ زَيْدٌ مَعَ بَكْرٍ مَعَ عَمْرٍو<sup>(١٢)</sup>. قال شهاب الدين: وخلافهم في تَقْصِيهِ<sup>(١٣)</sup> حالين يقتضي مجيئه هنا<sup>(١٤)</sup>.

الثالث: أنه عطف على «فضلاً»، قاله الكسائي<sup>(١٥)</sup>، ولا بدّ من حذف مضاف تقديره آتيناه فضلاً وتسييح الطير.

- (١) المراجع السابقة. (٢) البحر ٧/٢٦٢ والجامع لأحكام القرآن ١٤/٢٦٥.  
 (٣) هو ابن قتيبة وقد عرفت به آنفاً. (٤) ٣٥٢ وقاله أيضاً في تأويل المشكل ٨٤ واللسان آب.  
 (٥) القرطبي ١٤/٢٦٤. (٦) معالم التنزيل ٥/٣٨٣.  
 (٧) البحر ٧/٢٦٢. (٨) الدر المصون ١٤/٤١٦ والعبارة بالتعدي باللفظ.  
 (٩) مختصر ابن خالويه ١٢١ وبدون نسبة في معاني القرآن للفراء ٢/٣٥٥ وانظر أيضاً القرطبي ١٤/٢٦٥.  
 (١٠) قال بذلك أبو البقاء في التبيان ١٠٦٤ ومكي في مشكل الإعراب ٢/٢٠٣ وابن الأنباري في البيان ٢/٢٧٥ والفراء في معاني القرآن ٢/٣٥٥ وأبو جعفر النحاس في إعراب القرآن ٣/٣٣٤ نقلاً عن سيبويه وأبو حيان في البحر ٧/٢٦٣ والزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٤/٢٤٣ والزمخشري في الكشاف ٣/٢٨١ والقرطبي في الجامع ١٤/٢٦٦.  
 (١١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/٢٤٣.  
 (١٢) هذا رأي واعتراض أبي حيان على أبي إسحاق الزجاج فيما نقله عنه المؤلف فقد قال في البحر ٧/٢٦٣: وهذا لا يجوز لأن قبله «معه» ولا يقتضي الفعل اثنين من المفعول معه الخ...  
 (١٣) في «ب» نصبه وكلتا الكلمتين غير متباعدتين.  
 (١٤) اتفقوا على أنه إذا كان العامل يقتضي المشاركة بلفظ التفاعل فيجوز أن يعمل في الحالين كتحاَضَمَ زيدٌ قائماً وعمرو قاعداً وآلا يدل على المشاركة ففيه خلاف فذهب أبو علي: إلى أنه معمول لما قبله الذي مثله، وذهب أبو الفتح إلى أنه صفة له. وذهب أبو إسحاق الزجاج إلى أن الثاني صفة للأول. وعلى ذلك فهو من تمام المعمول الأول فلم يعمل الفعل في الحالين. وقد عبر أبو حيان عن رأيه بأن العامل في المعمولين واحد وهو الفعل لأن مجموعهما معاً هو الحال لا أحدهما. انظر: البحر ٧/٢٦٣ والهمع ١/٢٣٧ و٢٣٨ وشرح الكافية للعلامة الرضي ١/٢٠٨ و٢٠٩ وانظر رأي شهاب الدين في الدر ٤/٤١٦.  
 (١٥) إعراب القرآن للنحاس ٤/٣٣٤ والبحر ٧/٢٦٣ ومشكل إعراب القرآن ٢/٢٠٤ والقرطبي ١٤/٢٦٦.

الرابع: أنه منصوب بإضمار فعل أي سَخَرْنَا لَهُ الطَّيْرَ. قاله أبو عمرو<sup>(١)</sup>، وقرأ السُّلَمِيُّ والأعْرَجُ ويعقوبُ وأبو نوفل<sup>(٢)</sup> وأبو يحيى<sup>(٣)</sup> وعاصمٌ - في رواية - والطَّيْرُ<sup>(٤)</sup> بالرفع، وفيه أوجه: النسق على لفظ «الجبال»<sup>(٥)</sup> وأنشد:

٤١١٤ - أَلَا يَا زَيْدُ وَالضُّحَّاكُ سَيْرًا      فَقَدْ جَاوَزْتُمَا خَمَرَ الطَّرِيقِ<sup>(٦)</sup>  
بالوجهين، وفي عطفِ المعرفِ بآلِ على المنادى المضموم ثلاثة مذاهب<sup>(٧)</sup>،  
الثاني: عطفه على الضمير المستكن في «أُوْبِي»<sup>(٨)</sup> وجاز ذلك؛ للفصل بالظرف<sup>(٩)</sup>،  
والثالث: الرفع على الابتداء والخبر مضمَرُ أي والطَّيْرُ كذلك<sup>(١٠)</sup> أي مؤويةً.

### فصل

لم يكن الموافقون له في التأويل منحصرأ في الطير والجبال ولكن ذكر الجبال لأن الصخور للجُمُود والطير للنفور وكلاهما مستبعد منه الموافقة، فإذا وافقه هذه الأشياء فغيرها أولى ثم إن من الناس من لم يوافقهم وهم القاسية قلوبهم التي هي أشد قسوة<sup>(١١)</sup>. قال المفسرون كان داود إذا نادى بالثياحة أجابته الجبال بصداها وعكفت الطير على من فوقه فصدى الجبال الذي يسمعه الناس اليوم من ذلك وقيل: كان داود إذا تخلل الجبال

(١) المراجع السابقة.

(٢) أحمد بن المبارك بن نوفل أبو العباس النسيبي إمام مجُود صادق مات سنة ٦٦٤ هـ انظر: غاية النهاية ٩٩/١.

(٣) هو محمد بن عبد الرحمن أبو يحيى المكي أخذ عن إسحاق الخزاعي، وأبي ربيعة روى عنه محمد بن أشته مات سنة ٤٣ هـ. انظر: الغاية ١٦٣/٢.

(٤) مختصر ابن خالويه ١٢١ والكتاب لسبويه ١٨٧/٢، والقرطبي ٢١٦/١٤ والبحر ٢٦٣/٧ والكشاف ٢٨١/٣ والنشر ٣٣٥/٢.

(٥) ذكره النحاس في إعراب الفراء ٣٣٤/٤ وأبو البقاء في التبيان ١٠٦٤ وابن الأنباري في البيان ٢٧٥/٢ والفراء في معاني القرآن ٣٥٥/٢ ومكي في المشكل ٢٠٤/٢.

(٦) من تمام الوافر وهو مجهول القائل. وشاهده: عطف «الضحاك» على زيد عطفاً نسقياً على اللفظ ويجوز فيه النصب عطفاً على محل المنادى فالمنادى في محل نصب لأنه أصلاً مفعول به والخمر: بالتحريك ما سترك من شجر ونحوه. وانظر: معاني الفراء ٣٥٥/٢ وشرح المفصل لابن يعيش ٢٩/١ والهمع ١٤٢/٢ والدر ١٩٦/٢ والطبري ٤٦/٢٢ بلفظ «ألا يا عمرو».

(٧) الأولان الرفع حملاً على لفظ المنادى والثاني النصب حملاً على محله والثالث: التفصيل، ولكل رجاله ومؤيدوه، فالرفع اختيار الخليل وسيبويه والمازني والثاني اختيار عيسى بن عمر وأبي عمرو والجرمي والثالث وهو التفصيل إن كان المنادى معرفة فالاختيار النصب وإن كان نكرة فالرفع وهو يعزى للمبرد. انظر: توضيح المقاصد ٢٩٥/٣، ومقتضب المبرد ٢١٢/٤ و٢١٣.

(٨) البيان ٢٧٦/٢ والتبيان ١٠٦٤ ومعاني الفراء ٣٥٥/٢ ومشكل القرآن ٢٠٤/٢ ومعاني الزجاج ٢٤٣/٤ وإعراب النحاس ٣٣٤/٣.

(٩) البيان والمشكل والتبيان المراجع السابقة.

(١٠) قاله أبو حيان ٢٦٣/٧.

(١١) قاله الرازي في تفسيره ٢٤٥/٢٥.

فسبح الله جعلت الجبال تجاوبه بالتسبيح . وقيل : كان داود إذا لحقه فتور أسمع الله تسبيح الجبال تنشطاً له<sup>(١)</sup> .

قوله : «وَأَلْنَا» عطف على «آتَيْنَا» وهو من جملة الفُضْل ، قال ابن الخطيب : ويحتمل أن يعطف على «قلنا» في قوله «يَا جِبَالُ أُوْبِي . . . . . وَأَلْنَا»<sup>(٢)</sup> .

## فصل

ألان الله تعالى له الحديد حتى كان في يده كالشمع والعجين يعمل منه ما يشاء من غير نار ولا ضرب مطرقة وذلك في قدرة الله يسير ، روي أنه طلب من الله أن يغنيه عن أكل مال بيت المال فلأن الله له الحديد وعلمه صنعة اللبوس وهي الدرع<sup>(٣)</sup> وأنه أول من اتخذها . وإنما اختار الله له ذلك لأنه وقاية للروح التي هي من أمره وتحفظ الآدمي المكرم عند الله من القتل ، فالزُّرَاد<sup>(٤)</sup> خير من القوَّاس والسِّيف وغيرهما ؛ لأن القوس<sup>(٥)</sup> والسيف وغيرهما من السلاح رُبَّمَا يستعمل في قتل النفس المحرمة ، بخلاف الدرع قال عليه (الصلاة<sup>(٦)</sup>) (و) السلام : «كَانَ دَاوُدُ لَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»<sup>(٧)</sup> .

قوله : «أَنْ أَعْمَلَ» فيه وجهان :

أظهرهما : أنها مصدرية على حذف الجر<sup>(٨)</sup> أي لأن<sup>(٩)</sup> .

والثاني : قاله الحَوْفِيُّ وغيره إنها مفسرة لقوله : «وَأَلْنَا له الحديد لِيَعْمَلَ»<sup>(١٠)</sup> سابعات ورد هذا بأن شرطها تقدم بما هو بمعنى القول ولم يتقدم<sup>(١١)</sup> إلا «أَلْنَا» ، واعتذر بعضهم عن هذا بأن قَدَّر ما هو بمعنى القول أي وأمرناه أَنْ أَعْمَلَ . ولا ضرورة تدعو إلى ذلك<sup>(١٢)</sup> ، وقرئ : «صَابِعَاتٍ»<sup>(١٣)</sup> لأجل الغين وتقدم تقديره في لقمان عند «وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ»

(١) انظر كل هذه الآراء في معالم التنزيل والخازن ٢٨٣/٥ وزاد المسير ٤٣٦/٦ .

(٢) انظر : التفسير الكبير للرازي المرجع السابق ٢٤٥/٢٥ .

(٣) في «ب» الدروع بالجمع .

(٤) هو صانع الدروع قال ابن منظور : «والزراد صانعها» اللسان : «زرد» ١٨٢٤ .

(٥) في «ب» لأن السيف والقوس يتقدم كليهما على الآخر .

(٦) بزيادة من «ب» .

(٧) الحديث رواه المقدم رضي الله عنه فيما أورده البخاري في صحيحه ٦/٢ كتاب البيوع وانظر في هذا الإمام الرازي ٢٤٦/٢٥ .

(٨) في «ب» حرف الجر .

(٩) مشكل الإعراب لمكي ٢/٢٠٤ والتبيان ١٠٦٤ والتبيان ٢٧٦/٢ ومعاني الزجاج ٤/٢٤٤ .

(١٠) المراجع السابقة . (١١) الدر المصون ٤/٤١٧ .

(١٢) لعله أبو حيان فقد وجدت هذا الاعتذار في بحره ٧/٢٦٣ .

(١٣) لم تنسب إلا في الشواذ للكرماني فقد نسبها لزيد بن علي انظر : الشواذ ١٩٧ وانظر : القرطبي ٤/٢٦٧ والكشاف ٣/٢٨٢ والبحر ٧/٢٦٣ .

## فصل

معنى «سابغات» أي كوامل واسعات طووالاً تسحب في الأرض. وذكر الصفة ويعلم منها الموصوف<sup>(١)</sup>.

قوله: «وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ» والسرد: نسيج الدُرُوع يقال لصانعه: السَّرَادُ الزَّرَادُ. والمعنى قدر المسامير في حلق الدروع أي لا تجعل المسامير غلاظاً فتكسر<sup>(٢)</sup> الحَلَقُ ولا دقاً فْتُغْلِغِلَ فيها. ويقال السرد المسمار في الحَلَقَة، يقال: درع مشرودة أي مَسْمُورَة الحَلَقُ. وقدر في السرد أي اجعله على القصد وقدر الحاجة، ويحتمل أن يقال السرد هو عمل الزرد<sup>(٣)</sup>.

وقوله: «وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ» أي إنك غير مأمور به أمر إيجاب إنما هو اكتساب والكسب (إنما)<sup>(٤)</sup> يكون بقدر الحاجة وباقي الأيام والليالي للعبادة فقدر في ذلك العمل ولا تشغل جميع أوقاتك بالكسب بل حصل به القوت فحسب. ويدل عليه قوله تعالى: «وَأَعْمَلُوا صَالِحاً» أي لستم مخلوقين إلا للعمل الصالح فاعملوا ذلك وأكثروا منه والكسب فقدروا فيه ثم أكد طلب الفعل الصالح بقوله: «إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» يريد بهذا داود وآله، ثم لما ذكر المنيب الواحد ذكر منيباً آخر وهو سليمان كقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: ٣٤] ذكر ما استفاد من الإنابة وهو قوله تعالى: «وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ» العامة على النصب بإضمار فعل، أي سَخَّرْنَا لِسُلَيْمَانَ، وأبو بكر بالرفع على الابتداء<sup>(٥)</sup>، والخبر في الجار قبله أو محذوف<sup>(٦)</sup>، وجوز أبو البقاء أن يكون فاعلاً يعني<sup>(٧)</sup> بالجار، وليس بقوي<sup>(٨)</sup> لعدم اعتماده<sup>(٩)</sup> وكان قد وافقه في الأنبياء<sup>(١٠)</sup> غيره<sup>(١١)</sup>،

(١) قاله ابن الجوزي في زاد المسير ٤٣٦/٦.

(٢) في «ب» فتكسر.

(٣) غريب القرآن ٣٥٤ والبحر ٢٥٥/٧، واللسان زرد ووزرط ومجاز القرآن ١٤٣/٢، ومعاني الزجاج ٤/٢٤٤.

(٤) زيادة من «ب».

(٥) ذكره في الكشف ٢٠٧/٢ والنشر ٢٣٥/٢ والإتحاف ٣٥٨ والسبعة ٥٢٧.

(٦) ذكره ابن الأنباري في البيان ٢٧٦/٢ وأبو البقاء في التبيان ١٠٦٤ والزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٢٤٥/٤ والفراء في معاني القرآن ٣٥٦/٢ ذكر الرفع قراءة ولم يحدد.

(٧) المرجع السابق وقد جعله الزجاج في معاني القرآن وإعرابه فاعلاً لفعل محذوف ٢٤٥/٤ قال: «والرفع على معنى ثبت له الريح».

(٨) الدر المصون ٤١٨/٤.

(٩) أي على نفي أو استفهام، كقولنا: أَقَاتِمُ الرَّيْدَانَ، أو مَا قَاتِمُ الرَّيْدَانَ، أو يريد بعدم اعتماده يعني عدم معرفة اللغة والقياس به.

(١٠) يقصد قوله: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾ وهي الآية ٨١ من الأنبياء.

(١١) لعله ابن هرمز في رواية عنه البحر المحيط ٣٣٢/٦.

وقرأ العامة الرِّيحَ بالإنفراد. والحَسَنُ وأبو حَيَوَةَ، وخالدُ بْنُ إِيَّاسٍ<sup>(١)</sup> الرِّيحَ جمعاً. وتقدم في الأنبياء أن الحسن يقرأ مع ذلك بالنصب وهنا لم ينقل له ذلك.

فإن قيل: الواو في قوله «وَلَسَلِيمَانَ» للعطف فعلى قراءة الرفع يصير عطفاً للجمله الاسمية على فعلية وهو لا يجوز أو لا يَحْسُنُ؟

فالجواب: أنه لما بين حال داود فكأنه قال: لما ذكرنا لداود ولسليمان الريح وإما على النصب على قوله: «وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ» (كأنه قال وألنا لداود الحديد)<sup>(٢)</sup> وسخرنا لسليمان الريح<sup>(٣)</sup>.

قوله: «عُدُّوْهَا شَهْرٌ» مبتدأ وخبر ولا بد من حذف مضاف أي عُدُّوْهَا مَسِيرَةَ شَهْرٍ أو مقدار عُدُّوْهَا شَهْرٌ، ولو نصب لجاز، إلا أنه لم يُقرأ بها<sup>(٤)</sup> فيما علمنا<sup>(٥)</sup>، وقرأ ابن أبي عبله عُدُّوْهَا وَرَوْحُهَا عَلَى الْمَرْءِ<sup>(٦)</sup>، والجمله إما مستأنفة، وإما في محلِّ حالٍ<sup>(٧)</sup>.

## فصل

المعنى عُدُّوْ تلك الريح المستمرة له مسيرة شهر، وسير<sup>(٨)</sup> رواحها شهر فكانت تسير به في يوم واحد مسيرة شهرين. قال الحسن: كان يَغْدُو من دمشق فيقبل بإصطخر (وبينهما مسيرة<sup>(٩)</sup> شهر، ثم يَرْوُحُ من إصطخر فيبيت بكابل) وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع<sup>(١٠)</sup>، وقيل: كان يتغذى بالرَّيِّ ويتعشى بسمرقند<sup>(١١)</sup>.

فإن قيل: ما الحكمة في قوله في الجبال مع دَاوُدَ الْجِبَالِ وفي الأنبياء وفي هذه السورة فقال: يا جبال أوبيي معه وقال في الريح هناك وههنا: لسليمان باللام؟

فالجواب: أن الجبال لما سَبَّحت شَرَفَت بذكر الله فلم يُضِفْها إلى داود بلام الملك بل جعلها معه كالمصاحب والريح لم يذكر تسييحها فجعلها كالمملوكة له<sup>(١٢)</sup>.

(١) ويقال: إياس بن صخر بن أبي الجهم عُبَيْد بن حذيفة أبو الهيثم العدوي المدني روى عن ربيعة، وسعد المقرئ. لم تذكر وفاته انظر: التهذيب ٨٠/٣ وانظر القراءة في مختصر ابن خالويه ١٢٣ والإتحاف ٣٥٨ وزاد المسير ٤٣٨/٦.

(٢) سقط من «ب». (٣) قاله الرازي في التفسير الكبير ٢٤٧/٢٥.

(٤) في «ب» به بالتذكير وكتناهما صحيحتان.

(٥) قاله أبو حيان والسمين في تفسيريهما الأول في البحر ٧/٢٦٤، والثاني في الدر ٤/٤١٨.

(٦) المرجعان السابقان وجاء بها صاحب الكشاف ولم يعزها إلى معين. انظر: الكشاف ٣/٢٨٢، بينما عزاها الكرمانى في شواذ القرآن لابن أبي عبله. الشواذ ١٢٩٦، وهي من القراءات الشاذة.

(٧) ذكر وجه الاستئناف مكى في المشكل ٢/٢٠٤، بينما ذكر وجه الحالية أبو البقاء في التبيان ١٠٦٤ و ١٠٦٥ وإنما احتج إلى تقدير مضاف لأن الغدو والرواح ليسا بالشهر وإنما يكونان فيه.

(٨) في «ب» مسيرة.

(٩) ما بين القوسين سقط من «ب».

(١٠) في «ب» المسرح.

(١١) تفسير البغوي ٦/٢٨٤.

(١٢) الفخر الرازي ٢٤٧/٢٥.

قوله: «وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ» أي أذبنا له عين الثحاس. والقطر: النحاس<sup>(١)</sup>، قال المفسرون: أجريت له عين النحاس ثلاثة أيام بلياليها كجزي المياه، وكان بأرض اليمن. وإنما يتنفع الناس اليوم بما أخرج الله لسليمان<sup>(٢)</sup>.

قوله: «مَنْ يَعْمَلْ» يجوز أن يكون مرفوعاً بالابتداء. وخبره في الجار قبله أي من الجنّ مَنْ يَعْمَلُ وأن يكون في موضع نصب بفعل مقدر أي وسَخَرْنَا لَهُ مَنْ يَعْمَلُ<sup>(٣)</sup> و «مِنَ الْجِنِّ» يتعلق بهذا المقدر، أو بمحذوف على أنه حال أو بيان، و «بِإِذْنِ» حال أي مُيسراً بإذن ربه<sup>(٤)</sup>، والإذن مصدر مضاف لفاعله، وقرئ: «وَمَنْ يَزُغْ» بضم الياء من أزاغ ومفعوله محذوف أي يَزُغُ نَفْسَهُ<sup>(٥)</sup>، أي يُمِيلُهَا و «مِنَ عَذَابٍ» لابتداء الغاية أو للتبويض.

### فصل

قال ابن عباس: سخر الله الجنّ لسليمان وأمرهم بطاعته فيما يأمرهم به، ومن يزغ يعدل منهم من الجن عن أمرنا الذي أمرنا به من طاعة سليمان نُذِقَهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ في الآخرة<sup>(٦)</sup>، وقيل: في الدنيا<sup>(٧)</sup> وذلك أن الله وكل بهم ملكاً بيده سوط من نار فمن زاغ منهم عن أمر سليمان ضربه ضربة أحرقتُهُ.

قوله: «يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ» مفسر لقوله: «مَنْ يَعْمَلْ» و «مِنَ مَحَارِبٍ» بيان ل «مَا يَشَاءُ»<sup>(٨)</sup>. والمراد بالمحارِب: المساجد والأبنية المرتفعة، وكان مما عملوا له بيت المقدس، ابتداءه داود ورفعه قامة رجل فأوحى الله إليه أي لم أقض ذلك على يدك ولكن ابن لك أملكه بعدك اسمه سليمان أقضي تمامه على يده، فلما توفاه الله استخلف سليمان فأحب إتمام بناء بيت المقدس فجمع الجن والشياطين وقسم عليهم الأعمال فخص كل طائفة منهم بعمل يستصلحه له فأرسل الجن والشياطين في تحصيل الرُخَامِ واليَمِيهَا الأبيَض من معادنه وأمر ببناء المدينة بالرُخَامِ والصفاح وجعلها اثنتي عشر رِبْضاً وأنزل على كل

(١) غريب القرآن ٣٥٤ ومجازه لأبي عبيدة ١٤٣/٢.

(٢) انظر: زاد المسير ٤٣٨/٦ والخازن واليغوي ٢٨٤/٥ والقرطبي ٢٧٠/١٤.

(٣) قاله أبو البقاء في التبيان ١٠٦٥، وابن الأثير في البيان ٢٧٦/٢ و٢٧٧. والأخفش يجيز أن يكون «مَنْ يَعْمَلْ» في موضع رفع بالجاز والمجرور، انظر: البيان المرجع السابق، وقيل: إن «من» في موضع نصب على العطف على معمول «سَخَرْنَا لَهُ مِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلْ». انظر مشكل الإعراب لمكي ٢٠٥/٢.

(٤) الدر المصون ٤١٩/٤.

(٥) قال عنهما ابن خالويه في المختصر ١٢١: «ومن يزغ» بعضهم. وأطلقت كلية في البحر ٢٦٥/٧ والكشاف ٢٨٢/٣ دون ضبط.

(٦) هذا رأي الضحاك. (٧) هذا رأي مقاتل انظر: زاد المسير ٤٣٩/٦.

(٨) الدر المصون ٤١٩ ج ٤.

ربض منها سبطاً من الأسباط وكانوا اثني عشر سبطاً، فلما فرغ من بناء المدينة، ابتدأ في بناء المسجد فوجه الشياطين فرقاً فرقاً يستخرجون الذهب والفضة والياقوت من معادنها والدرّ الصافي من البحر وفرقاً يقلعون الجواهر من الحجارة من أماكنها وفرقاً يأتيه بالمسك والعنبر وسائر الطيب من أماكنها فأتي من ذلك بشيء لا يحصيه إلا الله عز وجل. ثم أحضر الصنّاع وأمرهم بنحت تلك الحجارة المرتفعة وتصييرها ألواحاً وإصلاح تلك الجواهر وثقّب الياقوت واللآلئ فبنى المسجد بالرخام الأبيض والأصفر والأخضر وعمّده بأساطين الميها الصافي وسقّفه بألواح الجواهر الثمينة وقصص سقوفه وحيطانه باللآلئ والياقوت وسائر الجواهر وبسط أرضه بألواح الفيروزج فلم يكن يومئذ في الأرض بيت أبهر ولا أتور من ذلك المسجد كان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر، فلما فرغ منه جمع أخبار بني إسرائيل وأعلمهم أنه بناه الله وأن كل شيء فيه خالص لله، واتخذ ذلك اليوم الذي فرغ منه عيداً، روى عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله - ﷺ - قال: «لَمَّا فَرَعَ سُلَيْمَانُ مِنْ بِنَاءِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سَأَلَ رَبَّهُ ثَلَاثًا فَأَعْطَاهُ اثْنَتَيْنِ وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يَكُونَ أَعْطَاهُ الثَّلَاثَةَ سَأَلَ حُكْمًا يُصَادَفُ حُكْمَهُ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَسَأَلَهُ مُلْكَاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ فَأَعْطَاهُ، وَسَأَلَهُ أَنْ لَا يَأْتِيَ هَذَا الْبَيْتَ أَحَدٌ يُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ إِلَّا خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدْ أَعْطَاهُ ذَلِكَ» قَالُوا: فَلَمْ يَزَلْ بَيْتُ الْمَقْدِسِ عَلَى مَا بَنَاهُ سُلَيْمَانُ حَتَّى غَزَاهُ بِخَتَنَصْرٍ فَخَرَّبَ الْمَدِينَةَ وَهَدَمَهَا وَنَقَضَ الْمَسْجِدَ وَأَخَذَ مَا كَانَ فِي سَقُوفِهِ وَحِيطَانِهِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالدَّرِّ وَالْيَاقُوتِ وَسَائِرِ الْجَوَاهِرِ إِلَى دَارِ مَمْلَكَتِهِ مِنْ أَرْضِ الْعِرَاقِ وَبَنَى الشَّيْطَانُ لِسُلَيْمَانَ بِالْيَمَنِ حَصُوناً كَثِيراً وَعَجِيبَةً مِنَ الصَّخْرِ<sup>(١)</sup>.

قوله: «وَتَمَائِيلٌ» وهي النقوش التي تكون في الأبنية. وقيل: صور من نحاس وصفر وشبه<sup>(٢)</sup> ورُجَاجٌ وَرُخَامٌ. قيل: كانوا يُصَوِّرُونَ السَّبَاعَ وَالطَّيُورَ. وقيل: كانوا يتخذون صور الملائكة والأنبياء والصالحين في المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة ولعلها كانت مباحة في شريعتهم كما أن عيسى كان يتخذ صوراً من طين فينفخ فيها فيكون طيراً<sup>(٣)</sup>.

قوله: «وَجِفَّانٍ كَالْجَوَابِ». الْجِفَّانُ الْقِصَاعُ<sup>(٤)</sup>، وقرأ ابن كثير بإثبات ياء «الْجَوَابِ»

(١) ذكر هذه القصة البغوي في معالم التنزيل ٢٨٤/٥ وكذلك الخازن ٢٨٤/٥.

(٢) الشبه ضرب من النحاس يلقى عليه دواء فيصفر سمي به لأنه إذا فعل به ذلك أشبه الذهب بلونه.

(٣) أورد هذه الأقوال ابن الجوزي في زاد المسير ٤٣٩/٦، وكذلك القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٢٧٢/١٤.

(٤) زاد المسير ٤٣٩/٦ وقال في اللسان: «الْجِفَّانَةُ مَعْرُوفَةٌ أَعْظَمُ مَا يَكُونُ مِنَ الْقِصَاعِ وَالْجَمْعُ جِفَّانٌ وَجِفْنٌ» وانظر: اللسان ٦٤٤ جفن.

وصلاً ووقفاً وأبو عمرو وورثُ بإثباتها وصلأ وحذفها وقفأ. والباقون بحذفها في الحالين<sup>(١)</sup>. و «كَالْجَوَابِ» صفة «الجفان» . والجفان جمع جفنة، والجوابي جمع جابية كضاربة وضوارب. والجابية الحوض العظيم سميت بذلك لأنه يُجبي إليها الماء، أي يجمع<sup>(٢)</sup> وإسناد الفعل إليها مجاز لأنه يُجبي فيها كما قيل: خابية، لما يُخبأ فيها<sup>(٣)</sup> قال الشاعر:

٤١١٥ - بِجِفَانٍ تَفْتَرِي نَادِيَنَا      مِنْ سَدِيفٍ حِينَ هَاجَ الصُّبَيْرُ<sup>(٤)</sup>  
كَالْجَوَابِي لَا تَنِي مُثْرَعَةً      لِقَرَى الْأَضْيَافِ أَوْ لِلْمُحْتَضِرِ  
وقال الأعشى:

٤١١٦ - نَفَى الدَّمَّ عَنِ آلِ الْمُحَلَّقِ جَفْنَةً      كَجَابِيَةِ الشَّيْخِ الْعِرَاقِيِّ تَفْهَقُ<sup>(٥)</sup>  
وقال الأفوه:

٤١١٧ - وَقُدُورٍ كَالرُّبَا رَاسِيَةً      وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِي مُثْرَعَةً<sup>(٦)</sup>  
قيل: كان يقعد على الجفنة الواحدة ألف رجل يأكلون منها.

(١) قاله ابن الجزي في النشر ٣٤٩/٢ ومكي في الكشف ٢٠٣/٢ وانظر الإنخاف ٣٥٨ والسبعة ٥٢٧، وزاد المسير ٤٤٠/٦.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٤٦/٤ ومعاني الفراء ٣٥٦/٢ ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١٤٤/٢ وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٥٤.

(٣) الدر المصون ٤١٩/٤.

(٤) البيت ورد مكرراً في الخصائص لابن جني ولكن بتغيير طفيف فيه وهو لطفة من الرمل فقد أُنشد في الخصائص في ٢٨١/١ «بفي جفان» وفي ٢٥٤/٢ و ٢٠٠/٣ بالباء «بجفان». وأنشده ابن منظور في اللسان بالباء والصُّبَيْرُ: الريح الباردة، والسَّدِيفُ السَّامُ ومُثْرَعَةٌ مَمْلُوءَةٌ. وهو هنا يفتخر بأهل الكرم والعطاء وقرى الأضياف: إطعامهم. واستشهد بالبيت على أن الجفان هي القِصَاعُ العظيمة التي تشبه الجوابي والحياض الممتلئة ماء. وانظر: اللسان: «ص ن ب ر» ٢٥٠٦ والبحر المحيط ٢٥٤/٧ والمحاسب لابن جني ٨٣/٢ والممتع ٧١، والديوان ٥٦.

(٥) البيت له من قصيدة في ديوانه ١٢١ وهو من تمام الطويل وقد ورد البيت في اللسان جبي ٥٤٢ برواية «تروخ على آل المحلق». وشاهده كسابقه حيث إن الجابية هي الحوض العظيم وحيث قد شبه الجفنة بها وهنا يتحقق قول الله من تشبيهه: «وجفان كالجواب». وانظر غريب القرآن لابن قتيبة ٣٥٤ بنفس رواية اللسان ٢٧٥/١٤ والبحر المحيط ٢٥٥/٧ وابن جرير ٤٩/٢٢ كما ورد مكرراً أيضاً في اللسان: «ف هـ ق» ٣٤٨ والفهق الامتلاء، وخص العراقي؛ لجهله بالمياه لأنه حضري.

(٦) من الرمل. وشاهده كسابقه: ويروي «زاسينات» بدل راسية. والبيت ليس بديوانه. وانظر: البحر المحيط ٢٥٥/٧ وما في الديوان:

نَمَّ فِينَا لِقَرَى نَارَ نَرَى  
عِنْدَهَا لِلضُّبَيْرِ رَحْبٌ وَسَمَةٌ

## فصل

وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ثَابِتَاتٍ لَهَا قَوَائِمٌ لَا يَحَرِّكْنَ عَنْ أَمَاكِنِهَا وَلَا يبدلن وَلَا يعطلن وكان يصعد إليها بالسلاليم<sup>(١)</sup> وكانت باليمن<sup>(٢)</sup>.

قوله: «اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا» في «شكراً» أوجه:

أحدها: أنه مفعول به أي اعملوا الطَّاعَةَ<sup>(٣)</sup> سميت الصلاة<sup>(٤)</sup> ونحوها شكراً لسدِّها مَسَدَةً.

الثاني: أنه مصدر من معنى «اعْمَلُوا» كأنه قيل: اشكروا<sup>(٥)</sup> شكراً بِعَمَلِكُمْ<sup>(٦)</sup> أو اعملوا<sup>(٧)</sup> عَمَلِ شُكْرٍ.

الثالث: أنه مفعول من<sup>(٨)</sup> أجله أي لأجل الشكر كقولك: جِثَّتْكَ طَمَعًا، وعبدت الله رجاء عُفْرَانِهِ.

الرابع: أنه مصدر واقع موقع الحال أي شَاكِرِينَ<sup>(٩)</sup>

الخامس: أنه منصوب بفعل مقدر من لفظه تقديره واشكروا<sup>(١٠)</sup> شُكْرًا.

السادس: أنه صفة لمصدر اعملوا تقديره اعملوا عملاً شكراً أي ذَا شُكْرٍ<sup>(١١)</sup>. قال المفسرون: معناه اعملوا يا آل داود بطاعة الله شكراً له على نعمه، واعلم أنه كما قال عقيب قوله (تعالى): «أَنْ اَعْمَلَ سَابِغَاتٍ» «اعْمَلُوا صَالِحًا» قال عقيب ما عمله الجن له اعملوا آل داود شكراً إشارة إلى ما تقدم من أنه لا ينبغي أن يجعل الإنسان نفسه مستغرقة في هذه الأشياء، وإنما يجب الإكثار من العمل الصالح الذي يكون شُكْرًا<sup>(١٢)</sup>.

قوله: «وَقَلِيلٌ» خير مقدم «وَمِنْ عِبَادِي» صفة له، «وَالشُّكُورُ» مبتدأ<sup>(١٣)</sup>. والمعنى أن العامل بطاعتي شكراً لنعمتي<sup>(١٤)</sup> قليل. قيل: المراد من آل داود هو داود نفسه، وقيل: داود وسليمان وأهل بيته<sup>(١٥)</sup>.

(١) في «ب» السلالم.

(٢) وقال ابن قتيبة في الغريب: «يقال زسا إذا ثبت فهو يزسو ومنه قيل للجبال رواس». الغريب ٣٥٤.

(٣) البحر المحيط ٧/٢٦٤ والدر المصون ٤/٤٢٠.

(٤) في «ب» الطاعة بدل الصلاة. (٥) المرجعان السابقان.

(٦) في «ب» لعملكم. (٧) في «ب» (و) بدل (أو).

(٨) المرجعان السابقان وينظر أيضاً التبيان ١٠٦٥ والبيان لابن الأنباري ٢/٢٧٧.

(٩) البحر والدر المرجعان السابقان. (١٠) التبيان ١٠٦٥ مع البحر والدر.

(١١) السابق وانظر الفخر الرازي ٢٥/٢٤٩. (١٢) السابق.

(١٣) الدر المصون ٤/٤٢٠. (١٤) معالم التنزيل للبيغوي ٥/٢٨٥.

(١٥) السابق.

## فصل

قال جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ<sup>(١)</sup>: سمعت ثابتاً<sup>(٢)</sup> يقول: كان داود نبي الله - ﷺ - قد جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن تأتي ساعة من ساعات الليل والنهار إلا وإنسان من آل داود قائم يُصَلِّي<sup>(٣)</sup>.

قوله: «فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ» أي على سليمان، قال أهل العلم: كان سليمان - عليه السلام - يتحوز<sup>(٤)</sup> بيت المقدس السنَّة والسنتين والشهر والشهرين، وأقل من ذلك وأكثر يدخل فيه طعامه وشرابه فأدخله في المرة التي مات فيها وكان بدء ذلك أنه كان لا يصبح يوماً إلا تَبَّتْ<sup>(٥)</sup> في محرابه بيت المقدس شجرة فيسألها ما اسمك؟ فتقول اسمي كذا فيقول: لأن شيء أنت؟ فتقول: لكذا وكذا فيأمرها فتقطع فَإِنْ كَانَتْ تَبَّتْ<sup>(٦)</sup> لغرس غرسها وإن كانت لدواء كتبه حتى نبتت الخروبة فقال لها ما أنت؟ قالت الخروبة قال: لأي شيء تَبَّتْ<sup>(٧)</sup>؟ قالت: لمحراب مسجديك فقال سليمان: ما كان الله ليجزيه وأنا حي أنت الذي على وجهك هلاكي ومحراب بيت المقدس فزرعها وغرسها في حائط له ثم قال: اللَّهُمَّ عَمَّ على الجن موتي حتى يعلم الناس أن الجن لا يعلمون الغيب وكانت الجن تخبر الإنس أنهم يعلمون من العيب أشياء ويعلمون ما في غد، ثم دخل المحراب فقام يصلي متكئاً على عصاه فمات قائماً وكان للمحراب كوى بين يديه وخلفه فكانت الجن تعمل تلك الأعمال الشاقة التي كانوا يعملونها في حياته وينظرون إلى سليمان فيرونه قائماً متكئاً على عصاه فيحسونه حياً فلا ينكرون خروجه إلى الناس لطول صلاته فمكثوا يدأبون له بعد موته حولاً كاملاً حتى أكلت الأرضة عَصَا سُلَيْمَانَ فخرَّ ميتاً فعملوا بموته<sup>(٨)</sup>، قال ابن عباس: فشكرت الجن الأرضة فهم يأتونها بالماء والطين في جوف الخشب فذلك قوله: «مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ» وهي الأرضة<sup>(٩)</sup> «تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ» أي عصاه<sup>(١٠)</sup>.

قوله: «تَأْكُلُ» إما حال، أو مستأنفة<sup>(١١)</sup>، وقرأ ابن دُكْرَانَ مَنْسَأَتَهُ - بهمزة<sup>(١٢)</sup> ساكنة

(١) هو جعفر بن سليمان الضبيعي أبو سليمان البصري عن ثابت والجعد مات سنة ١٧٨ هـ انظر: خلاصة الكمال ٦٣.

(٢) ثابت بن أسلم البتاني أحد الأعلام مولاهم أبو محمد البصري عن ابن عمر، وعبد الله بن مغفل له مائتين وخمسين حديثاً مات سنة ١٢٧ انظر: خلاصة الكمال ٥٦.

(٣) البغوي والبخاري ٢٨٥/٥.

(٤) كذا هي هنا وفي «ب» يتحرر وما في البغوي يتجرد وهو الأصح.

(٥) في «ب» ثبت. (٦) ثبت في «ب» أيضاً.

(٧) في «ب» والبغوي والبخاري ثبتت.

(٨) و (٩) انظر: تفسير البغوي والبخاري ٢٨٥/٥ و ٢٨٦.

(١٠) ذكره ابن قتيبة في غريب القرآن ٢٥٤ و ٣٥٥ وأبو عبيدة في المجاز ١٤٥/٢.

(١١) الدر المصون ٤٢١/٤. (١٢) ذكرها ابن خالويه في المختصر ص ١٢١ عن ابن عامر في رواية.

- ونافع وأبو عمرو بألف محضة<sup>(١)</sup>، والباقون بهمزة مفتوحة<sup>(٢)</sup>، والمِنْسَاءُ اسم آله من نَسَاءُ أَي أَخْرَهُ كَالْمَكْسَحَةِ وَالْمِكْتَسَةِ من نَسَأْتُ الْغَنَمَ أَي زَجَرْتُهَا وَسَقَتُهَا، وَمِنْهُ: نَسَأَ اللَّهُ فِي أَجَلِهِ<sup>(٣)</sup> أَي أَخْرَهُ وَفِيهَا الْهَمْزَةُ وَهُوَ لُغَةٌ تَمِيمٌ وَأَنْشُدُ:

٤١١٨ - أَمِنْ أَجَلٍ حَبْلِ لَا أَبَاكَ ضَرَبْتَهُ بِمِنْسَاءٍ قَدْ جَرَّ حَبْلَكَ أَخْبَلًا<sup>(٤)</sup>  
(والألف)<sup>(٥)</sup> وهو لغة الحجاز وأنشد:

٤١١٩ - إِذَا دَبَبْتَ عَلَى الْمِنْسَاءِ مِنْ كِبَرٍ فَقَدْ تَبَاعَدَ عَنْكَ اللَّهْوُ وَالغَزْلُ<sup>(٦)</sup>  
فأما بالهمزة المفتوحة فهي الأصل لأن الاشتقاق يشهد له والفتح لأجل بناء مِفْعَلَةٍ كِمِكْتَسَةٍ وأما سكونها ففيه وجهان:

أحدهما: أنه أبدل الهمزة ألفاً كما أبدلها نافع وأبو عمرو وسيأتي، ثم أبدل هذه الألف همزة على لغة من يقول الْعَالَمُ وَالْحَاتَمُ وقوله:

٤١٢٠ - ..... وَخِئْدِفٌ هَامَةٌ هَذَا الْعَالَمُ<sup>(٧)</sup>

ذكره ابن مالك<sup>(٨)</sup>، قال شهاب الدين وهذا لا أدري ما حمله عليه كيف نعتقد أنه

(١) السبعة ٥٢٩ والنشر ٣٤٩/٢ وحجة ابن خالويه ٢٩٣/٢ والإنحاف ٣٥٨.

(٢) المراجع السابقة وانظر: معاني الفراء ٣٥٦/٢.

(٣) المرجع الأخير السابق وانظر: اللسان: «ن س أ» ٤٤٠٤.

(٤) من الطويل ونسبه صاحب اللسان في مادة: «ح ب ل» إلى أبي طالب عم رسول الله - ﷺ - وهو ليس في ديوانه. وشاهده فيه استعمال «المنسأة» بتحقيق الهمز، وهذا لغة التميميين انظر: معاني الفراء ٢/٣٥٦ و ٣٥٧ واللسان: «ح ب ل» ونسأ في الضحاح للجوهري ومجاز الفراء ١٤٥/٢ واللسان نسأ أيضاً ٤٤٠٤ والقرطبي ٢٧٩/١٤، والمنصف ٥٩/٢.

(٥) سقط من «ب».

(٦) البيت من البسيط ومجهول قائله فلم ينسبه صاحب اللسان ولا ابن جني وغيرهما وشاهده: عدم تحقيق الهمز في المنسأة وهذا على المذهب الجحازي، ودَبَّ الشَّيْخُ: مَشَى مَشْيًا وَتَيْدًا. وروي البيت «مِنْ هَرَمٍ» بدل: مِنْ كِبَرٍ انظر: البحر المحيط ٧/٢٥٥ وابن جرير ٥١/٢٢ والقرطبي ٢٧٩/١٤، والبيان والتبيين ٣/٣١ والمنصف ٥٩/٢ والمحتسب ١٨٧/٢، واللسان: «ن س أ»، ومجاز القرآن ٢/١٤٥، وفتح القدير ٤/٣١٧ ومجمع البيان ٧/٥٩٥.

(٧) هذا عجز بيت من الرجز للعجاج صدره:

يَا دَارَ سَلَمَى يَا سَلَمَى ثُمَّ اسْلَمِي

ديوانه ٢٨٩. وقد روي: فِخْدِفٌ بدل من وَخِئْدِفٌ وهي أم جدَّة مُدْرَكَةُ بن إلياس بن مضر. وهامة كل شيء رأسه والشاهد: همز الألف في «العالم» على لغة من يرى الهمز، وذلك قليل جداً لا يتقاس عليه لندرته استعمالاً وانظر: شرح الشافيه لابن الحاجب ٣/٣٠٥ وشرح شواهدنا ٣٠٤ و٣٠٨، واللسان «ع ل م» ٣٠٨٥ وشرح المفصل لابن يعيش ١٣/١٠ شرح الكافية الشافية ٦٦٣، و٦٦٤ الممتع لابن عصفور ٣٢٤.

(٨) شرح الكافية الشافية له ٦٦٣ و ٦٦٤.

هرب من شيء ثم يعود إليه وأيضاً فإنهم نضوا على أنه إذا أبدل من الألف همزة فإن كان لتلك الألف أصل حركت هذه الهمزة بحركة أصل الألف<sup>(١)</sup>.

وأشدد ابن عصفور على ذلك:

٤١٢١ - وَلَى نَعَامٌ بَنِي صَفْوَانَ زَوْزَاءَ.....<sup>(٢)</sup>

قال: الأصل زَوْزَاءَ وأصل هذا: زَوْزَوَّةٌ، فلما أبدل من الألف همزة حركها بحركة الواو، إذا عرف هذا فكان ينبغي أن تبدل هذه الألف همزة مفتوحة لأنها عن أصل متحرك وهو الهمزة المفتوحة فتعود إلى الأول وهذا لا يقال<sup>(٣)</sup>.

الثاني: أنه سكن الفتحة تخفيفاً والفتحة قد سكنت في مواضع تقدم التنبيه عليها وشواهدها، ويحسنه هنا أن الهمزة تشبه حروف العلة، وحرف العلة يستثقل عليه<sup>(٤)</sup> الحركة من حيث الجملة وإن كان لا تستثقل الفتحة لخفتها، وأشدوا على تسكين همزتها:

٤١٢٢ - صَرِيْعٌ خَمْرٍ قَامٍ مِنْ وَكَاثِيهِ كَقَوْمَةِ الشَّيْخِ إِلَى مِثْسَاتِيهِ<sup>(٥)</sup>

وقد طعن قوم على هذه القراءة ونسبوا روايتها إلى الغلط قالوا: لأن قياس تخفيفها<sup>(٦)</sup> إنما هو تسهيلها بَيْنَ بَيْنٍ<sup>(٧)</sup> وبه قرأ ابن عامر وصاحبه<sup>(٨)</sup> فظن الراوي أنهم

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون له ٤/٤٢١، وهو المفهوم أيضاً من كلام ابن عصفور في الممتع ١/٣٢٤ و ٣٢٥ حيث قال: «وتكون الهمزة ساكنة إلا أن تكون الألف في النية متحركة فإن الهمزة إذ ذلك تكون متحركة بالحركة التي للألف في الأصل».

(٢) هذا صدر بيت من بحر البسيط وعجزه:

لَمَّا رَأَى أَسَدًا فِي الْغَابِ قَدْ وَثَبَا.....

وهو لابن كثرة، والرَّوْزَاءُ من قولنا: زَوَّزَى إِذَا نَصَّبَ ظَهْرَهُ وَأَسْرَعَ وهو على التشبيه أي أن هؤلاء الأعداء جنباء فقد هربوا وجدوا فيه كما يصنع من قلب النعام عندما يغرس في الأرض ويغور هارباً. واستشهد بالبيت في كلمة «زَوْزَاءَ» من قلب الألف - المنقلبة أصلاً من الواو - همزة والهمزة هذه قد أخذت حركة الواو والأصل هي الفتح. وقد تقدم.

(٣) الدر المصون ٤/٤٢١. (٤) في «ب» عليها بها التانيثية.

(٥) من الرجز لبعض الأعراب كما في إبراز المعاني ٦٥٢. والشاهد: «مِثْسَاتِيهِ» حيث سكن الهمزة قبل تاء التانيث ولا يكون الساكن قبلها إلا ألفاً وهذا يؤيد قراءة من قرأ: «مِثْسَاتِيهِ» وهو ابن ذكوان وقد روى الإمام القرطبي البيت:

وَقَائِمٌ قَدْ قَامَ تَكَايَةً.....

البيت. القرطبي ١٤/٢٧٩ والبحر المحيط ٧/٢٦٧ والنشر لابن الجزري ٣٥٠ والدر المصون ٤/٤٢١.

(٦) كذا هي هنا: «تَخْفِيفُهَا» وفي «ب» تحقيقها بالقاف.

(٧) القرطبي ١٤/٢٧٩ وإبراز المعاني ٥٦٢ وبحر أبي حيان ٧/٢٦٧.

(٨) هما هشام بن عمار مقرئ دمشق ت ٢٤٥ وابن ذكوان مقرئ الشام ت ٢٤٢ وانظر: المختصر لابن خالويه ١٢١ والنشر ٣٥٠ والإتحاف ٣٥٨.

سكنوا وضعفها أيضاً بعضهم بأنه يلزم سكون ما قبل تاء التأنيث وما قبلها واجب الفتح إلا الألف<sup>(١)</sup>. وأما قراءة الإبدال فقليل: هي غير قياسية يعنون أنها ليست على قياس تخفيفها<sup>(٢)</sup> إلا أن هذا مردود بأنها لغة الحجاز ثابتة<sup>(٣)</sup> فلا يلتفت لمن طعن، وقد قال أبو عمرو وكفى به: أنا لا أهمزها لأنني لا أعرف لها اشتقاقاً، فإن كانت مما لا يهمز فقد احتطت وإن كانت تهمز فقد يجوز لي ترك الهمز فيما يهمز<sup>(٤)</sup>، وهذا الذي ذكره أبو عمرو أحسن ما يقال في هذا ونظائره. وقرئ مَنَسَّاتِهِ بفتح الميم مع تحقيق الهمز<sup>(٥)</sup>، وإبدالها ألفاً وحذفها تخفيفاً<sup>(٦)</sup>، وقرئ مَنَسَّاتِهِ بزنة منعالتة<sup>(٧)</sup> كقولهم: مِيضَاءٌ وَمِيضَاءٌ<sup>(٨)</sup>. وكلها لغات، وقرأ ابن جبير<sup>(٩)</sup> من ساته فَصَلَّ «مِنْ»، وجعلها حرف جر وجعل «ساته» مجرورة بها<sup>(١٠)</sup>، والسَّاءُ والسِّيَّةُ هنا العَصَا وأصلها يَدُ الْقَوْسِ العليا والسفلى يقال: سَاءَ الْقَوْسُ مِثْلُ شَاةٍ وَسَيْتُهَا<sup>(١١)</sup>، فَسَمِيَتِ العَصَا بِذَلِكَ على وجه الاستعارة والمعنى تأكل من طرف عصاه. ووجه بذلك - كما جاء في التفسير - أنه اتَّكأَ على عصا خضراء من خروب والعصا الخضراء متى اتَّكَيْءَ عليها تصير كالقَوْسِ في الاغْوِجَاجِ غالباً. و «سَاءة» فَعَلَّةٌ وَسَيْتَةٌ فَعَلَّةٌ نَحْوُ قَحَّةٍ وَقَحَّةٌ وَالْمَحذُوفُ لَامَهُمَا<sup>(١٢)</sup>. وقال ابن جنى: سمي العصا منسأة لأنها تسوء وهي قَلَّةٌ والعين محذوفة<sup>(١٣)</sup>. قال شهاب الدين: وهذا يقتضي أن تكون القراءة بهمزة ساكنة والمنقول أن هذه القراءة بألف صريحة ولأبي الفتح أن يقول أصلها الهمزة ولكن أُبْدِلَتْ<sup>(١٤)</sup>.

- (١) القرطبي ٢٧٩/١٤. (٢) في «ب» تحقيقها.  
 (٣) قال في «ب»: ثانية.  
 (٤) البحر المحيط ٢٦٧/٧. وجاءت عبارات متفرقة ومختلفة في المعاني للفراء ٣٥٧/٢ والمحتسب لابن جنى ١٨٧/٢ والقرطبي ٢٨٠/١٤.  
 (٥) في «ب» الهمزة.  
 (٦) البحر لأبي حيان ٢٦٧/٧ والكشاف للزمخشري ٢٨٣/٣ وكل منهما لم يَفْرَها إلى من قرأ بها.  
 (٧) السابقان.  
 (٨) ما يتوضأ منه أو فيه الرجل. وانظر اللسان: «و ض أ» ٤٨٥٥.  
 (٩) هو سعيد بن جبير.  
 (١٠) ذكرها الفراء في معانيه ٣٥٦/٢ و ٣٥٧ وابن جنى في المحتسب ١٨٦/٢ و ١٨٧ وابن خالويه في المختصر ١٢١.  
 (١١) في اللسان: وَسَوَّيْتُهَا. اللسان سَأَى ١٩٠٧.  
 (١٢) انظر: الدر المصون ٤٢٢/٤ و ٤٢٣ ومعاني الفراء ٣٥٧/٢.  
 (١٣) لم أجد رأي أبي الفتح هذا في المحتسب وإنما وجدته: «وبعد فالتفسير إنما هو العصا لا ستة القوس وهي من «ن» من «أ» فإن كانت «الساة» من نسات فهي «علة» والفاء محذوفة وهذا الحذف إنما هو من الضرب في المصادر نحو العِزَّةِ والزِنَّةِ وذلك مِمَّا فَاوَهُ وَاو لا نون ولم يمرر بنا ما حذف نونه وهي فاء وستة القوس فعة واللام محذوفة كما ترى». المحتسب ١٨٧/٢.  
 (١٤) الدر المصون ٤٢٣/٤.

قوله: «دَابَّةُ الْأَرْضِ» فيه وجهان:

أظهرهما: أن الأرض هذه المعروفة والمراد بدابة الأرض الأَرْضَةُ دُوبِيَّةٌ تَأْكُلُ الخَشَبَ.

والثاني: أن الأرض مصدر لقولك أَرْضَتِ الدَّابَّةُ الخَشَبَ تَأْرُضُهَا أَرْضاً أي أكلتها فكأنه قيل: دابة الأكل يقال: أَرْضَتِ الدَّابَّةُ الخَشَبَ تَأْرُضُهَا أَرْضاً فَأَرْضَتِ بالكسر تَأْرُضُ هي بالفتح أيضاً وأكَلَتِ الفَوَازِجُ الأَسْتَانَ تَأْكُلُهَا أَكْلاً فَأَكَلَتْ هي بالكسر تَأْكُلُ أَكْلاً بالفتح. ونحوه أيضاً: جَدَعَتْ أَنْفُهُ جَدَعاً فَجَدِعَ هو جَدَعاً<sup>(١)</sup> بفتح عين المصدر، وقرأ ابن عباس والعباس<sup>(٢)</sup> بن الفضل بفتح الراء وهي مقوية المصدرية في القراءة المشهورة وقيل: الأَرْضُ بالفتح ليس مصدراً بل هو جمع أَرْضِيَّةٍ وهذا يكون من باب إضافة العام إلى الخاص لأن الدابة أعم من الأرضة وغيرها من الدواب<sup>(٣)</sup>.

قوله: «فَلَمَّا خُرَّ» أي سقط الظاهر أن فاعله ضمير سليمان عليه (الصلاة<sup>(٤)</sup>) والسلام، وقيل: عائد على الباب لأن الدابة أكلته فوقع وقيل: بل أكلت عتبة الباب وهي الحازرة وينبغي أن لا يصح؛ إذ كان يكون التركيب خُرَّتْ بِنَاءِ التَانِيثِ وَ: أَبْقَلَ إِيقَالُهَا<sup>(٥)</sup> ضرورة، أو نادر<sup>(٦)</sup> وتأويلها بمعنى العود<sup>(٧)</sup> أندر منه.

قوله: «تَبَيَّنَتْ» العامة على نيابته للفاعل مسنداً للجن وفيه تأويلات.

أحدها: أنه على حذف مضاف تقديره تَبَيَّنَ أَمْرُ الجِنِّ أي ظَهَرَ وَبَانَ<sup>(٨)</sup>، و «تَبَيَّنَ» يأتي بمعنى «بَانَ» لازماً كقوله:

٤١٢٣ - تَبَيَّنَ لِي أَنَّ القَمَاءَةَ ذُلَّةٌ وَأَنَّ عِصْرَاءَ الرِّجَالِ طِيَالُهَا<sup>(٩)</sup>

(١) انظر لسان العرب لابن منظور أرض ٦٢ والبحر المحيط ٢٦٦/٧ وكشاف الزمخشري ٢٨٣/٣ والحيوان للجاحظ ٣٠/١ و ٣٧١/٣ و ١٤٥/٧ والدر المصون ٤٢٣/٤.

(٢) العباس بن الفضل بن عمرو بن عبيد أبو الفضل الأنصاري البصري قاضي الموصل أستاذ حاذق ثقة كان من أصحاب أبي عمرو بن العلاء في القراءة مات سنة ١٨٦ هـ، انظر: غاية النهاية ٣٥٣/١، وانظر: قراءة العباس وغيره في البحر المحيط ٢٦٦/٧ والكشاف ٢٨٣/٣، ومختصر ابن خالويه ١٢١ وهي من القراءات الشواذ غير المتواترة.

(٣) البحر المحيط والدر المصون ٢٦٦/٧ و ٤٢٤/٤.

(٤) زيادة من «ب».

(٥) مضى قريباً، وهو هنا يشير إليه بشاهد تأنيث الفعل أو عدم تأنيثه.

(٦) المرجعان السابقان.

(٧) الظاهر - كما في الدر المصون وكما هو مقتضى السِّيَاقِ - «العَبَّة».

(٨) قاله أبو البقاء في التبيان ١٠٦٥ والفراء في معانيه ٣٥٧/٢.

(٩) من الطويل وهو لأنيف بن زيان النهاني من طيء وفكرة الشاعر خطأ حيث يرى أن الغزة في ضخامة الجسم طولاً وعرضاً. وجيء بالبيت استشهاداً على أن «تبين» بمعنى بان وظهر والقمأة هي الضغرة =

فلما حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وكان مما يجوز تأنيث فعله ألحقت علامة التأنيث (به) <sup>(١)</sup>.

وقوله: «أَنْ لَوْ كَانُوا» بتأويل المصدر مرفوعاً بدلاً من الجِنِّ والمعنى ظهر كونهم لو علموا الغيب ما لبثوا في العذاب أي ظَهَرَ جَهْلُهُمْ <sup>(٢)</sup>.

الثاني: أن تبين بمعنى بان وظهر أيضاً والجِنِّ فاعل. ولا حاجة إلى حذف مضاف و «أَنْ لَوْ كَانُوا» بدل كما تقدم والمعنى ظهر الجن جهلهم للناس لأنهم كانوا يوهمون الناس بذلك كقولك: بَانَ زَيْدٌ جَهْلُهُ <sup>(٣)</sup>.

الثالث: أن تَبَيَّنَ هنا متعدّ بمعنى أذْرَكَ وَعَلِمَ وحينئذ يكون المراد «بِالْجِنِّ» صَعَفْتُهُمْ وبالضمير في «كانوا» كِبَارُهُمْ وَمَرَدَّتُهُمْ و «أَنْ لَوْ كَانُوا» مفعول به، وذلك أن المردة (و) الرؤساء من الجن كانوا يوهمون ضعفاءهم أنهم يعلمون الغيب فلما حَرَّ سَلِيمَانُ مَيْتاً ومكثوا بعده عاماً في العمل تبينت السفلة من الجن أن المراد منهم لو كانوا يعلمون الغيب كما ادعوا ما مَكَّنُوا في العذاب <sup>(٤)</sup>، ومن مجيء «تَبَيَّنَ» متعدياً بمعنى أذْرَكَ قوله:

٤١٢٤ - أَفَاطِمُ إِنِّي مَيِّتٌ فَتَبَيَّنِي وَلَا تَجْرَعِي كُلَّ الْأَتَامِ يَسْمُوتُ <sup>(٥)</sup>

وفي كتاب أبي جَعْفَرٍ <sup>(٦)</sup> ما يقتضي أن بعضهم قرأ: «الْجِنِّ» بالنصب <sup>(٧)</sup>. وهي واضحة أي تبينت الإنس الجِنِّ، و «أَنْ لَوْ كَانُوا» بدل أيضاً من «الجن»، قال البغوي: قرأ ابن مسعود وابن عباس تبينت الإنس أن لو كان الجِنُّ يَعْلَمُونَ الغيب ما لبثوا في العذاب المهين أي علمت الإنس وأيقنت ذلك <sup>(٨)</sup>. وقرأ ابن عباس ويعقوب تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ عَلَى

= وَتَبَيَّنَ هنا فعل لازم كما هو واضح. وفي البيت شاهد صرفي مشهور وهو جمعه «طويل» على طيال وليس طوال وذلك فما ليس نحن فيه. انظر: شرح شواهد الشافية ٢٨٥/٤ و ٣٨٦ و شرح المفصل ١٠/٨٧ و ٨٨ و ٤٥/٤ والشافية ٣٨٥ والتصريح ٣٧٩/٢ والأشموني ٣٠٤/٤ والبحر المحيط ٧/٢٦٧ والمنصف ١/٢٤٢ والمحنتب ١/١٨٤ وتوضيح المقاصد ٦/٣٥ وديوان الحماسة البصرية ١/١١٩ واللسان: «طال» «طول» ٢٧٢٦.

- (١) زيادة يقتضيها السياق.
- (٢) قاله أبو البقاء العكبري في التبيان ١٠٦٥ ومكي في مشكل الإعراب ٢/٢٠٦ والفراء في معاني القرآن ٢/٣٥٧ وابن الأنباري في البيان ٢/٣٧٧ وهو بدل اشتمال كقولهم: أعجبتني زَيْدٌ عَقْلُهُ، وظهر عمرو جَهْلُهُ ويجوز أن يكون «أَنْ لَوْ كَانُوا» في موضع نصب انظر: المراجع السابقة.
- (٣) الدر المصون ٤/٤٢٤.
- (٤) انظر أبا حيان في البحر المحيط ٧/٢٦٧ والسمين في الدر ٤/٤٢٤.
- (٥) من الطويل وهو مجهول القائل وجيء به استشهاداً على أن «تبين» قد تعدى للمفعول وهو الياء وهو بمعنى أدركني. وانظر البحر المحيط والدر المصون المرجعين السابقين.
- (٦) يقصد أبا جعفر النحاس صاحب إعراب القرآن وقد مرّ ترجمته.
- (٧) انظر إعراب القرآن للنحاس ٣/٣٣٨. (٨) معالم التنزيل له ٥/٢٨٦.

البناء للمفعول<sup>(١)</sup>. وهي مؤيدة لما نقله الثَّحَّاس وفي الآية قراءاتٌ كثيرةٌ أَضْرَبْتُ عليها لمخالفتها الشواذ<sup>(٢)</sup> و «أن» في «أن لو». الظاهر أنها مصدرية مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن و «لو» فاصلة بينها وبين خبرها الفعلِي<sup>(٣)</sup>. وتقدم تحقيق ذلك كقولهِ: «وَأَلُو اسْتَقَمُوا» [الجن: ١٦] و «أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَهُمْ» [الأعراف: ١٠٠] وقال ابن عطية: وذهب سيبويه إلى أن<sup>(٤)</sup> «أَنْ» لا موضع لها من الإعراب إنما هي مؤذنة بنجواب ما ينزل منزلة القسم من الفعل الذي معناه التحقيق واليقين<sup>(٥)</sup>؛ لأن هذه الأفعال التي هي تحققت وتيقنت وعلمت ونحوها تحل محلَّ القسم فما لبثوا جواب القسم لا جواب «لو»<sup>(٦)</sup> وعلى الأقوال الأول يكون جوابها. قال شهاب الدين: وظاهر<sup>(٧)</sup> هذا أنها زائدة لأنهم نصوا على اطراد زيادتها قبل لو في جَيِّزَ الْقَسَمِ<sup>(٨)</sup>.

وللناس خلاف هل الجواب لِلْوِ أَوْ لِلْقَسَمِ. والذي يقتضيه القياس أن يجاب أسبقهما<sup>(٩)</sup> كما في اجتماعه مع الشرط الصريح ما لم يتقدما دُوَّ خَبَرٍ كما تقدم بيانه. وتقدم الكلام والقراءات في سبأ في سورة<sup>(١٠)</sup> النمل.

### فصل (١١)

المعنى أن سليمان لما سقط ميتاً تَبَيَّنَتْ الْجِنُّ أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين أي في التَّعَبِ والشقاء مسخرين لسليمان وهو ميت يظنونه حياً أَرَادَ اللهُ بذلك أن يعلم الجن أنهم لا يعلمون الغيب لأنهم كانوا يظنون أنهم يعلمون الغيب

- (١) المُرْجِعُ السابق وانظر: مختصر ابن خالويه ١٢١ والبحر المحيط ٢٦٨/٧ وهي عشرية متواترة. انظر شرح طيبة النَّشْرِ ٣٧٨، والإتحاف ٣٥٨، والنشر ٣٥٠/٢، وتقريب النشر ١٦٢.
- (٢) ومن ذلك ما قاله الزمخشري في الكشاف عن الضحاك «تباينت الإنس بمعنى تعارفت وتعاملت وقراءة ابن مسعود تَبَيَّنَتْ الْإِنْسُ أُنَّ الْجِنُّ». انظر: الكشاف ٢٨٣/٣ و ٢٨٤.
- (٣) قاله السمين في الدر المصون ٤٢٥/٤. (٤) الكتاب ١٠٩/٣ و ١١٠.
- (٥) في «ب» والنفي. والتصحيح من «أ». (٦) ذكر رأيه البحر ٢٦٧/٧ و ٢٦٨.
- (٧) الدر المصون ٤٢٦/٤.

- (٨) مذكوراً أو متروكاً وهذا قول سيبويه وغيره. وفي معرب ابن عصفور أنها في ذلك حرف جيء به لربط الجواب بالقسم وبيعه أن الأكثر تركها والحروف الرابطة ليست كذلك. انظر: المغني ٣٣.
- (٩) قال العلامة الرضي في شرح الكافية ٢٩١/٢: «اعلم أن القسم إذا تقدم على الشرط فإما أن يقدم على القسم ما يطلب الخبر نحو: «رَيْدٌ وَاللَّهِ إِنْ آتَيْتَهُ يَأْتِكُ، وَإِنَّ رَيْدًا وَاللَّهِ إِنْ أَكْرَمْتَهُ يُجَازِيكَ» أو لا. يقدم فإذا تقدم القسم أول الكلام ظاهراً أو مقدراً وبعده كلمة الشرط سواء كانت إن أو لو أو لولا أو أسماء الشرط فالأكثر والأولى اعتبار القسم دون الشرط فيجعل الجواب للقسم ويستغنى عن جواب الشرط لقيام جواب القسم مقامه». انظر: شرح الكافية للعلامة الرضي. الدين ٣٩١/٢ و ٣٩٢.
- (١٠) انظر: اللباب الجزء السادس ميكرو فيلم وسيجيء.
- (١١) سقط من «أ».

لغلبة<sup>(١)</sup> الجهل عليهم وذكر الزُّهْرِيِّ<sup>(٢)</sup> أن معنى تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَي ظَهَرَتْ وانكشفت الجن للإنس أي ظهر لهم أمرهم أنهم لا يعلمون الغيب لأنهم كانوا قد شبهوا على الإنس ذلك، ويؤيد هذا قراءة ابن مسعود وابن عباس المتقدمة، وقوله: «مَا لَيْثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ» يدل على أن المؤمنين من الجن لم يكونوا في التسخير، لأن المؤمن لا يكون في زمان النَّبِيِّ فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ.

### فصل (٣)

رُوي أن سليمان كان عمره ثلاثاً وخمسين سنة ومدة ملكه أربعون سنة ومَلَكَ يَوْمَ مَلَكَ وهو ابن ثلاثِ عَشْرَةَ سَنَةً وابتدأ في بناء بيت المقدس لأربع سنين مضي من ملكه<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لِمَ بَلَدَةٍ طَيِّبَةٍ وَرَبِّ غَفُورٍ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أَكْحَلٍ أَحْمَقَ وَآتَلٍ وَشَقِيءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكَافِرِينَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَهَرَ وَوَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾

قوله<sup>(٥)</sup> تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ﴾ قرأ حمزة وحفص مَسْكِنِهِمْ بفتح الكاف مفرداً، والكسائي كذلك إلا أنه كسر الكاف والباقون مَسَاكِينِهِمْ جمعاً<sup>(٦)</sup> فأما الأفراد فلعدم اللبس لأن المراد الجمع كقوله:

٤١٢٥ - كُلُّوا فِي بَعْضِ بَطْنِكُمْ تَعَفُّوا .....<sup>(٧)</sup>

(١) معالم التنزيل ٢٨٦/٥. (٢) السابق.

(٣) سقط من «أ». (٤) الخازن والبغوي ٢٨٦/٥.

(٥) سقط من «ب».

(٦) حجة ابن خالويه ٢٩٣ والكشف لمكي ٢/٢٠٤، والنشر ٢/٣٥٠ وتقريبه ١٦٢ والقرطبي ١٤/٢٨٣ والآية التي تشير إلى أنها تقدمت في النمل هي قوله تعالى: ﴿وَجَنَّاتٍ مِّن سَبَأٍ بَنِيًّا﴾ وهي الآية ٢٢ منها، فقد قرأ نافع وغيره بالصرف والتنوين على أنه اسم حي وهو في الأصل اسم رجل وقرأ ابن كثير وأبو عمرو «سبأ» بغير صرف وجعله اسماً للقبيلة.

(٧) هذا صدر بيت من الوافر عجزه:

فإنَّ رَمَانِكُمْ زَمَنٌ خَمِيصٌ

والخميصُ الجائع. وهو مجهول القائل. والشاهد: «بطنكم» حيث اللفظ على الأفراد. والمراد المعنى =

والفتح هو القياس لأن الفعل متى ضمت عين مضارعه أو فتحت جاء المفعول منه زماناً أو مكاناً أو مصدرًا بالفتح والكسر مسموع على غير قياس<sup>(١)</sup>، وقال أبو الحسن: كسر الكاف لغة فاشية وهي لغة الناس اليوم والكسر لغة الحجاز وهي قليلة<sup>(٢)</sup> وقال الفراء: هي لغة يمانية فصيحة<sup>(٣)</sup>.

و «مسكنهم» يحتمل أن يراد به المكان، وأن يراد به المصدر أي السكنى<sup>(٤)</sup>، ورجح بعضهم الثاني، قال: لأن المصدر يشمل الكل، فليس فيه وضع مفرد موضع جمع بخلاف الأول فإن فيه وضع المفرد موضع الجمع، كما تقرر<sup>(٥)</sup>، لكن سيبويه ياباه إلا ضرورة<sup>(٦)</sup> كقوله:

٤١٢٦ - ..... قَدْ عَضُّ أَعْنَاقَهُمْ جِلْدُ الْجَوَامِيسِ<sup>(٧)</sup>

أي جلود، وأما الجمع فهو الظاهر لأن كل واحد مسكن، ورسم في المصاحف دون ألف بعد الكاف فلذلك أحتمل القراءات المذكورة.

### فصل

لما بين حال الشاكرين لِنِعْمِهِ بذكر داود وسليمان بيّن حال الكافرين بِأَنعَمِهِ<sup>(٨)</sup> بحكاية أهل «سبأ»<sup>(٩)</sup> وقرئ سبأ بالفتح على أنه اسم بقعة، وبالجر مع التنوين على أنه

= وهو الجمع وساغ ذلك الأفراد لعدم اللبس. وانظر: الكتاب ٢١٠/١ والبحر ٢٦٩/٧، والمحتسب ٢/٨٧ وابن يعيث ٨/٥ و٢١/٦ و٢٢ وهمع الهوامع ٥٠/١ ومعاني الفراء ٣٠٧/١ ومجمع البيان ١/٥٩ والصاحبي ٣٤٨ والمقتضب ١٧٠/٢ والخزانة ٥٥٩/٧ و٥٦٤ والذّر المصون ٤٢٦/٤ والمقتصد ٦٩٦ ومعاني الفراء ١٠٢/٢.

(١) الدر المصون ٤٢٦/٤. (٢) السابق.

(٣) معاني الفراء ٢/٣٥٧.

(٤) قال بذلك مكّي في الكشف ٢/٢٠٤ وأبو البقاء في التبيان ١٠٥٦ ومكّي في المشكل ٢/٢٠٦ والفراء في المعاني ٢/٣٥٧.

(٥) لعله مكّي في الكشف فقد قال: وحجة من وحد أنه بمعنى السكنى فهو مصدر يدل على القليل والكثير من جنسه فاستغني به عن الجمع مع خفة الواحد.

(٦) قال: «وليس يستنكر في كلامهم أن يكون اللفظ واحداً والمعنى جميع حتى قال بعضهم في الشعر من ذلك ما لا يستعمل في الكلام». الكتاب ١/٢٠٩ و٢١٠.

(٧) هذا عجز بيت من البسيط صدره:

تَدْعُوكَ تَيْمِمْ وَتَيْمِمْ فِي قَرَى سَبَأٍ

وهو في الديوان ديوان جرير ٢٥ دار صادر و ٣٢٥ الصاوي وعجزه فقط في الأمالي الشجرية ٣٨/٣٨٣ و ٣٤٣ والشاهد: جلد الجواميس، حيث أطلق المفرد وأزيد الجمع: جلود، ضرورة على زعم سيبويه. وانظر: إيضاح الشعر ٥٦٩ ومعاني الفراء ١/٣٠٨ و١٠٢/٢ و ٢٩٠ و ٣٥٨ والكشاف ٣/١٤٤، وشرح شواهد ٤٣١ والبحر المحيط ٧/٢٦٩.

(٨) في «ب» لأنعمه. (٩) قاله الفخر الرازي ٢٥/٢٥٠.

اسم قبيلة<sup>(١)</sup>، وهو الأظهر لأن الله جعل الآية لسبأ والظاهر هو العاقل لا المكان فلا يحاج إلى إضمار الأهل<sup>(٢)</sup>، وقوله «آية» أي من فضل ربهم دلالة على وحدانيتنا وقدرتنا وكانت مساكنهم بمأرب من اليمن واسم سبأ عبد شمس بن يشجب بن يغرب بن قحطان<sup>(٣)</sup> وسمي (سبأ)<sup>(٤)</sup> لأنه أول من سبأ من العرب.

قال السهيلي<sup>(٥)</sup>: ويقال: إنه أول من تبرج<sup>(٦)</sup>، وذكر بعضهم أنه كان مسلماً وكان له شعر يشير فيه بوجود رسول الله - ﷺ -<sup>(٧)</sup> قال (يعني سليمان<sup>(٨)</sup> عليه الصلاة والسلام):

٤١٢٧ - سَيْمَلِكُ بَعْدَنَا مَلِكًا عَظِيمًا      نَبِيٌّ لَا يَرْخُصُ فِي الْحَرَامِ  
وَيَمْلِكُ بَعْدَ مِنْهُمْ مُلُوكُ      يَدِينُونَ الْعِبَادَ بِغَيْرِ دَامِ  
وَيَمْلِكُ بَعْدَهُ مِنْهُمْ مَلُوكُ      يَصِيرُ الْمَلِكُ فِيْنَا بِاقْتِسَامِ  
وَيَمْلِكُ بَعْدَ قَحْطَانَ نَبِيٌّ      نَفْسِي جَنَّتْهُ خَيْرَ الْأَنَامِ  
يَسْمَى أَحْمَدًا يَا لَيْتَ أَتَيْ      أَعْمَّرَ بَعْدَ مَنبَعَثِهِ بَعَامِ  
فَاعْضُدْهُ وَأَحْبُوه بِنَضْرِي      بِكُلِّ مُدَجَّجٍ وَبِكُلِّ رَامِي  
مَتَى يَظْهَرُ فَكُونُوا نَاصِرِيهِ      وَمَنْ يَلْقَاهُ يُبْلِغْهُ سَلَامِي<sup>(٩)</sup>

روى ابن عباس<sup>(١٠)</sup> قال سألت فروة بن مسيك الغظيفي النبي - ﷺ - عن سبأ ما هو؟ أكان رجلاً أو امرأة أو أرضاً؟ قال: بل هو رجل من العرب ولد عشرة من الولد فسكن اليمن منهم ستة وبالشام منهم أربعة فأما الذين تيامنوا<sup>(١١)</sup> فمدحج وكندة والأزد والأشعريون وأنمار وجمير فقال رجل وما أنمار؟ قال: الذين منهم خثعم وبجيلة، وأما الذين تشاموا<sup>(١٢)</sup> فلخم وجذام وعاملة وغسان، ولما هلكت أموالهم وخرت بلادهم تفرقوا في غور البلاد ونجدها أيدي سبأ شذر مذر، فلذلك قيل لكل متفرقين بعد اجتماع:

(١) سبق.

(٢) دالمرجع السابق.

(٣) قاله في معالم التنزيل للبغوي ٢٨٧/٥، وزاد المسير لابن الجوزي ٤٤٣/٦.

(٤) سقط من «ب».

(٥) هو: عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن سعدون الإمام أبو زيد وأبو القاسم السهيلي كان عالماً بالعربية واللغة والقراءات بارعاً في ذلك جامعاً بين الرواية والدراية وغير ذلك مات سنة ٥٨١ هـ.

(٦) هو في «ب» تتوج.

(٧) انظر: ابن كثير ٥٣١/٣.

(٨) سقط من «ب».

(٩) أبيات من تمام الوافر نقلها الحافظ ابن كثير في تفسيره ٥٣١/٣ نقلاً عن الهمداني في كتاب الإكليل.

وقد ورد «ملك» بالرفع و «يدينوه» بدل العباد ومخبت و «حسنه» بدل «جنته»، ومخبت أي متق عالم.

(١٠) رواه البغوي في تفسيره معالم التنزيل وكذلك الخازن في لباب التأويل ٢٨٦/٥ و ٢٨٧.

(١١) في البغوي تيامنوا.

(١٢) وفيه: تشاءموا من الشؤم فيجوز همز الهمزة أي الألف.

«تَفَرَّقُوا أَيَادِي سَبَأٍ»<sup>(١)</sup> فنزلت طوائف منهم الحجاز فمنهم خُزَاعَة نزلوا بظاهر مكة ومنهم الأوس والخزرج نزلوا بيثرب فكانوا أول من سكنها ثم نزلت عندهم ثلاث قبائل من اليهود بنو قَيْنُقَاع وبنو قَرِيظَة والنَّضِير فخالقوا الأوس والخزرج وأقاموا عندهم ونزلت طوائف آخرُ منهم الشام وهم الذين تنصروا فيما بعد وهم عَسَان وعَامِلَة ولخم وجذام وتنوخ وتغلب وغيرهم، و «سبأ» يجمع هذه القبائل كلها. والجمهور على أن جميع العرب ينقسمون<sup>(٢)</sup> إلى قسمين قحطانية وَعَدْنَانِيَّة، فالقحطانية شُعْبَان سبأ وحَضْرَمَوْت والعَدْنَانِيَّة شعبان ربيعة ومُضَر وأما قُضَاعَة فمختلف فيها فبعضهم نسبها إلى قَحْطَان وبعضهم إلى عدنان، قيل: إن قحطان أول من قيل له: أَنْعِم صباحاً، وأَبَيَّت اللُّغْن قال بعضهم: إن جميع العرب ينتسبون إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما (الصلاة و) <sup>(٣)</sup> السلام وليس بصحيح فإن إسماعيل نشأ بين جرهم بمكة وكانوا عربياً. والصحيح أن العرب العاربة كانوا قبل إسماعيل منهم عاد وثمود وطسم وجديس وأهم وجرهم والعماليق يقال: إن «أهم» كان ملكاً يقال إنه أول من سَقَف البيوت بالخشب المنشور وكانت الفرس تسميه آدم الأصغر وبنوه قبيلة، يقال لها: وَبَار هلكوا بالرمل انثال عليهم فأهلكهم وطم (مناهلهم)<sup>(٤)</sup> وفي ذلك يقول بعض الشعراء:

٤١٢٨ - وَكَرَّ دَهْرٌ عَلَيَّ وَيَارِ فَهَلَكْتَ عَثْوَةً وَيَارِ<sup>(٥)</sup>

(١) قال في اللسان: «وَقَالُوا تَفَرَّقُوا أَيَادِي سَبَأٍ. فبنوه وليس بتخفيف عن «سبأ» لأن صورة تحقيقه ليست على ذلك وإنما هو بدل وذلك لكثرة في كلامهم، قال: من صادر أو وارد أيدي سبأ، وقال كثير:

أَيَادِي سَبَأٍ يَا عَزَّ مَا كُنْتَ بَعْدَكُمْ فَلِمَ يَحِلُّ لِلْعَيْنِينَ بَعْدَكَ مَنْزِلُ

وضربت العرب بهم المثل في الفرقة، لأنه لما أذهب الله عنهم جنتهم وغرق مكانهم تَبَدَّدُوا في البلاد. اللسان: «ش ب أ» ١٩٠٨ و ١٩٠٩ وانظر كذلك التهذيب سبأ. ومعنى شذر مذر: تفرقوا وذهبوا أي ذهبوا في كل وجه. ولا يقال ذلك في الإقبال، وذهبت عنك شذر مذر وشذر مذر كذلك، وفي حديث عائشة: أن عمر - رضي الله عنه - شَرَدَ الشُّرْكَ شَذَرَ مَذَرَ أَي فرقه وبذره في كل وجه، ويرى بكر الشين والميم وفتحهما. اللسان: «ش ذر» ٢٢٢٠.

(٢) في «ب» يقسمون.

(٣) زيادة من «ب».

(٤) سقط من «ب» كذلك.

(٥) البيت من مخلع البسيط للأعشى ميمون بن قيس. وجيء به تديلاً على أن قبيلة تدعى «وباز» قد هلكت بفعل الطبيعة وتلك القبيلة هي بنو «أهم» وأتباعه. والبيت في معجم ما استعجم للبكري ٣/ ١٣٦٦ و «وبار» كلمة مبنية على الكسرة ومنهم من يُعْرَبه وهي لغة تميم وهذا البيت يشبه تماماً قوله:

إِذَا قَالَتْ خَدَامٌ فَصَدَّقُونَهَا فَإِنَّ الْقَوْلَ مَا قَالَتْ خَدَامٌ

وقد ورد البيت مضبوط القافية بالرفع غير أن الكلمة التي في آخر السطر الأول مضبوطة بالكسر بناءً وانظر: المقضب ٣/ ٥٠ والتصريح ٢/ ٢٢٥، والجمع ١/ ٢٦ والأشموني ٣/ ٢٦٩، وشذور الذهب ١٣٥، والكتاب ٣/ ٢٧٩ وابن الشجري ٢/ ١١٥ وشرح المفصل لابن يعيش ٤/ ٦٤ واللسان: «وب ر» ٤٧٥٣ ودويوانه (٥٣) مؤسسة الرسالة/ محمد محمد حسين بلفظ «ومر دهر» بدون: وَكَرَّ. وقيل البيت:

أَلَمْ تَرَوْا إِزْمَاءً وَعَسَاداً أَوْذَى بِهَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ

قوله: «جنتان» فيه ثلاثة أوجه:

الرفع على البدل من<sup>(١)</sup> «آية» وأبدل مُثْنَى من مفرد لأن هذا المفرد يصدق على هذا<sup>(٢)</sup> المثنى وتقدم في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ [المؤمنون: ٥٠].

الثاني: أنه خبر مبتدأ مضمرة<sup>(٣)</sup>. وضعف ابن عطية الأول ولم يبيئه<sup>(٤)</sup>. ولا يظهر<sup>(٥)</sup> ضعفه بل قوته وكأنه توهم أنهما مختلفان إفراداً أو تشبیه فلذلك ضعف البدل عنده والله أعلم<sup>(٦)</sup>.

الثالث - وإليه نحا ابن عطية - أن يكون جنتان مبتدأ وخبره «عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ»<sup>(٧)</sup>. وردّه أبو حيان بأنه ابتداء بنكرة من غير مسوغ واعتذر عنه بأنه قد يعتقد حذف صفة أي جَنَّتَانِ لهما أو جنتان عَظِيمَتَانِ فيصح ما ذهب إليه<sup>(٨)</sup> وقرأ ابن أبي عبله جنتين بالياء نصباً على خبر كان واسمها «آية»<sup>(٩)</sup>.

فإن قيل: اسم كان كالمبتدأ ولا مسوغ للابتداء به حتى يجعل اسم كان والجواب أنه يخصص بالحال المتقدمة عليه وهي صفته في الأصل ألا ترى أنه لو تأخر «لِسَبَابٍ» لكان صفة «لآية» في هذه القراءة<sup>(١٠)</sup>.

قوله: «عَنْ يَمِينٍ» إما صفة لجنتان أو خبر مبتدأ مضمرة أي هما عن يمين<sup>(١١)</sup>. قال المفسرون أي عن يمين الوادي وشماله. وقيل: عن يمين من أناها وشماله وكان لهم وإد قد أحاط الجنتان بذلك الوادي<sup>(١٢)</sup>.

قال الزمخشري: أَيْهَ آيَةٍ فِي جَنَّتَيْنِ مَعَ أَنَّ بَعْضَ بِلَادِ الْعِرَاقِ فِيهَا أَلْفٌ مِنَ الْجَنَّتَانِ؟ وأجاب بأن المراد لكل واحد جنتين أو عن يمين أيديهم وشمالهم جماعات من الجنان ولإيصال بعضها ببعض جعلها جنة واحدة<sup>(١٣)</sup>.

(١) النبيان ١٠٦٥ و ١٠٦٦ والبيان ٢/٢٧٨ وإعراب النحاس ٣/٣٣٨ ومعاني الزجاج وإعرابه ٤/٢٤٨ والمشكل في إعراب القرآن لمكي ٢/٢٠٦.

(٢) الدر المصون ٤/٤٢٧ وانظر: الكشاف أيضاً ٣/٢٨٤.

(٣) معاني الفراء ٢/٣٥٨ قال: «الْجَنَّتَانِ مَرْفُوعَتَانِ لِأَنَّهُمَا تَفْسِيرٌ لِلآيَةِ» والكشاف ٣/٢٨٤ وانظر: البحر المحيط ٧/٢٦٩ وانظر أيضاً المراجع السابقة.

(٤) في كلتا النسختين ولم يبيئه وفي الدر المصون ولم يبيئه.

(٥) في «ب» ولم يظهره. (٦) البحر المحيط ٧/٢٦٩ و ٢٧٠ و الدر المصون ٤/٤٢٧.

(٧) السابقان. (٨) المرجعان السابقان.

(٩) انظر ذلك في إعراب القرآن للنحاس ٣/٣٣٨، ومعاني القرآن للفراء ٢/٣٥٨.

(١٠) الدر المصون ٤/٤٢٧. (١١) المرجع السابق.

(١٢) من هؤلاء الخازن والبيهقي ٥/٢٨٧.

(١٣) نقله عنه الرازي في تفسيره ٢٥٠/٢٥٠، وانظر ذلك بالمعنى من الكشاف ٣/٢٨٤.

قوله: «كُلُوا» على إضمار القول أي قَالَ اللَّهُ أَوْ الْمَلَكُ كُلُوا من<sup>(١)</sup> رزق ربكم. وهذه إشارة إلى تكميل النعمة عليهم واشكروا له على ما رزقكم من النعمة فإن الشكر لا يطلب إلا على النعمة المعتبرة أي عملوا له بطاعته<sup>(٢)</sup>. قوله: «بَلَدَةٌ» أي بَلَدَتُكُمْ بلدة (طيبة)<sup>(٣)</sup> وربكم «رَبُّ غَفُورٌ» والمعنى أن أرض سبأ بلدة طيبة ليست مسيخة<sup>(٤)</sup>.

قال ابن زيد: لم ير في بلدتهم بَعُوضَةٌ ولا ذُبَابٌ ولا بُرْغُوثٌ ولا حِيَّةٌ ولا عقربٌ ولا وِبَاءٌ ولا وَحْمٌ وكان الرجل يمر ببلدهم وفي ثيابه القمل فيموت القمل كلها<sup>(٥)</sup> من طيب الهواء، فذلك قوله: «بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ» أي طيبة الهواء «ورب غفور»<sup>(٦)</sup> قال مقاتل وربكم إن شَكَرْتُمْ فيما رزقكم رب غفور للذنوب<sup>(٧)</sup>. وقيل: ورب غفور أي لا عقاب عليه ولا عذاب في الآخرة<sup>(٨)</sup> وقرأ رويس<sup>(٩)</sup> بنصب «بلدة»، و«رَبِّ» على المدح أو اسكنوا أو اعبدوا<sup>(١٠)</sup>. وجعله أبو البقاء مفعولاً به والعامل فيه «اشكروا»<sup>(١١)</sup> وفيه نظر؛ إذ يصير التقدير اشكروا لربكم رباً غفوراً<sup>(١٢)</sup>، ثم إنه تعالى لما بين ما كان من جانبه ذكر ما كان من جانبهم فقال: «فَأَعْرَضُوا» من كمال ظلمهم، الإعراض بعد إبانة الآية كقوله: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ دُكِرَ بِكَائِدِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا» [السجدة: ٢٢] قال وهب: أرسل<sup>(١٣)</sup> الله إلى سبأ ثلاثة عَشْرَ نَبِيًّا فدعوهم إلى الله وذكرهم نعم الله عليهم وأندروهم عقابه فكذبوهم وقالوا ما نعرف الله عز وجل علينا نعمة، فقولوا لربكم فليحبس هذه النعمة عنا إن استطاع فذلك قوله عز وجل: «فَأَعْرَضُوا»، ثم ذكر كيفية الانتقام منهم كما قال تعالى: «إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ» [السجدة: ٢٢] وكيفية أنه تعالى أرسل عليهم سيلاً غرق أموالهم وخرَّب دُورَهُمْ.

قوله: «سَبِيلَ الْعَرَمِ» العَرَمُ فيه أوجه:

أحدها: أنه من باب إضافة الموصوف لصفته<sup>(١٤)</sup> في الأصل إذ الأصل: السَّبِيلُ العَرَمُ، والعَرَمُ الشديد وأصله من العَرَامَةِ، وهي الشَّرَاسَةُ والصعوبة وعَرِمٌ فَلَانٌ فَهُوَ عَارِمٌ وعَرِمٌ وعَرَامٌ الجَيْشِ منه<sup>(١٥)</sup>.

(١) الدر المصون ٤/٤٢٧ و ٤٢٨. (٢) تفسير الرازي ٢٥٠/٢٥ و ٢٥١.

(٣) سقط من «أ».

(٤) في «ب» بسيغة.

(٥) في «ب» كله بالتذكير.

(٦) معالم التنزيل للبخاري ٥/٢٨٧.

(٧) المرجع السابق.

(٨) وهو رأي الفخر الرازي ٢٥١/٢٥ في تفسيره.

(٩) في «ب» ورش وهو تحريف ولم ينقل عنه وإنما المراد ما ذكره أعلى.

(١٠) ذكره ابن خالويه في المختصر ١٢١ والزمخشري في الكشاف ٣/٢٨٥ بدون نسبة وهي قراءة عشرية لم

يجيء بها في الإتحاف ولا في النشر شاذة من ناحية الرواية لا من جهة القياس اللغوي.

(١١) التبيان ١٠٦٦ ولكنه جعلها شاذة.

(١٢) الدر المصون ٤/٤٢٨.

(١٣) ذكره في زاد المسير ٦/٤٤٤.

(١٤) قاله أبو حيان ٧/٢٧١ والسمين في الدر ٤/٤٢٨.

(١٥) قاله في اللسان ٢٩١٣.

الثاني: أنه من حذف الموصوف وإقامة صفته مُقامه تقديره فأرسلنا عليهم سَيْلَ الْمَطَرِ الْعَرِمِ أَي الشَّدِيدِ الْكَثِيرِ<sup>(١)</sup>.

الثالث: أن الْعَرِمِ اسم للبناء الذي يجعل سداً<sup>(٢)</sup> وأنشد (قول الشاعر)<sup>(٣)</sup>:

٤١٢٩ - مِنْ سَبَأِ الْحَاضِرِينَ مَأْرَبٍ إِذْ يَبْنُونَ مِنْ دُونِ سَيْلِهِ الْعَرِمَا<sup>(٤)</sup>  
أَي البناء القوي. قال البغوي: الْعَرِمُ وَالْعَرِمُ جَمْعُ عَرَمَةٍ وَهِيَ السَّدُ<sup>(٥)</sup> الَّذِي يَحْبِسُ الْمَاءَ.

الرابع: أن الْعَرِمِ اسم للوادي الذي كان فيه الماء<sup>(٦)</sup> نفسه. وقال ابن الأعرابي: العرم السيل الذي لا يطاق<sup>(٧)</sup> وقيل: كان ماء أحمر أرسله الله عليهم من حيث<sup>(٨)</sup> شاء.

الخامس: أنه اسم للجرذ<sup>(٩)</sup> وهو الفأر. قيل: هو الْخُلْدُ<sup>(١٠)</sup> وإنما أضيف إليه؛ لأنه تسبب عنه إذ يروى في التفسير أنه قرض السد<sup>(١١)</sup> إلى أن انفتح عليهم فغرقوا به. وعلى هذه الأقوال الثلاثة تكون الإضافة إضافة صحيحة معرفة نحو: غَلَامٌ زَيْدٌ، أَي سَيْلُ الْبِنَاءِ أَوْ سَيْلُ الْوَادِي الْفَلَانِيِّ أَوْ سَيْلُ الْجُرْذِ. وهؤلاء هم الذين ضربت العرب بهم المثل للفرقة فقالوا «تَفَرَّقُوا أَيْدِي سَبَأَ». وقد تقدم<sup>(١٢)</sup>.

(١) بالمعنى من البحر ٢٧١/٧ وقد قال بذلك في الدر المصون ٤/٢٢٨ وفي «ب» الكبير بدلاً من الكثير وانظر: الكشاف ٣/٢٨٥.

(٢) السمين السابق. (٣) زيادة من «ب».

(٤) البيت من الْمُتَسَرِّحِ وهو غير منسوب في البحر ٧/٢٧٠ والقرطبي ١٤/٢٨٣ واللسان «ع ر م» ٢٩١٤ وكذلك «س ب أ» وورد في اللسان بلفظ «مشرود» بدل «يبنون». وكذلك لم ينسب في غريب القرآن لابن قتيبة ٣٥٤ ولا في المجاز لأبي عبيدة ٢/١٤٧. وقد اختلف في نسبة هذا البيت فمن نسبه إلى النابغة الجعدي ومن نسبه إلى أمية بن أبي الصلت وهو في ديوان النابغة ١٣٤ وديوان أمية برقم ٥١ وملحق ديوان الأعشى. وقد جاء بالبيت ليدل به على أن الْعَرِمِ هو اسم للبناء الذي يجعل سداً. وهو في البحر بتحريف وتصحيف ظاهرين. وانظر: الكتاب ٣/٢٥٣ والتاج عرم والكشاف ٣/١٤٤ وشرح شواهد ٥٣٥.

(٥) في البغوي السكر وهو ما يوافق.

(٦) انظر البغوي ٥/٢٨٧ المرجع السابق والكشاف ٣/٢٨٥.

(٧) قال في اللسان: ابن الأعرابي: العرمة أرض صلبة إلى جنب الصبان. ٢٩١٥. وقد نقل رأي الأعرابي الإمام البغوي في معالم التنزيل ٥/٢٨٧.

(٨) المرجع السابق.

(٩) الدر المصون ٤/٤٢٨. والجُرْذُ نوع من الفئران. انظر: حيوان الجاحظ ٥/٢٦٠.

(١٠) ضرب من الفئران قال بذلك في المرجع السابق، وابن منظور في اللسان «خ ل د» ١٢٢٦ والقرطبي في الجامع ١٤/٢٨٥، ٢٨٦ والزجاج في معاني القرآن ٤/٢٤٨.

(١١) في «ب» السكر.

(١٢) في اللسان. وقد ذكره ابن يعيش في شرح المفصل ٤/١٢٣ كما شرحه الميداني في مجمع الأمثال له ٤/٢.

## فصل

قال ابن عباس ووهب وغيرهما: كان ذلك السد بئته بَلْقَيْسٌ وذلك أنهم كانوا يقتتلون على ماء واديهم، فأمرت بواديهم فسد بالعرم وهو المُسْتَاة بلغة حمير فسكت<sup>(١)</sup> ما بين الجبلين بالصخور وجعلت له أبواباً ثلاثة بعضها فوق بعض ويئت من دونه بركة صُحْمَةٌ وجعلت فيها اثني عشر مخرجاً على عدة أنهار هم يفتحونها إذا احتاجوا إلى الماء وإذا استغنوا سدوها فإذا جاء المطر اجتمع إليه ماء أودية اليمن فاحتبس السيل من وراء السد فأمرت بالباب الأعلى يفتح<sup>(٢)</sup> فجرى ماؤه في البركة فكانوا يسقون من الباب الأعلى (ثم)<sup>(٣)</sup> من الثاني ثم من الثالث الأسفل فلا ينفذ الماء حتى يثوب الماء من السنة المقبلة فكانت تقسّمه بينهم على ذلك فبقوا على ذلك بعدها مدة فلما طعروا وكفروا سلط الله عليهم جزأاً يسمى الخلد فقب السد من أسفله فغرق الماء جنانهم وخرّب أرضهم<sup>(٤)</sup>.

قوله: «بِحَجَّتَيْهِمْ حَجَّتَيْنِ» قد تقدم في البقرة أن المجرور بالباء هو الخارج، والمنصوب هو الداخل<sup>(٥)</sup>؛ ولهذا غلط من قال من الفقهاء: فلو أبدل ضاداً بظاءً بطلت صلاته بل الصواب أن يقول: ظاءً بضادٍ<sup>(٦)</sup>.

قوله: «أَكَلِ حَمِطٍ» قرأ أبو عمرو بإضافة «أَكَلِ» إلى «حَمِطٍ». والباقون بتوניה غير مضاف<sup>(٧)</sup>، وقد تقدم في البقرة<sup>(٨)</sup> أن ابن عامر، وأبا عمرو والكوفيّين يضمنون كاف «أكل» غير المضاف لضمير المؤنثة وأن نافعاً وابن كثير يسكنونها<sup>(٩)</sup> بتفصيل هناك تقدم تحريره فيكون القراء هنا على ثلاث مراتب، الأولى لأبي عمرو أكَلِ حَمِطٍ بضم كاف أكل مضافاً «لحَمِطٍ».

الثانية: لنافع وابن كثير: بتسكين كافه وتونيه.

الثالثة: للباقيين ضم كافه وتونيه فمن أضاف جعل الأكل بمعنى الجنى والتمر<sup>(١٠)</sup>.

(١) الأصح كما في (ب) فسدت. (٢) في (ب) ففتح.

(٣) سقط من «أ».

(٤) ذكر هذا الأثر الخازن في لباب التأويل والبعوي في معالم التنزيل ٢٨٧/٥ و ٢٨٨.

(٥) يشير إلى قوله تعالى: «اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى» الآية (١٦) ويقصد بالخارج: الجنتين اللتين فيهما أزهار وأنهار وفاكهة وهو كلمة «بِحَجَّتَيْهِمْ» والداخل: وهو المفعول «حَجَّتَيْنِ ذَوَاتِي أَكَلِ» مثلما جاءت به سورة البقرة فلقد تركوا الهدى «بالهدى» واشتروا الضلالة وهو الداخل، وهنا يتضح التنظير بآية البقرة وانظر: اللباب ٤٧/١ ب.

(٦) الدر المصون ٤٢٩/٤.

(٧) النشر ٢/٣٥٠ والسبعة ١٩٠ و ٥٢٨ والإنحاف ٣٥٩ ومعاني القرآن للفراء ٢/٣٥٨ و ٣٥٩ والكشف ٢/٢٠٥ وحجة ابن خالويه ٢٩٣.

(٨) عند قوله تعالى: «فَأَتَتْ أَكْلَهَا ضِعْفَيْنِ» وهي الآية ٢٦٥ منها.

(٩) المراجع السابقة. (١٠) انظر هذا في الدر المصون للسمين ٤٢٩/٤.

والخمط قيل: شجر الأراك وثمره يقال له: البرير. (و) هذا قول أكثر المفسرين<sup>(١)</sup> وقيل: كل شجر ذي شوك<sup>(٢)</sup> وقال المبرد والزجاج: كل نبت أخذ طعماً من مرارة حتى لا يمكن أكله فهو خمط<sup>(٣)</sup>. وقال ابن الأعرابي: الخمط ثمرة شجرة يقال لها: فسوة الضنب على صورة الخشخاش لا ينتفع به<sup>(٤)</sup>. قال البغوي: من جعل الخمط اسماً للمأكول فالتنوين في «أكل» حسن ومن جعله أصلاً وجعل «الأكل» ثمرة فالإضافة فيه ظاهرة والتنوين سائغ تقول العرب في بستان فلان أعناب كزيم وأعناب كزيم يترجم الأعناب بالكرم لأنها منه<sup>(٥)</sup>.

قوله: «وَأَثْلٌ وَشَيْءٌ مِنْ سِدْرٍ مَعْطُوفَانِ عَلَى «أكل» لا على «خمط» لأن الخمط لا أكل له<sup>(٦)</sup>، وقال مكّي: لما لم يجز أن يكون الخمط نعتاً للأكل؛ لأن الخمط اسم شجر بعينه ولا بدلاً؛ لأنه ليس الأول ولا بعضه وكان الجنى والثمر من الشجر أضيف على تقدير «من» كقولك: «هذا ثوب خز»<sup>(٧)</sup>. ومن نون فيحتمل أوجهها:

الأول: أنه جعل «خمطاً» وما بعده إما صفة «لأكل»<sup>(٨)</sup>. قال الزمخشري: أو وصف الأكل بالخمط كأنه قيل: ذواتي أكل بشيع<sup>(٩)</sup>. قال أبو حيان: والوصف بالأسماء لا يطرّد وإن كان قد جاء<sup>(١٠)</sup> منه شيء نحو قولهم: «مرزت بقاع عرّفج»<sup>(١١)</sup> كله.

الثاني: البديل من «أكل» قال أبو البقاء: وجعل خمطاً أكلاً لمجاورته إياه، وكونه سبباً له<sup>(١٢)</sup> إلا أن الفارسي ردّ كونه بدلاً قال: لأنّ الخمط ليس بالأكل نفسه<sup>(١٣)</sup>، وقد تقدم جواب أبي البقاء، وقد أجاب بعضهم عنه وهو منتزع من كلام الزمخشري أي أنه

(١) قال بذلك العلامة الزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٢٤٩/٤ والفراء في معاني القرآن أيضاً ٣٥٩/٢.

(٢) ذكره أبو عبيدة في المجاز ١٤٧/٢. (٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٤٩/٤.

(٤) ذكره في اللسان «خمط» ١٢٦٧ وانظر هذا كله في اللسان المرجع السابق.

(٥) ذكره البغوي في معالم التنزيل ٢٨٨/٥ وقد فسر ابن قتيبة في تفسيره غريب القرآن الخمط بشجر العضاة. انظر: الغريب ٣٥٦.

(٦) قاله في الدر المصون ٤٢٩/٤.

(٧) بتقديم وتأخير في عبارته من الكشف ٢٠٧/٢ وانظر الكشف للزمخشري ٢٨٥/٣ وانظر: البيان لابن الأنباري ٢٧٨/٢ و ٢٧٩.

(٨) الدر المصون ٤٢٩/٤. (٩) قال ذلك في الكشف ٢٨٥/٣.

(١٠) البحر المحيط ٢٧١/٧.

(١١) قال في اللسان: العرّفج والعرّفج بفتح العين وكسرهما نبت دقيق واحده عرّفجة وهذا الوصف الجامد يؤوّل بالمشتق وهو لفظ كثير.

(١٢) قال هذا في تبيانه ١٠٦٦.

(١٣) قال في الحجة ١٧٢/٦ و ١٧٣: «لأنه ليس هو هو ولا بعضه لأن الجنى من الشجرة وليس الشجرة من الجنى فيكون إجراؤه عليه على وجه عطف البيان» فقد جعله عطف بيان لا بدلاً.

على حذف مضاف تقديره ذواتي<sup>(١١)</sup> أَكُلِ أَكُلِ خَمِطٍ قَالَ : والمحذوف هو الأول في الحقيقة<sup>(١٢)</sup>.

الثالث : أنه عطف بيان وجعله أبو علي أحسن ما في الباب<sup>(١٣)</sup> ، قال : كأنه بين أن الأكل هذه<sup>(١٤)</sup> الشجرة ، إلا أن عطف البيان لا يُجيزُهُ البصريون في التكرات إنما يَخْصُونَهُ بالمعارف<sup>(١٥)</sup> ، والأثْل هو الطَّرْفَاءُ . وقيل : شجر يشبه الطرفاء<sup>(١٦)</sup> وقيل : نوع من الطرفاء ولا يكون على<sup>(١٧)</sup> ثمرة إلا في بعض الأوقات يكون عليه شيء كالعَفْص<sup>(١٨)</sup> أصغر منه في طعمه وطبعه ، والسَّدْرُ شجر<sup>(١٩)</sup> معروف وهو شجر التَّبَقِ يُنْتَفَعُ بورقه لغسل اليد ويغرس في البساتين ولم يكن هذا من ذلك بل كان سِدْرًا بَرِيًّا لا ينتفع به ولا يصلح ورقه لشيء ، وقال بعضهم<sup>(٢٠)</sup> : السَّدْرُ سِدْرَانِ سِدْرٌ له ثمرة عَفْصَةٌ لا يؤكل ولا ينتفع بورقه في الاغتسال وهو الضَّال وسدر له ثمرة<sup>(٢١)</sup> يؤكل وهو التَّبَقِ (و)<sup>(٢٢)</sup> يغتسل بورقه . والمراد بالآية الأول . وقال قتادة : كَانَ شَجَرُهُمْ خَيْرَ الشَّجَرِ فَصَيَّرَهُ اللهُ مِنْ شَرِّ الشَّجَرِ بِأَعْمَالِهِمْ<sup>(٢٣)</sup>.

قوله : «قَلِيلٌ» نعت لـ «سدر» . وقيل : نعت «لأكل» . وقال أبو البقاء : ويجوز أن يكون نعتاً «لخمط» و «أثْل» و «سدر»<sup>(٢٤)</sup> وقرئ «وَأَثَلًا وَشَيْئًا» بنصبهما عطفاً على «جَتَّتَيْنِ»<sup>(٢٥)</sup> ثم بين (الله)<sup>(٢٦)</sup> تعالى أن ذلك (كان)<sup>(٢٧)</sup> مجازاة لهم على كفرانهم فقال :

- (١) قال : «وجه من نون أصله ذواتي أكل أكل فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه» .  
 (٢) هذا قول أبي حيان في البحر في ردّه على السابق وانظر : البحر المحيط ٢٧١/٧ .  
 (٣) البحر المحيط المرجع السابق والدر المصون ٤٣٠/٤ .  
 (٤) انظر : المرجع السابق لأبي علي وهو الحجّة في القراءات السبع .  
 (٥) هذا اعتراض من أبي حيان في البحر ٢٧١/٧ والسمين في الدر ٤٣٠/٤ ومنع أهل البصرة جريانه على النكرة وقالوا لا يجري إلا في المعارف وقد نقل هذا عنهم الشلوبين ، وقال ابن مالك : لم أجد هذا النقل عنهم إلا من جهته وذهب الكوفيون والفارسي والزمخشري إلى جواز تنكيرهما ومثلوا له بقوله تعالى : «مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ» وهو الصحيح . انظر : همع السيوطي ١٢١/٢ .  
 (٦) إلا أنه أعظم طولاً انظر : الفراء في معانيه ٣٥٩/٢ ولسان العرب أثل ٢٨ وغريب القرآن ٣٥٦ والكشاف ٢٨٥/٣ .

(٧) في «ب» عليه .

(٨) قال عنه في اللسان : «والعَفْصُ معروف يقع على الشجر وعلى الثمر» . انظر : اللسان : «عَ فَ صَ» ٣٠١٤ .

(٩) قاله في معاني القرآن للفراء ٣٥٩/٢ قال : «قالوا إنه السَّمْرُ واحدته سَمْرَةٌ» . انظر : اللسان «س در» ٩٧١ .

(١٠) لعله ابن زياد انظر المرجع السابق . (١١) في «ب» ثمر .

(١٢) سقط من «ب» . (١٣) ذكره القرطبي في الجامع ٢٨٧/١٤ .

(١٤) البحر ٢٧١/٧ والدر المصون ٤٣٠/٤ والتبيان ١٠٦٦ .

(١٥) مختصر ابن خالويه ١٢١ وهي من القراءات الشاذة وانظر الكشاف ٢٨٥/٣ .

(١٦) و (١٧) سقطا من «ب» .

«جَزَيْتَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي» بذلك الجزاء «إِلَّا الْكُفُورَ».

قوله: «وَهَلْ نُجَازِي» قرأ الأَخَوَانِ وحفصٌ نُجَازِي بنون العظمة وكسر الزاي لقوله: «جَزَيْتَاهُمْ» أي (نحن)<sup>(١)</sup> (وهل نُجَازِي)<sup>(٢)</sup> هَذَا الْجَزَاءُ) إلا الكفور مفعول به والباقون بضم الياء وفتح الزاي مبنياً للمفعول<sup>(٣)</sup> إلا الكفور رفع على ما لم يسم فاعله ومسلم<sup>(٤)</sup> بن جُنْدُب «يُجَزَى» للمفعول<sup>(٥)</sup> إِلَّا الْكُفُورَ رفعاً على ما تقدم وقرىء «يُجَزَى» مبنياً للفاعل وهو اللَّهُ تَعَالَى «الْكُفُورَ» نصباً على المفعول به<sup>(٦)</sup>.

## فصل

قال مجاهد: يجازي أي يعاقب ويقال في العقوبة يجازي وفي التوبة يجزى<sup>(٧)</sup>. قال الفراء: المؤمن يجزى ولا يجازى<sup>(٨)</sup> أي يُجَزَى الثواب بعمله ولا يكافأ بسيناته. وقال بعضهم: المجازاة يقال في النعمة والجزاء في النقمة لكن قوله تعالى: «ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِمَا كَفَرُوا» يدل على أن «يُجَزَى» في النقمة ولعل من قال ذلك أخذه من المجازاة مفاعلة وهي في أكثر الأمر يكون ما بين اثنين يؤخذ من كل واحد جزء في حق الآخر وفي النعمة لا تكون مجازاة لأن الله مبتدئ<sup>(٩)</sup> بالنعمة.

قوله: «وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا» بالماء والشجر وهي قُرَى الشام «قُرَى ظَاهِرَةٌ» متواصلة أي يظهر بعضها لبعضها يرى سواد القرية من القرية الأخرى لقربها منها فكان<sup>(١٠)</sup> شَجَرُهُمْ من اليمن إلى الشام فكانوا يبيتون بقرية ويقولون بأخرى وكانوا لا يحتاجون إلى حمل زاد من سبأ إلى<sup>(١١)</sup> الشام.

فإن قيل: هذا من النعم والله تعالى أراد<sup>(١٢)</sup> بيان تبديل نعمهم بقوله: «وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ» فكيف عاد مرة أخرى إلى بيان النعمة بعد النعمة؟

- (١) سقط من «ب».
- (٢) زيادة من (ب).
- (٣) الفراء ٣٥٩/٢ والسبعة ٥٢٨ والإتحاف ٣٥٩.
- (٤) أبو عبد الله الهذلي مولاهم المديني القاضي تابعي مشهور روى عن أبي هريرة وعرض على عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة عرض عليه نافع بعد سنة عشر ومائة انظر: غاية النهاية ٢/٢٩٧.
- (٥) ذكره في المحتسب ١٨٨/٢ والمختصر ١٢١ والبحر ٧/٢٧١.
- (٦) قال ابن جني في المحتسب: «وقال أبو حاتم: وهل يُجَازِي إِلَّا الْكُفُورَ بالنصب قراءة قتادة وابن وثاب والتخوي في جماعة ذكرهم». وهذه القراءات شاذة غير متواترة وشذوذه رواية لا قياساً.
- (٧) معالم التنزيل للبغوي ٥/٢٨٨.
- (٨) قال: «وأما المؤمن فيُجَزَى لأنه يزداد ويُتَفَضَّلُ عليه ولا يُجَازِي» معاني القرآن ٢/٣٥٩.
- (٩) ذكره الرازي في تفسيره ٢٥/٢٥٢.
- (١٠) كذا هي هنا وفي «ب»: شجرهم وفي البغوي: «مَشَجَرُهُمْ».
- (١١) انظر: معالم التنزيل للبغوي السابق.
- (١٢) انظر الرازي السابق.

فالجواب: أنه ذكر حال نفس بلدهم وبين تبديل ذلك بالخمط والأثل ثم ذكر حال خارج بلدهم وذكر عمارتها بكثرة القرى ثم ذكر تبديله ذلك بالمقاور والبراري والبادي بقوله: «بَاعِدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا»، وقد فعل ذلك ويدل عليه قراءة من قرأ ربُّنا بَعْدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا على المبتدأ والخبر<sup>(١)</sup>.

قوله: «وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ» أي قدرنا سيرهم من هذه القرى وكان سيرهم في العدو والرواح على قدر نصف يوم فإذا ساروا نصف يوم وصلوا إلى قرية ذات مياه وأشجار قال قتادة: كانت المرأة تخرج ومعها مغزلها وعلى رأسها مكتلها فتمتحن بمغزلها فلا تأتي بيتها حتى يمتلئ مكتلها من الثمار وكان ما بين اليمن إلى الشام كذلك<sup>(٢)</sup>.

قوله: «سَيْرُوا» أي وقلنا لهم سيروا، وقيل: هو أمر بمعنى الخير أي مكثاهم من السير فكانوا يسرون فيها ليالي وأياماً أي بالليالي والأيام أي وقت شتتم «أَمِينٌ» لا تخافون عدواً ولا جوعاً ولا عطشاً<sup>(٣)</sup>.

وقيل: معنى<sup>(٤)</sup> قوله تعالى: «لِيَالِي وَيَأْمَاماً» أنكم تسرون فيه إن شتتم ليالي وإن شتتم أياماً لعدم الخوف بخلاف المواضع المخوفة فإن بعضها يسلك ليلاً لئلا يعلم العدو بسيرهم وبعضها يسلك نهاراً لئلا يقصدهم العدو إذا كان العدو غير مجاهر بالقصد والعداوة فَبَطَّرُوا<sup>(٥)</sup> وطفغوا ولم يصبوا على العاقبة وقالوا: لو كَانَ جَنَى جَنَاتِنَا أَبْعَدَ مِمَّا هِيَ كَانَ أَجْدَرَ أَنْ نَشْتَهِيَ فَقَالُوا: رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا فاجعل بيننا وبين الشام فلوأت ومقاور لتركب فيها الرواحل وتنزود فيها الأزواد. وقال مجاهد: بَطَّرُوا<sup>(٦)</sup> النعمة وسيموا الراحة كما طلبت اليهود الثوم والبصل. ويحتمل أن يكون ذلك لفساد اعتقادهم وشدة اعتمادهم على أن ذلك لا يعدم<sup>(٧)</sup> كما يقول القائل لغيره: اضربني إشارة إلى أنه لا يقدر عليه، ويحتمل أن يكون قولهم: «رَبَّنَا بَعْدَ» بلسان الحال أي لما كفروا فقد طلبوا أن يبعد بين أسفارهم وتخريب المعمور من ديارهم، وقوله: «ظلموا» يكون بياناً<sup>(٨)</sup> لذلك.

قوله: «رَبَّنَا» العامة بالنصب على النداء. وابن كثير وأبو عمرو<sup>(٩)</sup> وهشام «بَعْدَ»

(١) وهي قراءة ابن عباس وابن الحنيفة وابن يعمر بخلاف الكلبي وعمرو بن فائد. انظر: المحتسب ٢/

١٨٨ والرازي ٢٥/٢٥٢ وهي من الشواذ رواية لا قياساً وستأتي.

(٢) معالم التنزيل للبيهقي ٥/٨٩ وكذلك باب التأويل للخازن ٥/٢٨٩.

(٣) السابقان. (٤) وهو قول الرازي ٢٥/٢٥٢.

(٥) تفسير البغوي السابق.

(٦) السابق.

(٧) في الرازي لا يقدر وهو والصحيح. (٨) المرجع السابق.

(٩) انظر: تقريب النشر ١٦٦ والنشر ٢/٣٥٠ والكشف ٢/٢٠٧ وقال مكِّي: «والقراءتان بمعنى حكى

سيبويه: ضَعَفَ وَضَاعَفَ بمعنى فهو بمعنى التباعده. وانظر أيضاً القرطبي ١٤/٢٩٠، والسبعة ٥٢٩

والإتحاف ٣٥٩ والكشاف ٣/٢٨٦ وإعراب النحاس ٤/٣٤٢ ومعاني الفراء ٢/٣٥٩.

بتشديد العين فعل طلب والباقون بَاعَدَ طلب أيضاً من المفاعلة بمعنى الثلاثي . وقرأ ابن الحَنَفِيَّةَ<sup>(١)</sup> وِسْفِيَانِ بْنِ حُسَيْنٍ<sup>(٢)</sup> وابن السَّمِيفِعِ بَعْدَ<sup>(٣)</sup> بضم العين فعلاً ماضياً والفاعل المسير أي بَعْدَ الْمَسِيرِ، و «بين» ظرف وسعيد بن أبي الحسن كذلك إلا أنه ضَمَّنَ<sup>(٤)</sup> نون بين جعله فَاعِلَ «بَعْدَ» فأخرجه عن الظرفية<sup>(٥)</sup>، كقراءة «تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ» [الأنعام: ٩٤] رفعاً. فالمعنى على القراءة المتضمنة للطلب أنهم أَشِيرُوا وَبَطَّرُوا فلذلك طلبوا بَعْدَ الْأَسْفَارِ<sup>(٦)</sup>، وعلى القراءة المتضمنة للخبر الماضي يكون شكوى من بعد الأسفار التي طلبوها أولاً<sup>(٧)</sup> وقرأ جماعة كبيرة منهم ابن عباس وابن الحنفية ويعقوب (وعمره)<sup>(٨)</sup> بن فايد: «رُبْنَا» رفعاً على الابتداء بَعْدَ بتشديد العين فعلاً ماضياً خبره<sup>(٩)</sup>، وأبو رجاء والحسن ويعقوب كذلك إلا أنه «بَاعَدَ» بالالف<sup>(١٠)</sup> والمعنى على هذه القراءة شكوى بعد أسفارهم على قريها ودُنُوها تَعَثُّوا منهم وقرىء: «بُوعِدَ» مبنياً<sup>(١١)</sup> للمفعول. وإذا نصبت «بين» بعد فعل متعد من هذه المادة في إحدى هذه القراءات سواء أكان أمراً أم ماضياً فجعله أبو حيان منصوباً على المفعول به لا ظرفاً قال: «ألا ترى إلى قراءة من رفع كيف<sup>(١٢)</sup> جعله اسماً؟» قال شهاب الدين: إقراره على ظرفيته أولى ويكون المفعول محذوفاً تقديره بعد المسير بين أسفارنا. ويدل على ذلك قراءة بَعْدَ بضم العين يَبْنِي بالنصب فكما يضم هنا الفاعل وهو ضمير السَّير كذلك يبقى هنا «بين» على بابها وينوي السَّير وكان هذا أولى؛

(١) محمد بن علي بن أبي طالب أبو القاسم ابن الحنفية وردت الرواية عنه في حروف القرآن. روى عن أبيه وغيره من الصحابة وروى عنه بنوه إبراهيم وعبد الله والحسن مات سنة ثلاث وسبعين هـ، وانظر: غاية النهاية ٢/٢٠٤.

(٢) هو سُفْيَانُ بْنُ حُسَيْنِ بْنِ حَسَنِ السُّلَمِيِّ مولى عبد الله بن خازم الواسطي أبو محمد روى عن ابن سيرين والحكم بن عتيبة وروى عنه شعبة وعباد بن العوام وغيرهما مات في خلافة المهدي. الخلاصة ١٢٣.

(٣) قاله في المحتسب ٢/١٨٩.

(٤) في «ب» ضم. وهو الأصح والأقرب.

(٥) لم يبينه في المحتسب بوضوح حيث قال: «وقرأ: رُبْنَا بعد - بفتح الباء والداد وضم العين - يَبْنِي أسْفَارَنَا؛ ابْنُ يَغْمَرَ وَسَعِيدُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ وَمُحَمَّدُ بْنُ السَّمِيفِعِ وَسُفْيَانُ بْنُ الْحُسَيْنِ بِخِلَافِ الْكَلْبِيِّ بِخِلَافِ». وصرح بذلك بوضوح القرطبي في ١٤/٢٩١ وأبو حيان في البحر ٧/٢٧٣. وانظر الكشاف ٣/٢٨٦.

(٦) الدر المصون ٤/٤٣١. (٧) المرجع السابق.

(٨) ما بين القوسين سقط من «ب».

(٩) ذكرها في المحتسب ٢/١٨٩ وهي جائزة قياساً شاذةً روايةً وقد ذكرها أيضاً الزجاج في إعراب القرآن ٤/٢٥٠ والقرء في معانيه ٢/٣٥٩.

(١٠) انظر: المراجع السابقة وهي قراءة عشرية متواترة النشر ٢/٣٥٠، والإنحاف ٣٥٩.

(١١) مختصر ابن خالويه ١٢١ وهي قراءة شاذة وقد ذكر كل هذه القراءات أبو حيان في البحر ٧/٢٧٢ و ٢٧٣ والنحاس في إعراب القرآن ٣/٣٤١ و ٣٤٢.

(١٢) قاله أبو حيان في البحر ٧/٢٧٣.

لأن حذف المفعول<sup>(١)</sup> كثير جداً لا نزاع فيه وإخراج الظرف غير المتصرف عن ظرفيته فيه نزاع كثير<sup>(٢)</sup>. وتقدم تحقيق هذا والاعتذار عن رفع «بَيْنَكُمْ» في الأنعام<sup>(٣)</sup>، وقرأ العامة أسفارنا جمعاً. وابن يَعْمُرُ «سَفَرْنَا»<sup>(٤)</sup> مفرداً.

قوله: «فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ» عبرة لمن بعدهم يتحدثون بأمرهم وشأنهم «وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلُّ مُمَزَّقٍ» وفرقناهم في كل وجه من البلاد كل التفريق. وهذا بيان لجعلهم أحاديث. قال الشعبي: لما غرقت قراهم تفرقوا في البلاد أما غسان فلحقوا بالشام ومز الأزد على عمان وخزاعة إلى تهامة وموالي جذيمة إلى العراق والأوس والخزرج إلى يثرب وكان الذي قدم منهم المدينة عمرو بن عامر وهو جد الأوس والخزرج<sup>(٥)</sup>.

قوله: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ» أي فيما ذكرنا من حال الشاكرين ووبال الكافرين لعبير ودلالات «لِكُلِّ صَبَّارٍ» عن معاصي الله «شُكُورٍ» لنعمة الله قال مقاتل<sup>(٦)</sup>: يعني المؤمن في هذه الآية صبور على البلاد شكور للنعمة قال مطرف<sup>(٧)</sup>: هو المؤمن إذا أعطى شكر، وإذا ابتلى صبر<sup>(٨)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢٠) وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا هُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَن أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾

قوله: «وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ» قرأ الكوفيون صدق بتشديد الدال والباقون

(١) الدر المصون ٤/٤٣٢.

(٢) في: «لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ» والاعتذار بأن «بينكم» معناه وصلكم وقد ذكر هناك أقوالاً لمن تعرضوا لمثل هذه الآية انظر: الباب ١٢٧/٣ ب.

(٣) ذكرها ابن خالويه في مختصره وتلك من الشواذ غير المتواترة. المختصر ١٢١ وانظر البحر المحيط أيضاً ٧/٢٧٣.

(٤) القرطبي ١٤/٢٩١.

(٥) قاله البغوي في معالم التنزيل ٥/٢٨٩.

(٦) هو راوية مالك بن أنس كان به صمم مات بالمدينة سنة ٢٢٠ هـ انظر المعارف ٥٢١.

(٧) المرجع السابق.

(٨) قاله في النشر ٢/٣٥٠، وتقريبه ١٦٢ والإنحاف والسبعة ٥٢٩ وابن خالويه في الحجة ٢٩٤، وانظر:

الدر المصون ٤/٤٣٢ ومعاني القرآن وإعراجه للزجاج ٤/٢٥١ ومعاني الفراء ٢/٣٦٠ وإعراجه للنحاس

٣/٣٤٣ والكوفيون هم: حمزة وعاصم والكسائي ومن هذا حذرهم.

بتخفيفها<sup>(١)</sup>، فأما الأولى «فَظَنَّهُ» مفعول به<sup>(٢)</sup> والمعنى أن ظنَّ إبليس ذهب إلى شيء فوافق فصدق هو ظنه على المجاز والاتساع ومثله: كَذَبْتُ ظَنِّي وَنَفْسِي وَصَدَّقْتُهُمَا وَصَدَّقَانِي وَكَذَّبَانِي وهو مجاز شائع سائغ أي ظن شيئاً فوق<sup>(٣)</sup> وأصله من قوله: «فَلَاغْوِينَهُمْ وَلَاأُضِلُّنَهُمْ» [النساء: ١١٩] وقوله: «فَبِعِزَّتِكَ لَاغْوِينَهُمْ أَجْمَعِينَ» [ص: ٨٢] «وَلَا يَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ» [الأعراف: ١٧] فصدق ظنه وحققه بفعله ذلك بهم واتباعهم إياه. وأما الثانية: فانتصب «ظنه» على ما تقدم من المفعول به كقولهم «أَصَبْتُ ظَنِّي، وَأَخْطَأْتُ ظَنِّي»<sup>(٤)</sup> أو على المصدر بفعل مقدر أي «يَظُنُّ ظَنَّهُ» أو على إسقاط (الخافض<sup>(٥)</sup> أي) في ظَنَّهُ<sup>(٦)</sup>، وزيد بن علي والزُّهريُّ بنصب «إبليس» ورفع «ظَنَّهُ»<sup>(٧)</sup> كقول الشاعر:

٤١٣٠ - فَإِنْ يَكُ ظَنِّي صَادِقًا فَهَوَ صَادِقٌ .....<sup>(٨)</sup>

جعل «ظنه» صادقاً<sup>(٩)</sup> فيما ظنه مجازاً واتساعاً، وروي عن أبي عمرو برفعهما<sup>(١٠)</sup> وهي

(١) ذكر أبو البقاء ١٠٦٧ وابن الأنباري ٢٧٩/٢ والفراء في معانيه ٣٦٠/٢ والنحاس ٣/٣٤٤ والزجاج في ٢٥١/٤ ومكي في المُشْكَل ٢٠٨/٢.

(٢) الدر المصون ٤/٤٣٢.

(٣) التبيان ١٠٦٧ والبيان لابن الأنباري ٢٧٩/٢ قال ابن الأنباري: «أن يكون منصوباً انتصاب المفعول به على الاتساع». وقال أبو البقاء في التبيان: «قوله تعالى: ﴿صدق عليهم﴾ بالتخفيف و «إبليس» فاعله، و «ظنه» بالنصب على أنه مفعول، كأنه ظن فيهم أمراً وواعده نَفْسُهُ فصدقه».

(٤) في «ب» صدقه بدل «ظنه» وهو تحريف وخطأ فالصحيح من «أ» ومن المعنى واللفظ أيضاً وانظر: بيان ابن الأنباري ٢٧٩/٢ ومشكل إعراب مكي ٢٠٨/٢ والدر المصون ٤/٤٣٣.

(٥) ما بين القوسين سقط من «ب».

(٦) التبيان ١٠٦٧ والبحر المحيط ٧/٢٧٣ والدر المصون ٤/٤٣٣ والزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٤/٢٥٢ والفراء في معانيه ٢/٣٦٠.

(٧) أوردها ابن جني في المحتسب ١٩١/٢ والزمخشري في الكشاف ٣/٢٨٦ والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٤/٢٩٠ ومكي في المُشْكَل ٨/٠٨ وابن الأنباري في البيان ٢/٢٧٩ والنحاس في إعراب القرآن ٣/٣٤٣ والفراء في معاني القرآن ٢/٣٦٠. وقد اعترض أبو حاتم - فيما نقله النحاس في إعرابه - على هذه القراءة قال: «ولا وجه لهذه القراءة عندي والله عز وجل أعلم»، مع أن التفاسير السابقة نقلتها ووجهها الفراء فقال: «ولو قرأ قارىء ولقد صدق عليهم إبليس ظنه، يريد: صدقه ظنه عليهم كما تقول: صدقك ظنك والظن يُخْطِئُ ويصيب». وانظر هذه القراءة أيضاً في التبيان لأبي البقاء ١٠٦٧ والبحر لأبي حيان ٧/٢٧٣.

(٨) صدر بيت من الطويل غير منسوب لقائل عجزه:

يَفْذُ تَخْوَكُمُ أَلْفًا مِنْ الْغَيْلِ أَثَرَعَا .....

والأقرع: السنام. وقد استشهد به على إسناد الصدق إلى الظن مجازاً واتساعاً، والبيت في التبيان ١٠٦٧ والحجة لأبي علي ١/٢٥ والدر المصون ٤/٤٣٣ واللسان ألف والمذكر والمؤنث ٥٢٢ ومجمع البيان للطبرسي ٧/٦٠٧.

(٩) المثبت في كلتا النسخين: «صادقة» والظاهر «صادقاً».

(١٠) الكشاف ٣/٢٨٦ وابن خالويه ١٢١ والفراء ٢/٣٦٠ وجعلها على التكرير أي البدل.

واضحة جعل «ظنه» بدل اشتغال من إبليس والظاهر أن الضمير في «عليهم» عائد على أهل سبأ و «إِلَّا فَرِيقًا» استثناء من فاعل «اتَّبَعُوهُ» و «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» صفة «فَرِيقًا» و «مِنَ» للبيان لا للتبعيض لئلا يفسد المعنى؛ إذ يلزم أن يكون بعض من آمن اتبع إبليس<sup>(١)</sup>.

### فصل

قال المفسرون: صدق عَلَيْهِم أي على أهل سبأ. وقال مجاهد: على الناس كلهم إلا من أطاع الله فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ<sup>(٢)</sup>. قال السدي عن ابن عباس يعني المؤمنين كلهم لأن المؤمنين لم يتبعوه في أصل الدين<sup>(٣)</sup> وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢] يعني المؤمنين وقيل: هو خاص في المؤمنين الذين يطيعون الله ولا يَعْصُونَهُ. وقال ابن قتيبة: إن إبليس سأل النظرة فَأَنْظَرَهُ اللهُ قَالَ: لَاغْوِيَهُمْ وَلَاضِلُّهُمْ لم يكن مستيقناً وقت هذه المقالة أن ما قاله فيهم يتم وإنما قال ظناً فلما اتبعوه وأطاعوه صدق عليهم ما ظنه فيهم<sup>(٤)</sup>.

قوله: «وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ» هذا استثناء مفرغ من العلة العامة تقديره: وما كان له عليهم (من سلطان)<sup>(٥)</sup> استيلاء لشيء من الأشياء إلا لهذا وهو تمييز المَحَقِّ مِنَ الشَّاكِّ<sup>(٦)</sup>.

قوله: «مِنْهَا» متعلق بمحذوف على معنى البيان أي أعني منها وبسببها<sup>(٧)</sup>. وقيل: «من» بمعنى «في». وقيل: هو حال من «شك»<sup>(٨)</sup>. وقوله: «مَنْ يُؤْمِنُ» يجوز في «من» وجهان أحدهما: أنها استفهامية فتسد<sup>(٩)</sup> مسد مفعولي العلم كذا ذكر أبو البقاء<sup>(١٠)</sup>. وليس بظاهر؛ لأن المعنى إِلَّا لِنَمَيِّزَ<sup>(١١)</sup> ويظهر للناس من يؤمن ممن لا يؤمن فعثر عن مقابله بقوله «مَنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكِّ» لأنه من نتائجه ولوازمه.

(١) قاله في الدر المصون ٤/٤٣٣ والبيان ٢/٢٧٩.

(٢) زاد المسير: ٦/٤٥٠. (٣) معالم التنزيل للبخاري ٥/٣٨٩.

(٤) قال ذلك في المشكل ١٤٠ بينما قال في الغريب ٣٥٦ «وذلك أنه قال: لأضلنهم ولاغوينهم ولاغريتهم بكذا فلما اتبعوه وأطاعوه صدق ما ظنه أي فيهم».

(٥) سقط من «أ» وزيادة من «ب».

(٦) قاله السمين في الدر المصون ٤/٤٣٣.

(٧) نقله في التبيان ١٠٦٧ والبحر ٧/٢٧٣.

(٨) التبيان ١٠٦٧ والدر المصون ٤/٤٣٣ وقد جعلها أبو جعفر النحاس في كتابه إعراب القرآن: «زائدة» انظر تفسيره ٣/٣٤٤.

(٩) في «ب» تسد بدون فاء.

(١٠) التبيان ١٠٦٧ قال: «يجوز أن يكون بمعنى الذي فينتصب بنعلم وأن يكون استفهامياً في موضع بالابتداء».

(١١) في «ب» ليميز بالياء.

والثاني: أنها موصولة<sup>(١)</sup> وهذا هو الظاهر على ما تقدم تفسيره.

## فصل

قال ابن الخطيب: إن علم الله من الأزل إلى الأبد محيط بكل معلوم وعلمه لا يتغير وهو في كونه عالماً لا يتغير ولكن يتغير تعلق علمه فإن العلم صفة كاشفة يظهر فيها كل ما في نفس الأمر فعلم الله في الأزل أن العالم سيوجد فإذا وجد علمه موجوداً بذلك العلم وإذا عدم علمه<sup>(٢)</sup> معدوماً كذلك المرأة المصقولة الصافية يظهر فيها صورة زيد إن قابلها ثم إذا قابلها عمرو يظهر فيها صورته والمرأة لم تتغير في ذاتها ولا تبدلت في صفاتها وإنما التغيير في الخارجات فكذلك ههنا<sup>(٣)</sup>.

قوله: «إِلَّا لِنَتَلَّمَّ» أي ليقع في العلم صُدُور الكفر من الكافر، والإيمان من المؤمن وكان علمه فيه أن سَيَكْفُرُ زَيْدٌ وَيُؤْمِنُ عَمْرُو<sup>(٤)</sup> قال البغوي: المعنى<sup>(٥)</sup> إلا ليميز المؤمن من الكافر وأراد علم الوقوع والظهور وقد كان معلوماً عنده بالغيب<sup>(٦)</sup>. وقوله: «وَرَبُّكَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ» محقق، ذلك أن الله تعالى قادر على منع إبليس منهم عالم بما سيقع فالحفظ يدخل في مفهومه العلم والقدرة إذ الجاهل بالشيء لا يمكنه حفظه ولا الجاهل<sup>(٧)</sup>.

قوله: «قُلْ اذْعُرُوا الدِّينَ زَعَمْتُمْ» مفعول «زعمتم» الأول محذوف هو عائد الموصول، والثاني أيضاً محذوف قامت صفته مقامه أي زَعَمْتُمُوهُمْ شُرَكَاءَ من دون الله ولا جائز أن يكون: «مِنْ دُونِ اللَّهِ» هو المفعول الثاني؛ إذ لا ينعقد منه مع ما قبله كَلَامٌ لو قلت: هُمْ من دون الله أي من غير نية موصوف لم يجز ولولا قيام الوصف مقامه أيضاً لم يحذف لأنَّ حَذْفَهُ اختصاراً<sup>(٨)</sup> قليلٌ على أن بعضهم منعه<sup>(٩)</sup>.

(١) الدر المصون ٤/٤٣٣ وانظر المرجع السابق.

(٢) في تفسيره «يعلمه». (٣) نقله في تفسيره «التفسير الكبير» ٢٥٣/٢٥ و ٢٥٤.

(٤) المرجع السابق. (٥) قاله في معالم التنزيل ٥/٢٩٠.

(٦) المرجع السابق.

(٧) في الفخر الرازي: «ولا العاجز» وهو الأصح انظر: الرازي ٢٥٤/٢٥.

(٨) قال بذلك شهاب الدين السمين في الدر المصون ٤/٤٣٤ و ٤٣٣.

(٩) قال في البحر: في حذف أحد مفعولي: «ظن وأخواتها» اختصاراً خلاف منع ذلك ابن مَلَكُونٍ وأجازه الجمهور وهو مع ذلك قليل. والحذف لدليل يسمى اختصاراً لغيره يسمى اقتصاراً. وقال السيوطي في الهمع ١/١٥٢: وأما حذف أحد المفعولين اقتصاراً فلا يجوز بلا خلاف لأن أصلهما المبتدأ والخبر وذلك غير جائز فيهما وأما اختصاراً فيجوز نقله عن الجمهور ومنعه طائفة منهم ابن الحاجب وصححه ابن عصفور وأبو إسحاق ابن ملكون كالاقتصار وقياساً على باب «كان» وقد ورد السماع هنا بالحذف قال:

## فصل

لما بين الله تعالى حال الشاكرين وحال الكافرين وذكرهم بما مضى عاد إلى خطابهم فقال لرسوله عليه (الصلاة<sup>(١)</sup>) (و) السلام: قُلْ لِلْمُشْرِكِينَ «اذْعُوا الَّذِينَ رَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ». وفي الكلام حذف أي ادعوهم ليكشفوا<sup>(٢)</sup> الضر الذي نزل بكم في سنين<sup>(٣)</sup> الجوع ثم وصفها فقال: «لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ» من خير وشر ونفع وضر «وَمَا لَهُمْ» أي الآلهة فيهما أي السموات والأرض «مِنْ شِرْكِكُمْ» أي شركة «وَمَا لَهُ» أي وما لله «مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ» عَوْنٍ<sup>(٤)</sup>.

قوله: «وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ» اللام في «لمن» فيها أوجه:

أحدها: أن اللام متعلقة بنفس الشفاعة قال أبو البقاء<sup>(٥)</sup>: وفيه نظر وهو أنه يلزم أحد أمرين إما زيادة اللام في المفعول في غير موضعها وإما حذف مفعول «تنفع» وكلاهما خلاف الأصل<sup>(٦)</sup>.

الثاني: أنه استثناء مفرغ من مفعول الشفاعة المقدر أي لا تنفع الشفاعة لأحدٍ إلا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ثم المستثنى منه المقدر يجوز أن يكون هو المشفوع له وهو الظاهر والشافع ليس مذكوراً إنما دل عليه الفحوى والتقدير:

لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ لِأَحَدٍ مِنَ الْمَشْفُوعِ لَهُمْ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ تَعَالَى لِلشَّافِعِينَ أَنْ يَشْفَعُوا فِيهِ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ هُوَ الشَّافِعُ وَالْمَشْفُوعُ لَهُ لَيْسَ مَذْكُوراً تَقْدِيرُهُ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةَ إِلَّا لِشَّافِعٍ أَذِنَ لَهُ أَنْ يَشْفَعَ وَعَلَى هَذَا فَالْلامُ فِي «لَهُ» لامُ التَّبْلِيغِ<sup>(٧)</sup> لَا لامُ الْعِلَّةِ<sup>(٨)</sup>.

الثالث: أنه استثناء مفرغ أيضاً لكن من الأحوال العامة تقديره لا تنفع الشفاعة إلا

(١) سقط من «ب».

(٢) قاله البخوي في معالم التنزيل ٢٩٠/٥.

(٣) قاله أبو عبيدة في المجاز ١٤٧/٢ قال: «مِنْ ظَهِيرٍ» أي معين.

(٤) التبيان لأبي البقاء العكبري ١٠٦٨.

(٥) قال بهذا النظر أبو حيان في بحره حيث قال: وهذا فيه قلة لأن المفعول متأخر فدخول اللام عليه قليل. وتبعه شهاب الدين السمين في: «دره المصون» ٤٣٤/٤. ومعروف أن اللام تزداد في المفعول إذا كان مقدماً كقوله تعالى: «إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ» وكقوله: «وَالَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَزْهَبُونَ» أما السبب الثاني الذي ذكره وهو حذف مفعول: «تنفع» فهو غير معتد به فقد يجوز حذف المفعول به ما لم يكن نائباً عن الفاعل أو متعجباً منه، أو مجاباً به أو محصوراً أو محذوف العامل. وهكذا. انظر: مغني اللبيب ٢١٧، والبحر ٢٧٦/٧ والهمع ١/١٦٦ و ١٦٧.

(٧) هي الجارة وهي لاسم السامع للقول أو ما معناه نحو: قلت له، وأذنت له، وقسرت له: «مغني اللبيب» ٢١٣.

(٨) قاله في الدر المصون ٤٣٤/٤.

كائنة لمن أذن له<sup>(١)</sup>. وقدره الزمخشري فقال: تقول الشفاعة لزيد على معنى أنه الشافع كما تقول: الكرم لزيد على معنى أنه المشفوع له كما تقول: القيام لزيد فاحتمل قوله: «وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا لِمَنْ أذِنَ لَهُ» أن يكون على أحد هَذَيْنِ الرَّوْجَيْنِ أي لا تنفع الشفاعة إلا كائنة لمن أذن له من الشافعين ومطلقة له أو لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا كائنة لمن أذن له أي لشفيعه أو هي اللام الثانية في قولك: «أَذِنَ زَيْدٌ لِعَمْرٍو» أي لأجله فكأنه قيل: إلا لمن وقع الإذن للشفيع لأجله وهذا وجه لطيف وهو الوجه. انتهى<sup>(٢)</sup>. فقوله: «الكرم لزيد» يعني أنها ليست<sup>(٣)</sup> لام العلة بل لام الاختصاص<sup>(٤)</sup>. وقوله: القيام لزيد يعني أنها لام العلة<sup>(٥)</sup> كما هي في: «القيام لزيد» وقوله: «أَذِنَ زَيْدٌ لِعَمْرٍو» أن الأولى للتبليغ والثانية لام العلة، وقرأ الأخوان وأبو عمرو «أَذِنَ» مبنياً للمفعول والقائم مقام الفاعل الجار والمجرور والباقون مبنياً للفاعل أي أذن الله وهو المراد في القراءة الأخرى وقد صرح به في قوله: ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النجم: ٢٦] و «إِلَّا لِمَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ»<sup>(٦)</sup>.

### فصل

معنى الآية إلا لِمَنْ أذِنَ اللَّهُ له في الشفاعة قاله تكذيباً لهم حيث قالوا: هؤلاء شفعاؤنا عند الله ويجوز أن يكون المعنى إلا لمن أذن الله في أن يَشْفَعَ لَهُ<sup>(٧)</sup>.

قوله: «حَتَّى إِذَا» هذه غاية لا بد لها من مَعْنَى وفيه أوجه:

أحدها: أن قوله: «فَاتَّبَعُوهُ» على أن يكون الضمير في «عَلَيْهِمْ» من قوله: «صَدَقَ عَلَيْهِمْ» وفي «قُلُوبِهِمْ» عائداً على جميع الكفار ويكون التفريغ حالة مفارقة الحياة أو يجعل اتباعهم إياه مفارقة<sup>(٨)</sup> إلى يوم القيامة مجازاً. والجملة من قوله «قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ معترضة بين الغاية والمغيا. ذكره أبو حيان. وهو حسن<sup>(٩)</sup>.

والثاني: أنه محذوف قاله ابن عطية كأنه قيل: ولا هم شفاء كما تُحِبُّون أنتم بل هم عبدة أو مسلمون أي منقادون «حَتَّى إِذَا فُزِعَ عَنِ قُلُوبِهِمْ» انتهى<sup>(١٠)</sup>. وجعل الضمير في

(١) المرجع السابق. (٢) نقله في الكشاف ٢/٢٨٧.

(٣) قاله في الكشاف المرجع السابق ٣/٢٨٧.

(٤) وهي التي تفيد أن ما قبلها خاص بما بعدها كقولهم: السُّرْحُ لِلْفَرَسِ.

(٥) وهي التي تقدر بمعنى لأجل أي ثبوت ما قبلها لأجل ما بعدها. وانظر: البحر المحيط ٧/٢٧٧ والدر المصون ٤/٤٣٥.

(٦) الآية ١٠٩ من سورة طه و ٣٨ من سورة النبأ.

(٧) قاله البغوي في معالم التنزيل ٥/٢٩٠.

(٨) في البحر المحيط: «مصاحبة لهم».

(٩) وهذا معنى كلام أبي حيان في البحر ٧/٢٧٧.

(١٠) المرجع السابق.

«قُلُوبِهِمْ» عائداً على الملائكة وقد رد ذلك وضعف قول من جعله عائداً على الكفار أو على جميع العالم.

وقوله: «قَالُوا مَاذَا» هو جواب «إذا»، وقوله: «قَالُوا الْحَقَّ» جواب لقوله: «مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ»<sup>(١)</sup> و «الْحَقَّ» منصوب بقال مُضَمَّرَةٌ أي قالوا: قَالَ رَبُّنَا الْحَقَّ أَي الْقَوْلَ الْحَقَّ<sup>(٢)</sup>، إلا أن أبا حيان رد هذا فقال: وما قدره ابن عطية لا يصح لأن ما بعد الغاية مخالف لما قبلها (و)<sup>(٣)</sup> هم منقادون عنده دائماً لا يتفكون عن ذلك لا إذا فُرِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ولا إذا لم يُفَرِّعْ<sup>(٤)</sup>.

الثالث: أنه «رَعَمْتُمْ» أي زعمتم الكفر في غاية التفرغ ثم تركتم ما زعمتم وقلتم: قال الحق وعلى هذا يكون في الكلام التفات من خطاب في قوله: «رَعَمْتُمْ» إلى الغيبة في قوله: «قُلُوبِهِمْ»<sup>(٥)</sup>.

الرابع: أنه ما فهم من سياق الكلام<sup>(٦)</sup>، قال الزمخشري: فَإِن قُلْتَ<sup>(٧)</sup>: بأي شيء اتصل قوله: «حَتَّى إِذَا فُرِّعَ؟» ولأي شيء وَقَعَتْ «حَتَّى» غاية؟ قلت: بما فهم من هذا الكلام من أن تَمَّ انتظاراً للأذن وتوقفاً وتمهلاً وفرعاً من الراجين الشفاعة والشفعاء هل يؤذن لهم أو لا يؤذن؟ وأنه لا يطلق الإذن إلا بعد ملي من الزمان وطول من التريُّص ودل على هذه الحالة قوله - عز من قائل - ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النبا: ٣٧] إلى قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَدْنَى لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبا: ٣٨] فكانه قيل: يتربصون ويتوقفون ملياً فرعين وجِلين<sup>(٨)</sup> حتى إذا فُرِّعَ عن قلوبهم أي كشف الفرع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة في إطلاق الإذن تَبَاشَرُوا بذلك وقال بعضهم لبعض: ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو الإذن بالشفاعة لمن ارتضى وقرأ ابن عامر فُرِّعَ مَبْنِيًّا لِلْفَاعِلِ<sup>(٩)</sup>. فإن كان الضمير في «قُلُوبِهِمْ» للملائكة فالفاعل في «فرع» ضمير اسم الله تعالى لتقدم ذكره وإن كان للكفار فالفاعل ضمير مُثَوِّبِهِمْ. كذا قال أبو حيان<sup>(١٠)</sup>. والظاهر أنه يعود على الله

(١) الدر المصون ٤/٤٣٥.

(٢) المرجع السابق وقد قال ابن الأنباري في البيان «ما» في موضع نصب بـ «قال» و «ذَا» زائدة وكذلك ينصب الجواب بـ «قال» وهو قوله تعالى: ﴿قَالُوا الْحَقَّ﴾ انظر: البيان ٢/٢٨٠.

(٣) تكلمة من البحر من كلام أبي حيان فيه.

(٤) البحر المحيط ٧/٢٧٨. (٥) المرجع السابق وانظره أيضاً في السمين ٤/٤٣٥.

(٦) السابق.

(٧) مع تغيير قليل في عبارته. انظره في الكشاف ٣/٢٨٧ و٢٨٨.

(٨) كذا في «ب» وما في «أ» والكشاف «وهلين».

(٩) قاله ابن الجزري في النشر ٢/٣٥١ والزمخشري في الكشاف ٣/٢٨٨ وأبو حيان في البحر ٧/٢٧٨ والبناء في الإتحاف ٣٥٩ وهي عشرية.

(١٠) البحر ٧/٢٧٨.

مطلقاً وقرأ الباقون مبنياً للمفعول<sup>(١)</sup> والقائم مقام الفاعل الجار بعده<sup>(٢)</sup>، وفعل بالتشديد معناه السلب هنا نحوه «قَرَدْتُ البَعِيرَ» أي أزلت قَرَادَهُ كذا هنا أي أزال الفَرْعَ عنها أي كشف الفَرْعَ وأخرجه عن قلوبهم فالتفريع لإزالة الفرع كالتثريض والتثريد<sup>(٣)</sup>.

وقرأ الحَسَنُ فَرْعٌ مبنياً للمفعول مخففاً<sup>(٤)</sup> كقولك «ذُهِبَ<sup>(٥)</sup> بِرَيْدٍ<sup>(٦)</sup>»، والحسن أيضاً وقتادة ومجاهد فَرَّعَ مشدداً مبنياً للفاعل<sup>(٧)</sup> من الفَرَاغِ وعن الحسن أيضاً تخفيف الراء، وعنه<sup>(٨)</sup> أيضاً وعن ابنِ عُمَرَ وقتادة مبنياً للمفعول<sup>(٩)</sup> والفراغ الفَنَاءُ والمعنى حتى إذا أفنى الله الرجل أو انتفى بنفسه أو نفى الوجل والخوف عن قلوبهم فلما بني للمفعول قام الجار مقامه وقرأ ابنُ مسعود وابنُ عمر أفرُنِقِعَ من<sup>(١٠)</sup> الأفرنقاع<sup>(١١)</sup> وهو التفرق قال الزمخشري: والكلمة مركبة من حروف المفارقة مع زيادة العين كما ركب «اقمطراً» من حروف القمط مع زيادة الراء<sup>(١٢)</sup>، قال أبو حيان: فإن عنى أن العين من حروف الزيادة (وكذا الراء وهو<sup>(١٣)</sup>) ظاهر كلامه فليس بصحيح لأن العين والراء ليسا من حروف الزيادة وإن عنى أن الكلمة فيها حروف ما ذكر وزاد إلى ذلك العين والراء والمادة «فَرَقَعَ وَقَمَطَرَ» فهو صحيح انتهى<sup>(١٤)</sup>، وهذه قراءة مخالفة للشواذ ومع ذلك هي لفظة غريبة ثقيلة اللفظ نص أهل البيان عليها<sup>(١٥)</sup> ومثلوا بها وحكي عن عيسى<sup>(١٦)</sup> بن عمر أنه غُشِيَ عليه ذات يوم فاجتمع عليه النُّظَّارة فلما أفاق قال: «ما لي أَرَاكُمْ تَكَاكُأْتُمْ عَلَيَّ تَكَاكُؤُكُمْ عَلَيَّ ذِي جِنَّةٍ أفرُنِقِعُوا عَنِّي» أي اجتمعتم علي اجتماعكم على المجنون تفرقوا عني فعابها الناس عليه حيث استعمل مثل هذه الألفاظ الثقيلة المستغربة، وقرأ ابن أبي عبله بالرفع الحق على أنه خير مبتدأ مضمرة أي قالوا: قَوْلُهُ الحَقُّ<sup>(١٧)</sup>.

(١) قالها الفراء في معاني القرآن ٣٦١/٢ كما ذكرت في التبيان ١٠٦٨ والكشف ٢/٢٠٥.

(٢) التبيان ١٠٦٨ (٣) الدر المصون ٤/٤٣٦ والبحر ٧/٢٧٨.

(٤) في «ب» محققاً - بالقاف - وهو خطأ وتحريف.

(٥) في «ب»: «وَلَهْتُ بِرَيْدٍ». وهو غير مراد حيث لم بين الفعل فيه للمجهول.

(٦) نقلها في الجامع لأحكام القرآن ١٤/٢٩٨ والكشاف ٣/٢٨٨ والمحتسب ٢/١٩١ وهي غير متواترة.

(٧) المراجع السابقة وانظر الإنخاف ٣٦٠ وهي من الأربع عشرة.

(٨) معطوف على: «وعن الحسن».

(٩) انظر: البحر ٧/٢٧٩ و٢٨٠ وتأويل المشكل ٢٠٨ والقرطبي ١٤/٢٩٨ و٢٩٩.

(١٠) من القراءات الشاذة شذوذاً واضحاً لمخالفتها مصحف الأقطار وذكرها ابن جني في المحتسب ونعتها بالشذوذ. المحتسب ٢/١٩٣ وذكرها الزمخشري في الكشاف ٣/٢٨٨ وابن خالويه في مختصره ١٢٢.

(١١) وهو التحول والتثني والانكشاف. (١٢) الكشاف ٣/٢٨٨.

(١٣) ما بين القوسين ساقط من «ب». (١٤) البحر المحيط ٧/٢٧٨.

(١٥) الإيضاح للقرظيني (٣). (١٦) قال ابن جني في المحتسب إنه أبو علقمة النحوي.

(١٧) قالها الزمخشري في الكشاف ٣/٢٨٨ بدون نسبة. وقال الفراء في المعاني: «ولو قرئ الحق بالرفع =

## فصل

اختلفوا في الموصوفين بهذه الصفة فقيل: هم الملائكة<sup>(١)</sup>، ثم اختلفوا في ذلك السبب فقال بعضهم إنَّما يفرغ عن قلوبهم من غشية تصيبهم عند سماع كلام الله - عز وجل - لِمَا روى أبو هريرة أن نبي الله - ﷺ - قال «إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتْ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا»<sup>(٢)</sup> لِقَوْلِهِ كَأَنَّهُ سِلْسَلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ<sup>(٣)</sup> فإذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم؟ قالوا الحق وهو العلي الكبير<sup>(٤)</sup>. وقال - عليه (الصلاة<sup>(٥)</sup>) والسلام - : إذا أراد الله أن يُوحِيَ بِالْأَمْرِ تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ أَخَذَتِ السَّمَوَاتُ مِنْهُ رَجْفَةً أَوْ قَالَ رَعْدَةً شَدِيدَةً خَوْفًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فَإِذَا سَمِعَ بِذَلِكَ أَهْلَ السَّمَوَاتِ ضَعُفُوا وَخَرُّوا لِلَّهِ سُجْدًا فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جَبْرِيْلُ فَيُكَلِّمُهُ مِنْ وَجْهِهِ بِمَا أَرَادَ ثُمَّ يَمُرُّ جَبْرِيْلُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ كُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ سَأَلَهُ مَلَائِكَتُهَا مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جَبْرِيْلُ؟ فَيَقُولُ جَبْرِيْلُ الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيْرُ قَالَ: فَيَقُولُونَ كُلُّهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ جَبْرِيْلُ. فَيَنْتَهِي جَبْرِيْلُ بِالْوَحْيِ حَيْثُ أَمَرَهُ اللَّهُ<sup>(٦)</sup>. وقيل: إنَّما يفرغون حذرًا من قيام الساعة<sup>(٧)</sup>. قال مقاتل والسدي: كانت الفترة بين عيسى ومحمد - عليهما (الصلاة<sup>(٨)</sup>) والسلام - خمسمائة سنة. وقيل: ستمائة سنة<sup>(٩)</sup> لم تسمع الملائكة فيها وحيًا فلما بعث الله محمدًا - ﷺ - كلَّم جبريل - عليه (الصلاة) والسلام - بالرسالة إلى محمد - ﷺ - فلما سمعت الملائكة ظنوا أنها الساعة لأنَّ محمدًا - عليه (الصلاة) والسلام - عند أهل السموات من أشراط الساعة فصعقوا مما سمعوا خوفًا من قيام الساعة فلما انحدر جبريل جعل يمرُّ بأهل كل سماء فيكشف عنهم فيرفعون رؤوسهم ويقول بعضهم لبعض: ماذا قال ربكم؟ قالوا الحق وهو العلي الكبير وقيل: الموصوف بذلك المشركون. قال الحسن<sup>(١٠)</sup> وابن زيد: حتى إذا كشف الفزع عن قلوب المشركين عند نزول الموت إقامةً للحجة عليهم قالت لهم الملائكة: ماذا قال ربكم في الدنيا؟ قالوا الحق وهو العلي الكبير فأقروا به حين لم ينفعهم الإقرار.

= أي هو الحق كان صواباً. المعاني ٢/ ٣٦٢. وقال الأخفش في «المعاني» نفس المعنى: «إن شئت رفعت الحق وإن شئت نصبته» المعاني له ٢/ ٦٦٢، وانظر: البحر ٧/ ٢٧٩.

(١) نقله في زاد المسير ٦/ ٤٥٢. (٢) تواضعاً وانقياداً لحكمه.

(٣) حجر أمّلس.

(٤) رواه البخاري في صحيحه ورواه السيوطي في جامع الأحاديث ١/ ٣٢٦ و ٣٢٧.

(٥) سقط من «أ».

(٦) أخرجه البغوي في معالم التنزيل عن النّوَّاس بن سمعان ٥/ ٢٩٠ و ٢٩١.

(٧) نقله القرطبي في الجامع ١٤/ ٢٩٧ والبغوي في معالم التنزيل ٥/ ٢٩١.

(٨) سقط من «أ». (٩) وهو قول الكلبي وكعب أيضاً، القرطبي ١٤/ ٢٩٧.

(١٠) معالم التنزيل ٥/ ٢٩١ والقرطبي ١٤/ ٢٩٧.

قوله: «وهو العلي الكبير» فقوله: «الحق» إشارة إلى أنه كامل وقوله: «وهو العلي الكبير» إشارة إلى أنه فوق الكاملين في ذاته وصفاته.

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُلْ لَا تُشْكِرُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا تُشْكِرُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ ادَّعَوْنَ إِلَهُكَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَكْفَرًا مِنْكَ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ يَسْتَأْذِنُونَ مِنْكَ وَإِن يُدْعُوا بِالنَّاصِرِ أَطِيعُوهُ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَحْشِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَغْنُونَ ﴿٣٠﴾﴾

قوله (تعالى)<sup>(١)</sup>: «مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ الْمَطْرُ «و» مِنْ «الْأَرْضِ» النَّبَاتِ «قُلِ اللَّهُ» يعني إن لم يقولوا رازقتنا الله فقل أنت إن رازقكم الله.

قوله: «أو إياكم» عطف على اسم «إن» وفي الخبر أوجه:  
أحدها: أن الملفوظ به الأول<sup>(٢)</sup>. وحذف خبر الثاني للدلالة عليه أي وإنا لعلَى هُدًى أو في ضلال أو إنكم لعلَى هدى أو في ضلال.

والثاني: العكس أي حذف الأول والملفوظ به خبر الثاني<sup>(٣)</sup>. وهو خلاف مشهور وتقدم تحقيقه عند قوله: «فَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ»<sup>(٤)</sup>. وهذان الوجهان لا ينبغي أي يحملا على ظاهرهما قطعاً لأن النبي - ﷺ - لم يشك أنه على هدى ويقين وأن الكفار على ضلال وإنما هذا الكلام جارٍ على ما تتخاطب به العرب من استعمال الإنصاف في محاوراتهم على سبيل الفرض والتقدير<sup>(٥)</sup> ويسميه أهل البيان الاستدراج وهو أن يذكر المخاطب أمراً يسلمه وإن كان بخلاف ما يذكر حتى يُضغِي إلى ما يليق به إذ لو بدأ بما يكره لم يُضغ، ونظيره قولهم: أَخْرَى اللَّهُ الْكَاذِبَ مِنِّي وَمِنْكَ<sup>(٦)</sup> ومثله قول الآخر:

(١) سقط من «أ».

(٢) أي خبر الأول وقد نقله أبو البقاء في التبيان ١٠٦٨ وابن الأنباري في البيان ٢٨٠/٢ ومكي في المشكل ٢٠٩/٢ وقال النحاس: «يكون «لَعَلَىٰ هُدًى» للأول لا غير لو قلت: أو أنتم فإذا قلت: أو إياكم كان للثاني أولى وحذفت من الأول ويجوز أن يكون للأول وهو اختيار أبي العباس».

(٣) المراجع السابقة.

(٤) من الآية ٦٢ من التوبة وذكر هناك أقوالاً منها حذف الخبر من الأول لدلالة الثاني عليه أي خبر الثاني وهذا قول سيبويه والعكس وهو قول المبرد وذكر تقديماً وتأخيراً والتقدير «والله أحق أن يرضوه ورسوله». ونحن نرجح رأي أبي البقاء ومكي وأبي جعفر النحاس من اختيار الخبر للثاني.

(٥) هذا كلام السمين في الدر ٤٣٧/٤.

(٦) أي أخزى الله الكاذب مني ومنك وكقولهم: «هُوَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ» أي هو بيننا. ذكره سيبويه في الكتاب ٤٠٢/٢.

٤١٣١ - فَأَيُّ مَأْ وَأَيْكَ كَانَ شَرًّا فَقِيدَ إِلَى الْمُقَامَةِ لَا يَرَاهَا<sup>(١)</sup>  
وقول حسان - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - :

٤١٣٢ - أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكَفءٍ فَتَرْكُمَا لِخَيْرِكُمَا الْفِدَاءُ<sup>(٢)</sup>  
مع العلم لكل أحد أنه - ﷺ - خير خلق الله كلهم .

الثالث: أنه من باب اللف والنشر والتقدير: وَإِنَّا لَعَلَى هَدَى وَإِنكُمْ لَنفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ  
ولكن لَفُ الْكَلَامَيْنِ وأخرجهما كذلك لعدم اللبس<sup>(٣)</sup>، وهذا لا يتأتى إلا أن تكون «أو»  
بمعنى الواو. وهي مسألة خلاف<sup>(٤)</sup> ومن مجيء «أو» بمعنى الواو قوله:

٤١٣٣ - قَوْمٌ إِذَا سَمِعُوا الصَّرِيخَ رَأَيْتَهُمْ مَا بَيْنَ مُلْجِمٍ مُهْرِهِ أَوْ سَافِعٍ<sup>(٥)</sup>  
وتقدم تقرير هذا<sup>(٦)</sup>، وهذا الذي ذكرناه منقول عن أبي عبيدة<sup>(٧)</sup>.

(١) البيت من الوافر وهو للعباس بن مرداس، والمقامة: من غير الثلاثي المجلس وجماعة الناس ويروى  
«فَيَقِيْقٌ» بدل «فَقِيدٌ». وكلا الفعلين مبني للمجهول ثلاثياً، وجيء بالبيت على معنى أينما يستحق العمى  
ويقَاد إلى المجلس وهو لا يشك أن المخاطب يستحق ذلك ولكن على الاستدراج حتى يُضَعَى  
المخاطب إلى ما يليقه إليه ولأن هذا قصده أفرد «أي» والمشهور إضافتها إليهما معاً. وقد تقدم.

(٢) هو له من بحر الطويل من قصيدة يخاطب أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ويهجو، ويروى:  
«بَدَلْ كَفءٍ وَ «شَرٌّ» وَ «خَيْرٌ» اسماً تفضيل على غير بابهما والأصل: «أَخِيرٌ وَأَشْرَرٌ» وجيء بالبيت  
كسابقه شاهداً على الاستدراج فلم يشك أحد أن المصطفى - ﷺ - خير خلق الله كلهم وقد تقدم.

(٣) قاله في الدرر المصنوع ٤/٤٣٩ واللف والنشر منه ما هو مرتب ومنه ما هو غير مرتب والنوع الثاني غير  
المراد هنا واللف والنشر: ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الإجمال ثم ذكر ما لكل وأحد من غير  
تعيين تركاً للسامع. قاله في بغية الإيضاح ٤/٣٤.

(٤) مسألة مجيء «أو» بمعنى الواو تكلم فيها كثيراً وقد قال عنها ابن هشام في المغني: وقيل: إن «أو»  
بمعنى الواو ويؤيده قول المفسرين: أنها نزلت في رجل أنصاري طلق امرأته قبل التمسيس وقيل  
الفرض. وقال السيوطي في الهمع عن هذه الآية التي معنا: «أو» بمعنى الإبهام على السامع. انظر:  
المغني ٦٦، والهمع ٢/١٣٤. ونقل ابن جنبي في الخصائص أن «أو» من الإمكان أن تأتي بمعنى الواو  
أحياناً مقررراً أنه ليس في كل المواضع أن يكون الحرف بدل الحرف قال وذهب قطرب إلى أن «أو» قد  
تكون بمعنى الواو وأنشد بيت النابغة:

إِلَى حَمَامَتِنَا أَوْ نَضْفَةً فَسَقِدَ

فقال معناه: ونصفه ولعمري إن كذا معناه وكيف لا يكون كذلك ولا بد منه وقد كثرت فيه الرواية أيضاً  
و «نصفه» ثم يقول: لكن هناك مذهب يمكن معه أن يبقى الحرف على أصل وضعه من كون الشك  
فيه. ويقول: فقول الله سبحانه ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ فلا يكون فيه «أو» على مذهب  
الفراء بمعنى بل ولا على مذهب قطرب في أنها بمعنى الواو. انظر: الخصائص ٢/٢٦٠ و ٤٦١.

(٥) روي: «من» بدل «ما» و «مُسْرَجٌ» بدل «سافِعٌ» وهو لحميد بن ثور من الكامل ونسبه الزمخشري إلى  
عمرو بن معد يكرب. وقد تقدم.

(٦) عند قول الله: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من الآية ١٩ البقرة.

(٧) قاله في المجاز ٢/١٤٨ قال: «مجازة: إنا لعللى هدى وإياكم إنكم في ضلال مبين لأن العرب تضع  
«أو» في موضع واو المبالاة».

الرابع: قال أبو حيان: و «أو» هنا على موضوعها لكونها لأحد الشئيين وخبر «إنَّأُ أَوْ إِيَّاكُمْ» هو «لَعَلَى هُدَى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» ولا يحتاج إلى تقدير حذف إذ المعنى إن أحدنا لفي أحد هذين لقولك: «زَيْدٌ أَوْ عمرو في القصر أو في المسجد» لا يحتاج إلى تقدير حذف إذ معناه أحد هذين في أحد هذين<sup>(١)</sup>.

وقيل: الخبر محذوف ثم ذكر ما تقدم إلى آخره<sup>(٢)</sup>، وهذا الذي ذكره تفسير معنى لا تفسير إعراب. (والناس)<sup>(٣)</sup> نظروا إلى تفسير الإعراب فاحتاجوا إلى ما ذكرناه<sup>(٤)</sup>. وذكروا في الهدى كلمة «على» وفي الضلال كلمة «في» لأن المهتدي كأنه مرتفع مطلع فذكره بكلمة «التعالي» والضال منغمس في الظلمة غريق فيها فذكره بكلمة «في»<sup>(٥)</sup>.

قوله: «قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أُجْرَمْنَا» أضاف الإجماع إلى النفس وقال في حقهم: «وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ» ذكر بلفظ العمل لثلا يحصل الإغصاب<sup>(٦)</sup> المانع من الفهم. قوله: «قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا» يَوْمَ الْقِيَامَةِ «ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَاتِحُ الْعَلِيمُ» وهاتان صفتا مبالغة وقرأ عيسى بن عمر «الْفَاتِحُ» اسم<sup>(٧)</sup> فاعل. قوله: «أرؤني» فيها وجهان:

أحدهما: أنها علمية متعدية قبل النقل إلى اثنين فلما جيء بهمزة النقل تعدت لثلاثة أولها «ياء» المتكلم ثانيها «الموصول»، ثالثها: «شركاء» وعائد الموصول محذوف أي أَلْحَقْتُمُوهُمْ.

والثاني: أنها بصرية متعدية قبل النقل لواحد وبعده لاثنين أولهما: ياء المتكلم وثانيهما: الموصول و «شركاء» نصب على الحال من عائد الموصول أي بَصُرُونِي الْمُلْحَقِينَ به حال كونهم شركاء<sup>(٨)</sup>. قال ابن عطية في هذا الثاني «ولا غناء»<sup>(٩)</sup> له أي لا مَنفَعَةٌ فيه يعني أن معناه ضعيف<sup>(١٠)</sup>. قال أبو حيان: وقوله: «لا غناء له» ليس بجيد بل

(١) و (٢) نقلهما في بحره ٢٨٠/٧.

(٣) تصحيح من «ب» فما في «أ» والثاني وهو خطأ وتحريف.

(٤) قال بذلك السمين في رده على أبي حيان ٤/٤٤٠.

(٥) هذا كلام الفخر الرازي في التفسير الكبير ٢٥/٢٥٧، وفيه «التَّعَلَّى» لا التَّعَالَى.

(٦) الفخر الرازي المرجع السابق.

(٧) قراءة شاذة رواية وإن كانت جائزة قياساً ولغة وقد ذكرها ابن خالويه في المختصر ١٢٢.

(٨) هذا قول أبي حيان في البحر ٧/٢٨٠ والشهاب السمين في الدر ٤/٤٤٠ ومعنى كلام القرطبي في الجامع ١٤/٣٠٠ قال: «يكون أروني هنا من رؤية القلب فيكون «شركاء» المفعول الثالث أي عَرَفُونِي الْأَصْنَامَ التي جَعَلْتُمُوهَا شركاء لله عز وجل وهل شاركت في خلق شيء فبينوا ما هو؟ وإلا فلم تعبدونها؟ ويجوز أن تكون من رؤية البصر فيكون «شركاء» حالاً».

(٩) في «ب» ولا غنى قصر وكتلها صحيان. (١٠) بحر أبي حيان المرجع السابق.

في ذلك تبكيت لهم وتوبيخ ولا يريد حقيقة التنزيل<sup>(١)</sup> بل المعنى الذين هم شركاء لله على زعمكم هم ممن إن أريتموهم افترضتم لأنه خشب وحجر وغير ذلك<sup>(٢)</sup>.

### فصل

الضمير في «به» أي بالله أي أروني الذين ألحقتم بالله شركاء في العبادة معه هل يخلقون وهل يرزقون؟ كلاً لا يَخْلُقُونَ ولا يرزقون<sup>(٣)</sup>.

قوله: «بل هو الله» في هذا الضمير قولان:

أحدهما: أنه ضمير عائذ على الله تعالى أي ذلك الذي ألحقتم به شركاء هو الله، و «الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» صفتان.

والثاني: أنه ضمير الأمر والشأن و «اللَّهُ» مبتدأ، و «الْعَزِيزُ وَالْحَكِيمُ» خبران، والجملة.. خبر<sup>(٤)</sup> «هو» والعزیز هو الغالب على أمره، و (و) الحكيم في تدبيره لخلقه فأني يكون له شريك في ملكه؟

قوله: «كَافَّةً» فيه أوجه:

أحدها: أنه حال من كاف<sup>(٥)</sup> «أَرْسَلْنَاكَ» والمعنى إلا جامعاً للناس في الإبلاغ. والكافة بمعنى الجامع والهادي لله<sup>(٦)</sup> للمبالغة كهي في «عَلَامَةٌ» و «رَأْوِيَّة»<sup>(٧)</sup> قال الزجاج: وهذا بناء منه على أنه اسم فاعل من كَفَّ يَكْفُ<sup>(٨)</sup>، قال أبو حيان: أما قول الزجاج إن كافة بمعنى جامعاً، والهاء فيه للمبالغة فإن اللغة لا تساعد على ذلك لأن كف ليس معناه محفوظاً بمعنى «جَمَعَ». يعني أن المحفوظ معناه «مَنَعَ» يقال: كَفَّ يَكْفُ أي منع والمعنى إلا مانعاً لهم من الكفر وأن يشذروا من تبليغك، ومنه الكف لأنها تَمْنَعُ مَا فِيهِ<sup>(٩)</sup>.

(١) في البحر «الأمر» لا التنزيل.

(٢) البحر المرجع السابق.

(٣) القرطبي ٣٠٠/١٤.

(٤) هذا معنى عبارة الزمخشري في الكشاف ٢٩٠/٣ قال: «كانه قال أين الذين ألحقتم به شركاء من هذه الصفات وهو راجع إلى الله وحده أو ضمير الشأن».

(٥) قاله في المشكل ٢٠٩/٢ والبيان ٢٨٠/٢ والمعاني للفراء ٣٦٢/٢ والبيان ١٠٦٩.

(٦) القرطبي ٣٠٠/١٤ والبيان ٢٨٠/٢ والبيان ١٠٦٩.

(٧) المراجع السابقة.

(٨) هذا معنى كلامه في أعراب القرآن له قال: «معنى كافة الإحاطة في اللغة والمعنى أرسلناك للناس جامعاً في الإنذار والإبلاغ».

(٩) تكاد التفاسير تجمع على أن كافة بمعنى تمامه فقد قال بذلك ابن قتيبة في الغريب ٣٥٧، والزمخشري في الكشاف ٢٩٠/٣، وأبو عبيدة في مجاز القرآن ١٤٩/٢ والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٤/٣٠٠ وزاد المسير لابن الجوزي ٥٤٦/٦ والخازن والبغوي ٢٩١/٥ و٢٩٢ والفخر الرازي في تفسيره ٢٥٨/٢٥.

الثاني: أن كافة مصدر جاءت على الفَاعِلَةِ كَالْعَاقِبَةِ والعافية وعلى هذا وقوعها حالاً إما على المبالغة وإما على حذف مضاف أي ذَا كَافَّةٍ لِلنَّاسِ<sup>(١)</sup>.

الثالث: أن كافة صفة لمصدر محذوف تقديره: إِلا إِزْسَالَةَ كَافَّةً قَالَ الزمخشري: إِلاً إِزْسَالَةَ عَامَّةً لَهُمْ مَحِيطٌ بِهِمْ لِأَنَّهَا إِذَا شَمِلَتْهُمْ فَقَدْ كَفَتْهُمْ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا أَحَدٌ مِنْهُمْ<sup>(٢)</sup>. قَالَ أَبُو حِيَانَ: أَمَا كَافَةٌ بِمَعْنَى عَامَةٍ فَالْمَنْقُولُ عَنِ النُّحَوِيِّينَ أَنَّهَا لَا تَكُونُ إِلا حَالاً وَلَمْ يَتَصَرَّفْ فِيهَا بِغَيْرِ ذَلِكَ فَجَعَلَهَا صِفَةً لِمَصْدَرٍ مَحْذُوفٍ خُرُوجِ عَمَّا نَقَلُوا، وَلَا يَحْفَظُ أَيْضاً اسْتِعْمَالَهَا صِفَةً لِمَوْصُوفٍ مَحْذُوفٍ<sup>(٣)</sup>.

الرابع: أن «كافة» حال من «لِلنَّاسِ» أي لِلنَّاسِ كَافَةً إِلا أَنَّ هَذَا قَدْرُهُ الزمخشري فَقَالَ: «وَمَنْ جَعَلَهُ حَالاً مِنَ الْمَجْرُورِ مُتَقَدِّماً عَلَيْهِ فَقَدْ أَخْطَأَ لِأَنَّ تَقَدُّمَ حَالِ الْمَجْرُورِ عَلَيْهِ فِي الْإِحَالَةِ بِمَنْزِلَةِ تَقَدُّمِ الْمَجْرُورِ عَلَى الْجَارِ وَكَمْ تَرَى مِنْ يَرْتَكِبُ مِثْلَ هَذَا الْخَطَأِ ثُمَّ لَا يَقْنَعُ بِهِ حَتَّى يَضُمَّ إِلَيْهِ أَنْ يَجْعَلَ اللَّامَ بِمَعْنَى «إِلَى»؛ لِأَنَّهُ لَا يَسْتَوِي لَهُ الْخَطَأُ الْأَوَّلُ إِلا بِالْخَطَأِ الثَّانِي فَيَرْتَكِبُ<sup>(٤)</sup> الْخَطَأَيْنِ مَعاً<sup>(٥)</sup>. قَالَ أَبُو حِيَانَ: أَمَا قَوْلُهُ كَذَا<sup>(٦)</sup> فَهُوَ مُخْتَلَفٌ فِيهِ ذَهَبَ الْجُمْهُورُ إِلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ، وَذَهَبَ أَبُو عَلِيٍّ<sup>(٧)</sup> وَابْنُ كَيْسَانَ<sup>(٨)</sup> وَابْنُ بَرَهَانَ<sup>(٩)</sup> وَابْنُ مَلَكُونٍ<sup>(١٠)</sup> إِلَى جَوَازِهِ قَالَ: وَهُوَ الصَّحِيحُ<sup>(١١)</sup> قَالَ: وَمَنْ أَمْثَلَهُ أَبِي عَلِيٍّ: «زَيْدٌ خَيْرٌ مَّا يَكُونُ خَيْرٌ مِنْكَ» التَّقْدِيرُ: زَيْدٌ خَيْرٌ مِنْكَ خَيْرٌ مَّا يَكُونُ فَجَعَلَ «خَيْرٌ مَّا يَكُونُ» حَالاً مِنَ الْكَافِ فِي «مِنْكَ» وَقَدَّمَهَا عَلَيْهَا وَأَنْشَدَ:

٤١٣٤ - إِذَا الْمَرْءُ أَحْيَيْتُهُ الْمُرُوءَةَ نَاشِئاً فَمَطَّلَبُهَا كَهَلَا عَلَيْهِ شَدِيدٌ<sup>(١٢)</sup>

(١) البحر المحيط ٢٨١/٧. (٢) قاله في الكشاف ٢٩٠/٣.

(٣) قال ذلك في البحر المحيط ٢٨١/٧. (٤) في الكشاف: «فلا بد له من ارتكاب الخطأين».

(٥) انظر: الكشاف ٢٩٠/٣. (٦) قاله في البحر المحيط ٢٨١/٧.

(٧) هو الفارسي.

(٨) هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن كيسان كان يحفظ أقوال البصريين والكوفيين فقد أخذ عن ثعلب والمبرد له مصنفات في النحو منها المهذب، والمختار في علل النحو، مات سنة ٢٩٩ هـ انظر: إنباه الرواة ٥٧/٣ - ٥٩ ونزهة الألباء ١٦١.

(٩) أبو القاسم عبد الواحد بن علي العكبري نظر في النحو واشتهر فيه وله آراء منثورة في كتب النحو مات سنة ٤٥٦ هـ انظر: المرجع السابق إنباه الرواة ١١٣/٢ - ٢١٥ وانظر: بغية الوعاة للسيوطي ١٢٠/٢.

(١٠) ترجم له سابقاً.

(١١) قال السيوطي في الهمع: «فقد قال بالجواز مطلقاً الفارسي وابن كيسان وابن برهان وصححه ابن مالك». الهمع ٢٤١/١.

(١٢) من الطويل وهو للمخيل السعدي. وشاهده: «كهلاً عليه» حيث قدم الحال على صاحبها المحرور بحرف وهناك حال آخر وهو «ناشئاً» ولا شاهد فيه، انظر: الأشموني ١٧٨/٢ والدر المصون ٤٤٢/٤ والبحر المحيط ٢٨١/٧ وشرح رضي الدين علي كافية ابن الحاجب ٢٠٧/١ وفتح القدير برواية «السيدة» بدل «المروءة» ٣٢٧/٤ ومجمع البيان ٧٩١/٧ وعيون الأخبار لابن قتيبة ٢٤٧/١، وشرح ديوان الحماسة ١١٤٨.

أي فمطلبها عليه كهلاً، وأنشد أيضاً:

٤١٣٥ - تَسَلَيْتُ طُرّاً عَنْكُمْ بَعْدَ بَيْنِكُمْ بِذِكْرَاكُم حَتَّى كَأَنَّكُمْ عِنْدِي<sup>(١)</sup>

أي عَنْكُمْ طُرّاً، وقد جاء تقديم الحال على صاحبها المجرور على ما يتعلق به قال

الشاعر:

٤١٣٦ - مَشْغُوفَةٌ بِكَ قَدْ شَغَفْتُ وَإِنَّمَا حُمَّ الْفِرَاقُ فَمَا إِلَيْكَ سَبِيلُ<sup>(٢)</sup>

أي قد شغفت بك مشغوفة وقال الآخر:

٤١٣٧ - عَاقِلًا تَعْرِضُ الْمِنِيَّةُ لِلْمَرءِ فَيُدْعَى وَلَاتٌ حِينَ إِيَاءِ<sup>(٣)</sup>

أي تَعْرِضُ الْمِنِيَّةُ لِلْمَرءِ عَاقِلًا قال: وإذا جاز تقديمها<sup>(٤)</sup> على صاحبها وعلى العامل

فيه فتقديمها على صاحبها وحده أَجُوزٌ<sup>(٥)</sup> قال: وممن حملة<sup>(٦)</sup> على الحال ابن عطية فإنه

قال: قدمت للاهتمام والمنقول عن ابن عباس قوله إلى العرب وللعجم ولسائر الأمم

وتقديره إلى الناس كافة<sup>(٧)</sup>. وقول الزمخشري: لا يستوي له الخطأ الأول إلى آخره شنيع

لأن القائل بذلك لا يحتاج إلى جعل اللام بمعنى «إلى» لأن «أرسل» يتعدى باللام قال

تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ [النساء: ٧٩] وأرسل مما يتعدى باللام ويألى وأيضاً فقد

جاءت اللام بمعنى «إلى» و«إلى» بمعناها<sup>(٨)</sup>.

قال شهاب الدين: أما أرسلناك للناس فلا دلالة فيه لاحتمال أن تكون اللام لام

المجازية وأما كونها بمعنى «إلى» والعكس فالبصريون<sup>(٩)</sup> لا يَتَجَوَّزُونَ<sup>(١٠)</sup> في الحروف،

و«بشيراً» و«نذيراً» حالان أيضاً.

(١) من الطويل كسابقه ولكنه في تلك المرة مجهول وشاهده كسابقه أيضاً حيث تقدم الحال على صاحبها المجرور

بالحرف «طُرّاً عَنْكُمْ» ومعنى «طُرّاً»: جميعاً والبين الفراق. انظر: الأشموني على ابن مالك ١٧٧/٢، والدر

٤٤٢/٤، والبحر ٢٨١/٧ والتصريح ٣٧٩/١ وشرح ابن الناظم ١٢٩ وفتح القدير للشوكاني ٣٢٧/٤.

(٢) من تمام الكامل مجهول القائل وشغفه الحب شغافة وهو غلاف القلب ويجوز «شغفه» بالعين من شغفه أي

أحرقه وقيل: أمرضه وحُمَّ: قُدِّر. والفاء للتعليل و«ما» نفي. والشاهد: مشغوفة بك حيث وقع حالاً

مقدماً من المجرور وهو الكاف مجرور محلاً، وقدم الحال على «بك» وما تعلق به الجار وهو «شغفت»،

وانظر: الأشموني ١٧٧/٢ وشرح ابن الناظم ١٢٩ والبحر المحيط ٢٧١/٧ والدر المصون ٤٤٢/٤.

(٣) من الخفيف مجهول القائل وشاهده كما قبله «عَاقِلًا تَعْرِضُ الْمِنِيَّةُ لِلْمَرءِ» - حيث قدم الحال على

صاحبها المجرور «للمرء» وما تعلق به الجار وهو «تَعْرِضُ» و«ولات» بمعنى ليس واسمها محذوف

والخبر هو «حين إياء» أي وليس الحين حين إياء «أي امتناع» وقد تقدم.

(٤) البحر المرجع السابق. (٥) كذا هي في البحر وما في «ب» أجود.

(٦) و (٧) المرجع السابق. (٨) البحر المحيط مع تصرف ببعض كلماته.

(٩) كذا هي في الدر المصون ٤٤٣/٤.

(١٠) في (ب) لا يجوزون. وقد قال أبو البقاء في التبيان: «وذاك أن اللام على هذا تكون بمعنى إلى إذ

المعنى أرسلناك إلى الناس، ويجوز أن يكون التقدير: من أجل الناس» التبيان ١٠٦٩.

## فصل

لما بيّن مسألة التوحيد شرع في الرسالة فقال تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً» أي الرسالة كافة أي تكف الناس أنت من الكفر وتمنعهم عن الخروج عن الانقياد لها أو تكف الناس أنت عن الكفر والهاء للمبالغة على ما تقدم. و «لِلنَّاسِ» أي عامة أحمرهم وأسودهم «بَشِيرًا وَنَذِيرًا» أي مبشراً ومنذراً تحثهم بالوعد وتزجرهم بالوعيد «وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» ذلك لا لخفائه ولكن لغفلتهم قال - عليه (الصلاة<sup>(١)</sup>) والسلام - : «كَانَ النَّبِيُّ يَنْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَيُعَثُّ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً»<sup>(٢)</sup>.

قوله: «وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» يعني يوم القيامة لما ذكر الرسالة بين الحشر.

قوله: «لكم ميعاد» مبتدأ وخبر. والميعاد يجوز فيه أوجه:

أحدها: أنه مصدر مضاف لظرفه<sup>(٣)</sup> والميعاد يطلق على الوعد والوعيد. وقد تقدم أن الوعد في الخير، والوعيد في الشر غالباً.

الثاني: اسم أقيم<sup>(٤)</sup> مقام المصدّر والظاهر الأول، قال أبو عبيدة: الوعد والوعيد والميعاد بمعنى<sup>(٥)</sup>.

الثالث: أنه هنا ظرف زمان<sup>(٦)</sup>. (قال الزمخشري: الميعاد ظرف الوعد من مكان أو زمان وهو<sup>(٧)</sup> هنا ظرف زمان)، والدليل عليه (قراءة)<sup>(٨)</sup> من قرأ: ميعاداً يومٌ يعني برفعهما منونين فأبدل منه «اليوم»<sup>(٩)</sup> وأما الإضافة بإضافة تبين لقولك: سَخِقُ ثَوْبٌ، وبعيرٌ سَانِيَةٌ<sup>(١٠)</sup>، قال أبو حيان: ولا يتعين ما قال لاحتمال أن يكون التقدير: لكم ميعاد ميعاد يوم، فلما حذف المضاف أعرب المضاف إليه بإعرابه<sup>(١١)</sup>، قال شهاب الدين والزمخشري لو فعل مثل ذلك لسمع به<sup>(١٢)</sup>، وجوز الزمخشري في الرفع وجهاً آخر وهو الرفع على

(١) زيادة من (ب).

(٢) الحديث أورده البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما. البخاري ٧٠/١.

(٣) قاله العكبري في التبيان ١٠٦٩ ومكي في المشكل ٢١٠/٢ وقال ابن الأثيري في البيان ٢٨١/٢ «ميعاداً» مرفوع لأنه مبتدأ و «لكم» خبره والهاء في «عنه» عائدة على «الميعاد». وعلى هذا لو أضفت «يوم» إلى ما بعده فقلت: يوم لا تستأخرون عنه، لكان جائزاً.

(٤) قاله السمين في الدر ٤٤٤/٤. (٥) قاله في مجاز القرآن له ١٤٩/٢.

(٦) الكشف ٣/٢٩٠ والدر المصون ٤٤٤/٤. (٧) ما بين القوسين سقط من «ب».

(٨) سقط من «ب» أيضاً. (٩) انظر: الكشف ٣/٢٩٠ ولم ينسبها إلى قارىء معين.

(١٠) معنى بَعِيرٌ سَانِيَةٌ: بعيرٌ يَحْمِلُ أداة السقاء ليربي الزرع، ومعنى ثَوْبٌ سَخِقٌ أن الثوب خَلَقَ وَبَالَ، انظر: اللسان: «س ن أ» و «س ح ق».

(١١) انظر: البحر المحيط ٧/٢٨٢. (١٢) الدر المصون ٤٤٤/٤.

التعظيم يعني على إضمار مبتدأ وهو الذي يسمى القطع<sup>(١)</sup>، وسبأتي هذا قريباً، وقرأ ابن أبي عَبلَةَ واليزيدي ميعادَ يوماً بتنوين الأول ونصب «يوماً»<sup>(٢)</sup> منوئاً وفيه وجهان أحدهما: أنه منصوب على الظرف والعامل فيه مضاف مقدر تقديره: لكم إنجازٌ وَعَدِ في يومِ صِفَتُهُ كَيْتَ وَكَيْتَ.

الثاني: أن ينتصب بإضمار فعل. قال الزمخشري: وأما نصب «اليوم» فعلى التعظيم بإضمار فعل تقديره أعني يوماً، ويجوز أن يكون الرفع على هذا أعني التعظيم<sup>(٣)</sup>. وقرأ عيسى<sup>(٤)</sup> بتنوين الأول ونصب «يَوْمٌ» مضافاً للجُملة بعده<sup>(٥)</sup>. وفيه الوجهان المتقدمان النَّصْبُ على التعظيم أو الظَّرْفُ.

قوله: «لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ» يجوز في هذه الجملة أن تكون صفة «لميعادٍ» إن عاد الضمير في «عنه» عليه أو «ليَوْمٍ» إن عاد الضمير في «عنه» عليه فيجوز أن يحكم على موضعها بالرفع أو الجز وأما على قراءة عيسى فينبغي أن يعود الضمير في «عنه» على «ميعادٍ» لأنهم نَصُّوا على أن الظَّرْفَ إذا أُضِيفَ إلى جملة لم يَعدْ منها إليه ضمير<sup>(٦)</sup> إلا في ضرورة كقوله:

٤١٣٨ - مَضَّتْ سَنَةٌ لِعَامٍ وَلِذَلِكَ فِيهِ وَعَشْرٌ بَعْدَ ذَلِكَ وَحِجَّتَانِ<sup>(٧)</sup>

### فصل

تقدم الكلام في سورة الأعراف أن قوله: ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤] يوجب الإنذار لأن معناه عدم المهلة عن الأجل ولكن الاستقدام ما وجهه؟ وقد تقدم، ونذكر هنا أنهم لما طلبوا الاستعجال بين أنه لا استعجال فيه كما أنه لا إمهال وهذا يفيد عظم الأمر، وخطر الخطب؛ لأن الأمر الحقيق إذا طلبه طالب من غيره لا يؤخره ولا يؤقفه

(١) قال: «ويجوز أن يكون الرفع على هذا أعني التعظيم» انظر: الكشاف ٢٩٠/٣.

(٢) من القراءات الشواذ غير المتواترة قال بها ابن خالويه في المختصر ١٢٢ والفراء في معانيه ٣٦٢/٢ وابن الأنباري في البيان ٢٨١/٢.

(٣) الكشاف المرجع السابق.

(٤) المراد به عيسى البصري ابن عمر النَّقْفِي.

(٥) البحر ٧/٢٨٢ والدر المصون ٤/٤٤٤ و ٤٤٥ وانظر: مشكل الأعراب لمكي ٢/١٢٠ وبيان ابن الأنباري ٢/٢٨١.

(٦) قال مكي في المشكل: «ولا يجوز إضافة يوم إلى ما بعده إذا جعلت الهاء ليوم لأنك تضيف الشيء إلى نفسه وهو اليوم تضيفه إلى جملة فيها هاء هي اليوم فتكون قد أضفت اليوم إلى الهاء وهو هي» المشكل ٢/١٢٠ ونفس الأمر قاله ابن الأنباري في البيان ٢/٢٨١.

(٧) من تام الوافر وينسب للنمر بن تولب والصحيح أن البيت للناطقة الجعدي ويروي «مائة» بدل سنة. وشاهده: عود الضمير في (فيه) على عام المضاف إلى جملة وتلك ضرورة شعرية لا نثرية. وقد تقدم.

على وقت بخلاف الأمر الخطير<sup>(١)</sup> والمراد باليوم يوم القيامة وقال الضحاك: يوم الموت لا يتأخرون<sup>(٢)</sup> عنه ولا يتقدمون بأن يزداد في أجلكم أو ينقص.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لَنْ نَكُونَ مِنَ الْخَائِبِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣٣﴾﴾

قوله: «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ» لما بين التوحيد<sup>(٣)</sup> والرسالة والحشر وكانوا بالكل كافرين بين كفرهم العام بقوله: «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ» وذلك لأن القرآن مشتمل على الكل وقوله: «وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ» يعني التوراة والإنجيل وعلى هذا فالمراد «بالذين كفروا» هم المشركون المنكرون للشواب والحشر. ويحتمل أن يكون المراد بالذين كفروا العموم ويكون المراد بقوله: «الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ» أن لا تؤمن بالقرآن أنه من الله «وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ» أي ولا بما فيه من الإخبارات والآيات والدلائل وذلك لأن أهل الكتاب لم يؤمنوا بالقرآن أنه من الله ولا بالذي فيه من الرسالة وتفصيل الحشر.

فإن قيل: أليس هم مؤمنين بالوحدانية والحشر؟

فالجواب: إذا لم يصدق واحد بما في كتاب من الأمور المختصة به يقال فيه إنه لم يؤمن بشيء منه وإن آمن ببعض ما فيه لكونه في غيره فيكون إيمانه لا بما فيه كمن يكذب رجلاً فيما يقوله فإذا أخبره بأن النار حارة لا يكذبه فيه ولكن لا يقال بأنه صدقه لأنه إنما صدق نفسه فإنه كان عالماً به من قبل وعلى هذا فقوله: «بَيْنَ يَدَيْهِ» الذي هو مشتمل عليه من حيث إنه وارد فيه<sup>(٤)</sup>.

قوله: «وَلَوْ تَرَىٰ» مفعول «ترى» وجواب «لو» محذوفان للفهم أي ولو ترى حال الظالمين وقت وقوفهم مراجعاً بعضهم إلى بعض القول لرأيت حالاً فظيعة وأمرأ

(١) قاله الرازي ٢٥٨/٢٥.

(٢) في «ب»: تستأخرون وتستقدمون، بالسین فیهما. وانظر: زاد المسیر لابن الجوزي ٤٥٦/٦٤.

(٣) انظر في هذا كله تفسير الرازي ٣٥٩/٢٥.

(٤) المرجع السابق.

منكراً<sup>(١)</sup>. و «يَزِجُ» حال من ضمير «مَوْفُوقُونَ» و «القول» منصوب بـ «يرجع»<sup>(٢)</sup>؛ لأنه يتعدى قال تعالى: ﴿فَإِنْ رَجَعْتَ اللَّهُ إِلَيْنَا فَمَا لَنَا بِاللَّيظِينَ الَّذِينَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا﴾ إلى آخره تفسير لقوله: «يَزِجُ» فلا محل له. و «أنتم» بعد «لولا» مبتدأ على أصح المذاهب، وهذا هو الأفصح أعني وقوع ضمائر الرفع بعد «لولا» خلافاً للمبرد<sup>(٣)</sup>؛ حيث جعل خلاف هذا لحناً، وأنه لم يرد إلا في قول زياد:

٤١٣٩ - وكم موطن لولاي .....<sup>(٤)</sup>

وقد تقدم تحقيقه، والأخفش جعل إنه ضمير نصب أو جر قام مقام ضمير الرفع<sup>(٥)</sup>. وسيبويه جعله ضمير جر<sup>(٦)</sup>.

### فصل

لما وقع اليأس من إيمانهم في هذه الدار بقولهم: «لَنْ نُؤْمِنَ» فإنه لتأبيد النفي وعد النبي عليه (الصلاة<sup>(٧)</sup>) والسلام - بأنه يراهم على أذل حال موقوفين للسؤال يرجع بعضهم إلى بعض القول أي يرد بعضهم إلى بعض القول في الجدل كما يكون عليه حالة جماعة أخطأوا في أمر يقول بعضهم لبعض. «يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا» استخبروا وهم الأتباع «لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا» وهم القادة والأشراف «لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ» أي أنتم منعتمونا

(١) قال الزمخشري في الكشاف: «ولو ترى في الآخرة موقفهم وهم يتجادبون أطراف المحادثة ويتراجعونها بينهم لرأيت العجب، فحذف الجواب». الكشاف ٢٩٠/٣ وانظر الدر المصون ٤٤٥/٤.

(٢) قاله الأخفش في معاني القرآن ٦٦٣/٢ قال «لأنك تقول: قد رجعت إليه القول». وقال به السمين في الدر ٤٤٥/٤.

(٣) قال في المقتضب ٧٦/٣: «اعلم أن الاسم الذي «لولا» يرتفع بالابتداء وخبره محذوف لما يدل عليه وذلك قولك في: لَوْلَا عَبْدُ اللَّهِ لَأَكْرَمْتُكَ» فعبد الله مرتفع بالابتداء وخبره محذوف والتقدير: لولا عبد الله بالحضرة أو لسبب كذا لأكرمك».

(٤) جزء بيت من قصيدة ليزيد بن الحكم من الطويل وتماهه:

..... طَخَتْ كَمَا هَوَى بِأَجْرَامِهِ مِنْ قُلَّةِ النَّيْقِ مُنْهَوَى

و «طخت» هلكت، «الأجرام» الأجساد، و «النيق» أعلى الجبل، و «منهوي» ساقط. وشاهده: وقوع ضمير الاتصال وهو «الياء» بعد «لولا». وهذا الضمير حقه أن يكون في محل جر أو نصب. والقياس لولا أنا وقد أنكر المبرد هذا واعتبره لحناً وتحريفاً. وانظر الكامل ٣٤٥/٣ والكتاب ٣٧٤/٢ والخصائص ٢٥٩/٢، وابن عيش ١١٨/٤ و٢٣/٩ والإنصاف ٦٩٢ وأمالي القالي ٦٨/٢ والخزانة ٥/٣٣٦ والأشموني ٢٠٦/٢ والهمع ٣٢/٢ ويس ٣١٠/١.

(٥) نقله عنه ابن هشام في مغني قال: وقال الأخفش: الضمير مبتدأ ولولا غير جارة ولكنهم أنابوا الضمير المخفوض عن المرفوع كما عكسوا، إذ قالوا: «مَا أَنَا كَأَنْتَ وَلَا أَنْتَ كَأَنَا». وقد اعترض عليه ابن هشام والمبرد قال ابن هشام: النياية إنما وقعت في الضمائر المنفصلة لاستقلالها.

(٦) انظر الكتاب ٣/٣٧٣، ٣٧٤. (٧) زيادة من «ب» والفخر الرازي ٢٥/٢٦١.

عن الإيمان بالله ورسوله وهذا إشارة إلى أن كفرهم كان لمانع لأن بعد المقتضي لا يمكنهم أن يقولوا: مَا جَاءَنَا رَسُولٌ وَلَا أَنْ يَقُولُوا: قصر الرسول لأن الرسول لو أهمل شيئاً لما كانوا يقولون لولا<sup>(١)</sup> المستكبرون. ثم أجابهم المستكبرون وهم المَتَّبِعُونَ في الكفر للذين استضعفوا رد لما قالوا إن كفرنا كان لمانع «أَنْنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ» يعني المانع ينبغي أن يكون راجحاً على المقتضي حتى يعمل<sup>(٢)</sup> عمله والذي جاء به هو الهدى، والذي صدر من المستكبرين لم يكن شيئاً يوجب الامتناع من قبول ما جاء به فلم يصحَّ تَعَلُّقُكُمْ بالمانع «بَلْ كُنتُمْ مُجْرِمِينَ» بترك الإيمان فبين أن كفرهم كان اجتراماً من حيث إن المعذور لا يكون معذوراً إلا لعدم المقتضي أو لقيام المانع ولم يوجد شيء منهما. ثم قال «وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ» لما قال المستكبرون: إنا صددنا، وما صدر منا ما يصلح مانعاً وصادفاً اعترف المستضعفون به وقالوا بل مكر الليل والنهار أي مكرهم في الليل والنهار<sup>(٣)</sup>. واعلم أنه يجوز رفع «مكر» من ثلاثة أوجه:

أحدها: الفاعلية<sup>(٤)</sup> تقديره: بل صددنا مَكْرُكُمْ في هذين الوقتين.

الثاني: أن يكون مبتدأ خبره محذوف<sup>(٥)</sup> أي مكر الليل صددنا.

الثالث: العكس أي سبب كُفْرِنَا مَكْرُكُمْ. وهو المتقدم في التفسير<sup>(٦)</sup>، وإضافة المَكْر إلى الليل والنهار إما على الإسناد<sup>(٧)</sup> المجازي كقولهم: لَيْلٌ مَكْرٌ، فالعرب تضيف الفعل إلى الليل والنهار كقول الشاعر:

وَنِمْتُ وَمَا لَيْلُ الْمَطِيِّ بِئَاتِمٍ ..... - ٤١٤٠

(١) في الرازي: لما كانوا يؤمنون ولولا المستكبرون لآمنوا.

(٢) انظر هذا كله في تفسير الرازي ٢٥/٢٦١.

(٣) تفسير الرازي المرجع السابق.

(٤) قاله ابن جني في المحتسب ١٩٣/٢ وأبو البقاء في التبيان ١٠٦٩ وأبو حيان في البحر ٧/٢٨٣.

(٥) المحتسب السابق والبحر والدر ٤/٤٤٦.

(٦) قاله أبو الحسن الأخفش في المعاني ٦٦٣/٢ وأبو حيان في البحر ٧/٢٨٣ وجعله النحاس مبتدأ ذا

خبر محذوف انظر: إعراب النحاس ٣/٣٤٩.

(٧) قاله الأخفش في المعاني ٦٦٣/٢ والفراء في المعاني ٣٦٣/٢ والنحاس في الإعراب ٣/٣٤٩

والزمخشري في الكشاف ٣/٩١.

(٨) هذا عجز بيت من الطويل لجريز صدره:

لَقَدْ لُمْتَنَا يَا أُمَّ غَيْلَانَ فِي السُّرَى .....

والشاهد: «بنائم» حيث أسنده إلى الليل إسناداً مجازياً وذلك للاتساع في ذلك كما أوضح أعلى وانظر:

المقتضب ٣/١٠٥ والمحتسب ٢/١٨٤ وإعراب النحاس ٣/٣٤٩ ومجمع البيان ٧/٦١٣ والطبري

٦٧/٢٢ والإنصاف ٢٤٣ والنقائض ٧٥٣ وفتح القدير ٤/٣٢٨ والكتاب ١/١٦٠ وديوانه ٥٥٣ دار =

فيكون مصدراً مضافاً لمرفوعه<sup>(١)</sup>، وإما على الاتساع في الظرف فجعل كالمفعول به فيكون مضافاً لمنصوبه<sup>(٢)</sup> وهذا أحسن من قول من قال: إن الإضافة بمعنى «في» أي في الليل<sup>(٣)</sup>، لأن ذلك لم يثبت في (غير)<sup>(٤)</sup> محل النزاع<sup>(٥)</sup>، وقيل: مكر الليل والنهار طول السلامة وطول الأمل<sup>(٦)</sup> فيهما كقوله تعالى: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: ١٦] وقرأ العامة مَكْرُ بتخفيف الراء ساكن الكاف مضافاً لما بعده، وابن يَعْمَرُ وفتادة بتنوين: «مَكْر» وانتصاب الليل والنهار ظرفين<sup>(٧)</sup>. وقرأ أيضاً وسعيد بن جبير وأبو رزين بفتح الكاف وتشديد<sup>(٨)</sup> الراء مضافاً لما بعده أي كُرُور الليل والنهار، واختلافهما، من كَرَّ يَكُرُّ إذا جَاءَ وَذَهَبَ، وقرأ ابنُ جَبَّير أيضاً وطلحةُ وراشد القاري<sup>(٩)</sup> - وهو الذي كان يصحح المصاحف أيام الحجاج بأمره - كذلك إلا أنه ينصب الراء<sup>(١٠)</sup>، وفيها أوجه:

أظهرها: ما قاله الزمخشري وهو الانتصاب على المصدر قال: «بل تَكْرُونَ الإغواء مَكْرًا دائماً لا تَقْرُونَ عنه»<sup>(١١)</sup>.

الثاني: النصب على الظرف بإضمار فعل أي بَلْ صَدَدْتُمُونَا مَكْرًا الليل والنهار<sup>(١٢)</sup> أي دائماً.

الثالث: أنه منصوب «بِتَأْمُرُونَنَا». قاله أبو الفضل الرازي<sup>(١٣)</sup>. وهو غلط؛ لأن ما بعد المضاف لا يعمل فيما قبله<sup>(١٤)</sup> إلا في مسألة واحدة وهي «غير» إذا كانت بمعنى «لا» كقوله:

= صادر. وأم غيلان فيه هي عتبة بنت جرير وانظر كذلك مجاز القرآن ٢٧٩/١ وزاد المسير ٢٥٨/٦.

(١) الفاعل لأنه هو الفاعل المجازي وهذا تأكيد لآراء السابقين. وانظر مراجعهم السابقة.

(٢) وهو رأي أبي القاسم الزمخشري قال: «ومعنى مكر الليل والنهار مكرهم في الليل والنهار فأتبع في الليل وهو الظرف بإجرائه مجزئ المفعول به وإضافة المكر إليه أو جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الإسناد المجازي» انظر: الكشاف ٢٩١/٣.

(٣) قال الزجاج في معاني القرآن وإعرابه: «معناه بل مكرهم في الليل والنهار». وتبعه تلميذه الشَّحَابُ في الإعراب. انظر: معاني الزجاج ٢٥٤/٤ وإعراب النحاس ٣٤٩/٣.

(٤) سقط من «ب».

(٥) نقله البيهقي في معالم التنزيل ٢٩٣/٥.

(٦) قاله ابن جني في المحتسب ١٩٣/٢ و ١٩٤. وانظر: الكشاف ٢٩١/٣ والبحر المحيط ٢٨٣/٧ وزاد المسير ٤٥٨/٦.

(٨) المحتسب ١٩٣/٢ و ١٩٤ وابن خالويه ١٢٢ والبحر ٢٨٣/٧ والقرطبي ٣٠٣/١٤.

(٩) لم أعثر على ترجمة له غير ما هو أعلى من تصحيح المصاحف كما في المحتسب.

(١٠) المحتسب والبحر والمختصر والقرطبي المراجع السابقة.

(١١) الكشاف ٢٩١/٣.

(١٢) وهو كلام ابن جني في محتسبه انظر: المحتسب ١٩٤/٢ والدر المصون ٤٤٧/٤.

(١٣) نقله عنه أبو حيان في بحره وهو أبو الفضل صاحب اللوامح انظر: البحر ٢٨٣/٧.

(١٤) نقله أبو حيان في المرجع السابق قال: لأن ما بعد «إذ» لا فيما قبلها.

٤١٤١ - إِنَّ امْرَأَةً خَصَّيْنِي عَمْدًا مَوَدَّةً عَلَى الثَّنَائِي لِعِنْدِي غَيْر مَكْفُورٍ<sup>(١)</sup>  
وتقدم تقرير هذا آخر الفاتحة<sup>(٢)</sup>، وجاء قوله: «قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا» بغير عاطف؛  
لأنه جواب لقول الضعفة فاستؤنف بخلاف قوله: «وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا» فإنه لم يكن  
جواباً لعطف، والضمير في «وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ» للجميع للأتباع والمتبعين.

### فصل

لما اعترف المستضعفون وقالوا بل مكر الليل والنهار منعنا ثم قالوا لهم إنكم وإن  
كنتم ما أتيتم بالصارف القطعي والمانع القوي ولكن انضم أمركم إيانا بالكفر إلى طول  
الأمَد وامتداد المدد فكفرتنا فكان قولكم جزءاً لسبب وقولهم «إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ»  
أي ننكره «وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا» هذا يبين أن المشرك بالله مع أنه في الصورة مثبت لكنه في  
الحقيقة منكر لوجود الله لأن من يساويه بالمخلوق المنحوت لا يكون مؤمناً به.

### فصل

قوله أولاً يَزْجَعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضِ الْقَوْلِ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا بلفظ المستقبل  
وقوله في الآيتين الأخيرتين: «وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا، وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا» بلفظ  
الماضي مع أن السؤال والمراجعة في القول لم يقع إشارة إلى أن ذلك لا بد من وقوعه  
فإن الأمر الواجب الوقوع كأنه وقع كقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]  
وأما الاستقبال فعلى الأصل.

قوله: «وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ» أي أنهم يتراجعون القول ثم إذا جاءهم  
العذاب الشاغل يسرون ذلك التراجع الدال على الندامة، وقيل: معنى الإسرار الإظهار  
وهو من الأضداد أي أظهروا الندامة ويحتمل أن يقال: بأنهم لما تراجعوا في القول رجعوا  
إلى الله بقولهم أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا وَأَجْبُوا بآن لا مرد لكم فأسرُوا ذلك  
القول، وقوله: «وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا» أي الأتباع والمتبعين جميعاً في  
النار، وهذا إشارة إلى كيفية عذابهم «هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» من الكفر  
والمعاصي في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرِيْبَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ  
كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ  
الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي

(١) من بحر البسيط لأبي زيد الطائفي والثنائي: البعد، و «مودة» منصوبٌ على نزع الخافض، ومنكر  
موجود هو معنى المكفور. وهو يتحدث عن شخص معين بالنعمة والفضل عليه. قد تقدم.

(٢) وانظر هذا كله في تفسير الفخر الرازي مع تغيير طفيف في عبارته.

تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَن آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعِيفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي  
 الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ  
 إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ  
 وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾

قوله: «وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا» أي أغنياؤها ورؤساؤها،  
 وقوله: «إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا» جملة حالية من «قَرْيَةٍ» وإن كانت نكرة لأنها في سياق  
 النفي<sup>(١)</sup>

قوله: «بِمَا أُرْسِلْتُمْ» متعلق بخبر «إِنَّ» و «به» متعلق بأُرْسِلْتُمْ، والتقدير: إنا  
 كافرين بالذي أُرْسِلْتُمْ به. وإنما قدم للاهتمام وحسنه تواخي الفواصل<sup>(٢)</sup>. وهذا تسلية  
 لقلب النبي - ﷺ - بأن إيداء الكفار للأنبياء ليس بدعاً بل ذلك عادة جرت من قبل،  
 وإنما نسب القول إلى المترفين مع أن غيرهم أيضاً قالوا ذلك القول لأن المترفين هم  
 الأصل في ذلك القول كقول المستضعفين للذين استكبروا: «لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ» ثم  
 استدلوا على كونهم مصيبين في ذلك بكثرة الأموال والأولاد فقالوا «نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا  
 وَأَوْلَادًا» أي بسبب لزومنا لديننا ولو لم يكن الله راضياً بما نحن عليه من الدين والعمل  
 لم يخولنا الأموال والأولاد «وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ» أي أن الله أحسن إلينا في الدنيا بالمال  
 فلا يعذبنا. ثم إن الله تعالى بيّن خطأهم بقوله: «قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ  
 وَيَقْدِرُ» يعني أن الرزق في الدنيا لا يدل سَعْتُهُ وضيقة على حال المحق والمبطل فكم  
 من موسر شقي ومُعسر تقي فقوله: «وَيَقْدِرُ» أي يضيّق بدليل مقابلته «يَبْسُطُ»<sup>(٣)</sup>. وهذا  
 هو الطباق البديعي<sup>(٤)</sup>. وقرأ الأعمش: «وَيَقْدِرُ بِالتَّشْدِيدِ»<sup>(٥)</sup> ثم قال: «وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ  
 لَا يَعْلَمُونَ» أن قلة الرزق وضيقة العيش وكثرة المال وسعة العيش بالمشيئة من غير  
 اختصاص بالفاسق والصالح. ثم بين فساد استدلالهم بقوله: «وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ  
 بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ» يعني إن قولكم نحن أكثر أموالاً وأولاداً فنحن أحسن حالاً

(١) في «ب» النهي وهو تحريف واضح.

(٢) نقله شهاب الدين السمين في الدر ٤/٤٤٨.

(٣) نقله الإمام الفخر الرازي في تفسيره التفسير الكبير ٢٥/٣٦١ والحافظ البغوي في معالم التنزيل ٥/  
 ٢٩٣.

(٤) وهو الجمع بين معنيين متقابلين في الجملة، قاله القزويني في إيضاحه ٢٤٣.

(٥) نقلت في المختصر والبحر المحيط هكذا يُقَدَّرُ بالتشديد والبناء للفاعل أي الله - عز وجل - انظر البحر  
 ٧/٢٨٥ وابن خالويه ١٢٢ ولكنها في ابن خالويه بالنون لا الياء. بينما نقلها في الإتحاف «وَيَقْدِرُ» على  
 البناء للمجهول وهي مع ذلك النقل من الإتحاف تكون متواترة بخلاف القراءتين الأوليين، فهما شاذتان  
 وأوردها الكشاف ٣/٢٩٢ بدون نسبة.

عند الله ليس استدلالاً صحيحاً فإن المال لا يقرب إلى الله وإنما المفيدُ العملُ الصالح بعد الإيمان وذلك أن المال والولد يُشغِل عن الله فيُبَعِد عنه فكيف يقرب منه والعمل الصالح إقبال على الله واشتغال بالله ومن توجه إلى الله وصل ومن طلب من الله شيئاً حصل<sup>(١)</sup>؟

قوله: «بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ» صفة للأموال والأولاد، لأن جمع التكسير غير العاقل يعامل معاملة المؤنثة الواحدة<sup>(٢)</sup>، وقال الفراء<sup>(٣)</sup> والزجاج<sup>(٤)</sup> إنه حذف من الأول لدلالة الثاني عليه قالا والتقدير: وَمَا أَمْوَالُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ وَهَذَا لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ أَيْضاً. ونقل عن الفراء ما تقدم من أن «التي» صفة للأموال والأولاد معاً وهو الصحيح<sup>(٥)</sup> وجعل الزمخشري «التي» صفة لموصوف محذوف قال: «ويجوز أن يكون هي<sup>(٦)</sup> التقوى وهي المقربة عند الله زلفى وحدها أي ليست أموالكم ولا أولادكم بتلك الموصوفة<sup>(٧)</sup> عند الله بالتقريب»<sup>(٨)</sup>. قال أبو حيان: ولا حاجة إلى هذا الموصوف<sup>(٩)</sup>. قال شهاب الدين: والحاجة إليه<sup>(١٠)</sup> بالنسبة إلى المعنى الذي ذكره داعية، و «زُلْفَى» مصدر من مَعْنَى الأول، إذ التقدير تُقَرِّبُكُمْ قُرْبَى، وعن الضحاك زُلْفَى بفتح اللام وتنوين<sup>(١١)</sup> الكلمة على أنها جمع «زُلْفَى» نحو قُرْبَى<sup>(١٢)</sup> وقُرْب، جُمع المَصْدَرُ لاختلاف<sup>(١٣)</sup> أنواعه وقال الأخفش: «زُلْفَى»<sup>(١٤)</sup> اسم مصدر كأنه قال: بالتي تقربكم عندنا تقربياً<sup>(١٥)</sup>.

(١) قاله الرازي في تفسيره ٢٥/٢٦٢.

(٢) قاله السمين في تفسيره ٤/٤٤٨.

(٣) قال: ولو وَجَّهت «التي» إلى الأموال واكتفيت بها من ذكر الأولاد صلح ذلك كما قال مزار الأسدي: نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا: عِنْدَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفٌ.

(٤) قال: «وما أولادكم بالتي تقربكم ولا أولادكم بالذين يقربونكم ولكنه حذف اختصاراً وإيجازاً». انظر: معاني الفراء ٢/٣٦٣، ومعاني الزجاج ٤/٢٥٥.

(٥) قال: «إن شئت جعلت «التي» جامعة للأموال والأولاد لأن الأولاد يقع عليها «التي» فلما أن كانا جمعاً صلح «التي» أن تقع عليهما».

(٦) في الكشف ويجوز أن يكون التي هي التقوى.

(٧) وفيه «الموضوعة» لا الموصوفة. (٨) انظر: الكشف ٣/٢٩٢.

(٩) البحر المحيط ٧/٢٨٥. (١٠) الدر المصون ٤/٤٤٨.

(١١) في «ب» وبتنوين.

(١٢) كذا هي في أكثر من مرجع والأصح: «قُرْبَى» قياساً على زُلْفَى. وانظر القراءة في بحر أبي حيان ٧/٢٨٥.

(١٣) المرجع السابق وانظر: الدر المصون ٤/٤٤٨.

(١٤) قاله في المعاني ٢/٦٦٣.

(١٥) في المعاني له إزلاقاً وليس تقربياً.

قَوْلُهُ: «إِلَّا مَنْ» فيه أوجه:

أحدها: أنه استثناء منقطع<sup>(١)</sup> فهو منصوب المحل والمعنى لكن مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا، قال ابن عباس يريد من آمن بإيمانه وعمله يقربه مني<sup>(٢)</sup>.

الثاني: أنه في محل جر بدلاً من الضمير في: «أَمْوَالِكُمْ» قاله الزجاج<sup>(٣)</sup>. وغلطه النَّحَّاسُ بأنه بدل ضمير من ضمير المخاطب قال: ولو جاز هذا لجاز: رَأَيْتَكَ زَيْدًا<sup>(٤)</sup>، وقول أبي إسحاق هذا هو قول الفراء انتهى<sup>(٥)</sup>. قال أبو حيان: ومذهب الأخفش والكوفيين أنه يجوز البدل من ضمير المخاطب والمتكلم إلا أن البدل في الآية لا يصح ألا ترى أنه لا يصح تفرغ الفعل الواقع صلة لما بعد إلا لو قلت: مَا زَيْدٌ بِالَّذِي يَضْرِبُ إِلَّا خَالِدًا لم يجز. وتخييل الزجاج أن الصلة وإن كانت من حيث المعنى منفية أنه يجوز البدل وليس بجائز إلا أن يصح التفرغ له<sup>(٦)</sup>. قال شهاب الدين: ومنعه قولك: «مَا زَيْدٌ بِالَّذِي يَضْرِبُ» بالذي يَضْرِبُ إِلَّا خَالِدًا» فيه نظر لأن النفي إذا كان منسحباً على الجملة أعطى حُكْمَ ما لو باشر ذلك الشيء ألا ترى أن النفي في قولك: «مَا ظَنَنْتُ أَحَدًا يَفْعَلُ ذَلِكَ إِلَّا زَيْدًا» سوغ البدل في زيد من ضمير «يَفْعَلُ» وإن لم يكن النفي متسلطاً عليه وقالوا ولكنه لما كان في حَيْزِ النفي صح فيه ذلك فهذا<sup>(٧)</sup> مثله والزمخشري أيضاً تبع الزجاج والفراء في ذلك من حيث المعنى إلا أنه لم يجعله بدلاً بل منصوباً على أصل الاستثناء فقال: «إِلَّا مَنْ آمَنَ» استثناء من «كُمُ» في «نُقِرَّبُ»<sup>(٨)</sup> والمعنى أن الأموال لا تقرب أحداً إلا المؤمن الذي يُنْفِقُهَا في سبيل الله والأولاد لا تقرب أحداً إلا من علمهم الحَيْرَ وَقَهَّهْمُ فِي الدِّينِ وَرَشَّحَهُمُ لِلصَّلَاحِ<sup>(٩)</sup>. ورد عليه أبو حيان بنحو ما تقدم فقال: لا يجوز: «مَا زَيْدٌ بِالَّذِي يَخْرُجُ إِلَّا أَخُوهُ»، و «مَا زَيْدٌ بِالَّذِي يَضْرِبُ إِلَّا عَمْرًا»<sup>(١٠)</sup>. والجواب عنه ما تقدم وأيضاً فالزمخشري لم يجعله بدلاً بل استثناء صريحاً، ولا يشترط في الاستثناء التفرغ اللفظي

(١) قاله أبو البقاء في التبيان ١٠٧٠ وابن الأنباري في البيان ٢٨٢/٢ ومكي في المشكل ٢١١/٢ والنحاس في الإعراب ٣٥٢/٣.

(٢) قاله القرطبي ٣٠٦/١٤. (٣) معاني القرآن وإعرابه له ٤/٢٥٥.

(٤) إعراب القرآن له ٤/٣٥٢.

(٥) في الحقيقة لم يُعْرَبْهَا الفراء بدلاً في معاني القرآن ٢/٣٦٣ بل أجازها على الاستثناء أو على المفعول به أو على الخبر قال: «في موضع نصب بالاستثناء وإن شئت أوقعت عليها التقريب وإن شئت جعلته رفعا أي ما هو إِلَّا مَنْ آمَنَ».

(٦) قاله في بحره ٧/٢٨٦. (٧) الدر المصون ٤/٤٤٩.

(٨) التقريب هو الأصح فالمستثنى منه: «كُمُ» مِنْ تُقَرَّبُكُمْ لَأَمْوَالِكُمْ كما وهم المؤلف أعلى. وقال بذلك القرطبي في الجامع ٣٠٦/١٤ ومكي في المشكل ٢١١/٢ وأبو حيان في البحر ٧/٢٨٦ والمعنى يؤيد ما نقول فالمعبرة بالتقريب من «تقريبكم» ولعله سهو من المؤلف أن قال بهذا نقلاً عن الزجاج:

(٩) كشف الزمخشري ٣/٢٩٢. (١٠) البحر المحيط ٧/٢٨٦.

بل الإسناد المعنوي ألا ترى أنك تقول: قَامَ الْقَوْمُ إِلَّا زَيْدًا ولو فرغته لفظاً لامتنع لأنه مثبت وهذا الذي ذكره الزمخشري هو الوجه الثالث في المسألة<sup>(١)</sup>. الرابع: «مَنْ آمَنَ» في محل رفع على الابتداء والخبر<sup>(٢)</sup>.

قوله: «فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ» قال الفراء: هو في موضع رفع تقديره ما هو المقرب إلا مَنْ آمَنَ، وهذا ليس بجيد وعجيب من الفراء كيف يقوله. قوله: «فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ»، قرأ العامة جزاء الضعف مضافاً على أنه مصدر مضاف لمفعوله، أي أن يُجَازِيَهُمُ الضَّعْفَ وقدره الزمخشري مبنياً للمفعول أي يُجْزَوْنَ الضَّعْفَ<sup>(٣)</sup>. ورده أبو حيان بأن الصحيح منعه<sup>(٤)</sup>. وقرأ قتادة برفعها<sup>(٥)</sup> على إبدال الضَّعْفِ من «جزاء»<sup>(٦)</sup>. وعنه أيضاً وعن يعقوب بنصب جزاء على الحال منوناً والعامل فيها الاستقرار<sup>(٧)</sup>. وهذه كقوله: «قَلَّهْ جَزَاءُ الْحُسْنَى»<sup>(٨)</sup>، فيمن قرأه بالنصب نصب جزاء في الكهف.

قوله: «وَهُمْ فِي الْعُرْفَاتِ آمِنُونَ» قرأ حمزة العُرْفَةَ<sup>(٩)</sup> بالتوحيد على إرادة الجنس ولعدم اللبس لأنه معلوم أن لكل أحد غرفة تخصه وقد أُجْمِعَ على التوحيد في قوله: ﴿يُجْرَبُونَ الْعُرْفَةَ﴾ [الفرقان: ٧٥]، ولأن لفظ الواحد أخف فوضع موضع الجمع مع أمن اللبس والباقون «العُرْفَاتِ» جمع سلامة<sup>(١٠)</sup> وقد أُجْمِعَ على الجمع في قوله: ﴿لَيَبْئُتَنَّهُمْ مِنَ الْغَنَّةِ غُرَفًا﴾ [العنكبوت: ٥٨] والرسم محتمل للقراءتين. وقرأ الحسن بضم راء غُرْفَاتٍ<sup>(١١)</sup> على الإتيان وبعضهم يفتحها<sup>(١٢)</sup>

(١) قاله شهاب الدين السمين في الدر المصون ٤/٤٥٠.

(٢) قاله أبو البقاء في التبيان ١٠٧٠ والفراء في المعاني ٢/٣٦٣.

(٣) قال في الكشاف ٣/٢٩٢: «فَأُولَئِكَ لَهُمْ أَنْ يُجَازُوا الضَّعْفَ».

(٤) البحر المحيط ٧/٢٨٦.

(٥) قال بها القرطبي ١٤/٣٠٦ وأبو حيان ٧/٢٨٦ والكشاف ٣/٢٩٢ والفراء في المعاني ٢/٣٦٣ و ٣٦٤ وتلك قراءات شاذة رواية ولكنها تصح عربية كما أوضح بذلك الزجاج ٤/٢٥٦ والفراء ٢/٣٦٤.

(٦) المرجعان السابقان.

(٧) من القراءات العشرية المتواترة أوردها ابن الجزري في النشر ٢/٣٥١ وانظر: تقريب النشر ١٦٢، والإتحاف ٣٦٠.

(٨) الكهف الآية ٨٨ وهي قراءة سبعة متواترة وانظر: السبعة ٣٩٩ والإتحاف ٢٩٤ ومعاني الفراء ٢/٣٦٤ والكشف ٢/٧٥.

(٩) القرطبي ١٤/٣٠٦ والكشاف ٣/٢٩٢ والكشف ٢/٢٠٨.

(١٠) بالتأنيث وانظر المراجع السابقة.

(١١) روي عنه في الإتحاف أنه يقرأ بإسكان الراء الإتحاف ٣٦٠ والمختصر لابن خالويه ١٢٢ ولعلها قراءة أخرى تُبَيِّنُ له والإسكان جائز للخفة والسهولة فإذا كانوا يخفون الفتحة في «عَصِيدٍ» أي الواحدة فمن باب أولى أن تخفف الضممان المتتاليان.

(١٢) لم تنسب في البحر ٧/٢٨٦ والكشاف ٣/٢٩٢ وابن خالويه ١٢٢.

وتقدم تحقيق ذلك أول البقرة<sup>(١)</sup>. وقرأ ابن وثاب العُرْفَةَ بضم الراء والتوحيد<sup>(٢)</sup>.

## فصل

والمعنى يضعف الله حسناتهم فيجزى بالحسنة الواحدة<sup>(٣)</sup> عشرة إلى سبع مائة لأن الضعف لا يكون إلا في الحسنة وفي السيئة لا يكون إلا المثل ثم زاد وقال: «وَهُمْ فِي الْعُرْفَاتِ آمُنُونَ» إشارة إلى دوامها وتأييدها. ثم بين حال المسيء فقال «وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ» أي يسعون في إبطال حججنا معاجزين معاندين يحسبون أنهم يعجزوننا ويفوتوننا. وقد تقدم تفسير: «أولئك في العذاب محضرون». وهذا إشارة إلى الدوام أيضاً كقوله: «وَمَا هُمْ عَنْهَا بِمَأْيِينَ» [الانفطار: ١٦]. ثم قال مرة أخرى: «قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ» إشارة إلى أن نعيم الآخرة لا ينافي نعمة الدنيا بل الصالحون قد يحصل لهم في الدنيا النعم مع القطع بحصول النعم في العقبى بناء على الوعد قطعاً لقول من يقول: إذا كانت العاجلة والآجلة لهم فالتقد أولى فقال هذا النقد غير مختص بكم فإن كثيراً من الأشقياء مدفوعون وكثيراً من الأتقياء مَمْنُوعُونَ، ولهذا المعنى ذكر هذا الكلام مرتين مرة لبيان أن كثرة أموالهم وأولادهم غير دالة على حسن أحوالهم ومرة لبيان أنه غير مختص بهم كأنه قال وجود القرب لا يدل على الشرف ثم إن سَلَّمْنَا أَنَّهُ كَذَلِكَ لَكِنِ الْمُؤْمِنُونَ سَيَحْصِلُ لَهُمْ ذَلِكَ فَإِنَّ اللَّهَ يَمْلِكُهُمْ دِيَارَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَذْكُرْ أَوْلَاءَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ بَلْ قَالَ: لِمَنْ يَشَاءُ. وقال ثانياً: لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَالْكَافِرُ أَثَرُهُ مَقْطُوعٌ وَمَالُهُ إِلَى زَوَالٍ وَمَالُهُ إِلَى الْهَوَاءِ وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَمَا يُنْفِقُهُ يُخْلِفُهُ اللَّهُ<sup>(٤)</sup>.

قوله: «وَمَا أَنْفَقْتُمْ» يجوز أن تكون ما موصولة<sup>(٥)</sup> في محل رفع بالابتداء والخير قوله «فَهُوَ يُخْلِفُهُ» ودخلت الفاء لشيبهه بالشرط، و «مِنْ شَيْءٍ» بيان كذا قيل. وفيه نظر؛ لإبهام شيء فأى (تبيين)<sup>(٦)</sup> فيه؟ ويجوز أن تكون «ما» شرطية فيكون في محل نصب مفعولاً مقديماً و «فَهُوَ يُخْلِفُهُ» جواب الشرط<sup>(٧)</sup>.

- (١) عند قوله: «وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ» الآية ٢٠٨ حيث قرأ الكسائي ومن معه خَطَوَاتٍ بضم الطاء إتباعاً للحاء وبعضهم بفتح الطاء انظر: الإتحاف ١٥٦.
- (٢) أوردها ابن خالويه في المختصر دون ضبط لها وتكلم عنها أبو حيان في البحر بفتح الراء. انظر المختصر ١٢٢ والبحر ٢٨٦/٧ والقرطبي ٣٠٦/١٤.
- (٣) معالم التنزيل للبيهقي ٢٩٣/٥.
- (٤) انظر هذا في الرازي ٢٦٢/٢٥.
- (٥) كما يجوز أن تكون شرطية في موضع نصب وانظر: التبيان ١٠٧٠ والدر المصون للشمين ٤٠١/٤.
- (٦) تصحيح من «ب» وفي «أ» يُبْسِرُ لِحْنٍ وَخَطَأً.
- (٧) المرجعان السابقان التبيان والدر.

## فصل

المعنى: وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ أَي يعطي خلفه قال سعيد بن جبير: ما كان في غير إسرافٍ ولا تقثيرٍ فهو يُخْلِفُهُ<sup>(١)</sup>، وقال الكلبي: ما تصدقتم من صدقة وأنفقتم في الخير من نفقة فهو (ينفقه) ويخلفه على المُنفِقِ إما أن يعجل له في الدنيا وإما أن يدخر له في الآخرة<sup>(٢)</sup>. «وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ» خَيْرٌ من يعطي ويرزق، رَوَى أبو هريرة قال: قال رسول الله - ﷺ - إن الله قال: «أَنْفَقَ أَنْفَقَ عَلَيْكَ»<sup>(٣)</sup> وقال - عليه (الصلاة)<sup>(٤)</sup> و) السلام - : «مَا مِنْ يَوْمٍ يُضِيحُ فِيهِ الْعِبَادُ إِلَّا وَيَنْزِلُ (فِيهِ)»<sup>(٥)</sup> مَلَكًا (ن)»<sup>(٦)</sup> فيقول أحدهما: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا ويقول الآخر: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْسِيكًا تَلْفًا». وإنما جمع الرازقين من<sup>(٧)</sup> حيث الصورة لأن الإنسان يرزق عياله من رزق الله والرازق لكل في الحقيقة إنما هو الله، واعلم أنَّ خير الرازقين يكون لأمر أن لا يؤخر في وقت الحاجة وأن لا يُنْقَصَ من قدر الحاجة وأن لا ينكده بالحساب وأن لا يَكْدُرَه بطلب الثواب والله تعالى كذلك.

فإن قيل: قوله: «خَيْرُ الرَّازِقِينَ» ينبيء عن كثرة الرازقين ولا رازق إلا الله.

فالجواب: أن يقال: الله خير الرازقين الذين تظنونهم رازقين وكذلك في قوله تعالى: ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤] وأيضاً فإن الصفات منها ما هو الله وللعبد حقيقة كالعالم بأن الله واحد فإن الله يعلم أنه واحد، والعبد يعلم أنه واحد حقيقة ومنها ما يقال لله حقيقة وللعبد مجازاً مثل الرزاق<sup>(٨)</sup> والخالق فإن العبد إذا أعطى غيره شيئاً فالله هو المعطي في الحقيقة ولكن لما وجدت صورة العطاء من العبد سُمي معطياً وهذا منه<sup>(٩)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَكَةِ أَهْلُولَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾<sup>(٤١)</sup> قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَإِسْنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤٢﴾ فَأَلْوَمَ لَا يَمَلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَقَوْلُ الَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تَكْذِبُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا يَتَذَكَّرُ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَنْ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ

(١) نقله ابن الجوزي في زاد المسير ٤٦١/٦.

(٢) المرجع السابق.

(٣) أورده الشوكاني في فتح القدير ٣٣٢/٤ والقرطبي في تفسيره الجامع ٣٠٧/١٤، والبغوي في معالم التنزيل ٢٩٣/٥.

(٤) زيادة من «ب».

(٥) و (٦) سقطا من «ب» وانظر المراجع السابقة وجامع الأحاديث للسيوطي ٦٠٦/٥.

(٧) انظر في هذا تفسير الإمام الفخر الرازي ٣٦٤/٢٥.

(٨) المرجع السابق.

(٩) المرجع السابق.

ءَابَاؤَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إفاكٌ مُفترىٌ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ  
 مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَا آئِنْتُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ  
 الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مِعْشَارَ مَا آئِنْتُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾

قوله: «وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ» وقد تقدم أنه يقرأ بالنون والياء (١) في الأنعام (٢).

قوله: «أَهْوَلَاءَ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ» إياكم منصوب (٣) بخبر «كان» (٤) قدم لأجل الفواصل والاهتمام (٥). واستدل به على جواز تقديم خبر «كان» عليها إذا كان خبرها جملة فإن فيه خلافاً جوزه ابن السراج (٦)، ومنعه غيره (٧). وكذلك اختلفوا في توسطه إذا كان جملة. قال ابن السراج: القياس جوازه لكن لم يسمع (٨).

قال شهاب الدين: قد تقدم في قوله: «مَا كَانَتْ يَسْتَعْفِفُونَ وَوَقَوْمَهُ» [الأعراف: ١٩] ونحوه أنه يجوز أن يكون من تقديم الخبر وأن لا يكون. ووجه الدلالة هنا أن تقديم المعمول مؤذن بتقديم العامل. وتقدم تحقيق هذا في «هود» في قوله تعالى: «أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ» [هود: ٨] (و) وضع هذه القاعدة.

### فصل

لما بين أن حال النبي - عليه الصلاة والسلام (٩) - كحال من تقدمه من الأنبياء وحال قومه حال من تقدم (١٠) من الكفار وبين بطلان استدلالهم بكثرة أموالهم (١١) وأولادهم بين ما يكون عاقبة حالهم فقال: «وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً» يعني المكذبين بك «ثُمَّ نَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ» الذين يدعون أنهم يعبدونهم فإن غاية ما ترتقي (١٢) إليه منزلتهم أنهم يقولون:

(١) قراءة حفص ويعقوب بالياء والباقون بالنون انظر: البحر المحيط ٢٨٦/٧ والدر المصون ٤٥١/٤ والسبعة ٢٥٤ و ٥٣٠ والإتحاف ٣٦٠ والنشر ٣٥١/٢ وتقريبه ١٦٢ وهي قراءة عشرية متواترة.

(٢) عند قوله تعالى: «وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَائِكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ» وهي الآية ٢٢ منها.

(٣) على المفعول به فهو معقول لخبر كان وهو محل نزاع هل يقدم أم لا كما ستراه الآن.

(٤) قاله أبو البقاء في التبيان ١٠٧٠. (٥) الدر المصون للسمين ٤٥٢/٤.

(٦) هو: أبو بكر محمد بن السري المعروف بابن السراج كان أحد الأئمة أخذ عن الميرد واليه انتهت الرئاسة وعنه الفارسي والزجاجي والزماني له الأصول وغيرها. مات سنة ٣١٠ هـ. النزاهة ١٦٦.

(٧) انظر: الأصول في النحو لابن السراج ٤٩/١ بالمعنى والهمع للسيوطي ١١٧/١ والبحر لأبي حيان ٢٨٧٧.

(٨) المراجع السابقة. (٩) في (ب) ﷺ.

(١٠) في (ب) تقديم. (١١) في (ب) لكثرة وفي الفخر كما هنا بكثرة.

(١٢) في (ب) يرتقي بالياء.

نحن نعبد الملائكة والكواكب قال قتادة: هذا استفهام تقرير كقوله تعالى ليعسى ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ امْجُدُونِي وَأُنِجِي إِلَهُيْنَ﴾ [المائدة: ١١٦] فيقول ﴿أَأَنْتَ﴾<sup>(١)</sup> هُوَ لِأَنَّكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ» فتتبرأ منهم الملائكة فيقولون: «سُبْحَانَكَ» تنزيهاً لك «أَنْتَ وَلِيْنَا مِنْ دُونِهِمْ» أي نحن نتولاك ولا تتولاهم يعني كونك ولي بالعبودية أولى وأحب إلينا من كونهم أولياءنا بالعبادة لنا فقالوا: ﴿بَلْ﴾<sup>(٢)</sup> كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ» أي الشياطين فهم في الحقيقة كانوا يعبدون الجن ونحن (كنا)<sup>(٣)</sup> كالقبيلة لهم.

فإن قيل: فهم كانوا يعبدون الملائكة فما وجه قولهم يعبدون الجن؟ قيل: أراد أن الشياطين زينوا لهم عبادة الملائكة فهم كانوا يطيعون الشياطين في عبادة الملائكة فقوله: «يعبدون» أي يطيعون الجن والعبادة هي الطاعة «أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ» أي مصدقون الشياطين.

فإن قيل: جميعهم كانوا متابعين للشياطين فما وجه قوله: «أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ» فإنه يدل على أن بعضهم لم يؤمن بهم ولم يطعهم؟ فالجواب من وجهين:

أحدهما: أن الملائكة احتزوا عن (دغوى)<sup>(٤)</sup> الإحاطة بهم فقالوا: أكثرهم لأن الذين رأوهم واطلعوا<sup>(٥)</sup> على أحوالهم كانوا يعبدون الجن ويؤمنون بهم ولعل في الوجود من لم يطلع الله الملائكة عليه من الكفار.

الثاني: هو أن العبادة عمل ظاهر والإيمان عمل باطن فقالوا بل يعبدون الجن لأطلاعهم على أعمالهم وقالوا أكثرهم بهم مؤمنون عند عمل القلب لثلا يكونوا مدعين اطلاعهم على ما في القلوب فإن القلب لا يطلع على من فيه إلا الله كما قال: ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [هود: ٥].

ثم بين أن ما كانوا يعبدون لا ينفعهم فقال: «فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعاً وَلَا ضَرّاً» وهذا الخطاب يحتم أن يكون مع الملائكة<sup>(٦)</sup> لسبق قوله: «أَهْوَلَاءَ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ» وعلى هذا يكون تنكيلاً للكافرين حيث بين لهم أن معبودهم لا ينفعهم ولا يضر. ويصح هذا قوله تعالى: «لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى»<sup>(٧)</sup>.

ولقوله بَعْدَهُ: «وَتَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا» ولو كان المخاطب هم الكفار لقال:

(١) الهمزة سقطت من (ب).

(٢) سقط من (ب).

(٣) سقط من (أ).

(٤) سقط من (أ).

(٥) في (ب) وأطاعوهم.

(٦) في الفخر الرازي: «لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا» وقوله: «وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى» والآيتان مختلفتان الأولى من مريم ٨٧ والثانية من الأنبياء ٢٨ فالآيتان مختلفتان. وقد

أدخلهما المؤلف في بعضهما.

«فَذُوقُوا»<sup>(١)</sup> ويحتمل أن يكون داخلين في الخطاب حتى يصح معنى قوله: «بِعْضُكُمْ لِبَعْضٍ» أي الملائكة<sup>(٢)</sup> والجن وإذا لم تملكوها لأنفسكم فلا تملكوها لغيركم، ويحتمل أن يكون الخطاب والمخاطب هم الكفار لأن ذكر اليوم يدل على حضورهم وعلى هذا فقوله «وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا» إنما ذكره تأكيداً لبيان حالهم في الظلم.

فإن قيل: قوله «نفعاً» مفيد للحسرة فما فائدة ذكر الضر مع أنهم لو كانوا يملكون الضر لما نفع الكافرين ذلك؟

فالجواب: لما كان العبادة نفع لدفع ضرر المعبود كما يعيد الجبار، ويخدم مخافة شره بين أنهم ليس فيهم ذلك الوجه الذي يحسن لأجله عبادتهم.

فإن قيل: قوله ههنا: «الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا» صفة للنار وفي السجدة وصف العذاب فجعل المكذب هنا النار وجعل المكذب في السجدة العذاب وهم كانوا يكذبون بالكل فما فائدته؟

فالجواب: قيل: لأنهم هناك كانوا مُلْتَبِسِينَ<sup>(٣)</sup> بالعذاب مترددين فيه بدليل قوله: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكْذِبُونَ﴾ [السجدة: ٢٠] فوصف لهم ما لابسوه وهنا لم يلابسوه بعد لأنه عقيب حشرهم وسؤالهم فهو أول ما رأوا النار فقيل لهم: هذه النار التي كنتم بها تكذبون<sup>(٤)</sup>.

قوله: «وَإِذَا تَنَالَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا» يعنون محمداً - ﷺ - «إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُ آبَاءَكُمْ» فعارضوا البرهان بالتقليد «وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا آفِكُ مُفْتَرًى» يعنون<sup>(٥)</sup> القرآن وقيل: القول بالوحدانية<sup>(٦)</sup> «إفكُ مُفْتَرًى» كقوله تعالى في حقهم: ﴿أَفَيْسَاءَ إِلَهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ [الصفافات: ٨٦] وكقولهم للرسول: ﴿أَجِئْتَنَا بِآفِكَا عَنْ آهِنَاتِنَا﴾ [الأحقاف: ٢٢] وعلى هذا فيكون قوله: «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا» بدلاً<sup>(٧)</sup> وقالوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ؛ هذا إنكار للتوحيد وكان مختصاً بالمشركين، وأما إنكار القرآن والمُعْجِزَةِ فكان متفقاً عليه بين المشركين وأهل الكتاب فقال تعالى: «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ عَلَى الْعَمُومِ»<sup>(٨)</sup>.

قوله: «وَمَا آتَيْنَاهُمْ» يعني هؤلاء المشركين «مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا» العامة على

(١) في (ب) ذوقوا بدون الفاء.

(٢) تصحيح العبارة كما في الفخر الرازي: أي الملائكة والحاضر الواحد يجوز أن يجعل من يشاركه في أمر خاطباً بسببه ويحتمل أن يكون معهم الجن أي لا يملك بعضهم لبعض أيها الملائكة والجن... الخ.

(٣) في «ب» متلبسين.

(٤) وانظر هذا كله في تفسير الرازي ٢٥/٢٦٥ و ٦٦.

(٦) قاله الرازي ٢٥/٢٦٦.

(٥) نقله القرطبي ١٤/٣١٠.

(٨) قاله الرازي ٢٥/٢٦٦ و ٢٦٧.

(٧) في الرازي: بدلاً عن أن يقول.

التخفيف مضارع «دَرَسَ» مخففاً أي حفظ<sup>(١)</sup> وأبو حيوة يَدْرُسُونَهَا بفتح الدال مشددة وكسر الراء<sup>(٢)</sup> والأصل «يَدْتَرِسُونَهَا» من الأذراس على الافتعال فأدغم، وعنه أيضاً بضم الياء وفتح الدال وتشديد الراء من التَّدْرِيس<sup>(٣)</sup>. والمعنى يقرأونها وقوله: «وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ» أي إلى هؤلاء المحاضرين<sup>(٤)</sup> لك لم ترسل إليهم أي لم يأت العرب قبلك نبي ولا نزل عليهم كتاب ولا أتاهم نذير يشافهمم بالتذارة غيرك<sup>(٥)</sup>، فلا تعارض بينه وبين قوله: «وَإِنَّ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ» [فاطر: ٢٤] إذ المراد هناك آثار النذير. ولا شك أن هذا كان موجوداً يذهب النبي وتبقى شريعته، ثم بين أنهم كالذين من قبلهم كذبوا مثل عاد وثمود وغيرهم.

قوله: «وَمَا بَلَّغُوا» الظاهر أن الضمير في «بلغوا» وفي «آتيانهم» للذين من قبلهم<sup>(٦)</sup> ليناسق قوله: «فَكَذَّبُوا رُسُلِي» يعني أنهم لم يبلغوا في شكر النعمة وجزاء المنة «مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ» من النعم والإحسان إليهم<sup>(٧)</sup>. وقيل: بل ضمير الرفع لقريش والنصب للذين من قبلهم» وهو قول ابن عباس على معنى أنهم كانوا أكثر أموالاً، وقيل: بالعكس على معنى إنا أعطينا قريشاً من الآيات والبراهين ما لم نُعْطِ من قبلهم<sup>(٨)</sup>. واختلف في المعشار فقيل: هو بمعنى العُشْر بني مِفْعَال من لفظ العُشْر كالمِزْبَاع، ولا ثالث لهما من ألفاظ العدد لا يقال: مِسْدَاسٌ ولا مِخْمَاسٌ<sup>(٩)</sup>، وقيل: هو عُشْرُ العُشْرِ<sup>(١٠)</sup>، إلا أن ابن عطية أنكره وقال: ليس بشيء<sup>(١١)</sup>، وقال المأوردي: المعشار هنا عُشْر العُشِيرِ<sup>(١٢)</sup>، والعُشِيرُ هو عُشْرُ العُشْرِ<sup>(١٣)</sup>

(١) الدر المصون ٤/٤٥٢.

(٢) ذكرها أبو حيان في بحره ٧/٢٨٩ والزمخشري في الكشاف ٣/٢٩٤ وابن خالويه في المختصر ١٢٢ وابن جنبي في المحتسب ٢/١٩٥.

(٣) البحر ٧/٢٨٩ والكشاف ٣/٢٩٤. (٤) في «ب» المعاصرين.

(٥) هذا معنى قول قتادة في زاد المسير ٦/٤٦٣ و ٤٦٤.

(٦) كلام في المعنى من البحر المحيط ٧/٢٨٩ والمصون ٤/٤٥٢.

(٧) المرجعان السابقان. (٨) المرجعان السابقان.

(٩) هو قول الزمخشري في الكشاف ٣/٢٩٤ والأخفش في معاني القرآن ٢/٦٦٣ والفراء في معاني القرآن أيضاً ٢/٣٦٤ والزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٤/٢٥٦ وقد قال الأخفش: «ولا يقولون هذا في سِوَى العُشْرِ».

(١٠) قاله أبو حيان في البحر ناقلاً له ٧/٢٩٠ والقرطبي في الجامع ١٤/٣١٠ والسمين في الدر ٤/٤٥٣.

(١١) نقله عنه أبو حيان في بحره (٧/٢٩٠).

(١٢) المراجع السابقة.

(١٣) قال في اللسان عشر: «والعُشْر والعُشِير جزء من عَشْرَةٍ يَطْرُدُ هذان البناءان في جميع الكسور والجمع أَعْشَارٌ وَعُشُورٌ وهو المِعْشَار. وفي التنزيل: «وَمَا بَلَّغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ». والعُشِيرُ الجزء من أجزاء العشرة وجمع العشير أعشيرة مثل نُصِيبٌ وَأَنْصِبَاءٌ ولا يقولون هذا في شيء سوء العُشْرِ، والعُشِيرُ والعُشْرُ واحد مثل الثَّوْمِينِ والثَّمَنِ والسُّدَيْسِ والسُّدْسِ». اللسان: «ع ش ر» ٢٩٥٣.

فيكون جزءاً من ألف قال: وهو الأظهر لأن المراد به المبالغة في التقليل<sup>(١)</sup>.

### فصل

المعنى أن هؤلاء المشركين ما بلغوا معشَارَ ما أعطينا الأمم الخالية من النعمة والقوة<sup>(٢)</sup> وطول العمر فكذبوا رسلي فكيف كان تكبير؟ أي إنكاري وتغيير<sup>(٣)</sup> عليهم يحذر كفار هذه الأمة عذاب الأمم الماضية وقيل: المراد وكذب<sup>(٤)</sup> الذين من قبلهم وما بلغوا معشَارَ ما آتيناهم أي الذين من قبلهم ما بلغوا معشَارَ ما آتينا قوم محمد من البيان والبُرهان وذلك لأن كتاب محمد - عليه السلام - أكمل من سائر الكتب وأوضح ومحمد - عليه السلام - أفضل من جميع الرسل وأفصح وبرهانه أوفى، وبيانه أشقى، ثم إن المتقدمين لما كذبوا بما جاءهم من الكتب وبما آتاهم من الرسل أنكر عليهم فكيف لا ينكر عليهم وقد كذبوا بأفصح<sup>(٥)</sup> الرسل وأوضح السبل ويؤيد هذا قوله تعالى: «وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا» يعني غير القرآن ما آتيناهم كتاباً «وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ» فلما كان المؤتى في الآية الأولى هو الكتاب فحمل الآية الثانية على إيتاء الكتاب أولى<sup>(٦)</sup>.

قوله: «فكذبوا» فيه وجهان:

أحدهما: أنه معطوف على «كذب الذين من قبلهم».

والثاني: أنه معطوف على «وما بلغوا»<sup>(٧)</sup>. وأوضحهما الزمخشري فقال: «فإن قلت:

ما معنى «فكذبوا رسلي» وهو مستغنى عنه بقوله: «وكذب الذين من قبلهم»؟ قلت: لما كان معنى قوله: «وكذب الذين من قبلهم» وفعل الذين من قبلهم التكذيب وأقدموا عليه جعل تكذيب الرسل سبباً عنه ونظيره أن يقول القائل: أقدم فلان على الكفر فكفر بمحمد - ﷺ - ويجوز أن يعطف على قوله: «وما بلغوا» كقولك: ما بلغ زيد معشَارَ فضل عمرو فيفضل عليه<sup>(٨)</sup> و «تكبير» مصدر مضاف لفاعله أي إنكاري<sup>(٩)</sup> وتقدم حذف يائه وإثباتها<sup>(١٠)</sup>.

(١) انظر: ما سبق من مراجع.

(٢) في «ب» القوة وبالنعمة بتقديم القوة على النعمة وليس كما في «أ».

(٣) في «ب» وتغيير ياء واحدة. وانظر هذا المعنى في غريب القرآن ٣٥٨ ومجاز القرآن ١٥٠/٢.

(٤) قاله الرازي ٢٥/٢٦٧.

(٥) كذا في الرازي وما في «ب» أوضح الرسل. وكلا اللفظين متقاربان.

(٦) المراجع السابقة. (٧) الدر المصون ٤/٤٥٣ والكشاف ٣/٢٩٤.

(٨) انظر: الكشاف للعلامة الزمخشري ٣/٢٩٤، وفيه «قتفضل عليه» بدل من فيفضل عليه بالتاء لا بالياء.

(٩) بالمعنى من البحر ٧/٢٩٠. وقد قاله شهاب الدين في الدر ٤/٤٥٣ وقال في البحر ٧/٢٩٠: «والتكبير مصدر كالإنكار وهو من المصادر التي جاءت على وزن فَعِيل. والفعل على وزن أفعل كالتذير والتعذير من أنذر وأغذّر».

(١٠) يقصد: «فم أخذتهم فكيف كان تكبير» وهي الآية ٤٤ من سورة الحج وقد أثبت الياء في الرسل والوقف يعقوب وأثبتها في الرسل فقط ورش وإثباتها وصلاً ووفقاً قراءة عشرية، بينما إثباتها في =

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشَىٰ وَقُرَادَىٰ ثُمَّ تَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنْ رَبِّي يَفْزِفُ بِالْحَقِّ عَلَّمَ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِّئُ الْبَاطِلَ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّيَ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾﴾

قوله: «قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ» أي أمركم وأوصيكم بواحدة أي بخصلة واحدة ثم بين تلك الخصلة فقال: «أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ» أي لأجل الله.

قوله: «أَنْ تَقُومُوا» فيه أوجه:

أحدها: أنها مجرورة المحل بدلاً من «وَاحِدَةٍ» على سبيل البيان. قاله الفارسي<sup>(١)</sup>.

الثاني: أنها عطف بيان «لواحدة» قاله الزمخشري<sup>(٢)</sup>. وهو مردود لتخالفها تعريفاً وتنكيراً، وقد تقدم هذا عند قوله: ﴿فِيهِ مَآئِدٌ بَيْنَتْ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

الثالث: أنها منصوبة بإضمار «أعني»<sup>(٣)</sup>.

الرابع: أنها مرفوعة على خبر ابتداء مضمرة أي هي أن تقوموا<sup>(٤)</sup>، و«مَشَىٰ وَقُرَادَىٰ» حال<sup>(٥)</sup>. وتقدم تحقيق القول في «مَشَىٰ» وبابه في سورة النساء<sup>(٦)</sup>، ومضى القول في «قُرَادَىٰ» في الأنعام<sup>(٧)</sup>، ومعنى «مَشَىٰ» أي اثنين اثنين، و«قُرَادَىٰ» واحداً واحداً. ثم قوله: «ثُمَّ تَفَكَّرُوا» عطف على «أَنْ تَقُومُوا» أي قِيَامِكُمْ ثُمَّ تَفَكَّرْتُمْ، والوقف عند أبي حاتم على هذه الآية ثم بيتدىء: «مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ»<sup>(٨)</sup>. وقال مقاتل: تم الكلام (عند)<sup>(٩)</sup> قوله: «ثُمَّ تَفَكَّرُوا» أي في خلق السموات والأرض فتعلموا أن خالقهما واحد لا شريك له<sup>(١٠)</sup>.

= الوصل يدل على أنها سبعة. وانظر: السبعة لابن مجاهد ٥٣٢ والإتحاف للبناء ٣٦، والكشف لمكي ٢٠٩/٢ والنشر ٣٥١/٢ وتقريبه ١٦٣ وانظر: اللباب ١٥٠/٦ ب ميكروفيلم.

(١) وقاله أبو البقاء أيضاً في التبيان ١٠٧٠/٢ والبيان لابن الأنباري ٢٨٣/٢ ومكي في مشكل الإعراب ٢/٢١٢ وأبو حيان في البحر ٢٩٠/٧ والشهاب السمين في الدر ٤٥٤/٤. وقد نقل أبو حيان في بحره السابق رأى أبي علي.

(٢) الكشف ٢٩٤/٣. (٣) قاله التبيان ١٠٧٠.

(٤) التبيان السابق، والبيان والمشكل السابقان أيضاً.

(٥) الدر المصون ٤٥٤/٤.

(٦) عند قوله: ﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثَىٰ وَثَلَاثَ وَرَبَاعَ﴾ وهي الآية ٣ منها.

(٧) من قوله: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا قُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ﴾ وهي الآية ٩٤. والقائلون بالجمع اختلفوا في مفرده

فقيل قُرْدٌ، أو قُرِيدٌ أو فُرْدٌ أو قُرْدَانٌ. وقيل: اسم جمع وانظر اللباب ١٩٧/٣ ب.

(٨) انظر: البحر ٢٩١/٧. (٩) سقط من «ب».

(١٠) البيهقي ٢٩٥/٥.

قوله: «مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ». وفي «ما» هذه قولان:  
أحدهما: أنها نافية<sup>(١)</sup>.

والثاني: أنها استفهامية<sup>(٢)</sup> لكن لا يراد به حقيقة الاستفهام فيعود إلى النفي. وإذا كانت نافية فهل هي معلقة أو مستأنفة أو جواب القسم الذي تضمنه معنى «تَتَفَكَّرُوا» لأنه فعل تحقيق كَتَبَيْنَ وبابه؟ ثلاثة أوجه نَقَلَ الثَّالِثُ ابْنَ عَطِيَّةٍ<sup>(٣)</sup>. وربما نسبه لِسَيِّبِيهِ، وإذا كانت استفهامية جاز فيها الوجهان الأولان دون الثالث و «مِنْ جِنَّةٍ» يجوز أن يكون فاعلاً بالجار<sup>(٤)</sup> لاعتماده<sup>(٥)</sup> وأن يكون مبتدأ<sup>(٦)</sup>، ويجوز في «ما» إذا كانت نافية أن تكون الحجازية أو التميمية<sup>(٧)</sup>.

قوله: «مَثْنَى وَفُرَادَى» إشارة إلى جميع الأحوال فإن الإنسان إما أن يكون مع غيره فيدخل في قوله «مَثْنَى» وإن كان وحده دخل في قوله: «فُرَادَى» فكأنه قال: تَقُومُوا لِلَّهِ مَجْتَمِعِينَ وَمُنْفَرِدِينَ لا يمنعكم الجمعية من ذكر الله ولا يحوجكم الانفراد إلى معين يُعِينُكُمْ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ<sup>(٨)</sup>، ثم تفكروا في حال محمد - ﷺ - فتعلموا ما بصاحبكم من «جنة» جنون. وليس المراد من القيام القيام ضد الجلوس وإنما هو القيام بالأمر الذي هو طلب الحق<sup>(٩)</sup> كقوله: «وَأَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ نَحْبًا بِالْقِسْطِ» [النساء: ١٢٧]. قال ابن الخطيب<sup>(١٠)</sup>: وقوله: «بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ» يفيد كونه رسولا وإن كان لا يلزم في كل من لا يكون به جنة أن يكون رسولا، لأن النبي - عليه السلام - كان يظهر من أشياء لا تكون مقدورة للبشر وغير البشر من<sup>(١١)</sup> يظهر منه العجائب إما الجن وإما الملك فإذا لم يكن الصادر من النبي - عليه السلام - بواسطة الجن بل<sup>(١٢)</sup> بقدرته الله من غير واسطة وعلى

(١) قاله في التبيان ١٠٧٠.

(٢) قال بذلك الزمخشري في الكشاف ٢٩٥/٣ والفراء في معانيه ٣٦٤/٢ فقد قال الزمخشري: «وقد جوز بعضهم أن تكون ما استفهامية» وقال الفراء: «ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا هل جربتم على محمد كذبا أو رأيتم به جنونا ففي ذلك ما يتيقنون أنه نبي».

(٣) البحر المحيط ٢٩١/٧ وقد نقل وجهي التعليق والاستئناف أبو حيان في بحره ٢٩١/٧ وكذلك شهاب الدين السمين في الدرر ٤٥٤/٤ بينما نقل وجه جواب القسم السمين فقط ٤٥٤/٤ والتعليق يكون بالنفي والجملة تكون حينئذ في محل نصب وهو محط الفكر، أي تفكروا في انتفاء الجنة عن محمد - ﷺ - وهذا يشبه قول الله: «وَوَطَّنُوا مَا لَهُمْ مِنْ مَّجِيسٍ» بتصرف ٢٩١/٧ والهمع ١٥٤/١.

(٤) وهو صاحب. (٥) على نفي أو استفهام.

(٦) على اعتبار «مِنْ» مزيدة والخبر «بصاحب» وتحقق زيادة «مِنْ» بعد وقوعها بعد استفهام أو نفي.

(٧) فإذا كانت حجازية كان اسمها «جنة» وخبرها «بصاحب» وإذا كانت تميمية كان «بصاحب» خبر مقدم و «جنة» مبتدأ مؤخر كما قال أعلى. ولست أدري كيف جعل المؤلف «ما» حجازية لتقدم الخبر لأن

الخبر إذا تقدم على اسمها لا تعد «ما» عاملة بل مهمة. انظر: السمين ٣٥٥/٤ والكتاب ١٢٢/١.

(٨) قاله الرازي ٢٦٨/٢٥. (٩) قاله البغوي في معالم التنزيل ٢٩٥/٥.

(١٠) قاله في تفسيره «التفسير الكبير» ٢٩٥/٢٥. (١١) فيه: ممن.

(١٢) فيه: أو بقدرته الله تعالى من غير واسطة بحرف العطف «أو».

التقديرين فهو رسول الله وهذا من أحسن الطُّرُق، وهو الذي يثبت الصفة التي هي أشرف الصفات في البشر بنفي أحسن الصفات فإنه لو قال أولاً هو رسول كانوا يقولون فيه النُّزاع فإذا قال: ما هو مجنون لم يسعهم إنكار ذلك، ليعلمهم بعلو شأنه وحاله في قوة لسانه، فإذا ساعدوا على ذلك لزمته المسألة ولهذا قال بعده: «إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ» يعني إما هو به جنة أو هو رسول لكن تبين أنه ليس به جنة فهو نذير. وقوله: «بَيْنَ يَدَيَّ عَذَابٌ شَدِيدٌ» إشارة إلى قرب العذاب كأنه قال يندركم بعذاب حاضر يَمَسُّكُمْ عن قريب<sup>(١)</sup>.

قوله: «قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ» في «ما» وجهان:

أحدهما: أنها شرطية فيكون مفعولاً مقديماً و «فَهُوَ لَكُمْ» جوابها<sup>(٢)</sup>.

والثاني: أنها موصولة في محل رفع بالابتداء والعائد محذوف أي سَأَلْتُكُمْوهُ والخبر: «فَهُوَ لَكُمْ»<sup>(٣)</sup> ودخلت الفاء لشبه الموضوع بالشرط والمعنى يحتمل أنه لم يسألهم أجراً البتة كقولك: إن أعطيتني شيئاً فخذ مع عمك أي لم يُعْطِكَ شيئاً وقول القائل: ما لي من هذا فقد وهبته لك يريد ليس لي فيه شيء. ويؤيده: «إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ» ويحتمل أنه سألهم شيئاً نفعه عائد عليهم وهو المراد بقوله: «إِلَّا أَمَّوَّةٌ فِي الْفَرِيِّ» [الشورى: ٢٣] «إِنْ أَجْرِي» ما ثوابي «إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ».

قوله: «إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ» يجوز أن يكون «يَقْذِفُ بِالْحَقِّ» مفعوله محذوفاً لأن القَذْفَ في الأصل الرمي وعبر عنه هنا عوضاً عن الإلقاء أي يلقي الوحي إلى أنبيائه «بِالْحَقِّ» أي بسبب الحق أو ملتبساً بالحق. ويجوز أن يكون التقدير يَقْذِفُ الْبَاطِلَ بِالْحَقِّ أي يدفعه ويطره<sup>(٤)</sup>، كقوله تعالى: «بَلْ نَقْذِفُ بِالْمَلِئِ عَلَى الْبَاطِلِ» [الأنبياء: ١٨]. ويجوز أن يكون الباء<sup>(٥)</sup> زائدة أي نُلْقِي الْحَقَّ<sup>(٦)</sup>، كقوله: «وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ» [البقرة: ١٩٥] أو تضمن «يقذف» معنى يقضي ويحكم<sup>(٧)</sup>، والقذف الرمي بالسهم أو بالحصاة أو الكلام<sup>(٨)</sup>.

(١) الفخر الرازي ٢٦٩/٢٥ المرجع السابق.

(٢) قال بذلك الزمخشري في الكشاف ٢٩٥/٣ قال: «فَهُوَ لَكُمْ» جزاء الشرط الذي هو قوله: «مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ» تقديره: أي شيء سألتكم من أجر فهو لكم كقوله تعالى: «مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا» وانظر: الدر المصون ٤/٤٥٥.

(٣) المرجعان السابقان والبحر المحيط ٢٩١/٧ وهما بالمعنى من الكشاف والبحر وباللفظ من الدر المصون.

(٤) المراجع السابقة.

(٥) أوردها أبو حيان في بحره وضمَّها قال: «فإذا جعلت بالحق هو المفعول كانت الباء زائدة في موضع لا تطرد فيه». البحر ٧/٢٩٢. وقد جوز زيادة الباء هنا شهاب الدين السمين في الدر المصون ٤/٤٥٥.

(٦) ما بين القوسين كله ساقط من «ب».

(٧) المرجع الأخير السابق.

(٨) قاله في اللسان ٣٥٦٠.

قال المفسرون: معناه نأتي<sup>(١)</sup> بالحق بالوحي نزله من السماء فنقذفه إلى الأنبياء<sup>(٢)</sup>.  
قوله: «عَلَامُ الْغُيُوبِ» العامة على رفعه وفيه أوجه:

أظهرها: أنه خبر (ثانٍ)<sup>(٣)</sup> لـ «إِنَّ»<sup>(٤)</sup> أو خبر لمبتدأ مضمرة<sup>(٥)</sup> أو بدل من الضمير في «يَقْذِفُ»<sup>(٦)</sup> أو نعت له على رأي الكسائي؛ لأنه يُجِيزُ نعت الضمير الغائب. وقد صرح به هنا<sup>(٧)</sup> وقال الزمخشري: رفع على محل إن وأسميها، أو على المستكن في «يَقْذِفُ»<sup>(٨)</sup> يعني بقوله محمول على محل إن وأسميها يعني به النعت إلا أن ذلك ليس مذهب البصريين لأنهم لم يعتبروا المحل إلا في العطف بالحرف بشروط عند بعضهم. ويريد<sup>(٩)</sup> بالحمل<sup>(٩)</sup> على الضمير في نقذف أنه بدل منه لا أنه نعت له لأن ذلك انفرد به الكسائي<sup>(١٠)</sup>، وقرأ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ وَعَيْسَى بْنُ عَمَرَ وَابْنُ أَبِي إِسْحَاقَ بِالنَّصْبِ نَعْتًا<sup>(١١)</sup> لِاسْمِ إِنَّ أَوْ بَدَلًا مِنْهُ عَلَى قَلَّةِ الْإِبْدَالِ بِالْمَشْتَقِ أَوْ مَنْصُوبٍ عَلَى<sup>(١٢)</sup> الْمَدْحِ. وقرئ الغُيُوبُ بالحركات الثلاث في الغين. فالضم والكسر تقدما في «بُيُوتٍ»<sup>(١٣)</sup> وبابه. وأما الفتح

(١) قال بذلك أبو عبيدة في المجاز ١٥٠/٢ وابن قتيبة في الغريب ٣٥٨، وابن الجوزي في الزاد ٤٦٦/٦ والزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٢٥٨/٤ وانظر: البحر المحيط ٢٩٢/٧ ومعالم التنزيل للبغوي ٥/٢٩٥ والخازن عليه وغير ذلك.

(٢) المراجع السابقة. (٣) سقط من «ب».

(٤) بعد الأول وهو: «يَقْذِفُ». قاله ابن الأنباري في البيان ٢٨٣/٢ والعكبري في التبيان ١٠٧١ والسمين في الدر ٤٥٥/٤.

(٥) قاله الكشاف ٢٩٥/٣ وابن الأنباري وأبو البقاء والسمين المراجع السابقة.

(٦) قاله مكِّي في مشكل إعراب القرآن ٢١٢/٢ وانظر المراجع السابقة أيضاً. كما ذكره أيضاً الزجاج في إعراب القرآن ٢٨٥/٤ والنحاس أيضاً في الإعراب ٣٥٤/٣ والقرطبي في الجامع ٣١٣/١٤.

(٧) نقله عنه أبو حيان في البحر ٢٩٢/٧.

(٨) ذكره في الكشاف ٢٩٥/٣.

(٩) في «ب» المحل لا الحمل وهو تحريف.

(١٠) هذا رد أبي حيان والسمين في البحر ٢٩٢/٧ والدر ٤٥٦/٤ وقد اعترض أبو حيان لأن غالب أهل البصرة قد وضعوا للعطف على المحل شروطاً منها وجود المنحرف، وهو الطالب للمحل وبعض البصريين والكوفيين لا يشترط المنحرف، ولأن إن لم تعمل عندهم في الخبر شيئاً بل هو مرفوع بما كان مرفوعاً به قبل دخولها.

(١١) في «ب» نعت بالرفع والقراءة شاذة وقد ذكرها ابن خالويه في المختصر ٢٢. وهي جائزة لغوياً. وقد ذكرها النحاس ٣٥٤/٣ والقراء ٣٦٤/٢ والزجاج ٢٥٧/٤ وابن الأنباري في البيان ٢٨٣/٢.

(١٢) قاله العكبري في التبيان ١٠٧١ والزمخشري في الكشاف ٢٩٥/٣.

(١٣) من قوله تعالى: «فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ» النور آية ٣٦ أو «إِنَّ بُيُوتَنَا حَوَازٍ» الأحزاب آية ١٣. وقد كسر الغين من «الغُيُوبِ» حمزة وأبو بكر وضمها الباقون فهي قراء متواترة وضم «بيوت» ورش وأبو عمرو وحفص وأبو جعفر ويعقوب. وانظر النشر ٣٥١/٢ وتقريبه ١٦٢ والكشاف ٢٠٨/٢، والإتحاف ٣٦٠.

صيغته مبالغة كالشكور والصبور وهو الشيء الغائب الخفي<sup>(١)</sup>.

## فصل

قال ابن الخطيب في يقذف بالحق وجهان:

أحدهما: نقذف بالحق في قلوب المحقين. وعلى هذا تعلق<sup>(٢)</sup> الآية بما قبلها من حيث إن الله تعالى لما بين رسالة النبي - عليه (الصلاة<sup>(٣)</sup>) والسلام - بقوله: «إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ» وأكدته بقوله: «قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ» وكان من عادة المشركين استبعاد تخصيص واحد من بينهم بإنزال<sup>(٤)</sup> الذكر عليه كما حكى<sup>(٥)</sup> عنهم قولهم<sup>(٦)</sup>: «أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا» [ص: ٨] ذكر ما يصلح جواباً لهم فقال: «قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ فِي الْقُلُوبِ (إشارة<sup>(٧)</sup>) إلى أن الأمر بيده يفعل ما يريد ويعطي ما يشاء لمن يشاء ثم قال: «عَلَامُ الْغُيُوبِ» إشارة إلى جواب سؤال فاسد يذكر عليه وهو أن من فعل شيئاً كما يريد من غير اختصاص محل<sup>(٨)</sup> الفعل بشيء لا يوجد في غيره لا يكون عالماً وإنما ذلك فعل<sup>(٩)</sup> اتفاقاً، كما يصيب السهم موضعاً دون غيره مع تسوية المواضع في المحاذة، فقال: «بِالْحَقِّ» كيف شاء<sup>(١٠)</sup> وهو عالم بما يفعله (دعاكم)<sup>(١١)</sup> بعواقب ما يفعله إذ هو عَلَامُ الْغُيُوبِ فهو كما يريد لا كما يفعل الهاجم الغافل عن العواقب.

الوجه الثاني: أن المراد منه أنه يقذف بالحق على الباطل كقوله: «بَلْ يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ» وعلى هذا تعلق الآية بما قبلها من<sup>(١٢)</sup> حيث إن براهين التوحيد لما ظهرت وشبهتهم داحضة<sup>(١٣)</sup> قال: «إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ» أي يبلي<sup>(١٤)</sup> باطلكم. وعلى هذا الوجه فقوله: «علام الغيوب» هو أن البرهان المعقول لم يقع إلا على التوحيد والرسالة وأما الحشر فلا بُرْهَانَ على وقوعه إلا إخبار<sup>(١٥)</sup> الله تعالى عنه وعن أحواله وأهواله ولولا بيان الله بالقول لما بان لأحد بخلاف التوحيد والرسالة فلما قال: «يَقْذِفُ بِالْحَقِّ» أي على الباطل أشار به إلى ظهور البراهين على التوحيد والنبوة. ثم قال: «عَلَامُ الْغُيُوبِ» أي ما يخبره عن الغيب وهو قيام الساعة وأهوالها<sup>(١٦)</sup> فهو لا خَلْفَ فِيهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَلَامُ الْغُيُوبِ. وتحتل الآيات وجهها<sup>(١٧)</sup> آخر وهو أن يقال: «رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ» أي ما

(١) ذكره القرطبي ٣١٣/١٤ والكشاف ٣/٢٩٥ والبحر ٧/٢٩٢ والدر ٤/٤٥٦ ولم ينص عليها قراءة.

(٢) فيه: «وعلى هذا للآية تعلق بما قبلها». (٣) سقط من «أ».

(٤) فيه: الذكر. وهو الأصح. (٥) فيه: كما قال تعالى عنهم.

(٦) في «ب»: قوله. (٧) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٨) في «ب»: المحل وما في الفخر يوافق «أ». (٩) في الفخر: وإنما فعل ذلك.

(١٠) سقط من «ب» وتصحيحها وعالم. (١١) في الفخر تشاء.

(١٢) في الفخر: وذلك من حيث. (١٣) وفيه: ودحضت شبهتهم.

(١٤) فيه: أي على باطلكم. (١٥) فيه: غير إخبار.

(١٦) وفيه: وأحوالها. (١٧) وفيه: تفسير بدل وجه.

يقذفه يقذفه بالحق لا بالباطل . والباء<sup>(١)</sup> على الوجهين الأولين متعلق بالمفعول به والحق مقذوف على الوجهين الأولين وعلى هذا الباء في قوله: «بالحق» كالباء في قوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذَ بَيْنَ يَدَيْهِ الْحَقَّ﴾ [ص: ٢٦] والمعنى على هذا الوجه هو أن الله تعالى قذف ما قذف في قلوب<sup>(٢)</sup> الرسل وهو علام الغيوب يعلم ما في قلوبهم وما في قلوبكم .

قوله: «قُلْ جَاءَ الْحَقُّ» يعني القرآن . وقيل: التوحيد والحشر، وكل ما ظهر على لسان النبي - عليه (الصلاة)<sup>(٣)</sup> و السلام . وقيل: المعجزات الدالة على نبوة محمد - عليه (الصلاة)<sup>(٤)</sup> و السلام - وقيل: المراد من جاء بالحق أي ظهر الحق لأن كل ما جاء فقد ظهر .

قوله: «وَمَا يُبْدِيءُ» يجوز في «ما» أن تكون نفيًا<sup>(٥)</sup>، وأن تكون استفهامًا<sup>(٦)</sup>، ولكن يزول معناها إلى النفس، ولا مفعول «لِيُبْدِيءُ» ولا «لِيُعِيدَ»؛ إذ المراد لا يوقع هذين الفعلين<sup>(٧)</sup> كقوله:

٤١٤٢ - أَقْفَرَ مِنْ أَهْلِهِ عُبَيْدٌ أَضْبَحَ لَا يُبْدِي وَلَا يُعِيدُ<sup>(٨)</sup>

وقيل: مفعوله محذوف أي ما يبديء لأهله خبراً ولا يعيده، وهو تقدير الحسن<sup>(٩)</sup> . والمعنى: ذَهَبَ الْبَاطِلُ وَوَهَنَ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ بَقِيَّةٌ يَبْدِي شَيْئاً أَوْ يُعِيدُ . وهو كقوله: «بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ» . وقال قتادة: الباطل هو إبليس أي ما يخلق إبليس أحداً ابتداءً ولا يعثه . وهو (قول)<sup>(١٠)</sup> مقاتل والكلبي، وقيل: الباطل الأصنام<sup>(١١)</sup> .

قوله: «إِنْ ضَلَلْتُ» العامة على فتح لامه في الماضي وكسرهما في المضارع ولكن

(١) في «ب»: والباطل . وهو تحريف . (٢) في «ب»: قلب وهو يوافق الفخر .

(٣) و (٤) سقطتا من «أ» كالعادة .

(٥) وهو اختيار الزجاج في إعرابه قال: «والأجود أن يكون «ما» نفيًا على معنى: ما يبديء الباطل وما يعيد» . معاني القرآن وإعرابه له ٢٥٨/٤ . وانظر كذلك الإعراب للنحاس ٣/٣٥٥ .

(٦) ذكره ابن الأنباري في البيان ٢/٢٨٣ والزجاج في المعاني ٤/٢٥٨ والزمخشري في الكشاف ٣/٢٩٥ والنحاس في الإعراب ٤/٣٥٥ وهي في موضع نصب . والتقدير: أي شيء يبديء الباطل وأي شيء يعيد؟ .

(٧) فيكون لازماً .

(٨) رجز لعبيد بن الأبرص . والمعنى في الهلاك ويروى فاليروم بدل أصبح . والشاهد: «يبديء ويعيد» . فلا مفعول لهما بالإضافة إلى أن الباطل قد هلك فلا يبديء ولا يعيد فجعل قولهم: لا يبديء ولا يعيد مثلاً في الهلاك . والبيت في الكشاف ٣/٢٩٥ وذيل الأمالي للقالبي ٣/١٩٥ والبحر ٧/٢٩٢ وشرح شواهد الكشاف ٤/٣٨٥ وديوانه ٤٥ والدر المصون ٤/٤٥٦ .

(٩) وهو معنى كلام الزمخشري في الكشاف ٣/٢٩٥ قال: «وعن الحسن: لا يبديء لأهله خيراً ولا يعيده» أي لا يفضحهم في الدنيا والآخرة . وانظر: البحر ٧/٢٩٢ .

(١١) انظر هذه الأوجه مجتمعة في زاد المسير ٦/٤٦٦ .

(١٠) سقط من «ب» .

بنقل الساكن قبلها. وابن وثاب بالعكس وهو لغة تميم<sup>(١)</sup>. وتقدم ذلك<sup>(٢)</sup>.

## فصل

قال المفسرون: إن كفار مكة كانوا يقولون: إنك ضللت حتى تركت دين آبائك، فقال الله تعالى: «قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي» أي إثم ضلالي على نفسي «وَأِنْ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي» من القرآن والحكمة «إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ»<sup>(٣)</sup>.

قوله: «فِيمَا يُوحِي» يجوز أن تكون «ما» مصدرية أي بسبب إحياء ربي لي، وأن تكون موصولة أي بسبب الذي يُوحِيه فعائده محذوف<sup>(٤)</sup>. وقوله «سَمِيعٌ» أي يسمع إذا ناديته واستعنت به عليكم قريب يأتيكم من غير تأخير ليس كمن يسمع من بعيد ولا يلحق الداعي<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۖ وَقَالُوا ءَأَمَّنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاقُوسُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۗ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْدِفُونَ يَالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۗ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ ۗ﴾<sup>(٥٤)</sup>

قوله: «وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا» قال قتادة: عند البعث حتى يخرجوا من قبورهم «فَلَا قُوَّةَ» أي فلا تقوتوني<sup>(٦)</sup> كقوله: «وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ». وقيل: إذ فَرَغُوا عند الموت فلا نجاة<sup>(٧)</sup>، و «لَوْ تَرَىٰ» جوابه محذوف؛ أي (جوابه)<sup>(٨)</sup> ترى عجباً<sup>(٩)</sup>.

قوله: «فَلَا قُوَّةَ» العامة على بنائه على الفتح و «أُخِذُوا» فعلاً ماضياً مبنياً للمفعول معطوفاً على «فَرَغُوا»<sup>(١٠)</sup>.

(١) ذكرها ابن خالويه في المختصر ١٢٢ وأبو حيان في البحر ١٩٢/٧ والزمخشري في الكشاف ٢٩٥/٣ موضحاً أنها لغتان، وانظر: القرطبي ١٤/١٤.

(٢) من الآية ٥٦ من الأنعام و ١٠ من سورة السجدة آية الأنعام تقول: «قَدْ ضَلَلْتُ إِذْ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ» وآية السجدة: «أَيُّدًا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ».

(٣) قاله ابن الجوزي في زاد المسير ٤٦٧/٦.

(٤) فحوى كلام أبي حيان في البحر ٢٩٢/٧ وانظر: الدر المصون ٤٥٧/٤.

(٥) قاله الفخر الرازي في تفسيره ٢٧١/٢٥.

(٦) في «ب» فلا يقوتوني بالياء.

(٧) نقل هذين الوجهين البيهقي في معالم التنزيل ٢٩٥/٥.

(٨) زيادة من «أ» لا معنى لها.

(٩) قاله ابن الأنباري في البيان ٣/٢.

(١٠) قاله في المرجع السابق وفي البحر ٢٩٢/٧ وفي الدر المصون ٤٥٧/٤ وفي الكشاف ٢٩٦/٣.

وقيل: على معنى: «فَلَا قُوَّةَ» أي فلم يفوتوا وأخذوا<sup>(١)</sup>، وقرأ عبد الرحمن مولى هاشم<sup>(٢)</sup>، وطلحة فَلَ قُوَّةٌ وَأَخَذَ مَرْفُوعِينَ مِنْوِينِ<sup>(٣)</sup>، وَأَبِي يَفْتَحُ «فوت»، ورفع «أخذ»<sup>(٤)</sup>، ورفع «فوت» على الابتداء أو على اسم لا الليسية<sup>(٥)</sup>، ومن رفع «وأخذ» رفعه بالابتداء والخبر محذوف<sup>(٦)</sup> أي وَأَخَذَ هُنَاكَ أَوْ عَلَى خَبَرِ ابْتِدَاءٍ مُضْمَرٍ أَيْ وَحَالَهُمْ أَخَذَ. ويكون من عطف الجمل مثبتة على منفية<sup>(٧)</sup>.

قوله: «وَأَخَذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ» قال الكلبي: من تحت أقدامهم. وقيل: أخذوا من بطن الأرض إلى ظهرها. وحيث ما كانوا فهُمْ مِنَ اللَّهِ قَرِيبٌ لَا يَفُوتُونَهُ. وقيل: من مكان قريب يعني عذاب الدنيا. قال الضحاك: هو يوم بَدْر. وقال ابنُ أَبِيزَى: حَسَنَفَ بِالْبَيْدَاءِ<sup>(٨)</sup>. وجواب «لَوْ تَرَى» محذوف أي لَرَأَيْتَ أَمْراً يُعْتَبَرُ<sup>(٩)</sup> بِهِ.

قوله: «وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ» أي عند اليأس. والضمير في «به»<sup>(١٠)</sup> لله<sup>(١١)</sup> أو للرسول<sup>(١٢)</sup>، أو للقرآن<sup>(١٣)</sup> أو للعذاب أو للبعث<sup>(١٤)</sup> و «أَنَّى لَهُمْ» أي من أين لهم أي كيف يقدرُونَ عَلَى الظَّفَرِ بِالْمَطْلُوبِ وَذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي الدُّنْيَا وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَالدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ بَعِيدَةٌ<sup>(١٥)</sup>.

فإن قيل: فكيف قال في كثير من المواضع: إِنَّ الْآخِرَةَ مِنَ الدُّنْيَا قَرِيبَةٌ وَسُمِّيَ اللَّهُ السَّاعَةَ قَرِيبَةً فَقَالَ: ﴿أَقْرَبَ السَّاعَةُ﴾ [القمر: ١] ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١] ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى: ١٧].

(١) قاله الزمخشري في الكشاف المرجع السابق.

(٢) هو عبد الرحمن بن عبد الله المدني مولى بني هاشم، روى الحروف عن نافع. انظر غاية النهاية في طبقات القراء ٣٧٢/١.

(٣) ذكرها ابن جني في المحتسب ١٩٦/٢ وابن خالويه في المختصر ١٢٢ وأبو حيان في البحر ٢٩٣/٧ ولم يعترف بها الزجاج. قال: «ويجوز فلا فوت ولا أعلم أحداً قرأ بها فإنها لم تثبت رواية فلا تقرأ بها فإن القراءة سنة» الزجاج ٢٥٨/٤.

(٤) نسب ابن خالويه هذه القراءة لطلحة بن مصرف السابق أعلى. انظر ١٢٢ ولم ينسبها الزمخشري في الكشاف ٢٩٦/٣ وقد نسب القراءة لأبي أبو حيان في البحر ٢٩٣/٧.

(٥) أي التي تعمل عمل ليس. وانظر: الدر المصون ٤٥٧/٤.

(٦) قاله أبو الفتح عثمان بن جني في المحتسب ١٩٦/٢ وأبو حيان في البحر ٢٩٣/٧ والزمخشري في الكشاف ٢٩٦/٣ والدر المصون ٤٥٧/٤.

(٧) البحر والدر المرجعان السابقان.

(٨) انظر هذه الآراء في البحر السابق وتفسير البغوي ٢٩٥/٥ و ٢٩٦.

(٩) في «ب» تُعْتَبَرُ بِهِ بِالنَّاءِ. (١٠) انظر هذه الأقوال في القرطبي ٣١٥/١٤.

(١١) وهو قول مجاهد. (١٢) وهو قول قتادة.

(١٣) قاله القرطبي ٣١٥/١٤. (١٤) وهو قول الحسن رضي الله عنه.

(١٥) قاله الرازي ٢٥/٢٧١.

فالجواب: أن الماضي كالأمس الدابر وهو أبعد ما يكون؛ إذ لا وصول إليه والمستقبل وإن كان بينه وبين الحاضر سنين فإنه آتٍ فيوم القيامة الدنيا بعيدة منه لمضيها ويوم القيامة في الدنيا قريب لإتيانه<sup>(١)</sup>.

قوله: «التَّائِشُ» مبتدأ و «أُنَى» خبره، أي كيف لهم التناوش و «لَهُمْ» حال، ويجوز أن يكون «لَهُمْ» رافعاً للتناوش لاعتماده على الاستفهام تقديره كيف استقر لهم التناوش؟ وفيه بعد<sup>(٢)</sup>، والتناوش مهموز في قراءة الأخوين وأبي عمرو، وأبي<sup>(٣)</sup> بكر وبالواو في قراءة غيرهم، فيحتمل أن يكونا مادتين مستقلتين مع اتّحاد معناهما<sup>(٤)</sup>، وقيل: الهمزة عن الواو لانضمامها كوجوه وأجوه، ووقّنت وأقنت وإليه ذهب جماعة كثيرة كالزجاج<sup>(٥)</sup> والزّمخسري<sup>(٦)</sup> وابن عطية<sup>(٧)</sup> والحوفي<sup>(٨)</sup> وأبي البقاء<sup>(٩)</sup>، قال الزجاج: كل واو مضمومة ضمة لازمة فأنت فيها بالخيار<sup>(١٠)</sup>، وتابعه الباقون<sup>(١١)</sup> قريباً من عبارته. ورد أبو حيان هذا الإطلاق وقيده بأنه لا بدّ أن تكون الواو غير مدغم فيها تحرراً من التعود وأن تكون غير مصححة في الفعل فإنها متى صحت في الفعل لم تبدل همزة نحو: تَرَهَوُكَ تَرَهَوُكاً، وتَعَاوَنَ تَعَاوَنًا. وهذا القيد الآخر يبطل قولهم لأنها صحت في: «تَتَأَوَّشُ تَتَأَوَّشُ»، ومتى سلم له هذان القيدان أو الأخير منهما ثبت رده<sup>(١٢)</sup>. والتَّائِشُ الرجوعُ، قال:

٤١٤٣ - تَمَنَّى أَنْ تَتَّوَبَ إِلَيَّ مَيِّ وَلَيْسَ إِلَى تَتَأَوَّشَهَا سَبِيلٌ<sup>(١٣)</sup>

(١) الرازي المرجع السابق. (٢) قاله شهاب الدين في الدر المصون ٤/٤٥٧.

(٣) من القراءات المتواترة. قاله مكّي في الكشف ٢/٢٠٨ وابن الجزري في النشر ٢/٣٥١ وتقريبه ١٦٢ وابن خالويه في الحجة ٢٩٥ وانظر التبيان ١٠٧١ والبيان ٢/٢٨٤ ومعاني الفراء ٢/٣٦٥ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/٢٥٩ وإعراب النحاس ٣/٣٥٦، ومشكل الإعراب لمكّي ٢/٢١٣ وتفسير القرطبي ١٤/٣١٦ والكشاف ٣/٢٩٦.

(٤) البحر المحيط ٧/٢٩٤ والدر المصون ٤/٤٥٧.

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٤/٢٥٩. (٦) الكشاف ٣/٢٩٦.

(٧) البحر المحيط ٧/٢٩٤. (٨) المرجع السابق.

(٩) التبيان ١٠٧١ وقال النحاس في الإعراب ٣/٣٥٦: «والقراءة جائزة حسنة ولها وجهان في كلام العرب ولا يتناول بها هذا المتناول البعيد فأحد الوجهين أن يكون الأصل غير مهموز ثم همزت الواو لأن الحركة فيها خفية وذلك كثير في كلام العرب والوجه الآخر أن يكون مشتقاً من النيش، وهو الحركة في إبطاء». إعراب النحاس ٤/٣٥٦.

(١٠) قال: «إن شئت أبدلت منها همزة وإن شئت لم تبدل نحو قولك أذور وتقاوم». انظر معاني القرآن وإعرابه ٤/٢٥٩.

(١١) من هؤلاء أبو جعفر النحاس في كتابه «إعراب القرآن» المرجع السابق.

(١٢) هذا رد أبي من أبي حيان على الزجاج. والصحيح ما ذهب إليه أبو إسحاق الزجاج حيث إن السَّمَاعُ يؤيده وكلا المعنيين قريبان من بعضهما.

(١٣) من الوافر وهو مجهول وشاهده: «تَتَأَوَّشَهَا»، فإنه بمعنى رجوعها. والبيت في البحر ٧/٢٩٤ والقرطبي ١٤/٣١٦ والدر المصون ٤/٤٥٨.

أي إلى رجوعها. وقيل: هو التناول يقال: نَاشَ كذا أي تَنَاولَهُ ومنه تَنَاولَشِ القَوْمُ بالسَّلَاحِ<sup>(١)</sup> كقولُه:

٤١٤٤ - ظَلَّتْ سَيْوْفُ بَنِي أَبِيهِ تَنُوشُهُ لِيَلَّهُ أَرْحَامَ هُنَاكَ تَشَقُّقٌ<sup>(٢)</sup>  
وقال آخر:

٤١٤٥ - وهي تَنُوشُ الحَوْضَ نَوْشاً مِنْ عَلَا نَوْشاً بِهِ تَقْطَعُ أَجْوَارَ القَمَلِ<sup>(٣)</sup>  
وفرق بعضهم بين المهموز وغيره فجعل المهموز بمعنى التأخير. وقال الفراء: من نَأَشَتْ أي تَأَخَّرَتْ<sup>(٤)</sup>. وأشد:

٤١٤٦ - تَمَّتِي نَيْشاً أَنْ يَكُونَ مُطَاعِنَا وَقَدْ حَدَّثَتْ بَعْدَ الأُمُورِ أُمُورٌ<sup>(٥)</sup>  
وقال آخر:

٤١٤٧ - قَعَدَتْ زَمَاناً عَنِ طَلَابِكِ لِلْعَلَا وَجِئْتُ نَيْشاً بَعْدَ مَا قَاتَكَ الحَخيرُ<sup>(٦)</sup>  
وقال الفراء أيضاً: هما متقاربان يعني الهمزة وتركها مثل ذِمْتُ الشيء وذَامَتْهُ أي عَيْتُهُ<sup>(٧)</sup> وانتَاشَ انتِيشاً كَتَنَاشَ وقال:

٤١٤٨ - كَانَتْ تَنُوشُ العنقَ انتِيشاً<sup>(٨)</sup>

(١) قاله الفراء في المعاني ٣٦٥/٢ والزمخشري في الكشاف ٢٩٦/٣.

(٢) من الكامل وينسب لقتيلة أخت النضر بن الحارث. وشاهده: «تنوشه» والمعنى: تأخذه وتتناوله فهذا شاهد آخر على أن التَنَاشُشَ بمعنى التناول. وانظر: اللسان: «ن و ش» ٤٥٧٦، والدر المصون ٤/٤٥٨ والبداية والنهاية للحافظ أبي الفداء ابن كثير ٣/٣٠٦.

(٣) البيت من الرجز لغيلان بن حُرَيْثٍ والشاهد: «تنوش نَوْشاً» بمعنى تناولاً فهو شاهد على أن التناوش هو التناول كما سبق في البيتين السابقين. والبيت في وصف الإبل بأنها طويلة الأعناق وأنها تصبر على العطش. والبيت في الطبري ٧٤/٢٢ ومعاني الفراء ٣٦٥/٢ والبيان ٣٨٤/٢ والكتاب ٤٥٣/٣ وابن يعين ٤/٥٧٣ وحجة القراءات لابن خالويه ١٩٥ ومجمع البيان ٦٢١/٧ ومجاز القرآن ٢/١٥٠ والقرطبي ٣١٦/١٤ واللسان: «ن و ش» ٤٥٧٦.

(٤) المعاني ٣٦٥/٢ قال: «يجعلونه من الشيء البطيء من نَأَشَتْ من النَيْشِ».

(٥) من الطويل وقد نسبه في اللسان إلى نهشل بن حري. وهو في الطبري ٧٤/٢٢ بلفظ «أطاعي» وهو في حكاية التحسر. وشاهده استعمال لفظ «نَيْشِ» بمعنى التأخر. وانظر: القرطبي ٣١٦/١٤، ومعاني الفراء ٢/٣٦٥ والبيان ٢/٢٨٤ والدر المصون ٤/٤٥٩ والبيضاوي ٢/١٤٣ واللسان: نَاشٌ ٤٣١٣. ومجمع البيان للطبرسي ٦٢١/٧.

(٦) من الطويل كسابقه وشاهده كسابقه أيضاً حيث استعمل النَيْشِ بمعنى التأخر والبطء. وهو مجهول القائل. وانظر: فتح القدير للشوكاني ٤/٣٣٦ والبحر ٧/٢٥٦ ومادة «نوش» من اللسان ٤٥٧٥ والفراء ٢/٣٦٥ والدر المصون ٤/٤٥٩ والقرطبي ٣١٦/١٤ و ٣١٧.

(٧) قاله في معانيه ٢/٣٦٥.

(٨) هكذا هو في اللسان: «ن و ش» ٤٥٧٥ لابن منظور. وهو رجز مجهول قائله. وشاهده: أن معنى =

وهذا مصدر على غير المصدر<sup>(١)</sup>، و «مِنْ مَكَانٍ» متعلق بالتَّنَاوُشِ .

## فصل (٢)

المعنى كيف لهم تناول ما بعد عنهم وهو الإيمان والتوبة وقد كان قريباً في الدنيا فضيحه وهذا على قراءة من لم يهمز وأما من همز فقليل معناه هذا أيضاً. وقيل: التناوش بالهمز من التَّيْسِ وهي حركة في إبطاء، يقال: جاء نَيْشاً أي مُبْطِئاً متأخراً والمعنى من أين لهم الحركة فيما لا حيلة لهم فيه<sup>(٣)</sup>.

قال ابن عباس: يسألون الرد فيقال: وأتى لهم الردُّ إلى الدنيا «من مكان بعيد» أي من الآخرة إلى الدنيا<sup>(٤)</sup>.

قوله: «وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ» جملة حالية. وقوله «به» أي بالقرآن. وقيل: بالله أو محمد - عليه (الصلاة و) <sup>(٥)</sup> السلام - .

وقيل: بالعذاب أو البعث. و «من قبل» أي من قبل نزول العذاب. وقيل: من قبل أن عاينوا أهوال القيامة<sup>(٦)</sup>، ويجوز أن تكون الجملة مستأنفة والأول أظهر.

قوله: «وَيُقَدِّفُونَ» يجوز فيها الاستئناف والحال<sup>(٧)</sup>، وفيه بعد. عكس الأول لدخول الواو على مضارع مثبت<sup>(٨)</sup>. وقرأ أبو حيوة ومجاهد ومحبوب عن أبي عمرو: وَيُقَدِّفُونَ مَبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ<sup>(٩)</sup> أي يُرْجَمُونَ بما يسوؤُهُمْ من جزاء أعمالهم من حيث لا يَحْتَسِبُونَ .

= الانتياش والتناوش متقارب. ورواه في اللسان: باتت تُنَوِّشُ العنق انْتِيَاشًا بلفظ «باتت» بدلاً من: كانت وانظر: القرطبي ٣١٦/١٤ و٣١٧ والدر ٤٥٩/٤.

(١) فإن مصدر الثلاثي معروف فما دام قال تنوش فكان من القياس أن يقول نوشاً أو نيشاً ولكنه قال انتياشاً. قال في اللسان: نَاشَهُ يَبِيدُوهُ يَتَوَّشُهُ تَوَّشًا: تناوله. اللسان: ن و ش.

(٢) زيادة من «ب».

(٣) نقل كل ما سبق البيهقي في معالم التنزيل ٢٩٦/٥.

(٤) المرجع السابق.

(٥) زيادة من «ب».

(٦) انظر هذه الأقوال في زاد المسير لابن الجوزي ٤٧٠/٥ والقرطبي ٣١٧/١٤ وقال بحالية تلك الجملة العلامة أبو حيان في بحره ٩٤٢/٧.

(٧) نقله أبو حيان في البحر ٢٩٤/٧ والزمخشري في الكشاف ٢٩٦/٣ إلا أن الزمخشري قال بالحال فقط بينما قال أبو حيان بالحال والاستئناف معاً.

(٨) فشرط الجملة الحالية أن يكون فيها رابط والرباط هذا ضمير صاحبها أو الواو. ويتعين الضمير في المصدرة بمضارع مثبت عار من «قد» أو منفي بلا أو ماض بعد إلا أو بعده. ولا تغني عن الضمير الواو ولا تجامعه غالباً فحتى تعتبر يقذفون الحالية علينا أن نقدر ضمير مبتدأ والجملة تصبح حالية بعد أي وهم يقذفون. يتصرف من الهمع ٢٤٦/٢.

(٩) نقلها الزمخشري في الكشاف ٢٩٦/٣ وأبو حيان في البحر ٢٩٤/٧.

## فصل

ويقذفون قال مجاهد: يرمون محمداً ﷺ بالظن لا باليقين وهو قولهم: سناحر وشاعرٌ وكاهنٌ. ومعنى الغيب هو الظن لأنه غاب علمه عنهم والمكان البعيد بعدهم عن علم ما يقولون والمعنى يَرْمُونَ محمداً بما لا يعلمون من حيث لا يعلمون.  
وقال قتادة: «أي يرحمون بالظن يقولون لا بعث ولا جنة ولا نار»<sup>(١)</sup>.

قوله: «وَجِيلٌ» تقدم فيه الإشمام والكسر<sup>(٢)</sup> أول البقرة. والقائم مقام الفاعل ضمير المصدر أي وجيل هو أي الحَوْلُ ولا تقدرة مصدرأ مؤكداً بل مختصاً حتى يصح قيامه<sup>(٣)</sup>، وجعل الحَوْفِيُّ القائم مقام الفاعل «بينهم»<sup>(٤)</sup>. واعترض عليه بأنه كان<sup>(٥)</sup> ينبغي أن يرفع. وأجيب عنه بأنه إنما بني على الفتح لإضافته إلى غير<sup>(٦)</sup> متمكن. ورده أبو حيان بأنه لا يبني المضاف إلى غير متمكن مطلقاً، فلا يجوز: قَامَ غُلَامُكَ ولا مَرَزْتُ بِغُلَامِكَ بالفتح<sup>(٧)</sup>. قال شهاب الدين: وقد تقدم في قوله: «لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ» ما يغني عن إعادته<sup>(٨)</sup>. ثم قال أبو حيان: وما يقول قائل ذلك في قول الشاعر:

٤١٤٩ - ..... وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الْعَيْرِ وَالشَّرْوَانِ<sup>(٩)</sup>

فإنه نصب «بين» مضافة إلى معرب<sup>(١٠)</sup>. وَخُرَجَ أيضاً على ذلك قول الآخر:

٤١٥٠ - وَقَالَتْ مَتَى يُبْحَلُ عَلَيْكَ وَيُعْتَلَلُ  
بِسُؤْكَ (و) إِنْ يُكْشَفَ غَرَامُكَ تَذْرَبُ<sup>(١١)</sup>

(١) نقل هذه الأقوال القرطبي في الجامع ٣١٧/١٤ والبيهقي في معالم التنزيل ٢٩٦/٥.

(٢) كشأن أي فعل مبني للمفعول وكان أجوف فإنه يجوز فيه ثلاثة أوجه: قلب الألف واو مثل صوم وُعوم أو قلبها ياء مثل صيم وبيع وقيل، أو الإشمام إشمام الضم مع الكسر بالنسبة للحرف الأول وهكذا هذا الفعل الذي معنا وهو «حِيلٌ» فيجوز فيه حَوْلٌ وحِيلٌ والإشمام. انظر: اللباب ٧٢/١.

(٣) قاله السمين في الدر ٤٥٩/٤. (٤) البحر المحيط ٢٩٤/٧.

(٥) المعترض هو أبو حيان قال: «ولو كان على ما ذكر لكان مرفوعاً بِـ «بَيْنَهُمْ» كقراءة من قرأ: «وَلَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ» في أحد المعنيين».

(٦) الدر المصون ٤٥٩/٤. (٧) قاله في البحر ٧/٢٩٤ و ٢٩٥.

(٨) الدر المصون ٤٥٩/٤.

(٩) عجز بيت من الطويل لصخر بن عمرو صدره:

أهم بأمر الحزم لَوِ اسْتَطْبِعَهُ

والعيز الحمار، والنزوان إتيانه لأنثاء. وشاهده: نصب «بين» مع إضافته إلى المعرب والفتح هنا في بين بناء، فلو كان الإعراب لازماً لإضافته إلى المعرب لرفع بين ولكنه لم يحصل. وانظر: البحر لأبي حيان ٧/٢٩٥ واللسان: «نَزَا» والأصعبيات ١٤٦.

(١٠) في التنسخين «معرف» والأصح معرَب، كما أثبت.

(١١) من الطويل كسابقه وهو لامرئ القيس وقيل: لعلقة بن عبدة وهو غير صحيح ويعتدل: يتخذ علة لقطع وصاله. وَتَذْرَبُ: تتعود والمعنى إن يحل عليك بالوصال ضرك ذلك وإن هجرتك كان عادة لك =

أي يعتلل هو أي الاعتلال<sup>(١)</sup>.

قوله: «وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ» يعني الإيمان والتوبة والرجوع إلى الدنيا. وقيل: نعيم الدنيا وزهرتها<sup>(٢)</sup>، «كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ» بنظرائهم<sup>(٣)</sup> ومن كان (على)<sup>(٤)</sup> مثل حالهم من الكفار. «مِنْ قَبْلِ» لم يقبل منهم الإيمان في وقت اليأس «إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ» من البعث ونزول العذاب بهم<sup>(٥)</sup>، و «مِنْ قَبْلِ» متعلق «بِفُعِلَ» أو «بِأَشْيَاعِهِمْ»<sup>(٦)</sup> أي (الذين)<sup>(٧)</sup> شايعوههم قبل ذلك الحين<sup>(٨)</sup>.

قوله: «مُرِيبٌ» قد تقدم أنه اسم فاعل من أَرَابَ<sup>(٩)</sup> أي أتى بالريب أو دخل فيه وَأَرَبْتُهُ أَوْقَعْتُهُ فِي الرِّيبِ. ونسبة الإرابة إلى الشك مجازاً<sup>(١٠)</sup>.

وقال الزمخشري هنا إلا أن ههنا فَرِيقاً<sup>(١١)</sup> وهو أن المريب من المتعدي منقول<sup>(١٢)</sup> من صاحب الشك إلى الشك كما تقول شعر شاعر<sup>(١٣)</sup>... وهي عبارة حسنة مفيدة وأين هذا من قول بعضهم ويجوز أن يكون أَرَدَفَهُ على الشك ليناسق آخر الآية والتي قبلها من مكان قريب. وقول ابن عطية الشك المريب: أقوى ما يكون من الشك وأشدّه<sup>(١٤)</sup>،

= ودربة، والشاهد: «وَيُعْتَلِّلُ» أي يعتلل هو أي الاعتلال المعهود فإن نائب الفاعل هنا ضمير المصدر الجائي من الفعل «يُعْتَلِّلُ» وهذا المصدر الذي لا محالة أنه مُخْتَصَّصٌ حَتَّى يَصِحَّ قِيَامُهُ، وانظر: البحر المحيط ٢٩٥/٧ والتصريح ٢٨٩/٢، والأشْمُونِي ٦٥/٢ وأيضاً ديوان امرئ القيس ٢٢ وتمهيد القواعد ٤٨٢/٢، والدر المصون ٤٦٠/٤.

- (١) انظر ما سبق.
- (٢) قاله البغوي في معالم التنزيل ٢٩٦/٥ وكذلك الخازن ٢٩٦/٥ وابن قتيبة في الغريب ٣٥٩ وتأويل المشكل ٣٥٦ والقرطبي ٣١٨/١٤.
- (٣) قال الزجاج: «بمن كان مذهبه مذهبهم» انظر: معاني القرآن وإعرابه ٢٥٩/٤ وزاد الميسر لابن الجوزي ٤٧١/٦.
- (٤) سقط من «ب».
- (٥) قاله البغوي في معالم التنزيل ٢٩٦/٥.
- (٦) الدر المصون ٤٦٠/٤ والبحر المحيط ٢٩٥/٧.
- (٧) سقط من «ب».
- (٨) معالم التنزيل ٢٩٧/٥.
- (٩) البحر والدر المرجعان السابقان. وانظر: اللسان: «ري ب» ١٧٨٨ و ١٧٨٩ قال: «قال الأصمعي: أخبرني عيسى بن عمر أنه سمع هذيلاً يقول: أَرَابَتِي أَنْرُهُ، وَأَرَابَ الْأَمْرِ: صار ذا رَيْبٍ وفي التنزيل العزيز: «إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ»، أي ذي ريب».
- (١٠) في «ب» والبحر مجاز بالرفع.
- (١١) كذا في الكشاف وفي «ب» فَرَقاً بالتكبير لا التصغير.
- (١٢) انظر: الكشاف ٢٩٧/٣، والبحر المحيط ٢٩٥/٧.
- (١٣) و (١٤) المرجع السابق.

وتقدم تحقيق الريب أول البقرة<sup>(١)</sup>، وتشينع الراغب على من يفسره بالشك<sup>(٢)</sup>، والله أعلم.

روى أبو أمامة عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله - ﷺ -: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ سَبَأٍ لَمْ يَنْقُ نَبِيٌّ وَلَا رَسُولٌ إِلَّا كَانَ لَهُ رَفِيقًا وَمُصَافِحًا»<sup>(٣)</sup>.  
(صدق نبي الله وحبيب الله - ﷺ) -<sup>(٤)</sup>.

(١) عند قوله: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ وهي الآية (٢) منها، وانظر: اللباب ٢٨/١ ب.

(٢) قال: «سماه ريباً لا أنه مشكك في كونه بل من حيث تشكك في وقت حصوله فالإنسان أبداً في ريب المنون من جهة وقته لا من جهة كونه».

(٣) روي في الكشاف ٢٩٧/٣ ومجمع البيان ٥٨٨/٨ والبيضاوي ١٤٣/٢، والسراج المنير ٣/٣١٠.

(٤) زيادة من «ب».

## سورة الملائكة

(عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) (١)

مكية (٢) وهي ست وأربعون آية وسبع مائة وسبع وتسعون كلمة وثلاثة آلاف ومائة وثلاثون حرفاً.

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ بَزِيدٍ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَذْكَرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتَ تُؤَفِّكُونَ ﴿٣﴾ وَإِنْ يَكْذِبُونَكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَعْرَتُكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَفْرَتُكُمْ بِاللَّهِ الْفُرُودُ ﴿٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قد تقدم أن الحمد يكون على النعمة في أكثر الأمر. ونعم الله على قسامين عاجلة وأجلة والعاجلة وجود وبقاء والآجلة كذلك إيجاد مرة وإبقاء (٣).

قوله: «فَاطِرٍ» إن جعلت إضافة محضة كان نعتاً «لله» وإن جعلتها غير محضة كان بدلاً. وهو قليل، من حيث إنه مشتق (٤)، وهذه قراءة العامة. والزُّهْرِيُّ والضحاك: «فَطَّرَ» فعلاً ماضياً (٥) وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنها صلة لموصول محذوف أي الذي فطر. كذا قدره أبو (حيان) (٦) وأبو

(١) زيادة من «أ».

(٢) نقل القرطبي وابن الجوزي أنها مكية بالإجماع، انظر: القرطبي ٣١٨/١٤ وزاد المسير ٤٧٢/٦.

(٣) انظر: الفخر الرازي ٢/٢٦.

(٤) قال بذلك التجويزين أبو البقاء في التبيان ١٠٧٢ وابن الأنباري في البيان ٢/٢٨٥ والسمين في الدر ٤/٤٦٩.

(٥) البحر المحيط ٧/٢٩٧ والمحتسب ٢/١٨٩ ومختصر ابن خالويه ١٢٣ والكشاف ٣/٢٩٧.

(٦) نقله في البحر المحيط ٧/٢٩٧ وانظر: الدر المصون ٤/٤٦٩ وما بين القوسين ساقط من «ب» وزيادة من «أ» وأبو الفضل هو أبو الفضل الرازي وسبق التعريف به.

الفضل، ولا يليق بمذهب البصريين لأن حذف الموصول الاسمي لا يجوز<sup>(١)</sup>، وقد تقدم هذا الخلاف مستوفى في البقرة.

الثاني: أنه حال على إضمار «قد». قاله أبو الفضل أيضاً<sup>(٢)</sup>.

الثالث: أنه خبر مبتدأ مضمر أي هُوَ فطر<sup>(٣)</sup>. وقد حكى الزمخشري قراءة تؤيد ما ذهب إليه الرازي فقال: «وقرئ الذي فَطَرَ وَجَعَلَ»، فصرح بالموصول<sup>(٤)</sup>.

## فصل

معنى فاطر السموات والأرض أي خالقهما ومبدعهما على غير مثال سبق. قاله ابن عباس<sup>(٥)</sup>. وقيل: فاطر السموات والأرض أي شاقهما لِتُرُول الأرواح<sup>(٦)</sup> من السماء وخروج الأجساد من الأرض. ويدل عليه قوله تعالى: «جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا»، فإن في ذلك اليوم تكون الملائكة رسلاً<sup>(٧)</sup>.

قوله: «جاعل» العامة أيضاً على جره نعتاً أو بدلاً، والحسن بالرفع والإضافة<sup>(٨)</sup>. وروي عن أبي عمرو كذلك إلا أنه لم ينون<sup>(٩)</sup> ونصب الملائكة، وذلك على حذف التنوين لالتقاء الساكنين كقوله:

وَلَا ذَاكِرِ اللَّئِةِ إِلَّا قَلِيلاً<sup>(١٠)</sup> ..... ١٤٥١

(١) هذا اعتراض أبي حيان على أبي الفضل فقد قال في البحر ٢٩٧/٧: قال أبو الفضل الرازي: فإما على إضمار الذي فيكون نعتاً لله عز وجل وإما بتقدير «قد» فيما قبل فيكون بمعنى الحال انتهى. قال: وحذف الموصول الاسمي لا يجوز عند البصريين وأما الحال فيكون حالاً محكية والأحسن عندي أن يكون خبر مبتدأ محذوف أي هو فطر.

(٢) البحر المحيط ٢٩٧/٧، والدر المصون ٤٦٧/٤.

(٣) المرجعان السابقان. (٤) نقله في كشافه ٢٩٧/٣.

(٥) قاله أبو الفرج ابن الجوزي في زاد المسير ٤٧٢/٦.

(٦) كذا هي في «أ» هنا والفخر الرازي وما في ب الملائكة.

(٧) قاله الرازي في تفسيره ٢/٢٦.

(٨) قالها الزمخشري بدون نسبة الكشاف ٢٩٧/٣ وقد نسبها القرطبي له في ٣١٩/١٤ وانظر: المحاسب ١٩٨/٢ وابن خالويه المختصر ١٢٣.

(٩) لم ترو عنه متواترة بل أشار إليها ابن خالويه في المختصر ١٢٣ وانظر: البحر المحيط ٢٩٧/٧.

(١٠) هذا عجز بيت من المقارب لأبي الأسود الدؤلي صدره:

فَأَلْفَيْئُهُ عَيْرٌ مُسْتَعْتَبٌ

والشاهد: «ولا ذاكِر الله» حيث حذف التنوين من «ذاكر» لالتقاء الساكنين ونصب الجلالة على المفعول

وإن كان الوجه الإضافة ومعنى مستعجب راجع بالعتاب عن قبيح ما يفعل وانظر: الكتاب ١٦٩/١،

والمقتضب ١٩/١ و ٣١٣/٢ والخصائص ٣١١/١ والبيضاوي ١٥٦/٢ وفتح القدير ٣٩٢/٤ والمغني

٥٥٥ وشرح شواهد للسيوطي ٩٣٣ والمنصف ٢٣١/٢ والإنصاف ٦٥٩ وابن يعيش ٣٤/٨ والهمع

١١٩/٢.

وابنُ يعمرُ وخُلَيْدُ بنُ نَشِيطٍ<sup>(١)</sup> «جَعَلَ» فعلاً ماضياً بعد قراءة فاطر بالجرج<sup>(٢)</sup> وهذه كقراءة: «فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ ﴿[الأنعام: ٩٦]. وَالْحَسَنُ وَحُمَيْدٌ<sup>(٣)</sup> رُسُلًا بِسَكُونِ السَّيْنِ<sup>(٤)</sup> وهي لغة تميم. وجاعل يجوز أن يكون بمعنى مصير أو بمعنى خالق فعلى الأولى يجري الخلاف هل<sup>(٥)</sup> نصب الثاني باسم الفاعل أو بإضمار فعل هذا إن اعتقد أن جاعلاً غير ماضٍ أما إذا كان ماضياً تعين أن ينتصب بإضمار فعل<sup>(٦)</sup>.

وتقدم تحقيق ذلك في الأنعام<sup>(٧)</sup> وعلى الثاني ينتصب على الحال<sup>(٨)</sup>، و «مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ» صفة لأجنحة و «أولي» صفة لرُسُلًا<sup>(٩)</sup>.

وتقدم تحقيق الكلام في مَثْنَى وَأَخْتَيْهَا في سورة النساء<sup>(١٠)</sup>. قال أبو حيان وقيل: أولي أجنحة معترض و «مثنى» حال والعامل فعل محذوف يدل عليه رسلاً أي يُرْسَلُونَ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ<sup>(١١)</sup>. وهذا لا يسمى اعتراضاً لوجهين:

أحدهما: أن «أولي» صفة لرُسُلًا والصفة لا يقال فيها معترضة.

والثاني: أنها ليست حالاً من «رُسُلًا» (بل)<sup>(١٢)</sup> من محذوف فكيف يكون ما قبله معترضاً؟ ولو جعله حالاً من الضمير في «رُسُلًا» لأنه مشتق لسهل ذلك بعض شيء

(١) هو كما هو في ابن جني والبحر «خليد» وفي «ب» خليل وهو تحريف ولم أقف عليه.

(٢) المختصر ١٢٣، والمحاسب ١٩٨/٢ والبحر ٢٩٧/٧.

(٣) هو حميد بن قيس الأعرج أبو صفوان المكي ثقة أخذ عن مجاهد بن جبر وعنه سفيان بن عيينة مات سنة ١٣٠ هـ، انظر: غاية النهاية ١/٢٦٥.

(٤) لم أجدتها في المتواتر نقلها أبو حيان في بحره ٢٩٧/٧.

(٥) في «ب» «على» بدل «هل».

(٦) لأنه إذا كان بمعنى الماضي فإن لا يشبه الماضي فإن «ضارباً» ليس على عدد «ضَرَبَ» ولا مثله في حركاته وسكناته فكذلك لا تقول: زَيْدٌ ضَارِبٌ عَمْرًا أَمْسٍ وَلَا وَحْشِيٌّ قَاتِلٌ حَمْرَةَ يَوْمَ أُحُدٍ. بتصرف شرح المفصل ٧٦/٦.

(٧) عند قوله تعالى: «فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا» وبين هناك أن أكثر النحويين يجعلون فالتق وجاعل بمعنى الماضي لأن الفلق والجعل قد كانا فعلى هذا يكون نصب «سكناً» على إضمار فعل وهناك من نصبه بالفعل المذكور، انظر: اللباب ٣/٩٥ ب الأنعام. وانظر: شرح المفصل لابن يعيش ٧٨/٦.

(٨) يقصد: «رسلاً» وقد قال بهذا الإعراب أبو البقاء في التبيان ١٠٧٢.

(٩) المرجع السابق.

(١٠) عند قوله: «فَالِكُحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النَّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ» وهي الآية ٣ منها وأوضح أن هذه أعداد معدولة في حال التنكير فتعرفت بالعدل ومنعت من الصرف للعدل والتعريف ومن قائل: إنها للعدل والصفة والفائدة في عدلها الدلالة على التكرير فمعنى مثنى: اثنتان وثلاث: ثلاثة ثلاثة. وهكذا.

(١١) قاله في البحر ٢٩٩/٧.

(١٢) سقط من «أ».

ويكون الاعتراض بالصفة مجازاً من حيث إنه فاصل في الصورة<sup>(١)</sup>.

قوله: «يَزِيدُ» مستأنف<sup>(٢)</sup>. و «مَا يَشَاءُ» هو المفعول الثاني للزيادة. والأول لم يقصد فهو محذوف اقتصاراً لأن قوله في الخلق يُغني عنه<sup>(٣)</sup>.

### فصل

قال قتادة ومقاتل: أولي أجنحة بعضهم له جناحان وبعضهم له ثلاثة أجنحة، وبعضهم له أجنحة يزيد فيها ما يشاء وهو قوله: «يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ»<sup>(٤)</sup> قال (عبد الله)<sup>(٥)</sup> بن مسعود في قوله عز وجل: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم: ١٨]. قال: رأى جبريل في صورته له ست مائة جناح. قال ابن شهاب في قوله: «يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ» قال: حسن الصوت<sup>(٦)</sup>. وعن قتادة: هو المَلَاَحَةُ في العينين<sup>(٧)</sup>. وقيل: هو العقل والتمييز<sup>(٨)</sup> «إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

قوله: «مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا» لما بين كمال القدرة ذكر بيان نفوذ المشيئة ونفاذ الأمر وقال: «مَا يَفْتَحُ اللَّهُ» يعني<sup>(٩)</sup> إن رحم الله فلا مانع له وإن لم يرحم فلا باعث له عليها. وفي الآية دليل على سبق الرحمة الغضب<sup>(١٠)</sup> من وجوه:

أحدها: التقديم حيث قدم بيان فتح أبواب الرحمة في الذكر.

وثانيها: أنه أتت الكناية فقال: «فَلَا مُمْسِكَ لَهَا». ويجوز من حيث العربية أن يقال: «لَهُ» عَوْداً إلى «مَا» ولكن قال الله تعالى ذلك ليعلم أن المفتوح أبواب الرحمة فهي واصله إلى من رَحِمْتَهُ وقال عند الإمساك: «وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ» بالتذكير ولم يقل «لها» فلم يصرح بأنه لا مرسل للرحمة بل ذكره بلفظ يحتمل أن يكون الذي يرسل هو غير الرحمة، فإن قوله (تعالى)<sup>(١١)</sup>: «وَمَا يُمْسِكُ» عامٌ من غير بيان وتخصيص.

وثالثها: قوله من بعده أي من بعد الله فاستثنى ههنا وقال: «لَا مُرْسِلَ لَهُ إِلَّا اللَّهُ» وعند الإمساك قال: لَا مُمْسِكَ لَهَا» ولم يقل غير الله لأن الرحمة إذا جاءت لا ترتفع فإن من رَحِمَهُ اللهُ فِي الْآخِرَةِ لَا يَعْذِبُهُ بَعْدَهَا هُوَ وَلَا غَيْرُهُ وَمَنْ يَعْذِبُهُ اللهُ قَدْ يَرْحَمَهُ اللهُ بَعْدَ الْعَذَابِ كَالْفِسَاقِ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ<sup>(١٢)</sup>.

(١) الدر المصون ٤/٤٦٢ و ٤٦٣. (٢) التبيان ١٠٧٢.

(٣) الدر المصون ٤/٤٦٣.

(٤) نقله القرطبي في الجامع ١٤/٣١٩ وابن الجوزي في الزاد ٦/٤٧٣، والبغوي في معالم التنزيل ٥/٢٩٦.

(٥) زيادة من «أ» وسقط من «ب». (٦) وهو رأي ابن جزي أيضاً زاد المسير ٦/٤٧٣.

(٧) السابق. (٨) تفسير البغوي ٥/٢٩٧.

(٩) في «ب» بمعنى. (١٠) في «ب» سبق رحمته غضبه.

(١١) زيادة من «أ». (١٢) وانظر في هذا كله تفسير الفخر الرازي ٢٦/٣ و ٤.

قوله: «مِنْ رَحْمَةٍ» تبيين<sup>(١)</sup> أو حال من<sup>(٢)</sup> اسم الشرط ولا يكون صفة لـ «ما» لأن اسم الشرط لا يوصف<sup>(٣)</sup> قال الزمخشري: وتكثير الرحمة للإشاعة والإبهام كأنه قيل: أي رحمة كانت سماوية أو أرضية؟<sup>(٤)</sup> قال أبو حيان: والعموم مفهوم من اسم الشرط و «من رحمة» بيان لذلك العام من أي صنف هو وهو مما اجْتَزَىء فيه بالنكرة المفردة عن الجمع المعروف المطابق في العموم لاسم الشرط وتقديره من الرحمات. و «من» في موضع الحال. انتهى<sup>(٥)</sup>.

قوله «وَمَا يُنْسِكُ» يجوز أن يكون على عمومه أي أي شيء أَمْسَكَه<sup>(٦)</sup> من رحمة أو غيرها. فعلى هذا التذكير في قوله له ظاهر لأنه عائد على «ما يمسك». ويجوز أن يكون قد حذف المبيِّن من الثاني لدلالة الأول عليه تقديره وما يمسك من رحمة فعلى هذا التذكير في قوله: «له» على لفظ «ما» وفي قوله أولاً: فلا ممسك لها التأنيث فيه حمل على معنى «ما» لأن المراد به الرحمة فحمل أولاً على المعنى وفي الثاني على اللفظ<sup>(٧)</sup>. والفَتْحُ والإمساك استعارة حسنة<sup>(٨)</sup> «وَهُوَ الْعَزِيزُ» فيما أمسك أي كامل القدرة «الْحَكِيمُ» فيما أرسل أي كامل العلم. قال - عليه (الصلاة)<sup>(٩)</sup> (و) السلام «اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلَا مُعْطِي لِمَا مَنَعْتَ وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجِدُّ»<sup>(١٠)</sup>.

قوله: «يَأَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ» لما بين أن الحمد لله وبين بعض وجوه النعمة التي تستوجب الحمد على سبيل التفصيل بين النعمة على سبيل الإجمال فقال: «اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ» وهي مع كونها منحصرة في قسمين نعمة الإيجاد ونعمة الإبقاء فقال: «هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ» إشارة إلى نعمة الإيجاد في الابتداء وقال: «يَزُرُّكُمْ» إشارة إلى نعمة الإبقاء بالرزق في الانتهاء<sup>(١١)</sup>.

قوله: «مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ» قرأ الأخوان «غَيْرِ» بالجر نعتاً «لِخَالِقِي» على<sup>(١٢)</sup> اللفظ و «مِنْ خَالِقِي» مبتدأ مراد فيه «من» وفي خبره قولان: أحدهما: هو الجملة من قوله: «يَزُرُّكُمْ».

(١) قاله العكبري في التبيان ١٠٧٢. (٢) البحر المحيط ٢٩٩/٧.

(٣) السابق. (٤) انظر: الكشاف.

(٥) البحر المحيط ٢٩٩/٧. (٦) في «ب»: يمسكه بالمضارعة.

(٧) انظر معاني الفراء ٣٦٦/٢ ومعاني الزجاج ٢٦٢/٤ والبحر ٢٩٩/٧.

(٨) البحر والكشاف المرجعان السابقان. (٩) زيادة من «ب».

(١٠) الحديث رواه الإمام مالك في الموطأ قدر برقم ٨ ومسنده الإمام أحمد ٨٧/٣ و ٩٣/٤ و ٩٥ و ٩٧ و ٢٤٥ و ٢٤٧ و ٢٥٠ و ٢٥٤ و ٢٥٥ و ٢٨٧.

(١١) قاله الرازي في «التفسير الكبير» ٤/٢٦.

(١٢) ذكرت في الإتحاف ٣٦١ والسبعة ٥٣٤ وزاد المسير ٤٧٤/٦.

والثاني: أنه محذوف تقديره: «لكم» ونحوه<sup>(١)</sup>، وفي «يرزقكم» على هذا وجهان: أحدهما: أنه صفة أيضاً لخلق فيجوز أن يحكم على مَوْضِعِهِ بالجر اعتباراً باللفظ وبالرفع اعتباراً بالمَوْضِع<sup>(٢)</sup>.

والثاني: أنه مستأنف<sup>(٣)</sup>. وقرأ الباقون بالرفع وفيه ثلاثة أوجه: أحدها: أنه خير المبتدأ<sup>(٤)</sup>.

والثاني: أنه صفة لخالق على المَوْضِع<sup>(٥)</sup> والخبر إما محذوف وإما «يَرزُقُكُمْ».

والثالث: أنه مرفوع باسم الفاعل على جهة الفاعلية لأن اسم الفاعل قد اعتمد على أداة الاستفهام<sup>(٦)</sup> إلا أن أبا حيان توقف في مثل هذا من حيث إن اسم الفاعل وإن اعتمد إلا أنه لم يحفظ (فيه)<sup>(٧)</sup> زيادة «من» قال: فيحتاج مثله إلى سماع<sup>(٨)</sup>. ولا يظهر التوقف فإن شروط الزيادة والعمل موجودة، وعلى هذا الوجه «يَرزُقُكُمْ» إما صفة أو مستأنف<sup>(٩)</sup>. وجعل أبو حيان استثنائه أولى، قال: لانتهاء صدق «خالق» على غير الله بخلاف كونه صفة فإن الصفة تُقَيَّدُ فيكون ثَمَّ خالق غير الله لكنه ليس برازق<sup>(١٠)</sup>. وقرأ الفضل بن إبراهيم النحوي<sup>(١١)</sup> «غَيْرَ» بالنصب<sup>(١٢)</sup> على الاستثناء والخبر «يَرزُقُكُمْ» أو محذوف و«يرزقكم» مستأنفة أو صفة<sup>(١٣)</sup>.

## فصل

قال المفسرون: هذا استفهام على طريق التنكير كأنه قال: لا خالق غير الله يرزقكم

- (١) قاله في البحر ٣٠٠/٧ والتبيان ١٠٧٣ والكشاف ٢٩٩/٣.
- (٢) البحر ٣٠٠/٧ والكشاف ٢٩٩/٣ والدر ٣٦٣/٤ والتبيان لأبي البقاء العكبري ١٠٧٣ والبيان لابن الأنباري ٢٨٦/٢ ومشكل إعراب مكِّي ٢١٤/٢.
- (٣) المراجع السابقة.
- (٤) ذكره أبو حيان في بحره ٣٠٠/٧ وكذلك السمين في الدر ٤٦٣/٤.
- (٥) البحر المحيط والدر السابقان والكشاف ٢٩٩/٣ والتبيان ١٠٧٣ والبيان ٢٨٦/٢ ومشكل الإعراب لمكِّي ٢١٤/٢ والقرطبي ٣٢١/١٤.
- (٦) المراجع السابقة عدا القرطبي والكشاف. (٧) سقط من «ب».
- (٨) بالمعنى من البحر ٣٠٠/٧ والكشاف ٢٩٩/٣ قال: «فإن قلت: هل فيه دليل على أن الخالق لا يطلق على غير الله تعالى؟ قلت: نعم إن جعلت «يرزقكم» كلاماً مبتدأ وهو الوجه الثالث وأما على الوجهين الآخرين وهما الوصف والتفسير فقد تقيد فيهما بالرزق من السماء والأرض».
- (٩) و (١٠) السابق.
- (١١) الكوفي روى عن الكسائي وعنه عبيد الله بن الأملي. غاية النهاية ٨/٢.
- (١٢) ذكرها في المختصر ١٢٣.
- (١٣) الكشاف ٢٩٩/٣ ومعاني الفراء ٦٦/٢ والقرطبي ٣٢١/١٤ والبيان ٢٨٦/٢ والمشكل ٢١٤/٢ ومعاني الزجاج ٤/٢٦٢.

من السماء والأرض أي من السماء المطر ومن الأرض النبات «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» مستأنف<sup>(١)</sup> «فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ» أي فأنى تُضْرَفُونَ عن هذا الظاهر فكيف تشركون المُنْحَوْتِ بمن<sup>(٢)</sup> له الملكوت؟ ثم لما بين الأصل الأول وهو التوحيد ذكر الأصل الثاني وهو الرسالة فقال: «وَأَن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِن قَبْلِكَ» يسلي<sup>(٣)</sup> نبيه - ﷺ - ثم بين من حيث الإجمال أن المكذب في العذاب (و)<sup>(٤)</sup> غير المكذب له الثواب بقوله: «وَأَلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ» ثم بين الأصل الثالث وهو الحشر فقال: «يَأْيُهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ» يعني وعد القيامة «فَلَا تَعْرَتُكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَعْرَتُكُمْ بِاللَّهِ الْعُرُورُ» أي الشيطان<sup>(٥)</sup>. وقرأ العامة بفتح «الْعُرُورُ» وهو صفة مبالغة كالصُّبُور والشُّكُور. وأبو السَّمَال وأبو حَيوة بضمها<sup>(٦)</sup>؛ إما جمع غارٍ كقَاعِدٍ وَقُعُودٍ وإمَّا مصدر كالجُلُوسِ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن ذُنِبَ لِمِ سُوءِ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِن لَّيُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا نَذِيبُ نَفْسًا عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتَنِيْرٌ سَحَابًا فَسَقَنَهُ إِلَى بَلَدٍ مِّمَّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴿٩﴾﴾

قوله: «إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ» لما قال تعالى: «وَلَا يَعْرَتُكُمْ بِاللَّهِ الْعُرُورُ» ذكر ما يمنع العاقل من الاغترار وقال<sup>(٧)</sup>: «الشَّيْطَانُ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا»، ولا تسمعوا قوله. وقوله: «فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا» أي اعملوا ما يسوؤه وهو العمل الصالح. ثم قال: «إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا» أي أشياعه «لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ». (و)<sup>(٨)</sup> في الآية إشارة إلى معنى لطيف وهو أن من يكون له عدو فإما أن يُعَادِيَهُ مجازاةً له وإما أن يُرْضِيَهُ فلما قال تعالى: «إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ» أمرهم بالعداوة وأشار إلى أن الطريق ليس إلا هذا. وأما الإرضاء فلا فائدة فيه لأنكم إن أَرْضَيْتُمُوهُ<sup>(٩)</sup> واتبَعْتُمُوهُ فهو لا يؤدِّيكُم إلا إلى السعير. واعلم أن من علم أن له عدواً لا مهرب له منه وجزم بذلك فإنه يقف له ويصبر معه على

(١) الكشاف ٢٩٩/٣.

(٢) الرازي ٤/٢٦ و٥.

(٣) في «ب» لَيْسَلِي.

(٤) ساقط من «أ» وهي كما في «أ» في الفخر الرازي.

(٥) انظر ما سبق في تفسير الفخر الرازي ٤/٢٦ و٥.

(٦) ذكرها الزمخشري في كشافه بدون نسبة انظر: الكشاف ٣/٣٠٠ ونسبت في القرطبي ١٤/٣٢٣ والبحر ٧/٣٠٠ وهي شاذة.

(٧) في «ب»: فقال وفي الفخر كما هنا في «أ».

(٨) زيادة من «ب».

(٩) في «ب» أوصيتموه وفي الرازي راضيتموه..

قتاله<sup>(١)</sup> إلى أن يظفر به وكذلك الشيطان لا يقدر الإنسان (أن)<sup>(٢)</sup> يهرب منه فإنه يقف معه ولا يزال ثابتاً على الجادة والأتكال على العبادة<sup>(٣)</sup>. ثم بين تعالى ما حال حزيه وحال حزب الله وهو قوله: «الَّذِينَ كَفَرُوا» يجوز رفعه ونصبه وجره فرفعه من وجهين:

أظهرهما: أن يكون مبتدأ والجملة بعده خبره<sup>(٤)</sup>. والأحسن أن يكون «لهم» هو الخبر<sup>(٥)</sup> و«عَذَابٌ» فاعله.

الثاني: أنه بدل من «أَوْ لِيَكُونُوا»<sup>(٦)</sup>. ونصبه من أوجه: البدل من «حِزْبُهُ»<sup>(٧)</sup> أو النعت له<sup>(٨)</sup> أو إضمار فعل «أَذْمُ» ونحوه<sup>(٩)</sup>، وجره من وجهين: النعت<sup>(١٠)</sup> أو البدلية من «أَصْحَابِ السَّعِيرِ»<sup>(١١)</sup> وأحسن الوجوه الأول لمطابقة التقسيم<sup>(١٢)</sup>. واللام في «لِيَكُونُوا» إما للعلة على المجاز من إقامة السبب مقام المسبب<sup>(١٣)</sup> وإما الضيورة<sup>(١٤)</sup> ثم قال: «لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ» وهذا حال حزب الشيطان. «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ» فالإيمان في مقابله المغفرة فلا يُؤبَد<sup>(١٥)</sup> مؤمنٌ في النار والعمل الصالح في مقابله «الأجر الكبير».

قوله: «أَقَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ» «مَنْ» موصول مبتدأ وما بعده صلته والخبر محذوف فقدرة الكسائي «تذهب نفسك عليهم حسرات» لدلالة: «فَلَا تَذْهَبُ عَلَيْهِ»<sup>(١٦)</sup>. وقدرة الزجاج: «وَأَضَلَّهُ اللَّهُ كَمَنْ هَدَاهُ»<sup>(١٧)</sup> وقدرة غيرهما كمن لم يُزَيَّنْ له. وهو

(١) وكذا في «ب» والرازي ويصبر على قتاله والصبر معه الظفر.

(٢) ساقط من «ب».

(٣) الرازي ٥/٢٦.

(٤) قيل في القرطبي ٣٢٤/١٤ والتيبان ١٠٧٣ وإعراب النحاس ٣/٣٦٢ والبحر المحيط ٣٠٠/٧ والدر

المصون ٤/٤٦٤.

(٥) المرجع الأخير السابق.

(٦) التبيان والبيان ومُشْكِلُ الإعراب لمكي ٢/٢١٥ وإعراب النحاس والبحر المراجع السابقة:

(٧) التبيان والبيان والمشكل وإعراب النحاس والبحر والقرطبي المراجع السابقة.

(٨) التبيان والبحر والدر المصون المراجع السابقة.

(٩) الدر المصون ٤/٤٦٤ السابق.

(١٠) لأصحاب السعير. وانظر: التبيان ١٠٧٣ والبحر ٣٠٠/٧ والدر المصون ٤/٤٦٤.

(١١) المراجع السابقة. وانظر: البيان والمشكل والقرطبي المراجع السابقة وكذلك إعراب النحاس.

(١٢) قاله النحاس والقرطبي وأبو حيان في المراجع السابقة.

(١٣) اختيار أبي حيان في البحر ٣٠٠/٧.

(١٤) اختيار ابن عطية نقلاً عن أبي حيان في بحره السابق.

(١٥) كذا هي هنا وفي «ب» يؤيد وفي الرازي: يؤيده انظر الرازي ٦/٢٦.

(١٦) ذكره القرطبي ٣٢٤/١٤ والكشاف ٣/٣٠١ والنحاس ٣/٣٦٢ وأبو حيان ٣٠٠/٧ والفراء في المعاني

٣٦٦/٢ و٣٦٧.

(١٧) نقله عنه الكشاف السابق.

أحسن، لموافقته لفظاً ومعنى<sup>(١)</sup>. ونظيره «أَفْمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ»<sup>(٢)</sup> ﴿أَفْمَنْ يَقُولُ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ﴾ [الرعد: ١٩]. والعامية على «زَيْن» مبنياً للمفعول «سوء» رفع<sup>(٣)</sup> وعُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ<sup>(٤)</sup> زَيْنٌ مبنياً للفاعل وهو الله «سوء» بالنصب به. وعنه «أسوأ» بصيغة التفضيل منصوباً<sup>(٥)</sup>. وطلحة<sup>(٦)</sup> «أَمَّن» بغير فاء<sup>(٧)</sup>. قال أبو الفضل: الهمزة للاستخبار بمعنى العامة للتقرير ويجوز أن تكون بمعنى حرف النداء فحذف التَّمَامُ كما حذف من المشهور<sup>(٨)</sup> الجواب، يعني أنه يجوز في هذه القراءة أن تكون الهمزة للنداء وحذف التَّمَامُ أي ما<sup>(٩)</sup> نُودِي لِأَجَلِهِ كَأَنَّهُ قِيلَ: يَا مَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءٌ عَمَلِهِ ارْجِعْ إِلَى اللَّهِ وَتَبَّ إِلَيْهِ، وقوله: «كما حذف الجواب» يعني به خبر المبتدأ الذي تقدّم تقريره<sup>(١٠)</sup>.

### فصل

قال ابن عباس: نزلت في أبي جهل ومشركي مكة<sup>(١١)</sup>. وقال سعيد بن جبیر: نزلت في أصحاب الأهواء والبدع<sup>(١٢)</sup> فقال<sup>(١٣)</sup> قتادة: منهم الخوارج الذين يستحلون دماء المسلمين وأموالهم فأما أهل الكبائر فليسوا منهم لأنهم لا يستحلون الكبائر. ومعنى زين له سوء عمله شبه له وموه عليه وحسن له سوء عمله أي قبح<sup>(١٤)</sup> عمله فرآه حسناً زين له الشيطان ذلك بالوسواس. وفي الآية حذف مجازه: أَمَّن زَيْنَ لَهُ سُوءٌ عَمَلِهِ فرأى الباطل حَقًّا كَمَنْ هداه الله فرأى الحق حَقًّا والباطل باطلاً<sup>(١٥)</sup>؟ «فإنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي

(١) قاله أبو حيان في البحر ٣٠٠/٧.

(٢) الآية ١٤ من محمد وهي: ﴿أَفْمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءٌ عَمَلِهِ﴾.

(٣) على أنه نائب عن الفاعل.

(٤) هو عُبيدُ بْنُ عُمَيْرِ بن قتادة أبو عاصم الليثي المكي القاصُّ روى عن عمر بن الخطاب وأبي بن كعب وعنه مجاهد وعطاء وعمرو بن دينار مات سنة ٨٤ هـ، انظر: غاية النهاية لابن الجزري ٤٩٦/١ و ٤٩٧.

(٥) ذكرها أبو حيان في البحر المحيط وكذلك السمين في الدر المصون ٤/٤٦٥ والبحر في ٣٠١/٧ وهما قراءتان شاذتان.

(٦) لعله طلحة بن مصرف الذي له اختيار في القراءة ينسب إليه وقد ترجم له آنفاً.

(٧) المرجعان السابقان.

(٨) كذا نقل أبو حيان في البحر عن أبي الفضل الرازي صاحب كتاب اللوامح وما في «ب» من المبهم والجواب وهو تحريف. وانظر: البحر ٣٠١/٧.

(٩) كذا هي هنا وفي الدر المصون نُودِي لِأَجَلِهِ وفي «ب» والبحر المحيط أي ما يُؤدِي لِأَجَلِهِ وكلا المعنيين متقارب.

(١٠) المرجع السابق. (١١) زاد المسير ٦/٤٧٥.

(١٢) السابق. (١٣) في «ب» قال.

(١٤) معالم التنزيل للبغوي ٥/٢٩٧. (١٥) السابق.

مَنْ يَشَاءُ» وذلك لأن أشخاص الناس متساوية في الحقيقة والإساءة والإحسان والسيئة والحسنة تمتاز بعضها عن بعض فإذا عرفها البعض دون البعض لا يكون ذلك باستقلال منهم فلا بد من الاستناد إلى إرادة الله تعالى<sup>(١)</sup>.

ثم سئى رسول الله - ﷺ - حيث حزن على إصرارهم بعد إتيانه بكل آية ظاهرة وحجة قاهرة<sup>(٢)</sup> فقال: «فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ» كقوله تعالى: «فَلَمَّا كَبَتْ جَنُودُكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا ﴿٦﴾ [الكهف: ٦] أي لا تغتم بكفرهم وهلاكهم إن لم يؤمنوا. قوله: «فَلَا تَذْهَبْ» العامة على فتح التاء مسنداً «لِنَفْسِكَ» من باب «لَا أَرِيْتُكَ هَهُنَا»<sup>(٣)</sup> أي لا تتعاط أسباب ذلك. وقرأ أبو جعفر<sup>(٤)</sup> وقتادة والأشهب<sup>(٥)</sup> بضم التاء وكسر الهاء مسنداً لضمير المخاطب (و) نَفْسُكَ مفعول به<sup>(٦)</sup>.

قوله: «حَسْرَاتٍ» فيه وجهان:

أحدهما: أنه مفعول من أجله أي لأجل الحَسْرَاتِ.

والثاني: أنه في موضع الحال على المبالغة<sup>(٧)</sup> كأن كلها صَا (ر)<sup>(٨)</sup> ت حَسْرَاتٍ

لفرط التحسر كما قال:

٤١٥٢ - مَشَقُّ الْهَوَاجِرِ لِحَمَّهِنَّ مَعَ السَّرَى حَتَّى ذَهَبْنَ كَلَاكِلًا وَصُدُورًا<sup>(٩)</sup>

يريد: رجعن كلاكلاً وصدوراً، أي لم يبق إلا كلاكلها وصدورها كقولهم (شعر)<sup>(١٠)</sup>:

(١) نقله الإمام الفخر في تفسيره ٦/٢٦. (٢) في الرازي باهرة.

(٣) أتى بهذا المثال استئناساً لإسناد الفعل «ذهب» إلى لفظ «نفسك» أي لا يكن منك ذلك، وكذلك معنى المثال أي لا تكن بحيث أراك ها هنا. وهذا المثال حكاه سيبويه في الكتاب ١٠١/٣ في باب الحروف التي تُنزلُ بمنزلة الأمر والنهي، لأن فيها معنى الأمر والنهي.

(٤) أحد العشرة القراء وقد ترجم له.

(٥) تقدم.

(٦) ذكرها ابن خالويه في المختصر ١٢٣ وأبو حيان ٣٠١/٧ والقراء ٣٦٧/٢ قال: «وَكُلُّ صَوَابٍ» وانظر: الإتحاف ٣٦١.

(٧) ذهب إلى هذين الوجهين ابن الأنباري في البيان ٢٨٧/٢ وأبو البقاء في التبيان ١٠٧٣ والزمخشري في الكشاف ٣٠١/٣ وأبو حيان في البحر ٣٠١/٧.

(٨) ما بين القوسين سقط من «أ».

(٩) بيت من بحر الكامل التام لجزير. ومعنى مشق: برى والهواجر جمع «الهجرة» وهي وقت انتصاف

النهار في شدة الحر. والسرى: السير ليلاً. والكلاكل: هي الصدور. والشاهد: مجيء كلاكلاً حال

من النون في «ذَهَبْنَ» مبالغة في أن هذه الخيل تصيرُ عظاماً من كثرة السير ليلاً. وانظر: البحر المحيط

٣٠١/٧ والكتاب ١٦٢/١ والكشاف ٣٠١/٣ وشرح شواهد ٤١٨ والقربى ٣٢٦/١٤ وديوان زهير

١٩١ وديوانه ٣٢٣ و٣٥٣ دار صادر.

(١٠) زيادة من «ب».

٤١٥٣ - فَعَلَىٰ إِيْرِهِمْ تَسَاقَطُ نَفْسِي حَسْرَاتٍ وَذِكْرُهُمْ لِي سَقَامٌ<sup>(١)</sup>

وكون «كلاكل وصدور» حال قول<sup>(٢)</sup> سيبويه<sup>(٣)</sup>. وجعلهما المبرّد تميّزين منقولين من الفاعلية<sup>(٤)</sup>. والحسرة شدة الحزن على ما فات من الأمر. ثم قال: «إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ» أي الله عالم بفعلهم<sup>(٥)</sup> يجازيهم على ما يصنعونه، ثم عاد إلى البيان وقال: «اللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ» وهبوب الرياح دليل ظاهر على الفاعل المختار، لأن الهواء قد يسكن وقد يتحرك وعند حركته قد يتحرك إلى اليمين وقد يتحرك إلى الشمال وفي حركاته المختلفة قد يُنْشِئُ السَّحَابَ وقد لا يُنْشِئُ. فهذه الاختلافات دليل على مسخّر مدبّر مؤثّر مُقَدِّر<sup>(٦)</sup>.

قوله: «فَتُثِيرُ» عطف على «أَرْسَلَ» لأن «أَرْسَلَ» بمعنى المستقبل فلذلك عطف عليه وأتى بأَرْسَلَ لِتَحَقُّقِ وَقُوعِهِ. و «تُثِيرُ» لتصور الحال واستحضار الصورة البديعة كقوله: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَصُيْحُ الْأَرْضِ مُخْتَصِرَةٌ﴾ [الحج: ٦٣] وكقول تَابِطُ شَرًّا:

٤١٥٤ - أَلَا مَنْ مَبْلَغُ فِتْيَانٍ فَهْمٍ بِأَيِّ قَدِ رَأَيْتَ الْغُولَ تَهْوِي  
بِمَا لَأَقْبِنَتْ عِنْدَ رَحَا مَطَّانٍ بِسَهْبٍ كَالصَّحِيفَةِ صَحْصَحَانَ  
أَخْوَسَقَرٍ فَخَلَّ لِي مَكَانِي لَهَا كَفَيْ بِمَصْقُولِ يَمَانِي  
صَرِيماً لِلْيَدَيْنِ وَلِلْجِرَانِ<sup>(٧)</sup> فَأَضْرِبُهَا بِلَا دَهْشٍ فَخَرَّتْ

(١) من الخفيف وهو مما جهل قائله. و «تَسَاقَطُ» أصلها تَسَاقَطُ فحذفت إحدى التاءين تخفيفاً. والشاهد هنا معنوي أن نفسه هلكت حَسْرَةً على هؤلاء الأحبة. ومن الإمكان أن نعتبر الشاهد لفظي كسابقه حيث يجيء «حسرات» حال من «نفسى» مبالغة، وانظر: الكشاف ٣/٣٠١ وشرح شواهد ١٨ والقرطبي ١٤/٣٢٦، والبحر المحيط ٧/٣٠١، والدر المصون ٤/٤٦٦.

(٢) في «ب»، قال بالفعلية وليس المراد.

(٣) قال: «فإنما هو على قوله: ذَهَبَ قَدماً وَذَهَبَ آخراً» الكتاب ١/١٦٢.

(٤) قال: «ولا أرى نصب هذا إلا على التبيين؛ لأن التبيين إنما هو بالأسماء فهو الذي أراه». المقتضب ٣/٢٧٢ وهو يعني بالتبيين التمييز ونقل التمييز أي ذَهَبَتْ كَلَاكِلُهَا وَصُدُّورُهَا.

(٥) في «ب» بِفَعَالِيهِمْ.

(٦) تفسير الرازي ٢٦/٧.

(٧) أبيات من الوافر له و «فَهْمٌ» قبيلة عربية و «رَحَا مَطَّانٍ» مكان و «السَّهْبُ» الفضاء الشاسع من الأرض و «الصَّحْصَحَانَ» المستوي. والنضو: الدابة الهزيلة من كثرة السفر. والمصقول: السيف والجران مقدم عُقْبُ البعير من مذبحه إلى منحره. والشاهد في «فَأَضْرِبُهَا» حيث عبر بلفظ المستقبل تحقّقاً لوقوعه وأنه تَأْتِقُ فِي النَصْرِ فَقَصِدُ الصُّورَةِ الْمَاضِيَةِ فِي الذِّهْنِ. وانظر: الكشاف ٣/٣٠٢ والبحر ٧/٣٠٢ وكذلك القرطبي ١٤/٣٢٧ والمثل السائر ٦٩ ومعجم البلدان «رحا مطان» وشرح شواهد

حيث قال: «فأضربها» ليصور لقومه حاله وشجاعته وجرأته وقوله: «فَسُقْنَا وَأَخْيَيْنَا» معدولاً بهما عن لفظ الغيبة إلى ما هو أذخُلُ في الاختصاص وأدلَّ عليه<sup>(١)</sup>.

### فصل

قال: أرسل بلفظ الماضي وقال: «فَتَثِيرُ سَحَابًا» بلفظ المستقبل، لأنه لما أسند فعل الإرسال إلى الله وما يفعله يكون بقوله كن فلا يبقى في العدم لا زماناً ولا جزءاً من الزمان فلم يقل بلفظ المستقبل لوجوب وقوعه وسرعة كونه كأنه كان، ولأنه فرغ<sup>(٢)</sup> من كل شيء فهو قدّر الإرسال في الأوقات المعلومة وإلى المواضع المعينة. ولما أسند فعل الإشارة إلى الريح وهي<sup>(٣)</sup> تُولَّفُ في زمان فقال: تَثِيرُ أي على هيئتها وقال: «سُقْنَا» أسند الفعل إلى المتكلم وكذلك في قوله: «فَأَخْيَيْنَا»، لأنه في الأول عرف نفسه بفعل من الأفعال وهو الإرسال ثم لما عرف قال: أنا الذي بَعَثْتُ<sup>(٤)</sup> السَّحَابَ وَأَخْيَيْتُ الْأَرْضَ. ففي الأول كان تعريفاً بالفعل العجيب وفي الثاني كان تذكيراً بالنعمة فإن كمال نعمة الرياح والسحاب بالسوق والإحياء وقوله: «سُقْنَا وَأَخْيَيْنَا» بصيغة الماضي يؤيد ما ذكرنا من الفرق بين قوله: «أرسل» وبين قوله: «تثير». ثم قال: «كَذَلِكَ النَّشُورُ» أي من القبور ووجه التشبيه من وجوه:

أحدها: أن الأرض الميتة لما وصلت<sup>(٥)</sup> الحياة اللائقة بها كذلك الأعضاء تقبل الحياة. وثانيها: كما أن الريح تجمع القِطْعَ السحابية كذلك تجمع أجزاء الأعضاء وأبغاض الأشياء.

وثالثها: كما أننا نسوق الرِّيحَ والسحاب إلى البلد كذلك نسوق الرُّوحَ إلى الجسد الميت.

فإن قيل: ما الحكمة في هذه الآية من بين الآيات مع أن الله تعالى له في كل شيء آية تدل على أنه واحد؟

فالجواب: أنه تعالى لما ذكر أنه فاطر السماوات والأرض وذكر من الأمور السماوية والأرواح وإرسالها بقوله: «جَاعِلِ الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا أُولِي أَجْنَحَةٍ» ذكر من الأمور الأرضية الرِّيحَ<sup>(٦)</sup>.

(١) قاله الزمخشري في الكشاف ٣/٣٠٢ وأبو حيان في البحر ٧/٣٠٢ أيضاً.

(٢) كذا هي في «أ» وفي الرازي وكأنه فرغ.

(٣) كذا في «ب» وفي الرازي: وهو يُولَّفُ بالتذكير.

(٤) في الرازي: عرفنتي سقت السحاب وغرفنتي أحييت الأرض.

(٥) في «ب» قبلت وكذا في الرازي.

(٦) الرازي ٧/٢٦.

قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِضُ مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمَنْ كُلَّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَازِرَ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ فِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾

قوله: «مَنْ كَانَ يُرِيدُ» شرط جوابه مقدر باختلاف التفسير في قوله: «مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ» (فقال مجاهد<sup>(١)</sup>: معناه) من كان يريد العزة بعبادة الأوثان فيكون تقديره فليطلبها. وقال قتادة: من كان يريد العزة وطريقه القويم ويحبُّ نيلها على وجهها. فيكون تقديره على هذا فليطلبها<sup>(٢)</sup>

وقال الفراء: مَنْ كَانَ يُرِيدُ عِلْمَ<sup>(٣)</sup> العزة فيكون التقدير: فليُنسب ذلك إلى الله. وقيل: من كان يريد العزة التي لا يعقبها<sup>(٤)</sup> ذلّة. فيكون التقدير: فهو لا يُباليها. ودل على هذه الأجوبة قوله: «فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ» وإنما قيل: إن الجواب محذوف وهو هذه الجملة لوجهين:

أحدهما: أن العزة لله مطلقاً من غير ترتبها على شرط إرادة أحد.

والثاني: أنه لا بدّ في الجواب من ضمير يعود على اسم الشرط إذا كان غير ظرف ولم يوجد هنا ضمير<sup>(٥)</sup>، و «جَمِيعاً» حال، والعامل فيها الاستفراق<sup>(٦)</sup>.

## فصل

قال قتادة: من كان يريد العزة فليتفرد بطاعة<sup>(٧)</sup> الله - عز وجل - ومعناه الدعاء إلى

(١) سقط كله من «ب».

(٢) ذكر هذين الرأيين أبو حيان في بحره ٣٠٣/٧ والسمين في الدر ٤٦٧/٤.

(٣) قاله في المعاني ٣٦٧/٢. (٤) نقله أبو حيان في البحر ٣٠٣/٧.

(٥) المرجع السابق وانظر أيضاً الدر المصون ٤٦٧/٤ و٤٦٨.

(٦) قاله النحاس في الإعراب ٣٦٤/٣ والقرطبي في الجامع ٣٢٨/١٤.

(٧) في «ب» إطاعة الله باللام.

طاعة من له العزة أي فليطلب العزة من عند الله بطاعته كما يقال: من كان يريد المال فالمال لفلان (أي)<sup>(١)</sup> فليطلبه من عنده وذلك أن الكفار عبدوا الأصنام وطلبوا بها التعزيز كما قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا كَلَّا﴾ [مریم: ٨١ - ٨٢] وقال: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِئِنَّهُمْ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٩].

قوله: «إِلَيْهِ يَصْعَدُ» العامة على بنائه للفاعل من «صَعَدَ» ثلاثياً «الكَلِمُ الطَّيِّبُ» (برفعهما)<sup>(٢)</sup> فاعلاً<sup>(٣)</sup> ونعتاً<sup>(٤)</sup>. وعليّ وابن مسعود يُصعدُ<sup>(٥)</sup> من أَصْعَدَ الكَلِمُ<sup>(٦)</sup> الطَّيِّبُ منصوبان على المفعول والنعت وقرىء يُصْعَدُ<sup>(٧)</sup> مبنياً للمفعول. وقال ابن عطية: قرأ الضحاك يُصْعَدُ بضم الياء لكن لم يبين كونه مبنياً للفاعل أو المفعول<sup>(٨)</sup>.

### فصل

قال المفسرون: الكَلِمُ الطَّيِّبُ قول لا إله إلا الله. وقيل: هو قول الرجل: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ. وعن ابن مسعود قال: إذا حَدَّثْتُكُمْ حَدِيثاً أَنْبَأْتُكُمْ بِمُصَدِّقِهِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَقُولُ خَمْسَ كَلِمَاتٍ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَتَبَارَكَ اللَّهُ إِلَّا أَخَذَهُنَّ مَلَكٌ فَجَعَلَهُنَّ تَحْتَ جَنَاحِهِ ثُمَّ صَعَدَ بِهِنَّ، فَلَا يَمُرُّ بِهِنَّ عَلَى جَمْعٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا اسْتَغْفَرُوا لِقَائِلِهِنَّ حَتَّى يَجِيءَ بِهِنَّ وَجْهَ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَمُصَدِّقَهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَوْلُهُ: «إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ». وقيل: الكلم الطيب: ذكر الله. وعن قتادة: إليه يصعد الكلم الطيب أي يقبل الله الكلم الطيب<sup>(٩)</sup>.

قوله: «وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ» العامة على الرفع وفيه وجهان:

أحدهما: أنه معطوف على «الكَلِمُ الطَّيِّبُ» فيكون صاعداً أيضاً. و«يَرْفَعُهُ» على هذا استئناف إخبار من الله برفعهما. وإنما وَحَدَّ الضمير وإن كان المراد الكلم والعمل

(١) سقط من «ب» وانظر في هذا تفسير الإمام البغوي معالم التنزيل ٢٩٨/٥.

(٢) ما بين القوسين كله ساقط من «أ» وموجود في «ب».

(٣) وهو الكلم. (٤) وهو الطيب.

(٥) رواها الزمخشري كما أوردها المؤلف هنا قال: «وقرىء إليه يُصْعَدُ الكلم الطيب على تسمية الفاعل من أصعد: والمُصْعَدُ هو الرجل». الكشاف ٣٠٢/٣.

(٦) ولكن ابن خالويه والبحر لأبي حيان رواها «الكَلَامُ الطَّيِّبُ» لا الكلم. وانظر: المختصر ١٢٣ والبحر ٣٠٣/٧.

(٧) الكشاف والبحر المرجعان السابقان. (٨) نقله عنه في البحر أبو حيان ٣٠٣/٧.

(٩) ذكر كل هذه الأقوال الإمام البغوي في معالم التنزيل ٢٩٨/٥ وكذلك الخازن ٢٩٨/٥. وقد ضُغِفَ الخازن الحديث الذي رواه البغوي عن ابن مسعود.

ذهاباً بالضمير مذهب اسم الإشارة<sup>(١)</sup>. كقوله ﴿عَوَانًا بَيْنَكَ ذَلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨] وقيل: لاشتراكهما في صفة واحدة وهي الصعود.

والثاني: أنه مبتدأ و «يرفعه» الخبر<sup>(٢)</sup> ولكن اختلفوا في فاعل «يَرْفَعُ» على ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه ضمير الله تعالى أي والعمل الصالح يرفعه الله إليه<sup>(٣)</sup>.

والثاني: أنه ضمير العمل الصالح<sup>(٤)</sup>. وضمير النصب على هذا فيه وجهان:

أحدهما: أنه يعود على صاحب العمل أي يرفع صاحبه.

والثاني: أنه ضمير الكلم الطيب أي العمل الصالح يرفع الكلم الطيب. ونقل هذا

عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وعكرمة وأكثر المفسرين<sup>(٥)</sup> إلا أن ابن عطية منع<sup>(٦)</sup> هذا عن ابن عباس وقال: لا يصح؛ لأن مذهب أهل السنة أن الكلم الطيب مقبول وإن كان صاحبه عاصياً.

والثالث: أن ضمير الرفع للكلم والنصب للعمل أي يرفع العمل<sup>(٧)</sup>، وقرأ ابن أبي

عَبْدَةَ وَعَيْسَى بِالنَّصْبِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ عَلَى الْإِشْتِغَالِ وَالضَّمِيرِ الْمَرْفُوعِ لِلْكَلِمِ أَوْ لِلَّهِ<sup>(٨)</sup> والمنصوب للعمل.

## فصل

قال الحسن وقتادة: الكلمُ الطَّيِّبُ ذكر الله والعمل الصالح أداء فرائضه، فمن ذكر الله ولم يؤد فرائضه ردَّ كلامه على عمله وليس الإيمان بالتمني ولا بالتخلي لكن ما قرَّ في القلوب وصدقه الأعمال فمن قال حَسَنًا وَعَمِلَ غير صالح ردَّ الله عليه قوله ومن قال حَسَنًا وعمل صالحاً رفعه العمل لقوله تعالى: «إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ

(١) البحر المحيط ٣٠٤/٧ والدر المصون ٤٦٨/٤.

(٢) السابقان.

(٣) البيان ٢٨٧/٢ والبيان ١٠٧٣.

(٤) نقل هذين أبو حيان في بحره ٣٠٤/٧ بينما ارتأى ابن الأنباري أن الهاء تعود على «العمل» نفسه فقال: «وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ الْكَلِمُ» فالهاء تعود على العمل. ورأي الفراء ك رأي ابن الأنباري يعود على العمل نفسه فكل من الفراء وابن الأنباري في النصب قد وافقا أبو حيان في وجهه وخالفاه في آخره، انظر: معاني القرآن ٣٦/٢.

(٥) البحر المحيط ٣٠٣/٧.

(٦) أوضحت منذ قليل أن هذا رأي ابن الأنباري والفراء وقال به الزَّجَّاج أيضاً في معاني القرآن ٢٦٥/٤ قال «ويجوز أن يكون «وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ» أي لا يقبل العمل الصالح إلا من مَوْحِدٍ». وانظر أيضاً البحر فيما نقله عن شهر بن حوشب.

(٨) نقله الزمخشري في الكشاف وأبو حيان في البحر ٣٠٤/٧ وانظر كذلك مختصر ابن خالويه ١٢٣ ومعاني الفراء ٣٦٧/٢.

يَرْفَعُهُ». وقال - عليه (الصلاة و) السلام - «لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ قَوْلًا إِلَّا بِعَمَلٍ وَلَا قَوْلًا وَعَمَلًا إِلَّا بِنِيَّةٍ». ومن قال الهاء في قوله «يَرْفَعُهُ» راجعة إلى العمل الصالح أي الكلم الطيب يرفع العمل الصالح فلا يُقْبَلُ عَمَلٌ إِلَّا أَنْ يَكُونَ صَادِرًا عَنِ التَّوْحِيدِ. وهذا معنى قول الكلبي ومقاتل. وقال سفيان بن عيينة: العمل الصالح هو الخالص يعني أن الإخلاص سبب قبول الخيرات من الأقوال والأفعال لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ عَمَلْنَا غَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكُ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] فجعل نقيض العمل الصالح الشُّرك والرياء<sup>(١)</sup>.

قوله: «وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ»، «يمكرون» أصله قاصر فعلى هذا ينتصب<sup>(٢)</sup> «السيئات» على نعت مصدر محذوف أي المكرات السيئات<sup>(٣)</sup> أو نعت لمضاف إلى (مصدر)<sup>(٤)</sup> أي أضاف المكرات السيئات<sup>(٥)</sup>. ويجوز أن يكون «يَمْكُرُونَ» مضمناً معنى يَكْسِبُونَ فينتصب «السيئات» مفعولاً به<sup>(٦)</sup>. قال الزمخشري<sup>(٧)</sup>: ويحتمل أن يقال استعمال المكر استعمال العمل فمعناه تعديته كما قال: ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ [النساء: ١٨] قال مقاتل: يعني الشرك. وقال أبو العالية: يعني الذين مكروا برسول الله - ﷺ - في دار الندوة<sup>(٨)</sup> كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْرَكُوا﴾ [الأنفال: ٣٠].

قوله: «وَمَكْرٌ أَوْلَيْكَ هُوَ يَبُورٌ» هو مبتدأ و «يبور» خبره والجملة خبر قوله: «وَمَكْرٌ أَوْلَيْكَ»<sup>(٩)</sup> وجوز الحوفي وأبو البقاء أن يكون «هو» فصلاً بين المبتدأ أو الخبر وخبره<sup>(١٠)</sup>. وهذا مردود بأن الفصل لا يقع قبل الخبر إذا كان فعلاً إلا أن الجرجاني<sup>(١١)</sup>

(١) نقل هذه الأقوال كلها الإمام البغوي في تفسيره معالم التنزيل ٢٩٩/٥ وانظر: لباب التأويل للإمام الخازن ٢٩٨/٥ و ٢٩٩.

(٢) في «ب» تنتصب بالتأنيث.

(٣) فحذف الموصوف وأقام الصفة مقامه وانظر البيان ٢٨٧/٢ ومشكل إعراب القرآن لمكي ٢١٥/٢ والكشاف ٣٠٣/٣ والبحر ٣٠٤/٧.

(٤) سقط من «ب».

(٥) البحر المحيط ٣٠٤/٧ والدر المصون ٤٦٩/٤.

(٦) المرجعان السابقان وانظر أيضاً مشكل مكي ٢١٥/٢ والبيان ٢٨٧/٢ وإعراب النحاس ٣٦٥/٣، والكشاف ٣٠٣/٣.

(٧) الأصح أن هذا القول للفخر الرازي لا للزمخشري وقد نقل المؤلف عبارة الرازي خطأ وذلك أن الرازي نقل رأي الزمخشري السابق وعقب بعدها قائلاً: «ويحتمل أن يقال: استعمال المكر استعمال العمل فعده تعديته كما قال: الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ». وانظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ٩/٢٦ معالم التنزيل ٢٩٩/٥.

(٨) هذا رأي أبي حيان ٢٠٤/٧ ومن بعده تلميذه السمين في الدر المصون ٤٦٩/٤.

(٩) وهذا رأي ابن الأنباري أيضاً في البيان ٢٨٧/٢ فقد قال: «وهو فصل بين المبتدأ والخبر وقد قدمنا أن الفصل يجوز أن يدخل بين المبتدأ والخبر إذا كان - أي الخبر - فعلاً مضارعاً و «يبور» فعل مضارع». وانظر: التبيان ١٠٧٣ والبحر ٢٠٤/٧ والبيان ٢٨٧/٢.

(١١) الجرجاني هو الإمام عبد القاهر صاحب النظم المعروف والمؤلف قد نقل كلام أبي حيان من البحر =

جوز ذلك، وجوز أبو البقاء أيضاً أن يكون «هو» تأكيداً<sup>(١)</sup> وهذا مردود بأن المضمّر لا يؤكد الظاهر<sup>(٢)</sup>. ومعنى «يَبُورُ» يَهْلِكُ وَيَبْطُلُ<sup>(٣)</sup> في الآخرة.

قوله تعالى: «وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ... الآية» قد تقدم أن الدلائل مع كثرتها منحصرة في قسمين: دلائل الآفاق ودلائل الأنفس كما قال تعالى: «سُئِرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ» فلما ذكر دلائل الآفاق من السموات وما يرسل منها من الرياح شرع في دلائل الأنفس وتقدم ذكره مراراً أن قوله: «مِنْ تُرَابٍ» إشارة إلى خلق آدم «ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ» إشارة إلى خلق أولاده. وتقدم أن الكلام غير محتاج إلى هذا التأويل بل خلقكم خطاب مع الناس وهم أولاد آدم، وكلهم من تراب ومن نطفة لأن كلهم من نطفة والنطفة من غذاء والغذاء (ينتهي)<sup>(٤)</sup> بالآخرة إلى الماء والتراب فهو من تراب صار<sup>(٥)</sup> نطفة «ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا».

قوله: «مِنْ أُنثَى» من مزيدة في «أُنثَى»<sup>(٦)</sup> وكذلك في: «مِنْ مُعَمَّرٍ»<sup>(٧)</sup> إلا أن الأول فاعل وهذا مفعول قام مقامه و «إِلَّا بِعِلْمِهِ»<sup>(٨)</sup> حال أي إِلَّا مُتَّبِعَةً بِعِلْمِهِ.

قوله: «مِنْ عُمُرِهِ» في هذا الضمير قولان:

أحدهما: أنه يعود على «مُعَمَّرٍ» آخر<sup>(٩)</sup> لأن المراد بقوله: «مِنْ مُعَمَّرٍ» الجنس فهو يعود عليه لفظاً لا معنى، لأنه بعد أن فرض كونه معمرأ استحال أن ينقص مِنْ عُمُرِهِ نفسه كقوله<sup>(١٠)</sup>:

٤١٥٥ - وَكُلُّ أَنَاسٍ قَارِبُوا قَتَلَ فَخَلِيلِهِمْ وَنَحْنُ خَلَعْنَا قَيْدَهُ فَهُوَ سَارِبٌ<sup>(١١)</sup>

ومنه: عندي دِرْهَمٌ وَنِصْفُهُ أَي وَنِصْفُ دِرْهَمٍ آخَرَ.

= فقد قال أبو حيان: «ولم يذهب إلى ذلك أحد فيما علمناه إلا عبد القاهر الجرجاني في شرح الإيضاح له فإنه أجاز «كَانَ زَيْدٌ هُوَ يَقُومُ» أن يكون «هو» فضلاً ورد ذلك عليه». البحر المحيط ٣٠٤/٧.

(١) التبيان ١٠٧٤. (٢) البحر المحيط ٣٠٤/٧ والدر المصون ٤/٤٧٠.

(٣) غريب القرآن ٣٦٠. (٤) سقط من «ب».

(٥) تفسير الرازي ٩/٢٦ و ١٠. (٦) الدر المصون ٤/٤٧٠.

(٧) الدر المصون ٤/٤٧٠ والبحر المحيط ٣٠٤/٧.

(٨) قاله الكشاف ٣/٣٠٣ وانظر المرجعين السابقين.

(٩) قاله الفراء في معانيه ٢/٣٦٨ وانظر: البحر والدر السابقين.

(١٠) في «ب» كقول الشاعر.

(١١) من الطويل للأخنس بن شهاب ويروى: «شَدُّوا» بدل قاربوا كما يروى: أرى كل قوم بدل «وكل أناس». وهو يفتخر بقومه وبحيواناتهم وغير قومه قد ربطوا وقيدوا حيواناتهم حتى لا تُجور على الغير أما هم فلم يقيدها فهي سارحة في الشاسع من الأرض. والشاهد: في «قَيْدَهُ» حيث أن الهاء لا تعود على ضمير الفحل الذي يخص غيرهم وإنما يعود على فحل الشاعر وقومه. وبهذا يصح التنظير بالآية، وقد تقدم.

والثاني: أنه يعود على «مُعَمَّر» لفظاً ومعنى<sup>(١)</sup>. والمعنى أنه إذا مضى من عمره حول أخصي وكَتِبَ ثم حول آخر كذلك فهذا هو النقص. وإليه ذهب ابن عباس وابن جبير وأبو مالك<sup>(٢)</sup>؛ ومنه قول الشاعر:

٤١٥٦ - حياتك أنفاسٌ تُعَدُّ فكلما مَضَى نَفْسٌ مِنْكَ انْتَقَضَتْ بِهِ جُزْءًا<sup>(٣)</sup>  
 وقرأ يعقوب وسلام<sup>(٤)</sup> - وتروى عن أبي عمرو - ولا يَنْقُصُ مَبْنِيًّا<sup>(٥)</sup> للفاعل. وقرأ الحسن: مِنْ عُمُرِهِ بِسُكُونٍ<sup>(٦)</sup> الميم.

### فصل

معنى «وما يعمر من معمر» لا يطول عمره ولا ينقص من عمره أي من عمر آخر كما يقال: لفلان عندي درهم ونصفه أي ونصف درهم آخر «إلا في كتاب». وقيل: قوله ولا ينقص من عمره ينصرف إلى الأول. وقال سعيد بن جبيرة: مكتوب في أم الكتاب عمر فلان كذا وكذا سنة ثم يكتب أسفل (من)<sup>(٧)</sup> ذلك ذهب يوم ذهب يومان ذهب ثلاثة أيام حتى ينقطع عمره. وقال كعب الأحبار حين حضر الوفاة عمر: والله لو دعا عمر ربه أن يؤخر أجله لأخر فقيل له: إن الله عز وجل يقول: «فإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ» فقال: هذا إذا حضر الأجل فأما قبل ذلك فيجوز أن يزداد و (أن) يَنْقُصَ، وقرأ هذه الآية<sup>(٨)</sup>.

### فصل

«وما تحمل من أنثى ولا تضع» إشارة إلى كمال قدرته فإن ما في الأرحام قبل التخليق بل بعده ما دام في البطن لا يعلم حاله أحد كيف والأم الحامل لا تعلم منه شيئاً فلما ذكر بقوله: «خَلَقَكُمْ مِنْ نُرَابٍ» كمال قدرته بين بقوله: «ما تَحْمِلُ مِنْ أَنْثَى وَلَا تَضَعُ

(١) بالمعنى من البحر المحيط ٣٠٤/٧ ومعاني الفراء ٣٦٨/٢ وانظر الرايين في زاد المسير ٤٨٠/٦ والقرطبي ٣٣٣/١٤.

(٢) المراجع السابقة.

(٣) من الطويل أيضاً وقائله مجهول وأتى به كشاهد معنوي حيث إن كل وقت يمر على الإنسان محسوب من عمره الذي لا يزيد ولا يَنْقُصُ عما هو في اللوح. وهذا يؤيد الرأي الثاني في «المُعَمَّر»، وانظر: البحر المحيط ٣٠٤/٧، والدر المصون ٤٧٠/٤.

(٤) سبق التعريف به.

(٥) رواها ابن خالويه عن الحسن وابن سيرين ويعقوب انظر المختصر ١٢٣ والإتحاف ٣٦١ وهي من المتواتر من الأربع فوق العشر المتواترة. وانظر القرطبي ٣٣٤/١٤.

(٦) نسبها القرطبي للأعرج والزهري المرجع السابق وفي السبعة والمختصر أنها مروية عن أبي عمرو انظر: السبعة ٥٣٤ والمختصر ١٢٣.

(٧) زيادة من «أ».

(٨) انظر: الفصل السابق في معالم التنزيل للبخاري ٢٩٩/٥.

إلا بعلمه» كمال علمه. ثم بين نفوذ إرادته بقوله: «وَمَا يَعْزَرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَضُ مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ» فبين أنه هو القادرُ العليم<sup>(١)</sup> المرید والأصنام لا قدرة لها (ولا علم)<sup>(٢)</sup>، ولا إرادة فكيف يستحق شيء منها العبادة. ثم قال: «إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ» أي الخلق من التراب. ويحتمل أن يكون المراد إن التعمير والنقصان على الله يسير. ويحتمل أن يكون المراد: إن العلم بما تحمله الأنثى يسير والكل على الله يسير. والأول أشبه لأن استعمال اليسير في الفعل<sup>(٣)</sup> أليق.

قوله: «وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ» يعني العذب والملح ثم ذكرهما فقال: «هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ» طيب «سَائِغٌ شَرَابُهُ» جائز في الحلق هنيء «وَهَذَا مِلْحٌ أَجَاجٌ» شديد الملوحة. وقال الضحاك: هو المرء<sup>(٤)</sup>.

قوله: «سَائِغٌ شَرَابُهُ» يجوز أن يكونا<sup>(٥)</sup> مبتدأ وخبراً، والجملة خبر ثانٍ وأن يكون «سَائِغٌ» خبراً و «شَرَابُهُ» فاعلاً به لأنه اعتمد<sup>(٦)</sup>، وقرأ عيسى - ويروى عن أبي عمرو وعاصم - سَيِّغٌ مثل سَيِّدٌ ومَيِّتٌ<sup>(٧)</sup>. وعن عيسى<sup>(٨)</sup> بتخفيف يائه كما يخفف هَيْنٌ ومَيِّتٌ. وقرأ طلحة وأبو نُهَيْكٌ مِلْحٌ بفتح الميم وكسر<sup>(٩)</sup> اللام، فقيل: هو مقصور من مَالِحٍ ومَالِحٌ لَغِيَّةٌ<sup>(١٠)</sup> شاذة. وقيل: مَلِحٌ بِالْفَتْحِ والكسر لُغَةٌ فِي مَلِحٍ، بالكسر والسكون<sup>(١١)</sup>.

## فصل

قال أكثر المفسرين: إن المراد من الآية ضرب المثل في حق الكفر والإيمان أو الكافر والمؤمن فالإيمان لا يُشَبَّه بالكفر كما لا يشبه البحر العذبُ الفراتُ بالبحر المَلِحِ الأجاجِ ثم على هذا فقوله: «وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا» فالبيان أن حال الكافر والمؤمن أو الكفر والإيمان دون حال البحرين لأن الأجاجِ يشارك الفُرَاتِ في خير ونفع إذ اللحمُ

(١) في «ب» العالم. (٢) سقط من «ب».

(٣) انظر: الفضل السابِق في تفسير الرازي ١٠/٢٦.

(٤) انظر هذه المعاني في القرطبي ٣٣٤/١٤ والبيهقي ٢٩٩/٥.

(٥) في «ب» يكون بالإنفراد وانظر: التبيان - في الإعراب الثاني - ١٠٧٤ والدرُّ المصون والتبيان في الإعرابين ١٠٧٤ والدر ٤٧١/٤.

(٦) أي على نفي وهو «ما» في أول الآية.

(٧) كذا رواها ابن خالويه في المختصر ١٢٣ بالتشديد وانظر البحر المحيط ٣٠٥/٧.

(٨) أورد ابن جني في المحتسب هذه القراءة ولم يورد الأولى ولعل ابن خالويه ومن تابعوه قد روهها خطأ عنه ولعلهما قراءتان تشبان له. وانظر: البحر المحيط ٣٠٥/٧ والمحتسب ١٩٨/٢.

(٩) المحتسب والبحر المرجعان السابقان. وأبو نهيك هو: علباء بن أحمد أبو نُهَيْكِ الْيَشْكُرِيِّ الْخُرَاسَانِي له حروف من الشواذ تسب إليه عرض على شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ، انظر: غاية النهاية ٥١٥/١.

(١٠) تصغير لغة. وانظر المحتسب ١٧١/١ و٨٢/٢ و١٩٩.

(١١) انظر: البحر المحيط ٣٠٥/٧.

الطريُّ يوجد فيهما والحلِية تؤخذ منهما والفُلُكُ تجري فيهما ولا نفع في الكفر والكافر . وهذا على<sup>(١)</sup> نسق قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف : ١٧٩] وقوله : ﴿كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ أَلْتَنْهَرُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ أَلْمَاءُ﴾ [البقرة : ٧٤] . قال ابن الخطيب : والأظهر أن المراد منه ذكر دليل آخر على قدرة الله تعالى وذلك من حيث إن البحرين يَسْتَوِيَانِ في الصورة ويختلفان في الماء<sup>(٢)</sup> ، فإن أحدهما فُرَاتٌ والآخر مِلْحٌ أَجَاجٌ ولولا ذلك بإيجاب<sup>(٣)</sup> مُوجِبٍ<sup>(٤)</sup> ، لما اختلف المستويان ثم إنهما بعد اختلافهما يوجد<sup>(٥)</sup> منهما أمور متشابهة فإن اللحم الطريُّ يوجد فيهما والحلِية تؤخذ منهما ومن يوجد من المتشابهين اختلافاً ومن المختلفين اشتباهاً لا يكون إلا قادراً مختاراً فقوله : «وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ» إشارة إلى أن عدم استوائهما دليل على كمال قدرته ونفوذ إرادته .

### فصل

قال أهل اللغة : لا يقال لماء البحر إذا كان فيه مُلُوحَةٌ مَالِحٌ وإنما يقال له : مِلْحٌ . وقد يذكر في بعض كتب الفقه يَصِيرُ بها ماءُ الْبَحْرِ مَالِحاً . ويؤخذ<sup>(٦)</sup> قائله (به)<sup>(٧)</sup> . وهو أصح مما يذهب إليه القوم وذلك لأن الماء العذب إذا أُلقي فيه مِلْحٌ حتى مِلْحٌ لا يقال له إلا مَالِحٌ . وماء مِلْحٌ يقال للماء الذي صار من أصل خَلَقْتِهِ كذلك لأن المَالِحَ<sup>(٨)</sup> شيء فيه مِلْحٌ ظاهر في الدُّوقِ والماء المِلْحٌ ليس ماءً ومِلْحاً بخلاف الطعام المَالِحُ فالماء العذب المُلْتَقَى فيه المِلْحُ ما فيه مِلْحٌ ظاهر في الدُّوقِ بخلاف (ما هو مِلْحٌ ظاهر<sup>(٩)</sup> في الدُّوقِ بخلاف) ما هو من أصل خلقته كذلك (فلما)<sup>(١٠)</sup> قال الفقيه : المِلْحُ أجزاء أرضية سَبِيحَةٌ يصير بها ماءُ الْبَحْرِ مَالِحاً راعى فيه الأصل فإنه جعله ماءً جاوره مِلْحٌ . وأهل اللغة حيث قالوا في البحر ماؤه مِلْحٌ جعلوه كذلك من أصل الخلقة والأجَاجُ المُرُّ كما تقدم .

قوله : «وَمِنْ كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا» من الطَّيْرِ والسَّمَكِ من العَدْبِ والمِلْحِ جميعاً «وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً» يعني من المِلْحِ دون العذب «تَلْبَسُونَهَا» من اللؤلؤ والمَرَجَانِ . وقيل : نسب اللؤلؤ إليهما لأنه قد يكون في البحر الأجَاجِ (عيون)<sup>(١١)</sup> عذبة تمتزج بالمِلْحِ فيكون

(١) في «ب» نسق على بتقديم وتأخير .

(٢) كذا هي في الرازي وما في «ب» المادة . وانظر في هذا تفسير الرازي ١٠/٢٦ و ١١ .

(٣) في «ب» بإيجاد وفي الفخر كما في «أ» بإيجاب .

(٤) في «ب» موجد ولم توجد تلك اللفظة في الرازي .

(٥) في «ب» يؤخذ وما هنا يوافق الفخر الرازي .

(٦) كذا في الرازي وما في «ب» يؤخذ . (٧) زيادة من «ب» والرازي .

(٨) في «ب» المِلْحُ وهو تحريف . (٩) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

(١٠) زيادة من الرازي عن النسختين . (١١) سقط من «ب» .

اللؤلؤ من ذلك. وقرىء<sup>(١)</sup> «الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاجِرُ» أي ماخرات تَمْخُرُ البحرَ بِالْجَرَيَانِ أي تَسُقُّ جَوَارِي مَقْبِلَةً وَمَدْبِرَةً بِرِيحٍ وَاحِدَةٍ «لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ» بِالتَّجَارَةِ «وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» اللهُ عَلَى نِعْمِهِ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْآيَةِ الْاسْتِدْلَالَ بِالْبَحْرَيْنِ وَمَا فِيهِمَا عَلَى وَجُودِ اللهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ وَكَمَالِ قُدْرَتِهِ<sup>(٢)</sup>.

قوله: «يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ» وهذا استدلال آخر باختلاف الأزمنة وقوله: «وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ» جواب لسؤال يذكره المشركون وهو أنهم قالوا اختلاف الليل والنهار بسبب اختلاف القسي الواقعة فوق<sup>(٣)</sup> الأرض وتحتها فإن في الصيف تكون الشمس على سَمْتِ الرُّؤُوسِ في بعض البلاد المائلة الآفاق<sup>(٤)</sup> وحركة الشمس هناك مائلة فتقع تحت الأرض أقل من نصف دائرة فيقل زمان مكثها تحت الأرض فيَقْصُرُ اللَّيْلُ وفي الشتاء بِالضُّدِّ فيَقْصُرُ النَّهَارُ فقال اللهُ تَعَالَى: «وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ» يعني سبب<sup>(٥)</sup> الاختلاف وإن كان ما ذكرتم لكن سير الشمس والقمر بإرادة الله وقدرته فهو الذي فعل ذلك<sup>(٦)</sup> «كُلُّ يَجْرِي لِأَجْلِ مُسَمًّى».

قوله: «ذَلِكُمْ اللهُ رَبُّكُمْ» ذلكم مبتدأ و «الله» خبره و «ربكم» خبر ثانٍ<sup>(٧)</sup> أو نعت<sup>(٨)</sup> لله. وقال الزمخشري: ويجوز في حكم الإعراب إيقاع اسم الله صفة لاسم الإشارة أو عطف بيان و «ربكم» خبر لولا أن المعنى ياباه<sup>(٩)</sup>. ورد أبو حيان بأن «الله» علم لا جنس فلا يُوصَفُ به<sup>(١٠)</sup>. ورد قوله إنَّ المعنى ياباه قال: لأنه يكون قد أخبر عن المُشَارِ إليه بتلك الصفات<sup>(١١)</sup> أنه مَالِكُكُمْ وَمُضْلِحُكُمْ.

## فصل

المعنى ذلك الذي فعل هذه الأشياء من فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِزْسَالَ الْأَرْوَاحِ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ تَرَابٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ لَهُ الْمَلِكُ كُلُّهُ فَلَا مَعْبُودَ إِلَّا هُوَ فَإِذَا كَانَ لَهُ الْمَلِكُ كُلُّهُ فَلَهُ الْعِبَادَةُ كُلُّهَا. ثم بين ما ينافي صفة الإلهية فقال: «وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ» يعني الأصنام «مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ»<sup>(١٢)</sup>.

(١) الأصح: «وترى» لا قرىء كما في الرازي و «ب».

(٢) وانظر في هذا التفسير الكبير للرازي ١١/٢٦. وانظر اللغة في اللسان لابن منظور م. ل. ج.

(٣) في «ب» في الأرض تحريف.

(٤) وفيها: إلى الآفاق وفي الرازي: في الآفاق.

(٥) في «ب» بسبب.

(٦) نقله أبو حيان في البحر ٣٠٥/٧ والسمين في الدر ٤٧١/٤.

(٨) الدر المصون المرجع السابق وانظر في الأخبار المترادفة للكشاف ٣٠٤/٣.

(٩) المرجع السابق.

(١٠) البحر المحيط ٣٠٥/٧.

(١١) «والأفعال المذكورة أي مالكمكم أو مصلحكم» قال: «وهذا معنى لائق» البحر ٣٠٥/٧.

(١٢) نقله الرازي في تفسيره ١٢/٢٦.

قوله: «وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ» العامة على الخطاب في «تَدْعُونَ» لقوله: «رَبُّكُمْ». وعيسى وسلام ويعقوب - وتبرؤى عن أبي عمرو - بياء الغيبة<sup>(١)</sup> إمّا على الالتفات وإمّا على الانتقال إلى الإخبار. والفرق بينهما أن يكون في الالتفات المراد بالضميرين واحداً بخلاف الثاني فإنهما غَيْرَانِ<sup>(٢)</sup>. و «يَمْلِكُونَ» هو خبر الموصول و «مِنْ قَطْمِيرٍ» مفعول به. و «مِنْ» فيه مزيدة<sup>(٣)</sup>. والقطمير المشهور فيه أنه لُقَافَةُ النَّوَاةِ. وهو مثلٌ في القِلَّةِ كقوله:

٤١٥٧ - وَأَبُوكَ يَخْصِفُ نَعْلَهُ مُتَوَرِّكاً مَا يَمْلِكُ الْمِسْكِينُ مِنْ قَطْمِيرٍ<sup>(٤)</sup>  
وقيل: هو القُمنُعُ وقيل: ما بين القُمنُعِ والنَّوَاةِ<sup>(٥)</sup>. وقد تقدم أن النَّوَاةَ أربعة أشياء يضرب بها المثل في القِلَّةِ: القَتِيلُ وهو ما في شِقِّ النَّوَاةِ، والقَطْمِيرُ وهو اللُقَافَةُ وَالنَّقِيرُ والثفروقُ وهو ما بين القُمنُعِ والنَّوَاةِ<sup>(٦)</sup>.

قوله: «إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ» يعني الأصنام «وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ» وهذا إبطال لما كانوا يقولون: إن في عبادة الأصنام عِزَّةَ من حيث القرب منها والنظر إليها وعرض الحوائج عليها والله لا يرى ولا يصل إليه أحد فقال مجيباً لهم: إن هؤلاء لا يسمعون كما تظنون فإنهم كانوا يقولون: إن الأصنام تسمع وتعلم ولكن لا يمكنهم أن يقولوا بأنها تجيب لأن ذلك إنكار للمحسوس فقال: «وَلَوْ سَمِعُوا» كما تظنون «مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ»<sup>(٧)</sup>.

قوله: «وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ» أي يَتَّبِعُونَ<sup>(٨)</sup> منكم ومن عبادتكم إيَّاهَا ويقولون «مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ». واعلم أنه لما بين عدم النفع فيهم في الدنيا بين عدم النفع فيهم في الآخرة ووجود الضرر منهم في القيامة بقوله: «وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ

(١) ذكرها ابن خالويه في المختصر ١٢٣ وكذلك أبو حيان في البحر ٣٠٥/٧ ونقل أبو حيان هذا عن ابن جبارة وهو صاحب الكامل في القراءات الخمسين.

(٢) نقله صاحب الدر المصون في تفسيره ٤٧٢/٤.

(٣) المرجع السابق والتقدير «وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ قَطْمِيرًا».

(٤) من تمام الكامل، ولم أعرف قائله ومعنى خَصَفَ الثَّلَّعَ وضع بعضها على بعض قال صاحب اللسان: «خَصَفَ الثَّلَّعَ يَخْصِفُهَا خَصْفًا ظَاهِرٌ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ وَخَرَزَهَا وَهِيَ نَعْلٌ خَصِيفٌ وَكُلُّ مَا طَوَّرِقَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَقَدْ خَصَفَ وَفِي الْحَدِيثِ: أَنَّهُ كَانَ يَخْصِفُ نَعْلَهُ». اللسان ١١٧٤ خ ص ف. وانظر البيت في البحر ٣٠٥/٧ فقد أتى به استشهاداً على أن القطمير هو لُقَافَةُ النَّوَاةِ الضعيفة الهيئة.

(٥) انظر: اللسان «ق ط م ر» ٣٦٨٢ وغريب القرآن ٣٦٠ والقرطبي ٣٣٦/١٤ والبحر ٣٩٦/٧ وتأويل المشكل ١٠٥ وزاد المسير ٤٨١/٦.

(٦) عند قوله: «وَلَا تَظْلَمُونَ قِيلاً» الآية ٧٧ من النساء وانظر: اللباب ٥٣/٢ ب.

(٧) نقله الرازي عند قوله تعالى: «إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا». وانظر تفسيره ١٢/٢٦.

(٨) في «ب» يقهرون وانظر: معالم التنزيل للبخاري ٣٠٠/٥.

بِشْرِكِكُمْ» أي بإشراككم بالله<sup>(١)</sup> غيره وهذا مصدر مضاف لفاعله ثم قال: «وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ» يعني نفسه أي لا ينبئك أحدٌ مثل خبير عالم بالأشياء وهذا الخطاب يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون خطاباً للنبي - ﷺ - ووجهه أن الله تعالى لما أخبر أن<sup>(٢)</sup> الخَسْبَ والحَجَرَ يوم القيامة ينطق ويكذب عابده وذلك ما لا يعلم بالعقل المجرد لولا إخبار الله تعالى عنه بقوله: «إِنَّهُمْ يَكْفُرُونَ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» فهذا القول مع كون<sup>(٣)</sup> المخبر عنه أمراً عجبياً قال إن المخبر عنه خبير.

والثاني: أن ذلك الخطاب غير مختص بأحد أي هذا الذي ذكر هو كما ذكر ولا يُنَبِّئُكَ أَيُّهَا السَّامِعُ كائناً من كنت مثل خبير.

قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدَّعِ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِهْلِهَا لَا يَحْمِلُهَا مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّْمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَرَكَ فَإِنَّمَّا يُتْرَكُ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾

قوله: «يَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ» (أي) إلى فضل الله. والفقير هو المحتاج «وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ» عن خلقه «الْحَمِيدُ» أي المحمود في إحسانه إليهم. واعلم أنه لما كثر الدعاء من النبي - عليه السلام - والإصرار من الكفار قالوا إن الله لعله محتاج إلى عبادتنا حتى يأمرنا بها أمراً بالغاً ويهددنا على تركها مبالغاً فقال الله: «أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ» فلا يأمركم بالعبادة لاحتياجه إليكم وإنما هو لإشفاقه عليكم<sup>(٤)</sup>.

## فصل

التعريف في الخبر قليل والأكثر أن يكون الخبر نكرة والمبتدأ معرفة لأن المخبر لا يخبر في الأكثر إلا بأمر يعلمه المخبر أو في ظن المتكلم أن السامع لا علم له به ثم إنَّ المبتدأ لا بد وأن يكون معلوماً عند السامع حتى يقول له: أيها السامع الأمر الذي تعرفه ثَبَّتَ له قيامٌ لا علم عندك به فإن الخبر معلوم عند السامع والمبتدأ كذلك ويقع الخبر

(١) في «ب» واللَّهُ على القسم وهذا غير مراد.

(٢) في «ب» بأن بزيادة الباء على «أن».

(٣) في «ب» كونه تحريف.

(٤) كله تلخيص من تفسير الإمام الفخر التفسير الكبير ١٢/٢٦ و ١٣.

تنبهها لا تفهيماً فإنه يحسن تعريف الخير كقول القائل: «اللَّهُ رَبُّنَا وَمُحَمَّدٌ نَبِيُّنَا» حيث عرف كون الله ربنا وكون محمد نبينا وههنا لما كان كون الناس فقراء أمراً ظاهراً لا يخفى على أحد قال: «أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ»<sup>(١)</sup>، وقوله: «إِلَى اللَّهِ» إعلام بأنه لا افتقار إلا إليه ولا انكال إلا عليه. وهذا يوجب عبادته لكونه مُفْتَقِراً إليه وعدم عبادة غيره لعدم الافتقار إلى غيره ثم قال: «وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ» أي هو مع استغنائه يدعوكم كل الدعاء وأنتم مع احتياجكم لا تجيبونه<sup>(٢)</sup>.

قوله: «إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ» وهذا بيان لِعِغَاةٍ وفيه بلاغة كاملة لأن قوله تعالى: «إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ» أي ليس إذهابكم موقوفاً إلا على مشيئته بخلاف الشيء المحتاج إليه فإن المحتاج إلى الشيء لا يقال فيه: «إِنْ شَاءَ فَلَأَنْ هَدَمَ دَارَهُ»<sup>(٣)</sup>، وإنما يقال<sup>(٤)</sup>: «لَوْلَا حَاجَةُ السُّكْنَى إِلَى الدَّارِ لِيُعْتَهَا، ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى زَادَ عَلَى بَيَانِ الاسْتِغْنَاءِ»<sup>(٥)</sup> بقوله: «وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ» يعني إن كان يتوهم متوهم أن هذا الملك كمال وعظمة فلو أذهب لزال ملكه وعظمته فهو قادر أن<sup>(٦)</sup> يخلق خلقاً جديداً أحسن من هذا (وَأَجْمَلُ)<sup>(٧)</sup>.

«وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ» أي الإذهاب والإتيان. واعلم أن لفظة «العزیز» استعمله الله تارة في القائم بنفسه فقال في حق نفسه: ﴿وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٥] وقال في هذه السورة: «عَزِيمٌ عَفُورٌ» واستعمله تارة في القائم بغيره فقال: «وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيمٍ» وقال: ﴿عَزِيمٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] فهل هما بمعنى واحد أو بمعنيين؟ فنقول: العزيم في اللغة هو الغالب والفعل<sup>(٨)</sup> إذا كان لا يطيقه شخص يقال<sup>(٩)</sup>: هو مغلوب بالنسبة إلى ذلك الفعل فقوله<sup>(١٠)</sup>: «وما ذلك على الله بعزيم» أي ذلك الفعل لا يغلبه بل هو هيئاً على الله وقوله: «عَزِيمٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ» أي يحزنه ويؤذيه كَالشَّغْلِ (الشَّغْلُ) الْعَالِي<sup>(١١)</sup>.

(١) نقله الإمام الرازي في تفسيره في إحدى مسائله التي تكلم فيها مع تغيير طفيف في عبارته. وقد نقل الشيخ يس في حاشيته على التصريح تقريراً يؤكد قول الرازي حيث قال: «المبتدأ حقه أن يكون معلوماً لأن الحكم على المجهول بعيد عن التحصيل والخبر أن يكون مجهولاً لأن الحكم بالمعلوم سعي في تحصيل الحاصل» انظر حاشية الشيخ يس على شرح التصريح للشيخ خالد الأزهرى ١/١٦٨ وانظر: تفسير الرازي ١٣/٢٦.

(٢) ولا تدعونه فيجيبكم. وانظر: المرجع السابق.

(٣) وأعدم عقاره. (٤) في الفخر: «وإنما يقول».

(٥) المرجع السابق. (٦) في (ب) بأن.

(٧) زيادة من (ب). (٨) في (ب): والعقل وهو تحريف.

(٩) في «ب»: فقال تحريف. (١٠) في (ب): بقوله تحريف.

(١١) وانظر الرازي ١٤/٢٦.

قوله: «وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ أَيْ نَفْسٌ وَازِرَةً بِحَذْفِ الْمَوْصُوفِ لِلْعَلْمِ بِهِ<sup>(١)</sup>. ومعنى «تَزِرُ» تحمل، أي لا تحمل نَفْسٌ حَامِلَةً جِئِلَ نَفْسٍ أُخْرَى.

قوله: «وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ أَيْ نَفْسٌ مُثْقَلَةٌ<sup>(٢)</sup> بِالذَّنُوبِ نَفْسًا إِلَى حَمْلِهَا فَحَذْفِ الْمَفْعُولِ بِهِ لِلْعَلْمِ<sup>(٣)</sup> بِهِ. والعامة «لَا يُحْمَلُ» مَبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ وَ «شَيْءٌ» قَائِمٌ مَقَامَ الْفَاعِلِ، وَأَبُو السَّمَّالِ وَطَلْحَةُ - وَتَزَوَى عَنِ الْكَسَائِي - بَفَتْحِ التَّاءِ مِنْ فَوْقٍ وَكَسْرِ<sup>(٤)</sup> الْمِيمِ. أَسْنَدُ الْفِعْلِ إِلَى ضَمِيرِ النَّفْسِ الْمَحْذُوفَةِ الَّتِي هِيَ مَفْعُولَةٌ «لِتَدْعُ» أَيْ لَا تَحْمِلُ تِلْكَ النَّفْسُ الدَّغْوَةَ (و) شَيْئًا مَفْعُولٌ «بَلَا تَحْمِلُ»<sup>(٥)</sup>.

قوله: «وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى» أَيْ وَلَوْ كَانَ الْمَدْعُو ذَا قُرْبَى<sup>(٦)</sup>، وَقِيلَ: التَّقْدِيرُ وَلَوْ كَانَ الدَّاعِي ذَا قُرْبَى<sup>(٧)</sup>، وَالْمَعْنِيَانِ حَسَنَانِ، وَقُرِئَ: «ذُو» بِالرَّفْعِ عَلَى أَنَّهَا التَّامَّةُ أَيْ وَلَوْ حَضَرَ ذُو قُرْبَى نَحْوُ: قَدْ كَانَ مِنْ مَطَرٍ<sup>(٨)</sup>، «وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرٍ» [البقرة: ٢٨٠]. قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: وَنَظْمُ الْكَلَامِ أَحْسَنُ مَلَاءِمَةً لِلنَّاقِصَةِ لِأَنَّ الْمَعْنَى عَلَى أَنَّ الْمَثْقَلَةَ إِذَا دَعَتْ أَحَدًا إِلَى حَمْلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ مَدْعُوهَا ذَا قُرْبَى وَهُوَ مَلْتَمِمْ وَلَوْ قَلَّتْ: وَلَوْ وَجِدَ ذُو قُرْبَى لَخَرَجَ عَنِ التَّثَامَةِ<sup>(٩)</sup>، قَالَ أَبُو حَيَّانَ: وَهُوَ مَلْتَمِمْ عَلَى الْمَعْنَى الَّتِي ذَكَرْنَاهُ<sup>(١٠)</sup>. قَالَ شَهَابُ الدِّينِ: وَالَّذِي قَالَهُ هُوَ أَيْ وَلَوْ حَضَرَ إِذْ ذَاكَ ذُو قُرْبَى<sup>(١١)</sup>. ثُمَّ قَالَ: وَتَفْسِيرُهُ «كَانَ» وَهُوَ مَبْنِيٌّ لِلْفَاعِلِ بِ «وُجِدَ» وَهُوَ مَبْنِيٌّ لِلْمَفْعُولِ تَفْسِيرٌ مَعْنَى وَالَّذِي يَفْسِرُ التَّحْوِيَّ بِهِ كَانَ التَّامَّةُ نَحْوُ: حَدَّثَ وَحَضَرَ وَوَقَعَ<sup>(١٢)</sup>.

## فصل

المعنى وإن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ بذنوبها غيرها إلى جِئِلَها أي يَحْمِلُ ما عليه من الذنوب لا

- (١) البحر ٣٠٧/٧ والدر المصون ٤/٤٧٢. (٢) المرجعان السابقان.  
 (٣) الدر المصون ٤/٤٧٢. (٤) المرجعان السابقان.  
 (٥) وقد قال الأخفش في المعاني: وقال: «وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى جِئِلِهَا» فَكَأَنَّهُ قَالَ: «وَإِنْ تَدْعُ إِنْسَانًا لَا يَحْمِلُ مِنْ ثِقَلِهَا شَيْئًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى» فَأَقْرَبُ بِحَذْفِ مَفْعُولِ «تَدْعُ» وَانظُرِ الْمَعْنَى لَهُ ٢/٦٦٤ وَ ٦٦٥، وَالْجَامِعُ ٣٣٨/١٤ وَإِعْرَابُ الْقُرْآنِ ٤/٣٦٨.  
 (٦) هَذَا رَأْيُ الْأَخْفَشِ فِي الْمَعْنَى السَّابِقِ، وَانظُرِ: إِعْرَابُ الْقُرْآنِ ٣/٣٦٨ وَالْبَيَانُ ١٠٧٤ وَالْكَشَافُ ٣/٣٠٥.  
 (٧) هَذَا رَأْيُ ابْنِ عَطِيَّةٍ نَقَلَهُ عَنِ الْعَلَمَةِ أَبُو حَيَّانَ فِي بَحْرِهِ ٧/٣٠٨.  
 (٨) وَجَدَ فِي الْبَحْرِ: «وَقَالَتْ الْعَرَبُ: قَدْ كَانَ لَبَنٌ أَيْ حَضَرَ وَحَدَّثَ» وَالشَّاهِدُ فِي هَذَا الْمَثَالِ الْوَارِدُ عَنِ الْعَرَبِ اسْتِعْمَالُ كَانَ تَامَةً بِمَعْنَى حَضَرَ وَحَدَّثَ وَ «مَطَرٌ» فَاعِلٌ بِهِ «بِوُجِدَ».  
 (٩) مَعَ تَغْيِيرِ طَفِيفٍ فِي بَعْضِ الْكَلِمِ وَانظُرِ: الْكَشَافُ ٣/٣٠٥.  
 (١٠) البحر ٧/٣٠٨.  
 (١١) يَقْصِدُ شَيْخُهُ أَبَا حَيَّانَ وَهَذِهِ مَقُولَتُهُ فِي الْبَحْرِ انظُرِ الْمَرْجِعَ السَّابِقَ.  
 (١٢) السَّابِقُ.

يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ الْمَدْعُو ذَا قَرَابَةٍ لَهُ ابْنَهُ أَوْ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ أَوْ أَحَاهُ. قال ابن عباس: يَلْقَى الْأَبُ أَوْ الْأُمُّ ابْنَهُ فَيَقُولُ يَا بَنِي الْحِمْلِ عَنِّي بَعْضُ ذُنُوبِي فَيَقُولُ لَا أَسْتَطِيعُ حَسْبِي مَا عَلَيَّ<sup>(١)</sup>

قوله: «إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ» ولم يروه. قال الأخفش: تأويله إنذارك إنما ينفع الذين يخشون ربهم بالغيب<sup>(٢)</sup>.

قوله: «بِالْغَيْبِ» حال من الفاعل أي يَخْشَوْنَهُ غَائِبِينَ عَنْهُ. أو من المفعول أي غَائِبًا عَنْهُمْ<sup>(٣)</sup>. وقوله: الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَيَقِيمُونَ الصَّلَاةَ فِي الْمَعْنَى<sup>(٤)</sup>.

قوله: «وَمَنْ تَزَكَّى» قرأ العامة «تَزَكَّى» تَفَعَّلَ «فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى» يتفعل. وعن أبي عمرو «وَمَنْ يَزَكَّى فَإِنَّمَا يَزَكَّى» والأصل فيهما يَتَزَكَّى فادغمت التاء في الزاي كما ادغمت في الدال نحو «يَذْكُرُونَ» في «يَتَذَكَّرُونَ»<sup>(٥)</sup>، وابن مسعود وطلحة: «وَمَنْ أَرَكَّى» والأصل<sup>(٦)</sup> تَزَكَّى فَأَدْغَمَ (بِاجْتِلَابِ هَمْزَةِ<sup>(٧)</sup> الْوَصْلِ «فَإِنَّمَا يَزَكَّى» أصله «يَتَزَكَّى فَأَدْغَمَ» كَأَبِي عَمْرٍو فِي غَيْرِ الْمَشْهُورِ عَنْهُ.

## فصل

معنى «وَمَنْ تَزَكَّى» صلى وعمل خيراً «فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ» لها ثوابه<sup>(٨)</sup>. «وَالِىَ اللَّهُ الْمَصِيرُ» أي التزكي إن لم تظهر فائدته عاجلاً فالمصير إلى الله يظهر عنده يوم القيامة في دار البقاء. والوازر إن لم تظهر تبعه وُزِرَ في الدنيا فهي تظهر في الآخرة إذ المصير إلى الله. ثم لما بين الهدى والضلالة ولم يهتد الكافر وهدى الله المؤمن ضرب له مثلاً بالبصير والأعمى فالمؤمن بصير حيث أبصر الطريق الواضح والكافر أعمى<sup>(٩)</sup>.

قوله: «وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ» استوى من الأفعال التي لا يكتفى<sup>(١٠)</sup> فيها بواحد لو قلت: استوى زيد لم يصح فمن ثم لزم العطف على الفاعل أو تعدده و«لا»

(١) معالم التنزيل ٣٠٠/٥. (٢) السابق.

(٣) قال الزمخشري في كشافه ٣/٣٠٥ والبحر المحيط ٧/٣٠٨، والدر المصون ٤/٤٧٣ «بالغيب» غائبين «ويخشون العذاب» غائباً عنهم.

(٤) أي في ذلك المعنى المشار إليه. وانظر: الفخر الرازي ١٥/٢٦.

(٥) لم أجد لها في المتواتر عن أبي عمرو أحد القراء السبعة فهي في ابن خالويه ١٢٣ والبحر ٧/٣٠٨ وهي من الشواذ.

(٦) ذكرها الكشاف بدون نسبة إلى من قرأ بها انظر: الكشاف ٣/٣٠٦ وفي مختصر الإمام ابن خالويه ١٢٣ «وَمَنْ أَرَكَّى: ابن مسعود ولكن صاحب الشواذ عزاها لابن مضر». انظر: الشواذ ٢٠٠.

(٧) ما بين القوسين كله ساقط من «ب». (٨) نقله البقوي في معالم التنزيل ٣٠٠/٥.

(٩) قاله الإمام الفخر في تفسيره ١٥/٢٦ و١٦.

(١٠) قاله شهاب الدين في الدر ٤/٤٧٤.

في قوله: «وَلَا الظُّلُمَاتُ» إلى آخره مكررة لتأكيد النفي<sup>(١)</sup>. وقال ابن عطية: دخول «لا» إنما هو على نية التكرار كأنه قال: ولا الظلمات والنور ولا النور<sup>(٢)</sup> والظلمات فاستغنى بذكر الأوائل عن الثواني ودل مذكور الكلام على متروكه. قال أبو حيان: وهذا غير محتاج إليه لأنه إذا نفي استوائهما أولاً فأى فائدة في نفي<sup>(٣)</sup> استوائهما ثانياً؟ وهو كلام حسن إلا أن أبو حيان هنا قال: فدخول «لا» في النفي لتأكيد معناه<sup>(٤)</sup> كقوله: «وَلَا سَتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ» [فصلت: ٣٤] وللناس في هذه الآية قولان:  
أحدهما: ما ذكر.

والثاني: أنها غير مؤكدة إذ يراد بالحسنة الجنس وكذلك السيئة فكل واحد منهما متفاوت في جنسه لأن الحسنات درجات متفاوتة وكذلك السيئات<sup>(٥)</sup>. وسيأتي تحقيق هذا إن شاء الله تعالى. فعلى هذا يمكن أن يقال بهذا هنا<sup>(٦)</sup> في الظاهر؛ إذ المراد مقابلة هذه الأجناس بعضها ببعض لا مقابلة بعض أفراد كل جنس على حدته ويرجح هذا الظاهر التصريح بهذا في قوله أولاً: «وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ» حيث لم يكررها وهذا من المواضع الحسنة المفيدة. «وَالْحَرُورُ» شدة حر الشمس<sup>(٧)</sup>، وقال الزمخشري: الحرور السَّمُومُ إلا أَنَّ السَّمُومَ بالنهار والحرور فيه وفي الليل<sup>(٨)</sup>. قال شهاب الدين: وهذا<sup>(٩)</sup> مذهب الفراء<sup>(١٠)</sup> وغيره. وقيل: السموم بالنهار والحرور بالليل خاصة. نقله ابن عطية عن<sup>(١١)</sup> رؤية. وقال: ليس بصحيح بل الصحيح ما قاله الفراء. وهذا عجيب منه كيف يرد على أصحاب اللسان بقول من يأخذ عنهم<sup>(١٢)</sup>؟ وقرأ الكسائي - في رواية زَادَانَ<sup>(١٣)</sup> - عنه

(١) المرجع السابق وانظر أيضاً: البحر المحيط لأبي حيان ٣٠٨/٧.

(٢) نقله عنه الإمام أبو حيان في البحر المرجع السابق. وقال أبو البقاء في التبيان: «لا» فيها زائدة لأن المعنى: الظلمات لا تساوي النور، وليس المراد أن النور في نفسه لا يستوي وكذلك (لا) في «وَلَا الْأَمْوَاتُ». انظر: التبيان ١٠٧٤.

(٣) في البحر: «في تقدير نفي».

(٤) قال: «وأنت تقول: مَا قَامَ زَيْدٌ وَلَا عَمْرُو فَتُوكَدُ بِلَا مَعْنَى النَّفْيِ فَكَذَلِكَ هَذَا». البحر ٣٠٨/٧.

(٥) قاله الكشاف ٣٠٦/٣ معنى والدر المصون ٤٧٤/٤ لفظاً.

(٦) وهو أن المراد نفي استواء الظلمات ونفي استواء النور إلا أن هذا غير مراد هنا في الظاهر وانظر: الدر المصون ٤٧٤/٤ والكشاف ٤٥٣/٣ و ٤٥٤.

(٧) قال في الغريب: «هذا المثل للجنة والنار» انظر: الغريب ٣٦١.

(٨) قاله في الكشاف ٣٠٦/٣. (٩) الدر المصون ٤٧٤/٤.

(١٠) لم أجد لها في معانيه ونقلها عنه القرطبي في الجامع ٣٣٩/١٤ والسمين في الدر ٤٧٤/٤.

(١١) نقله أبو حيان في البحر ٣٠٩/٧ كما نقله أبو عبيدة في المجاز ١٥٤/٢ عنه.

(١٢) البحر المحيط السابق.

(١٣) هو إبراهيم بن زاذان روى عن علي بن حمزة الكسائي. انظر ترجمته في غاية النهاية ١٤/١ وانظر القراءة في البحر المحيط ٣٠٨/٧ ومختصر ابن خالويه ١٢٣ والدر المصون ٤٧٥/٤.

«وَمَا تَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ» بالتأنيث على معنى الجماعة. وهذه الأشياء جيء بها على سبيل الاستعارة والتمثيل فالأعمى والبصير الكافر والمؤمن والظلمات والنور الكفر والإيمان والظُّلُّ والحُرُورُ الحقُّ والباطل والأحياء والأموات لمن دخل في الإسلام ولمن لم يدخل فيه. وجاء ترتيب هذه المنفيات<sup>(١)</sup> على أحسن الوجوه فإنه تعالى لما ضرب الأعمى والبصير مثلين للكافر والمؤمن عقبه بما كل منهما فيه فالكافر في ظلمة والمؤمن في نور لأن البصير وإن كان حديد النظر لا بد له من ضوء يبصر فيه وقدم الأعمى؛ لأن البصير فاصلة فحسن تأخيره ولما تقدم الأعمى في الذكر ناسب تقديم<sup>(٢)</sup> ما هو فيه فلذلك قدمت الظلمة على النور ولأن النور فاصل. ثم ذكر ما لكل منهما فللمؤمن الظل وللكافر الحرور، وآخر الحرور لأجل الفاصلة كما تقدم. وقولنا: لأجل الفاصلة هنا وفي غيره من الأماكن أحسن من قيل بعضهم لأجل السجع لأن القرآن يُنَزَّه عن ذلك. وقد منع الجمهور أن يقال في القرآن سجع<sup>(٣)</sup>، وإنما كرر الفعل في قوله: «وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ» مبالغة في ذلك لأن المنافاة بين الحياة والموت أتم من المنافاة المتقدمة وقدم الأحياء لشرف الحياة ولم يُعد «لا» تأكيداً في قوله الأعمى والبصير وكررها في غيره لأن منافاة ما بعده أتم فإن الشخص الواحد قد يكون بصيراً ثم أعمى فلا منافاة إلا من حيث الوصف بخلاف الظلُّ والحُرُورُ والظلمات والنور فإنها متنافية أبداً لا تجتمع اثنان منها في محلٍّ فالمنافاة بين الظل والحرور وبين الظلمة والنور دائمة.

فإن قيل: الحياة والموت بمنزلة العمى والبصر فإن الجسم قد يكون متصفاً بالحياة ثم يتصف بالموت!

فالجواب: أن المنافاة بينهما أتم من المنافاة بين الأعمى والبصير لأن الأعمى والبصير يشتركان في إدراكات كثيرة ولا كذلك الحي والميت فالمنافاة بينهما أتم. وأفرد «الأعمى والبصير» لأنه قابل الجنس بالجنس إذ قد يوجد في أفراد العُمَيَّان ما يساوي بعض أفراد البُصْرَاءِ كأعمى ذكي له بصيرة يساوي بصيراً بليداً فالتفاوت بين الجنسين مقطوع به لا بين الأفراد<sup>(٤)</sup>.

وجمع الظلمات لأنها عبارة عن الكفر والضلال وطُرُقُهُمَا<sup>(٥)</sup> كثيرة متشعبة. ووجد

(١) في «ب» المنقيات. تحريف. (٢) في «ب» تقدم.

(٣) شَنَّعَ السُّيُوطِيُّ عَلَى مَنْ وَصَفَ الْقُرْآنَ بِالسَّجْعِ فَقَالَ فِي الْإِتْقَانِ ١٢٥/٢: «وَأَمَّا مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ مِنْ سَجْعٍ فَهُوَ كَثِيرٌ لَا يَصِحُّ أَنْ يَتَّفَقَ عَلَيْهِ مَقْصُودٌ إِلَيْهِ وَلَوْ كَانَ الْقُرْآنُ سَجْعاً لَكَانَ غَيْرَ خَارِجٍ عَنِ أَسْئَالِيبِ كَلَامِهِمْ وَلَوْ كَانَ دَاخِلاً فِيهَا لَمْ يَقَعْ بِذَلِكَ إِعْجَازٌ».

(٤) بالمعنى قليلاً من الفخر ١٦/٢٦ و ١٧ وباللفظ من الدر المصون والبحر. الدر ٤/٤٧٥ و ٤٧٦ والبحر ٣٠٩/٧.

(٥) في «ب» وطرقها أفراداً لا تشية راجعة إلى الظلمات.

النور لأنه عبارة عن التوحيد وهو واحد فالتفاوت<sup>(١)</sup> بين كل فرد من أفراد الظلمة وبين هذا الفرد الواحد والمعنى الظلمات كلها لا تجد فيها ما يساوي هذا الواحد<sup>(٢)</sup>. قال شهاب الدين: كذا قيل. وعندني (أنه)<sup>(٣)</sup> ينبغي أن يقال: إن هذا الجمع لا يساوي هذا الواحد فنعلم انتفاء مساواة<sup>(٤)</sup> (فردٍ منه)<sup>(٥)</sup> (لـ) هذا الواحد بطريق أولى وإنما جمع الأخيَاء والأموات لأن التفاوت بينهما أكثر إذ ما من ميتٍ يساوي في الإدراك حياً فذكر أن الأحياء لا يساؤون الأموات سواء قابلت الجنس بالجنس أم الفرد بالفرد<sup>(٦)</sup>.

## فصل

قال ابن الخطيب: قدم الأشرَف في مثلين وهو<sup>(٧)</sup> الظل والحي<sup>(٨)</sup> وأخره في مثلين وهو البصر والنور وفي مثل هذا يقول المفسرون: إنه لتواخي أواخر الآيات. وهذا ضعيف لأن تواخي الأواخر راجع إلى السجع ومعجزة القرآن في المعنى لا في مجرد اللفظ فالشاعر يقدم ويؤخر للسجع فيكون اللفظ حاملاً له على تغيير المعنى وأما القرآن فحكمة بالغة المعنى فيه صحيح واللفظ يصح فلا يقدم ويؤخر اللفظ بلا معنى فنقول<sup>(٩)</sup>: الكفار قبل النبي - عليه الصلاة<sup>(١٠)</sup> والسلام - كانوا في ضلالة فكانوا كالغني وطريقتهم كالظلمة ثم لما جاء النبي - عليه (الصلاة<sup>(١١)</sup>) والسلام - وبين الحق واهتدى به منهم قوم فصاروا بصيرين وطريقتهم كالثور فقال: «لَا يَسْتَوِي» من كان قبل البعث على الكفر ومن اهتدى بعده إلى الإيمان فلما كان الكفر قبل الإيمان في زمان محمد - عليه (الصلاة<sup>(١٢)</sup>) والسلام - والكافر قبل المؤمن قدم المقدم. ثم لما ذكر المال والمرجع قدم ما يتعلق بالرحمة على ما يتعلق بالغضب لقوله - عليه (الصلاة<sup>(١٣)</sup>) والسلام - في الإلهيات: «سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي»<sup>(١٤)</sup>، ثم إن الكافر المصر بعد البعث<sup>(١٥)</sup> صار أضل من الأعمى وشابه الأموات في عدم إدراك الحق من جميع الوجوه فقال: «وَمَا يَسْتَوِي الأَخْيَاءُ أَي

(١) في «ب» والتفاوت بالواو.

(٢) من كلام أبي حيان في البحر المحيط مع تغيير طفيف في بعض الكلمات. وقد قال أبو حيان: إن هذا من كلام أبي عبد الله الرازي البحر ٣٠٩/٧.

(٣) سقط من «ب» وهي موجودة في السمين.

(٤) في السمين كما هنا وفي «ب» تساوي بالفعلية.

(٥) ساقط من «ب». (٦) انظر الدر المصون ٤٧٦/٤.

(٧) كذا هي في الفخر وفي «ب» هي.

(٨) التصحيح من الرازي عن النسختين «الحرور» فما أثبت أعلى خطأ.

(٩) كذا هي في الفخر وفي «ب» تقول. (١٠) في «ب» - ﷺ - موافقة للفخر.

(١١) سقط من «أ». (١٢) سقط من «أ» أيضاً.

(١٣) سقط من «أ». (١٤) وانظر: تفسير الرازي ١٧/٢٦.

(١٥) كذا في النسختين. وما في الفخر البعثة.

المؤمنون<sup>(١)</sup> الذين آمنوا بما أنزل الله والأموات الذين تليث عليهم الآيات البينات ولم ينتفعوا بها وهؤلاء كانوا بعد الإيمان<sup>(٢)</sup> من آمن فأخروهم عن المؤمنين لوجود حياة المؤمنين قبل ممات الكافرين المعاندين. وقدم الأعمى على البصير لوجود الكفار الضالين قبل البعثة<sup>(٣)</sup> على المؤمنين المهتدين بها.

### فصل

قال المفسرون: «وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ» (يعني)<sup>(٤)</sup> الجاهل والعالم. وقيل الأعمى عن الهدى والبصير بالهدى أي المؤمن والمشرك «وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ» يعني<sup>(٥)</sup> الكفر والإيمان «وَلَا الظُّلُّ وَلَا الحُرُورُ» يعني الجنة والنار «وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ» يعني المؤمنين والكفار. وقيل: العلماء والجهال. «إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ» حتى يتعظ ويجيب «وَمَا أَنْتَ بِمَسْمُوعٍ مَنْ فِي القُبُورِ» يعني الكفار شبههم بالأموات في القبور حين لم يجيبوا «إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ» ما أنت إلا منذر فحَوْفُهُم بالنار<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (٢٤) وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾

قوله: «إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا» لما قال: إن أنت إلا نذير بين أنه ليس نذيراً من تلقاء نفسه إنما هو نذير بإذن الله تعالى وإرساله<sup>(٧)</sup>.

قوله: «بِالْحَقِّ» يجوز فيه أوجه:

أحدها: أنه حال من الفاعل أي أَرْسَلْنَاكَ مُحَقِّقِينَ. أو من المفعول أي مُحَقِّقًا أو نعت لمصدر محذوف أي إرسالاً ملتبساً بالحق. أو متعلق بَبَشِيرٍ<sup>(٨)</sup>، ونذير، قال الزمخشري: بشيراً بالوعد<sup>(٩)</sup> ونذيراً بالوعيد الحق.

قال أبو حيان: ولا يمكن أن يتعلق «بالحق» هذا ببشيراً ونذيراً معاً بل ينبغي أن

(١) المثبت في النسختين: المؤمنين تحريف والصواب ما أثبت.

(٢) في الفخر: بعد إيمان من آمن. (٣) في «ب» البعث. بدون تاء.

(٤) سقط من «ب». (٥) في «ب» أي الكفر.

(٦) انظر في هذا معالم التنزيل للبيهقي ولباب التأويل للبخاري ٣٠٠/٥ و ٣٠١.

(٧) هكذا كلام الفخر الرازي في التفسير الكبير ١٨/٢٦.

(٨) قال بكل هذه الأوجه الزمخشري في الكشاف ٣٠٦/٣ وأبو حيان في البحر ٣٠٩/٧ والسمين في الدر

٤٧٦/٤.

(٩) الكشاف المرجع السابق لكنه عبر عن التعلق بَبَشِيرًا وَنَذِيرًا بالصلة فقال: «أو صلة لبشيراً ونذيراً الخ. .» المرجع السابق.

يتأول كلامه على أنه أراد أن تَمَّ محذوفاً والتقدير: بشيراً بِالْوَعْدِ الْحَقِّ ونذيراً بِالْوَعِيدِ الْحَقِّ<sup>(١)</sup>، قال شهاب الدين: قد صرح الرجل بهذا<sup>(٢)</sup>.

قوله: «وإن من أمة» أي وما من أمة فيما مضى. وقوله: «إلا خلاً فيها نذير» خبر «من أمة». ومعنى «خلا» أي سلف فيها نذير نبي منذر. وحذف من هذا ما أثبتته في الأول، إذ التقدير: «إلا خلاً فيها نذير وبشير»<sup>(٣)</sup>.

قوله: «وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر» أي الكتب «وبالكتابات المنيرة» أي الواضح. وكرر ذكر الكتاب بعد ذكر الزبر على طريق التأكيد. وقيل: البينات المعجزات، والزبر: هي الكتب التي فيها مواظ وشبهات لا تحتمل النسخ. والمراد بالكتاب المنير الشريعة والأحكام الموافقة<sup>(٤)</sup> للحكمة الإلهية وهي المحتملة للنسخ. وهذا تسلية للنبي - ﷺ - حيث يعلم أن غيره كان مثله مُحْتَمِلاً لأذى القوم وأن غيره أيضاً أتاهم بمثل ذلك فكذبوه وأذوه وصبروا على تكذيبهم «ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان تكبير»؟ وهذا سؤال تقرير فإنهم علموا شدة إنكار الله عليهم واستصالحهم<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَبِيٌّ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُمْ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَلْهَنَّا دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نُصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا

(١) قاله في البحر ٣١٠/٧ مع تقديم وتأخير فيه: «بالوعد الحق بشيراً وبالوعيد الحق نذيراً».

(٢) الدر المصون ٤٧٦/٤ أي صرح في الكشف المرجع السابق.

(٣) معنى كلام أبي حيان ولفظ السمين. انظر المرجعين السابقين.

(٤) في «ب» الواقعة. خطأ.

(٥) وانظر: معالم التنزيل للبغوي ٣٠١/٥ وتفسير الرازي ١٨/٢٦.

لَهُمْ نَارٌ جَهَنَّمَ لَا يَبْغِضُونَ عَلَيْهِمْ فِعْمَهُمْ وَلَا يُخَفَّفُونَ عَنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نُحَرِّجُ كُلَّ  
 كَافِرٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ  
 أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَحَآءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ  
 ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾

قوله: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً». قيل: الخطاب للنبي - ﷺ - وفيه  
 حكمة وهي أن الله تعالى لما ذكر الدلائل ولم ينتفعوا قطع الكلام منهم والنعته إلى  
 غيرهم كما أن السيد إذا نصح بعض عبده ولم ينزجر يقول لغيره: اسمع ولا تكن مثل  
 هذا. ويكرر معه ما ذكره للأول ويكون فيه إشعار بأن الأول فيه نقیصة لا يصلح للخطاب  
 فينتبه له ويدفع عن نفسه تلك النقیصة وأيضاً فلا يخرج إلى كلام أجنبي عن الأول بل  
 يأتي بما يقاربه لئلا يسمع الأول كلاماً آخر فيترك التفكير فيما كان من النصيحة<sup>(٢)</sup>.

قوله: «فَأَخْرَجْنَا» هذا التفات من الغيبة إلى التكلم وإنما كان كذلك لأن المنة  
 بالإخراج أبلغ من إنزال الماء و «مُخْتَلِفًا» نعت «لثمرات»<sup>(٣)</sup> و «ألوانها» فاعل<sup>(٤)</sup> به .  
 ولولا ذلك لأنت «مختلفاً» ولكنه لما أسند إلى جميع تكسير غير عاقل جاز تكديره ولو  
 أنت فقيل مختلفة كما يقول اختلفت ألوانها لجاز. وبه قرأ<sup>(٥)</sup> زيد بن علي.

قوله: «وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ» العامة على ضم الجيم وفتح الدال جمع «جُدَّة» وهي  
 الطريقة. قال ابن بحر<sup>(٦)</sup>: «قَطَعُ من قولك: جَدَدْتُ الشَّيْءَ قَطَعْتُهُ»<sup>(٧)</sup>. وقال أبو الفضل  
 الرازي: هي ما يخالف من الطرائق لون ما يليها<sup>(٨)</sup>. ومنه جُدَّة الحمار للخط الذي في  
 ظهره<sup>(٩)</sup>. وقرأ الزهري<sup>(١٠)</sup> جُدَّد بضم الجيم والدال<sup>(١١)</sup> جمع جَدِيدَةٌ يقال: جَدِيدَةٌ وَجُدَّدَ  
 وَجَدَّأْتُ، قال أبو ذؤيب:

(١) في «ب» - عليه الصلاة والسلام - (٢) نقله الرازي في تفسيره ١٩/٢٦ و ٢٠.

(٣) وهو نعت سببي فقد خالف المنعوت وهو «ثمرات» من حيث التذكير والتأنيت. ووافق الإعراب نصياً  
 بينما وافق ما بعده وهو «ألوان» في التذكير. وانظر في إعرابه القرطبي ٣٤١/١٤ والبحر ٣١٠/٧ والدر  
 المصون ٤٧٧/٤.

(٤) التبيان للعكبري ١٠٧٥.

(٥) من شواذ القراءات وإن كانت العربية تبيحها انظر: المرجعين السابقين البحر ٣١١/٧ والدر ٤٧٧/٤.

(٦) عمرو بن علي بن بحر بن كثير، الإمام أبو حفص الباهلي الصيرفي أحد الأعلام، وصاحب التفسير.  
 مات سنة ١٦٠ هـ، وانظر: طبقات المفسرين للداودي ١٩/٢ و ٢٠.

(٧) نقل عنه في البحر ٣١١/٧ والقرطبي ٤٣٢/١٤.

(٨) البحر المحيط ٣١١/٧.

(٩) الكشاف ٣٠٧/٣ والبحر المرجع السابق ومعاني الفراء ٣٦٩/٢ ومعاني الزجاج ٢٦٩/٤.

(١٠) في «ب» الزهوي تحريف.

(١١) نقلها القرطبي في ٣٤٢/١٤ وابن جني في المحتسب ١٩٩/٢.

٤١٥٨ - ..... جَوْنُ السَّرَاةِ لَهُ جَدَائِدُ أَرْبَعٍ<sup>(١)</sup>

نحو: سَفِينَةٌ وَسُفْنٌ وَسَفَائِنٌ. وقال أبو الفضل: جمع جديد بمعنى: آثار جديدة واضحة الألوان<sup>(٢)</sup>. وعنه أيضاً جَدَدٌ<sup>(٣)</sup> بفتحهما، وقد رد أبو حاتم هذه القراءة من حيث الأثر والمعنى<sup>(٤)</sup>. وقد صححها غيره وقال: الجدد الطريق الواضح البين، إلا أنه وضع المفرد موضع الجمع إذ المراد الطرائق والخطوط<sup>(٥)</sup>.

قوله: «مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا» مختلف صفة «الجَدَد» أيضاً و «ألوانها» فاعل به كما تقدم في نظيره<sup>(٦)</sup> ولا جائز أن يكون «مُخْتَلِفٌ»<sup>(٧)</sup> خبراً مقدماً و «ألوانها» مبتدأ مؤخر والجملة صفة؛ إذ كان يجب أن يقال مختلفة لِتَحْمَلِهَا ضمير المبتدأ<sup>(٨)</sup>. وقوله: «أَلْوَانُهَا» يحتمل معنيين:

أحدهما: أن البياض والحمرة يتفاوتان بالشدة والضعف فَرُبَّ أبيض أشد من أبيض وأحمر أشد من أحمر فنقيس<sup>(٩)</sup> البياض مختلف وكذلك الحمرة فلذلك جمع ألوانها<sup>(١٠)</sup> فيكون من باب المُشْكِل.

والثاني: أن الجَدَد كلها على لونين بياض وحمرة فالبياض والحمرة وإن كانا لونين إلا أنهما جمعاً باعتبار مَحَالِّهِمَا<sup>(١١)</sup>.

قوله: «وَعَرَّابِيْبٌ سُوْدٌ» فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه معطوف على «حُمُرٌ» عطْفٌ ذِي لَوْنٍ على ذِي لَوْنٍ<sup>(١٢)</sup>.

(١) عجز بيت من الكامل صدره: وَالذَّهْرُ لَا يَنْقَى عَلَى حَدَثَانِهِ. والجون: الأسود، والسرة الظهر، والجدايد: الأذن التي جف لبنها. والبيت في الرثاء. وجيء بالبيت على أن «جدايد» جمع «جديدة» أو «جديد». وانظر: القرطبي ٣٤٢/١٤ والدر المصون ٤٧٧/٤ وديوان المفضليات ٨٥٨ والهدليين ٤/١ وشرح شواهد الكشاف ٤٤٨ و ٤٤٩ وفتح القدير للشوكاني ٤/٤٣٧ والكشاف للزمخشري ٣/٣٠٧ والبحر ٧/٣١١.

(٢) المرجع السابق.

(٣) ذكرها في المحاسب ١٩٩/٢ والمختصر ١٢٣ وهي شاذة، كذلك نسبها الزمخشري في الكشاف ٣/٣٠٧ له.

(٤) نقل عنه أبو حيان في البحر ٧/٣١١ والمحاسب لابن جني هذا المعنى فقال ابن جني «قال أبو حاتم لا قراءة فيه غير جدد». المحاسب ١٩٩/٢.

(٥) قال الزمخشري «وضعه في موضع الطرائق والخطوط الواضحة المنفصل بعضها من بعض». الكشاف ٣/٣٠٧.

(٦) قال بذلك العكبري في التبيان ١٠٧٥ ومكي في المشكل ٢/٢١٦.

(٧) في «ب» مختلفاً تحريف. (٨) الدر المصون ٤/٤٧٨.

(٩) في «ب» فتصرة.

(١٠) البحر المحيط ٧/٣١١ نقلاً عن أبي الفضل الرازي.

(١١) الدر المصون ٤/٤٧٨.

(١٢) هذا ترجيح ورأي أبي حيان قال: «والظاهر عطْفٌ وَعَرَّابِيْبٌ» على «حمر» عطْفٌ ذِي لَوْنٍ على ذِي لَوْنٍ. البحر ٧/٣١١.

الثاني: أنه معطوف على «بيض».

الثالث: أنه معطوف على «جدد»<sup>(١)</sup>، قال الزمخشري: معطوف على بيض (أ)<sup>(٢)</sup> و على «جدد» كأنه قيل: ومن الجبال مُحَطَّطٌ ذُو جُدَدٍ ومنها ما هو على لون واحد. ثم قال: ولا بد من تقدير حذف مضاف في قوله: «ومن الجبال جدد» بمعنى ومن الجبال ذُو جُدَدٍ بِيضٌ وحمراً وسودٌ حتى يؤول إلى قولك: وَمِنْ الْجِبَالِ مُخْتَلِفِ أَلْوَانِهَا<sup>(٣)</sup>، كما قال «تَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا»<sup>(٤)</sup>. ولم يذكر بعد غرابيب سود (مختلفاً ألوانها) كما ذكر ذلك بعد «بيض وحمراً»، لأن الغرابيب هو البالغ في السواد فصار لوناً واحداً غير متفاوت بخلاف ما تقدم.

وغرابيب: جمع غرابيب وهو الأسود المتناهي في السواد<sup>(٥)</sup>.

فهو تابع للأسود كقائ<sup>(٦)</sup> وناصح<sup>(٧)</sup> وناصر<sup>(٨)</sup> ويقق<sup>(٩)</sup>، فمن ثم زعم بعضهم أنه في نية التأخير<sup>(١٠)</sup>. ومن مذهب هؤلاء أنه يجوز تقديم الصفة على موصوفها وأنشدوا:

٤١٥٩ - وَالْمُؤْمِنِ الْعَائِدَاتِ الطَّيْرِ يَمْسَحُهَا ..... (١١)

(١) رأي الزمخشري في الكشاف ٣/٣٠٧.

(٢) الهمزة سقطت من «ب». وهي في الكشاف.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

(٥) قال في اللسان غرب ٣٢٣٠: «أسود غرابي وغرابيب شديد السواد، والغرابيب ضرب من العنب بالطناف شديد السواد وهو أرق العنب وأجوده وأشدّه سواداً». وانظر: معاني القرآن للزجاج ٤/٢٦٩، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٦١ ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/١٥٤.

(٦) من قولهم: «أَحْمَرُ قَانٍ» أي شديد الحمرة. وفي الحديث: «حَتَّى قَنَا لَوْنُهَا» أي أحمر. اللسان «ق ن ا» ٣٧٦٢.

(٧) النَّاصِعُ وَالتَّبْصِيعُ البالغ من الألوان الخالص منها الصافي أي لون كان وأكثر ما يقال في البياض وأبيض ناصع ويقق وأصفر ناصع بالغوا به كما قالوا أسود حالك. اللسان: «ن ص ع» ٤٤٤٢.

(٨) يقال: أخضر ناصر كما يقال: أبيض ناصع وأصفر فاقع وقد يبالغ بالناصر في كل لون يقال: أحمر ناصر. اللسان «ن ض ر» ٤٤٥٤.

(٩) قال: أبيض يقق ويقق شديد البياض ناصعه. وفي الحديث: وَلَقَدْ فِي بَيْضَاءَ كَأَنَّهَا لَيَقُقُ. اللسان: «ي ق ق» ٤٩٦٤.

(١٠) قال أبو عبيدة في المجاز: «مقدم ومؤخر لأنه يقال: أسود غرابيب». المجاز ٢/١٥٤.

(١١) صدر بيت من بحر البسيط عجزه:

رُكْبَانُ مَكَّةَ بَيْنَ الْعَيْلِ وَالسَّعْدِ

والنابعة قائله. والمؤمن الله - عز وجل - والعيل والشجر الملتف، والعائدات التي عادت بالحرّم والشاهد هنا: «العائدات الطير» فقدم على الموصوف وهو «الطير» صفته وهي «العائدات» على زعم الزمخشري وتابعه. وانظر: الكشاف ٣/٣٠٧ وشرح شواهد ٣٨٥ وشرح الكافية للرضي ١/٣١٧ و٣١٨ وابن يعيش ٣/١١ والخزانة ٥/٧١ - ٧٣ والدر المصون ٤/٤٧٩ والديوان (٢٥).

يريد: والمؤمن الطير العائذات، وقول الآخر:

٤١٦٠ - وبالطويل العُمُرِ عُمراً حَيَدَرًا ..... (١)

يريد: وبالعمر الطويل. والبصريون لا يرون ذلك ويخرجون هذا وأمثاله على أن الثاني بدل من الأول «فسودّ والطيرُ والعمرُ» أبدال مما قبلها<sup>(٢)</sup>. وخَرَجَها الزَّمَخْشَرِيُّ وغيره على أنه حذف الموصوف وقامت صفة مقامه وأن المذكور بعد الوصف دال على الموصوف قال الزمخشري: الغَرِيْبُ تأكيد للأسود ومن حق التأكيد أن يتبع المؤكد كقولك أصفرُ فاقعٌ وأبيضُ يققُ<sup>(٣)</sup>، ووجهه أن يضمّر المؤكد قبله فيكون الذي بعده تفسيراً لما أضمّر كقوله: «والمؤمن العائذات الطير» وإنما يفعل ذلك لزيادة التوكيد حيث يدل على المعنى الواحد من طريقي الإظهار والإضمار<sup>(٤)</sup>، يعني فيكون الأصلُ وسودّ غرابيبُ سود والمؤمن الطير العائذات الطير. قال أبو حيان: وهذا لا يصح إلا على مذهب من يُجَوِّزُ حذفَ<sup>(٥)</sup> المؤكد ومن النحويين من منعه وهو اختيار ابن مالك<sup>(٦)</sup>. قال شهاب الدين: ليس<sup>(٧)</sup> هذا هو التوكيد المختلف في حذف مؤكده لأن هذا من باب الصفة والموصوف ومعنى تسمية الزمخشري لها تأكيداً من حيث إنَّها لا تفيد معنى زائداً إنما تفيد المبالغة والتوكيد في ذلك اللون والنحويون قد سموا الوصف إذا لم يفد غير الأول تأكيداً فقالوا وقد يجيء لمجرد التوكيد نحو: ﴿نَجْمَةٌ وَجِدَةٌ﴾ [ص: ٢٣] و ﴿إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ [النحل: ٥١] والتوكيد المختلف في حذف مؤكده إنما هو في باب التوكيد الصناعي<sup>(٨)</sup>. ومذهب سيبويه جوازه، أجاز: «مَرَزْتُ بِأَخَوَيْكَ أَنْفُسَهُمَا» بالنصب والرفع على تقدير أَعْيُنُهُمَا أَنْفُسَهُمَا أو هُمَا أَنْفُسُهُمَا فإين هذا من ذاك إلا أنه يشكل على الزمخشري هذا المذكور بعد «غرابيب» ونحوه بالنسبة إلى أنه جملة مفسراً لذلك المحذوف وهذا إنما

(١) من الرجز لأبي النجم العجلي وعجزه:

كَمَا اشْتَرَى الْمُسْلِمُ إِذْ تَنَصَّرَا

والمراد بالمسلم جبلة بن الأيهم أحد ملوك غسان. والشاهد فيه كسابقه في «وبالطويل العُمُرِ» حيث قدم الصفة على الموصوف والأصل: وبالعُمُرِ الطويل. والحيدر: القصير. وقد تقدم.

(٢) قال الرضي في شرح الكافية ٣١٨/١: «اعلم أنه إن صلح النعت لمباشرة العامل إياه جاز تقديمه وإبدال المتعوت منه نحو: مَرَزْتُ بِظَرِيفِ رَجُلٍ. قال: والمؤمن العائذات الطير يُنْسَحُهَا... ركباً مكة بين الغيل والسند وقريب منه قوله: «وغرابيب سود» لأن حق غريب أن يتبع أسود؛ لكونه تأكيداً له نحو أحمر قانيء وإن لم يصلح لمباشرة العامل إياه لم يقدم إلا ضرورة والنية التأخير كما تقول في: إِنَّ رَجُلًا ضَرَبَكَ فِي الدَّارِ إِنَّ ضَرَبَكَ رَجُلًا». شرح الكافية له ٣١٧/١ و ٣١٨.

(٣) فيه: وما أشبه ذلك. قلت: وجهه. (٤) الكشاف ٣٠٧/٣.

(٥) البحر المحيط ٣١١/٧.

(٦) قال في التسهيل: «ولا يحذف المؤكد ويقام المؤكد مقامه على الأصح» ١٦٥.

(٧) الدر المصون ٤٧٩/٤ و ٤٨٠.

(٨) أي الاصطلاحي المصطلح عليه.

عهد في الجمل لا في المفردات إلا في باب البدل وعطف البيان فبأي شيء يسميه؟  
والأولى فيه أن يسمى توكيداً لفظياً إذ الأصل سود غرايب سود<sup>(١)</sup>.

قوله: «مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ» «مُخْتَلِفٌ» نعت لمنوعات محذوف هو مبتدأ والجار قبله خبره  
أي وَمِنَ النَّاسِ صِنْفٌ أَوْ تَوْعٌ مُخْتَلِفٌ<sup>(٢)</sup> ولذلك عمل اسم الفاعل كقوله:

٤١٦١ - كِنَاطِحِ صَخْرَةٍ يَوْمًا لِيَفْلِقَهَا<sup>(٣)</sup>.....

وقرأ ابن السَّمِيقِ أَلْوَانَهَا<sup>(٤)</sup>. وهو ظاهر. وقرأ الزهري<sup>(٥)</sup> «وَالدَّوَابِّ» خفيفة الباء<sup>(٦)</sup>  
هرباً من التقاء ساكنين<sup>(٧)</sup> كما حرك أولهما في الضالين<sup>(٨)</sup> وجان<sup>(٩)</sup>.

### فصل

قال ابن الخطيب في هذه الآية لطائف الأولى: قوله: «أَنْزَلَ» وقال: «أَخْرَجْنَا»  
وفائدته أن قوله تعالى: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً» فإن كان جاهلاً يقول نزول  
الماء بالطبع لثقله فيقال له فالإخراج لا يمكنك أن تقول فيه إنه بالطبع فهو بإرادة الله فلما  
كان ذلك أظهر أسنده إلى المتكلم. وأيضاً فإن الله تعالى لما قال إن الله أنزل علم الله  
بالدليل وقرب التفكير فيه إلى الله فصار من الحاضرين فقال: أَخْرَجْنَا، لقربه وأيضاً  
فالإخراج أتم نعمة من الإنزال، لأن الإنزال لفائدة الإخراج فأسند (تعالى)<sup>(٩)</sup> الأتم إلى  
نفسه بصيغة المتكلم وما دونه بصيغة المخاطب الغائب. الثانية: قال تعالى: «وَمِنَ الْجِبَالِ  
جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ» كأنَّ قَائِلًا قَالَ: اختلاف الثمرات لاختلاف البقاع ألا ترى أن بعض

(١) كقولنا: جاء جاء عليّ نفسه.

(٢) قاله الزمخشري في الكشاف ٣/٣٠٧ ومكي في المشكل ٢/٣١٦ وابن الأنباري في البيان ٢/٢٨٨.

(٣) صدر بيت من البسيط للأعشى وعجزه: فَلَمْ يَصِرْهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الْوَعْلُ.

ويروى: ليوهنها. والوعل: التيس الجبلي. وهو يتحدث عن إنسان مغرض له ويشبهه بعدم نيل غرضه  
كالوعل الناطح.

والشاهد: «كناطح» فإن الأصل كوعل ناطح، فحذف الموصوف وحلت الصفة مقام المحذوف بدليل  
عملها أي الصفة عمل فعلها. وقد تقدم.

(٤) البحر المحيط ٧/٣١١، والكشاف ٣/٣٠٧، وهي شاذة.

(٥) في «ب» الزهوي، تحريف.

(٦) ذكرها أبو الفتح في المحتسب ٢/٧٦ و٢٠٠ والزمخشري في الكشاف ٣/٣٠٧ بدون نسبة.

(٧) الكشاف والبحر ٧/٣١٢.

(٨) فقد همزت وقرئ: «ولا الضالين» هروباً من الساكنين كما قال: وتحكى عن أبواب السخيتاني.  
وحكاها أبو زيد عن عمرو بن عبيد في قوله: «وَلَا جَانَ» من سورة الرحمن والفاثحة. وانظر: مختصر  
ابن خالويه ١/١٤٩ و ١٥٠.

(٩) زيادة عن «أ» والقمر الرازي.

النباتات لا تَنْبُتُ<sup>(١)</sup> ببعض البلاد كالرُّغْفَرَانِ فقال تعالى: اختلاف البِقَاعِ ليس إلا بإرادة الله (تعالى)<sup>(٢)</sup> وإلا فلم صار بعض الجبال فيه مواضع حمراً ومواضع بيضاً.

فإن قيل: الواو في «وَمِنَ الْجِبَالِ» ما تقديرها؟ فنقول: هي تحتل وجهين:

أحدهما: أن تكون للاستئناف كأنه تعالى قال: أَخْرَجْنَا بالماء ثمراتٍ مختلفةً الألوان وفي الجبال<sup>(٣)</sup> جدد بيض دالة على القدرة الرادة على من<sup>(٤)</sup> ينكر الإرادة في اختلاف ألوان<sup>(٥)</sup> الثمار.

ثانيهما: أن تكون للعطف والتقدير وَخُلِقَ مِنَ الْجِبَالِ جُدَّةً «بيضاً».

قال الزمخشري: أراد دُوَّ جُدِّدٍ.

الثالثة<sup>(٦)</sup>: ذكر الجبال ولم يذكر الآية في (الأرض) كما قال في موضع آخر: «وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَّجَوِّزَةٌ» [الرعد: ٤] مع أن هذا الدليل مثل ذلك وذلك لأن الله تعالى لما ذكر في الأول: «فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ» كان نفس إخراج الثمار<sup>(٧)</sup> دليلاً على القدرة. ثم زاد عليه بياناً وقال: «مختلفاً» كذلك في الجبال في نفسها دليل القدرة<sup>(٨)</sup> والإرادة لكن كون الجبل في بعض نواحي الأرض دون بعضها وكون بعضها أخفض وبعضها أرفع دليل القدرة والاختيار. ثم زاد بياناً وقال: «جُدَّةً بِيضٌ» أي دلالتها بنفسها هي دالة باختلاف ألوانها كما أن إخراج الثمرات في نفسها دلائل واختلاف ألوانها دليل.

الرابع: قوله: «مُخْتَلِفًا»<sup>(٩)</sup> ألوانها الظاهر أن الاختلاف راجع إلى كل لون أي بيض مختلف ألوانها وحمرة مختلف ألوانها لأن الأبيض قد يكون على لون الجص وقد يكون على لون الثراب الأبيض وبالجملة فالأبيض تتفاوت درجاته في البياض وكذلك الأحمر تتفاوت درجاته في الحمرة ولو كان المراد البيض والحمرة مختلف الألوان لكان لمجرد التأكيد والأول أولى. وعلى هذا ذكر «مختلف ألوانها» في البيض والحمرة وآخر «السود الغريب» لأن الأسود لما ذكره مع المؤكد وهو الغريب يكون بالغاً غاية السواد فلا يكون فيه اختلاف.

قوله: «وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ» استدلال آخر على قدرة الله وإرادته فكان تعالى قسم الدلائل دلائل الخلق في هذا العالم وهو عالم المركبات قسمين حيوان وغير

(١) كذا هي في «أ» هنا والفخر. وما في (ب) يثبت بصيغة التذكير.

(٢) زيادة عن (أ) والفخر أيضاً.

(٣) في «الفخر» وفي الأشياء الكائنات من الجبال جدد بيض.

(٤) وفيه «إرادة على من ينكر الإرادة».

(٥) زيادة عن (أ) وعن الفخر أيضاً. وانظر تفسير الرازي ٢٦/٢٠.

(٦) أي اللطيفة الثالثة. (٧) كذا هي هنا وفي «ب» الثمرات.

(٨) في الفخر: دليلاً على القدرة. (٩) في الفخر: مختلف بالرفع.

حيوان وهو إما نبات وإما معدن والنبات أشرف فأشار إليه بقوله: «فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ» ثم ذكر المعدن بقوله: «وَمِنَ الْجِبَالِ» ثم ذكر الحيوان وبدأ بالأشرف منها وهو الإنسان فقال: «ومن الناس» ثم ذكر الدواب، لأن منافعها في حياتها والأنعام منفعتها في الأكل منها أو لأن الدابة<sup>(١)</sup> في العرف تطلق<sup>(٢)</sup> على الفرس وهو بعد الإنسان أشرف من غيره. وقوله: «مختلف ألوانه» القول فيه كما تقدم أنها في أنفسها دلائل كذلك باختلافها دلائل. وقوله: «مختلف ألوانه» مذكراً؛ لكون<sup>(٣)</sup> الإنسان من جملة المذكور فكان التذكير أولى<sup>(٤)</sup> قوله: «كَذَلِكَ» فيه وجهان:

أظهرهما: أنه متعلق بما قبله أي مُخْتَلِفٌ اِخْتِلَافًا مِثْلَ<sup>(٥)</sup> الاختلاف في الثمرات والجَدِّدِ والوقف على «كَذَلِكَ»<sup>(٦)</sup>.

والثاني: أنه متعلق بما بعده والمعنى مثل ذلك المطر والاعتبار بمخلوقات<sup>(٧)</sup> الله واختلاف ألوانها يخشى الله العلماء. وإلى هذا نحا ابن عطية<sup>(٨)</sup>. وهو فاسد من حيث إن ما بعد «إِنَّمَا» مانع من العمل فيها قبلها<sup>(٩)</sup>. وقد نص أبو عمرو الداني<sup>(١٠)</sup> على أن الوقف على «كَذَلِكَ» تام. ولم يحك فيه خلافاً<sup>(١١)</sup>.

قوله: «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ» العامة على نصب الجلاله ورفع «العلماء» وهي واضحة. وقرأ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَأَبُو حَنِيفَةَ - فيما نقله الزمخشري<sup>(١٢)</sup> - وأبو حيوة - فيما نقله الهذلي<sup>(١٣)</sup> في كامله - بالعكس. وتؤوِّلت على معنى التعظيم أي إنما يعظم الله من

(١) كذا هنا وفي الفخر وما في «ب» لأن الدواب.

(٢) في «ب» يطلق.

(٣) في «ب» اللون خطأ وفي الفخر: فذكر الكون.

(٤) انظر: الرازي ٢٦/٢٠.

(٥) قاله الزمخشري في الكشاف ٣٠٧/٣ والنحاس في الإعراب ٤/٣٧١ ومكي في المشكل ٢/٢١٧ وأبو البقاء في التبيان ١٠٧٥ وأبو حيان في البحر ٧/٣١٢.

(٦) حسن. قال بذلك أبو حيان في السابق.

(٧) في «ب» في مخلوقات الله.

(٨) البحر المحيط ٧/٣١٢.

(٩) قاله أبو حيان في المرجع السابق والسنين في الدر ٤/٤٨١.

(١٠) عثمان بن سعيد بن عثمان أبو عمرو الداني الأموي مولاهم القرطبي المعروف في زمانه بابن الصيرفي الإمام الحافظ أستاذ وشيخ مشايخ المقرئين. أخذ القراءة عن خلف بن إبراهيم وغيره وقرأ عليه إسحاق بن إبراهيم القيسوني وغيره له مؤلفات ضخمة ونافعة مات سنة ٤٤٤ هـ الغاية ١/٥٠٣ - ٥٠٥.

(١١) انظر: المكتفى في الوقف والابتداء ٢٦٦ وقال القرطبي «كَذَلِكَ» هنا تمام الكلام أي كذلك تختلف أحوال العباد في الخشية ثم استأنف فقال: «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ».

(١٢) نقله في الكشاف ٣/٣٠٨ وقد نقلها القرطبي أيضاً في الجامع ١٤/٣٤٤.

(١٣) الهذلي: يوسف بن علي بن جبارة أبو القاسم الهذلي الشكري الأستاذ الكبير والرحال والعلم الشهير أخذ عن أناس كثيرين وكتابه الكامل مشهور مات سنة ٤٦٥ هـ. الغاية ٢/٣٩٧ - ٤٠١.

عباده العلماء. وهذه القراءة شبيهة بقراءة: «وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ بِرَفْعِ إِبْرَاهِيمَ وَنَسَبِ رَبِّهِ»<sup>(١)</sup>.

## فصل

قال ابن عباس<sup>(٢)</sup>: إنما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني. واعلم أن الخشية بقدر معرفة المخشي والعالم يعرف الله فيخافه ويرجوه. وهذا دليل على أن العالم أعلى درجة من العابد؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] بين أن الكرامة بقدر التقوى والتقوى بقدر العلم لا بقدر العمل قال - عليه (الصلاة والسلام) -: «وَاللَّهُ إِنِّي لِأَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشِيَةً»<sup>(٣)</sup>، وقال - عليه (الصلاة<sup>(٤)</sup>) و (السلام) -: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا»<sup>(٥)</sup> وقال مسروق: كفى بخشية علماً وكفى بالاغترار<sup>(٦)</sup> بالله جهلاً. ثم قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ» أي عزيز في ملكه غفور لذنوب عباده فذكر ما يوجب الخوف والرجاء فكونه عزيزاً يوجب<sup>(٧)</sup> الخوف التام وكونه غفوراً لما دون ذلك يوجب<sup>(٨)</sup> الرجاء البالغ. وقراءة من قرأ بنصب العلماء ورفع الجلالة تقدّم معناه. قوله: «إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ» في خبر «إِنْ» وجهان:

أحدهما: الجملة من قوله: «يَرْجُونَ» أي (إِنْ)<sup>(٩)</sup> التالين يَرْجُونَ<sup>(١٠)</sup> و «لَنْ تَبُورَ» صفة «تِجَارَةٌ» و «لِيُؤْفِقَهُمْ» متعلق «بِیَرْجُونَ»<sup>(١١)</sup> أو «بِتَبُورَ»<sup>(١٢)</sup> أو بمحذوف أي فَعَلُوا ذلك لِيُؤْفِقَهُمْ<sup>(١٣)</sup>، وعلى الوجهين الأولين يجوز أن تكون لام العاقبة<sup>(١٤)</sup>.

(١) وقد اعترض على هذه القراءة أبو حيان في البحر ٣١٢/٧ بأنها في غاية الشذوذ وانظر: القرطبي ١٤/٣٤٤ والآية ١٢٤ من البقرة.

(٢) البغوي ٣٠١/٥.

(٣) الحديث رواه الإمام البخاري عن عائشة ١٢/١ و ١٣ وانظر: البغوي ٣٠١/٥.

(٤) زيادة من «ب».

(٥) المرجع الأخير وانظر: الموطأ الكسوف رقم ١ ومسنَد الإمام أحمد ٢/٢٥٧ و ٣١٢ و ٤١٨ و ٤٣٢ و ٤٥٣ و ٤٦٧ و ٤٧٧ و ٥٠٢.

(٦) في «ب» بالإغرار تحريف وانظر: البغوي المرجع السابق.

(٧) و (٨) في «ب»: «موجب» بالاسمية.

(٩) سقط من «ب».

(١٠) قاله أبو البقاء في التبيين ١٠٧٥ والزمخشري في الكشاف ٣/٣٠٨ والنحاس في الإعراب ٣/٣٧١ والفراء في المعاني ٢/٣٦٩.

(١١) التبيان والبحر ٧/٣١٣.

(١٢) المرجع الأخير السابق والكشاف ٣/٣٠٨.

(١٣) التبيان والبحر السابقان.

(١٤) قال أبو البقاء: «وهي لام الصيرورة» على التعلق بيرجونه. التبيان ١٠٧٥.

والثاني: أن الخير «إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ»<sup>(١)</sup>. (و) جوزه الزمخشري على حذف العائد أي غفور لهم<sup>(٢)</sup>. وعلى هذا «فَيْرَجُونَ» حال من «أَنْفَقُوا» أي أَنْفَقُوا ذلك راجين<sup>(٣)</sup>.

## فصل

المراد بالذين يتلون كتاب الله أي قراء القرآن لما بين<sup>(٤)</sup> العلماء بالله وخشيتهم وكرامتهم بسبب خشيتهم ذكر العالمين بكتاب الله العاملين بما فيه فقوله: «يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ» إشارة إلى الذكر وقوله: «وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ» إشارة إلى العمل البدني وقوله: «وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ» إشارة إلى العمل المالي. وفي الآية حكمة بالغة وهي قوله: «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ» إشارة إلى عمل القلب. وقوله: «الَّذِينَ يَتْلُونَ» إشارة إلى عَمَلِ اللِّسَانِ وقوله: «وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ» إشارة إلى عمل الجوارح. ثم إن هذه الأشياء الثلاثة متعلقة بجانب تعظيم الله وقوله: «وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً» يعني الشفقة على خلقه. وقوله: «سِرًّا وَعَلَانِيَةً» حثٌّ على الإنفاق كَيْفَمَا تَهَيَأُ فَإِنْ تَهَيَأُ سِرًّا فَذَلِكَ وَإِلَّا فَعَلَانِيَةً وَلَا يَمْتَنِعُ ظَنَّهُ<sup>(٥)</sup> أَنْ يَكُونَ رِيَاءً فَإِنْ<sup>(٦)</sup> تَرَكَ الْخَيْرَ مَخَافَةَ ذَلِكَ هُوَ عَيْنُ الرِّيَاءِ وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالسَّرِّ الصَّدَقَةَ الْمَطْلُوقَةَ وَبِالْعَلَانِيَةِ الزَّكَاةَ فَإِنَّ الْإِعْلَانَ بِالزَّكَاةِ كَالْإِعْلَانَ بِالْفَرْضِ وَهُوَ مُسْتَحَبٌّ. «يَرْجُونَ تِجَارَةً» وهي ما وعد الله من الثواب «لَنْ تَبُورَ» لَنْ تَفْسُدَ وَلَنْ تَهْلِكَ «لِيُؤْتِيَهُمْ أَجْرَهُمْ» جزاء أعمالهم بالثواب «وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ» قال ابن عباس: يعني سوى الثواب ما لم تَرَ عَيْنٌ وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ. ويحتمل أن يزيدهم النظر إليه كما جاء في تفسير الزيادة<sup>(٧)</sup> «إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ». قال ابن عباس: يغفر الذنب العظيم من ذنوبهم ويشكر اليسير<sup>(٨)</sup> من أعمالهم. وقيل: غفور عند<sup>(٩)</sup> الإبطاء شكور عند إعطاء الزيادة.

قوله: «وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ» يعني القرآن<sup>(١٠)</sup>. وقيل: اللوح المحفوظ لما بين الأصل (الأول)<sup>(١١)</sup> وهو وجود الله الواحد بالدلائل في قوله: «اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ» وقوله: «وَاللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ»<sup>(١٢)</sup> وقوله: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً»

(١) الكشاف ٣/٣٠٨. (٢) قال أيضاً: «شكور على أعمالهم».

(٣) السابق. (٤) نقله الفخر الرازي في تفسيره ٢٦/٢٢.

(٥) كذا في الفخر كما هنا وفي «ب» بأن يكون.

(٦) كذا هنا كما في الفخر وفي «ب» بأن. تحريف.

(٧) من قوله تعالى: «لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ» وهي الآية ٢٦ من يونس. وانظر: زاد المسير ٦/

٤٨٧.

(٨) نقله البغوي في تفسيره ٦/٣٠٣. (٩) قاله الرازي ٢٦/٢٢.

(١٠) البغوي المرجع السابق. (١١) زيادة من «أ».

(١٢) زيادة من «ب» وهو ليس في القرآن.

ذكر الأصل الثاني وهو الرسالة فقال: «وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ».

قوله: «مِنَ الْكِتَابِ» يجوز أن تكون للبيان كما يقال: «أُرْسِلَ إِلَيَّ فُلَانٌ مِنَ الثِّيَابِ»<sup>(١)</sup> جُمْلَةً، وأن تكون للجنس وأن تكون لابتداء الغاية كما يقال: «جَاءَنِي كِتَابٌ مِنَ الْأَمِيرِ» وعلى هذا فالكتاب يمكن أن يراد به اللوح يعني الذي أوحينا إليك من اللوح المحفوظ إليك حق، ويمكن أن يراد به القرآن يعني الإرشاد والتبيين الذي أوحينا إليك من القرآن ويمكن أن تكون للتبويض<sup>(٢)</sup> و «هُوَ» فصل أو مبتدأ<sup>(٣)</sup> و «مُصَدِّقًا» حال<sup>(٤)</sup>.

## فصل

«هُوَ الْحَقُّ» أكد من قول القائل: «الَّذِي أَوْحَيْنَا<sup>(٥)</sup> حَقُّ إِلَيْكَ» من وجهين:

أحدهما: أن التعريف للخبر يدل على أن الأمر في غاية الظهور لأن الخبر في الأكثر يكون نكرة.

الثاني: أن الإخبار في الغالب يكون إعلماً بثبوت أمر لا يعرفه السامع كقولنا: «زيد قام» فإن السامع ينبغي أن يكون عارفاً بزيد ولا يعرف قيامه فيخبره به فإذا كان الخبر معلوماً فيكون الإخبار للتنبية فيعرفان باللام كقولنا: «إِنَّ زَيْدًا الْعَالِمُ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ» إذا كان علمه مشهوراً. وقوله «مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ» من الكتب وهذا تقرير لكونه وحياً لأن النبي - عليه (الصلاة<sup>(٦)</sup>) والسلام - لم يكن قارئاً كاتباً وأتى ببيان ما في كتاب الله ولا يكون ذلك إلا بوحي من الله تعالى. أو يقال: إن هذا الوحي مصدق لما تقدم لأن الوحي لو لم يكن موجوداً لكذب موسى وعيسى - عليهما (الصلاة و) السلام - في إنزال التوراة والإنجيل فإذا وجد الوحي ونزل على محمد - عليه (الصلاة و) السلام - علم جوازه وصدق ما تقدم في إنزال التوراة. وفي هذا لطيفة وهي أنه تعالى جعل القرآن مصدقاً لما مضى، لأن ما مضى أيضاً مصدق له لأن الوحي إذا نزل على واحد جاز أن ينزل على غيره وهو محمد - عليه (الصلاة و) السلام - ولم يجعل ما تقدم مصدقاً للقرآن لأن القرآن كونه معجزة يكفي في تصديقه بأنه وحي وأما ما تقدم فلا بد فيه من معجزة تُصَدِّقُهُ<sup>(٧)</sup>. ثم قال: «إِنَّ اللَّهَ بَعْبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ» خبير بالبوطن بصير بالظواهر فلا يكون الوحي من الله باطلاً لا في الباطن ولا في الظاهر ويمكن أن يكون جواباً لقولهم إن القرآن لو ينزل على رجل من القرينتين عظيم فقال: «إِنَّ اللَّهَ بَعْبَادِهِ خَبِيرٌ» يعلم بوطنهم وبصير يرى ظواهرهم

(١) وانظر: الرازي ٢٦/٢٣.

(٢) المرجع السابق وانظر أيضاً الكشاف للزمخشري ٣/٣٠٨ والدر المصون للسمين ٤/٤٨٢.

(٣) نقله في التبيان ١٠٧٥.

(٤) السابق وانظر أيضاً الكشاف ٣/٣٠٨ والبحر ٧/٣١٣ ومعاني الأخفش ٢/٦٦٥.

(٥) قاله الرازي في تفسيره ٢٦/٢٣. (٦) ما بين الأقواس كلها زيادة من «ب».

(٧) المرجع السابق.

فاختار مُحَمَّدًا ولم يختَر غيره<sup>(١)</sup>، كقوله: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

قوله: «ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا» «الكتاب الذين اصطفينا» مفعولاً أَوْرَثْنَا و «الكتاب» هو الثاني قدم شرفه إذ لا لبس<sup>(٢)</sup>. وأكثر المفسرين على أن المراد بالكتاب القرآن. وقيل: المراد جنس الكتاب ينتهي إلى الذين اصطفينا من عبادنا وتجويز أن يكون ثم بمعنى الواو وأورثنا كقوله: «ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا». ومعنى أورثنا أعطينا لأن الميراث عطاء. قاله مجاهد. وقيل: أورثنا: أخرجنا ومنه الميراث لأنه أخرج عن الميت ومعناه: أخرجنا<sup>(٤)</sup> القرآن من الأمم السالفة وأعطيناكموه وأهلناكم له<sup>(٥)</sup>.

قوله: «مِنْ عِبَادِنَا» يجوز أن يكون للبيان على معنى إِنْ الْمُصْطَفَيْنَ هم عبادنا وأن يكون للتبعية أي إِنْ الْمُصْطَفَيْنَ بعضُ عبادنا لا كلهم<sup>(٦)</sup>. وقرأ أبو عمران الجوني<sup>(٧)</sup> ويعقوب وأبو عمرو - في رواية - سَبَّاقٍ مِثَالِ مَبَالِغَةٍ<sup>(٨)</sup>.

### فصل

قال ابن عباس: يريد بالعباد أمة محمد - ﷺ - ثم قَسَمَهُم ورَثَبَهُم فقال: «فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ». وروى أسامة بن زيد في هذه الآية قال: قال رسول الله - ﷺ - كلهم من هذه الأمة<sup>(٩)</sup>، وروى أبو عثمان النهدي قال: سمعت عمر بن الخطاب قرأ على المنبر «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا» الآية فقال: قال رسول الله - ﷺ - سَابِقْنَا سَابِقٌ وَمُقْتَصِدُنَا نَاجٍ وَظَالِمُنَا مَعْفُورٌ لَهُ<sup>(١٠)</sup>. وروى أبو الدرداء قال: سمعت رسول الله - ﷺ - قرأ هذه الآية «ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ...» الآية وقال: أما السابق بالخيرات فيدخل الجنة بغير حساب وأما المقتصد فيحاسب حساباً يسيراً وأما الظالم لنفسه فيجلس في المقام حتى يدخله بهم ثم يدخل الجنة ثم قرأ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ<sup>(١١)</sup>.

(١) السابق. (٢) نقله في الدر ٤/٤٨٢.

(٣) معالم التنزيل للبغوي ٢/٥: والآية ١٧ من سورة البلد أي وكان من الذين آمنوا.

(٤) في «ب» أخر بدون «نا». (٥) نقله البغوي في تفسيره المرجع السابق.

(٦) قاله السمين في الدر ٤/٤٨٢.

(٧) هو: عبد الملك بن حبيب الأزدي أبو عمران الجوني البصري أحد العلماء عن جندب وأنس وعنه سليمان التيمي والحمادان مات سنة ١٢٨ هـ. الخلاصة ٢٤٣.

(٨) البحر ٣١٣/٧ والمختصر ١٢٤ وفي البحر: أبو عمران الخوفي تحريف.

(٩) كذا أورده البغوي في تفسيره عن أسامة.

(١٠) المرجع السابق ٣٠٢/٥ وانظر فيهما الخازن في لباب التأويل ٣٠٢/٥ و٣٠٣.

(١١) أخرجه البغوي بسنده عن أبي ثابت. البغوي ٣٠٣/٥ و٣٠٢ وكذلك الخازن في لباب التأويل.

وقال عقبه بن صهبان: سألت عائشة عن قول الله - عز وجل -: «أورثنا الكتاب الذين اصطفينا الآية». فقالت: «يا بُنَيَّ كلُّهم في الجنة أما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله - ﷺ - شهد له رسولُ الله - ﷺ - بالخير<sup>(١)</sup>» وأما المقتصد فمن اتبع أثره من أصحابه حتى لِحِقَّ به وأما الظالم فمثلي ومثلكم. فجعلت نفسها معنا<sup>(٢)</sup>. وقال مجاهد والحسن وقتادة: فمنهم ظالم لنفسه هم أصحاب المشأمة، ومنهم مقتصد أصحاب الميمنة ومنهم سابق بالخيرات السابقون المقربون من الناس كلهم. وعن ابن عباس قال: السابق المؤمن المخلص والمقتصد المرابي والظالم الكافر نعمة الله غير الجاحد لها لأنه حكم للثلاثة بدخول<sup>(٣)</sup> الجنة. وقيل: الظالم هو الرَّاجِحُ السيئات والمقتصد هو الذي تساوت سَيِّئَاتُهُ وحسنَاتُهُ والسابق هو الذي رَجَحَتْ حسناته. وقيل: الظالم هو الذي ظاهره خير من باطنه والمقتصد من تساوى ظاهره وباطنه والسابق من باطنه خير من ظاهره. وقيل الظالم هو الموحد بلسانه الذي تخالفه جوارحه، والمقتصد هو الموحد الذي يمنع جوارحه من المخالفة بالتكليف والسابق هو الموحد الذي ينسيه التوحيد غير التوحيد. وقيل: الظالم صاحب الكبيرة والمقتصد التالي العالم والسابق التالي العالم العامل. وقيل: الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم<sup>(٤)</sup>. وقال جعفر الصادق: بدأ بالظالم إخباراً أنه لا يتقرب إليه إلا بكرمه وأن الظالم لا يؤثر في الاصطفاء، ثم نثى بالمُقْتَصِدِ لأنه بين الخوف والرجاء ثم ختم بالسابق لثلا يأمن أحد مكره وكلهم في الجنة<sup>(٥)</sup>. وقال أبو بكر الوراق<sup>(٦)</sup>: رتبهم على مقامات الناس لأن أخوال العبد ثلاثة معصية وغفلة ثم توبة ثم قرية فإذا عصى دخل في حَيْزِ الظالمين وإذا تاب دخل في جملة المقتصدين فإذا صحت له التوبة وكثرت العبادة والمجاهدة دخل في عِدَادِ السابقين. وقيل غير ذلك<sup>(٧)</sup>. وأما من قال: المراد بالكتاب جنس الكتاب كقوله: «جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ» فالمعنى أنا أعطيناك الكتاب الذين اصطفينا وهم الأنبياء لأن لفظ المصطفى إنما يطلق في الأكثر على الأنبياء لا على غيرهم ولأن قوله: «مِنْ عِبَادِنَا» يدل على أن العباد أكابر مكرّمون لأنه أضافهم إليه ثم المصطفين (منهم)<sup>(٨)</sup> أشرف

(١) في «ب» بالجنة فهو الأصح. (٢) السابقان.

(٣) في «ب» بدخوله.

(٤) وانظر هذه الأقوال في معالم التنزيل للبغوي ٣٠٣/٥ ولياب التأويل للخازن ٣٠٣/٥ وزاد المسير لابن الجوزي ٤٨٩/٦ و ٤٩٠ ومعاني الفراء ٣٦٩ و ٣٧٠ والفخر الرازي ٢٤/٢٦ و ٢٥ والقرطبي ١٤/٣٤٨ و ٣٤٨.

(٥) المرجعان السابقان البغوي والخازن ٣٠٢/٥ و ٣٠٣.

(٦) هو: مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ أَبِي بَكْرٍ الْوَرَّاقِ أَخَذَ الْقِرَاءَةَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ غَسَّانٍ رَوَى عَنْهُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ هَارُونَ الْأَنْصَارِيِّ انظر: غاية النهاية ٢٤١/٢.

(٧) البغوي والخازن ٣٠٣/٤ و ٣٠٤.

(٨) سقط من «ب».

ولا يليق بمن يكون أشرف من الشرفاء أن يكون ظالماً مع أن لفظ الظالم أطلقه الله في كثير من المواضع على الكافر وسمى الشرك ظلماً.

فإن قيل: كيف قال في حق من ذكر في حقه أنه من عباده<sup>(١)</sup> وأنه مصطفي ظالم مع أن الظالم يطلق على الكافر في كثير من المواضع؟

فالجواب: أن المؤمن عند المعصية يضع نفسه في غير موضعها فهو ظالم لنفسه حال المعصية قال - عليه (الصلاة<sup>(٢)</sup>) والسلام -: «لَا يَزِينِي الزَّائِي حِينَ يَزِينِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ» الحديث. وقال آدم - عليه السلام - مع كونه مصطفي: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣]. وأما الكافر فيضع قلبه الذي به اعتماد الجسد في غير موضعه فهو ظالم على الإطلاق وأما قلب المؤمن فمطمئن بالإيمان لا يضعه في غير التفكير في آلاء الله<sup>(٣)</sup>. ووجه آخر وهو أن قوله: «منهم» غير راجع إلى الأنبياء المصطفين بل المعنى: إن الذي أوحينا إليك هو الحق وأنت المصطفى كما اصطفتنا رسلنا وآتيناهم كتباً «ومنهم» أي ومن قومكم<sup>(٤)</sup> «ظالم» كَفَّرَ بِكَ وبما أنزل إليك ومقتصد أمر به<sup>(٥)</sup> ولم يأت بجميع ما أمر به وسابق آمن وعمل صالحاً. وقال الكلبي: المراد<sup>(٦)</sup> بالظالم لنفسه هو الكافر. وقيل المراد منه<sup>(٧)</sup> المنافق وعلى هذا لا يدخل الظالم في قوله: «جَنَاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا» وحمل هذا القائل الاصطفاء على أن الاضطفاء في الخلقة وإرسال الرسول إليهم وأنزل<sup>(٨)</sup> الكتاب. والذي عليه عامة أهل العلم أن المراد من جميعهم<sup>(٩)</sup> المؤمنون.

## فصل

معنى سابق بالخيرات أي الجنة وإلى رحمة الله بالخيرات أي بالأعمال الصالحة بإذن الله أي بأمر الله وإرادته «ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ» يعني إبراهيم الكتاب، ثم أخير بثوابهم فقال: «جَنَاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا» يعني الأصناف الثلاثة.

قوله: «جَنَاتٌ عَدْنٌ» يجوز أن يكون مبتدأ والجملة بعدها الخبر<sup>(١٠)</sup>، وأن يكون بدلاً من<sup>(١١)</sup> «الْفَضْلُ». قاله الزمخشري<sup>(١٢)</sup>، وابن عطية<sup>(١٣)</sup> إلا أن الزمخشري اعترض

(١) في «ب» عبادنا.

(٢) وانظر هذا كله في تفسير الرازي ٢٦/٢٤.

(٣) في «ب» آمن به.

(٤) في «ب» آمن به.

(٥) في «ب» بهم.

(٦) في «ب» جمعهم. خطأ. وانظر: البغوي ٥/٣٠٣ و ٣٠٤.

(٧) قال بذلك أبو البقاء في التبيان ١٠٧٥ وابن الأنباري في التبيان ٢/٢٨٨ ومكي في مشكل الإعراب ٢/٢١٧.

(٨) قاله ابن الأنباري في المرجع السابق والكشاف ٣/٣٠٩ وابن عطية في البحر ٧/٣١٤.

(٩) المرجع السابق. وقد جوز أبو البقاء فيه وجهين آخرين وهما: أن يكون خبراً ثانياً لذلك أو خبر مبتدأ

محذوف أي هي جنات عدن «التبيان» ١٠٧٥.

(١٣) البحر ٧/٣١٤.

وأجاب فقال: فإن قلت: فكيف جعلت «جنات عدن» بدلاً من «الفضل» الذي هو السبق بالخيرات (المشار<sup>(١)</sup>) إليه بذلك؟ قلت: لما كان السبب في نيل الثواب نزل منزلة المسبب كأنه هو الثواب) فأبدل<sup>(٢)</sup> عنه «جنات عدن». وقرأ زب<sup>(٣)</sup> والزهرى جنة<sup>(٤)</sup> مفرداً. والجَحْدَرِيُّ جناتٍ بالنصب على الاشتغال<sup>(٥)</sup> وهي تؤيد رفعها بالابتداء<sup>(٦)</sup>. وجوز أبو البقاء أن كون «جنات» بالرفع خبراً ثانياً لاسم الإشارة وأن يكون خبر مبتدأ محذوف<sup>(٧)</sup>. وتقدمت قراءة يَدْخُلُونَهَا مبنياً للفاعل أو المفعول وباقي الآية في الحَجِّج<sup>(٨)</sup>.

## فصل

قيل: المراد بالداخلين الأقسام الثلاثة. وهذا على قولنا بأنهم أقسام المؤمنين. وقيل: الذين يتلون كتاب الله وقيل: هم السابقون. وهو أقوى لقرب ذكرهم ولأنه ذكر إكرامهم بقوله: «يُحَلِّوْنَ» والمكرم هو السابق<sup>(٩)</sup>.

فإن قيل: تقديم الفاعل على الفعل وتأخير المفعول عنه موافق لترتيب المعنى إذا كان المفعول حقيقياً كقولنا: اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَقَوْلِ الْقَائِلِ: زَيْدٌ بَنَى الْجِدَارَ، فإن الله موجود قبل كل شيء ثم له فعل هو الخلق ثم حصل به المفعول وهو السموات وكذا زيد ثم البناء ثم الجدار من البناء وإذا لم يكن المفعول حقيقياً كقولنا: دخل الداخل الدار، وضرب عمراً فإن «الدار» في الحقيقة ليس مفعولاً للداخل وإنما فعله متحقق بالنسبة إلى الدار وكذلك عمرو فعل (من أفعال)<sup>(١٠)</sup> زيد تعلق به فسمي مفعولاً ولكن الأصل تقديم الفعل على المفعول ولهذا يعاد الفعلُ المقدم بالضمير تقول: عَمْرًا ضَرَبَهُ

(١) ما بين القوسين سقط من «ب». (٢) في «ب» وأبدل وفي الكشاف فأبدلت.

(٣) هو زر بن حباشة أبو زويم الأسدي الكوفي أحد الأعلام عرض على ابن مسعود وعثمان وعرض عليه عاصم مات سنة ٨٢ هـ.

(٤) انظر: ابن خالويه ١٢٤ والبحر ٣١٤/٧ والقرطبي ٣٥٠/١٤ بدون نسبة وهي شاذة.

(٥) ذكره ابن خالويه في المختصر ١٢٤ و ١٢٣ والقرطبي بدون نسبة في الجامع ٣٥٠/١٤ وكذلك الزمخشري في الكشاف ٣٠٩/٣ وقد نسبها أبو حيان للجَحْدَرِيِّ وهارون عن عاصم. انظر: البحر المحيط ٣١٤/٧.

(٦) المرجع السابق. (٧) التبيان له ١٠٧٥.

(٨) يشير إلى الآية ٢٣ منها: «وَيَدْخُلُونَهَا» بالبناء للمجهول منسوبة لأبي عمرو ورويت عن ابن كثير. والجمهور مبنياً للفاعل وانظر: الكشاف ٣٠٩/٣ والبحر ٣١٤/٧ والقرطبي ٣٥٠/١٤ والإتحاف ٣٦٢. وقرئ: يُحَلِّوْنَ وهي قراءة العامة وقرئ: يفتح الياء وسكون الحاء وتخفيف اللام ونسبت لابن عباس. والجمهور على لَوْلُوْهُمُ بهمزتين وقرئ: وَلَوْلُوْهُمُ بهمز الأولى دون الثانية ونسبت للمعلى عن عاصم ولولياً الفياض ولولي طلحة وليلياً ابن عباس. وانظر: مختصر ابن خالويه ٩٤ و ٩٥ والكشاف ٣/٣١٠ والقرطبي ٢٨/١٢.

(٩) هذا قول الرازي في تفسيره ٢٦/٢٦. (١٠) ما بين القوسين ساقط من «ب».

زَيْدٌ فتوقعه بعد الفعل بالهاء العائدة إليه وحينئذ يطول الكلام فلا يختاره الحكيم إلا لفائدة<sup>(١)</sup> فما الفائدة في تقديم «الجنات» على الفعل الذي هو الدخول وإعادة<sup>(٢)</sup> ذكرها بالهاء في «يدخلونها» وما الفرق بين هذا و (بَيْنَ)<sup>(٣)</sup> قول القائل: يَدْخُلُونَ جَنَّاتٍ عَدْنٍ؟

فالجواب: أن السامع إذا علم له مدخلاً من المداخل وله دخول ولم يعلم غير المدخل فإذا قيل له: أنت تَدْخُلُ مال إلى<sup>(٤)</sup> أن يسمع الدار والسوق فيبقى متعلق القلب بأنه في أي المداخل يكون. فإذا قيل: «الدَّارُ تَدْخُلُهَا» فيذكر الدار يعلم مدخله وبما عنده من العلم السابق بأن له دخولاً يعلم الدخول فلا يبقى متعلق<sup>(٥)</sup> القلب ولا سيما الجنة والنار فإن بين المُدْخِلِينَ بوناً بعيداً.

قوله: «يُحَلُونَ فِيهَا» إشارة إلى سرعة الدخول فإن التحلية لو وقعت خارجاً لكان فيه تأخير المدخول<sup>(٦)</sup> فقال: «يَدْخُلُونَهَا» وفيها يقع تَحْلِيَتُهُمْ، وقوله: «مِنَ أَسَاوِرَ» بجمع الجمع فإنه جمع «أَسْوَرَةٍ» وهي جمع «سَوَارٍ» «مِنَ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا»، وقوله: «وَلِبَاسُهُمْ» أي ليس كذلك لأن الإكثار من اللباس يدل على حاجة مَنْ دفع برد أو غيره والإكثار من الزينة لا يدل (إلا)<sup>(٧)</sup> على الغنى، وذكر الأساور من بين سائر التحلي في مواضع كثيرة كقوله تعالى: ﴿وَمَلَأُوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ٢١] وذلك لأن التحلي بمعنيين<sup>(٨)</sup>:

أحدهما: إظهار كون المتحلي غير مبتذل في الأشغال<sup>(٩)</sup> لأن التحلي لا يكون (حَالَةً)<sup>(١٠)</sup> حَالَةً<sup>(١١)</sup> الطبخ والغسل.

وثانيهما: إظهار الاستغناء عن الأشياء وإظهار القدرة على الأشياء لأن التحلي إما باللائيء والجواهر وإما بالذهب والفضة والتحلي بالجواهر واللائيء يدل على أن المتحلي لا يعجز عن الوصول إلى الأشياء الكثيرة عند الحاجة حيث لم يعجز عن الوصول إلى الأشياء العزيزة الوجود لا حاجة والتحلي بالذهب والفضة يدل على أنه غير محتاج<sup>(١٢)</sup> حاجة أصلية وإلا لصراف الذهب والفضة إلى دفع حاجته<sup>(١٣)</sup>. وإذا عرف هذا فنقول: الأساور محلها الأيدي وأكثر الأعمال باليد فإذا حليت بالأساور علم الفراغ من الأعمال<sup>(١٤)</sup>.

(١) انظر في هذا القيل المرجع السابق أيضاً.

(٢) في «ب» وإعادته وما في الفخر يوافق ما هنا.

(٣) سقطت من «ب» فقط.

(٤) في الفخر: فإلى أن يسمع الدار أو السوق يبقى متعلق القلب.

(٥) في الرازي: فلا يبقى له توقف. (٦) كذا في السخيتين وفي الرازي: الدخول.

(٧) زيادة من الرازي. (٨) في «ب» لمعنيين.

(٩) في «ب» الاشتغال. (١٠) سقط من «أ» وزيادة من «ب» فقط.

(١١) في «ب» حال. (١٢) في «ب» محتاجة بالتأنيث.

(١٣) في «ب» حاجة وفي الفخر: الحاجة. (١٤) وانظر: الرازي ٢٦ / ٢٦ و ٢٧.

قوله تعالى: «وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ» قرأ العامة «الْحَزْنَ» بفتحيتين وجنّاح بن حُبَيْشٍ بضم الحاء وسكون<sup>(١)</sup> الزاي. وتقدم من ذلك أول القصص<sup>(٢)</sup>. والمعنى يقولون إذا دخلوا الجنة الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن. والْحَزْنَ والحَزْنَ واحد كالبَحْلِ والبُحْلِ، قال ابن عباس: حزن النار. وقال قتادة: حزن الموت وقال مقاتل: لأنهم كانوا لا يدرون ما يصنع<sup>(٣)</sup> بهم. وقال عكرمة: حزن السيئات والذنوب وخوف ردّ الطاعات وقال القاسم: حزن زوال النعم وخوف العقاب. وقيل: حزن أهوال يوم القيامة. وقال الكلبي: ما كان يحزنهم في الدنيا من أمر يوم القيامة، وقال سعيد بن جبير: الخبز في الدنيا. وقيل: هم المعيشة<sup>(٤)</sup>، وقال الزجاج: أذهب الله عن أهل الجنة كُلَّ الأحزان ما كان منها لمعاش أو معاد<sup>(٥)</sup>. وقال - عليه (الصلاة<sup>(٦)</sup>) والسلام - لَيْسَ عَلَى أَهْلِ لَأ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَخَشَةَ فِي قُبُورِهِمْ وَلَا فِي مَنْشَرِهِمْ<sup>(٧)</sup> وَكَأَنِّي بِأَهْلِ لَأ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَنْفُضُونَ<sup>(٨)</sup> الثَّرَابَ عَن رُؤُوسِهِمْ وَيَقُولُونَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ<sup>(٩)</sup>. ثُمَّ قَالُوا: إِنَّ رَبَّنَا لَعَفُورٌ شَكُورٌ. ذكر الله عنهم أموراً كلها تفيد الكرامة: الأول (أن)<sup>(١٠)</sup> الحمد لله فإن الحامد مثاب. الثاني: قولهم: رَبَّنَا فَإِنَّ اللَّهَ (تعالى)<sup>(١١)</sup> إذا نودي بهذا اللفظ استجاب للمنادي أَلَّهُمْ إلا أن يكون المنادي يطلب ما لا يجوز. الثالث<sup>(١٢)</sup>: قولهم: غفور شكور. والغفور إشارة إلى ما غفر لهم في الآخرة بحمدهم في الدنيا، والشكور إشارة إلى ما يعطيهم الله ويزيدهم بسبب حمدهم في الآخرة.

قوله: «الَّذِي أَحَلَّنَا» أي أنزلنا «دَارَ الْمُقَامَةِ» مفعول ثانٍ «لأَحَلَّنَا». ولا يكون ظرفاً لأنه مختص فلو كان ظرفاً لتعدى إليه الفعل بفي<sup>(١٣)</sup>. والمُقَامَةُ الإقامة<sup>(١٤)</sup>. والمفعول قد يجيء بالمصدر يقال: ما له مَعْقُولُ أي عَقْل. قال تعالى: ﴿مُنْخَلِّ صِدْقٍ﴾ [الإسراء: ٨٠] ﴿وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مَرْزِقٍ﴾ [سبأ: ١٩] وكذلك المستخرج للإخراج لأن المصدر هو<sup>(١٥)</sup>

(١) ذكره ابن خالويه في المختصر ١٢٤ وذكرها الزمخشري في الكشاف بدون نسبة ٣١٠/٣ وانظر: البحر المحيط ٣١٤/٧ والدر المصون ٤٨٣/٤.

(٢) ويشير إلى قوله: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ وهما لغتان والآية ٨ منها.

(٣) في «ب» صنع بالماضي.

(٤) وانظر هذه الأقوال في معالم التنزيل للبغوي ٣٠٤/٥ ولباب التأويل للبخاري ٣٠٤/٥ وزاد المسير ٦/٤٩١ و ٤٩٢ والجامع للقرطبي ٣٥١/١٤ والكشاف ٣١٠/٣.

(٥) انظر: إعراب القرآن ومعانيه له ٢٧٠/٤.

(٦) سقط من «ب».

(٧) في «ب» حشرهم.

(٨) في «ب» يفوضون. تحريف.

(٩) أخرجه البغوي بسنده إلى ابن عمر. المرجع السابق.

(١٠) ما بين الأقواس ساقط من «ب».

(١١) في «ب» الثالثة تأنيثاً.

(١٢) قاله أبو البقاء في تبيانه ١٠٧٦ والسمين في الدر ٤٨٣/٤.

(١٣) الكشاف ٣١٠/٣.

(١٤) في «ب» غير لحن وتغيير للمعنى.

المفعول في الحقيقة فإنه هو الذي فعل (فجاز<sup>(١)</sup>) إقامة المفعول مُقَامَهُ.

## فصل

في قوله: «دَارَ الْمُقَامَةِ» إشارة إلى أن الدنيا منزلة ينزلها المكلف ويرتحل عنها إلى منزلة القبور ومن القبور إلى منزلة العَرَصَات<sup>(٢)</sup> التي فيها الجَمْع ومنها التفريق وقد يكون النار لبعضهم منزلة أخرى والجنة دار البقاء وكذا النار لأهلها.

قوله: «مِنْ فَضْلِهِ» متعلق «بِأَحْلَانَا»<sup>(٣)</sup> و «من» إما لِلْعِلَّةِ وإما لابتداء الغاية<sup>(٤)</sup>. ومعنى فضله أي يحكم وعده لا بإيجاب من عنده.

قوله: «لَا يَمَسُّنَا» حال من مفعول «أَحْلَانَا» الأول<sup>(٥)</sup> والثاني<sup>(٦)</sup>، لأن الجملة مشتملة على ضمير كل منهما وإن كان الحال من الأول أظهر<sup>(٧)</sup>. والنَّصْبُ التَّعَبُ<sup>(٨)</sup> والمشقة، واللُّغُوبُ الفُتُورُ النَّاشِئُ عَنْهُ<sup>(٩)</sup> وعلى هذا فيقال إذا انتفى السَّبَبُ نَفَى الْمُسَبَّبُ فإذا قيل: لم أكل فيعلم انتفاء الشبع فلا حاجة إلى قوله ثانياً فلم أشبع بخلاف العكس ألا ترى أنه يجوز لم أشبع ولم أكل و (في)<sup>(١٠)</sup> الآية الكريمة على ما تقرر من نفي السبب فما فائدته؟ وقد أجاب ابن الخطيب: بأنه بين مخالفة الجنة لدار الدنيا فإن أماكنها على قسمين موضع يمس فيه المشاق كالبراري وموضع يمس فيه الإعياء كالبيوت والمنازل التي في الأسفار فقيل: لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصْبٌ لَأَنَّهَا لَيْسَتْ مِطَانٌ لِمَتَاعِبِ كَدَارِ الدُّنْيَا وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ أَي لَا يَخْرُجُ مِنْهَا إِلَى مَوْضِعٍ يَتَعَبُ<sup>(١١)</sup> ويرجع إليها فيمسنا فيها الإعياء وهذا الجواب ليس بذاك<sup>(١٢)</sup>. والذي يقال: إن النصب هو تعب البدن واللغوب تعب النفس. وقيل:

(١) زيادة يقتضيهما السياق فإن «مدحلاً» مفعول به وهو مصدر ميمي مفعول لقوله: «أَدْخَلْنِي» قبله و «كُلٌّ ممزق» مفعول مطلق نائب عن المصدر الذي من الفعل أي مَرْفَاتُهُمْ تمزيقاً. والمقامة مصدر ميمي من غير الثلاثي وهو مفعول بالدخول والإحلال.

(٢) كذا هي بالصاد هنا. وفي «ب» العَرَصَاتُ بالضاد. تحريف والعَرَصَاتُ جمع عَرَصَةٍ وتجمع أيضاً على عِراضٍ وعَرَصَةُ الدار وسطها. وقيل: ما لا بناء فيه والعَرَصَةُ أيضاً كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء، وفي حديث قُسٍّ: فِي عَرَصَاتٍ بِجَنَاحَاتٍ. يتصرف من اللسان عِراضٌ والصَّحاح. وانظر: اللسان ٢٨٨٣.

(٣) الدر المصون ٤/٤٨٣. (٤) السابق.

(٥) التبيان ١٠٧٦.

(٦) السمين السابق ويقصد بالأول «نَا» وبالثاني «دَارَ الْمُقَامَةِ».

(٧) الدر المصون السابق.

(٨) قاله النحاس في الإعراب ٤/٣٧٤ والزجاج في المعاني ٤/٢٧١.

(٩) قاله في القرطبي ١٤/٣٥١ وفي معاني الفراء ٢/٣٧٠ وفي معاني القرآن وإعرابه ٤/٢٧١ وفي الكشف ٣/٣١٠.

(١٠) سقط من «ب».

(١٢) التفسير الكبير للرازي ٨/٢٦.

اللغوب الوجع وعلى هذين فالسؤال زائل<sup>(١)</sup>. وقرأ عليّ والسَلْمِيّ بفتح لام لغوب<sup>(٢)</sup> وفيه أوجه:

أحدها: أنه مصدر على فَعُول<sup>(٣)</sup> كالقَبُول.

والثاني: أنه اسم لما يلغب<sup>(٤)</sup> به كالفَطُورِ والسَّحُور. قاله الفراء<sup>(٥)</sup>.

الثالث: أنه صفة لمصدر مقدر أي لا يَمَسُّنَا لُغُوبٌ لَغُوبٌ نحو: شعرٌ شاعرٌ وموتٌ مائتٌ<sup>(٦)</sup>. وقيل: صفة لشيء غير مقدر أي أمرٌ لَغُوبٌ<sup>(٧)</sup>.

قوله: «وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ» عطف على قوله: «إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ» وما بينهما كلام يتعلق<sup>(٨)</sup> «بِالَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ» على ما تقدم.

قوله: «فَيَمُوتُوا» العامة على نصبه لحذف النون جواباً للنفي<sup>(٩)</sup> وهو على أحد مَفْعَلِيَّيْنِ نَضَبٍ: «مَا تَأْتِينَا فَتُحَدِّثُنَا» أي ما يكون منك إتيان ولا حديث. انتهى السبب وهو الإتيان فانتفى مسببه<sup>(١٠)</sup>، وهو الحديث. والمعنى الثاني: إثبات الإتيان ونفي الحديث أي ما تأتينا محدثاً بل تأتينا غير محدث. وهو لا يجوز في الآية البتة<sup>(١١)</sup> وقرأ عيسى والحسن «فَيَمُوتُونَ» بإثبات النون<sup>(١٢)</sup>. قال ابن عطية: وهي ضعيفة<sup>(١٣)</sup>، قال شهاب الدين<sup>(١٤)</sup> وقد

(١) انظر: البحر المحيط لأبي حيان ٣١٥/٧ والدر المصون للسمين ٤٨٣/٤.

(٢) نسبها كل من الزجاج والفراء في المعاني إلى السلمي فقط انظر: معاني الزجاج ٢٧١/٤ ومعاني الفراء ٣٧٠/٢ ونسبها ابن خالويه له ولعليّ ولسعید بن جبیر. المختصر ١٢٤ ونسبها ابن جني في المحتسب إلى السلمي وعليّ كما فعل المؤلف أعلى. المحتسب ٢٠٠/٢.

(٣) قاله الزمخشري في الكشاف ٣١٠/٣ وابن جني في المحتسب ٢٠٠/٢.

(٤) في «ب» يلقب بالقاف تحريف.

(٥) المعاني ٣٧٠/٢ قال: «كأنه جعله ما يلغب».

(٦) الكشاف ٣١٠/٣ والمحتسب ٢٠١/٢ وانظر كذا كله الدر المصون ٤٨٣/٤ والبحر المحيط ٣١٥/٧.

(٧) ذكر هذا الرأي صاحب اللوامح فيما نقله عنه أبو حيان في البحر المحيط، وهو أبو الفضل الرازي رحمه الله. انظر: البحر المحيط ٣١٥/٧.

(٨) في «ب» متعلق بالاسمية وانظر الفخر الرازي ٢٨/٢٦.

(٩) قاله أبو البقاء في التبيان ١٠٧٦ وابن الأنباري في البيان ٢٨٩/٢ والزمخشري في الكشاف ٣١٠/٣ والزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٢٧١/٤، والنحاس في الإعراب ٣٧٤/٤.

(١٠) في «ب» سببه تحريف.

(١١) لأن الله لم يرد أن يميتهم فلو أماتهم لأراحهم ومن هنا لا يصح أن ثبت الموت لهم. وانظر: البحر ٣١٦/٧.

(١٢) الكشاف بدون نسبة ٣١٠/٣ ونسبت في إعراب النحاس ٣٧٤/٣ والمحتسب ٢٠١/٢ و٢٠٢ والبحر ٦/٧ له ولعيسى البصري.

(١٣) البحر السابق.

(١٤) الدر المصون ٤٨٥/٤.

وَجَهَّهَا الْمَازِنِي<sup>(١)</sup> عَلَى الْعُظْفِ عَلَى «لَا يُقْضَى» أَيْ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَلَا يَمُوتُونَ. وَهُوَ أَحَدُ<sup>(٢)</sup> الْوَجْهَيْنِ فِي مَعْنَى الرَّفْعِ فِي قَوْلِكَ: مَا تَأْتِيْنَا فَنُحَدِّثُنَا أَوْ<sup>(٣)</sup> انْتِفَاءَ الْأَمْرَيْنِ مَعًا كَقَوْلِهِ<sup>(٤)</sup>: «وَلَا يُؤَدِّنُ لَهْمَ فَيَمْتَدِرُونَ» [المرسلات: ٣٦] أَيْ فَلَا يَمْتَدِرُونَ. وَ«عَلَيْهِمْ» قَائِمٌ مَقَامَ الْفَاعِلِ وَكَذَلِكَ «عَنْهُمْ» بَعْدَ<sup>(٥)</sup> «يُخَفِّفُ». وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْقَائِمُ<sup>(٦)</sup> «مِنْ عَذَابِهَا» وَ«عَنْهُمْ» مَنْصُوبٌ الْمَحَلِّ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ «مِنْ» مَزِيدَةً عِنْدَ الْأَخْفَشِ فَيَتَعَيَّنُ قِيَامُهُ مَقَامَ الْفَاعِلِ لِأَنَّهُ هُوَ الْمَفْعُولُ بِهِ<sup>(٧)</sup>. وَقَرَأَ أَبُو عَمْرٍو - فِي رِوَايَةٍ - وَلَا يُخَفِّفُ بِسُكُونِ الْبَاءِ<sup>(٨)</sup> - شَبِهُ الْمَنْفَعِلِ بِعَضِدٍ كَقَوْلِهِ:

٤١٦٢ - قَالِيَوْمَ أَشْرَبَ غَيْرَ مُسْتَحْقِبِ .....<sup>(٩)</sup>

### فصل (١٠)

«لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا» أَيْ لَا يَهْلِكُونَ فَيَسْتَرِيحُوا كَقَوْلِهِ: «فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ» أَيْ قَتَلَهُ. لَا يُقْضَى عَلَيْهِمُ الْمَوْتُ<sup>(١١)</sup> فَيَمُوتُوا كَقَوْلِهِ: «وَأَدَاؤًا يَمَلِكُ لِيَقْضَى عَلَيْكَ رَبُّكَ» [الزخرف: ٧٧] أَيْ الْمَوْتُ فَنَسْتَرِيحُ بِلِ الْعَذَابِ دَائِمًا<sup>(١٢)</sup> «وَلَا يَخَفُّ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا» أَيْ مِنْ عَذَابِ النَّارِ. وَفِي الْآيَةِ لَطَائِفُ:

الأولى: أَنْ الْعَذَابَ فِي الدُّنْيَا إِنْ دَامَ قَتْلٌ وَإِنْ لَمْ يَقْتُلْ يَعْتَادُهُ الْبَدَنُ وَيَصِيرُ مِرْآجًا

(١) هُوَ أَبُو عَثْمَانَ الْمَازِنِي أَسْتَاذُ الْمُبَرِّدِ بَكْرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ بَقِيَّةٍ مَاتَ سَنَةَ ٢٤٩ هـ، انظُرْ: إِنْبَاءُ الرِّوَاةِ لِلْقَفْطِيِّ ١/٢٤٦ - ٢٥٦. وَانظُرْ رَأْيَهُ فِي الْبَحْرِ ٧/٣١٦ بَيْنَمَا نَسَبَ رَأْيَهُ هَذَا التَّحَامُسُ فِي الْإِعْرَابِ ٣/٣٧٤ إِلَى الْكِنَانِيِّ.

(٢) فِي «ب» إِحْدَى. تَحْرِيفٌ. (٣) فِي «ب» أَيْ انْتَقَى.

(٤) فِي «ب» لِقَوْلِهِ. (٥) التَّبْيَانُ ١٠٧٥.

(٦) فِي «ب» الْفَاعِلُ. (٧) انظُرْ: الْمَرْجِعُ السَّابِقُ وَانظُرِ الدَّرَجَاتِ الْمَصُونِ ٤/٤٨٤.

(٨) وَهِيَ مِنَ الشُّوَاذِ غَيْرِ الْمَتَوَاتِرَةِ. انظُرْ: مَخْتَصِرُ الْإِمَامِ ابْنِ خَالَوَيْهِ ١٢٤ وَالْبَحْرُ الْمَحِيطُ لِأَبِي خِيَانَ ٧/٣١٦ وَهِيَ قِرَاءَةُ عَبْدِ الْوَارِثِ عَنْ أَبِي عَمْرٍو.

(٩) صَدَّرَ بَيْتَ مِنَ الشَّرِيعِ لِأَمْرِئِ الْقَيْسِ عَجَزَهُ:

إِثْمًا مِنَ النَّهْرِ وَلَا وَاعِلِ

وَالْمُسْتَحْقِبِ: الَّذِي جُمِعَ مَتَاعُهُ فِي حَقِيبَةٍ أَيْ الْمَذْخَرِ. وَالْوَاعِلِ: الدَّاخِلُ إِلَى الْقَوْمِ فِي طَعَامِهِمْ وَشَرَابِهِمْ. وَشَاهِدُهُ: «أَشْرَبَ» حَيْثُ سَكَنَ الْبَاءُ فِيهِ ضَرْوَةٌ فِي حَالِ الرَّفْعِ وَالْوَصْلِ. وَهَنَّاكَ مِنْ يَخْرُجُ الْبَيْتُ عَلَى أَنَّ الْبَيْتَ مَسْكُنٌ لِلتَّخْفِيفِ بِمَثَابَةِ عَضِدٍ. وَانظُرْ: الْكِتَابُ ٤/٢٠٤ وَحِجَّةُ أَبِي عَلِيٍّ ١/٨٦ وَالْخَصَائِصُ ١/٧٤ وَ ٢/٣١٧ وَ ٣٤٠ وَ ٩٦/٣ وَشَرْحُ ابْنِ يَعِيشَ ١/٤٨ وَالتَّنْصِيحُ ١/٨٨ وَالْمَجْمَعُ ١/٥٤ وَالْبَحْرُ الْمَحِيطُ ٧/٣١٦ وَدِيَوَانُ الْمَفْضَلِيَّاتِ ٤٨٠ وَدِيَوَانُهُ (١٢٢). وَقَدْ رَوَى الْبَيْتَ (فَأَسْفَى) كَمَا رَوَى: فَأَشْرَبَ أَمْرًا. وَعَلَيْهِمَا فَلَا شَاهِدَ حَيْثُذ.

(١٠) فِي «ب» قَوْلُهُ، بَدَلُ فَصْلٍ. (١١) فِي «ب» بِالْمَوْتِ.

(١٢) فِي «ب»: قَائِمٌ.

فاسدأ لا يحسن به المعذب فقال عذاب نار الآخرة ليس كعذاب الدنيا إما أن يفنى وإما أن يألفه البدن بل هو في كل زمان شديد والمعذب فيه دائم .

الثانية: دقيق<sup>(١)</sup> العذاب بأنه لا يفتر ولا ينقطع ولا بأقوى الأسباب وهو الموت حتى يتمنوه ولا يُجابون<sup>(٢)</sup> كما قال تعالى: «وَنَادُوا يَا مَلِكُ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ» أي بالموت .

الثالثة: ذكر في المعذبين الأشقياء بأنه لا ينقص عذابهم ولم يقل: يزيدهم<sup>(٣)</sup>، وفي المثابين قال: «يَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ» .

قوله: «كَذَلِكَ» إما مرفوع المحل<sup>(٤)</sup> أي الأمر كذلك، وإما منصوبه أي مثل ذلك الجزاء يُجزى<sup>(٥)</sup> . وقرأ أبو عمرو «يُجْزَى» مبنياً للمفعول كل رفع به<sup>(٦)</sup> . والباقون تجزي بنون العظمة مبنياً للفاعل كل مفعول به . والكفور الكافر .

قوله: «وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ» يستغيثون ويصبحون «فِيهَا» وهو يفتعلون من الصراخ وهو الصياح . وأبدلت الفاء صاداً لوقوعها قبل الطاء، «يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا» من النار فقوله: «ربنا» على إضمار القول وذلك القول إن شئت قدرته فعلاً مفسراً لِيَصْطَرِّحُونَ أي يقولون في صراخهم كما تقدم وإن شئت قدرته حالاً من فاعل «يصطرخون» أي قائلين ربنا<sup>(٧)</sup> .

قوله: «صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ» يجوز أن يكونا نعتي<sup>(٨)</sup> مصدر محذوف أي عملاً صالحاً غير الذي كنا نعمل وأن يكونا نعتي<sup>(٩)</sup> مفعول به محذوف أي نعمل شيئاً صالحاً غير الذي كنا نعمل وأن يكون «صالحاً» نعتاً لمصدر و «غير الذي كنا نعمل» هو المفعول به . وقال الزمخشري: فإن قلت: فهلا اكتفي بصالحاً كما اكتفي به في قوله: فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً؟ وما فائدة زيادة غير الذي كنا نعمل؟ على أنه يوهم أنهم يعملون صالحاً آخر غير الصالح الذي عملوه؟ قلت: فائدته زيادة التحسر على ما عملوه من غير الصالح مع الاعتراف به وأما الوهم فزائل بظهور حالهم في الكفر وظهور المعاصي ولأنهم كانوا يحسبون أنهم على سيرة صالحة كما قال تعالى: «وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا» [الكهف: ١٠٤] فقالوا: أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَحْسَبُهُ صَالِحاً فنعمله<sup>(١٠)</sup> .

(١) في «ب»: وصف العذاب وهو الأصح . (٢) في «ب» ولا يجابوه .

(٣) في «ب» كزيدهم . وانظر: الرازي ٢٦/٢٩ . (٤) نقله السمين في الدر ٤/٤٨٤ .

(٥) السابق وانظر: التبيان ١٠٧٦ .

(٦) ذكرت في السبعة لابن مجاهد ٥٣٥ والإنحاف للبناء ٣٦٢ وغيرهما .

(٧) انظر: البحر المحيط ٧/٣١٦ .

(٨) و (٩) في النسختين بمعنى خطأ . والتصحيح ما أثبت أعلى حيث إنَّ المعنى والقاعدة تؤيدان أن ما ذهبت إليه . وقد ذكر كل هذه الأوجه أبو البقاء في التبيان ١٠٧٦ والسمين في الدر ٤/٤٨٥ .

(١٠) المرجع السابق .

قوله : «أَوْ لَمْ نَعْمَرْكُمْ» (أي فيقول<sup>(١)</sup>) لهم توبيخاً : أو لم نعلمكم أي عمّرناكم مقداراً يمكن التذكّر فيه .

قوله : «مَا يَتَذَكَّرُ» جوزوا في «ما» هذه وجهين :

أحدهما - ولم يحك أبو حيان غيره - : أنها مصدرية<sup>(٢)</sup> ظرفية قال : أي مُدَّة تَذَكَّرُ ، وهذه غلط لأن الضمير (في)<sup>(٣)</sup> (فيه) يمنع ذلك لعوده على «ما» ولم يَقُلْ باسمية ما المصدرية إلا الأَخْفَشُ وابنُ السَّرَّاجِ<sup>(٤)</sup> .

والثاني : أنها نكرة موصوفة أي تَعْمَرًا يُتَذَكَّرُ فيه أو زماناً يُتَذَكَّرُ<sup>(٥)</sup> فيه . وقرأ الأعمش ما يَدُكَّرُ بالإدغام من «أَذَكَّرُ»<sup>(٦)</sup> ، قال أبو حيان : بالإدغام واجتلاب همزة الوصل ملفوظاً بها في الدَّرَجِ<sup>(٧)</sup> وهذا غريب حيث أثبت همزة الوصل مع الاستغناء عنها إلا أن يكون حافظاً على<sup>(٨)</sup> سكون «من» وبيان ما بعدها .

### فصل

معنى قوله : «أَوْ لَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مِنْ تَذَكَّرٍ» قيل : هو البلوغ . وقال قتادة وعطاء والكلبي : ثماني عشرة سنة وقال الحسن : أربعون سنة . وقال ابن عباس : ستون سنة . رُوِيَ ذلك عن عَلِيِّ وهو العمر الذي أَعَدَّ اللهُ إلى ابن آدم<sup>(٩)</sup> . قال - عليه (الصلاة و) السلام - : «أَعَدَّ اللهُ إلى ابن آدم امرئاً آخرَ أَجَلُهُ حَتَّى بَلَغَ سِتِينَ سَنَةً»<sup>(١٠)</sup> وقال - عليه (الصلاة و) السلام - : «أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السَّتِينَ إلى السَّبْعِينَ وَأَقْلَهُمْ مَنْ يَجُوزُ ذَلِكَ»<sup>(١١)</sup> .

قوله : «وَجَاءَكُمْ» عطف على «أَوْ لَمْ نَعْمَرْكُمْ» ؛ لأنه في معنى<sup>(١٢)</sup> قَدْ عَمَّرْنَاكُمْ

- (١) ما بين القوسين كله ساقط من «ب» .
- (٢) البحر ٣١٦/٧ وكما ذكر هذا الوجه أيضاً أبو حيان في البحر ذكره أبو البقاء في التبيان ١٠٧٦ .
- (٣) سقط من «ب» .
- (٤) وقال بذلك المصدر أبو عبيدة في المجاز وهو قبل الأخفش وفاة فقد قال في كتابه مجاز القرآن : «ومجاز «ما» هاهنا مجاز المصدر أو لم نعلمكم عمراً يتذكر فيه» المجاز ١٥٦/٢ .
- (٥) قال بذلك الوجه أبو البقاء في التبيان ١٠٧٥ وانظر : الدر المصون ٤/٤٨٥ .
- (٦) ذكرها أبو حيان ٣١٦/٧ والسمين في الدر ٤/٤٨٥ وفي مختصر ابن خالويه ما يَدُكَّرُ فيه من - أذُكَّر - بالدال - الأعمش وكذلك في مصحف ابن مسعود . المختصر لابن خالويه ١٢٤ وانظر أيضاً الزمخشري في كشافه ٣/٣١١ موافقاً لما ذكر أعلى وهي من الشواذ .
- (٧) البحر ٣١٦/٧ . (٨) نقله السمين في الدر ٤/٤٨٦ .
- (٩) وانظر هذه الأقوال في القرطبي ١٤/٣٥٣ وزاد المسير ٦/٤٩٤ .
- (١٠) أخرجه البخاري عن أبي هريرة ٤/١١٦ .
- (١١) أخرجه البغوي في معالم التنزيل عن أبي هريرة ٥/٣٠٥ .
- (١٢) قاله شهاب الدين السمين في الدر ٤/٤٨٦ والزمخشري في الكشاف ٣/٣١١ وأبو حيان في البحر ٧/٣١٦ .

كقوله: ﴿أَلَمْ نُزَيِّنْكَ﴾ [الشعراء: ١٨] ثم قال: وَلَيَبِئْتُ ﴿أَلَمْ نُفْرَجْ لَكَ﴾ [الشرح: ١] ثم قال: ﴿وَوَضَعْنَا﴾ [الشرح: ٢]، إذ هما في معنى رَبَّيْنَاكَ وَشَرَحْنَا، والمراد بالثذير محمد - ﷺ - في قول أكثر المفسرين. وقيل: القرآن. وقال عكرمة وسفيان بن عيينة ووكيع: هو الشيب<sup>(١)</sup>. والمعنى أو لم نعمركم حتى شبيتم. ويقال: الشَّيْبُ نذير الموت. وفي الأثر: مَا مِنْ شَعْرَةٍ تَبْيَضُ إِلَّا قَالَتْ لِأُخْتَيْهَا: اسْتَعِدِّي فَقَدْ قَرُبَ الْمَوْتُ<sup>(٢)</sup>. وقرئ: النَّذْرُ جمعاً<sup>(٣)</sup>.

قوله: «فَذُوُقُوا» أمر إهانة «فَمَا لِلظَّالِمِينَ» الذين وضعوا أعمالهم وأقوالهم في غير موضعها. «مِنْ نَصِيرٍ» في وقت الحاجة ينصرهم، و «من نصير» يجوز أن يكون فاعلاً بالجار لاعتماده وأن يكون مبتدأ مخبراً عنه بالجار قبله<sup>(٤)</sup>.

قوله: «إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» قرأ العامة عَالِمٌ غَيْبٍ عَلَى الإضافة تخفيفاً. وَجَنَاحُ بُنْ حَبِيشَ بَتُونِينَ عَالِمٌ وَنَصَبَ (غَيْبٍ)<sup>(٥)</sup> إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ. وهذا تقرير لدوامهم في العذاب وذلك من حيث إن الله تعالى لما أعلم أن جزاء السيئة سيئة مثلها ولا يزداد عليها فلو قال (قائل)<sup>(٦)</sup>: الكافر ما كفر بالله إلا أياماً معدودة فينبغي أن لا يعذب إلا مثل تلك الأيام فقال: إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَلَا يَخْفَى<sup>(٧)</sup> عَلَيْهِ مَا فِي الصُّدُورِ وَكَانَ يَعْلَمُ مِنَ الْكَافِرِ أَنْ فِي قَلْبِهِ تَمَكَّنَ الْكُفْرَ لَوْ دَامَ إِلَى الْأَبَدِ لَمَا أَطَاعَ اللَّهُ<sup>(٨)</sup>.

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ خَلْقًا فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ (٣٩) قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعْذِرُ الظَّالِمُونَ بَعْضَهُمَ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا (٤٠) إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ

(١) انظر في هذا القرطبي ٣٥٣/١٤ وزاد المسير ٤٩٤/٦ و ٤٩٥ والبغوي ٣٠٥/٥ ومعاني الفراء ٣٧٠/٢ ومعاني الزجاج ٣٧٢/٤.

(٢) قاله الخازن والبغوي ٣٠٥/٥.

(٣) القرطبي ٣٥٣/١٤ والكشاف ٣١١/٣ بدون نسبة وكذلك فعل أبو حيان في بحره ٣١٦/٧ ونسبها صاحب الشواذ إلى ابن مسعود. انظر الشواذ ١٠٣.

(٤) نقله في الدر ٤٨٦/٤.

(٥) شاذة في الرواية وهي جائزة من حيث القياس العربي. وقد ذكرها في المختصر بدون ضبط. انظره ١٢٤. وانظر: البحر المحيط ٢١٦/٧.

(٦) سقط من «ب».

(٧) في «ب» فلا يعلم تحريف.

(٨) وانظر: التفسير الكبير للإمام الرازي ٣٠/٢٦ و ٣١.

حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنَ إِيحَادَى الْأُمَمِ  
 فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ أَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ  
 السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهُ تَبْدِيلًا وَلَن نَّجِدَ لِسُنَّتِ  
 اللهُ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾

قوله تعالى: «هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ» أي يخلف بعضكم بعضاً. وقيل: جعلكم أمة واحدة خلت من قبلها ما ينبغي أن يعتبر به<sup>(١)</sup> فجعلكم خلائف في الأرض أي خليفة بعد خليفة تعلمون حال الماضين وترضون<sup>(٢)</sup> بحالهم، فمن كفر بعد هذا كله «فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ» أي وبال كُفْرِهِ «وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا» أي غضباً لأن الكافر (و)<sup>(٣)</sup> السابق كان ممقوتاً<sup>(٤)</sup> «وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا» أي الكفر لا ينفع عند الله حيث لا يزيد إلا المقت ولا ينفعهم في أنفسهم حيث لا يفيدهم إلا الخسار لأن العمر كراس (مال)<sup>(٥)</sup> من اشترى به رضى الله ربح ومن اشترى به سخطه خسر<sup>(٦)</sup>.

قوله: «أَرَأَيْتُمْ» فيها وجهان:

أحدهما: أنها ألف استفهام على بابها ولم تتضمن هذه الكلمة معنى أَخْبِرُونِي بل هو استفهام حقيقي وقوله: «أَرُونِي» أمر تعجيز.

والثاني: أن الاستفهام غير مراد وأنها ضُمَّتْ معنى أَخْبِرُونِي. فعلى هذا يتعدى لاثنين:

أحدهما: شَرَكَاءَكُمْ.

والثاني: الجملة الاستفهامية من قوله «مَاذَا خَلَقُوا»<sup>(٧)</sup>. و «أَرُونِي» يحتمل أن تكون جملة اعتراضية.

والثاني: أن تكون المسألة من باب الإعمال فإن «أَرَأَيْتُمْ» يطلب «مَاذَا خَلَقُوا» مفعولاً ثانياً و «أَرُونِي» أيضاً يطلبه معلقاً له وتكون المسألة من باب إعمال الثاني على مُخْتَارِ<sup>(٨)</sup> البَصْرِيِّين<sup>(٩)</sup>، و «أَرُونِي» هنا بصريّة تعدت للثاني بهمزة النقل والبصرية قبل النقل تعلق بالاستفهام كقولهم: «أَمَا تَرَىٰ أَيْ بَرَقَ هَهُنَا»<sup>(١٠)</sup> وقد تقدم الكلام على (أن)<sup>(١١)</sup> «أَرَأَيْتُمْ»

(١) نقله البغوي ٣٠٥/٥.

(٢) نقله الرازي في المرجع السابق.

(٤) في «ب» محققاً.

(٣) زيادة من «أ» لا معنى لها.

(٦) الرازي ٣١/٢٦.

(٥) سقط من «ب».

(٧) نقله السمين في الدر ٤٨٦/٤ و ٤٨٧ عن البحر لأبي حيان ٣١٧/٧.

(٨) في «ب»: «مَا اخْتَارَ الْبَصْرِيُّونَ» بفعلية الجملة.

(١٠) نقله السمين في الدر ٤٨٧/٤.

(٩) وانظر: إلحز والدر المرجعين السابقين.

(١١) زيادة من «أ» لا معنى لها.

هذه في الأنعام<sup>(١)</sup>. وقال ابن<sup>(٢)</sup> عطية هنا: «أرأيتم» ينزل<sup>(٣)</sup> عند سيبويه منزلة أخبروني<sup>(٤)</sup> ولذلك لا يحتاج إلى مفعولين. وهو غلط بل يحتاج كما تقدم تقريره. وجعل الزمخشري الجملة من قوله «أرؤوني» بدلاً من قوله: «أرأيتم» قال: لأن معنى أرأيتم أخبروني<sup>(٥)</sup>. وردّه أبو حيان بأن البديل إذا دخلت عليه أداة الاستفهام (لا)<sup>(٦)</sup> يلزم إعادتها في المبدل ولم تعد هنا وأيضاً فإبدال جملة من جملة لم يعهد في لسانهم<sup>(٧)</sup>. قال شهاب الدين: والجواب عن الأول أن الاستفهام فيه غير مراد قطعاً فلم تعد أدواته<sup>(٨)</sup>، وأما قوله: لم يوجد في لسانهم فقد وجد<sup>(٩)</sup> ومنه:

٤١٦٣ - مَتَى تَأْتِنَا تُلْمِمُ بِنَا .....  
(و)<sup>(١١)</sup>:

٤١٦٤ - إِنَّ عَلَيَّ اللَّءَ أَنْ تُبَايَعَا تُؤْخَذَ كَرْهًا وَتُجِيبَ طَائِعًا<sup>(١٢)</sup>  
وقد نص النحويون على أنه متى كانت<sup>(١٣)</sup> الجملة في معنى الأول ومبينة لها أبدلت منها.

## فصل

هذه الآية تقرير للتوحيد وإبطال للإشراك والمعنى جَعَلْتُمُوهُمْ شُرَكَائِي بِزِعْمِكُمْ يعني الأصنام «أرؤوني» أخبروني «ماذا خلقوا من الأرض» فقال: «شركاءكم»<sup>(١٤)</sup> فأضافهم إليهم

- (١) عند قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ مِنْ لَدُنْهِ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾ وهي الآية ٤٦.
- (٢) البحر المحيط ٣١٧/٧.
- (٣) في «ب» منزل.
- (٤) قال سيبويه: «ونقول: أَيْنَ تَرَى عَبْدَ اللَّهِ قَائِمًا وَهَلْ تَرَى زَيْدًا ذَاهِبًا؛ لأن هل وأين كأنك لم تذكرهما لأن ما بعدهما ابتداء، كأنك قلت: أَتَرَى زَيْدًا ذَاهِبًا وَأَنْظُرُ عَمْرًا مُنْطَلِقًا. فإن قلت: أين وأنت تريد أن تجعلها بمنزلة (فيها) إذا استغنى بها الابتداء قلت: أين ترى زيد، وأين ترى زَيْدًا» الكتاب ١٢١/١.
- (٥) الكشاف ٣١١/٣ وفي «ب» كذلك. (٦) زيادة في «أ» عن المعنى المراد.
- (٧) انظر: البحر المحيط ٣١٧/٧.
- (٨) و (٩) الدر المصون ٤٨٧/٤.
- (١٠) هذا جزء من بيت من الطويل لعبيد الله بن الحر أو الحطيئة وبقية:

..... فِي دِيَارِنَا تَجِدُ حَطْبًا جَزَلًا وَنَارًا تَأْجَجَا

والبيت من قصيدة قالها وهو في سجن مُصْعَب بن الزبير، وهو يفتخر بقومه هؤلاء الذي عدّهم بأنهم لا يطفنون النار، كناية عن الطعام الكثير للضيوف. والشاهد فيه «تلمم» هو وفاعله بدل مما قبله وهو جملة «تأتنا» وهذا إبدال جملة من جملة بدليل جزم الفعل «تلمم» كأنه أراد متى تلمم بنا، لأنّ الإتيان يشتمل عليه. وقد تقدم.

- (١١) زيادة يتم بها الكلام.
- (١٢) من بحر الرجز وهو مجهول القائل. وشاهده كسابقه حيث أبدل جملة من جملة البديل وهو «تؤخذ» والمبدل منه «تبايعا» وكلا الفعلين فيهما ضمير مستتر من الفاعلية ونائب الفاعل.
- (١٣) في (ب) كان وكلاهما صحيح. (١٤) في «ب» شركاؤكم بالرفع.

من حيث إن الأصنام في الحقيقة لم تكن شركاء لله وإنما هم الذين جعلوها شركاء فقال شركاءكم أي الشركاء بجعلكم. ويحتمل أن يقال: معنى شركاءكم أي ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَسْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]. ويحتمل أن يكون معنى «أرايتم» أي أعلمتم هذه الأصنام التي تدعونها هل لها قدرة أم لا؟ فإن كنتم تعلمونها عاجزة فكيف تعبدونها؟ وإن كنتم تعلمون أن لها قدرة فأروني قدرتها في أي شيء أهي في الأرض كما قال بعضهم: إن الله إله السماء وهؤلاء آلهة الأرض<sup>(١)</sup> وهم الذين قالوا: أمور الأرض من الكواكب والأصنام صورها أم هي في السموات كما قال بعضهم: إن السموات خلقت باستعانة الملائكة شركاء في خلق السموات وهذه الأصنام صورها أم قدرتها في الشفاعة لكم كما قال بعضهم: «إِنَّمَا نَعْبُدُهُمْ لِیَفْرُبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى» فهل معهم كتاب من الله؟ قال مقاتل: هل أعطينا كفار مكة كتاباً فهم على<sup>(٢)</sup> بينة منه؟

قوله: «آتَيْنَاهُمْ كِتَاباً فَهُمْ» الأحسن في هذا الضمير أن يعود على «الشركاء» ليتناسق<sup>(٣)</sup> الضمائر. وقيل: يعود على المشركين كقول مقاتل فيكون التفاتاً من خطاب إلى غيبة<sup>(٤)</sup>. وقرأ أبو عمرو وحمزة وابن كثير وحفص بينة بالإفراد والباقون بينات<sup>(٥)</sup> بالجمع أي دلائل واضحة منه مما<sup>(٦)</sup> في ذلك الكتاب من ضروب البیان.

قوله: «بَلْ إِنْ يَعِدُّ» «إن» نافية والمعنى ما يعد الظالمون «بَعْضُهُمْ بَعْضاً إِلَّا غُروراً» غرهم الشيطان وزين لهم عبادة الأصنام. والغرور ما يغر الإنسان مما لا أصل له، قال مقاتل: يعني<sup>(٧)</sup> ما يعد<sup>(٨)</sup> الشيطان كفار بني آدم من شفاعاة الآلهة في الآخرة غرور باطل<sup>(٩)</sup>.

قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا» لما بين أنه لا خلق للأصنام ولا قدرة لها بين أن الله قادر بقوله: إن الله يمسك السموات والأرض. ويحتمل أن يقال: لما بين شركهم قال: مقتضى شركهم زوال السموات والأرض كقوله تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَخَرُّوا لِلْحَبَالِ هَدًا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَكَّا﴾ [مريم: ٩٠]، [٩١] ويؤيد هذا قوله تعالى في آخر الآية «إِنَّ اللَّهَ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا» حليماً ما ترك تعذيبهم إلا حليماً منه وإلا كانوا يستحقون إسقاط السماء وانطباق الأرض عليهم. وإنما أخرج إزالة

(١) وانظر كل هذه المعاني في الفخر الرازي ٣٢/٢٦.

(٢) المرجع السابق. (٣) البحر ٣١٨/٧ والسمين ٤٨٧/٤.

(٤) المرجع السابق.

(٥) زاد المسير ٤٩٦/٦ والبحر المحيط ٣١٨/٧ والسبعة ٥٣٥ والإنحاف ٣٦٢ وإبراز المعاني ٦٥٧ والكشاف ٣١٢/٣ بدون نسبة والقرطبي ٣٥٦/١٤.

(٦) في «ب» ما.

(٧) في (ب) معنى.

(٨) في (ب) ما يعده الشيطان.

(٩) في (ب) غرور باطل.

السموات لقيام الساعة حكماً. ويحتمل أن يقال: إن ذلك من باب التسليم وإثبات المطلوب كأنه تعالى قال: شُرَكَاءُكُمْ مَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ شَيْئاً وَلَا مِنَ السَّمَاءِ جِزْءاً<sup>(١)</sup> لا قدرة لهم على الشفاعة فلا عبادة لهم وهب أنهم فعلوا شيئاً من الأشياء فهل يقدرون على إمساك السموات والأرض ولا يمكنهم القول بأنهم يَقْدِرُونَ لأنهم ما كانوا يقولون ذلك كما قال تعالى عنهم: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥] ويؤيد هذا قوله: «وَلَيْتِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ» فإذا تبين أن لا معبود إلا الله من حيث إن غيره لم يخلق شيئاً من الأشياء وإن قال كافر بأن غيره خلق فما خلق مثل ما خلق فلا شريك<sup>(٢)</sup>.

قوله: «أَنْ تَزُولَا» يجوز أن يكون مفعولاً من أجله أي كَرَاهَةً أَنْ تَزُولَا<sup>(٣)</sup>. وقيل: لثلاث تزولا<sup>(٤)</sup>، ويجوز أن يكون مفعولاً ثانياً على إسقاط الخافض أي يمنعها من أن تزولا. كذا قدره أبو إسحاق<sup>(٥)</sup>. ويجوز أن يكون بدل اشتمال أي يمنع<sup>(٦)</sup> زَوَالَهُمَا<sup>(٧)</sup>.

قوله: «إِنْ أَمْسَكَهُمَا» جواب القسم الموطأ له بلام القسم<sup>(٨)</sup> وجواب الشرط محذوف<sup>(٩)</sup> يدل عليه جواب القسم ولذلك كان فعل الشرط ماضياً. وقول الزمخشري: إنه سد مسد الجوابين<sup>(١٠)</sup> يعني أنه دال على جواب الشرط.

قال أبو حيان؛ وإن أخذ كلامه على ظاهره لم يصح لأنه لو سد مسدهما لكان له موضع من الإعراب من حيث إنه سد مسد جواب الشرط ولا موضع له من حيث إنه سد مسد جواب القسم، والشيء الواحد لا يكون معمولاً غير معمول<sup>(١١)</sup>. و «مِنْ أَحَدٍ» من مزيدة لتأكيد الاستغراق و «مِنْ بَعْدِهِ» من لا ابتداء الغاية<sup>(١٢)</sup> والمعنى أَحَدٌ سِوَاهُ<sup>(١٣)</sup> «إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا»، «حَلِيمًا» حيث لم يعجل في إهلاكهم بعد إصرارهم على إشراكهم «غفوراً» لمن تاب ويرحمه وإن استحق<sup>(١٤)</sup> الْعِقَابَ.

(١) في «ب» جره. (٢) انظر: تفسير الرازي ٣٣/٢٦.

(٣) التبيان ١٠٧٦. (٤) البحر تقيلاً عن قراءة ابن مسعود ٣١٨/٧.

(٥) قاله في معاني القرآن وإعرابه له ٢٧٣/٤.

(٦) في ب «منع».

(٧) نقله في البحر ٣١٨/٧. وذكر النحاس في «الإعراب» الوجه الأول والثالث انظره ٣٧٦/٤.

(٨) وهو: «وَلَيْتِن زَالَتَا».

(٩) وهو: غير إن أمسكهما من أحد وإنما إن زالتا «فإن هنا نفي».

(١٠) الكشاف ٣/٣١٢. (١١) قاله في البحر ٣١٨/٧.

(١٢) نقله الزمخشري وأبو حيان في المرجعين السابقين.

(١٣) قاله الإمام البيهقي في معالم التنزيل ٣٠٦/٥. وقال الفراء في المعاني: «ولئن زالتا بمنزلة قوله: «ولو زالتا» (إن أمسكهما) «إن» بمعنى ما وهو بمنزلة قوله: «وَلَيْتِن أَرْسَلْنَا رِيحًا قَرَأُوهُ مُضْفَرًا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ»

المعاني ٣٧٠/٢.

(١٤) نقله الإمام الفخر الرازي ٣٣/٢٦.

فإن قيل: ما معنى ذكر الحليم ههنا؟ قيل: لأن السموات والأرض همت بما همت من عقوبة الكفار فأمسكهما الله - عز وجل - عن الزوال لحلمه وغفرانه أن يعاجلهم بالعقوبة.

قوله: «وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ» يعني كفار مكة لما بلغهم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم قَالُوا لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّهَمُوا الرِّسْلَ فَكَذَّبُوهُمْ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ وَقَالُوا: «لَوْ أَنَا رَسُولُ لَنْكُونَنَّ أَهْدَى» ديناً منهم وذلك قبل مبعث النبي - ﷺ - فلما بعث محمد كذبوه فأنزل الله - عز وجل - «وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ» رسول «لَيَكُونَنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ» يعني اليهود والنصارى<sup>(١)</sup>. وقيل: المعنى أهدى<sup>(٢)</sup> مما نحن عليه. وعلى هذا فقوله «مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ» للتبيين كما يقال: زَيْدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، ويؤيده قوله تعالى: «فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ زَادَهُمْ إِلَّا تَفُورًا» أي صاروا أضل مما كانوا يقولون: نكون أهدى. وقيل: المراد أهدى من إحدى<sup>(٣)</sup> الأمم كقولك: زَيْدٌ أَوْلَى مِنْ عَمْرٍو. وقيل: المراد بإحدى الأمم العموم أي إن إحدى الأمم يفرض وأعلم أنه لما بين إنكارهم للتوحيد من تكذيبهم للرسول ومبالغتهم فيه حيث كانوا يقسمون على أنهم لا يكذبون الرسل إذا تبين لهم كونهم رسلاً وقالوا إنما نكذب محمداً - عليه (الصلاة<sup>(٤)</sup>) والسلام - لكونه كاذباً ولو تبين لنا كونه رسولاً لآمنّا كما قال تعالى: «وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ بِآيَةٍ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا» [الأنعام: ١٠٩] وهذا مبالغة في التكذيب.

قوله: «لَيَكُونَنَّ»<sup>(٥)</sup> جواب القسم المقدر والكلام فيه كما تقدم<sup>(٦)</sup>. وقوله: «لَئِن جَاءَهُمْ» حكاية لمعنى كلامهم لا للفظه إذ لو كان كذلك لكان التركيب لَئِن جَاءَنَا لَنْكُونَنَّ. قوله: «مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ» أي من الأمة التي يقال فيها: هي إحدى الأمم تفضيلاً لها كقولهم: هو إحد (ي)<sup>(٧)</sup> الأَحْدَيْنِ قَالَ:

٤١٦٥ - حَتَّى اسْتَشَارُوا بِي إِحْدَى الْإِحْدِ لَيْشَأْ هَزْبَرَأ فِي سِلَاحٍ مُسْتَعْدِ<sup>(٨)</sup>  
قوله: «مَا زَادَهُمْ» جواب «لَمَّا». وفيه دليل على أنها حرف لا ظرف إذ لا يعمل ما

(١) نقله الإمام البغوي في تفسيره ٣٠٦/٥ وكذلك الخازن ٣٠٦/٥.

(٢) الفخر الرازي ٣٤/٢٦. (٣) السابق.

(٤) زيادة من «ب». (٥) في قوله: «وَلَئِن زَالَتْ».

(٦) في «ب»: لَنْكُونَنَّ. تحريف. (٧) زيادة من «أ» خطأ.

(٨) بيتان من الرجز وقد نسباً للمرار الفقعسي ويروى البيت الثاني هكذا في اللسان:

لَيْشَأْ هَزْبَرَأ ذَا سِلَاحٍ مُسْتَعْدِي

والشاهد «إحدى الإحد» حيث أن هذه (الإحدى) لا مثيلة ومفضلة في كل الإحد. قال ابن الأعرابي:

«واحد لا مثيل له يقال: هذا إحدى الإحد وأحد الأحدين».

بعد «ما» النافية فيما قبلها<sup>(١)</sup>، وتقدمت له نظائر<sup>(٢)</sup>. وإسناد الزيادة للندير مجاز لأنه سبب في ذلك كقوله: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٥].

### فصل

معنى فلما جاءهم أي صح لهم مجيئه بالمعجزة وهو محمد - ﷺ - «مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا» أي ما زادهم بمجيئه إلا تباعداً عن الهدى.

قوله: «اسْتِكْبَارًا» يجوز أن يكون مفعولاً له أي لأجل الاستكبار<sup>(٣)</sup>. وأن يكون بدلاً من<sup>(٤)</sup> «نُفُورًا» وأن يكون حالاً أي حال كونهم مستكبرين<sup>(٥)</sup>. قاله الأخفش.

قوله: «ومكر السيء» فيه وجهان:

أظهرهما: أنه عطف على «استكباراً».

والثاني: أنه عطف على «نُفُورًا»<sup>(٦)</sup>. وهذا من إضافة الموصوف إلى صفته<sup>(٧)</sup> في الأصل إذ الأصل والمَكْر والسيء<sup>(٨)</sup>. وقرأ العامة بخفض همزة «السيء». وحمزة والأعمش بسكونها وصلًا<sup>(٩)</sup>. وقد تجرأت النحاة وغيرهم على هذه القراءة ونسبوها لِلْحَنِ

(١) قال بظرفيتها ابن السراج والفارسي وابن جني. وهي حرف وجود لوجود. وبعضهم يقول: حرف وجوب لوجوب. وقال ابن مالك: هي ظرف بمعنى «إذا» ووجه المغني قال: «وهو حسن لأنها مختصة بالماضي وبالإضافة إلى الجملة». وقد رد ابن خروف رداً طريفاً على مدعي الاسميات قائلاً: يجوز أن يقال: «لما أكرمتني أسس أكرمك اليوم»، لأنها إذا قدرت ظرفاً كان عاملها الجواب، والواقع في اليوم لا يكون في أمس (بتصرف من المغني ١/٢٨٠).

(٢) كقول الله: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم﴾ الآية ٧٨ من يوسف وكقوله تعالى في الإسراء: ﴿فَلَمَّا تَبَجَّأكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ ٦٧، وكقوله في هود: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا﴾ ٥٨، و﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا﴾ ٦٦، و﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا﴾ ٩٤ ومواضع أخرى من آي القرآن الكريم.

(٣) قاله الفراء في المعاني ٣٧١/٢ ومكي في المشكل ٢١٨/٢ والزجاج في معانيه ٣٧٤/٤، والنحاس في الإعراب ٣٧٧/٤، وابن الأنباري في البيان ٢٨٩/٢، والزمخشري في الكشاف ٣١٢/٣ والسمين في الدر ٤٨٩/٤ وأبو حيان في البحر ٣١٩/٧ وأبو البقاء في التبيان ١٠٧٧.

(٤) و (٥) ذكرهما الزمخشري وأبو حيان والسمين في المراجع السابقة.

(٦) نقله الزمخشري والنحاس وأبو حيان وأبو البقاء المراجع السابقة.

(٧) مشكل إعراب القرآن ٢١٨/٢ والبحر ٣١٩/٧.

(٨) فهم يرون أن الموصوف والصفة شيء واحد لأنهما لعين واحدة فإذا قُلْتُ: «جاءني زيد العاقل»، «العاقل» هو «زيد» وزيد هو العاقل فلما كانا كذلك لم يجز إضافة أحدهما إلى الآخر وإذا ورد ما يوهم ذلك أول على أنه صفة لموصوف محذوف مثل الآية هنا. بتصرف من المفصل وشارحه ابن يعيش ١٠/٣.

(٩) من القراءة المتواترة وقد نسبها ابن مجاهد في السبعة ٥٣٥ إلى حمزة وحده بينما في الإتحاف ذكر الأعمش وحمزة والأعمش موافقاً لحمزة. الإتحاف ٣٦٢. وانظر معاني الفراء ٣٧١/٢ قال: «وقد=

ونزهوا الأعمش من<sup>(١)</sup> أن يكون قرأ بها. قالوا: وإنما وقف<sup>(٢)</sup> مسكناً فظن أنه واصل فغلط عليه<sup>(٣)</sup>. وقد احتج لها قوم بأنه إجراء الوصل مجرى الوقف أو أجري المنفصل مجرى المتصل وحسنه كون الكسرة على حرف ثقيل بعد ياء مشددة مكسورة<sup>(٤)</sup>. وقد تقدم أن أبا عمرو يقرأ: «إلى بارئكم» عند بارئكم<sup>(٥)</sup> بسكون الهمزة. فهذا أولى لزيادة الثقل هنا. وقد تقدم هنا (ك)<sup>(٦)</sup> أمثلة وشواهد، وروي عن ابن كثير «ومكر السأي» بهمزة ساكنة بعد السين ثم ياء مكسورة<sup>(٧)</sup>. (و)<sup>(٨)</sup> خرجت على أنها مقلوبة من السئيء، والسئيء مخفف (من السئيء)<sup>(٩)</sup> كالميت من الميت قال الحماسي:

٤١٦٦ - وَلَا يَجْرُونَ مِنْ حَسَنِ بَسِيءٍ      وَلَا يَجْرُونَ مِنْ غِلْظِ بِلِينٍ<sup>(١٠)</sup>  
وقد كثر في قراءته القلب نحو ضيَاء، وتَأَيَسُوا ولا يَأَيَسُ<sup>(١١)</sup>، كما تقدم تحقيقه. وقرأ عبد الله: «ومكراً سيئاً» بالتنكير وهو موافق لما قبله<sup>(١٢)</sup>. وقرئ: ولا يَحِيْقُ بضم

= جزمها الأعمش وحمزة لكثرة الحركات كما قال: «لَا يَخْرُجُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ» وكما قال الشاعر:

إِذَا اضْجَوَّجْنَ قُلْتُ صَاحِبَ قَوْمٍ

يريد صاحب قوم فجزم الباء لكثرة الحركات. المعاني ٢/٣٧١. وانظر: الكشاف ٣/٣١٢ فكثرة الحركات هي التي دعت إلى تلك القراءة.

- (١) في «ب» عن.
- (٢) في «ب» وقعت تحريف.
- (٣) من هؤلاء الذين أدانوا تلك القراءة من النحاة المفسرين أبو إسحاق الزجاج فقد قال في معاني القرآن وإعرابه: ٤/٢٧٥: «وهذا عند النحويين الحذاق لحن ولا يجوز وإنما يجوز مثله في الشعر في الاضطراب قال الشاعر: إذا اعزججن قلت صاحب قوم... والأصل: يا صاحب قوم. ولكنه حذف مضطراً».
- (٤) قال بهذا المعنى ابن خالويه في الحجة ١٩٧ والزمخشري في الكشاف ٣/٣١٢ والبناء في الإتحاف ٣٦٢ وباللفظ السمين في الدرر ٤/٤٨٩.
- (٥) الآية ٥٤ من البقرة وانظر المراجع السابقة واللباب ١/١١٧ ب.
- (٦) سقط من «ب».
- (٧) ذكرها ابن خالويه في المختصر ١٢٤ وأبو حيان في البحر ٧/٣٢٠.
- (٨) و (٩) سقط من «ب».
- (١٠) من الوافر وهو لأبي الغول الطهوي ويروي (بسوء) كما يروي: (سوء) وشاهده (سئيء) على أنها مخفف سئيء وانظر: شرح المفصل لابن يعيش ٥/٥٥ و ٦/١٠٢ والبحر ٧/٣٢٠ والدرر ٤/٤٩٠ وأمالي القالي ١/٢٦٠ والخزانة ٦/٤٣٤ و ٨/٣١٤.
- (١١) يشير إلى كلمة الضياء واليأس التي وردت في قوله تعالى: «هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً» الآية (٥) من يونس «وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ ضِيَاءً» ١٤٨ الأنبياء و «مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ» ١٧١ القصص.
- (١٢) ذكره القرطبي ١٤/٣٥٩ وأبو حيان في البحر ٧/٣٢٠ والكشاف ٣/٣١٢ وابن جني في المحتسب ٢/٢٠٢ والقراء ٢/٣٧١.

الياء المَكْرَ السَّيِّءِ بالنصب<sup>(١)</sup> على أن الفاعل ضمير الله تعالى؛ أي لا يُحِيطُ اللَّهُ الْمَكْرَ السَّيِّءِ إِلَّا بِأَهْلِهِ.

### فصل

المراد بالمكر السيئ أي القبيح أضيف المكر إلى صفته قال الكلبي: هو اجتماعهم على الشرك<sup>(٢)</sup>. وقيل النبي - ﷺ<sup>(٣)</sup> - وقال ابن الخطيب: هذا من إضافة الجنس إلى نوعه<sup>(٤)</sup> كما يقال: عِلْمُ الْفِقْهِ وَجِزْفَةُ الْجِدَادَةِ ومعناه: ومكروا مكرأ سيئاً ثم عُرِفَ لظهور مكروهم ثم ترك التعريف باللام وأضيف إلى السيئ لكون السرفيه أبين الأمور. ويحتمل أن يقال: بأن المكر استعمل العمل كما ذكرنا في قوله تعالى: «وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ»<sup>(٥)</sup> أي يعملون السيئات.

قوله: «ولا يحيق المكر السيئ» أي لا يحل ولا يحيط<sup>(٦)</sup>، وقوله: «يَحِيقُ» ينبيء عن الإحاطة التي هي فوق اللحق. فإن قيل: كثيراً ما نرى الماكر يمكر ويفيده المكر ويغلب الخصم بالمكر والآية تدل على عدم ذلك.

فالجواب من جوه:

أحدها: أن يكون المكر المذكور في الآية هو المكر الذي مكروه مع النبي - ﷺ<sup>(٧)</sup> - من العزم على القتل والإخراج ولم يحق إلا بهم حيث قتلوا يوم بدر وغيره.

وثانيها: أن نقول: المكر عام وهو الأصح، فإن النبي - عليه (الصلاة<sup>(٧)</sup>) و (السلام - نهى عن المكر وأخبر بقوله: «لَا تَمْكُرُوا وَلَا تُعَيِّنُوا مَا كَرِهَ اللَّهُ يَقُولُ: وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرَ السَّيِّءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ»<sup>(٨)</sup> وعلى هذا (فذلك)<sup>(٩)</sup> الرجل الماكر يكون أهلاً فلا يرد نقضاً.

وثالثها: أن الأعمال بعواقبها ومن مكر غيره ونفذ فيه المكر عاجلاً في الظاهر فهو في الحقيقة هو الفائز والماكر هو الهالك كمثل راحة الكافر ومشقة المسلم في الدنيا ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى: «فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ» يعني إن كان لمكروهم في الحال رواج فالعاقبة للتقوى والأمور بخواتيمها.

(١) ولم يعزها أبو حيان في بحره ٣٢٠/٧ وانظر الدر المصون ٤/٤٩٠.

(٢) وقد ذكره الطبري عن قتادة. وانظر: زاد المسير ٦/٤٩٨.

(٣) المرجع السابق. (٤) المرجع السابق.

(٥) قاله الرازي في تفسيره ٣٤/٢٦.

(٦) في «ب» معنى. وانظر: معاني الزجاج ٤/٢٧٥ والمجاز لأبي عبيدة ٢/١٥٦.

(٧) زيادة من «ب».

(٨) ذكره القرطبي ١٤/٣٦٠ عن الزهري والرازي ٢٦/٣٤.

(٩) سقط من «ب».

قوله: «سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ» مصدر مضاف لمفعوله و «سُنَّةُ اللَّهِ» مصدر مضاف لفاعله لأنه سُنَّها بهم فصحت إضافتها إلى الفاعل والمفعول. وهذا جواب (عن)<sup>(١)</sup> سؤال وهو أن الإهلاك ليس سنة الأولين إنما هو سنة الله في الأولين والجواب عن هذا السؤال من وجهين:

أحدهما: أن المصدر الذي هو المفعول المطلق يضاف إلى الفاعل والمفعول لتعلقه بهما من وجهٍ دون وجه فيقال فيما إذا ضَرَبَ زَيْدٌ عَمْرًا: عَجِبْتُ مِنْ ضَرْبِ عَمْرٍو وكيف ضرب مع ماله من القوم<sup>(٢)</sup> والقوة؟ وعجبتُ من ضَرْبِ عَمْرٍو وكيف ضرب مع ماله من العلم والحلم<sup>(٣)</sup>؟ فكَذَلِكَ سنة الله بهم أضافها إليهم لأنها (سنة)<sup>(٤)</sup> سنت بهم وإضافتها إلى<sup>(٥)</sup> نفسه بعدها بقوله: «وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ» لأنها سنة من الله، فعلى هذا نقول: أضافها في الأول إليهم حيث قال: سنة الأولين، لأن سنة الله الإهلاك بالإشراك والإكرام على الإسلام فلا يعلم أنهم ينتظرون أيتهما فإذا قال: سنة الأولين تميزت وفي الثاني أضافها<sup>(٦)</sup> إلى الله لأنها لما غلمت بالإضافة إلى الله تعظيماً وتبين أنها أمر واقع ليس لها من دافع.

وثانيهما: أن المراد من سنة الأولين استمرارهم على الإنكار واستكبارهم عن الإقرار وسنة الله استئصالهم بإصرارهم فكأنه قال: أنتم تريدون الإتيان بسنة الأولين والله يأتي بسنة لا تبديل لها ولا تحويل عن مستحقها.

فإن قيل: ما الحكمة في تكرار التبديل والتحويل؟

فالجواب: أن المراد بقوله: «فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا» حصول العلم بأن العذاب لا يبدل بغيره وبقوله: «وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا» حصول العلم بأن العذاب مع أنه لا يتبدل بالثواب لا يتحول عن مستحقه إلى غيره فيتم تهديد المسيء.

## فصل

المعنى فهل ينتظرون إلا أن ينزل بهم العذاب كما نزل بمن مَضَى<sup>(٧)</sup> من الكفار والمخاطب بقوله: «فَلَنْ تَجِدَ» عام كأنه قال: لن تجد أيها السامع وقيل: الخطاب مع محمد - عليه (الصلاة)<sup>(٨)</sup> و (السلام) -.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ

(١) كذلك.

(٢) في «ب» العزم وهو موافق للرازي.

(٣) في «ب» الحكم.

(٤) سقط من «ب».

(٥) وانظر في هذا كله الرازي ٣٤/٢٦ و ٣٥.

(٦) في «ب» إضافتها.

(٧) بمن مضى كذا هنا هو الأصح في «أ». وفي «ب» عن معنى تحريف.

(٨) زيادة من «ب» وانظر هذا كله في الرازي ٣٥/٢٦ و ٣٦.

وَكَاثِرًا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُوَاحِدُ اللَّهُ النَّاسَ إِيمَانًا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَأَةٍ وَلَئِكن يُوَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فِإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلِئِنَّ اللَّهَ كَانَ بَعِيدًا بَصِيرًا ﴿٤٥﴾

قوله: «أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» لما ذكر الأولين وسنته في إهلاكهم نبههم بتذكير الأولين فإنهم كانوا يعمرون على ديارهم ويرون آثارهم وأملهم كان فوق أملهم وعملهم كان دون عملهم وكانوا أطول أعماراً منهم وأشد اقتداراً ومع هذا لم يكذبوا مثل محمد وأنتم يا أهل مكة كفرتم محمداً وَمَنْ تَقَدَّمَهُ.

قوله: «وَكَاثِرًا أَشَدَّ» جملة في موضع نصب على الحال<sup>(١)</sup> ونظيرتها في الروم: «كَانُوا»<sup>(٢)</sup> بلا «واو» على أنها مستأنفة فالمقصدان مُخْتَلِفَانِ.

وقال ابن الخطيب: الفرق بينهما أن قول القائل: «أَمَا رَأَيْتَ زَيْدًا كَيْفَ أَكْرَمَنِي هُوَ أَعْظَمُ مِنْكَ» يفيد أن القائل يخبره بأن زيدا أعظم وإذا قال: مَا<sup>(٣)</sup> رَأَيْتَهُ<sup>(٤)</sup> كَيْفَ أَكْرَمَنِي وَهُوَ أَعْظَمُ (مِنْكَ)<sup>(٥)</sup> يفيد أن يقرر أن المعنيين حاصلان عند السامع كأنه رآه أكرمه ورآه أكرم منه (و)<sup>(٦)</sup> لا شك في أن هذه العبارة الأخيرة تفيد كون الأمر الثاني في الظهور مثل الأول بحيث لا يحتاج إلى إعلام من المتكلم ولا إخبار. وإذا علم هذا فنقول: المذكور ههنا كونهم أشد منهم قوة لا غير ولعل ذلك كان ظاهراً عندهم فقال «بالواو» أي نظركم كما يقع على عاقبة أمرهم يقع على قوتهم وأما هناك فالمذكور أشياء كثيرة فإنه قال: «أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ» [الروم: ٩]. وفي موضع آخر قال: «أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ» [غافر: ٨٢] ولعل علمهم لم يحصل بإثارتهم<sup>(٧)</sup> في الأرض أو<sup>(٨)</sup> بكثرتهم ولكن نفس القوة ورجحانهم كان معلوماً عندهم فإن كل طائفة تعتقد فيمن تقدمها أنها<sup>(٩)</sup> أقوى منها ولا تنازع فيه.

(١) قاله السمين في الدر ٤/٤٩٠.

(٢) الآية ٩ منها وانظر: البحر المحيط ٧/٣٢٠ والسمين ٤/٤٩٠.

(٣) في الرازي «أما» لا (ما) كما في النسختين.

(٤) في «ب» رأيت وما هنا موافق للفخر الرازي.

(٥) ساقط من «ب» وهو في الفخر.

(٦) كذلك.

(٧) الأصح كما أثبت أعلى وهو موافق للرازي وفي النسختين بإثارتهم.

(٨) في «ب» أي. والرازي موافق لما هنا.

(٩) في الفخر (أنهم) بالجمع وفي «ب» أنه بالإفراد المذكور.

قوله: «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ» أي ليفوت عنه. وهذا يحتمل شيئين<sup>(١)</sup>:

أحدهما: أن يكون المراد بيان أن الأولين مع شدة قوتهم ما عجزوا الله وما فاتوه فهم أولى بأن لا يُعْجِزوه.

والثاني: أن يكون قطعاً لاعتقاد الجاهل فإن قائلًا لو قال: هب أن الأولين كانوا أشد قوة وأطول أعماراً لكننا نستخرج بدكائنا ما يزيد على قواهم ونستعين بأمور أرضية لها خواص أو كواكب سماوية لها آثار فقال الله تعالى: «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ، وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا»<sup>(٢)</sup> بأفعالهم وأقوالهم «قديراً» على إهلاكهم واستئصالهم.

قوله: «وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا» من الجرائم «مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرهَا مِنْ دَابَّةٍ» يعني على ظهر الأرض كناية عن<sup>(٣)</sup> غير المذكور. وتقدم نظيرها في التحل<sup>(٤)</sup>، إلا أن هناك لم يجر للأرض ذكر بل عاد الضمير على ما فهم من السياق وهنا قد صرح بها في قوله: «فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ» فيعود الضمير إليها لأنها أقرب، وأيضاً فلقوله: «مِنْ دَابَّةٍ» والدب إنما يكون على ظهر الأرض وهنا قال: «عَلَى ظَهْرهَا» استعارة من ظهر الدابة دلالة على التمكن والتقلب عليها والمقام هنا يناسب ذلك لأنه حث على السير للنظر والاعتبار.

قوله: «مِنْ دَابَّةٍ» أي كما كان في زمن نوح - عليه (الصلاة<sup>(٥)</sup>) والسلام - أهلك الله ما على ظهر الأرض من كان في السفينة مع نوح.

فإن قيل: إذا كان الله يؤاخذ الناس بما كسبوا فما (بال)<sup>(٦)</sup> الدواب يهلكون؟

فالجواب من وجوه:

أحدها: أن خلق الدواب نعمة فإذا كفر الناس بزيل الله النعم والدواب أقرب النعم، لأن المفرد (أولاً)<sup>(٧)</sup> ثم المركب والمركب إما أن يكون معدناً وإما أن يكون نامياً والنامي إما أن يكون حيواناً أو نباتاً والحيوان إما<sup>(٨)</sup> إنساناً أو غير إنسان فالدواب أعلى درجات المخلوقات في عالم العناصر للإنسان.

الثاني: أن ذلك بيان لشدة العذاب وعمومه فإن بقا (ء الأشياء)<sup>(٩)</sup> بالإنسان كما أن بقاء الإنسان بالأشياء لأن الإنسان يدبر الأشياء ويصلحها فتبقى الأشياء ثم ينتفع بها

(١) في الفخر وجهين وفي «ب» معنيين. (٢) في «أ» عالماً والصحيح من «ب».

(٣) في «ب» من.

(٤) عند قوله: «وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ» وهي الآية (٦١) منها.

(٥) زيادة من «ب».

(٦) تصحيح لغوي عن النسخين.

(٧) سقط من «ب».

(٨) كذا هنا. وفي الرازي وفي «ب» إما أن يكون إنساناً.

(٩) سقط من النسخين وهو تكملة من الرازي.

الإنسان فإذا كان الهلاك عاماً لا يبقى من الإنسان من يُعْمَرُ فلا يبقى الأبنية والزروع فما تبقى الخيرات الإلهية فإن بقاءها لحفظ<sup>(١)</sup> الإنسان إياها عن التلف والهلاك بالسَّقْيِ وَالْقَلْبِ<sup>(٢)</sup>.

الثالث: أن إنزال المطر إنعام من الله في حق العباد فإذا لم يستحقوا الإنعام قطعت الأمطار عنهم فيظهر الجفاف على وجه الأرض فتموت<sup>(٣)</sup> جميع الحيوانات.

فإن قيل: كيف يقال لما عليه الخلق من الأرض وجه الأرض وظهر الأرض مع أن الظهر مقابلة<sup>(٤)</sup> الوجه فهو كالتضاد؟ فيقال: من حيث إنَّ الأرض كالدابة الحاملة للأثقال والحمل يكون على الظهر وأما وجه الأرض فلأن الظاهر من باب والبطن والباطن من باب ووجه<sup>(٥)</sup> الأرض ظهر لأنه هو الظاهر وغيره منها باطن وبطن.

قوله: «وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى» قيل: هو يوم<sup>(٦)</sup> القيامة. وقيل: يوم لا يوجد في الخلق مؤمن وقيل: لكل أمة أجل، ولكل أجل كتاب وأجل<sup>(٧)</sup> قوم محمد - عليه (الصلاة<sup>(٨)</sup>) والسلام - أيام القتل والأسر كيوم بدر وغيره.

قوله: «فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا» تسلية للمؤمنين لأنه قال: ما ترك على ظهرها من دابة وقال ﴿لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥] فقال: فَإِذَا جَاءَ الْهَلَاكُ فَاللَّهُ بِالْعِبَادِ بَصِيرٌ<sup>(٩)</sup>، قال ابن عباس: يريد أهل طاعته وأهل معصيته<sup>(١٠)</sup>، (و)<sup>(١١)</sup> روى أبو أمامة عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله - ﷺ -: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْمَلَائِكَةِ دَعَتْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَمَانِيَةَ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ أَنْ ادْخُلَ مِنْ أَيِّ الْأَبْوَابِ شِئْتَ»<sup>(١٢)</sup>. [والله الموقن للصواب، وإليه المرجع والمآب]<sup>(١٣)</sup>.

(١) في «ب» يحفظ وفي الرازي يحفظ.

(٢) في الرازي بالسقي والعلف وفي «ب» بالسفن تحريف.

(٣) في «ب» فيموتوا.

(٤) فيها: مقابلة بناء لا هاء.

(٥) في «ب» فوجه بالفاء.

(٦) نقله القرطبي عن يحيى. انظر: الجامع ٦٢/١٤.

(٧) في «ب» فأجل بالفاء ونقل هذين الوجهين الإمام الفخر الرازي في تفسيره.

(٨) زيادة من «ب».

(٩) في «ب» بصيراً بالنصب.

(١٠) نقله الإمام الخازن في لياح التأويل ٣٠٦/٥ والإمام البغوي في معالم التنزيل ٣٠٦/٥.

(١١) سقط من «ب».

(١٢) الحديث رواه البيضاوي نقلاً عن الكشاف للزمخشري. انظر البيضاوي ١٤٩/٢ والكشاف ١٣/٣

ومجمع البيان للطبرسي ٦٢٤/٨ بلفظ: دعت ثلاثه أبواب. وانظر السراج المنير للخطيب ٣/٣٣٥.

(١٣) هذه العبارة كلها التي بيت القوسين ساقطة من (أ) وزائدة من نسخة (ب).

## سورة «يس»

مكية<sup>(١)</sup> وهي ثلاث وثمانون آية، وسبعمائة وتسع وعشرون كلمة، وثلاثة آلاف حرف.

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿يَسَّ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ نَزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِشَدِيدِ قَوْمًا مَّا أَنْذَرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴿٦﴾

قوله تعالى: ﴿يَسَّ﴾ بسكون النون. وأدغم النون في الواو بعدها ابن كثير وأبو عمرو<sup>(٢)</sup> وجمزة وحفص وقالون<sup>(٣)</sup> وورش بخلاف عنه. وكذلك النون من «نون والقلم»<sup>(٤)</sup> وأظهرهما الباقون<sup>(٥)</sup>. فمن أدغم فللخفة، ولأنه لما وصل والنفي متقاربان من كلمتين أولهما ساكن وجب الإدغام كالمثلين. ومن أظهر فللمبالغة في تفكيك هذه الحروف بعضها من بعض، لأنه بنية الوقف<sup>(٦)</sup> وهذا أجري على القياس<sup>(٧)</sup> في الحروف المقطعة وكذلك التقى فيها الساكنان وصلأ ونقل إليها حركة همزة الوصل على رأي نحو الم. الله. كما تقدم تقريره.

(وأمال<sup>(٨)</sup> الياء من «يس» الأخوان، وأبو بكر<sup>(٩)</sup>؛ لأنها اسم من الأسماء كما تقدم تقريره) أَوَّلُ الْبَقْرَةِ<sup>(١٠)</sup>.

(١) بالإجماع. نقله القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١/١٥.

(٢) السبعة ٥٣٨ والنشر ٢/٣٥٣ وإبراز المعاني ٨٧ وحجة ابن خالويه ٢٩٧ والكشف ٢/٢١٤.

(٣) عيسى بن مينا بن وزدان الزرقني أبو موسى قارىء المدينة ونحوها قرأ على نافع وأخذ عنه عرضاً وروى عنه إبراهيم وأحمد وغيرهما. مات سنة ٢٠٥. وقيل غير ذلك. انظر: غاية النهاية ١/٦١٥ و ٦١٦.

(٤) الأولى والثانية من القلم.

(٥) مراجع القراءات السابقة. والإتحاف أيضاً ٣٦٣.

(٦) الكشف في القراءات لمكي ٢/٢١٤ وحجة ابن خالويه ٢٩٧ ومشكل إعراب القرآن ٢/٢٢٠ والبيان ٢/٢٩٠.

(٧) والإظهار أقيس، فهذه الحروف حقها أن يوقف عليها على كل حرف منها، لأنها ليست بخبر لما قبلها، ولا يخبر عنها، ولا يعطف عليها كالمعدد فحقها الوقف والسكون عليها.

(٨) ما بين القوسين ساقط من «ب» (٩) مراجع القراءات السابقة.

(١٠) اللباب ١/٢٦ «ب».

قال الفَارِسِيُّ: وإذا أمالوا «ياء» وهي حرف نداء فَلَأَنَّ يُمِيلُوا «يا» من «يس» أَجْدَرُ<sup>(١)</sup>. وقرأ عيسى وابن أبي إسحاق بفتح النون<sup>(٢)</sup> إمّا على البناء على الفتح تخفيفاً<sup>(٣)</sup> كـ «أَيْنَ وَكَيْفَ» وإما على أنه مفعول بـ «اتلُّ»<sup>(٤)</sup> وإما على أنه مجرور بحرف القسم<sup>(٥)</sup>، وهو على الوجهين غير منصرف للعلمية والتأنيث<sup>(٦)</sup> ويجوز أن يكون منصوباً على إسقاط حرف القسم<sup>(٧)</sup> كقوله:

٤١٦٧ - ..... أَمَانَةَ اللَّهِ الثَّرِيدُ<sup>(٨)</sup> .....

وقرأ الكلبي<sup>(٩)</sup> بضم النون، فقليل على أنها خبرٌ مبتدأ مُضْمَرٌ، أي هذه يس ومُنِعَتْ من الصرف؛ لما تقدم.

وقيل: بل هي حركة بناء كـ «حَيْثُ»<sup>(١٠)</sup> فيجوز أن (يكون) خبراً كما تقدم وأن يكون مقسماً بها نحو: «عَهْدَ اللَّهِ لِأَفْعَلْنَ».

وقيل: لأنها منادى فنبت على الضم، ولهذا فسرها الكلبي القاريء لها بـ «يا إنساناً». قال: وهي لغة طَيِّءٍ<sup>(١١)</sup>. قال الزمخشري: إن صح معناه فوجهه أن يكون أصله يا أُنَيْسِينَ فكثر النداء به على ألسنتهم حتى اقتصروا على شطره كما قالوا في القسم: «مُ اللَّهُ» في أَيُّمُنُ اللَّهِ<sup>(١٢)</sup>.

قال أبو حيان: والذي نقل عن العرب في تصغير إنسان أُنَيْسَانَ بياء بعدها ألف فدل أن أصله أُنَيْسَانَ؛ لأن التصغير يرد الأشياء إلى أصولها، ولا نعلم أنهم قالوا في تصغيره: أُنَيْسِينَ. وعلى تقدير أنه يصغر كذلك فلا يجوز ذلك إلا أن يُبْنَى على الضم<sup>(١٣)</sup>، لأنه

(١) حجة القراءات السبع له ١٩٣/٦.

(٢) المحتسب ٢٠٣/٢ ونسبها ابن خالويه إلى عيسى فقط. المختصر ١٢٤ وانظر أيضاً الكشاف ٣١٣/٣.

(٣) البيان ٢٩٠/٢ والمحتسب ٢٠٣/٢ والكشاف ٣١٣/٣ والتبيان ١٠٧٨ ومشكل إعراب القرآن ٢٢٠/٢.

(٤) الكشاف والمشكل السابقين. والبحر المحيط ٣٢٣/٧. وهو مذهب سيويه في ٢٥٨/٣ على أنه اسم

السورة وإليه ذهب الزجاج في أحد قوله المعاني له ٢٧٧/٤.

(٥) البحر المحيط ٣٢٣/٧. (٦) مشكل إعراب القرآن ٢٢٠/٢.

(٧) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٧٧/٤.

(٨) بعض بيت من الطويل مجهول قائله وهو بتمامه:

إِذَا مَا الْخُبَيْرُ تَأَدَّمَهُ بِسَلْحِهِمْ فَذَلِكَ أَمَانَةَ اللَّهِ الثَّرِيدُ

وتأدّمه: تخلصه. والثريد: طعام. والشاهد «أمانة» نصبها على إسقاط حرف الجر والقسم. والأصل

أحلف وأقسم بأمانة. انظر الكتاب ٦١/٣ و ٤٩٨ وابن يعيش ٩٢/٩ و ١٠٢ و ١٠٤ والدر المصون

٤٩٢/٤.

(٩) المحتسب ٢٠٣/٢ والبحر ٣٢٣/٧ وهي شاذة.

(١٠) قال بذلك صاحب الكشاف ٣١٣/٣.

(١١) المحتسب ٢٠٣/٢. (١٢) الكشاف ٣١٣/٣.

(١٣) في البحر: وَلَا يَبْقَى مَوْقُوفاً لِأَنَّهُ... .

منادى مُقْبَلٌ عليه، ومع ذلك فلا يجوز لأنه تحقير ويمتنع من ذلك في حق النبوة<sup>(١)</sup>. قال شهاب الدين: أما<sup>(٢)</sup> الاعتراض الأخير فصحيح نصوا على أن التصغير لا يدخل في الأسماء المعظمة شرعاً، ولذلك يحكى أن ابن قتيبة (لما قال)<sup>(٣)</sup> في المُهَيَّن إنه مصغر من «مؤمن» والأصل: مُؤَيِّنٌ فأبدلت الهمزة هاءً قيل له: هذا يَقْرُبُ من الكفر فَلَيَقِّقَ اللَّهُ قَائِلُهُ<sup>(٤)</sup>.

وتقدمت هذه الحكايات في المائة<sup>(٥)</sup> وما قيل فيها. وقد تقدم للرمخشري في «طه»<sup>(٦)</sup> ما يقرب من هذا البحث<sup>(٧)</sup> وتقدم كلام الشيخ معه<sup>(٨)</sup>. وقرأ ابن أبي إسحاق أيضاً وأبو السَّمَّال يس بكسر النون<sup>(٩)</sup>، وذلك على أصل التقاء الساكنين ولا يجوز أن يكون حركة إعراب<sup>(١٠)</sup>. «وَالْقُرْآنِ» إما قسم مستأنف إن لم تجعل ما تقدم قسماً وإما عطف على ما قبله إن كان مقسماً به<sup>(١١)</sup>. وقد تقدم كلام عن الخليل في ذلك أوائل البقرة<sup>(١٢)</sup> فاعتبره هنا فإنه حسن جداً.

(١) البحر ٣٢٣/٧. (٢) الدر المصون ٤٩٣/٤.

(٣) سقط من «ب».

(٤) قال في غريب القرآن: «ومن صفاته المُهَيَّن وهو الشهيد؛ لأن أهل النظر من أصحاب اللغة يرون أن «مُهَيَّنًا» اسم مَبْنِيٍّ من آمن كما بُنِيَ (بَطِيرٌ) و (بَيْطَارٌ) من بَطَرَ... وكان الأصل مُؤَيِّنٌ، ثم قلبت الهمزة هاءً لقرب مخرجها» وهذه العبارة في غريب القرآن ١١ و ١٢، وفي اللسان: «هَمْ نٌ» وقال بعضهم: مُهَيَّنٌ معنى مُؤَيِّنٌ، والهاء بدل من الهمزة كما قالوا هَرَقْتُ وَأَرَقْتُ وكما قالوا: إياك وهَيَّاك. قال الأزهرى: وهذا على قياس العربية صحيح مع ما جاء في التفسير أنه بمعنى الأمين. [والبطر معناه الشق]. ونقل السيوطي في الأشباه والنظائر رأي المبرد قال المبرد: بلغني أن ابن قتيبة قال: إن مُهَيَّنًا تصغير «مؤمن»، والهاء بدل من الهمزة، فوجهت إليه أن اتى الله فإن هذا خطأ يوجب الكفر على من تعمد، وإنما هو مثل مُسَيِّطِر. انظر: الأشباه والنظائر ١٢٨/٣.

(٥) عند قوله عز وجل: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ من الآية ٤٨.

(٦) أي في سورة طه عليه السلام.

(٧) قال: وإن الأصل «طاه» فقلبت همزته هاءً أو قلبت ألفاً في يَطَأُ فيمن قال: لا هناك المرتع ثم بني عليه الأمر والهاء للسكت. ويجوز أن يكتفى بشطري الاسمين وهما الدالان بلفظهما على المسئيين والله أعلم بصحة ما يقال: إن «طأها» في لغة عك في معنى يا رجل. الكشاف ٥٢٨/٢.

(٨) هذا تمام كلام السمين ويقصد بالشيخ أبا حيان شيخه وأستاذه. انظر: البحر المحيط ٢٢٤/٦.

(٩) من القراءات الشاذة ذكرها أبو الفتح في المحتسب ٢/٢٠٣ وابن خالويه في مختصره ١٢٤، والقراء ٣٧١/٢.

(١٠) والكلام بني على الإذراج فلا يجوز إذا كسرنا أو فتحنا، لأن الكلام متصل. وهذا معنى كلام ابن جني في المحتسب المرجع السابق.

(١١) الدر المصون ٤٩٢/٤ و ٤٩٣ والتبيان ١٠٧٩.

(١٢) ذكر أن هذه أحرف مقطعة مخكئة لا تعرب، إلا أن تخبر عنها. وموضعها نصب بفعل محذوف تقديره أقرأ أو في موضع رفع خبر لمبتدأ محذوف تقديره هذا. وإذا جعلت قسماً كان موضعها خفض كما =

## فصل

قد تقدمت في سورة العنكبوت ذكر حروف التهجي وأن كل سورة بدأ الله فيها بحروف التهجي كان في أوائله الذكر أو الكتاب أو القرآن. ولندكر ههنا أن في ذكر هذه الحروف أوائل السور أموراً تدل على أنها غير خالية عن الحكمة لكن علم الإنسان لا يصل إليها. والذي يدل على أن فيها حكمة من حيث الجملة هو أن الله تعالى ذكر من الحروف نصفها وهي أربعة عشر حرفاً وهي نصف ثمانية وعشرين حرفاً هي جميع الحروف التي في لسان العرب على قولنا: الهمزة ألف متحركة.

ثم إنه تعالى قسم الحروف ثلاثة أقسام تسعة أحرف من الألف إلى الذال والتسعة الأخيرة من الفاء إلى الياء وعشرة في الوسط من الراء إلى الغين، وذكر من القسم الأول حرفين الألف والحاء وترك سبعة<sup>(١)</sup>، ولم يترك من القسم الأول من حروف الحلق والصدر إلا واحداً لم يذكره وهو الخاء ولم يذكر من القسم الأخير من حروف الشفة إلا واحداً لم يتركه وهو الميم. والعشر الأواسط ذكر منه حرفاً وترك حرفاً، فترك الزاي وذكر الراء وذكر السين وترك الشين، وذكر الصاد وترك الضاد، وذكر الطاء وترك الظاء وذكر العين وترك الغين. وليس هذا أمراً يقع اتفاقاً بل هو ترتيب مقصود وهو لحكمة لكنها غير معلومة وهب أن واحداً يدعي فيه شيئاً فماذا يقول في كون بعض السور مفتوحة بحرف كسورة «ن» و «ق» و «ص» وبعضها بحرفين كسورة «حم» و «يس» و «طه» وبعضها بثلاثة أحرف كسورة «الم» و «طسم» و «الر» وبعضها بأربعة أحرف كسورة «المر» و «المص» وبعضها بخمسة كسورة «جمعسق» و «كهيعص» وهب أن قائلاً يقول: إن هذا إشارة بأن الكلام إما حرف، وإما فعل، وإما اسم، والحرف كثيراً ما جاء على حرف كواو العطف وفاء العقيب، وهمزة الاستفهام، وكاف التشبيه، وياء الإلصاق<sup>(٢)</sup> وغيرها، وجاء على حرفين كجمن للتبعيض و «أو» للتخيير، و «أم» للاستفهام المتوسط<sup>(٣)</sup>، وإن للشرط<sup>(٤)</sup> وغيرها. والفعل والاسم والحرف جاء على ثلاثة أحرف كإلى وعلى في الحرف وإلى وعلى في الاسم وألا يألو وعلاً يعلو في الفعل، والاسم والفعل جاء على أربعة أحرف، والاسم خاصة جاء على ثلاثة أحرف وأربعة وخمسة ك «عجل»<sup>(٥)</sup> وسنجل<sup>(٦)</sup>

= أخبر هنا. وانظر: الكتاب ٢٥٧/٣ - ٢٥٩ - واللباب ١٦/١ ب ميكروفيلم.

(١) في الرازي: وترك من القسم الآخر حرفين هما الفاء والواو وذكر سبعة ولم...

(٢) مثل: أمسكت يزيد ومررت به والإلصاق إما أن يكون حقيقياً أو مجازياً كما مثل والإلصاق معنى لا يفارق الباء. المغني ١٠١.

(٣) مثل: «أَضْرَبْتُ زَيْدًا أُمَّ قَتَلْتُهُ» ولما كانت تتوسط بين محتملي الوجود لشئيتين: أحدهما: بالاستفهام قيل: إنها حرف عطف. وقد أنكرها أبو عبيدة «الهمع ١٣٢/٢».

(٤) في «ب» للشرطية. (٥) كذا في النسختين وفي الرازي ك «فجل».

(٦) في اللسان سينجال قرية بأرمينية.

وجردخل<sup>(١)</sup>. فما جاء في القرآن إشارة إلى أن تركيب العربية من هذه الحروف على هذه الوجوه فماذا يقول هذا القائل في تخصيص بعض السور بالحرف الواحد، والبعض بأكثر فلا يعلم ما السر إلا الله ومن أعلمه الله به وإذا علم هذا فالعبادة منها قلبية ومنها لسانية ومنها جارحية، وكل واحد منها قسمان:

قسم عقل معناه وحقيقته وقسم لم يُعَلِّم.

أما القلبية مع أنها أبعد عن الشك والجهل ففيها ما لم يعلم دليله عقلاً وإنما وجب الإيمان به والاعتقاد سمعاً كالصراط الذي هو أرق من الشعر وأحد من السيف، ويمر عليه المؤمن كالبرق الخاطف، والميزان الذي توزن به الأعمال الذي لا ثقل لها في نظر الناظر وكيفية الجنة والنار فإن هذه الأشياء وجودها لم يعلم بدليل عقلي وإنما المعلوم بالعقل إمكانها ووقوعها معلوم (و)<sup>(٢)</sup> مقطوع به بالسمع ومنها ما علمه كالتوحيد والنبوة وقدرة الله وصدق الرسول وكذلك في العبادات الجارحية ما علم معناه وما لم يعلم كمقادير النصب وعدد الركعات والحكمة في ذلك أن العبد إذا أتى بما أمر به من غير أن يعلم ما فيه من الفائدة لا يكون الإتيان إلا لمحض<sup>(٣)</sup> العبادة بخلاف ما لو علم الفائدة فربما يأتي بها لفائدة وإن لم يؤمن<sup>(٤)</sup> كما لو قال السيد لعبيده: انقل هذه الحجارة من ههنا ولم يعلم بما في النقل فنقلها ولو قال انقلها فإن تحتها كترأ هو لك فإنه ينقلها وإن لم يؤمر. وإذا علم هذا فكذلك في العبادات اللسانية الذكرية يجب أن يكون ما لم يفهم معناه إذا تكلم به العبد علم أنه لا يعقل غير الانقياد لأمر المعبود الإلهي. فإذا قال: حم، يس، طس<sup>(٥)</sup> علم أنه لا يذكر ذلك لمعنى يفهمه بل يتلفظ به امتثالاً لما أمر به<sup>(٦)</sup>.

## فصل

قال ابن عباس: يس قسم، وروي عنه أن معناه يا إنسان بلغه طيء. قيل: لأن تصغير إنسان أنيسين كما تقدم عن الزمخشري فكأنه حذف الصدر<sup>(٧)</sup> منه وأخذ العجز وقال: ياسين أي يا أنيسين.

قال أكثر المفسرين يعني محمداً - ﷺ - قاله الحسن وسعيد بن جبير وجماعة. وقال أبو (العالية)<sup>(٨)</sup>: يا رَجُلُ وقال أبو بكر الوراق: يا سيّد البشر<sup>(٩)</sup>. وقوله: «وَالْقُرْآنِ»

(١) الجردخل من الإبل: الناقة الضخمة الغليظة، اللسان: «ج ردح ل».

(٢) سقط من «ب». (٣) في «ب» بمحض.

(٤) وفيها: يؤمر، وانظر في هذا الرازي ٤٠/٢٦.

(٥) الأولى من النمل. (٦) ينظر هذا كله في التفسير الكبير للرازي ٤٠/٢٦.

(٧) في «ب» المصدر. خطأ وتحريف. (٨) ما بين القوسين كله سقط من «أ».

(٩) ذكر هذه الأوجه مجتمعة الإمام القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٤٠/١٥.

الحَكِيم» أي ذي الحكمة كـ ﴿عِشْرَةَ رَأْسِي﴾ [الحاقة: ٢١] أي ذات رضا، أو أنه ناطق بالحكمة وهو كالحَيِّ المتكلم.

قوله: «إِنَّكَ» جواب القسم<sup>(١)</sup> و «عَلَى صِرَاطٍ» يجوز أن يكون متعلقاً بـ «المُرْسَلِينَ»<sup>(٢)</sup> يقول: أَرْسَلْتُ عليه، كما قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ طُوفَانًا﴾ [الفيل: ٣] وأن يكون متعلقاً بمحذوف على أنه حال من الضمير المستكن في «لِمَنِ المُرْسَلِينَ» لوقوعه خبراً<sup>(٣)</sup>، وأن يكون حالاً من<sup>(٤)</sup> «المُرْسَلِينَ» وأن يكون خبراً ثانياً لـ «إِنَّكَ»<sup>(٥)</sup>.

## فصل

أقسم بالقرآن على أن محمداً من المرسلين. وهو رد على الكفار، حيث قالوا: (لَسْتَ<sup>(٦)</sup> مُرْسَلًا).

فإن قيل: المطلب ثبت<sup>(٧)</sup> بالدليل لا بالقسم فما الحكمة بالإقسام؟!.

فالجواب من وجوه:

الأول: إن العرب كانوا يتقون<sup>(٨)</sup> الأيمان الفاجرة وكانوا يقولون بأن الأيمان الفاجرة توجب خراب العالم وصحح النبي - عليه الصلاة والسلام<sup>(٩)</sup> - ذلك بقوله: «الْيَمِينُ الكَاذِبَةُ تَدْعُ الدِّيَارَ بِلَاقِعٍ». ثم إنهم كانوا يقولون: إن النبي - عليه (الصلاة<sup>(١٠)</sup>) والسلام - يصيبه عذاب آلهتهم، وهي الكواكب والنبي عليه (الصلاة و) السلام يحلف بأمر الله وإنزال كلامه عليه بأشياء مختلفة، وما كان يصيبه عذاب بل كان كل يوم أَرْفَعُ شَأْنًا وَأَمْنَعُ مَكَانًا، فكان ذلك يوجب اعتقاد أنه ليس بكاذب.

الثاني: أن المُنْتَظَرِ (يُن) إذا وقع بينهما كلام، وغلب أحدهما الآخر بتمشية دليله وأسكته يقول المغلوب: إنك قدرت هذا بقوة جدالك، وأنت خبير في نفسك بضعف مقاتلتك، وتعلم أن الأمر ليس كما تقول وإن أقمت عليه الدليل صورة، وعجزت

(١) وهو يس والقرآن الحكيم. انظر: الدر المصون ٤/٤٩٤.

(٢) الكشاف ٣/٣١٤ والبيان ٢/٢٩٠. (٣) ذكره أبو البقاء في الثيبان ١٠٧٨.

(٤) الدر المصون للسمن الحلبي ٤/٤٩٤.

(٥) رجحه الزجاج والفراء في معانيهما. انظر: معاني الزجاج ٤/٢٧٨ ومعاني الفراء ٢/٢٧٢ ومشكل إعراب القرآن لمكي ٢/٢٢١ والبيان لابن الأنباري ٢/٢٩٠. وقد قال الزجاج: «وأحسن ما في العربية أن يكون «لمن المرسلين» خبر إن ويكون «على صراط مستقيم» خبراً ثانياً». انظر معاني القرآن للزجاج ٤/٧٨.

(٦) ما بين القوسين ساقط من «ب» وهي من الآية ٤٣ من سورة «الرعد».

(٧) في «ب» يثبت بالمضارعة. (٨) كذا هي في النسختين وفي الرازي: يتوقون.

(٩) في «ب» ﷺ. (١٠) ما بين القوسين زيادة من «ب».

(١١) في ب «المتناظر» فقط.

أنا عن القدر فيه وهذا كثير الوقوع بين المُتَنَاطِرَيْنِ فعند هذا لا يجوز أن يأتي هو بدليل آخر؛ لأن الساكت المنقطع يقول في الدليل الآخر ما قاله في الأول، فلا يجد أمراً إلا باليمين فيقول: وَاللَّهِ إِنِّي لَسْتُ مُكَابِرًا، وَإِنَّ الْأَمْرَ عَلَيَّ مَا ذَكَرْتَ وَلَمْ عَلِمْتَ خِلافَهُ لَرَجَعْتُ إِلَيْهِ فَههنا يتعين اليمين، فكذلك النبي عليه (الصلاة و) السلام أقام البراهين، وقالت الكفرة: ﴿مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانُ يَعْبُدُ آبَاءَكُمْ﴾ [سبأ: ٤٣] وقالوا ﴿لَلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأحقاف: ٧] فالتمسك<sup>(١)</sup> بالأيمن لعدم فائدة.

الدليل الثالث: أن هذا ليس مجرد الحلف بل دليل خرج في صورة اليمين؛ لأن القرآن معجزة ودليل كونه مُرْسَلًا هو المعجزة والقرآن كذلك.

فإن قيل: لِمَ لَمْ يذكر في صورة الدليل؟ وما الحكمة في صورة اليمين؟

فالجواب: أن الدليل إذا ذكر لا في صورة اليمين، قد لا يُقْبَلُ عليه السامع فلا يفيد فائدة، فإذا ابتدأ<sup>(٢)</sup> به على صورة اليمين لا يقع ولا سيما من العظيم إلا على عظيم، والأمر العظيم تتوفر الدواعي على الإضغاء إليه فلصورة اليمين تقبل عليه الأسماع لكونه دليلاً شافياً يتشربه الفؤاد فيقع في السمع وفي القلب.

قوله: «عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» أي إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. والمستقيم أقرب الطرق الموصلة إلى المقصد والدين كذلك فإنه يوصل إلى الله وهو المقصد<sup>(٣)</sup>.

قوله: «تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ» قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر<sup>(٤)</sup> برفع «تنزيل» على أنه خبر مبتدأ مضمّر<sup>(٥)</sup> أي هو تنزيل. ويجوز أن يكون خبراً لمبتدأ إذا جعلت<sup>(٦)</sup> «يس» اسماً للسورة أي هذه السورة المسماة بـ «يس» تنزيل، أو هذه الأحرف المقطعة تنزيل.

والجملة<sup>(٧)</sup> القسمية على هذا اعتراض. والباقون بالنصب على المصدر<sup>(٨)</sup> كأنه قال: نَزَلَ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ لتندر. أو على أنه مفعول بفعل مَنَوِيٍّ<sup>(٩)</sup> كأنه قال والقرآن الحكيم أعني تنزيل العزيز الرحيم إنك لمن المرسلين لتندر. وهذا اختيار الزمخشري.

(١) في «ب» والمتمسك. (٢) وفيها ابتدء للمجهول.

(٣) في (ب) القصد وكذلك تنظر هذه الأشياء في الرازي ٤١/٢٦.

(٤) ينظر: حجة ابن خالويه ٢٩٧ و ٢٩٨ والنشر ٢/٣٥٣ والسبعة ٥٣٩ والإتحاف ٣٦٣ ومعاني الفراء ٢/٢٧٢ ومعاني الزجاج ٤/٢٧٨.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٣/٣٨٣ والبيان ٢/٢٩٠ والتبيان ١٠٧٨ ومشكل إعراب القرآن ٢/٢٢١ ومعاني الزجاج ٤/٢٧٨.

(٦) الدر المصون ٤/٤٩٤. (٧) في «ب» فالجملة.

(٨) المراجع السابقة.

(٩) الكشاف ٣/٣١٤ وانظر في الرفع والنصب على المصدر البحر المحيط ٧/٣٢٣.

وهو المراد بقوله: «أَوْ عَلَى الْمَدْحِ»<sup>(١)</sup>. وهو في المعنى كالرفع على خبر ابتداء مضمرة. و «تنزيل» مصدر مضاف لفاعله<sup>(٢)</sup>.

وقيل: هو بمعنى منزل<sup>(٣)</sup>. وقرأ أبو حيوه واليزيدي وأبو جعفر يزيد بن القعقاع وشيبة تَنْزِيلَ بالجر<sup>(٤)</sup> على النعت للقرآن أو البدل منه<sup>(٥)</sup>، كأن قال: والقرآن الحكيم تنزيل العزيز الرحيم إنك لمن المرسلين.

وقوله: «الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ» إشارة إلى أن الملك إذا أرسل فالمرسل إليهم إما أن يخالفوا المرسل ويُعيثوا المرسل، وحيث لا يقدر الملك على الانتقام منهم إلا إذا كان عزيزاً، أو يخافوا المرسل ويكرموا المرسل وحيث يرحمهم الملك. أو يقال: المرسل يكون معه في رسالته منغ عن أشياء وإطلاق لأشياء والمنع يؤكد العزة والإطلاق يدل على الرحمة<sup>(٦)</sup>.

قوله: «لِتُنذِرَ» يجوز أن يتعلق بـ «تَنْزِيلُ»<sup>(٧)</sup> أو بمعنى المرسلين يعني بإضمار فعل يدل عليه هذا اللفظ أي أَرْسَلْنَاكَ لِتُنذِرَ.

قوله: «مَا أَنْذَرِ آبَاؤُهُمْ» يجوز أن تكون «ما» هذه بمعنى الذي<sup>(٨)</sup>، وأن تكون نكرة موصوفة والعاثد<sup>(٩)</sup> على الوجهين مُقَدَّرٌ<sup>(١٠)</sup>.

أي ما أنذره آبائهم فتكون ما وصلتها أو وصفتها في محل نصب مفعولاً ثانياً لقوله: «لِتُنذِرَ» كقوله: ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ [النبأ: ٤٠] أو التقدير لِتُنذِرَ قَوْمًا الَّذِي أَنْذَرَهُ آبَاؤُهُمْ من العذاب، أو لتنذر قوماً عذاباً أَنْذَرَهُ آبَاؤُهُمْ<sup>(١١)</sup>.

ويجوز أن تكون مصدرية<sup>(١٢)</sup> أي إِنْذَارِ آبَائِهِمْ أي مثله. ويجوز أن تكون ما

(١) الكشاف ٣/٣١٤. (٢) البيان ٢/٢١٠.

(٣) التبيان ١٠٧٨.

(٤) قراءة شاذة. انظر: البحر المحيط ٧/٣٢٣ ومختصر ابن خالويه ١٢٤.

(٥) النحاس ٤/٣٨٣ والبيان ٢/٢٩٠ والمشكل ٢/٢٢٢ والتبيان ١٠٧٨ والكشاف ٣/٣١٤ والبحر ٧/٣٢٣ والدر المصون ٤/٤٩٤ والقرطبي ٦/١٥ والرازي ٢٦/٤٠.

(٦) الرازي ٢٦/٤٠.

(٧) قاله أبو البقاء في التبيان ١٠٧٨ والسمين في الدر المصون ٤/٤٩٤ وأبو حيان في البحر المحيط ٧/٣٢٣.

(٨) نقله أبو حيان في المرجع السابق عن عكرمة، كما نقله الزمخشري ٣/٣١٤ وأبو البقاء في التبيان ١٠٧٨ والفراء في معانيه ٢/٢٧٢ والنحاس في إعرابه ٣/٣٨٣ والزجاج في معانيه أيضاً ٤/٢٧٨.

(٩) التبيان المرجع السابق وفي «ب» والفائدة تحريف.

(١٠) في «ب» تقدر تحريف أيضاً. (١١) الدر المصون ٤/٤٩٥.

(١٢) البيان ٢/٢٩١ ومشكل إعراب القرآن ٢/٢٢٢ وهو قول عكرمة انظر: الدر المصون ٤/٤٩٥.

نافية<sup>(١)</sup>، وتكون الجملة المنفية صفة لـ «قوماً» أي قوماً غير منذر آباؤهم. ويجوز أن تكون زائدة أي قوماً أنذر آباؤهم. والجملة المثبتة أيضاً صفة لـ «قوماً». قاله أبو البقاء<sup>(٢)</sup>.

وهو مناف للوجه الذي قبله. فعلى قولنا ما نافية، فالمعنى ما أنذر آباؤهم الأذنون وإن قلنا: ما للإثبات فالمعنى لئنذروا<sup>(٣)</sup> بما أنذر آباؤهم الأولون. وقوله: «فَهُمْ غَافِلُونَ» أي عن الإيمان والرشد.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِيٰ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَىٰ الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْتَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَشَرَهُ بِعَفْفِهِ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ وَيَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاتَاهُمْ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِيٰ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾

قوله: «لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ» وجب العذاب «عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ» وهذا كقوله: ﴿وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١] وفي الآية وجوه:

أشهرها: أن المراد من القول هو قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ [السجدة: ١٣] ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمَنْ يَتَّبِعُكَ﴾ [ص: ٨٥].

والثاني: أن معناه لقد سبق في علمه أن هذا يؤمن وهذا لا يؤمن فحق القول أي وُجِدَ وَبِتَّ بَحِثَ لَا يُبَدَّلُ بغيره. لا يبدل القول لدي.

الثالث: المراد لقد حق القول الذي قاله الله على لسان الرسل من التوحيد وغيره وبأن بُرْهَانَهُ، فإنهم لمَّا لم يؤمنوا عندما ما حق القول واستمروا، فإن كانوا يريدون شيئاً أوضح من البرهان فهو العناد<sup>(٤)</sup> وعند العناد لا يُقيد الإيمان. وقوله: «عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ» على هذا الوجه معناه أن من لم تَبْلُغْهُ الدُّعْوَةُ والبُرْهَانُ قَلِيلُونَ فحق القول على أكثرهم وهو من<sup>(٥)</sup> لم يوجد منه الإيمان وعلى الأول والثاني ظاهر، لأن أكثر<sup>(٦)</sup> الكفار ماتوا على الكفر.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيٰ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا﴾ نزلت في أبي جهل وصاحبيه، وذلك أن أبا جهل كان (قد)<sup>(٧)</sup> حلف لئن رأى محمداً يُصَلِّي لِيُرْضَخَنَّ رَأْسَهُ بِالْحِجَارَةِ فَاتَاهُ وَهُوَ

(١) وهو اختيار الرُّجَّاح والفراء والنحاس ومكي وأبي البقاء والزمخشري انظر: المراجع السابقة.

(٢) البيان ١٠٧٩.

(٣) في ب اللئذروا.

(٤) في الرازي: العيان.

(٥) في «ب»: الذي لم يوجد.

(٦) وفيها: أكبر بالباء.

(٧) سقط من «ب».

يصلي ومعه حجر ليدمعه به فلما رفعه<sup>(١)</sup> انثنت يده إلى عنقه، ولزق الحجر بيده، فلما رَجَعَ إلى أصحابه وأخبرهم بما رأى سقط الحجر، فقال رجل من بني مخزوم أنا أقتله بهذا الحجر، فأتاه وهو يصلّي لِيَزْمِيَهُ بِالْحَجَرِ فَأَعْمَى اللهُ بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع إلى أصحابه فلم يَرَهُمْ حتى نادوه فقالوا له: ماذا صنعت؟ فقال: ما رأيته، ولقد سمعت كلامه، وحال بيني وبينه كهيئة الفحل يخطر بِدَنِيهِ لو دنوتُ منه لأَكَلَنِي، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا﴾<sup>(٢)</sup>.

ووجه المناسبة لما تقدم أنه لما قال: «لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ» وتقدم أن المراد به البرهان قال بعد ذلك: بل عاينوا وأبصروا ما يقرب من الضرورة حيث التزقت يده بعنقه ومنع من إرسال الحجر، وهو مضطر إلى الإيمان ولم يؤمن على أنه لا يؤمن أصلاً<sup>(٣)</sup>.

وقال الفراء: معناه حبسناهم عن الإنفاق في سبيل الله<sup>(٤)</sup>، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ [الإسراء: ٢٩] معناه ولا تُمِسِّكْهَا عَنِ النَّفَقَةِ.

الرابع: قال ابن الخطيب وهو الأقوى وأنشد مناسبة لما تقدم: إن ذلك كناية عن منع الله إياهم عن الاهتداء وأما مناسبة قول الفراء لما تقدم أن قوله تعالى: ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ يدخل فيه أنهم لا يصلون كقوله تعالى: ﴿لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣] أي صلاتكم عند بعض المفسرين، والزكاة مناسبة للصلاة فكأنه قال: لا يُصَلُّونَ وَلَا يَزْكُونُ<sup>(٥)</sup>.

قوله: «فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ» في هذا الضمير وجهان:

أشهرهما: أنه عائد على الأغلال<sup>(٦)</sup>، لأنها هي المُحَدَّث عنها، ومعنى هذا الترتيب بالفاء أن العُلَّ لِيَغْلَظَهُ وَعَرَضِهِ يَصِلُ إِلَى الذَّقَنِ، لأنه يلبس<sup>(٧)</sup> العُنُقَ جَمِيعَةً. قال الزمخشري: والمعنى إنا جعلنا في أعناقهم أغللاً يُقَالُ غَلَّظَ غَلَّظًا بحيث تبلغ إلى الأذقان فلم يَتَمَكَّنَ المَغْلُولُ معها من أن يُطَاطِئَ رَأْسَهُ<sup>(٨)</sup>.

الثاني: أن الضمير يعود على «الأيدي»، لأن العُلَّ لا يكون إلا في العنق، واليدين، ولذلك سمي جامعة، ودلَّ على الأيدي وإن لم تُذكر للملازمة المفهومة من هذه الآلة

(١) في «ب» رَضَحَهُ.

(٢) انظر: تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن ٧/١٥ والرازي ٤٤/٢٦ ومعاني الفراء ٢/٢٧٣.

(٣) الرازي ٤٤/٢٦. (٤) معاني الفراء ٢/٢٧٣.

(٥) انظر: تفسير الرازي ٤٤/٢٦.

(٦) وبه قال الزمخشري في الكشاف ٣/٣١٥ ونقله أبو حيان في البحر ٧/٣٢٤ والسمين في الدر ٤/٤٩٥

والرازي في تفسيره ٤٤/٢٦.

(٨) الكشاف ٣/٣١٥.

(٧) الدر المصون ٤/٤٩٥.

أعني العُلّ، وإليه ذهب الطَّبْرِيُّ<sup>(١)</sup>. إلا أن الزمخشري قال: جعل الإقماح نتيجة قوله: «فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ» ولو كان للأيدي لم يكن معنى التسبب في الإقماح ظاهراً، على أن هذا الإضمار فيه ضرب من التعسف وترك للظاهر<sup>(٢)</sup>.

وفي هذا الكلام قولان:

أحدهما: أن جَعَلَ الْأَغْلَالَ حَقِيقَةً.

والثاني: أنه استعارة، وعلى كل من القولين جماعة من الصحابة والتابعين<sup>(٣)</sup>.

وقال الزَّمَخْشَرِيُّ: (مثل)<sup>(٤)</sup> لتصميمهم على الكفر، وأنه لا سبيل إلى ازعوائهم بأن جعلهم كالمَغْلُولِينَ الْمُقْمَحِينَ في أنهم لا يلتفتون إلى الحق، ولا يعطفون أعناقهم نحوه، ولا يُطَأْطِئُونَ رُؤُوسَهُمْ له، وكالحاصلين بين سدين لا يبصرون ما قدامهم ما خلفهم<sup>(٥)</sup> في أن لا تأمل لهم ولا تبصر وأنهم متعامون عن آيات الله<sup>(٦)</sup>. وقال غيره: هذا استعارة لمنع الله إياهم من الإيمان وحولهم<sup>(٧)</sup> بينهم وبينه. (و)<sup>(٨)</sup> قال ابن عطية: وهذا أرجح الأقوال؛ لأنه تعالى لما ذكر أنهم لا يؤمنون لما سبق لهم في الأول عقب ذلك بأن جعل لهم من المنع وإحاطة الشقاوة ما حالهم معه حال المغلوبين<sup>(٩)</sup>. وتقدم تفسير الأَذْقَانِ<sup>(١٠)</sup>.

وقال ابن الخطيب: المانع إما أن يكون في النفس فهو العُلّ وإما من الخارج فالسد، فلم يقع نظرهم على أنفسهم فيرون الآيات التي في أنفسهم كما قال تعالى: ﴿سَرَّيْهِمْ عَابِتَاتٍ فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [فصلت: ٥٣] وذلك لأن الْمُقْمَحَ لا يرى (في)

(١) جامع البيان ٩٨/٢٢. وذهب إليه من المتأخرين الزجاج في المعاني ٢٧٩/٤ والفراء كذلك في معانيه ٢٧٢/٢ والنحاس في الإعراب ٣٨٣/٣ والرازي في تفسيره ٤٤/٢٦.

(٢) قال: الذي يدعو المعنى إلى نفسه إلى الباطن الذي يجفو عنه ترك الحق الأبلج إلى الباطن اللَّجَجِ انظر: الكشاف ٣١٦/٣.

(٣) قاله بالحقيقة عكرمة نقلًا عن البحر ٣٢٤/٧ وقال ابن عباس وابن إسحاق استعارة لحالة الكفرة انظر: البحر المرجع السابق والقرطبي ٨/١٥.

(٤) سقط من «ب».

(٥) في الكشاف: ولا ما خلفهم.

(٦) وفيه: عن النظر في... انظر الكشاف ٣١٦/٣ و ٣١٧.

(٧) في «ب» وحال بينهم وبينه. وفي البحر والدر المصون: وجوله. وانظر: البحر ٣٢٤/٧ والدر المصون ٤٩٦/٤.

(٨) زيادة من «ب».

(٩) في المرجعين السابقين: المغلوبين، وفي «ب» المعلومين، وهنا في «أ» المغلوبين.

(١٠) عند الآية ١٠٧ من سورة «الإسراء»: ﴿يَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ فإن «الأذقان» جمع ذقن وهو مجتمع اللحنين.

نفسه ولا يقع بصره على بَدَنِهِ، ولا يقع نظرهم على الآفاق فلا يتبين لهم الآيات التي في الآفاق. وعلى هذا فقلوه: «إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ . . . وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا» إشارة إلى عدم هدايتهم لآيات الله في (الأنفُس<sup>(١)</sup>) والآفاق. «فَهُمْ مُقَمَّمُونَ» هذه الفاء لأحسن ترتيب، لأنه لما وصلت الأغلال إلى الأذقان لعرضها لزم عن ذلك ارتفاع رُؤوسهم إلى فُوق. أو لما جمعت الأيدي إلى الأذقان وصارت تحتها لزم من ذلك رفعها إلى فوق فترتفع رُؤوسُهُمْ<sup>(٢)</sup>.

والإقماح رفع الرأس إلى فوق كالإقناع، وهو من قَمَحَ البعيرُ رأسه إذا رفعها بعد الشرب، إما لبرودة الماء وإما لكراهة طعمه قَمُوحاً وقِمَاحاً - بكسر القاف وضمها - وأقمحتُه أَنَا إِقْمَاحاً، والجَمْعُ قِمَاحٌ<sup>(٣)</sup>، وأنشد:

٤١٦٨ - وَنَحْنُ عَلَى جَوَانِبِهَا قُعُودٌ نَغْضُ الطَّرْفَ كَالِإِبِلِ القِمَاحِ<sup>(٤)</sup>  
يصف نفسه وجماعة كانوا في سفينة، فأصابهم الميْدُ<sup>(٥)</sup>.

قال الزجاج قيل: الكَانُوثَيْنِ شهراً قِمَاحٍ، لأن الإبل إذا وَرَدَنَّ الماء رفعت رُؤوسَهَا، لشدة البرد<sup>(٦)</sup> وأنشد أبو زيد للهدلي:

٤١٦٩ - فَتَى مَا ابْنُ الأَعْرَى إِذَا شَتَوْنَا وَحُبَّ الرِّزَادِ فِي شَهْرِي قِمَاحِ<sup>(٧)</sup>

(١) ما بين الأقواس زيادة من «أ» الأصل عن «ب».

(٢) انظر: تفسير الإمام الفخر الرازي التفسير الكبير ٤٥/٢٦ والدر المصون للسمين الحلبي ٤/٤٩٦.

(٣) لسان العرب لابن منظور: «ق م ح»، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١٥٧/٢ قال: «المُقَمَّمُ والمُقَمَّمَةُ واحد تفسيره أي يَجْذِبُ الدَّقْنَ حَتَّى يَصِيرَ فِي الصُّدْرِ ثم يرفع رأسه. وانظر أيضاً غريب القرآن لابن قتيبة ٣٦٤ والقرطبي ٨/١٥ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/٢٧٩ ومعاني الفراء ٢/٢٧٣ والبحر المحيط ٣٢٥/٧.

(٤) من تمام الوافر بشر بن أبي خازم يصف ركباً في السفينة بالعَثَيَانِ والدَوَارِ عند اضطراب المَوْجِ.

وشاهده: كالإبل القماح فهم رافعون رُؤوسَهُمْ في اضطراب كما ترفع الإبل رؤوسها إذا أصيبت بداء القِمَاحِ، وانظر: ديوانه ٤٨، ومجاز القرآن ٥٧/٢ وغريب القرآن ٣٦٤، والقرطبي ٨/١٥، واللسان: «ق م ح»، وديوان المفضليات ٨٤٤.

(٥) وهو ما يصيب من الحيرة عن السكر أو العَثَيَانِ أو ركوب البحر. اللسان: «م ي د»، وفي «ب» البيد. وهو تحريف.

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٤/٢٧٩ والشهران الشديدا البرد كانون الأول وكانون الثاني أي ديسمبر وَيَنَابِرِ وقِمَاحِ ككِتَابٍ وَعُزَابِ.

(٧) من الوافر لمالك بن خالد الهذلي وفتى ما أي أي فتى؟ والشاهد: شَهْرِي قِمَاحِ فهما شهران تَعَاْفُ الإِبِلُ الماءَ فِيهِمَا لشدة برودته. انظر: الإنصاف ٦٦ واللسان: «ق م ح» والبحر ٧/٣٢٥ وديوان الهذليين ٥/٣.

كذا رواه بضم القاف، وابن السكيت<sup>(١)</sup> بكسرهما. وقال الليث<sup>(٢)</sup>: القُمُوح رفع البعير رأسه إذا شرب الماء الكزبه ثم يعود. وقال أبو عبيدة إذا رفع رأسه عن الخوض ولم يشرب<sup>(٣)</sup>. والمشهور أنه رفع الرأس إلى السماء كما تقدم تحريره.

وقال الحسن: القامح الطامح يبصره إلى موضع قدمه. وهذا ينبو عنه اللفظ والمعنى. وزاد بعضهم مع رفع الرأس غَضَّ البصر<sup>(٤)</sup> مستدلاً بالبيت المتقدم:

٤١٧٠ - ..... نغض الطرف كالإبل القمامح

وزاد مجاهد مع ذلك وضع اليد على القم. وسأل الناس أمير المؤمنين (عليه السلام) - كرم الله وجهه - عن هذه الآية فجلع يديه تحت لحيته<sup>(٥)</sup>، ورفع رأسه. وهذه الكيفية ترجح قول الطبري في عود «فهي» على الأيدي<sup>(٦)</sup>.

قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ تقدم خلاف القراءة في فتح السين وضمها والفرق بينهما مستوفى آخر الكهف<sup>(٨)</sup> والحمد لله.

وأما فائدة السد من بين الأيدي فإنهم في الدنيا سالكون فينبغي أن يسلكوا الطريقة المستقيمة «من بين أيديهم سداً» فلا يقدر على السلوك. وأما فائدة السد من خلفهم فهو أن الإنسان له فطرية والكافر ما أدركها فكانه تعالى يقول: جَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا فلا يسلكون طريق الهداء الذي هو فطرية وجعلنا من خلفهم سداً فلا يرجعون إلى الهداية والجبلية التي هي فطرية، وأيضاً فإن الإنسان مبدأه من الله ومصيره إليه فعمي الكافر لا يبصر ما بين من المصير إلى الله، وما خلفه من الدخول في الوجود بخلق الله وأيضاً فإن السالك إذا لم يكن له بد من سلوك طريق، فإن اشتد الطريق الذي قدامه يقوته المقصد ولكنه يرجع، وإذا اشتد الطريق من خلفه ومن قدامه والموضع الذي هو فيه لا

(١) يعقوب بن إسحاق أبو يوسف النحوي اللغوي توفي سنة ٢٤٦ انظر: إنباه الرواة ٤/ ٥٠ - ٥٧.

(٢) الليث بن نصر بن يسار الخراساني صاحب العربية، انظر: البغية ٢/ ٢٧٠. وانظر رأيهما في اللسان: «ق م ح» والبحر ٧/ ٣٢٤ و ٣٢٥.

(٣) عبارته: «يجذب الذقن حتى يصير في الصدر ثم يرفع رأسه» المجاز ٢/ ١٥٧.

(٤) قاله الفراء في معانيه ٢/ ٣٧٣.

(٥) سقط من «أ».

(٦) في «ب» لحيته.

(٧) وانظر: البحر المحيط ٧/ ٣٢٤، فقد جمع هذه الأقوال.

(٨) عند قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السُّدَيْنِ﴾ من الآية ٩٣ والآية ٩٤ ﴿عَلَىٰ أَنْ تَجْمَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾. وضم الشين في «يس» هنا ابن كثير ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم، وفتحها عاصم فيما رواها عنه حفص وفتحها أيضاً حمزة والكسائي. وهما لفتان. والفرق بينهما (بين المضموم والمفتوح) أن المضموم ما كان من صنع الله، والمفتوح من البشر. ومن قائل: إن المفتوح المصدر، والمضموم الشيء المسدود وذهب في يس إلى أن الضم بمعنى سدة العين. انظر: السبعة ٥٣٩ وحجة ابن خالويه ٢٣١ والكشاف ٢/ ٧٥ و ٧٦.

يكون موضع إقامة يهلك. فقله «وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا» إشارة إلى هَلَاقِهِمْ<sup>(١)</sup> فصاروا بمنزلة من بيني<sup>(٢)</sup> عليه الحائط وهو واقف.

قوله: «فَأَغْشَيْنَاهُمْ» العامة على الغين المعجمة أي غَطَّيْنَا أَبْصَارَهُمْ وهو على حذف مضاف. وابن عباس وعمر بن عبد العزيز، والحسن، وابن يغمر، وأبو رجاء في آخرين بالعين المهملة<sup>(٣)</sup>.

وهو ضعف البصر. يقال: غَشِيَ بَصْرُهُ، وَأَغْشَيْتُهُ أَنَا<sup>(٤)</sup>.

وهذا يحتمل الحقيقة والاستعارة.

### فصل (٥)

قوله: «فَأَغْشَيْنَاهُمْ» بحرف الفاء يقتضي أن يكون الإغشاء مرتباً على جعل السد فما وجهه؟ فيقال من وجهين:

أحدهما: أن ذلك بيان لأمور مرتبة ليس بعضها سبباً في البعض فكأنه تعالى قال: إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْيُنِهِمْ أَغْلَالًا فَلَا يُبْصِرُونَ أَنفُسَهُمْ لإقماحهم، وجعلنا من بين أيديهم سداً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَلَا يَبْصِرُونَ مَا فِي الْآفَاقِ وحينئذ يمكن أن يروا السماء وما على يمينهم وشمالهم فقال بعد هذا كله: جَعَلْنَا عَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً فَلَا يَبْصِرُونَ شَيْئًا أَصْلًا.

والثاني: أن ذلك بيان لكون السد قريباً منهم بحيث يصير ذلك كالغشاوة على أبصارهم، فإن من جعل من خلفه وقدامه سدين مُتَنَزِّقَيْنِ به بحيث يبقى بينهما ملتزقاً بهما يبقى عينه على سطح السد فلا يُبْصِرُ شَيْئًا، لأن شرط المرئي أن يكون قريباً من العين جداً.

فإن قيل: ذكر السد من بين الأيدي ومن خلف، ولم يذكر من اليمين والشمال فما الحكمة فيه؟

فالجواب: إن قلنا: إنه إشارة إلى الهداية الفطرية والنظرية فظاهر. وأما على غير ذلك فيقال: إنه حصل العموم بما ذكر والمنع من انتهاج المناهج المستقيمة، لأنهم إذا قصدوا السلوك إلى جانب اليمين أو جانب الشمال صاروا مُتَوَجِّهِينَ إلى شيء، ومُؤَلِّين<sup>(٦)</sup>

(١) في «ب» إهلاكهم. (٢) وفيها: تبنى عليه الحائط.

(٣) ذكرها ابن خالويه وقال: إنها قراءة النبي - ﷺ - انظر: مختصر ابن خالويه ١٢٤ والمحتسب ٢٠٤/٢ ومعاني الفراء ٣٧٣/٢، وزاد المسير ٨/٧ ومعاني الزجاج ٢٨٠/٤ والقرطبي ١٥/١٠ والكشاف ٣/٣١٦.

(٤) في «أ» أغشى بصره وأغشيتُهُ. والتصحيح أعلى من «ب».

(٥) كذا في «ب»، وفي «أ» قوله بدل فصل. والتصحيح من «ب».

(٦) في «ب»: متولين.

عن شيء فصار ما إليه توجُّههم ما بين أيديهم فجعل الله السد هناك فمنعه<sup>(١)</sup> من السلوك فكيفما توجه الكافر يجعل الله بين أيديه سداً وأيضاً (فإنَّما)<sup>(٢)</sup> لما بينا أن جعل السد سبباً لاستتار بصره فكان السد ملتزقاً به وهو ملتزق بالسدين، فلا قدره له على الحركة يمتة ولا يسرة، فلا حاجة إلى السد عن اليمين وعن الشمال.

وقوله: «فَأَعْشَيْنَاهُمْ فَهَمْ لَا يُبْصِرُونَ» أي لا يبصرون شيئاً، أو لا يبصرون سبيل الحق؛ لأن الكافر مَضُورٌ عَن سَبِيلِ الْهُدَى<sup>(٣)</sup>.

قوله: «وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ» تقدم الكلام عليه أول البقرة<sup>(٤)</sup>، بين أن الإنذار<sup>(٥)</sup> لا ينفعهم مع ما فعل الله بهم من العُلِّ والسدِّ والإعشاء والإغماء<sup>(٦)</sup> بقوله: «أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ» أي الإنذارُ وَعَدَمُهُ سَيِّانٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى إِيْمَانِهِمْ.

«إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّخْمَنَ بِالْغَيْبِ» قال من قبل: «لِيُنذِرَ قَوْمًا» وذلك يقتضي الإنذار العام وقال هنا: «إِنَّمَا تُنذِرُ» وهو يقتضي التخصيص، فكيف الجمع بينهما؟! وطريقه من وجوه:

الأول: أن قوله: «لتنذر» أي (كَيْفَ)<sup>(٧)</sup> ما كان سواء كان مفيداً أو لم يكن.

وقوله: «إِنَّمَا تُنذِرُ» أي الإنذار المفيد لا يكون إلا بالنسبة لمن يتبع الذِّكْرَ وَيَخْشَى.

الثاني: (هو)<sup>(٨)</sup> أن الله تعالى لما بين أن الإرسال أو الإنزال للإنذار وذكر (أن)<sup>(٩)</sup> الإنذار وعدمه سيان بالنسبة إلى أهل العناد قال لنبية: ليس إنذارك غير مفيد من جميع الوجوه، فأنذر على سبيل العموم وإنما يُنذِرُ<sup>(١٠)</sup> بذلك الإنذار العام<sup>(١١)</sup> من يتبع الذِّكْرَ كأنه يقول: يا محمد أنذر بإنذارك وتتبع بذكرك.

الثالث: أن يقول: لتنذر أولاً فإذا أنذرت وبالغت (وبلغت)<sup>(١٢)</sup>، واستهزأ البعض وتولى واستكبر فبعد ذلك إنما تُنذِرُ الَّذِينَ اتَّبَعُوا<sup>(١٣)</sup>. والمراد بالذكر: القرآن لتعريف الذكر بالألف واللام. وقد تقدم ذكر القرآن في قوله تعالى: ﴿وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ﴾. وقيل:

(١) وفيها: فيمنعه. (٢) ما بين القوسين سقط من «ب».

(٣) وانظر في هذا كله تفسير العلامة الرازي ٤٦/٢٦، ٤٧.

(٤) من الآية ٦ منها وهي قوله تعالى: «سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ» وقد بين هناك أن «سواء» مبتدأ، وما بعده الخبر وهو جملة في صيغة التأويل بالمفرد أي سواء عَلَيْكَ أَوْ عَلَيْهِمُ الْإِنذَارُ وَعَدَمُهُ. انظر: اللباب ٣٦/١ ب.

(٥) في «ب» الأنداد.

(٦) سقط من «ب» لفظ كيف فقط. (٧) و (٨) سقط من «ب».

(٩) في «ب»: لِيُنذِرَ.

(١٠) في «ب»: لِيُنذِرَ.

(١١) في «أ» العالم.

(١٢) في «ب» يتبعوك.

(١٣) زيادة للسباق.

ما في القرآن من الآيات لقوله: ﴿وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ﴾ [ص: ١] فما جعل القرآن نفس الذكر. والمعنى إنما تُنذِرُ العلماء الذين يخشون ربهم. وقوله: «وَوَحَّيْنَا الرَّحْمَانَ» أي عمل صالحاً لقوله: «فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ» وهذا جزء العمل كقوله: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الحج: ٥٠] والمراد بالغيب: ما غاب وهو أحوال يوم القيامة. وقيل الوُحْدَانِيَّةُ<sup>(١)</sup>.

وقوله: «فَبَشِّرْهُ» إشارة إلى الرسالة، فَإِنَّ النَّبِيَّ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ.

وقوله: «بِمَغْفِرَةٍ» على التنكير أي بمغفرة واسعة تسيّر من جميع الجوانب «وَأَجْرٍ كَرِيمٍ» أي ذي كرم كقوله: «وَرِزْقٌ كَرِيمٌ» والمراد به الجنة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى﴾ عند البعث. لما بين الرسالة وهو أصل من الأصول الثلاثة التي يصير بهم المكلف مؤمناً مسلماً ذكر أصلاً آخر وهو الحشر. ووجه آخر وهو أن الله تعالى لما ذكر الإنذار والبشارة بقوله: «فَبَشِّرْهُمْ بِمَغْفِرَةٍ» ولم يظهر ذلك بكماله في الدنيا فقال: إن لم ير في الدنيا فالله يحيي الموتى ويُجْزِي الْمُنْذَرُونَ وَالْمُبَشَّرُونَ ووجه آخر وهو أنه تعالى لما ذكر خشية الرحمن بالغيب ذكر ما يؤكدوه وهو إحياء الموتى<sup>(٢)</sup>.

## فصل

«إنا نحن» يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون مبتدأ وخبراً كقوله:

٤١٧١ - أَنَا أَبُو النَّجْمِ وَشِعْرِي شِعْرِي<sup>(٣)</sup>

ومثل هذا يقال عند الشُّهْرَةِ الْعَظِيمَةِ، وذلك لأن من لا يُعْرَفُ يُقَالُ<sup>(٤)</sup> (لَهُ)<sup>(٥)</sup>: من أنت؟ فيقول: أنا ابنُ فُلَانٍ فيُعْرَفُ، ومن يكون مشهوراً إذا قيل له: مَنْ أَنْتَ، يقول<sup>(٦)</sup>:

(١) انظر: الرازي ٤٧/٢٦ وزاد الميسر ٨/٧.

(٢) الرازي المرجع السابق.

(٣) من الرجز لأبي النجم.

والاستشهاد بالبيت على أن «أنا أبو النجم» مبتدأ مؤخر كـ «إنا نحن» من الآية الكريمة. والبيت في الخصائص ٣٣٧/٣ والمنصف ١٠/١ وأمالى الشجري ٢٤٤/١ وشرح ابن عيش ٩٨/١ و ٨٣/٩ والمغني ٣٢٩ و ٤٣٧ و ٦٥٧ والهمع ٦٠/١ و ٩٥/٢ والذّر اللوامع ٣٥/١ و ٧٦/٢ والأشموني ١/١٥٥ والرازي ٤٨/٢٦.

ومن الإمكان - وهو الأرجح - أن يكون التنظير بالبيت في: «وَشِعْرِي شِعْرِي» ومعنى: وشعري شعري المعروف الموصوف كما بلغت وعرفت فكذلك: «إنا نحن» أي معروفون بأوصاف الكمال فالمبتدأ والخبرُ مَعْرُفَتَانِ.

(٥) سقط من (ب).

(٤) في «ب» فيقال.

(٦) في «ب» فيقول.

أنا ولا معرفة لي أظهر من نفسي فيقال: إِنَّا نَحْنُ معروفون بأوصاف الكمال، وإذا عرفنا بأنفسنا فلا ينكر قدرتنا على إحياء الموتى.

والثاني: أن الخبر «نُحْيِي» كأنه قال: «إِنَّا نُحْيِي الْمَوْتَى» و «نحن» يكون تأكيداً. وفي قوله: «إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى» إشارة إلى الوحيد؛ لأن الإشراك يوجب التمييز، فإن «زيداً» إذا شاركه غيره في الاسم، فلو قال: «أنا زيد» لا يحصل التعريف التام، (لأن<sup>(١)</sup>) للسامع أن يقول: أيماً زيد؟ فيقول: ابن عمرو، (ولو<sup>(٢)</sup>) كان هناك زيداً آخر أبو عمرو لا يكفي قوله: ابن عمرو) فلما قال الله: «إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى» أي ليس غيرنا أحد يشركنا حتى يقول: أنا كذا فيمتاز، وحينئذ تصير الأصول<sup>(٣)</sup> الثلاثة المذكورة: الرسالة والتوحيد والحشر<sup>(٤)</sup>.

قوله: «وَنَكْتُبُ» العامة على بنائه للفاعل، فيكون «مَا قَدَّمُوا» مفعولاً به و «آثَارَهُمْ» عطف عليه. ووزر ومسروق قرآءة مبنياً للمفعول، و «آثَارَهُمْ»<sup>(٥)</sup> بالرفع عطفاً على «مَا قَدَّمُوا» لِقِيَامِهِ مَقَامِ الْفَاعِلِ<sup>(٦)</sup>.

## فصل

المعنى ما قدموا وأخروا، فاكتفي بأحدهما، لدلالته على الآخر كقوله تعالى: ﴿سَرَّيْلٌ تَفِيكُمُ الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] أي وَالْبَرْدَ. وقيل: المعنى ما أسلفوا من الأعمال سالحة كانت أو فاسدة، كقوله تعالى: ﴿بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾<sup>(٧)</sup> أي بما قدمت في الوجود وأوجدته. وقيل: نكتب نيأتهم فإنها قبل الأعمال و «آثَارَهُمْ» أي أعمالهم. وفي «آثارهم» وجوه:

أحدها: ما سنوا من سنة حسنة وسيئة. فالحسنة كالكتب المصنفة والقناطر المبنية، والسيئة كالظلامه<sup>(٨)</sup> المستمرة التي وضعها ظالم والكتب المضلة. قال - عليه

(١) و (٢) ما بين الأقواس ساقط من (ب) و (أ) وتكملة من الرازي.

(٣) في «ب» الأمور.

(٤) وانظر في هذا كله تفسير الفخر الرازي ٤٨/٢٦ و ٤٩.

(٥) في «ب» وأباؤهم تحريف.

(٦) من القراءات الشاذة ذكرها ابن خالويه في المختصر ١٢٤ وابن الجوزي في زاد المسير ٨/٧ منسوبة إلى إبراهيم النخعي والجحدري وذكرها في الكشاف دون نسبة. الكشاف ٣/٣١٧.

(٧) الآية ٩٥ من سورة «البقرة» و ٦٢ من سورة «النساء» و ٤٧ من سورة «القصص» و ٤٨ من سورة «الشورى» و ٧ من سورة «الجمعة». وقد ذكر هذه الآراء الثلاثة الفخر الرازي في تفسيره ٤٩/٢٦ ورجح الفراء والزجاج في معانيهما الرأي الثاني. انظر معاني الفراء ٢/٣٧٣ والزجاج ٤/٢٨١ والكشاف ٣/٣١٦.

(٨) كذا في «ب» والرازي وفي «أ» كالطلايات. واختار هذا الرأي ابن عباس وابن جبير والفراء وابن قتيبة والزجاج. انظر زاد المسير ٩/٧.

(الصلاة<sup>(١)</sup>) و) السلام: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ كَانَ لَهُ أَجْرُهَا وَمِثْلُ أَجْرٍ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْئاً، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ كَانَ عَلَيْهِ وَزْرُهَا وَوَزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُوزَارِهِمْ شَيْئاً»<sup>(٢)</sup> وقيل: نكتب آثارهم أي خطاهم إلى المسجد<sup>(٣)</sup>؛ لما روي أبو سعيد الخُدري قال: شَكَتْ بَنُو سَلْمَةَ بَعْدَ مَنَازِلِهِمْ مِنَ الْمَسْجِدِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: «وَنَكْتُبُ مَا قَدَمُوا وَأَثَارَهُمْ» فقال - عليه (الصلاة و) السلام - : «إِنَّ اللَّهَ يَكْتُبُ خُطَوَاتِكُمْ وَيُثَبِّبُكُمْ عَلَيْهِ»<sup>(٤)</sup>. وقال - عَلَيْهِ (الصَّلَاةُ وَ) السَّلَامُ - : «أَعْظَمُ النَّاسِ أَجْراً فِي الصَّلَاةِ أَلْبَعْدَهُمْ مَنْشَى وَالَّذِي يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ حَتَّى يُصَلِّيَهَا مَعَ الْإِمَامِ أَعْظَمُ أَجْراً مِنَ الَّذِي يُصَلِّي ثُمَّ يَتَأَمُّ»<sup>(٥)</sup> فإن قيل: الكتابة قبل الإحياء فكيف أخرج في الذكر حيث قال: («نُحْيِي»)<sup>(٦)</sup> و «نَكْتُبُ» ولم يقل: نكتب ما قَدَمُوا وَنُحْيِيهِمْ؟

فالجواب: أن الكتابة معظمة، لا من الإحياء، لأن الإحياء إن لم يكن للحساب<sup>(٧)</sup> لا يعظم، والكتابة في نفسها إن لم تكن إحياء وإعادة لا يبقى لها أثر أصلاً والإحياء هو المعبر، والكتابة مؤكدة معظمة لأمره فلهذا قدم الإحياء. و)<sup>(٨)</sup> لأنه تعالى قال: «إِنَّا نَحْنُ» وذلك يفيد العظمة والجبروت، والإحياء العظيم يختص بالله، والكتابة دونه تقرير العريف الأمر العظيم وذلك مما يعظم ذلك الأمر العظيم.

قوله: «وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ» العامة على نصب «كل» على الاشتغال<sup>(٩)</sup>. وأبو السَّمال قرأه مرفوعاً بالابتداء<sup>(١٠)</sup> والأرجح قراءة العامة، لعطف جملة الاشتغال على جملة فعلية<sup>(١١)</sup>.

(١) زيادات من «ب».

(٢) رواه مسلم في صحيحه ٦١/٨ عن جرير بن عبد الله من حديث طويل.

(٣) زاد المسير ٩/٧ والرازي ٤٩/٢٦.

(٤) الرازي السابق.

(٥) عن أبي موسى، رواه البخاري في صحيحه ١٢٠/١.

(٦) سقط من «ب».

(٧) كذا في «أ» والرازي وما في «ب» المصاب.

(٨) سقط من «ب».

(٩) ذكرت في القرطبي ١٣/١٥ ومعاني الفراء ٣٧٣/٢ ومشكل الإعراب ٢٢٢/٢ والبيان ٨١٥ و ١٠٧٩ والبيان ٢٩١/٢ وإعراب القرآن للتحاسن ٣٨٦/٣ والبحر المحيط ٣٢٥/٧ والدر المصون ٤٩٩/٤. والكل رجح النصب.

(١٠) مختصر ابن خالويه ١٢٤ والبحر المحيط ٣٢٥/٧ وزاد المسير ٩/٧ بنسبتها إلى ابن السَّميق وابن أبي عيلة. وانظر: الكشاف أيضاً ٣٧٧/٣ والقرطبي ١٣/١٥.

(١١) المراجع السابقة.

## فصل

«أَخْصِيئَاهُ» حفظناه وثبتناه «في إمام مبین». فقوله «أَخْصِيئَاهُ» أبلغ من كتبناه، لأن من كتب شيئاً مفرقاً يحتاج إلى جمع عدده<sup>(١)</sup>، فقال يحصي<sup>(٢)</sup> فيه. وإمام جاء جمعاً في قوله: «يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِئْتِمَارِهِمْ» [الإسراء: ٧١] أي بأئمتهم<sup>(٣)</sup> وحينئذ ف «إمام» إذا كان فرداً فهو ككتاب وحجاب، وإذا كان جمعاً فهو كجبال. والمبين هو المظهر للأمور لكونه مظهرًا (للملائكة<sup>(٤)</sup>) ما يفعلون وللناس ما يفعل بهم، وهو الفارق بين أحوال الخلق فيجعل فريقاً في الجنة وفريقاً في السعير. وسمي الكتاب إماماً، لأن الملائكة يأتون به، ويتبعونه، وهو اللوح المحفوظ. وهذا بيان لكونه ما قدموا وآثارهم أمراً مكتوباً عليهم لا يُبدل، فإن القلم جف بما هو كائن، فلما قال «نَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا» بين أن قبل ذلك كتابة أخرى، فإن الله تعالى كتب عليهم أنهم سيفعلون كذا وكذا ثم إذا فعلوا كتب عليهم أنهم فعلوه<sup>(٥)</sup>. وقيل: إن ذلك مؤكد لمعنى قوله: «وَنَكْتُبُ»، لأن من يكتب<sup>(٦)</sup> شيئاً في أوراق ويرميها قد لا يجدها، فكأنه لم يكتب فقال: نَكْتُبُ وَنَحْفَظُ ذَلِكَ في إمام مبین وهو كقوله تعالى: «عِلْمَهَا<sup>(٧)</sup> عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى» [طه: ٥٢]. وقيل: إن ذلك تعميم بعد التخصيص كأنه تعالى يكتب ما قدموا وآثارهم، وليست الكتابة مقتصرة عليه بل كل شيء مخصى في إمام مبین، وهذا يفيد أن شيئاً من الأفعال والأقوال لا يعزب عن (علم)<sup>(٨)</sup> الله، ولا يفوته وهو قوله تعالى: «وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ» [القمر: ٥٢ - ٥٣] يعني ليس ما في الزبر منحصرأ فيما فعلوه بل كل شيء مكتوب<sup>(٩)</sup>.

قوله تعالى: «وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا نَكَّادُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا عَلِّمْنَا لِنَا إِلَهَكَ لِمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَّمْنَا إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا نَطَّيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَائِفُكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾»

قوله تعالى: «وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ» تقدم الكلام على نظيره في

(١) قاله أبو عبيدة في المجاز ١٥٩/٢.

(٢) في «ب» كتب بصيغة الماضي.

(٣) في «ب» بأئمتهم.

(٤) لفظة «علمها» سقطت من «ب».

(٥) سقطت من «ب».

(٦) سقطت من «ب».

(٧) سقطت من «ب».

(٨) سقطت من «ب».

(٩) تفسير الفخر الرازي ٥٠/٢٦.

(٥) انظر في هذا تفسير العلامة الرازي ٤٩/٢٦ و ٥٠.

البقرة<sup>(١)</sup> والنحل<sup>(٢)</sup>. والمعنى واضرب لأجلهم مثلاً، أو اضرب<sup>(٣)</sup> لأجل نفسك أصحاب القرية لهم مثلاً أي مثلهم عند نفسك بأصحاب القرية. فعلى الأول لما قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ وقال: ﴿لِنُنذِرَ قَوْمًا﴾ قال: قل لهم ما أنا بدعاً من الرسل بل (قبلي)<sup>(٤)</sup> بقليل جاء أصحاب القرية مرسلون وأنذروهم بما أنذرتكم وذكروا التوحيد وخوفوا بالقيامة وبشروا بتعيم دار الإقامة. وعلى الثاني لما قال تعالى: إن الإنذار لا ينفع من أضله الله وكتب عليه أنه لا يؤمن قال للنبي عليه (الصلاة و) السلام: فلا بأس واضرب لنفسك ولقومك (مثلاً)<sup>(٥)</sup> أي مثل لهم عند نفسك مثلاً بأصحاب القرية، حيث جاءهم ثلاثة رُسُل فلم يؤمنوا، وصبر الرسل على القتل والإيذاء وأنت جنتهم واحداً وقومك أكثر من قوم الثلاثة، فإنهم جاءوا قريةً وأنت بعثت إلى العالم.

قوله: «أَصْحَابِ الْقَرْيَةِ» أي واضرب لهم مثلاً (مَثَلًا)<sup>(٦)</sup> أصحاب القرية، فترك «المَثَل» وأقيم «الأصحاب» مقامه في الإعراب كقوله: ﴿وَسَكِلَ الْآفْرِيَّةَ﴾ [يوسف: ٨٢].

قال الزمخشري<sup>(٧)</sup>: وقيل: لا حاجة إلى الإضمار بل المعنى اجعل أصحاب القرية لهم مثلاً أو مثل أصحاب القرية بهم<sup>(٨)</sup>. قال المفسرون: المراد بالقرية أنطاكية.

قوله: «إِذْ جَاءَهَا» بدل اشتمال. قال الزمخشري: «إِذْ» منصوبة لأنها بدل من أَصْحَابِ الْقَرْيَةِ كأنه تعالى قال: واضرب لهم وقت مجيء المرسلين ومثل ذلك الوقت بوقت مُحَمَّدٍ<sup>(٩)</sup>.

وقيل: منصوب بقوله: «اضرب»<sup>(١٠)</sup> أي اجعل الضرب كأنه حين مجيئهم وواقع

(١) عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ﴾ الآية ٢٦ من سورة «البقرة».

(٢) عند: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا﴾ و ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ﴾ الآيتين ٧٤ و ٧٥ من سورة «النحل».

(٣) الرازي ٥٠/٢٦: ف «مثلاً» مفعول أول و «أصحاب القرية» مفعول ثانٍ. . . ويجوز أن يكون «أصحاب القرية» بدلاً من «مثلاً» والتقدير واضرب لهم مثلاً مثل أصحاب. انظر: البيان ٩٢/٢ والتبيان ١٠٧٩ والمشكل ٢٣/٢ والمختار الأول.

(٤) سقط من «ب». (٥) كذلك.

(٦) سقط كذلك من «ب».

(٧) الكشف ٣١٧/٣، فيكون الثاني بياناً أو بدلاً من الأول. وهذا الرأي قاله مكي أيضاً في مشكل إعراب القرآن ٢٢٣/٢ والأنباري في البيان ٢٩٢/٢ وأبو البقاء في التبيان ١٠٧٩ ومفهوم من كلام الزجاج في معاني القرآن ٢٨١/٤ كما ذكره أبو جعفر النحاس في الإعراب ٣٨٧/٤ وعلى هذا «ضرب» بمعنى ذكر.

(٨) رجحه مكي قال: هو الأحسن انظر: مشكل إعراب القرآن له ٢٢٣/٢ والدر المصون ٤٩٩/٤ والرازي ٥٠/٢٦ والبيان ٢٩٢/٢ والتبيان ١٠٧٩.

(٩) الكشف ٣١٧/٣.

(١٠) هو قول الرازي في المرجع السابق ٥٠/٢٦.

فيه . والمرسلون من قوم عيسى وهم أقرب مُرْسَلٍ أُرْسِلَ إلى قوم إلى زمان محمد - عليه (الصلاة و) السلام - وهم ثلاثة .

قوله : «إِذْ أَرْسَلْنَا» بدل من «إِذْ الْأُولَى»<sup>(١)</sup> ، كأنه قال : اضرب لهم مثلاً إذ أرسلنا إلى أصحاب القرية اثنين . قال ابن الخطيب : والأصح الأوضح أن يكون «إِذْ» ظرفاً والفعل الواقع فيه «جاءها» ، أي جاءها المرسلون حين أُرْسَلْنَاهُمْ إِلَيْهِمْ<sup>(٢)</sup> .

وإنما جاء وهم حيث أمروا . وهذا فيه لطيفة أخرى وهي أن في القصة أن الرسل كانوا مبعوثين من جهة عيسى - عليه (الصلاة<sup>(٣)</sup>) و) السلام - أرسلهم إلى أنطاكية فقال تعالى : إرسال عيسى (- عليه<sup>(٤)</sup>) السلام - هو إرسالنا رسول رسول الله بإذن الله فلا يقع لك يا محمد أن أولئك كانوا رُسُلَ الرسل وإنما هم رُسُلُ الله ، فإن تكذيبهم كتكذيبك فتم التسلية بقوله : «إِذْ أَرْسَلْنَا» . ويؤيد هذا مسألة فقهية وهي أن وَكَيْلَ الْوَكِيلِ بِإِذْنِ الْمُوَكَّلِ وَكَيْلَ الْمُوَكَّلِ لَا وَكَيْلَ الْوَكِيلِ حَتَّى لَا يَنْعَزِلَ بِعَزْلِ الْوَكِيلِ إِيَّاهُ وَيَنْعَزِلَ إِذَا عَزَلَهُ الْمُوَكَّلُ (الأول)<sup>(٥)</sup> . وهذا على<sup>(٦)</sup> قولنا : «واضرب لهم مثلاً» ضرب المثل لأجل محمد - عليه الصلاة والسلام - ظاهر وقوله : «إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ» في بعثة<sup>(٧)</sup> الاثنتين حكمة بالغة وهي أنهما<sup>(٨)</sup> كانا مبعوثين<sup>(٩)</sup> من جهة عيسى عليه (الصلاة<sup>(١٠)</sup>) و) السلام - (بإذن الله فكان عليهما إنهاء الأمر إلى عيسى عليه الصلاة والسلام)<sup>(١١)</sup> فهو بشر فأمره الله بإرسال اثنين ليكون قَوْلُهُمَا عَلَى قَوْمِهِمَا عِنْدَ عَيْسَى حِجَّةً تَامَةً<sup>(١٢)</sup> .

## فصل

قال ابن كثير : وروى ابن إسحاق عن ابن عباس وكعب الأخبار ووهب بن منبه ورووي عن بُرَيْدَةَ بْنِ الْحَصِيبِ وَعِكْرَمَةَ وَقَتَادَةَ وَالزَّهْرِيَّ أَنَّ هَذِهِ الْقَرْيَةَ أَنْطَاكِيَّةٌ وَكَانَ اسْمُ مَلِكِهَا أَنْطِيخَشْ ، وَكَانَ يَعْبُدُ الْأَصْنَامَ فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِ ثَلَاثَةَ مِنَ الرُّسُلِ وَهُمْ صَادِقٌ وَصَدُوقٌ وَسُلُومٌ فَكَذَّبَهُمْ وَهَذَا ظَاهِرٌ (ه)<sup>(١٣)</sup> أَنَّهُمْ رَسَلُ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَزَعَمَ قَتَادَةُ أَنَّهُمْ كَانُوا رَسُولًا مِنَ عِنْدِ الْمَسِيحِ وَكَانَ<sup>(١٤)</sup> اسْمُ الرُّسُولَيْنِ الْأُولَيْنِ شَمْعُونُ وَيُوْحَنَّا وَاسْمُ الثَّلَاثِ

(١) التبيان ١٠٧٩ والرازي ٥١/٢٦ والسمين ١٩/٤ .

(٢) فيه أي لم يكن مجيئهم من تلقاء أنفسهم وإنما... الخ... وانظر الرازي ٥٠/٢٦ .

(٣) زيادة من «ب» . (٤) سقط من «ب» .

(٥) سقط من «ب» . (٦) في «ب» وعلى هذا قولنا .

(٧) في «ب» بعثته . (٨) وفيها : إنما .

(٩) وفيها : كانوا . (١٠) زيادة من «ب» .

(١١) ما بين القوسين كله على العكس ساقط من «ب» .

(١٢) انظر : تفسير الرازي ٥١/٢٦ . (١٣) الهاء زيادة من «أ» الأصل .

(١٤) في «ب» وأن اسم الرسولين الأولين بلفظ «أن» . وانظر : تفسير الحافظ ابن كثير ٥٦٦/٣ و ٥٦٧ .

بُولص<sup>(١)</sup> والقرية أنطاكية. وهذا القول ضَعِيف جداً؛ لأن أهل أنطاكية لما بَعَثَ إليهم المسيح ثلاثة من الحواريين كانوا أول مدينة أمنت بالمسيح في ذلك الوقت، ولهذا كانت إحدى المدن الأربع التي تكون فيها مباركة النصارى وهي أنطاكية والقدس واسكندرية رومية، ثم بعدها قسطنطينية، ولم يهلكوا (إذ)<sup>(٢)</sup> أهل هذه القرية المذكورة في القرآن أهلكوا لقول الله تعالى: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَجِدَةً فَإِذَا هُمْ خَمُودٌ﴾ [يس: ٢٩] لكن إن كانت الرسل الثلاثة المذكورة في القرآن بعثوا لأهل<sup>(٣)</sup> أنطاكية قديماً فكذبوهم فأهلكهم الله ثم عُمِّرَت بعد ذلك فلما كان في زمن المسيح آمنوا برسله فيجوز. والله أعلم.

قوله: «فَعَزَّزْنَا» قرأ أبو بكر بتخفيف الزاي بمعنى غَلَبْنَا، ومنه: ﴿وَعَزَّزْنَا فِي الْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٣] ومنه قولهم: عَزَّ وَبَزَّ<sup>(٤)</sup> أي صاله بَزَّ.

والباقون بالتشديد بمعنى قَوَّيْنَا<sup>(٥)</sup>، يقال: عَزَّزَ الْمَطَرُ الْأَرْضَ أي قواها ولَبَّدها، ويقال لَيْتَكَ الْأَرْضِ الْعِزَاءَ وكذا كل أرض صُلْبَةٍ. وَتَعَزَّزَ لَحْمٌ النَّاقَةَ أي صَلَبَ وَقَوَّى<sup>(٦)</sup>. وعلى كلتا القراءتين المفعول محذوف<sup>(٧)</sup> أي فَقَوَّيْنَاهُمَا (أو فغلبناهما بثالث)<sup>(٨)</sup>؛ لأن المقصود من البعثة نُصرة الحق، لا نصرتهما، والكل كانوا مقوين للدين والبرهان. وقرأ عبد الله<sup>(٩)</sup> «بِالثَّالِثِ» بِالْفِ ولام<sup>(١٠)</sup>.

قوله: «إِنَّ إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ» جرد خبر «إِنَّ» هذه من لام التوكيد، وأدخلها في خبر الثانية، لأنهم في الأولى استكملوا مجرد الإنكار فقابلتهم الرسل بتوكيد واحد وهو الإتيان بـ «إِنَّ» وفي الثانية بِالْعَوَا في الإنكار فقابلتهم (الرسل) بزيادة التأكيد، فأتوا بـ «إِنَّ» وبـ «اللَّام».

قال أهل البيان: الأخبار ثلاثة أقسام: ابتداءً وطلبياً وإنكارياً.

- (١) وفي «ب» يونس وانظر: زاد المسير لابن الجوزي ١٠/٧. وصادق وصدوق قول ابن عباس وكعب. ويوحنا وبولس قول وهب وتومان وبولس قول مقاتل. انظر: المرجع السابق وجامع البيان ١٠١/٢٢.
- (٢) سقط من «ب».
- (٣) في «ب» إلى أنطاكية.
- (٤) ذكر هذا المثال الميداني في مجمع أمثاله ٢٨٢/٤ أي من غلب سلب وانظر أيضاً حجة ابن خالويه ٢٩٨ واللسان «عزز وبرز» ومعاني الزجاج ٢٨٢/٤.
- (٥) في «ب» قريباً وهو تحريف.
- (٦) اللسان: «ع ز ز» ومجاز القرآن ١٥٨/٢.
- (٧) هذا قول أبي البقاء في التبيان ١٠٧٩ ومكي في الكشف ٢/٢١٥٤.
- (٨) ما بين القوسين زيادة من «أ».
- (٩) ابن مسعود رضي الله عنه وقد مرَّ التعريف به.
- (١٠) أَوَّلُ الْفِرَاءِ فِي «معاني القرآن» «ثالث» بالثالث ورجحها. انظر: معانيه ٢/٢٧٣ ومختصر ابن خالويه ١٢٤ و ١٢٥ وهي شاذة.

فالأول: (يقال)<sup>(١)</sup> لمن لم يتردد في نسبة أحد الطرفين إلى الآخر نحو: زَيْدٌ عَارِفٌ.

والثاني: لمن هو متردد في ذلك طالب له منكر له بعض إنكار فيقال له: إِنَّ زَيْدًا عَارِفٌ.

والثالث: لمن يبالي في إنكاره فيقال له: إِنَّ زَيْدًا لَعَارِفٌ<sup>(٢)</sup>. ومن أحسن ما يحكى أن رجلاً جاء إلى أبي العباس<sup>(٣)</sup> الكِنْدِيِّ فقال: يا أبا العباس: إني لأجد في كلام العرب حشواً. قال: وما ذاك؟ قال: يقولون زَيْدٌ قَائِمٌ، وَإِنَّ زَيْدًا لَقَائِمٌ، فقال: كلاً، بل المعاني مختلفة، «فعبد الله قائم» إخبار بقيامه، و «إِنَّ عبد الله قائمٌ» جواب لسؤال سائل و «إِنَّ عبد الله لقائمٌ» جواب عن إنكار مُنْكَرٍ<sup>(٤)</sup> وهذا هو الكندي الذي سئل أن يعارض القرآن ففتح المصحف فرأى سورة المائدة<sup>(٥)</sup>. وقال أبو خيان: وجاء أولاً «مرسلون» بغير لام، لأنه ابتداء إخبار، فلا يحتاج إلى توكيد، وبعد المجاورة «لَمُرْسَلُونَ» بلام التوكيد، لأنه جواب عن إنكار<sup>(٦)</sup>.

قال شهاب الدين: «وهذا قصور عن فهم ما قاله أهل البيان، فإنه جعل المقام الثاني - وهو الطلبي - مقام المقام الأول وهو الابتدائي»<sup>(٧)</sup>.

قوله: «مَا أَنْتُمْ إِلَّا بِشَرٍّ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ» جعلوا كونهم بشراً مثلهم دليلاً على عدم الإرسال. وهذا عام في المشركين قالوا في حق محمد عليه (الصلاة و) السلام: ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا﴾ [ص: ٨] وإنما ظنوه دليلاً بناء على أنهم لم يعتقدوا في الله الاختيار وإنما قالوا: إنه موجب بالذات وقد استوتينا<sup>(٨)</sup> في البشرية فلا يمكن (الرجحان)<sup>(٩)</sup>، فرد الله تعالى عليهم بقوله: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، وبقوله: ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى:

(١) سقط من «ب».

(٢) قال السكاكي: «فكون التركيب تارة غير مكرر مجرداً عن لام الابتداء وإن المشبهة والقسم ولامه ونوني التوكيد كنحو: زَيْدٌ عَارِفٌ وأخرى مكرراً أو غير مجرد نحو عَرَفْتُ وَعَرَفْتُ وَلزَيْدٌ عَارِفٌ، وإن زَيْدًا عَارِفٌ، وإن زَيْدًا لَعَارِفٌ، والله لَقَدْ عَرَفْتُ أَوْ لَأَعْرِفَنَّ». انظر: مفتاح العلوم ٨٠ وإيضاح القزويني ١٦ ودلائل الإعجاز ٣٠٣ و ٣٠٤.

(٣) هو يعقوب بن إسحاق بن الصباح ينتهي نسبه إلى كندة من قبائل العرب مات سنة ٢٥٢ هـ انظر: أعلام العرب ١٦ و ٤٢.

(٤) في دلائل الإعجاز وإيضاح القزويني أن المتكلم بهذا هو المبرد عندما سأله الكندي المتفلسف فأجاب المبرد بما ذكره المؤلف أعلى. وانظر: دلائل الإعجاز والإيضاح السابقين.

(٥) الدر المصون ٤/٥٠٠. (٦) البحر المحيط ٧/٣٢.

(٧) الدر المصون ٤/٥٠٠. (٨) في «ب» استويا وما هو أعلى يوافق ما في الرازي.

(٩) سقط من «ب».

[١٣] إلى غير ذلك. ثم قالوا: «وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ» وهذا يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون مُتَمَمًا لما ذكروه<sup>(١)</sup> فيكون الكل شبهة واحدة، والمعنى وما أنزل الله إليكم أحداً فكيف صرتم رسلاً؟!

والثاني: أن يكون هذا شبهة أخرى مستقلة وهي أنهم لما قالوا: أنتم بشر مثلنا، فلا يجوز زُجْحَانُكُمْ علينا. ذكروا الشبهة من جهة النظر إلى المُرْسَلِينَ ثم قالوا شبهة أخرى من جهة المرسل<sup>(٢)</sup> وهو أنه تعالى ليس بمنزل شيئاً في هذا العالم، فإن تصرفه في العالم العلوي فالله لم ينزل شيئاً من الأشياء في الدنيا فكيف أنزل إليكم؟! .

وقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ إشارة إلى الرد عليهم، لأن الله تعالى لما كان رَحْمَنَ الدُّنْيَا، والإرسال رحمة فكيف لا ينزل رحمته وهو رَحْمَنٌ؟! ثم قال: «إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ» أي ما أنتم إلا كاذبون فيما تزعمون<sup>(٣)</sup>. «إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ» قال وهب: اسمهما يحيى<sup>(٤)</sup> وبولس «فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا» برسول «ثَالِثٍ» وهو شمعون. وقال كعب: الرسولان صَادِقٌ وصادق والثالث سلوم. وإنما أضاف الله الإرسال إليه، لأن عيسى - عليه (الصلاة و) السلام - إنما بعثهم بأمره - عز وجل - .

قوله: ﴿قَالُوا رَبَّنَا يُغَلِّمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ وهذا إشارة إلى أنهم بمجرد التكذيب لم يسأموا ولم يتركوا بل أعادوا ذلك لهم، وكرروا القول عليهم وأكدوه باليمين. ﴿قَالُوا رَبَّنَا يُغَلِّمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ وأكدوه باللام لأن علم الله يجري مجرى القسم، كقوله: «اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ» أي هو عالم بالأمور «وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ»، وذلك تسلية لأنفسهم أي نحن خرجنا عن عهدة ما علينا وهو الْبَلَاغُ<sup>(٥)</sup>. وقوله «المبين» أي المبين الحق عن الباطل وهو الفارق بالمعجزة والبُرْهَانُ<sup>(٦)</sup>؛ إذ البلاغ المظهر لما أرسلنا إلى الكل أي لا يكفي أن يبلغ الرسالة إلى شخص أو شخصين. أو المظهر للحق بكل ما يمكن فإذا لم يقبلوا الحق فهناك الهلاك فما كان جوابهم بعد ذلك إلا قولهم: «إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ» أي تشاء منا بكم وذلك أن المطر حُبِسَ عنهم فقالوا أصابنا هذا بشؤمكم «لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ» لنتقتلكم<sup>(٧)</sup>. قاله قتادة.

وقيل: لنشتمتكم<sup>(٨)</sup>. «وليمسكنكم منا عذاب أليم» فإن فسرنا الرجم بالحجارة فيكون

(١) الهاء زيادة من «أ».

(٢) في «ب» الرسل.

(٣) في «ب» تزعمونه. وانظر: تفسير العلامة الرازي ٥٢/٢٦.

(٤) رواه النقاش فيما نقله عنه القرطبي في الجامع ١٤/١٥ وانظر أيضاً زاد المسير ١٠/٧.

(٥) في «ب» الإبلاغ وكلاهما صحيحان. (٦) في «ب» والبلاغ.

(٧) قاله الزجاج والفراء في معانيهما. الأول في ٨٢/٤ والثاني في ٣٧٤/٢.

(٨) هذا قول الرازي في تفسيره ٥٣/٢٦.

قولهم: «وليمسكنكم منا عذاب أليم» كأنهم قالوا: لا نكتفي بجرمكم بحجر أو حجرين بل نديم ذلك عليكم إلى الموت وهو العذاب الأليم أو يكون المراد: وَلَيَمَسَّنَّكُمْ بِسَبَبِ الرَّجْمِ مَثًّا عَذَابَ أَلِيمٍ أَيْ مُؤَلِّمًا.

وإن قلنا: الرجم الشتم فكانهم قالوا ولا يكفيننا الشتم بل شتم يؤدي إلى الضرب والإيلام الجسدي. وإذا فسرنا «أليم» بمعنى مؤلم فالفعل «لَيَمَسَّنَّكُمْ» بمعنى مُفْعِلٌ قَلِيلٌ<sup>(٢)</sup>.

ويحتمل أن يقال: هو من باب قوله: «عَيْشَةٌ رَاضِيَةٌ» أي ذات رِضَا أَيْ<sup>(٣)</sup> عَذَابٌ ذُو أَلِيمٍ<sup>(٤)</sup>، فيكون فعيل بمعنى فاعل وهو كثير<sup>(٥)</sup>.

ثم أجابهم المرسلون فقالوا «طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ» أي شؤمكم معكم، أي كُفْرُكُمْ.

قوله: «طائرکم» العامة على «طائر» اسم فاعل أي ما طَارَ لَكُمْ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، فعبر به عن الحظ والنصيب وقرأ الحسن - فيما روى عنه الزمخشري<sup>(٦)</sup> - «أَطْيَرُكُمْ» مصدر أطيّر الذي أصله تَطَيَّرَ، فلما أريد إدغامه أبدلت الفاء<sup>(٧)</sup> طاء وسكنت واجتلبت همزة الوصل وصار أطيّر، فيكون مصدره «أطيّاراً».

ولما ذكر أبو حيان هذا لم يرد عليه وكان (هو)<sup>(٨)</sup> في بعض ما رد به علي ابن مالك

(١) في «ب» فالفعل تحريف. (٢) وفيها دليل بدل قليل وهو تحريف.

(٣) في «ب» «أو» تحريف.

(٤) «أليم» هنا صفة مشبهة على زنة فعيل، فإذا قصد النص على حدوث الصفة فإن كانت من الثلاثي أتى بها على فاعل فنقول في حَسُنَ وَفَرِحَ حَاسِنٌ وَفَارِحٌ، وإن كانت من الثلاثي على فاعل في الأصل كطَاطَرَهُ وَفَارَهُ أَوْ كَانَتْ مِنْ غَيْرِ الثَّلَاثِي أَكْتَفَى فِي دَلَالَتِهَا عَلَى الْحَدُوثِ بِتَقْيِيدِهَا بِأَحَدِ الْأَزْمَنَةِ، فنقول: طَاهِرٌ الْآنَ، وَمِبْتَهَجٌ أَمْسٍ. ومن مجيء الصفة على فاعل قول الشاعر:

وَمَا أَنَا مِنْ رُزْءٍ وَإِنْ جَلَّ جَزَاءُ  
وَلَا يَسُرُّوهُ بَعْدَ مَوْتِكَ فَسَارِحُ

(٥) إذا كان الفعل على وزن فَعِلَ - يَكْسِرُ الْعَيْنَ - فاسم الفاعل منه قياساً على وزن فاعل إن كان الفعل متعدياً فإن كان لازماً أو كان الفعل على فَعَلَ - بضم العين فلا يجيء اسم الفاعل على فاعل إلا سماعاً. أما إذا كان على وزن فَعَلَ يفتح العين - فيجيء من الثلاثي هذا على وزن فاعل سواء أكان متعدياً أم لازماً. وألیم فعل لازم كما قال ابن منظور في اللسان: «أ ل م» وقد ألیم الرجل يألم ألماً فهو أليم، قال: والعذاب الأليم الذي يبلغ إيجاعه غاية البلوغ وإذا قلت: عذاب أليم فهو بمعنى مؤلم «مفعول». انظر: التبيان في تصريف الأسماء ٧٧. وشرح ابن عقيل ٣١٨ و ٣١٩ واللسان: «أ ل م» بتصرف.

(٦) الكشاف ٣/٣١٨.

(٧) أي فاء الكلمة ميزاناً طاؤها موزوناً. وفي «ب» التاء على أصل المُبْدَل.

(٨) سقط من «ب».

وقد قال أبو حيان في البحر: «مصدر اطيّر الذي أصله تَطَيَّرَ فأدغمت التاء في الطاء فاجتلبت همزة الوصل في الماضي والمصدر». البحر ٧/٣٢٧.

في شرح التسهيل في باب المصادر<sup>(١)</sup> أن مصدر «تَطَيَّرَ وَتَدَارَأَ» إذا أدغما وصار «أَطَيَّرَ وَادَارَأَ» لا يجيء مصدرهما عليهما، بل على أصلهما، فيقال: أَطَيَّرَ تَطَيَّرًا، وادَارَأَ تَدَارِئًا. ولكن هذه القراءة تَرُدُّه إن صححت. وهو بعيد<sup>(٢)</sup>.

وقد روى غيره طَيَّرُكُمْ بياء ساكنة<sup>(٣)</sup>. ويغلب على الظن أنها هذه. وإنما تصحفت على الراوي فحسبها مصدرًا وظن أن ألف «قالوا» همزة وَضَلِ.

قوله: «أَيْنَ دُكِّرْتُمْ» قرأ السبعة<sup>(٤)</sup> بهمزة استفهام بعدها إن الشرطية وهم على أصولهم من التسهيل والتحقيق، وإدخال ألف بين الهمزتين وعدمه في سورة (البقرة)<sup>(٥)</sup>. واخْتَلَفَ سيبويه ويونس إذا اجتمع استفهام وشرط أَيُّهَا يُجَابُ؟ فذهب سيبويه إلى إجابة الاستفهام، ويونس إلى إجابة الشرط<sup>(٦)</sup>.

فالتقدير عند سيبويه أَيْنَ دُكِّرْتُمْ تَتَطَيَّرُونَ وعند يونس تَطَيَّرُوا<sup>(٧)</sup> مجزوماً.

(١) قال: يصاغ المصدر من كل ماض أوله همزة وصل بكسر ثالثه وزيادة ألف قبل آخره ومن كل ماض أوله تاء المعطوعة أو شبهها بضم ما قبل آخره إن صح آخره وإلا خلف الضم الكسر. انظر: التسهيل باب مصادر غير الثلاثي ٢٠٦ وعبارته هنا مطلقة.

(٢) قال في شرحه على التسهيل: «أطلق في مكان التقييد، لأنه ليس كل ماض أوله همزة وصل بكسر ثالثه مصدره وتزاد ألف قبل آخره ألا ترى أن تفاعل وتفاعل إذا أدغمت فاؤهما في الطاء نحو تَطَيَّرَ وَتَطَايَرَ فقيل: أَطَيَّرَ وَأَطَايَرَ يصدق على هذين أنهما فعلان أولهما همزة وصل ومع ذلك مصدرهما لا يكسر ثالثه ولا تزداد ألف قبل آخره بل يقال: أَطَيَّرَ يَطَايِرُ وَأَطَايِرُ أَطَايِرًا فَكَانَ يَبْنِي أَنْ يَقِيدَ فَيَقُولُ مِنْ كُلِّ ماضٍ أوله همزة وصل ليس أصله تفاعل ولا تفاعل انظر: التثنييل ١١٩/٦.

(٣) ذكرها كثنائية الزمخشري في الكشاف ٣/٣١٨ كما ذكرها ابن خالويه في مختصره ١٢٥. وأجازه الإمام الفراء لغويًا في المعاني ٢/٣٧٤، بينما قال الزجاج: «ويجوز طَيَّرُكُمْ معكم»، لأنه يقال: طَايَرَ وَطَيَّرَ في معنى واحد. ولا أعلم أحداً قرأ ههنا طيركم بغير ألف. انظر معاني القرآن وإعرابه ٤/٢٨٢.

(٤) الواقع أن فيها سبعة أوجه من القراءات، فقرأ أهل المدينة أين ذكرتم بتخفيف الهمزة الثانية. وقرأ أهل الكوفة أن بتحقيق الهمزتين. والثالث: أن بهمزتين بينهما ألف أدخلت الألف كراهة للجمع بين الهمزتين الرابع: أن بهمزة بعدها ألف وبعد الألف همزة مخففة. والخامس: بهمزتين إلا أن الثانية همزة مخففة والسادس: أن بهمزتين مفتوحتين. والسابع: أين ذكرتم بمعنى حيث. وانظر: إعراب النحاس ٣/٨٨ ومعاني الزجاج ٤/٢٨٢ والسبعة ٥٤٠ ومختصر ابن خالويه ١٢٥ ومعاني الفراء ٢/٣٧٤ والكشاف ٣/٣١٨ والنشر ٢/٣٥٣ والإتحاف ٣٦٤.

(٥) سقط من «ب» وهو يشير إلى قوله: «أَلْتَدْرَأْتُمْ» من الآية ٦ منها؛ وانظر: اللباب ١/٢٧ ب.

(٦) عبارة الكتاب توحى بخلاف ما قاله المؤلف فقد قال: «وذلك نحو أن تأتي آتِكَ ولا تكتفي بمن لأنها حرف جزاء ومتى مثلها فمن ثم أدخل عليه الألف تقول: «أَمَتِي تَشْتِمُنِي أَشْتِمُكَ» و «أَمَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ أَرْزُهُ» وذلك لأنك أدخلت الألف على كلام قد عمل بعضه في بعض فلم يغيره. وأما يونس فيقول: «أَيْنَ تَأْتِي آتِيكَ» وهذا قبيح يكره في الجزاء وإن كان في الاستفهام» الكتاب ٣/٨٢ و ٨٣.

(٧) في «ب» تطيروا ببناءين.

فالجواب للشرط على القولين محذوف.

وقد تقدم هذا في سورة الأنبياء<sup>(١)</sup>. وقرأ أبو جعفر وظلحة ووزر بهمزتين مفتوحتين<sup>(٢)</sup>، إلا أن زراً لم يسهل الثانية، كقوله<sup>(٣)</sup>:

٤١٧٢ - **أَلِنْ كُنْتَ دَاوُدَ بْنَ أَحْوَى مُرَحَّلًا فَلَسْتَ بِرَاعٍ لِابْنِ عَمِّكَ مَحْرَمًا**<sup>(٤)</sup>

وروي عن أبي عمرو ووزر أيضاً كذلك، إلا أنهما فصلاً بألفٍ بين الهمزتين<sup>(٥)</sup>. وقرأ الماجشون<sup>(٦)</sup> (بهمزة<sup>(٧)</sup>) واحدة مفتوحة<sup>(٨)</sup>.

وتخرج هذه القراءات الثلاث على حذف لام العلة أي (أ) لأن ذكرتم تطيرتم ف «تطيرتم» هو المعلول، وأن ذكرتم عليته. والاستفهام منسحب عليهما في قراءة الاستفهام. وفي غيرها يكون إخباراً بذلك. وقرأ الحسن بهمزة واحدة مكسورة<sup>(٩)</sup> وهي شرط من غير استفهام، وجوابه محذوف أيضاً. وقرأ الأعمش والهمداني<sup>(١٠)</sup> بصيغة الظرف. وهي أين الشرطية وجوابها محذوف عند جمهور البصريين<sup>(١١)</sup> أي أين ذكرتم فطائرکم معکم أو صُحِبْتُمْ طَائِرُكُمْ، لدلالة ما تقدم من قوله: «طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ» ومن يجوز تقديم الجواب لا يحتاج إلى حذف<sup>(١٢)</sup>.

(١) عند قوله: «أَفَأَنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ» ٣٤ منها. وقد نقل أبو حيان نفس المعنى في البحر المحيط حيث ذهب إلى أن إجابة الاستفهام مذهب سيويه وإجابة الشرط مذهب يونس. انظر البحر ٣٢٧/٧.

(٢) من القراءات الشاذة ذكرها ابن خالويه في المختصر ١٢٥ والقراء في معانيه ٣٧٤/٢.

(٣) في «ب» لقوله.

(٤) من الطويل، ولم أعرف قائله. وداود بن أحوى اسم رجل. والمرحل: نوع من الشباب والمنحرم الحرمة يتنكر منه إساءته إليه. وفي البحر: «بداع» لا براع. وفي السمين: «مراع» واستبعدها للحن النحوي فيه وإن كانت الضرورة تبيح ذلك وعلى كل فلا تباعد بين الروايات فيه. والشاهد «أَنْ» حيث حقق الهمزتين معاً وتحقق التنظير بالآية. انظر: البحر المحيط ٣٢٧/٧ والدر المصون ٥٠٢/٤.

(٥) من الشواذ أيضاً انظر: البحر ٣٢٧/٧ ومختصر ابن خالويه ١٢٥.

(٦) يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَلْمَةَ المَاجِشُونُ وردت عنه الرواية في حروف القرآن مات سنة ١٨٥ هـ انظر: طبقات القراء ٣٢٧/٢.

(٧) سقطت من «أ».

(٨) شاذة انظر: المحتسب ٢٠٥/٢ والبحر ٣٢٧/٧ والكشاف ٣١٨/٣.

(٩) شاذة أيضاً انظر: الكشاف والبحر ومختصر ابن خالويه السابقين.

(١٠) شاذة أيضاً وانظر المراجع السابقة والمحتسب ٢٠٥/٢.

(١١) وهذا ما قال به ابن جني حيث قال «أين هنا شرط وجوابها محذوف لدلالة «طَائِرُكُمْ» عليه فكأنه: قال: أين ذكرتم أو أين وجدتم وجد شؤمكم معكم وهذا كقولك: سَيْفُكَ مَعَكَ أَيْنَ حَلَلْتَ، وكقولك: أَنْتَ ظَالِمٌ إِنْ فَعَلْتَ» انظر: المحتسب ٢٠٦/٢.

(١٢) وهذا رأي الكوفيين والمبرد. انظر المقتضب لأبي العباس المبرد ٦٦/٢ - ٦٩.

وقرأ الحسن وأبو جعفر وأبو رجاء والأضَمِيُّ<sup>(١)</sup> عن نافع ذُكِرْتُمْ بتخفيف الكاف<sup>(٢)</sup>.

### فصل

قوله: «أئن ذُكِرْتُمْ» جواب عن قوله: «لَتَرْجُمَنَّكُمْ» أي أتفعلون بنا ذلك وإن ذُكِرْتُمْ أي وعظمتُم بالله وبين لكم الأمر بالمعجز والبرهان «بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ» مشركون مجاوزون<sup>(٣)</sup> حيث تجعلون ما يَتَّبِرُكُ به يتشام به وتقصدون إبلام من يجب إكرامه، أو مسرفون حيث تكفرون ثم تُصْرُونَ<sup>(٤)</sup> بعد ظهور الحق بالمُعْجِزَة والبرهان. فإن قيل: (بل)<sup>(٥)</sup> للإضراب فما (الأمر) المضروب عنه؟

فالجواب: يحتمل أن يقال قوله: «أئن ذُكِرْتُمْ» وارد على تكذيبهم فإنهم قالوا: نحن كاذبون وإن جئتنا بالبرهان لا بل قوم مسرفون. ويحتمل أن يقال: أنحن مشؤومون وإن جئنا ببيان صحة ما نحن عليه لا بل أنتم قوم مسرفون. ويحتمل أن يقال: أنحن<sup>(٦)</sup> مستحقون الرجم والإبلام وإن بينا صحة ما أتينا به لا بل أنتم قوم مسرفون<sup>(٧)</sup>.

### فصل

ذكر المفسرون أن عيسى - عليه (الصلاة و) السلام - بعث رجلين إلى أهل أنطاكية فَدَعَا إِلَى توحيد الله وأظهرها المعجزة من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى فحبسهم الملك فأرسل<sup>(٨)</sup> بعدهما شمعون، فأتى الملك، ولم يدع الرسالة وقرب نفسه من الملك بحسن التدبير، ثم قال: إني أسمعُ (أن)<sup>(٩)</sup> في الحبس رَجُلَيْنِ يَدْعِيَانِ<sup>(١٠)</sup> أمراً بديعاً أفلا يحضران نسمع كلامهما؟ فقال الملك: بلى فأحضرا وذكرنا مقالتهما الحقَّة فقال شمعون: وهل لكما بيئَةٌ؟ قالوا: نعم فأبرء الأكمه والأبرص وأخياً<sup>(١١)</sup> الموتى. فقال شمعون: يا أيها الملك: إن شئت أن تَغْلِبَهُمْ فقل للآلهة التي تعبدونها تفعل شيئاً من ذلك فقال له الملك أنت لا يخفى عليك أنها لا تسمع ولا تبصر ولا تعلم فقال شمعون: فإِذْ<sup>(١٢)</sup> ظهر لي الحق من جانبهم فأمن الملك (وقوم)<sup>(١٣)</sup> وكفر آخرون. وكانت الغلبة للمكذِبِينَ<sup>(١٤)</sup>.

(١) تقدم.

(٢) الدر المصون ٥٠٢/٤.

(٣) نقل القرطبي لها في الجامع عدة معان من ضمن هذه المعاني ما ذكره أعلى انظر: القرطبي ١٧/١٥ والرازي ٥٤/٢٦.

(٤) في (ب) تصرفون.

(٥) في «ب» إنكم تحريف.

(٦) في «ب» وأرسل.

(٧) في «ب» وأخيا بياء واحدة. تحريف.

(٨) النون ساقطة من «ب».

(٩) رسمت في «ب» فإذا.

(١٠) سقطت من «ب».

(١١) الرازي ٥٣/٢٦ و ٥٤.

قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مِنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنْهُمْ شِفَاتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنْ إِذَا لَبِيتُ ضَلَّالٍ مُبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنْ تَأْمَنُّ بَرِيكُمُ فَاسْمِعُوا بَرِيكُمُ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾

قوله: «وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى» في تعلقه بما قبله وجهان:

أحدهما: أنه بيان لكونهم أتوا بالبلاغ المبين حيث أمن بهم الرجل الساعي. وعلى هذا فقوله: «مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ» فيه بلاغة باهرة لأنه لما جاء من أقصى المدينة زجل (هو) قد آمن دل على (أن) (١) إنذارهم وإبلاغهم بلغ إلى أقصى المدينة.

والثاني: أن ضرب المثل لما كان لتسليية قلب (٢) محمد - عليه (الصلاة و) السلام - ذكر بعد الفراغ من ذكر الرسل سعي المؤمنين في تصديق أنبيائهم، وصبرهم (٣) على ما أودوا، ووصول الجزاء (٤) الأوفر إليهم ليكون ذلك تسليية لقلب أصحاب محمد - عليه (الصلاة والسلام) - (٥).

قوله: «رجل يسعي» في تكبير «الرجل» مع أنه كان معروفاً معلوماً عند الله فائدتان:

الأولى: أن يكون تعظيماً (لشأنه) (٦) أي رجل كامل في الرجولية.

الثانية: أن يكون مفيداً ليظهر من جانب المرسلين أمر رجل من الرجال لا معرفة لهم به، فلا يقال: إنهم تواطئوا. والرجل هو حبيب التُّجَّار كان ينحت الأصنام. وقال السدي: كان قصاراً. وقال وهب: كان يعمل الحرير وكان سقيماً قد أسرع فيه الخدَام. وكان منزله عند أقصى باب المدينة (٧) وكان مؤمناً آمن بمحمد - ﷺ - (٨) قبل وجوده حين صار من العلماء بكتاب (٩) الله، ورأى فيه نعت (١٠) محمد وبعثته وقوله: «يسعى» تبصير للمسلمين وهداية لهم لينذلوا جهدهم في النُصح.

قوله: «قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ» تقدم الكلام في فائدة قوله: «يَا قَوْمِ» (١١) عند

(١) ما بين الأقواس زيادة من «أ» وسقوط من «ب».

(٢) في «ب» ملة بدل قلب. (٣) في «ب» وصبروا.

(٤) في «ب» الخبر دون الجزاء وهو تحريف.

(٥) في «ب» ﷺ. (٦) سقطت من «ب».

(٧) في «ب» في المدينة. (٨) في «ب» عليه الصلاة والسلام.

(٩) في «ب» لكتاب الله باللام. (١٠) في «ب» قلب بدل نعت.

(١١) قال هناك في الفائدة بقوله: «يَا قَوْمِ» أنه ينبىء عن إشفاق عليهم وشفقة فإن إضافتهم إلى نفسه بقوله:

«يَا قَوْمِ» يفيد أنه لا يريد بهم إلا خيراً. وانظر اللباب ٦٠/١ «ب».

قوله موسى: ﴿يَقْوِمِ إِيَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤].

فإن قيل: هذا مثل مؤمن آل فرعون ﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ يَقْوِمِ آتِيْعُونَ﴾ [غافر: ٣٨] وهذا قال: «اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ» فما الفرق؟.

فالجواب: هذا الرجل جاءهم وفي أول مجيئه نصحهم ولم يعلموا سيرته فقال اتبعوا هؤلاء الذين أظهروا لكم الدليل وأوضحوا لكم السَّبِيلَ وأما مؤمن آل فرعون فكان فيهم ونصحهم مراراً فقال: «اتَّبِعُونِي فِي الْإِيمَانِ بِمُوسَى وَهَارُونَ - عليهما (الصلاة و) السلام - واعلموا أنه لو لم يكن خيراً لما اخترته لنفسي وأنتم تعلمون أنني اخترته» ولم يكن للرجل الذي جاء من أقصى المدينة أن يقول: أنتم تعلمون أتباعي لهم. واعلم أنه جمع بين إظهار النصيحة وإظهار إيمانه فقوله<sup>(١)</sup>: «اتبعوا» نصيحة<sup>(٢)</sup> وقوله: «المرسلين» إظهار إيمانه وقدم إظهار النصيحة على إظهار الإيمان لأنه كان ساعياً في النصيحة وأما الإيمان فكان قد آمن من قبل وقوله: «يسعى» يدل على إرادته النصح<sup>(٣)</sup>.

قوله: «مَنْ لَا يَسْأَلْكُمْ أَجْرًا» يدل من «المرسلين» بإعادة العامل<sup>(٤)</sup> إلا أن أبا حيان قال: النحاة لا يَقُولُونَ ذلك إلا إذا كان العامل حرف (جر)<sup>(٥)</sup> وإلا فلا يسمونه بدلاً بل تابعاً وكأنه يريد التوكيد اللفظي بالنسبة إلى العامل.

## فصل

هذا الكلام في غاية الحسن لأن لما قال اتبعوا المرسلين كأنهم منعوا كونهم مرسلين فنزل درجة وقال لا شك أن الخلق في الدنيا سالكون طريقة الاستقامة والطريق إذا كان فيه دليل وجب اتباعه والامتناع<sup>(٦)</sup> من الدليل لا يحسن إلا عند أحد أمرين إما لطالب الدليل الأجرة وإما عدم<sup>(٧)</sup> الاعتماد على اهتدائه ومعرفة الطريق لكن هؤلاء لا يطلبون أجرة وهم مهتدون عالمون بالطريق المستقيم الموصلة إلى الحق فهب أنهم ليسوا بمرسلين هادين أليسوا<sup>(٨)</sup> بمهتدين فاتبعوهم.

قوله: ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ أصل الكلام وما لكم لا تعبدون ولكنه صرف الكلام عليهم ليكون الكلام أسرع قبولاً ولذلك جاء قوله: ﴿وَالِيهِ تُرْجَعُونَ﴾ دون «وإليه أَرْجَعُ» وقوله «أَتَّخِذُ» مبني على كلام<sup>(٩)</sup> الأول وهذه الطريقة أحسن من ادعاء

(١) في «ب» بقوله.

(٢) في «ب» نصيحته.

(٣) وانظر هذا كله في تفسير الإمام الرازي ٥٥/٢٦.

(٤) قاله شهاب الدين السمين في الدر ٥٠٣/٤.

(٥) سقط من «ب».

(٦) كذا هي في الرازي وفي «ب» الاتساع خطأ.

(٧) في «ب» عند الاعتماد والأصح كما في الرازي عند عدم الاعتماد.

(٨) في «ب» ليسوا بدون همزة.

(٩) في «ب» كلامه وانظر: الكشاف ٣١٩/٣.

الالتفات<sup>(١)</sup>، وقرأ حمزة ويعقوب ما لي بإسكان الياء والآخرين بفتحها<sup>(٢)</sup>. واعلم أن قوله: «وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ» أي أي<sup>(٣)</sup> مانع من جانبي وهذا إشارة إلى أن الأمر من جهة المعبود ظاهر لا خفاء فيه فمن يمنع<sup>(٤)</sup> من عبادته يكون من جانبه مانع ولا مانع من جانبي فلا جرم عبده وفي العدول من مخاصمة<sup>(٥)</sup> القوم إلى حال نفسه حكمة أخرى وهي أنه لو قال: ما لكم لا تعبدون الذي فطركم لم يكن في البيان مثل قوله: «وَمَا لِي» لأنه لو قال: «وَمَا لِي» وأحد لا يخفى عليه (حال)<sup>(٦)</sup> نفسه علم كل أحد أنه لا يطلب العلة وبيانها من أحد لأنه أعلم بحال نفسه فهو بين عدم المانع وأما لو قال: «وَمَا لَكُمْ» جاز أن يفهم (منه)<sup>(٧)</sup> أنه يطلب بيان العلة لكون غيره أعلم بحال نفسه. وقوله: «الَّذِي فَطَرَنِي» إشارة إلى وجود المقتضي، فإن قوله: «وَمَا لِي» إشارة إلى عدم المانع وعند عدم المانع لا يوجد الفعل<sup>(٨)</sup> ما لم يوجد المقتضي فقوله: «الَّذِي فَطَرَنِي» دليل المقتضي فإن الخالق ابتداء مالك والمالك يجب على المملوك إكرامه وتعظيمه ومنعم بالإيجاد والمنعم يجب على المنعم عليه شكر نعمته. وقدم بيان عدم المانع على بيان وجود المقتضي مع أن المستحسن تقديم المقتضي<sup>(٩)</sup> لأن المقتضي لظهوره كأن مستغنياً عن البيان فلا أقل من تقديم ما هو أولى بالبيان للحاجة إليه واختار من الآيات فطرة نفسه لأن خالق عمرو يجب على زيد عبادته لأن من خلق عمراً (لا يكون<sup>(١٠)</sup>) إلا كامل القدرة واجب الوجود فهو مستحق العبادة بالنسبة إلى كل مكلف لكن العبادة على «زيد» بخلق «زيد» أظهر إيجاباً<sup>(١١)</sup>.

## فصل

أضاف الفطرة إلى نفسه والرجوع إليهم كأن<sup>(١٢)</sup> الفطرة أثر النعمة وكان عليه أظهر وفي الرجوع معنى الشكر وكان بهم أليق. روي أنه لما قال: اتبعوا المرسلين أخذوه ورفعوه إلى الملك فقال له: «أفَأَنْتَ تَتَّبِعُهُمْ؟» فقال: «وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي (وَالِيهِ تَرْجَعُونَ)»<sup>(١٣)</sup> أي أي شيء يمنعني أن أعبد خالقي وإليه ترجعون تردون عند البعث فيجزئكم بأعمالكم. ومعنى فطرنى: خلقني اختراعاً ابتداء. وقيل: جعلني على الفطرة

(١) وانظر: البحر ٣٢٨/٧ والدر المصون ٥٠٣/٤.

(٢) الإتحاف ٣٦٤ وهي من الأربع فوق العشرة المتواترة.

(٣) في الرازي: «ما لي مانع من جانبي». (٤) في «ب» يمتنع.

(٥) في الرازي: عن مخاطبة. (٦) و (٧) ساقطان من «ب».

(٨) في «ب» العقل. خطأ. (٩) وانظر في هذا كله تفسير الإمام الفخر ٥٥/٢٦ و ٥٦.

(١٠) ما بين القوسين سقط من «ب» وفي «ب»: لأن من خلق عمرو كامل. بالإثبات.

(١١) انظر: المرجع السابق ٥٦/٢٦. (١٢) في «ب»: لأن الفطرة.

(١٣) سقط من «ب» وانظر: القرطبي ١٩/١٥ وزاد المسير ١٣/٧.

كما قال تعالى: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ أَلَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠].

قوله: «أَأَتَّخِذُ» استفهام بمعنى الإنكار، أي لا أتخذ من دونه آلهة و «مِنْ دُونِهِ» يجوز أن يتعلق «بِأَتَّخِذُ» على أنها متعدية لواحد وهو «آلهة» ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من «آلهة»<sup>(١)</sup> وأن يكون مفعولاً ثانياً<sup>(٢)</sup> قدم على أنها المتعدية لاثنتين<sup>(٣)</sup>.

## فصل

في قوله: «من دونه آلهة» لطيفة وهي أنه لما بين أنه يعبد الذي فطره بين أن مَنْ دُونُهُ لا يجوز عبادته لأن الكل محتاجٌ مفتقرٌ حادثٌ وقوله: «أَأَتَّخِذُ» إشارة إلى أن غيره ليس بآلهٍ لأن المتخذ لا يكون إلهاً<sup>(٤)</sup> قوله: «إِنْ يُرِدْنِي» شرط جوابه «لَا تُغْنِ عَنِّي»<sup>(٥)</sup> والجملة الشرطية في محل نصب صفة «لآلهة»<sup>(٦)</sup>. وفتح طلحة السُّلْمَانِي<sup>(٧)</sup> - وقيل: طلحة بن مصرف<sup>(٨)</sup> - ياء المتكلم<sup>(٩)</sup>. وقال الزمخشري وقرىء: «إِنْ يُرِدْنِي الرَّخْمُنُ بِضُرٍّ بِمَعْنَى إِنْ يُورِدْنِي»<sup>(١٠)</sup> ضُرّاً أي يجعله<sup>(١١)</sup> مَوْرداً للضر<sup>(١٢)</sup>. قال أبو حيان: وهذا والله أعلم رأى في كتب القراءات بفتح الياء فتوهم أنها ياء المضارعة فجعل الفعل متعدياً بالياء المعدية<sup>(١٣)</sup> كالهزمة<sup>(١٤)</sup> فلذلك أدخل همزة التعدية فنصب به اثنين والذي في كتب القراءات الشواذ أنها ياء الإضافة المحذوفة خطأً ونطقاً لالتقاء الساكنين<sup>(١٥)</sup> قال

(١) أي كائنة أو موجودة.

(٢) أي أتخذ آلهة موجودة من دونه. «فمن دونه» تكميل «الموجودة» التي هي المفعول الثاني أصلاً.

(٣) وبعضهم أنكروا أن تنصب «تَجِدُ وَتَجِدُ وَتَرَكَ» مفعولين وقال: إنما يتعدى إلى واحد والمنصوب الثاني حال وبين أمثلتها «لَا تَتَّخِذْ عَلَيْهِمْ حِجَاباً» و «اتَّخِذْ لِلَّهِ إِبْرَاهِيمَ حَلِيلًا». وانظر: الدر المصون ٥٠٩/٤ وهمع السيوطي ١٥٠/١.

(٤) قاله الإمام الفخر الرازي ٥٧/٢٦.

(٥) قال في التبيان ١٠٨٠ والإعراب للنحاس ٣٨٩/٣ والدر للسمين ٥٠٩/٤.

(٦) الدر المصون السابق.

(٧) تصحيحه كما في كتب تراجم القراء: السمان. وهو طلحة بن سليمان مقرئ متصدر أخذ القراءة عن فياض بن غزوان عن طلحة بن مصرف وله شواذ تُرْوَى عنه. روى عنه القراءة إسحاق بن سليمان أخوه. انظر: غاية النهاية ٣٤١/١.

(٨) كما في كتاب الشواذ لابن خالويه ١٢٥.

(٩) المرجع السابق والبحر ٣٢٩/٧ والدر المصون ٥٠٤/٤ وفي شواذ القرآن ٢٠٢: «إِنْ يُرِدْنِي» بفتح الياء وإثباته في الوقف طلحة وعيسى وأبو جعفر.

(١٠) في (ب) يرديني تحريف. (١١) في الكشف: أي يجعلني مورداً للضر.

(١٢) الكشف ٣١٩/٣. (١٣) في المضارع.

(١٤) في الماضي أَوْزَدَ. (١٥) البحر ٣٢٩/٧.

شهاب الدين: وهذا رجل ثقة قد نقل هذا القراءة فتقبل منه<sup>(١)</sup>.

فإن قيل: ما الحكمة في قوله «إِنْ يُرْذِنِي الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ» ولم يقل: «إِنْ يُرِيدُ الرَّحْمَنُ بِي ضُرًّا» وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ﴾ [الزمر: ٣٨] ولم يقل: «إِنْ أَرَادَ اللَّهُ بِي ضُرًّا»؟

فالجواب: أن الفعل إذا كان متعدياً إلى مفعول واحد تعدى إلى مفعولين بالحرف كالأمر<sup>(٢)</sup> تعدى بالحرف<sup>(٣)</sup> في قولهم: ذَهَبَ بِهِ وَخَرَجَ بِهِ. ثم إن المتكلم البليغ يجعل المفعول بغير حرف أولى بوقوع الفعل عليه ويجعل الآخر مفعولاً بحرف فإذا قال القائل مثلاً: كيف حال فلان<sup>(٤)</sup>؟ يقول: اختصه الملك بالكرامة والنعمة. فإذا قال: كيف كرامة الملك؟ يقول: اختصها بزيد فيقول<sup>(٥)</sup> المسؤول مفعولاً<sup>(٦)</sup> بغير حرف؛ لأنه هو المقصود. وإذا تقرر هذا فالمقصود فيما نحن فيه: بيان كون العبد تحت تصرف الله يقبله كيف يشاء في البؤس والرخاء<sup>(٧)</sup> وليس الضر مقصود بيانه كيف والقائل مؤمن يرجو الرحمة والنعمة بناء على إيمانه بحكم وعد الله. ويؤيد هذا قوله من قبل: «الَّذِي فَطَرَنِي» حيث جعل نفسه مفعول الفطرة فلذلك جعلها مفعول الإرادة ووقع الضر<sup>(٨)</sup> تبعاً. وكذلك القول في قوله: «إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ» المقصود بيان أنه يكون كما يريد<sup>(٩)</sup> الله (وليس<sup>(١٠)</sup> الضر) لخصوصيته مقصوداً بالذكر ويؤيده ما تقدم حيث قال الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦] يعني هو تحت إرادته.

فإن قيل: ما الحكمة في قوله هنا: «إِنْ يُرْذِنِي الرَّحْمَنُ بِصِيغَةِ الْمَضَارِعِ وَقَالَ فِي الزَّمْرِ: «إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ» بِصِيغَةِ الْمَاضِي وَذَكَرَ الْمُرِيدَ هُنَا بِاسْمِ الرَّحْمَنِ وَذَكَرَ الْمُرِيدَ هُنَاكَ بِاسْمِ اللَّهِ؟

فالجواب أن الماضي والمستقبل مع الشرط يصير الماضي مستقبلاً لأن المذكور هنا من قبل بصيغة الاستقبال في قوله: «أَتَّخِذُ» وقوله: «وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ» والمذكور هناك من قبل بصيغة الماضي قوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ﴾ [الزمر: ٣٨].

(١) دافع عن الزمخشري وانظر الدر المصون ٥٠٤/٤ وأنا لا أرى ميلاً لقبول هذه القراءة فالتكلف فيها واضح وفيها مساواة بين ورد وأورد ثلاثياً ورباعياً وهو في غاية الشذوذ.

(٢) كذا في النسختين. والصحيح كاللزام.

(٣) في «ب» بحرف. وانظر: تفسير الرازي ٥٨/٢٦.

(٤) في «أ» قال والتصحيح من «ب» والفخر.

(٥) الأصح: فيجعل كما في الرازي. (٦) في «ب» مفعول.

(٧) في «أ» والرجاء وكذلك هي كما هي أعلى في الفخر.

(٨) في «ب» الصفة. (٩) في «ب» يرد. وكلاهما تحريف.

(١٠) سقط من «ب».

قَوْلُهُ: ﴿لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا﴾ [يس: ٢٣] أي إن يَمَسَّنِي اللّهُ بَضْرًا أي بسوء ومكروه لا تُغْنِي شَفَاعَتَهُمْ شَيْئًا أي لا شفاععة لها فتغني «ولا يُنْقِدُونَ» من ذلك المكروه أو لا ينقذون من العذاب لو عذبني الله إن فعلت ذلك. قوله تعالى: «إِنِّي إِذْذُن لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» أي خطأ ظاهر إن فعلت ذلك فأنا ضالٌّ ضلالاً بيناً. و«المُؤْمِنِينَ» مُفْعِلٌ بمعنى «فَعِيلٌ» وعكسه «فَعِيلٌ» بمعنى مُفْعِلٌ في قوله «أليم» بمعنى مؤلم.

قوله: «إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ» فيه وجوه:

أحدها: أنه خاطب المرسلين. قال المفسرون: أقبل القوم عليه يريدون قتله فأقبل هو للمرسلين وقال: إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُوا قَوْلِي واشهدوا لي.

والثاني: هم الكفار لَمَّا نصحهم وما نفعهم قال آمنت فاسمعون.

الثالث: بربكم أيها السامعون فاسمعوني على العموم كقول الواعظ: يَا مُسْكِينُ مَا أَكْثَرَ أَمَلَكُ (وما أترز<sup>(١)</sup> عَمَلَكُ) يريد كل سامع يسمعه وفي قوله «فَاسْمَعُونَ» فوائد منها: أنه كلام متفكر حيث قال: اسمعوا فإن المتكلم إذا كان يعلم أن لكلامه جماعة سامعين يتفكر، ومنها أن ينبه القوم ويقول: إِنِّي أَخْبَرْتُكُمْ بِمَا فَعَلْتُ حَتَّى لَا يَقُولُوا لِمَ أَخْفَيْتُ عَنَّا أَمْرَكَ وَلَوْ أَظْهَرْتَهُ لَأَمْنَا مَعَكَ.

فإن قيل: قال من قيل: مَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي، وقال ههنا: آمنتُ بربكم ولم يقل: آمنت بربي؟! فالجواب: إن قلنا: الخطاب مع الرسل فالأمر ظاهر لأنه لما قال: آمنتُ بِرَبِّكُمْ ظهر عند الرسل<sup>(٢)</sup> أنه قبل قولهم وآمن بالرب الذي دعوه إليه وقال «بِرَبِّكُمْ». وإن قلنا: الخطاب مع الكفار ففيه (وجوه)<sup>(٣)</sup> بيان للتوحيد لأنه لما قال: «أعبد الذي فطرنِي» ثم قال: «آمنت بربكم فاسمعون» فهم أنه يقول: ربي وربكم واحد وهو الذي فطرنِي وهو بعينه ربكم بخلاف ما لو قال: آمنت بربي فيقول الكافر: وأنا أيضاً آمنت بربي<sup>(٤)</sup>.

قوله: «فَاسْمَعُونَ» العامة على كسر النون وهي نون الوقاية حذفت بعدها ياء الإضافة<sup>(٥)</sup> مُجْتَزِئَةً عَنْهَا بِكسرة النون وهي اللغة الغالبة. وقرأ عِصْمَةٌ<sup>(٦)</sup> عن عاصم

(١) زيادة من الفخر الرازي.

(٢) في (ب) الرجل. تحريف.

(٣) زيادة من «ب» عن «أ» والفخر الرازي.

(٤) وانظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ٥٩/٢٦ و ٦٠.

(٥) حيث كان الأصل: «اسْمَعُونِي» بالنون والياء ولكنه حذف الياء واكتفى عنها بالتون مشياً على الفاصلة كقول الله تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾.

(٦) هو عاصمة بن عروة أبو نجیح البصري روى القراءة عن أبي عمرو وعاصم بن أبي النجود. وروى عنه الحروف يعقوب الحضرمي وغيره. انظر: غاية النهاية ١/٥١٢.

بفتحها<sup>(١)</sup>. وليست إلا غلطاً (على عاصم)<sup>(٢)</sup>، إذ لا وجه (لها)<sup>(٣)</sup>، وقد وقع لابن عطية وَهَمٌ فاحش في ذلك فقال: وقرأ الجمهور بفتح النون<sup>(٤)</sup>. وقال أبو حاتم: هذا خطأ فلا يجوز لأنه أمر فإما حذف النون وإما كسرهما على جهة الياء<sup>(٥)</sup>، يعني ياء المتكلم، وقد يكون قوله: «الجمهور» سبق قلم منه أو من النسخا وكان الأصل: وقرأ غير الجمهور فسقط<sup>(٦)</sup> لفظه «غيره». (و)<sup>(٧)</sup> قال ابن عطية حذف من الكلام ما تواترت الأخبار والروايات به وهو أنهم قتلوه فقيل له عند موته: ادْخُلِ الْجَنَّةَ<sup>(٨)</sup> بَعْدَ الْقَتْلِ وَقِيلَ: قَوْلُهُ: (قِيلَ)<sup>(٩)</sup> ادْخُلِ الْجَنَّةَ عَطْفٌ عَلَى قَوْلِهِ: «آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ» فعلى الأول يكون قوله: «يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ» بعد موته والله أخبر بقوله، وعلى الثاني قال ذلك في حياته<sup>(١٠)</sup> وكان يسمع<sup>(١١)</sup> الرسل يقولون إنه من الداخلين الجنة وصدقهم وقطع به. قوله: «(قَالَ)<sup>(١٢)</sup> يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ» كما علمت فيؤمنون كما آمنت. وقال الحسن<sup>(١٣)</sup>: خرقوا خرقاً في حَلْفِهِ وعلقوه في سور المدينة وقبره بأنطاكية فأدخله الله الجنة وهو حي فيها يرزق، فذلك قوله عز وجل: «قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ». فلما أفضى إلى الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي أي بغفران ربي لي وجعلني من المكرمين. قوله: «بِمَا غَفَرَ لِي» يجوز في (ما) هذه ثلاثة أوجه: المصدرية كما تقدم. والثاني: أنها بمعنى الذي والعائد محذوف أي بالذي غفره لي ربي<sup>(١٤)</sup>. واستضعف هذا من حيث إنه يبقى معناه أنه تمنى أن يعلم قومه بذنوبه المغفورة. وليس المعنى على ذلك إنما المعنى على تَمَنِّي علمهم بغفران رَبِّهِ ذُنُوبَهُ<sup>(١٥)</sup>. والثالث<sup>(١٦)</sup>: أنها استفهامية وإليه دَهَبَ الفراء<sup>(١٧)</sup>. ورد الكسائي بأنه كان

(١) ذكرها أبو حيان في بحره ٣٢٩/٧ ومن بعد شهاب الدين السمين في الدر ٥٠٤/٤ وهي من القراءات غير المتواترة فلم أجد لها فيها.

(٢) سقط من نسخة «ب» ما بين القوسين. (٣) زيادة لتوضيح المعنى وتكميله.

(٤) نقله عنه البحر ٣٢٩/٧.

(٥) المرجع السابق. وفيه: على جهة البناء وهو صحيح الأصل فاسمعونني فحذفت الأولى المفتوحة لأجل البناء ولذلك تقول مبني على حذف النون والأوضح الأول بدليل قوله بعد «ياء المتكلم» فأبدلها من الياء.

(٦) في «ب» بسقط.

(٧) سقط من «ب».

(٨) البحر ٣٢٩/٧.

(٩) سقط من «ب».

(١٠) في «ب» حيوته.

(١١) سقط من «ب».

(١٢) في «ب» مسمع وهذا رأي الرازي ٦٠/٢٦.

(١٣) البحر ٣٢٩/٧.

(١٤) قال ابن الأنباري بالثلاثة في البيان ٢٩٣/٢ وكذلك النحاس ٣٩٠/٤ ومكي في المشكل ٢٢٣/٢ و

٢٢٤ وكذلك الزجاج في المعاني ٢٨٣/٤ والتيبان ١٠٨٠.

(١٥) قال بذلك التوجيه أبو حيان في البحر ٣٢٩/٧.

(١٦) في «ب» الثاني تحريف وخطأ.

(١٧) أجازها الفراء وانتقض نفسه مرة أخرى فقال في المعاني ٣٧٤/٢ و ٣٧٥: ولو جعلت «ما» في معنى «أي» كان صواباً يكون المعنى ليتهم يعلمون بأي شيء غفر لي ربي ولو كان كذلك لجاز له فيه: «بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي» بنقصان الألف كما تقول: سَلَّ عَمَّ شَيْئًا وكما قال: «فَتَأْتِرُهُ بِمَا يَزْجَعُ الْمُزْسَلُونَ» وقد =

ينبغي حذف ألفها لكونها مجرورة<sup>(١)</sup>. وهو رد صحيح. وقال الزمخشري الأجود طرح الألف<sup>(٢)</sup> والمشهور من مذهب البصريين وجوب حذف ألفها<sup>(٣)</sup> كقوله:

٤١٧٣ - (عَلَامٌ)<sup>(٤)</sup> يَقُولُ الرُّمَحُ يُثْقِلُ عَاتِقِي إِذَا أَنَا لَمْ أَطْعُنْ إِذَا الحَيْلُ كَرَّتْ<sup>(٥)</sup>

إلا في ضرورة كقول الشاعر):

٤١٧٤ - عَلَى مَا قَامَ يَسْتَمِنِي لَثِيمٌ كَخِزِيرٍ تَمَرَّغٌ فِي رَمَادٍ<sup>(٦)</sup>

وقرىء من المكرمين بتشديد الراء<sup>(٧)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ

﴿٢٨﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَمِيدُونَ ﴿٢٩﴾ يَنْحَسِرُونَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ

رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا

يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾﴾

قوله (تعالى)<sup>(٨)</sup>: «وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ» لما تمنى أن

= أنمها الشاعر وهي استفهام فقال... أهل اللواء ففيما يكثر القليل. فهو يخبرنا أن الإتمام والنقص من الألف جائز وسنّان. (وهذا خلاف ما عليه جمهور البصرة).

(١) نقله عنه أبو حيان في البحر ٣٢٩/٧ والسمين في الدر ٥٠٥/٤.

(٢) الكشف ٣٢٠/٣ ولكنه أجازها كالقراء نثراً وشعراً.

(٣) وإبقاء الفتحة دليلاً عليها نحو: فِيمَ وَعَلَامٌ وَيَمَ وَإِلَامٌ وَعَلَامٌ وربما تبعت الفتحة الألف في الحذف وهو مخصوص بالشعر. وعلّة حذف الألف الفرق بين الاستفهام والخبر ولهذا حذفت في نحو: «فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا» ونحوها وثبتت في: «لَمَسْكُمُ فِيمَا أَفْضَلْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ» وقد تقدم رأي الزمخشري والقراء في «ما» هذه منذ قليل. وانظر: المغني ٢٩٨ و ٢٩٩.

(٤) ما بين القوسين كله سقط من «أ» الأصل.

(٥) من الطويل وهو لغمز بن معد يكرب يصف قوته في لقاء غرمانه. والشاهد هنا حذف الألف من «ما» الاستفهامية على مذهب أهل البصرة. وفيه شاهد آخر لا مقام لنا به وهو إجراء القول مُجَرَّي الظن واحتياجه للمفعولين. وهذا لغة بني تميم. وانظر: الأصمعيات ١٢٢ والأشموني ٣٦/٢ و ٢٢٢ والتصريح ٢٦٣/١ والهمع ١٥٧/١ والمغني ١٤٣ والحامسة البصرية ١١/١ والدر المصون ٥٠٥/٤.

(٦) من الوافر وهو لحسان بن ثابت رضي الله عنه من قصيدة في هجاء بني عابد بن عبد الله بن مخزوم ويروى: في دِمَانٍ وينسب لحسان بن المنذر. والشاهد: إثبات ألف «ما» المجرورة وهي استفهامية وهذا ضرورة وانظر: البيان ٢٩٣/٢ وشرح المفصل لابن يعيش ٩/٤ والمغني ٢٩٩ والتصريح ٢/٢ و ٣٤٥ وشواهد الشافية ٢٢٤ والخزانة ٩٠/٦ و ١٠٧ وشواهد التصحيح والتوضيح ١٦١ والبحر ٧/٣٣٠ وفتح القدير ٣٦٦/٤ والهمع ٢١٧/٢ وابن الشجري ٢٣٣/٢ برواية دمان والأشموني ٢١٦/٤ وليس في ديوان حسان.

(٧) وهي قراءة الضحاك، انظر: شواذ القرآن ٢٠٢ والبحر ٣٣٠/٧ والكشاف ٣٢٠/٣ والقرطبي ٢٠/١٥ والدر المصون ٥٠٦/٤.

(٨) زيادة من «ب».

يعلم قومه أن الله غفر له وأكرمه ليرغبوا في دين الرسل فلما قتل<sup>(١)</sup> حبيب غضب الله وعجل لهم النقمة وأمر جبريل - عليه (الصلاة و) السلام - فصاح بهم صيحة واحدة فماتوا عن آخرهم فذلك قوله: «وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ» يعني الملائكة.

قوله: «وما كنا منزلين» في (ما) هذه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنها نافية<sup>(٢)</sup> كالتي قبلها فتكون الجملة الثانية جارية مَجْرَى التأكيد للأولى.

والثاني: أنها مزيدة<sup>(٣)</sup> قال أبو البقاء: أي وقد كنا منزلين. وهذا لا يجوز البتة لنفساده لفظاً ومعنى<sup>(٤)</sup>.

الثالث: أنها اسم معطوف على «جُنْدٍ»<sup>(٥)</sup> قال ابن عطية: أي من جند من الذين كُتِبَ مُنْزِلِينَ<sup>(٦)</sup> ورده أبو حيان<sup>(٧)</sup> بأن «مِنْ» مزيدة، وهذا التقدير يؤدي إلى زيادتها في الموجب جارة لمعرفة ومذهب البصريين غير الأخفش أن يكون الكلام غير موجب وأن يكون المجرور نكرة، قال شهاب الدين: فالذي ينبغي عند من يقول بذلك (أن)<sup>(٨)</sup> يقدرها بنكرة أي: ومن عذاب كُتِبَ مُنْزِلِينَ والجملة بعضها صفة لها. وأما قوله إن هذا التقدير يؤدي إلى زيادتها في الموجب فليس بصحيح البتة وتَعَجَّبْتُ كَيْفَ يَلْزَمُ ذَلِكَ<sup>(٩)</sup>!؟

## فصل

قال ههنا «وما أنزلنا» بإسناد الفعل إلى النفس، وقال في بيان حال المؤمن: «قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ» بإسناد القول إلى غير مذكور لأن العذاب من الهيئة<sup>(١٠)</sup> فقال بلفظ التعظيم وأما إدخال الجنة فقال: قيل: (ليكون كالمهنا)<sup>(١١)</sup> بقول الملائكة ويقول كل صالح يراه ادخل الجنة خالداً كالتهنئة له، وكثيراً ما ورد) في القرآن قوله تعالى: «وقيل ادخلوا» إشارة إلى أن الدخول يكون دخولاً بائزاً. فإن قيل: لم أضاف القوم إليه مع أن الرسل أولى بكون الجمع قوماً لهم لأن الرسول لكونه مرسلًا يكون جميع الخلق أو جميع من أرسل إليهم قوماً لهم؟

- (١) في «ب» قيل.
- (٢) قاله الزجاج في المعاني ٢٨٣/٤ وأبو البقاء في التبيان ١٠٨٠ والزمخشري في الكشاف ٣٢٠/٣ ورجح ذلك أبو حيان في البحر ٣٣١/٧ وانظر كذلك النحاس في الإعراب ٣٩٠/٣.
- (٣) التبيان ١٠٨٠ وابن الأباري ٢٩٤/٢ ومشكل الإعراب ٢٢٤/٢ والبحر ٣٣١/٧.
- (٤) المرجع السابق ولفظاً لأن زيادتها غير مشهورة في هذا المكان ومعنى لأن الله أهلهم بصيحة بدون إنزال الملائكة.
- (٥) البحر ٣٣١/٧ و ٣٣٢ والمشكل ٢٢٤/٢ والتبيان ٢٩٤/٢ والبيان ١٠٨٠ والسمين ٥٠٦/٤.
- (٦) البحر ٣٣١/٧ و ٣٣٢.
- (٧) السابق.
- (٨) ساقط من «ب».
- (٩) الدر المصون ٥٠٦/٤.
- (١٠) في «ب» التهية.
- (١١) ما بين القوسين كله ساقط من «ب».

فالجواب: تبيين<sup>(١)</sup> الفرق بينه وبينهم لأنهما من قبيلة واحدة وأيضاً فالعذاب كان مختصاً بهم أكرم أحدهما غاية الإكرام بسبب<sup>(٢)</sup> الإيمان وأهين الآخر غاية الإهانة بسبب الكفر ونسبهما من قبيلة واحدة<sup>(٣)</sup> وأيضاً فالعذاب كان مختصاً بهم وهم أقاربه لأن غيرهم من قوم الرسل آمنوا بهم فلم يُصِبْهُمْ العذاب .

فإن قيل: لم خصص عدم الإنزال بما بعده والله تعالى لم ينزل عليهم جنداً قبله أيضاً فما فائدة التخصيص؟ .

فالجواب: أن استحقاقهم العذاب كان بعده حيث أصروا واستكبروا فبين حال الإهلاك .

فإن قيل: قال: «من السماء» وهو تعالى لم ينزل عليهم ولا أرسل إليهم جنداً من الأرض فما فائدة التقييد؟ .

فالجواب من وجهين:

أحدهما: أن يكون المراد ما أنزلنا عليهم جنداً بأمر من السماء فتكون للعموم .  
والثاني: أن العذاب نزل عليهم من السماء فبين أن النازل لم يكن جنداً وإنما كان بصيحة أخذتهم وخرت ديارهم .

فإن قيل: أي فائدة في قوله: «وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ» مع قوله: «وَمَا أَنْزَلْنَا» وهو يستلزم أن لا يكون من المنزّلين؟ .

فالجواب: أن قوله: «وما كنا» أي ما كان ينبغي أن ينزل<sup>(٤)</sup>، لأن الأمر كان يتم بدون ذلك والمعنى وما أنزلنا وما كنا محتاجين إلى الإنزال أو وما أنزلنا وما كنا منزلين في مثل تلك الواقعة جنداً في غير تلك الواقعة أي وما أنزلنا على قومه من بعده أي على قوم حبيب من بعد قتله<sup>(٥)</sup> من جنده<sup>(٦)</sup> وما كنا منزلين ما ننزله على الأمم إذا أهلكتناهم كالطوفان والصّاعقة والريح .

فإن قيل: فكيف أنزل الله جنوداً في يوم «بدر» وفي غير ذلك حيث قال تعالى: ﴿رِيحًا وَخُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٩] .

فالجواب: أن ذلك تعظيماً لمحمد - عليه (الصلاة و) السلام - وإلاً لكان تحريك ريشة من جناح ملك كافيّاً في استئصالهم ولم تكن رسل (عيسى)<sup>(٧)</sup> - عليه الصلاة

(١) في «ب» لبيين .

(٢) وانظر في هذا الفخر الرازي ٢٦ / ٦١ . (٤) في «ب» ينزل بالياء .

(٥) كذا هي هنا وفي البغوي . انظر: البغوي ٦ / ٧ وفي «ب» فقل تحريف .

(٦) في «ب» جند وهو الموافق للبغوي المرجع السابق .

(٧) سقط من «ب» .

والسلام - في درجة محمد - عليه السلام<sup>(١)</sup> - ثم بين الله تعالى عقوبتهم فقال: «إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً».

قوله: «إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً» العامة على النصب على أن «كان» ناقصة واسمها ضمير الأخذ لدلالة السياق عليها و «صَيْحَةً» خبرها. وقرأ أبو جعفر وشيبة ومعاذ القاري<sup>(٢)</sup> برفعها<sup>(٣)</sup> على أنها التامة أي إن وَقَعَ وَحَدَّثَ وكان ينبغي أن لا يلحق تاء التانيث للفصل «بيلا» بل الواجب في غير ندور واضطرار حذف التاء<sup>(٤)</sup> نحو: مَا قَامَ إِلَّا هُنْدٌ<sup>(٥)</sup>. وقد شد الحسن وجماعة فقرأوا: «لَا تُرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ»<sup>(٦)</sup> [الأحقاف: ٢٥] كما سيأتي إن شاء الله تعالى وقوله:

٤١٧٥ - ..... وَمَا بَقِيَتْ إِلَّا الضُّلُوعُ الجَرَاشِعُ<sup>(٧)</sup>  
وقوله:

٤١٧٦ - مَا بَرِئْتَ مِنْ رَبِّةٍ وَذَمَّ فِي حَزْبِنَا إِلَّا بَنَاتُ العَمِّ<sup>(٨)</sup>  
قال الزمخشري: أصله إن كان<sup>(٩)</sup> شيء إلا صيحة فكان الأصل أن يذكر لكنه تعالى أتت لما بعده من المفسر وهو الصيحة وقوله: «وَاحِدَةً» تأكيد لكون الأمر هيئاً<sup>(١٠)</sup> عنده وقوله: «فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ» إشارة إلى سرعة الهلاك فإن خمودهم كان من الصيحة في وقتها لم يتأخر ووصفهم بالخمود في غاية الحسن لأن الحي فيه الحرارة الغريزية وكلما كانت الحرارة أوفر كانت القوة الغضبية والشهوانية<sup>(١١)</sup> أتم وهم كانوا كذلك أما الغضب

(١) انظر: تفسير الرازي ٢٦/٦١ و ٦٢.

(٢) هو معاذ بن الحارث ويقال أبو حليلة الأنصاري المدني المعروف بالقاري روى عن نافع وابن سيرين وحدث عن نافع مولى ابن عمر توفي سنة ٦٣ هـ. انظر: غاية النهاية ٢/٣٠١ و ٣٠٢.

(٣) ذكرها في المحتسب ٢/٢٠٦ ومعاني الفراء ٢/٣٧٥ ومختصر ابن خالويه ١٢٥ وهي من القراءات العشر المتواترة انظر النشر ٢/٣٥٣ والإنحاف ٣٦٤.

(٤) حيث إن من وجوب تانيث الفعل أن لا يفصل بينه وبين الفاعل أو نائبه بفواصل.

(٥) المحتسب ٢/٢٠٧.

(٦) وهي قراءة مالك بن دينار وأبي رجاء والجحدري وغيرهم. وهي من الشواذ من الأربعة فوق العشرة وستأتي بالتفصيل. انظر: البحر ٧/٣٣٢ والإنحاف ٣٩٢.

(٧) عجز بيت من الطويل لذي الرمة صدره: طَوَى النَحْرَ والأَجْوَاثُ مَا فِي غُرُوضِهَا. والنحر: ضرب الأعقاب والاستحثاث في السير. والأجواز: الأمحال. والغروض جزام الرمل. والجراشع المنتفخ الجنين. وشاهده: فصل ما بين الفعل والفاء ب «إلا» المانعة من التانيث. وإذا كان هذا لم تجيء التاء إلا في الشعر كما رأينا في «بقيت».

(٨) رجز مجهول القائل يصف قومه بالمنعة وحماية الأعراض. والشاهد: تانيث الفعل مع طول الفصل بيلاً. والأكثر التذكير وضرورة الشعر تبيح ذلك. وانظر: البحر ٧/٣٣٢ والتصريح ١/٢٧٩ والهمع ٢/١٧١ والأشموني ٢/٥٢ والدر المصون ٤/٥٠٧.

(٩) الكشف ٣/٣٢٠.

(١٠) و (١١) قالهما الفخر الرازي في تفسيره الكبير ٢٦/٦٢.

فإنهم قتلوا مؤمناً كان ينصحهم وأما الشهوة فلأنهم احتملوا العذاب الدائم بسبب استيفاء اللذات الخالية فإذا كانوا كالنار الموقدة لأنهم كانوا جبارين ومستكبرين كالنار ومن خلق منها<sup>(١)</sup>. «فَإِذَا هُمْ حَامِدُونَ» مَيّتون. قال المفسرون: أخذ جبريل بعضادتي باب المدينة ثم صاح بهم صيحة واحدة فإذا هُمّ خامدون ميتون.

قوله: «يَا حَسْرَةَ» العامة على نصبها. وفيه<sup>(٢)</sup> وجهان:

أحدهما: أنها منصوبة على المصدر والمنادى محذوف تقديره يا هؤلاء تَحَسَّرُوا حَسْرَةَ<sup>(٣)</sup>.

والثاني: أنها منونة لأنها منادى منكر فنصبت على أصلها<sup>(٤)</sup> كقوله:

٤١٧٧ - فَيَا رَاكِباً إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلْنَا نَدَامَايَ مِنْ نَجْرَانَ أَنْ لَا تَلَاقِيَا<sup>(٥)</sup>

ومعنى النداء هنا على المجاز، كأنه قيل: هذا أوانك فاحضري. وقرأ قتادة وأبي<sup>(٦)</sup>

- في أحد وجهيه - يا حسرة بالضم<sup>(٧)</sup> جعلها مقبلاً عليها وأبي أيضاً وابن عباس وعلي بن الحسين «يَا حَسْرَةَ الْعِبَادِ<sup>(٨)</sup>» بالإضافة فيجوز أن تكون الحسرة مصدراً مضافاً لفاعله أي يَتَحَسَّرُونَ على غيرهم لما يرون من عذابهم وأن يكون مضافاً لمفعوله أي يَتَحَسَّرُ عليهم (من)<sup>(٩)</sup> غيرهم<sup>(١٠)</sup>. وقرأ أبو الزناد<sup>(١١)</sup> وابن هزمز<sup>(١٢)</sup> وابن جُنْدُب<sup>(١٣)</sup> «يَا حَسْرَةَ» بالهاء

(١) انظر: الفخر الرازي المرجع السابق. (٢) في «ب» وفيها.

(٣) قاله أبو البقاء في التبيان ١٠٨١ ونقلت في الدر المصون ٥٠٧/٤.

(٤) قال بذلك مكي في المشكل ٢٢٤/٢ والنحاس في الإعراب ٣٩١/٣ وأبو البقاء في التبيان ١٠٨١، والزمخشري في الكشاف ٣٢٠/٢ والسمين في الدر المصون ٥٠٧/٤ والزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٢٨٤/٤ وابن الأنباري في البيان ٢٩٤/٢ ولكنه جعلها على النداء الشبيه بالمضاف؛ والقراء في المعاني ٣٧٥/٢ ومجيزاً فيه الرفع.

(٥) من بحر الطويل لعبد يغوث بن أبي وقاص من قصيدة قالها وهو في الأسر. والشاهد «يَا رَاكِباً» حيث نصب المنادى لأنه نكرة غير مقصودة لأنه لم يقصد راكباً بعينه كقول الأعمى: يا رجلاً خذ بيدي. ونجران مكان لقبيلة. وعرضت: بلغت العروض وهي مكة والمدينة وما حولها. وقد تقدم.

(٦) ابن كعب الصحابي الأنصاري سيّد القراء انظر: غاية النهاية ٣١/١.

(٧) من الشواذ غير المتواتر، وانظر: مختصر ابن خالويه ١٢٥، والبحر المحيط ٣٣٢/٧، والدر المصون ٥٠٨/٤.

(٨) الكشاف ٣٢١/٣ والبحر ٣٣٢/٧ والمحتسب ٢٠٨/٢ ومختصر ابن خالويه ١٢٥ ومعاني القراء ٢/٣٧٥ وهي من الشواذ.

(٩) زيادة من «أ» لا معنى لها.

(١٠) وانظر: المحتسب ٢٠٨/٢ والدر المصون ٥٠٨/٤.

(١١) هو ابن ذكوان وقد ترجم له.

(١٢) هو عبد الرحمن بن هرمز أحد البصريين الأوائل أبو داود المدني تابعي جليل. أخذ عن أبي هريرة وابن عباس. مات سنة ١١٧ هـ. انظر: طبقات القراء ٣٨١/١.

(١٣) مسلم بن جُنْدُب أبو عبد الله الهذلي. مولا هم القاصّ تابعي مشهور. عرض على ابن عباس بن أبي =

(المهملة)<sup>(١)</sup> المبدلة من تاء التانيث وصلًا<sup>(٢)</sup> وكأنهم أجزروا الوصل مُجَرَى الوقف وله نظائر مرت<sup>(٣)</sup>. وقال صاحب اللوامح<sup>(٤)</sup> وقفوا بالهاء مبالغة في التحسر لما في الهاء من التآهة بمعنى التأوه ثم وصلوا على<sup>(٥)</sup> تلك الحال. وقرأ ابن عباس أيضاً: يا حَسْرَةَ بفتح التاء<sup>(٦)</sup> من غير تنوين ووجهها أن الأصل يا حسرتنا فاجتزىء بالفتحة عن الألف كما اجتزىء بالكسرة عن الياء<sup>(٧)</sup> ومنه:

٤١٧٨ - وَلَسْتُ بِرَاجِعٍ مَا فَاتَ مِنِّي بِلَهْفٍ وَلَا بِلَيْتٍ وَلَا لَوَأْنِي<sup>(٨)</sup>

أي بلهفها<sup>(٩)</sup> بمعنى لهفي. وقرىء: يا حَسْرَتًا بالألف كالتي في الزمر<sup>(١٠)</sup>. وهي شاهدة لقراءة ابن عباس وتكون التاء لله تعالى، وذلك على سبيل المجاز دلالة على فرط هذه الحسرة وإلا فالله تعالى لا يوصف بذلك<sup>(١١)</sup>. قوله: «مَا يَأْتِيهِمْ» هذه الجملة لا محل لها لأنها مفسره لسبب الحسرة عليهم<sup>(١٢)</sup>. وهذا الضمير يجوز أن يكون عائداً إلى قوم حبيب أي ما يأتيتهم من رسول من الرسل الثلاثة. ويجوز أن يعود إلى الكفار المصريين<sup>(١٣)</sup>. وقوله: «إِلَّا كَأَنَّا» جملة حالية من مفعول «يَأْتِيهِمْ»<sup>(١٤)</sup>.

= ريعة عرض عليه نافع حدث عنه ابن ابنه وزيد بن أسلم وكان من وضحاء زمانه. مات سنة ١٣٠ هـ غاية النهاية ٢/٢٩٧.

- (١) سقط من «ب».
- (٢) من القراءة الشاذة نقلها ابن جني في المحتسب وابن خالويه في المختصر المرجعين السابقين وانظر: الكشاف ٣/٣٢١ والبحر ٧/٣٣٢.
- (٣) كقوله تعالى: «لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ» الآية ١٥٦ آل عمران وكقوله: «يَا حَسْرَتْنَا عَلَى مَا قَرَّطْنَا فِيهَا» الآية ٣١ من الأنعام.
- (٤) أبو الفضل الرازي وسبق ترجمته.
- (٥) البحر ٧/٣٣٢ والدر المصون ٤/٥٠٨.
- (٦) المرجعان السابقان وانظر: المختصر ١٢٥.
- (٧) البحر والدر المصون المرجعان السابقان.
- (٨) من الواقر ولم يُعْرَظَ فيما عثرت عليه من مراجع. وشاهده: حذف الألف من قوله: «لهف» اجتزاء بالفتحة عنها وهذه الألف منقلبة عن ياء المتكلم «لهفي» فقوله: «بالكسرة عن الياء» راجع إلى الأصل. وانظر: المحتسب ١/٢٧٧ و٣٢٣ والألمالي الشجرية ٢/٧٤ والإنصاف ٣٩٠ و٤٤٩ و٥٤٦ والتصريح ٢/١٧٧ والأشموني ٢/٢٨٢ و٣/١٥٥ والخصائص ٣/١٣٥ ومعاني الأخصف ١/٦٥.
- (٩) في «أ» بلهف.
- (١٠) وهي قوله تعالى: «أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتْنَا عَلَى مَا قَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ» ٥٦ من الزمر ولم يذكر في البحر من قرأ بها.
- (١١) البحر المحيط السابق والدر المصون ٤/٥٠٩.
- (١٢) التبيان ١٠٨١ والدر المصون ٤/٥٠٩.
- (١٣) في «ب» والمعتريين.
- (١٤) الدر المصون ٤/٥٠٩.

## فصل

الألف واللام في العباد قيل: للعهد وهم الذين أخذتهم الصيحة فيا حسرة على أولئك. وقيل: لتعريف الجنس أي جنس الكفار المكذبين<sup>(١)</sup> وقيل: المراد بالعباد الرسل الثلاثة كأن الكافرين يقولون عند ظهور اليأس يا حسرة عليهم يا ليتهم كانوا حاضرين لنؤمن بهم ثانياً<sup>(٢)</sup>، وهم قوم (حبيب)<sup>(٣)</sup>. وفي التحسر وجوه:

**الأول:** لا متحسر<sup>(٤)</sup> أصلاً في الحقيقة إذ المقصود بيان (أن)<sup>(٥)</sup> ذلك وقت طلب الحسرة حيث تحققت الندامة عن تحقق العذاب وههنا بحث لغوي وهو أن المفعول قد يرفض كثيراً إذا كان الغرض غير متعلق به يقال<sup>(٦)</sup>: فلان يعطي ويمنع ولا يكون هناك شيء مُعطى ولا شخص معطى، إذ المقصود أن له المنع والإعطاء، ورفض المفعول كثير وما نحن فيه رفض الفاعل وهو قليل. والوجه فيه أن ذكر التحسر<sup>(٧)</sup> غير مقصود وإنما المقصود أن الحسرة متحققة في خلال الوقت.

**الثاني:** أن القائل يا حسرة هو الله على الاستعارة تعظيماً للأمر وتهويلاً له وحينئذ يكون كالألفاظ التي وردت في حق الله كالضحك والسُخرية والتعجب والتَمَيُّي. أو يقال ليس معنى قوله يا حسرة أو يا ندامة أن القائل متحسر أو نادم<sup>(٨)</sup> بل المعنى أنه مخبر عن الوقوع وقوع الندامة ولا يحتاج إلى التجوز في كونه تعالى قاتلاً يا حسرة بل تجرّبه على حقيقته إلا في النداء فإن النداء مجاز والمراد الإخبار.

**الثالث:** أن المتلهفين من المسلمين والملائكة لما حكى عن حبيب أنه حين القتل كان يقول اللهم اهد قومي وبعد ما قتلوه وأدخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون فيجوز أن يتحسر المسلم للكافر ويتندم له وعليه. وقوله: «مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ» هذا سبب الندامة<sup>(٩)</sup>.

## فصل

قال الزهري الحسرة لا تدعى، ودعاؤها تنبيه للمخاطبين، وقيل العرب تقول: يا حَسْرَتًا ويا عَجَبًا على طريق المبالغة. والنداء عندهم بمعنى التنبيه فكأنه يقول: أيها العجب هذا وقتك وأيتها الحسرة هذا أو أوائك وحقيقة المعنى أن هذا زمان الحسرة والتعجب<sup>(١٠)</sup>.

(١) قالهما الرازي في تفسيره ٦٢/٢٦. (٢) السابق ٦٣/٢٦.

(٣) سقط من (ب). (٤) في (ب) تحسر.

(٥) سقط من (ب). (٦) في «ب» فيقال.

(٧) في «ب» المتحسر. (٨) في «ب» مَحْسَرًا أو نَادِمًا. بالنصب.

(٩) وانظر هذا كله في تفسير الإمام الفخر الرازي ٦٣/٢٦.

(١٠) انظر: معالم التنزيل للبغوي ٧/٦ و ٨.

قوله: «أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا» لما بين حال الأولين قال للحاضرين: أَلَمْ يَرَوْا الْبَاقُونَ ما جرى على من<sup>(١)</sup> تقدم منهم. قوله: «كم أهلكتنا» كم هنا خبرية<sup>(٢)</sup> فهي مفعول «بأهلكنا» تقديره كثيراً من القرون أهلكتنا وهي مُعَلَّقة<sup>(٣)</sup> «لِيَرَوْا» ذهاباً<sup>(٤)</sup> بالخبرية مذهب الاستفهامية، وقيل: بل «يَرَوْا» علمية و «كم» استفهامية كما سيأتي بيانه<sup>(٥)</sup> و «أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لا يرجعون» فيه أوجه:

أحدها: أنه بدل من «كم»<sup>(٦)</sup> قال ابن عطية و «كم» هنا خبرية و «أنهم» بدل منها، والرؤية بصرية<sup>(٧)</sup> قال أبو حيان وهذا لا يصح لأنها إذا كانت خبرية (كانت)<sup>(٨)</sup> في موضع نصب «بأهلكنا» ولا يسوغ فيها إلا ذلك وإذا كانت كذلك امتنع أن يكون «أنهم» بدلاً منها لأن البدل على نية تكرار العامل ولو سلطت «أهلكنا (هم)»<sup>(٩)</sup> على «أنهم» لم يصح ألا ترى أنك لو قلت: أهلكنا انتفى رجوعهم أو أهلكنا كونهم لا يرجعون لم يكن كلاماً لكن ابن عطية توهم أن (يَرَوْا) مفعولة «كم» فتوهم أن قوله: «أنهم إِلَيْهِمْ لا يَرْجِعُونَ» بدل منه لأنه لا يسوغ أن يسقط عليه فتقول: أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لا يرجعون. وهذا وأمثاله دليل على ضعفه في (علم)<sup>(١٠)</sup> العربية<sup>(١١)</sup>. قال شهاب الدين: وهذا<sup>(١٢)</sup> الإنحاء عليه تحامل عليه لأنه لقائل أن يقول: كم قد جعلها خبرية والخبرية يجوز أن تكون معمولة لما قبلها عند قوم فيقولون: «مَلَكْتُ كَمَ عَبْدٍ»<sup>(١٣)</sup> فلم يلزم الصدر<sup>(١٤)</sup> فيجوز أن يكون بناء هذا التوجيه على هذه اللغة وجعل «كم» منصوبة «بِيَرَوْا» و «أنهم» بدل منها. وليس هو ضعيفاً في العربية<sup>(١٥)</sup> حيثئذ.

(١) في «ب» أَلَمْ يَرَوْا. وفي الرازي: أي الباقون لا يرون ما جرى على من تقدمهم.

(٢) قاله السمين في الدر ٥٠٩/٤ وأبو البقاء في التبيان ١٠٨١ وابن الأنباري في البيان ٢٩٤/٢ والزجاج في معانيه ٢٨٥/٤ ومكي في المشكل ٢٢٥/٢ والنحاس في الإعراب ٣/٣٩٣ و ٣٩٢ والقرطبي ٢٤/١٥.

(٣) الكشاف ٣/٣٢١. (٤) في «ب» إذهاباً.

(٥) وهو قول الفراء في معانيه ٣٧٦/٢ وقد أجاز الوجه الأول أيضاً انظر: المرجع السابق.

(٦) معاني الفراء ٣٧٦/٢ ومعاني الزجاج ٢٨٥/٤ والبيان ٢٩٤/٢ والمشكل ٢٢٥/٢ والتبيان ١٠٨١ والكشاف ٣/٣٢١.

(٧) البحر المحيط ٧/٣٣٣. (٨) سقط من «ب».

(٩) زيادة من «ب» على البحر و «أ». (١٠) زيادة من «أ».

(١١) وانظر: البحر المحيط ٧/٣٣٣ مع اختلاف يسير في الألفاظ.

(١٢) الدر المصنوع ٤/٥١٠.

(١٣) فتكون مفعولاً به كما ارتأى ابن عطية. وهذا الموقف من السمين يجعلنا نحكم بأنه أيد رأي ابن عطية وخالف رأي أستاذه أبي حيان.

(١٤) في «ب» المصدر تحريف.

(١٥) الحقيقة أن «كم» بنوعها الخبرية والاستفهامية تلزم الصدر. وقد رأى ابن عصفور فيما نقله عنه ابن هشام في المغني في: «أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لا يَرْجِعُونَ» و «أَوْ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ» رأى =

الثاني: أن «أَنْهُمْ» بدل من الجملة قبله. قال الزجاج<sup>(١)</sup>: وهو بدل من الجملة والمعنى ألم يروا أن القرون التي أهلكتناهم لا يرجعون لأن عدم الرجوع والهلاك بمعنى. قال أبو حيان وليس بشيء لأنه ليس بدلاً صناعياً وإنما فسر المعنى ولم يلحظ صناعة النحو<sup>(٢)</sup> قال شهاب الدين: بل هو بدل صناعي لأن الجملة في قوة المفسر إذ هي سادة مسد مفعولي «يروا» فإنها معلقة لها كما تقدم<sup>(٣)</sup>.

الثالث: قال الزمخشري: أَلَمْ يَرَوْا أَلَمْ يَعْلَمُوا وهو<sup>(٤)</sup> معلق عن العمل في «كَمْ» لأن «كم» لا يعمل فيها عامل قبلها سواء كانت للاستفهام (أو للخبر<sup>(٥)</sup>)، لأن أصلها الاستفهام) إلا أن معناها نافذ في الجملة كما نفذ في قولك: (أَلَمْ يَرَوْا<sup>(٦)</sup>) إن زيدا مُنْطَلِقٌ و «أن» لم يعمل في لفظه و «أَنْهُمْ إِيَّاهُمْ لَا يَرْجِعُونَ» بدل من «كَمْ أَهْلَكْنَا» على المعنى لا على اللفظ تقديره: ألم يروا كثرة إهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين إليهم.

قال أبو حيان قوله «لأن كم»<sup>(٧)</sup> لا يعمل فيها ما قبلها كانت للاستفهام أو للخبر» ليس على إطلاقه لأن إذا كان حرف جر أو اسماً مضافاً جاز أن يعمل فيها نحو: عَلَيَّ كَمْ جُدْعَ بَيْتِكَ؟ وأين كم رئيس صَحِبْتَ؟ كَمْ فَقِيرٍ تَصَدَّقْتَ أَرْجُو الثَّوَابَ؟ وأين كم شهيد في سبيل الله أحسنت إليه. وقوله أو الخبرية<sup>(٨)</sup> الخبرية فيها لغة الفصيحة كما ذكر لا يتقدمها عامل إلا ما ذكرنا من الجار، واللغة الأخرى حكاهم الأخفش<sup>(٩)</sup> يقولون: مَلَكَتْ كَمْ غُلَامٍ أَي مَلَكَتْ كَثِيراً مِنَ الْغُلَامِ فَكَمَا يَجُوزُ تَقْدِيمُ الْعَامِلِ عَلَى «كَثِيراً»<sup>(١٠)</sup> كذلك يجوز على «كم» لأنها بمعناها، وقوله: لأنها<sup>(١١)</sup> أصلها الاستفهام والخبرية ليس أصلها الاستفهام بل كل واحدة أصل<sup>(١٢)</sup> ولكنهما لفظان مشتركان بين الاستفهام والخبر وقوله: لأن معناها نافذ في الجملة يعني معني «يَرَوْا» نافذ في الجملة لأنه جعلها معلقة وشرح «يروا»

= أن «كم» معمولة لما قبلها من الفعل وقوله: «إن ذلك على لغة رديئة حكاهم الأخفش عن بعضهم أنه يقول: «ملكتم كم عبيد» فيخرجها عن الصدر. خطأ عظيم إذ خَرَجَ كلام الله على هذه اللغة. بتصرف من المعني ١٨٤ و ١٨٣.

(١) معاني الزجاج وإعرابه ٢٨٥/٤ وإعراب القرآن المنسوب له ٥٤٧ و البحر ٣٣٣/٧.

(٢) البحر ٣٣٣/٧. (٣) الدر ٥١٠/٤.

(٤) في «ب» إذ هو.

(٥) ما بين القوسين ساقط من (ب) وهو في الكشاف.

(٦) سقط من «ب». وقاله في الكشاف ٣٢١/٣.

(٧) من المناقشات التي ناقش فيها الإمام أبو حيان الزمخشري انظر الكشاف ٣٢١/٣ والبحر ٣٣٣/٧.

(٨) الأصح: أو للخبر كما يقتضيه السياق والحوار.

(٩) المعني ١٨٤ كما سبق. (١٠) في البحر «كثير».

(١١) في «ب» لأنه. (١٢) وفيها أصلها وهما يخالفان البحر.

بيعملوا، وقوله: كما نفذ في قولك: «أَلَمْ يَرَوْا إِنْ زِيداً لَمُنْطَلِقٌ» يعني أنه لو كان معمولاً من حيث اللفظ لامتنع دخول اللام ولفتح «أن» فإن «إن» التي في خبرها اللام من الأدوات المعلقة لأفعال القلوب، وقوله: «أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ» إلى آخر كلامه لا يصح أن يكون بدلاً على اللفظ ولا على المعنى أما على اللفظ فإن زعم أن «يروا» معلقة فتكون كم استفهامية فهي معمولة «أَهْلَكْنَا» و «أَهْلَكْنَا» لا يتسلط على «أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَزْجَعُونَ» كما تقدم. وأما على المعنى فلا يصح أيضاً لأنه قال تقديره: أي على (هذا)<sup>(١)</sup> المعنى ألم يروا كثرة إهلاكنا القرون من قبلهم كَوْنَهُمْ غَيْرٌ<sup>(٢)</sup> راجعين إليهم. فكونهم غير كذا ليس كثرة الإهلاك فلا يكون بدل كل من كل وليس بعض الإهلاك فلا يكون (بدل بعض)<sup>(٣)</sup> من كل ولا يكون) بدل اشتمال لأن بدل الاشتمال يصح أن يُضَافَ إلى ما أبدل منه وكذلك بدل بعض من كل وهذا لا يصح هنا لا نقول: ألم يروا انتفاء رجوع كثرة إهلاكنا القرون من قبلهم وفي بدل الاشتمال نحو: أعجبتني الجارية ملاحظتها وسُرِقَ<sup>(٤)</sup> زيد ثوبه يصح أعجبتني ملاحظة الجارية وسُرِقَ ثوبُ زَيْدٍ.

الرابع: أن يكون أنهم بدلاً من موضع «كم أهلكنا» والتقدير ألم يروا أنهم إليهم قاله أبو البقاء<sup>(٥)</sup> ورده أبو حيان بأن «كم أهلكنا» ليس بمعمول<sup>(٦)</sup> «ليروا». قال شهاب الدين: وقد تقدم أنها معمولة لها على معنى أنه معلقة<sup>(٧)</sup> لها.

الخامس: وهو قول الفراء: أن يكون «يروا» عاملاً في الجملتين من غير<sup>(٨)</sup> إبدال ولم يبين كيفية العمل وقوله الجملتين يجوز لأن «أنهم» ليس بجمله لتأويله بالمفرد إلا أنه مشتمل على مُسْنَدٍ ومُسْنَدٍ إليه.

السادس: (أن)<sup>(٩)</sup> «أَنَّهُمْ» معمول لفعل محذوف دل عليه السِّيَاق والمعنى تقديره: فَصَيَّنَا وَحَكَمْنَا أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لا يرجعون ويدل على صحة هذا قول<sup>(١٠)</sup> ابن عباس والحسن إنَّهُمْ بكسر الهمزة على الاستئناف<sup>(١١)</sup> والاستئناف قطع لهذه الجملة عما قبلها. فهما

(١) سقط من (ب). (٢) وانظر: البحر ٣٣٣/٧.

(٣) ما بين القوسين سقط من «ب». (٤) التصحيح من «ب» والبحر المحيط وفي «أ» شرق.

(٥) التبيان ١٠٨١. (٦) البحر المحيط ٣٣٣/٧ بالمعنى.

(٧) الدر المصون ٥١١/٤.

(٨) قال في المعاني ٣٧٦/٢: «وكم في موضع نصب من مكانين: أحدهما: أن توقع «يروا» على «كم» وهي قراءة عبد الله أو لم يروا من أهلكنا. فهذا وجه والآخر أن توقع أهلكنا على كم وتجعله استفهاماً كما تقول: علمت كم ضرتك غلامك وقال: وقوله: «أنهم إليهم» فتحت ألفها لأن المعنى ألم يروا أنهم إليهم لا يرجعون.

(٩) سقط من «ب».

(١٠) في «ب» قراءة وهو الأقرب. وهذا الرأي السادس قاله أبو حيان في البحر ٣٣٤/٧.

(١١) من الشواذ وانظر المعاني للفراء ٣٧٦/٢ ومختصر ابن خالويه ١٢٥ والتبيان ١٠٨١ والكشاف ٣/٣٢١.

مقولان تكون معمولة لفعل محذوف يقتضي انقطاعها عما قبلها والضمير في «أنهم» عائد على معنى كم<sup>(١)</sup>، وفي «إليهم» عائد على ما عاد عليه واو «يَرَوُا». (وقيل<sup>(٢)</sup>: بل الأول عائد على ما عاد عليه واو يَرَوُا) والثاني عائد على الْمُهْلِكِينَ<sup>(٣)</sup>.

## فصل

المعنى ألم يخبروا أهل مكة كم أهلكنا قبلهم من القرون والقرون أهل كُُلِّ عَضْرٍ سماوا بذلك لاقترانهم في الوجود أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لا يَزْجَعُونَ أي لا يعودون إلى الدنيا أفلا يعتبرون<sup>(٤)</sup>. وقيل: لا يرجعون أي الباقون لا يرجعون إلى الْمُهْلِكِينَ بنسب<sup>(٥)</sup> ولا ولادة أي أهلكناهم وقطعنا نسلهم ولا شك أن الإهلاك الذي يكون مع قطع النسل أتم وأعم. والأول أشه نقلًا والثاني أظهر عقلاً<sup>(٦)</sup>.

قوله: «وإن كُُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ» تقدم في هود<sup>(٧)</sup> تشديد «لَمَّا» وتخفيفها والكلام في ذلك، وقال ابن الخطيب في مناسبة وقوع «لما» المشددة موقع «إلا»: إن لما كأنها حَرْفًا نفي جمعاً وهما: «لَم» و «مَا» فتأكد النفي وإلا كأنها حرفاً نفي: «إن ولا» فاستعمل أحدهما مكان الآخر انتهى<sup>(٨)</sup>. وهذا يجوز أن يكون أخذه من قول الفراء في إلا في الاستثناء إنها مركبة من «إن ولا» إلا أن الفراء جعل إن مخففة من الثقيلة وجعلها نافية<sup>(٩)</sup>. وهو قول ريك زَدُّه عليه النحويون<sup>(١٠)</sup>. وقال الفراء أيضاً إن لما هذه أصلها لَمَّا فخففت بالحدف وتقدم هذا كله مُوضَّحاً.

(١) الدر المصون ٥١٢/٤. (٢) ما بين القوسين سقط من «ب».

(٣) المرجع السابق. (٤) انظر: زاد المسير ١٥/٧.

(٥) في «ب» بسبب تحريف. (٦) نقله الإمام فخر الدين الرازي في التفسير الكبير ٦٤/٢٦.

(٧) عند قوله تعالى: «وإن كُُلًّا لَمَّا لَيُوفِيَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ» من الآية ١١١ وبين هناك أن نافعاً وابن كثير وأبا عمرو والكسائي قرأوا بتشديد: «لما» والباقون بالتخفيف وشدد «إن» ابن عامر وحفص وحمزة وخفف «إن» نافع وابن كثير، وشددها وحدها أبو عمرو والكسائي وقرأ الزهري وسليمان بن أرقم وأن كلاً لما بتنوين كل ولما بمعنى وإن كلاً ملمومين أي مجموعين. وقرأ أبي: وإن كل لما على أن إن نافية ولما بمعنى إلا. وكما قرئ: وإن كلاً تخفيف إن من الثقيلة، ونست لأبي وإن كل لما بتخفيف الميم وفتح الكاف.

(٨) تفسيره ٦٤/٢٦ و ٦٥.

(٩) وهو أحد وجهيه في المعاني ٣٧٧/٢ في تشديد وتخفيف «لَمَّا» قال: والوجه الآخر من التثقيب أن يجعلوا «لما» بمنزلة إلا مع «إن» خاصة فتكون في مذهبها بمنزلة إنما إذا. وضمت في معنى إلا كأنها «لم» ضمت إليها «ما» فصارا جميعاً استثناء وخرجتا من حد الجحد. ثم يقول: ونرى أن قول العرب «إلا» إنما جمعوا بين «إن» التي تكون جحداً - أي نفيًا - وضموا إليها «لا» فصارا جميعاً حرفاً واحداً وخرجتا من حد الجحد إذ جمعنا فصارتا حرفاً واحداً.

(١٠) وجدت في المغني لابن هشام ٢٨٢ قولاً بهذا المعنى ولم يعقب عليه، قال: وأما قراءة أبي بكر بتخفيف «إن» وتشديد «لما» فتحتمل وجهين:

و «كل» مبتدأ و «جميع» خبره و «مُخَضَّرُونَ» خبر ثان لا يختلف ذلك سواء شددت «لما» أم خففتها<sup>(١)</sup>، لا يقال: إن جميعاً تأكيد لا خبر (لأن)<sup>(٢)</sup> «جميعها» هنا فِعِيل بمعنى مفعول أي مجموعون فكل يدل على الإحاطة والشمول وجميع يدل على الاجتماع فمعناها حمل على لفظها<sup>(٣)</sup>، كما في قوله: ﴿جَمِيعٌ مُنْتَوِرٌ﴾ [القمر: ٤٤] وقدم «جميع» في الموضوعين لأجل الفَوَاصِلِ<sup>(٤)</sup> و «لَدَيْنَا» متعلق بـ«مُخَضَّرُونَ»<sup>(٥)</sup>. فمن شدد<sup>(٦)</sup> «فلما» بمعنى إلا وإن نافية كما تقدم والتقدير: وَمَا كُلُّ إِلَّا جَمِيعٌ<sup>(٧)</sup>، ومن خَفَّفَ «فإن» مخففة (من الثقيلة) واللام فارقة وما مزيدة<sup>(٨)</sup>. هذا قول البصريين<sup>(٩)</sup> والكوفيون يقولون: إن «إن» نافية واللام بمعنى<sup>(١٠)</sup> إلا كما تقدم مراراً.

### فصل

لما بين الإهلاك<sup>(١١)</sup> بين أن من أهلكه ليس بتارك له بل بعده جمع وحبس وحساب وعقاب ولو أن من أهلك ترك لكان الموت راحةً ونعمً ما قال القائل:

٤١٧٩ - ولو آتانا إذا ما مثنا تركنا لكان الموت راحة كل حي

= أحدهما: أن تكون مخففة من الثقيلة ويأتي في «لما» تلك الأوجه.

والثاني: أن تكون إن نافية و «كل» مفعول بإضمار أرى وما بمعنى إلا. وقد قال الفراء: «وأما من شدد لما فإنه - والله أعلم - أراد لمن ما ليوفينهم - هود آية ١١١ - فلما اجتمعت ثلاث ميمات حذفت واحدة فبقيت اثنتان» المعاني ٢٩/٢، وقال في تلك السورة: «وإن كل لَمَنْ ما جميع ثم حذفت إحدى الميمات لكثرتها». المعاني ٣٧٧/٢.

(١) قاله السمين في الدر ٥١٣/٤.

(٢) سقط من نسخة «ب».

(٣) هذا قول الزمخشري في الكشف مع تغيير في بعض الكلم بالزيادة والتوضيح ٣٢١/٣٠٠.

(٤) البحر المحيط ٣٣٤/٧ والدر المصون ٥١٣/٤.

(٥) السابق.

(٦) التشديد لحفص وابن عامر وعاصم. وهي سبعة متواترة. الإتحاف ٣٦٤ والسبعة ٣٣٩ و٣٤٠.

(٧) قاله ابن الأنباري في البيان ٢٩٤/٢ والنحاس في الإعراب ٣٩٣/٣ نقلاً عن سيبويه ومكي في المشكل

٢٢٥/٢ وأبو البقاء في التبيان ٧١٦ والزمخشري في الكشف ٣٢١/٣ وأبو حيان في البحر ٣٤/٧.

(٨) فكل مبتدأ وجميع الخبر وانظر المشكل ٢٢٥/٢ والإعراب ٣٩٣/٤ والبيان ٢٩٤/٢ والكشاف ٣/ والتبيان ٧١٦ والبحر ٣٣٤/٧.

(٩) انظر: المراجع السابقة.

(١٠) قال أبو إسحاق الزجاج في المعاني ٢٨٦/٤: مَن قَرَأَ بالتخفيف «لما» فما زائدة مؤكدة والمعنى إن كل

لجميع لدينا محضرون ومعناه: وما كل إلا جميع لدينا. ويقرأ لما بالتشديد ومعنى ههنا إلا، تقول:

«سألتك لما فعلت». وقد نقلت رأي الفراء منذ قليل من المعاني ٣٧٦/٢ و٣٧٧. وقد صرح الفراء في

مكان آخر بأن اللام قد تكون بمعنى إلا فقال: ومعنى إن ضربت لزيداً كمعنى قولك: «مَا ضَرَبْتُ إِلَّا

زَيْدًا». انظر: المعاني ٣٩٥/٢.

(١١) الرازي ٦٥/٢٦.

وَلَكِنَّا إِذَا مِثْنَا بُمِثْنَا وَتُسْأَلُ بِنَفْسِنَا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ

قال الزمخشري: إن قال قائل<sup>(١)</sup>: «كل وجميع» بمعنى واحد فكيف جعل جميعاً خبراً لـ «كل» حيث أدخل اللام عليه إذ التقدير وإن كل لجميع؟ نقول معنى «جميع» مجموع ومعنى «كل» أي كل فرد مجموع مع الآخر مضموم إليه ويمكن أن يقال: «مُحَضَّرُونَ» يعني<sup>(٢)</sup> كما<sup>(٣)</sup> ذكره وذلك لأنه لو قال: وإن جميع لجميع محضرون لكان كلاماً صحيحاً. قال ابن الخطيب: ولم يوجد ما ذكره من الجواب بل الصحيح أن مُحَضَّرُونَ كالصفة للجمع فكأنه قال جميع جميع<sup>(٤)</sup> محضرون كما نقول: الرجل رجل عالم والنبى نبى مرسل. والواو في «وَأَنَّ كُلَّ» يعطف على الحكاية كأنه يقول: بَيَّنْتُ لك ما ذكرت وأبين أن كلاً لَدَيْنَا مُحَضَّرُونَ<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَأَيُّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَيًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ

﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجْرْنَا فِيهَا مِنِ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنَ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾

قوله: «وَأَيُّهُمُ» خبر مقدم و «لَهُمُ» صفتها أو متعلقة «بآية»؛ لأنها (بمعنى)<sup>(٦)</sup> علامة. و «الأرض» مبتدأ<sup>(٧)</sup>. وتقدم تخفيف «الميتة» وتشديدها<sup>(٨)</sup> في أول (آل)<sup>(٩)</sup> عمران<sup>(١٠)</sup>.

ومنع أبو حيان أن يكون «لهم» صفة لآية ولم يبين<sup>(١١)</sup> وَجْهَهُ ولا وجه له وأعرب أبو البقاء «آية» مبتدأ و «لهم» الخبر و «الأرض الميتة» مبتدأ وصفته و «أَحْيَيْنَاهَا» خبره، والعجلة مفسرة «لآية»<sup>(١٢)</sup>.

(١) الكشاف ٣/٣٢١.

(٢) في «ب» يعني.

(٣) في «ب» عما ذكره.

(٤) كذا هنا جمع جمع وفي الرازي: جميع جميع.

(٥) سقط من «ب».

(٥) السابق.

(٧) مشكل إعراب القرآن لمكي ٢/٢٢٦ وإغراب النحاس ٣/٣٩٣ والتبيان ١٠٨٢. وما ذكره أعلى من كون «آية» خبراً مقدماً والأرض مبتدأ مؤخراً هو قول أبي حيان في البحر ٧/٣٣٤ والسمين في الدر ٥١٤/٤.

(٨) فقد شدد أبو جعفر ونافع وخفف الباقون. السبعة ٢٠٣ والإتحاف ٣٦٤.

(٩) سقطت من «ب».

(١٠) عند قوله: ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾. وقال هناك إنها بمعنى المشدد والمخفف وظن البعض أن المخفف يطلق على من مات والمشدد يطلق عليه وعلى من لم يمُت. انظر: اللباب ١/٣٥٠ ب.

(١٢) التبيان ١٠٨٢.

(١١) البحر المحيط ٧/٣٣٤.

وبهذا بدأ ثم قال<sup>(١)</sup>: وقيل؛ فذكر الوجه الأول وكذلك حكى مكِّي أعني أن تكون «آية» ابتداء<sup>(٢)</sup> و «لهم» الخبر وجوز مكِّي أيضاً أن تكون «آية» مبتدأ<sup>(٣)</sup> و «الأرض» خبره وهذا ينبغي أن لا يجوز؛ لأنه لا يترك المعرفة من الابتداء بها ويبتدأ بالثبوت إلا في مواضع للضرورة<sup>(٤)</sup>.

قوله: «أحييناها» تقدم أنه يجوز أن يكون خبر<sup>(٥)</sup> «الأرض» ويجوز أيضاً أن يكون حالاً من «الأرض» إذا جعلناها مبتدأ و «آية» خبر<sup>(٦)</sup> مقدم. وجوز الزمخشري في «أحييناها» وفي «نسلخ» أن يكونا صفتين للأرض والليل وإن كانا معرفين بآل لأنه تعريف بآل الجنسية فهما في قوة النكرة<sup>(٧)</sup>. قال كقوله:

٤١٨٠ - وَلَقَدْ أَمَرُ عَلَى اللَّئِيمِ يُسْبِئِي

لأنه لم يقصد لثيماً بعينه، ورده أبو حيان بأن فيه هدماً للقواعد من أنه لا تنعت

(١) المرجع السابق.

(٢) في «ب» مبتدأ.

(٣) قاله في مشكل إعراب القرآن ٢/٢٢٦.

(٤) بشرط أن تفيد وتحصل الفائدة بأحد أمور ذكرها ابن مالك في ستة أشياء وأوصلها غيره إلى نيف وثلاثين موضعاً وأكثر من ذلك، فمن هذه المواضع أن يتقدم الخبر عليها وهو ظرف أو جار مجرور نحو: في الدار وأن يتقدم عليها نفي نحو: ما خل لنا وأن توصف مثل: رجل من الكرام عندنا، وأن تكون عاملة نحو: رغبة في الخير خير، وأن تكون مضافة نحو: عمل بريرين. وقد جمعها ابن مالك في قوله:

وَلَا يَجُوزُ الْإِبْتِدَاءُ بِالنَّكِرَةِ      مَا لَمْ تَفِدْ كَعِنْدَ زَيْدٍ ثَمَرَةً  
وَهَلْ فَنَتَى فَيْكُمْ؟ فَمَا خَلْ لَنَا      وَرَجُلٌ مِنَ الْكِرَامِ عِنْدَنَا  
وَرِغْبَةٌ فِي الْخَيْرِ خَيْرٌ وَعَمَلٌ      بَرٌّ يَزِينُ، وَلِيَقْسُنْ مَا لَمْ يَقْلْ

وهناك مواضع أخرى، انظرها في شرح ابن عقيل على الألفية ٩٧: ٩٩.

(٥) في قول أبي البقاء السابق.

(٦) ذكره الإمام أبو حيان في بحره ٧/٣٣٤ ونقله عنه السمين في الدرر ٤/٥١٤.

(٧) الكشاف ٣/٣٢١ قال: «لأنه أريد بهما الجنسَان مطلقين لا أرض وليل بأعيانهما فعوملاً معاملة التكرات في وصفهما بالأفعال.

(٨) صدر بيت من الكامل عَجْزَةٌ:

فَمَضَيْتُ ثَمَّتْ قُلْتُ: لَا يَغْنِيَنِي

لرجل من سلول ويعزى لعميرة بن جابر الحنفي. وشاهده «اللتيم يسبني» حيث جعل جملة «يسبني» وصفاً للثيم وهو معرف بآل لأنه مقصود به الجنس فلم يقصد لثيماً بعينه فسأوى النكرة وهو وصف في المعنى حال على اللفظ. وانظر: الكشاف ٣/٣٢١ والكتاب ٣/٢٤ والخصائص ٣/٣٣٠ ودلائل الإعجاز ٢١٩ وابن الشجري ٢/٢٠٣ والمغني ١٠٢ وشرح شواهده للسيوطي ٣١٠ و ٨٤١ والتصريح ١١١/٢ والهمع ٩/١ و ٤٠/٢ والأشموني ١/١٨٠ و ٦٠/٣ و ٦٣ ومعاني الأخفش ١٣٩ والدرر المصون ٤/٥١٤.

المعرفة بنكرة<sup>(١)</sup>. قال: وقد تبعه ابنُ مالك<sup>(٢)</sup> ثم خرج أبو حيان الحمل على الحال أي الأرض مُحْيَاةً والليل مُنْسَلِخاً منه النهار واللثيم شامئاً لي<sup>(٣)</sup>، قال شهاب الدين: وقد اعتبر النحاة<sup>(٤)</sup> ذلك في مواضع فاعتبروا معنى المعرف بأل الجنسية دون لفظه فَوَصَفُوهُ بِالتُّكْرَةِ الصَّرِيحَةِ، نحو: يا لرجل خير منك على أحد الأوجه. وقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ﴾ [العصر: ٢] بعد ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾ [العصر: ٣] وقوله: ﴿أَوِ الْبَطْرِ الْمُرْتَدِّ﴾ [النور: ٣١] و «أَهْلَكَ النَّاسُ الدِّيَارُ الحُمْرُ وَالدَّرْهَمُ البِيضُ»<sup>(٥)</sup>. كل هذا ما روعي فيه المعنى دون اللفظ، وإن اختلف نوع المراعاة، ويجوز أن يكون «أَخْيَيْنَاهَا» استثناءً بين<sup>(٦)</sup> به كونها آيةً.

## فصل

وجه التعلق بما قبله من وجهين:

أحدهما: أنه لما قال: «وإن كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ» كان ذلك (إشارة)<sup>(٧)</sup> إلى الحشر فذكر ما يدل على إمكانه قطعاً لإنكارهم واستبعادهم وإصرارهم وعنادهم فقال: «وآيةٌ لَهُمُ الأَرْضُ المَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا» كذلك يُخَيِّبُ المَوْتَى<sup>(٨)</sup>.

وثانيهما: أنه لما ذكر حال المرسلين وإهلاك المكذبين وكان شُغْلُهُم التوحيد ذكر ما يدل عليه وبدأ بالأرض لكونها مكانهم لا مفارقة لهم منها عند الحركة<sup>(٩)</sup> والسكون. فإن قيل: الأرض آية مطلقه فلم خصها بهم حيث قال: «وآيةٌ لَهُمُ»؟

فالجواب: الآية تعدد وتردد<sup>(١٠)</sup> لمن لم يعرف الشيء بأبلغ الوجوه أما من عرف الشيء بطريق الرؤية لا يذكر له دليل فالنبي - عليه (الصلاة و) السلام - وعباد الله المخلصين عرفوا الله قبل الأرض والسماء فليست الأرض معرفة لهم وهذا كما قال الله تعالى: ﴿سَتُرِيهِمْ مَّآئِنَاتًا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمُ﴾ [فصلت: ٥٣] وقال: ﴿أَوَلَمْ

(١) البحر ٣٣٤/٧ و ٣٣٥.

(٢) قال في التسهيل: «المنعوت به مفرداً أو جملة كالموصول بها منعوتها نكرة أو معرف بأل الجنسية» وانظر: التسهيل ١٦٧.

(٣) بالمعنى من بحره ٣٣٤/٧ و ٣٣٥.

(٤) الدر المصون ٥١٥/٤.

(٥) فالذين في «العصر والنور» والحُمْرُ والبِيضُ كلها صفات روعي فيها المعنى دون اللفظ.

(٦) البحر والدر المصون المرجعان السابقان والكشاف ٣٢١/٣ كما جعل الزمخشري: «نَسَلَخُ» استثناءً كذلك.

(٧) سقط من «ب».

(٨) ولذلك يقول الله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِنَّا نُرْجِعُونَ﴾.

(٩) انظر الفخر الرازي ٦٥/٢٦.

(١٠) في «ب» تَسَرَّدَ. وهو موافق لما في «ب» وهو الأصح.

يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ [فصلت: ٥٣] يعني أنت كفاك الله معرفاً به عرفت كل شيء فهو شهيد لك على كل شيء وأما هؤلاء نبين<sup>(١)</sup> لهم الحق بالآفاق والنفس وكذلك ها هنا الأرض آية لهم، فإن قيل: إن قلنا الآية مذكورة للاستدلال على جواز إحياء الموتى فيكفي قوله: «أُحْيَيْنَاهَا» ولا حاجة إلى قوله: «وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا» وغير ذلك وإن قلنا: إنه للاستدلال على وجود الإله ووحدانيته فلا فائدة في قوله: «الأرض الميتة» فقوله: «الْمَيْتَةُ أُحْيَيْنَاهَا» كافٍ في التوحيد فما فائدة قوله: «وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا»؟ فالجواب: هي مذكورة للاستدلال عليها ولكل ما ذكره الله تعالى فائدة أما فائدة قوله: «وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا» فهو بالنسبة إلى بيان إحياء الموتى لأنه لما أحيا الأرض وأخرج منها حباً كان ذلك إحياء تاماً لأن الأرض المُخْضِرَّة التي<sup>(٢)</sup> لا تنبت الزرع ولا تخرج الحَبَّ دون ما تنبته الحياة، فكانه تعالى قال: الذي أحيا الأرض إحياء كاملاً منبثاً للزرع يحيي الموتى إحياء كاملاً بحيث يدري الأمور وأما بالنسبة إلى التوحيد فلأن فيه تقرير النعمة، كأنه يقول: آية لهم الأرض فإنها مكانهم ومهدهم الذي فيه تحريكهم وإسكانهم والأمر الضروري الذي عنده وجودهم وإمكانهم وسواء كانت ميتة أو لم تكن فهي مكان لهم لا بد لهم منها في نعمة ثم إحيائها نعمة ثانية فإنها تصير أحسن<sup>(٣)</sup> وأنزله ثم إخراج الحَبِّ منها نعمة ثالثة فإن قوتهم تصير في مكانهم وكان يمكن أن يجعل رزقهم في السماء أو الهواء فلا يحصل لهم الوُثُوقُ ثم جعل الحياة منها نعمة رابعة لأن الأرض تنبت الحَبَّ في كل سنة والأشجار<sup>(٤)</sup> بحيث يوجد<sup>(٥)</sup> منها الثمار فيكون بعد الحَبِّ وجوداً ثم فجر منها العيون ليحصل لهم الاعتمال بالحصول ولو كان ماؤها من السماء لحصل ولكن لم يعلم أنها أين تغرس<sup>(٦)</sup> وأين يقع<sup>(٧)</sup> المطر.

## فصل

المعنى «أُحْيَيْنَاهَا» بالمطر «وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا» يعني الحِنْطَةَ والشعير وما أشبههما «فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ» أي من الحَبِّ «وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ» بساتين «مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجْرْنَا فِيهَا» في الأرض «مِنَ الْعُيُونِ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ» الحاصل بالماء<sup>(٨)</sup>.  
قوله: «وَفَجْرْنَا» العامة على التشديد كثيراً لأنها<sup>(٩)</sup> مخففة متعدية، وقرأ جَنَاحُ بِنِ

(١) في «ب» والفخر: تبين.

(٢) في «ب» السقي. وما في الفخر موافق لما هنا في «أ».

(٣) وانظر: تفسير الإمام الفخر الرازي ٦٨/٢٦ و ٦٩.

(٤) في الرازي: وأما الأشجار.

(٥) وفيه: تؤخذ منها الثمار.

(٦) كذا هي هنا وفي الرازي وفي «ب»: الغرس.

(٧) سقط من «ب». وانظر: الرازي ٦٦/٢٦.

(٨) وانظر هذه التفسيرات في القرطبي ٢٥/١٥.

(٩) أي «فجر».

حبيش بالتخفيف<sup>(١)</sup>، والمفعول محذوف على كلتا القراءتين أي يَنْبُوعاً كما في آية: «سُبْحَانَ»<sup>(٢)</sup>.

قوله: «مِنْ ثَمَرِهِ» قيل: الضمير عائد على النخيل؛ لأنه أقرب مذكور وكان من حق الضمير أن يثنى<sup>(٣)</sup> على هذا لتقدم<sup>(٤)</sup> شيئين وهما الأغناب والتخيل إلا أنه اكتفى بذكر أحدهما، وقيل يعود<sup>(٥)</sup> على جنات وعاد بلفظ<sup>(٦)</sup> المفرد ذهاباً بالضمير مذهب اسم الإشارة<sup>(٧)</sup> كقول رؤبة:

٤١٨١ - فِيهَا خُطُوطٌ مِنْ سَوَادٍ وَيَلْقَى كَأَنَّهُ فِي الْجِلْدِ تَوَلِيْعُ الْبَهَقِ<sup>(٨)</sup>

فقيل له<sup>(٩)</sup>، فقال: أردت كأن ذلك وتلك، وقيل: عائد على الماء المدلول عليه بعيون<sup>(١٠)</sup>. وقيل: بل عاد عليه لأنه مقدر أي من العيون. ويجوز أن يعود على العيون. ويعتذر عن إفراده بما تقدم في عوده على جنات، ويجوز أن يعود على الأغناب والنخيل معاً ويعتذر عنه بما تقدم<sup>(١١)</sup> أيضاً. وقال الزمخشري وأصله من «ثَمَرْنَا» لقوله<sup>(١٢)</sup>: «وَفَجَّرْنَا» و «أَيْدِينَا»<sup>(١٣)</sup> فنقل الكلام من التكلم إلى الغيبة على طريق الالتفات<sup>(١٤)</sup>. والمعنى ليأكلوا مما خلقه الله من الثمر. فعلى هذا يكون الضمير عائداً على الله تعالى ولذلك فسر معناه بما ذكر<sup>(١٥)</sup>، وتقدمت هذه القراءات في هذه اللفظ في سورة<sup>(١٦)</sup> الأنعام.

(١) ذكرها ابن خالويه في المختصر ١٢٥ وهي من الشواذ، كما ذكرها الزمخشري في كشافه بدون نسبة. الكشاف ٣/٣٢١.

(٢) يشير إلى الآية ٩٠ من سورة الإسراء: «حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً» فَيَنْبُوعاً في الإسراء مفعول «لتفجر» المضارع الثلاثي.

(٣) في «ب» يبنني. (٤) وفيها: التقدير بشيئين.

(٥) ذكر هذين الرأيين أبو حيان في البحر ٧/٣٣٥ والسمين في الدر ٤/٥١٥ والزمخشري في الكشاف ٣/٣٢٢ وجعلها القرطبي عائداً على ماء العيون. القرطبي ٤٥/٢٤.

(٦) في «ب» لفظ. (٧) المراجع السابقة.

(٨) من الرجز واليَلْقَى سواد وبياض في الجلد. والفعل منه يَلْقَى كَفَرَحَ. والتَوَلِيْعُ استطالة البلق. وشاهده: وضع اسم الإشارة موضع الضمير. وقد نوقش رؤبة في هذا فقال: أردت كأن ذلك وقد تقدم.

(٩) في البحر المحييط: «كيف قلت: كأنه والذي تقدم خطوط فقال: أردت الخ... البحر ٧/٣٣٥ وثبت عن أبي عبيدة: فقلت لرؤبة: إن كانت خطوطاً فقل: كأنها وإن كان سواداً ويَلْقَى فقل: كأنهما. فقال: كأن ذلك ويملك توليع البهق. اللسان: «ولع» ٤٩١٧.

(١٠) نقله القرطبي ١٥/٢٥. (١١) وانظر هذه الأقوال كلها في الدر المصون ٤/٥١٦.

(١٢) كذا هو الأصح من «ب» وما في «أ» كقوله.

(١٣) كذا في النسختين وما في الكشاف: «وجعلنا» بدلاً من «أيدينا».

(١٤) الكشاف ٣/٣٢٢. (١٥) قاله السمين في الدر المصون ٤/٥١٦.

(١٦) يشير إلى قوله: «كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ» الآية ١٤١. وقراءة حمزة والكسائي =

قوله: «وَمَا عَمِلَتْ أَيْدِيهِمْ» في «ما» هذه أربعة أوجه:

أحدها: أنها موصولة<sup>(١)</sup> أي ومن الذي عملته أيديهم من العرس والمعالجة. وفيه تجوز<sup>(٢)</sup> على هذا.

والثاني: أنها نافية<sup>(٣)</sup> أي لم يعلموه هم بل الفاعل له هو الله سبحانه وتعالى، أي وجدوها معمولة ولا صنع لهم فيها. وهو قول الضحاك ومقاتل. وقيل: أراد العيون والأنهار التي لم تعملها يد<sup>(٤)</sup> خلق مثل الدجلة والفرات والنيل ونحوها. وقرأ الأخوان وأبو بكر بحذف الهاء<sup>(٥)</sup>. والباقون: وما عملته بإثباتها. فإن كانت «ما» موصولة فعلى قراءة الأخوين وأبي بكر حذف العائد كما حذف في قوله: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: ٤١] بالإجماع وعلى قراءة غيرهم جيء به على الأصل، وإن كانت نافية فعلى قراءة الأخوين وأبي بكر لا ضمير مقدر ولكن المفعول محذوف أي ما عملت أيديهم شيئاً من<sup>(٦)</sup> ذلك وعلى قراءة غيرهم الضمير يعود على «ثمره» وهي مرسومة بالهاء في غير مصاحف الكوفة وبحذفها فيما<sup>(٧)</sup> عداها، فالأخوان<sup>(٨)</sup> وأبو بكر وافقوا مصاحفهم والباقون غير حفص وافقوها<sup>(٩)</sup> أيضاً وحفص خالف مصحفه وهذا يدل على أن القراءة متلقاة من أفواه الرجال فيكون عاصم قد أقرأها لأبي (بكر)<sup>(١٠)</sup> بالهاء ولحفص بدونها.

الثالث: أنها<sup>(١١)</sup> نكرة موصوفة<sup>(١٢)</sup> والكلام فيها كالكلام<sup>(١٣)</sup> في الموصولة.

والرابع: أنها مصدرية أي ومن عمل<sup>(١٤)</sup> أيديهم والمصدر واقع موقع المفعول

= وآخرين بضم الثاء «ثمره» والميم أيضاً والباقون بالفتح. الإتحاف ٣٦٥ و ٢١٩ والكشاف ٣/٣٢١.  
(١) قيلت في: «معاني القرآن وإغرابه» ٤/٢٨٦ ومعاني الفراء ٢/٣٧٧ والإعراب للنحاس ٣/٣٩٤ ومشكل الإعراب ٢/٢٢٦ والبيان للأنباري ٢/٢٩٥ والتبيان ١٠٨٢ والدر المصون ٤/٥١٦ والكشاف ٣/٣٢٢ والبحر ٧/٣٣٥.

(٢) يقصد المجاز المرسل الذي علاقته اعتبار ما سيكون كقوله: «إني أراي أعصرُ خمرًا».

(٣) الكشاف والتبيان وبقية المزاجع السابقة وانظر: القرطبي ١٥/٢٥.

(٤) في «ب» يدخلونها. تحريف.

(٥) زاد المسير ٧/١٦ والقرطبي ١٥/٢٥ والسبعة ٥٤٠ والإتحاف ٣٦٥ ومعاني الفراء ٢/٣٧٧.

(٦) ولم يرجح ابن الأنباري هذا الوجه قال: «أن تكون نافية في قراءة من قرأ: «عَمِلَتْ» بغير هاء. والوجه الأول - يقصد الموصول - أوجه الوجهين؛ لأنها إذا كانت نافية افتقرت إلى تقدير مفعول لعَمِلَتْ». انظر: البيان ٢/٢٩٥.

(٧) قاله الزمخشري في الكشاف ٣/٣٢٢. (٨) في «ب» لأن الأخوان. بتحريف نحووي.

(٩) لفظ «ها» سقط من «ب».

(١٠) سقط من «ب» عجز المضاف إليه. وانظر: الدر المصون ٤/٥١٧.

(١١) في «ب» أنهما تحريف. (١٢) التبيان لأبي البقاء ١٠٨٢ والسمين ٤/٥١٧.

(١٣) في كونهما في موضع جر عطفاً على ثمره ويجوز أن يكون نصباً على موضع من ثمره.

(١٤) في «ب» أي وما عملت خطأ.

به فيعود المعنى إلى معنى الموصولة<sup>(١)</sup> أو الموصوفة.

## فصل

إذا قلنا: «ما» موصولة يحتمل أن يكون المعنى وما عملته أيديهم بالتجارة كأنه ذكر تَوْعَى ما يأكل الإنسان وهما الزراعة والتجارة (أ) و<sup>(٢)</sup> من النبات ما يؤكل من غير عمل الأيدي كالعنب والتَّمْر وغيرهما ومنه ما يعمل فيه عمل فيؤكل كالأشياء التي لا تؤكل إلا مطبوخة أو كالزيتون الذي لا يؤكل إلا بعد إصلاح<sup>(٣)</sup> ثم لما عدد النعم أشار إلى الشكر بقوله: «أَفَلَا يَشْكُرُونَ» وذكر بصيغة الاستفهام لما تقدم في فوائد الاستفهام<sup>(٤)</sup>. قوله: «سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا» أي الأصناف و «سبحان» عَلَّمَ دال على التسبيح تقديره: سُبِّحَ تَسْبِيحَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ. ومعنى (سبح) <sup>(٥)</sup> نَزَّهَ. (و) <sup>(٦)</sup> وجه تعلق الآية بما قبلها هو أنه تعالى لما قال: «أَفَلَا يَشْكُرُونَ» وشكر الله بالعبادة وهم تركوها وعبدوا غيره فقال: سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وغيره لم يخلق شيئاً. أو يقال: لما بين أنهم أنكروا الآيات ولم يشكروا (بين)<sup>(٧)</sup> ما ينبغي عليه أن يكون عليه العامل<sup>(٨)</sup> فقال «سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ» تَنْزَهُ عن أن يكون له شريك أو يكون عاجزاً عن إحياء الموتى.

قوله: «وَمِمَّا تُنِيبُ الْأَرْضُ» من الثمار والحبوب والمعادن ونحوها، «وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ» يعني الذكور والإناث والدلائل النفسية «وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ» يدخل فيه ما في أقطار السموات وتخوم الأرض.

قوله تعالى: ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمْ اللَّيْلُ نَسَلَخَ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾

قوله: «وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ» كقوله: «وَأَيَّةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ» و «نَسَلَخَ» استعارة بديعة<sup>(٩)</sup> شبه انكشاف ظلمة الليل بكشط الجلد عن الشاة لما استدلت تعالى بأحوال الأرض وهو المكان

(١) ذكر هذا الوجه أبو حيان في البحر ٣٣٥/٧ ومن بعده السمين ٥١٧/٤.

(٢) بهمة زيادة على الفخر الرازي وفي «ب» إذ من النبات.

(٣) انظر: الرازي ٦٨/٢٦.

(٤) لأن الغرض الانتفاع بما هو بين أيديهم والشكر من جهة التدبر فلما لم ينتفعوا قيل لهم ذلك.

(٥) سقط من «ب». (٦) زيادة من «أ» عن «ب» أيضاً.

(٧) سقط كذلك من «ب». (٨) في «ب» العاقل.

(٩) ذكرها الزمخشري في كتابه ٣٢٢/٣ وأبو حيان في بحره ٣٣٥/٧ والسمين في دره المصون ٥١٧/٤.

الكُلِّيُّ استدلال بالليل والنهار وهو الزمان الكُلِّيُّ؛ فإن دلالة الزمان والمكان متناسبة<sup>(١)</sup>؛ لأن المكان لا يستغني عنه الجواهر والزمان لا يستغني عنه الأعراض لأن كل عرض فهو في زمان.

فإن قيل: إذا كان المراد منه الاستدلال بالزمان فليَمَّ حَصَّ الدليل؟!.

فالجواب: أنه لما استدل بالمكان المظلم وهو الأرض استدلال بالزمان المظلم وهو الليل. ووجه آخر وهو أن اللَّيْلَ فيه سكون (الناس)<sup>(٢)</sup> وهدوء الأصوات وفيه النَّوْمُ وهو الموت الأصغر فيكون بعد طلوع الفجر كالنفخ في الصور فيتحرك الناس فذكر الموت كما قال في الأرض: «وَأَيَّةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ» وذكر من الزمان<sup>(٣)</sup> أشبههما<sup>(٤)</sup> بالموت كما ذكر في المكان<sup>(٥)</sup> أشبههما بالموت.

فإن قيل: الليل بنفسه آية فأبي حاجة إلى قوله: «نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ»؟.

فالجواب: أن الشيء تتبين بضده منافعه ومحاسنه ولهذا لم يجعل الله الليل وحده آية في موضع من المواضع إلا وذكر آية النهار معها.

قوله: «فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ» أي داخلون في الظلام كقوله: «مُضْجِحِينَ»<sup>(٦)</sup> و «إِذَا» للمفاجأة؛ أي ليس لهم بعد ذلك أمر لا بد لهم من الدخول فيه.

قوله: «وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا» يحتمل أن تكون الواو للعطف على «اللَّيْلُ» تقديره: «وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ وَالشَّمْسُ تَجْرِي وَالْقَمَرُ قَدْرِنَاهُ» فهي كلها آية وقوله: «وَالشَّمْسُ تَجْرِي» إشارة إلى سبب سلخ النهار فإنها تجري لمستقر لها بأمر الله فمغرب الشمس سالخ النهار فذكر السبب بين صحة الدعوة ويحتمل أن يقال بأن قوله: «وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا» إشارة إلى نعمة النهار بعد الليل كأنه تعالى لما قال: «وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ» ذكر أن الشمس تجري فتطلع عند انقضاء الليل فيعود النهار لمنافعه<sup>(٧)</sup>.

قال المفسرون: إن الأصل هي الظلمة والنهار داخل عليها فإذا غربت الشمس سلخ النهار من الليل فتظهر الظلمة<sup>(٨)</sup>.

قوله: «لِمُسْتَقَرٍّ» قيل: في الكلام حذف مضاف تقديره تَجْرِي لِمَجْرَى<sup>(٩)</sup> مُسْتَقَرٍّ لَهَا

(١) في الرازي مناسبة وكلاهما قريبان وانظر: الفخر الرازي ٦٨/٢٦ و ٦٩ والبحر المحيط ٣٣٥/٧ وزاد المسير ٢٦/٧ و ١٧ والجامع لأحكام القرآن ٢٦/١٥.

(٢) سقط من نسخة «ب».

(٣) كذا في النسخين وفي الرازي: فذكر من الزمَّانين بالثنية.

(٤) في «ب» أشبهه.

(٥) في الرازي: المكانين.

(٦) الآية ٦٦ من الحجر و ٨٣ منها و ١٣٧ من الصافات و ١٧ من القلم و ٢١ منها.

(٧) في «ب» بمنافعه وهو الموافق لما في الرازي.

(٨) وانظر هذا كله في تفسير الإمام الفخر الرازي ٧٠/٢٦ و ٧١.

(٩) كذا هنا من «ب» وفي «أ» مجرى. وهذا الكلام نقله المؤلف عن أبي حيان الذي نقله عن أبي عبد الله

الرازي. انظر: البحر ٣٣٦/٧ والدر المصون ٥١٧/٤.

وعلى هذا فاللام للعلة أي لأجل جري مستقر لها. والصحيح أنه<sup>(١)</sup> لا حذف وأن اللام بمعنى «إلى»<sup>(٢)</sup>. ويدل على ذلك قراءة بعضهم «إلى مُسْتَقَرٍّ»<sup>(٣)</sup>. وقرأ عبد الله وابن عباس وعكرمة وزين العابدين<sup>(٤)</sup> وابنه الباقر<sup>(٥)</sup> والصادق<sup>(٦)</sup> ابن الباقر: لا مُسْتَقَرَّ بلا النافية للجنس وبناء «مُسْتَقَرَّ» على الفتح و«لها» الخبر<sup>(٧)</sup>. وابن عبله لا مُسْتَقَرَّ بلا العاملة عمل ليس «فمستقر» اسمها و«لها» في محل نصب خبرها<sup>(٨)</sup>، كقوله:

٤١٨٢ - تَعَرَّ فَلَا شَيْءَ عَلَى الْأَرْضِ بَاقِيَا وَلَا وَرَزَّ مِمَّا قَضَى اللَّهُ وَإِقِيَا<sup>(٩)</sup>

والمراد (بذلك) أنها لا تستقر في الدنيا بل هي دائمة الجريان وذلك إشارة إلى جريها المذكور.

### فصل

قيل: المراد بالمستقر يوم القيامة فعندها تستقر ولا يبقى لها حركة<sup>(١٠)</sup>. وقيل: تَسِيرُ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى أْبَعْدِ مَغَارِبِهَا فَلَا تَتَجَاوِزُهُ ثُمَّ تَرْجِعُ<sup>(١١)</sup>. وقيل: الليل<sup>(١٢)</sup>. وقيل: نهاية ارتفاعها<sup>(١٣)</sup> في الصيف ونهاية هبوطها في الشتاء. وروى أبو ذر قال: قال رسول الله - ﷺ - لأبي ذر حين غربت الشمس: «تدري أين تذهب؟» قلت: الله ورسوله أعلم قال: فإنها<sup>(١٤)</sup> تذهب حت تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد فلا يقبل (منها)<sup>(١٥)</sup> وتستأذن فلا يؤذن لها يقال لها: ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها

(١) في «ب» أن لا حذف بدون ضمير. (٢) المرجع الأخير السابق.

(٣) نقلها صاحب الكشاف في كشافه ٣/٣٢٢ بدون نسبة وكذلك أبو حيان في بخره ٧/٣٣٦ وانظر كذلك مختصر ابن خالويه ١٢٦. قال: «وَالشَّمْسُ تُجْرِي إِلَى مُسْتَقَرِّهَا» في بعض المصاحف.

(٤) علي بن الحسين بن علي عرض على أبيه الحسين وعرض عليه ابنه الحسين. غاية النهاية ١/٥٣٤.

(٥) محمد بن علي السابق أبو جعفر عرض على أبيه. توفي سنة ١١٨ هـ. الغاية ٢/٢٠٢.

(٦) جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي عرض على آباءه. توفي سنة ١٤٨ هـ. المرجع السابق ١٩٦/١ - ١٩٧.

(٧) الكشاف والبحر المرجعان السابقان. وانظر المحتسب ٢/٢١٢ وهي من الشواذ وحسنها الفراء وقال: «مَنْ قَالَ: لَا مُسْتَقَرَّ لَهَا أَوْ لَا مُسْتَقَرَّ لَهَا فَهِيَ جَاهَانِ حَسَنَانِ». المعاني ٢/٣٧٧.

(٨) المراجع السابقة.

(٩) من الطويل وهو مما جهل شاعره. والوَرَزُّ الملجأ. والشاهد «فَلَا شَيْءَ» و «لَا وَرَزَّ» حيث أعمل لا عمل ليس في الموضوعين. وقد تقدم.

(١٠) هذا قول مقاتل.

(١١) وهذا قول مجاهد. وانظر: زاد المسير ٧/١٧ و ١٨.

(١٢) و (١٣) قالهما الرازي ٢٦/٧١.

(١٤) كذا كما رواه الترمذي وحسنه فيما نقله عنه الإمام القرطبي في الجامع ١٥/٢٧ فإنها وفي «أ» إنها

فالتصحيح من الحديث و «ب».

(١٥) سقط من «ب».

فذلك قوله: «والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم». وروى عَمْرُو بن دِينَار عن ابن عباس والشمس (تجري)<sup>(٢)</sup> لا مستقر لها أي لا قرار لها ولا وقوف وهي جارية أبداً.

قوله: «ذَلِكَ» إشارة إلى جَزِي الشَّمْس أي ذلك الجري تقدير الله، ويحتمل أن يكون إشارة إلى المستقر أي ذلك المستقر تقدير الله العزيز الغالب والعليم الكامل العلم أي قادر على إجرائها على الوجه الأنفع وذلك من وجوه:

الأول: أن الشمس لو مرّت كل يوم على مُسَامَتَةٍ<sup>(٣)</sup> واحدة لاحتقرت (الأرض)<sup>(٤)</sup> التي تُسَامِتُها بمرورها عليها كل يوم وبقي الجمود مستولياً على الأماكن الأخرى فقدر الله لها بُعْداً لتجتمع<sup>(٥)</sup> الرطوبات في باطن الأرض والإسخان في زمان الشتاء ثم قدر قربها بتدريج ليخرج النبات والثمار من الأرض والشجر وينضج وينجف.

الثاني: قدر لها في كل يوم طُلُوعاً وفي كل ليلة غروباً، لئلا تكُلّ القوى والأبصار بالسهر والتعب ولئلا يَحْرُبَ العالم بترك العِمارة<sup>(٦)</sup> بسبب الظلمة الدائمة.

الثالث: جعل سيرها أبطأ من سير القمر وأسرع من سير زُحَل لأنها كاملة النور فلو كانت بطيئة السير لدامت زمناً كثيراً في مُسَامَتَةٍ شيء واحد فتحرقه ولو كانت سريعة السير لما حصل لها لبث بقدر ما ينضج<sup>(٧)</sup> من الثمار في بُقْعَةٍ وَاحِدَةٍ<sup>(٨)</sup>.

قوله: «وَالْقَمَرَ قَدْرَ نَاهُ» قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو برفع «القمر». والباقون بنصبه<sup>(٩)</sup>. فالرفع على الابتداء<sup>(١٠)</sup> والنصب بإضمار فعل على الاشتغال<sup>(١١)</sup>. والوجهان مستويان لتقدم جملة ذات وجهين وهي قوله: «وَالشَّمْسُ تجري». فإن راعيت صدرها

(١) هو قهرمان آل الزبير شعيب أبو يحيى البصري عن سالم وعن جعفر بن سليمان. انظر: خلاصة الكمال ٢٨٨.

(٢) سقط من «ب».

(٣) أي طريقة. وفي الرازي: تمر على مسامته شيء لم تمر من أمها على تلك المسامته ولو قدر الله مرورها على مسامته واحدة لاحتقرت.

(٤) سقط من «ب». (٥) في «أ» لتجتمع وما هنا في «ب» موافق للرازي.

(٦) في «ب» العبادة. (٧) في «ب» يتضح.

(٨) وانظر: تفسير الإمام الفخر ٧٢/٢٦.

(٩) من القراءات السبعية المتواترة. وانظر: الكشف ٢١٦/٢ وحجة ابن خالويه ٢٩٨ والنشر ٣٥٣/٢ والسبعة ٥٤٠ والإتحاف ٣٦٥.

(١٠) ورجحه مكي في الكشف فقال «وحجة من رفع وهو الاختيار لأن عليه أهل الحرّمين وأبا عمرو وأنه قطعه مما قبله وجعله مستأنفاً فرفعه بالابتداء و قدرناه الخبر».

(١١) المرجعان السابقان وقد رجح الفراء الرفع أيضاً فقال: «الرفع فيه أعجب إليّ من النصب». وانظر: النحاس ٣٩٤/٤ ومعاني الفراء ٣٧٨/٢ ومعاني الزجاج ٢٨٧/٤ والتميزان ١٠٨٢ والبيان ٢٩٥/٢ ومشكل الإعراب ٢٢٦/٢.

رفعت لتعطف جملة اسمية على مثلها وإن راعيت عَجَزَهَا نصبت لتعطف فعلية على مثلها<sup>(١)</sup>. وبهذه الآية يبطل (قول)<sup>(٢)</sup> الأخفش: إنه لا يجوز النصب<sup>(٣)</sup> في الاسم إلا إذا كان في جملة الاشتغال ضمير يعود على الاسم الذي تضمنته جملة ذات وجهين قال: لأن المعطوف على الخبر خبر فلا بد من ضمير يعود على المبتدأ فيجوز: «أَزِيدُ قَامٌ»<sup>(٤)</sup> وعمراً أَكْرَمْتُهُ فِي دَارِهِ ولو لم يقل «في داره» لم يجوز ووجه الرد من هذه الآية أن أربعة<sup>(٥)</sup> من السبعة نَصَبُوا وليس في جملة الاشتغال ضمير يعود على الشمس وقد أجمع على النصب في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا﴾ [الرحمن: ٧] بعد قوله: ﴿وَالنَّجْمِ وَالشَّجَرِ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن: ٦].

قوله: «مَنَازِلٌ» فِيهِ أَوْجُهُ:

أحدها: أنه مفعول ثان لأن «قَدَرْنَا» بمعنى صَيَّرْنَا<sup>(٦)</sup>.

الثاني: أنه حال ولا بد من حذف مضاف قبل منازل تقديره: ذَا مَنَازِلٍ<sup>(٧)</sup> قال الزمخشري: لا بُدَّ من تقدير لفظ يتم به معنى الكلام، لأن القمر لم يجعل نفسه مَنَازِلٌ<sup>(٨)</sup>.

الثالث: أنه ظرف أي قدرنا مَسِيرَهُ فِي مَنَازِلٍ<sup>(٩)</sup>. وتقدم نحوه أول يونس<sup>(١٠)</sup>.

قوله: «حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ» العامة على ضم العين والجيم. وفي وزنه وجهان أحدهما: أنه فَعْلُولٌ. فنونه أصلية وهذا هو المرجح<sup>(١١)</sup>.

(١) الدر المصون ٤/٤١٨. (٢) سقط من «ب».

(٣) نقل رأيه هذا ابن مالك في التسهيل ٨١ وقد وافق الأخفش صاحب المفصل وشارحُه. انظر: شرح المفصل لابن يعيش ٢/٣٢ و ٣٣.

(٤) في «ب» وعمرو خطأ.

(٥) وهم: حمزة والكسائي وعاصم وابن عامر وهي القراءة المعهودة عندنا.

(٦) التبيان ١٠٨٣ والبيان ٢/٢٩٥ ومشكل الإعراب ٢/٢٢٦.

(٧) المشكل والبيان والتبيان السوابق. (٨) الكشاف ٣/٣٢٣.

(٩) السابق.

(١٠) عند قوله: «هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلٌ» الآية ٥. اللباب ٤/٢٠.

(١١) ووزن فعْلُولٌ بضم الفاء واللام كثير في كلامهم جداً وقد ثبتت النون في الفعل الماضي فقالوا: عَزَجْتُهُ بالعصا ضربه وعَزَجْتُهُ: ضربه بالعرجون، وعَزَجَنَ الثوب: صَوَّرَ فِيهِ صَوْرَ العراجين وقال رؤبة:

فِي خَيْلِي مَسِيَّاسِ الدُّمَى مَمَزَجِنِ

اللسان: «ع ر ج» ٢٨٧١ و ٢٨٧٢ وانظر: التبيان ١٠٨٣ وابن الأنباري ٢/٢٩٥.

وقد جوز أبو البقاء الوجهين الأصل والزيادة بينما اعترض ابن الأنباري فقال: «ولا يكون وزنه على فعلون، لأنه ليس في كلامهم ما هو على فَعْلُولِن. وقد زعم بعضهم أن وزنه على فعلون من الانعراج والنون زائدة كما قالوا: فَرَسَنَ ووزنه فَعْلَلَنَ من الفرس وليس في الكلام فعلن غيره».

**والثاني:** وَهُوَ قول الزجاج: أن نونه مزيدة ووزنه فُعْلُونَ<sup>(١)</sup> مشتقاً من الانعراج، وهو الانعطاف وقرأ سُلَيْمَانُ<sup>(٢)</sup> التَّيْمِيُّ بكسر العين وفتح الجيم وهما لغتان كالبُزْيُونِ والبُزْيُونِ<sup>(٣)</sup>. والعرجون عُود العَدْقِ ما بين الشماريخ إلى مَنِيَّتِهِ من النخلة<sup>(٤)</sup> وهو تشبيهه بديع شبه به القمر في ثلاثة أشياء دَقَّتْهُ واستقواسه واضْفَرَّارُهُ لأن العِدْقَ الذي عليه الشماريخ إذا قَدِمَ وَعَتِقَ دَقَّ وَتَقَوَّسَ واضْفَرَّ<sup>(٥)</sup>. والقديم ما تَقَادَمَ عَهْدُهُ بحكم العادة ولا يشترط في جواز إطلاق لفظ القديم عليه مدة بعينها بل إنما يعتبر العادة حتى لا يقال لمدينة بنيت من سنة أو ستين لبنائها قديم أو هي مدينة قديمة ويقال لبعض الأشياء: إنه قديم وإن لم يكن له سنة (واحدة) ولهذا جاز أن يقال: بِيَتْ قَدِيمٌ وبناء قَدِيمٌ ولم يجز (أن يقال)<sup>(٦)</sup> في العالم: إنه قديم؛ لأن القَدِيمَ في البيت والبناء يثبت بحكم تقادم العهد ومرور السنين عليه وإطلاق القديم على العالم بِتَمَادِي الأزمته عند من (لا)<sup>(٧)</sup> يعتقد أنه لا أول له ولا سابق عليه<sup>(٨)</sup>.

قوله: «لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ» أي لا يدخل على الليل قبل انقضائه ولا يدخل الليل على النهار قبل انقضائه<sup>(٩)</sup> وهو معنى قوله: «وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ» أي يتعاقبان<sup>(١٠)</sup> بحساب معلوم لا يجيء أحدهما قبل وقته. وقيل: لا يدخل أحدهما في سلطان الآخر لا تطلع الشمس بالليل ولا (يطلع)<sup>(١١)</sup> القمر<sup>(١٢)</sup> بالنهار وله ضوء فإذا اجتمعا وأدرك كل (واحد)<sup>(١٣)</sup> منهما صاحبه قامت القيامة. وقيل: «لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ» لا تجتمع معه في قَلْبِكَ واحد «وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ» أي لا يتصل ليل ليل لا يكون بينهما نهار فاصل.

فإن قيل: ما الفائدة في قوله تعالى: «لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ» بصيغة الفعل وقوله: «وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ» بصيغة اسم الفاعل ولم يقل ولا الليل «سَبَقَ»<sup>(١٤)</sup> ولا قال: لَا الشَّمْسُ مُدْرِكَةٌ لِلْقَمَرِ؟

(١) معاني القرآن وإعرابه له ٢٨٨/٤.

(٢) سليمان بن قته وهي أمة التيمي البصري عرض على ابن عباس وعرض عليه الجحدري. انظر: طبقات القراء ٣١٤/١.

(٣) الدياتح الرقيق أو السندس.

(٤) وانظر: مجاز القرآن ١٦١/٢ وغريب القرآن ٣٦٥ وفسره بالإنان إهان العِدْقِ الذي في أعلاه العناكيل و«عود الكباسة». وانظر: معاني القراء ٣٧٨/٢ والرازي ٧٢/٢٦.

(٥) الكشاف ٣/٣٢٣. (٦) و (٧) ساقطتان من «ب».

(٨) قاله الرازي في المَرْجِعِ السَّابِقِ. (٩) معاني القراء ٣٧٨/٢.

(١٠) في «ب» متعاقبان. (١١) سقط من «ب».

(١٢) في «ب» في النهار. (١٣) سقط من «ب».

(١٤) في «ب» يسبق بالمضارعة.

فالجواب: أن حركة الشمس التي لا تدرك بها القمر مختصة بالشمس فجعلها كالصادرة منها فذكر بصيغة الفعل لأن صيغة الفعل لا تطلق على من لا يصدر منه الفعل فلا يقال: يَخِيط ولا يكون تصدر منه الخِيَاطَةُ وأما حركة القمر فليست مختصةً بكوكب من الكواكب بل الكل فيها مشترك بسبب حركة فَلَكِ<sup>(١)</sup> لا يختص بكوكب فالحركة ليست كالصادرة منه فأطلق على<sup>(٢)</sup> اسم الفاعل لأنه لا يستلزم صدور الفعل يقال: فَلَانَ خَيَّاطٌ وإن لم يكن يَخِيط. فإن قيل: قوله: «يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ» يدل على أن الليل سابق.

فالجواب: أن المراد من الليل ها هنا سلطان الليل وهو القمر ولا يسبق الشمس بالحركة اليَوْمِيَّة السريعة والمراد من الليل هناك نفس الليل وكل واحد لما كان في عقب الآخر فكانه طَالِبُهُ.

فإن قيل: قد ذكر ههنا سابق (النهار)<sup>(٣)</sup> وقال هناك يطلبه ولم يقل طالبه.

فالجواب: لما بينا<sup>(٤)</sup> (من)<sup>(٥)</sup> أن المراد في هذه السورة من الليل كواكب الليل وحركاتها بحركة<sup>(٦)</sup> الْفَلَكَ فكانها لا حَرَكَة لها فلا سبق ولا من شأنها أنها سابقة والمراد هناك نفس الليل والنهار وهما زَمَانَانِ لا قرارَ لهما فهو يطلب حيثاً لصدور المنقضي<sup>(٧)</sup> منه.

فإن قيل: ما الحكمة في إطلاق الليل وإرادة سلطانه وهو القمر وماذا يكون لو قال: ولا القمرُ سابق الشمس.

فالجواب: لو قال ولا القمر سابق الشمس ما كان يفهم أن الإشارة إلى الحركة اليومية فكان يتوهم المناقض بأن الشمس إذا كانت لا تدرك القمر فالقمر أسرع ظاهراً وإذا قال: ولا القمر سابق يظن أن القمر لا يسبق فليس بأسرع فقال اللَّيْل والنهار ليعلم أن الإشارة إلى الحركة التي بها تتم الدورة في يوم وليلة مرة وأن جميع الكواكب لها طلوع وغروب في اللَّيْل والنهار<sup>(٨)</sup>.

قوله: «وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ» قرأ عمارة<sup>(٩)</sup> بنصب «النَّهَارِ»<sup>(١٠)</sup> حذف التنوين لالتقاء الساكنين.

(١) في «ب» تلك. اسم إشارة. (٢) في «ب» عليه.

(٣) سقط من «ب».

(٤) في «ب» لما بين.

(٥) سقط من «ب».

(٦) في «ب» بحركات.

(٧) في الرازي التَّقْضِي وفي «ب» المقتضي. وانظر: تفسير الإمام الفخر ٧٣/٢٦ و ٧٤.

(٨) تفسير الإمام الفخر الرازي ٧٣/٢٦ و ٧٤.

(٩) لم أجده في مرجع من مراجع تراجم القراء وقد ترجم له الخطيب في التاريخ: «عمارة بن عَقِيل بن بلال بن جرير من شعراء الدولة العباسية وكان النحويون يأخذون عنه». تاريخ بغداد ٢٨٢/١٢ و ٢٨٣، والأغاني ١٨٣/٢٠.

(١٠) مختصر ابن خالويه ١٢٥ والمحتسب ٨١/٢ وانظر: الخصائص ١٢٥/١ و ٢٤٩ و ٣٧٣ و ٣١٨ وهي

من الشواذ روايةً وتجاوز صنْعاً. وانظر: البحر ٣٣٨/٧ والسمين ٥١٩/٤ و ٥٢٠.

قال المبرد: سمعته يقرؤها فقلت: ما هذا؟ فقال: أردت سابق - يعني بالتونين - فخفضت<sup>(١)</sup>.

قوله: «وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ» أي يَجْرُونَ. وهذا يحقق أن لكل طلوع في يوم وليلة لا يسبق بعضها بعضاً بالنسبة إلى هذه الحركة والتونين في قوله: «كُلٌّ» عوض عن الإضافة<sup>(٢)</sup>. والمعنى كل واحد. وإسقاط التونين للإضافة حتى لا يجتمع التعريف والتذكير في شيء واحد فلما أسقط المضاف إليه لفظاً رد التونين عليه لفظاً وفي المعنى معرف بالإضافة.

فإن قيل: فهل يختلف الأمر عند الإضافة لفظاً وتركها؟

فالجواب: نعم، لأن قول القائل: كل واحد من الناس كذا لا يذهب الفهم إلى غيرهم فيفيد اقتصار الفهم عليه، فإذا قال: كُلٌّ كذا يدخل في الفهم عموم أكثر من العموم عند الإضافة وهذا كما في: «قَبْلُ وَيَبْغُدُ» إذا قلت: أفعَلُ قَبْلُ كذا فإذا حذف المضاف وقلت أفعَلُ قَبْلُ أفاد فهم الفعل قبل كُلِّ شَيْءٍ<sup>(٣)</sup>.

فإن قيل: فهل بين قولنا: «كُلٌّ مِنْهُمْ» وبين: «كُلَّهُمْ» وبين «كُلٌّ» فرق؟

فالجواب: نعم فقولك: كلهم يثبت الأمر للاقتصار عليهم، وقولك: كُلٌّ مِنْهُمْ يثبت الأمر أولاً للعموم ثم استدركه بالتخصيص فقال: مِنْهُمْ وقولك: كُلٌّ يثبت الأمر على العموم وتركت<sup>(٤)</sup> عليه<sup>(٥)</sup>. فإن قيل: إذا كان «كُلٌّ» معناه كل واحد منهم والمذكور الشمس والقمر فكيف قال: يَسْبَحُونَ؟

فالجواب: أن قوله «كل» للعموم فكأنه أخبر عن كل كوكب في السماء سياراً. وأيضاً فلفظ «كل» يجوز أن يوحد نظراً إلى كون لفظه موحداً غير مشئى ولا منجموع ويجوز أن يجمع لكون معناه جمعاً، وأما التثنية فلا يدل عليه<sup>(٦)</sup> اللفظ ولا المعنى وعلى هذا يحسن أن يقال: «رَبِّدْ وَعَمِّرْ كُلَّ جَاءٍ» ولا يقال: (كل)<sup>(٧)</sup> جَاءً بالتثنية. وجواب آخراً قوله: «وَلَا اللَّيْلُ سَابِقٌ» فالمراد من الليل الكواكب فقال: «يَسْبَحُونَ»<sup>(٨)</sup>.

## فصل

الفَلَكُ هو الجسم<sup>(٩)</sup> المستدير أو السطح المستدير أو الدائرة لأن أهل اللغة اتفقوا على أن فَلَكَ المَعْرُولَ سميت فلكة لاستدارتها وفلك الخيمة هي الخشبة المسطحة

(١) نقله في كامله ١/٢٥٣. (٢) الكشاف ٣/٣٢٤ والرازي ٢٦/٧٤.

(٣) المرجع السابق. (٤) في «ب» ونزلت وفي الرازي المصدر السابق: وتركه.

(٥) التفسير الكبير للرازي ٢٦/٧٤. (٦) في الرازي: عليها.

(٧) كذا وجد في الرازي وافتقد في «ب». (٨) انظر كل ما مضى في المرجع السابق.

(٩) الرازي السابق وانظر: اللسان: «ف ل ك» ٣٤٦٤ و ٣٤٦٥.

المستديرة التي توضع على رأس العمود، لئلا يمزق العمود الخيمة وهي صفحة مستديرة. فإن قيل: فعلى هذا تكون السماء مستديرة وقد اتفق أكثر المفسرين (على)<sup>(١)</sup> أن السماء مبسوطة لها أطراف على جبال وهي كالسقف المستوي ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَالسَّقْفَ الْمَرْفُوعَ﴾ [الطور: ٥]. قال ابن الخطيب: ليس في النصوص ما يدل دلالة قاطعة على كون السماء مبسوطة غير مستديرة بل دل الدليل الحسي على كونها مستديرة فوجب المصير إليه والسقف المقبب لا يخرج عن كونه سقفاً وكذلك<sup>(٢)</sup> كونه<sup>(٣)</sup> على جبال. وأما الدليل الحسي فوجوه:

**الأول:** أن من أمعن في النظر في جانب الجنوب تظهر<sup>(٤)</sup> له كواكب مثل سهيل وغيره ظهوراً أبدياً ولو كان السماء سطحاً<sup>(٥)</sup> مستويماً لبان الكل للكل بخلاف ما إذا كان مستديراً فإن بعضه حيثئذ يستتر<sup>(٦)</sup> بأطراف الأرض فلا يرى.

**الثاني<sup>(٧)</sup>:** أن الشمس إذا كانت مقارنة للحمل مثلاً فإذا غربت ظهر لك كواكب في منطقة البروج من الحمل إلى الميزان ثم في كل قليل يستتر<sup>(٨)</sup> الكواكب الذي يكون طلوعه بعد طلوع الشمس وبالعكس وهذا دليل ظاهر وإن بحث فيه يصير (قطعيًا)<sup>(٩)</sup>.

**الثالث:** أن الشمس قبل طلوعها وبعد غروبها يظهر ضوءها ويستنير نورها وإلا لما كان كذا بل كان (عند)<sup>(١٠)</sup> إعادتها إلى السماء يظهر لكل أحد جزؤها ونورها معاً لكون السماء مستوية (حيثئذ)<sup>(١١)</sup> مكشوفة كلها لكل أحد.

**الرابع:** لو كانت السماء مستوية لكان القمر عندما يكون فوق رؤوسنا على المسامنة أقرب ما يكون إلينا وعندما يكون على الأفق أبعد منا لأن العمود أصغر من القطر والوتر وكذلك في الشمس والكواكب وكان يجب أن يرى أكبر لأن القريب يرى أكبر وليس كذلك.

**الخامس:** لو كانت السماء مستوية لكان ارتفاعها أول النهار ووسطه وآخره مستويماً وليس كذلك. والوجوه كثيرة وفي هذا كفاية.

## فصل

قال المنجمون قوله تعالى: ﴿يَسْبَحُونَ﴾ يدل على أنها أحياء لأن ذلك لا يطلق إلا

- (١) سقط من «ب».
- (٢) في «ب» ولذلك. وما في الرازي موافق لما هنا.
- (٣) في الرازي كونها.
- (٤) في «ب» يظهر وهو ما في الرازي.
- (٥) في «ب» سطحاً. وهو الموافق للرازي.
- (٦) في «ب» يستر بناء واحدة وهو المخالف للرازي.
- (٧) في «ب» الثانية.
- (٨) كذا في الرازي وما في «ب» تستر الكواكب.
- (٩) سقط من «ب».
- (١٠) كذلك.
- (١١) ما بين القوسين كله وجد في الرازي وسقط من «ب».

على العاقل قال ابن الخطيب إن أرادوا القدر الذي يكون منها التسبيح فنقول به لأن كل شيء يسبح بحمده وإن أرادوا شيئاً آخر فلم يثبت ذلك والاستعمال لا يدل كما في قوله تعالى في حق الأصنام: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَطُفُونَ﴾ [الصافات: ٩٢] وقوله: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الصافات: ٩١].

قوله تعالى: ﴿وَأَيُّ لَهْمٍ لَّمَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَيُّ لَهْمٍ لَّمَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ لما من بإحياء الأرض وهي مكان الحيوانات بين أنه لم يقتصر عليه بل بين للإنسان طريقاً يتخذ من البحر ويسير فيها كما يسير في البر وهو كقوله تعالى: ﴿وَحَمَلْتُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الإسراء: ٧٠] ويؤيد هذا قوله تعالى: ﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾ إذا فسرناه بأن المراد منه الإبل فإنها سفن البر. ووجه آخر وهو أن الله تعالى لما بين سباحة الكواكب في الأفلاك ذكر ما هو مثله وهو سباحة الفلك في البحار ووجه آخر وهو أن الأمور التي أنعم الله (تعالى) بها على عباده منها ضرورة ومنها نافعة فالأول للحاجة والثاني للزينة فخلق الله الأرض وإحياؤها من القبيل الأول فإنها المكان الذي لولاه لما وجد الإنسان ولولا إحياؤها لما عاش الإنسان، والليل والنهار في قوله: ﴿وَأَيُّ لَهْمٍ اللَّيْلِ﴾ أيضاً من القبيل الأول لأنه الزمان الذي لولاه لما حدث الإنسان والشمس والقمر وحركتهما لو لم تكن لما عاش الإنسان، ثم إنه تعالى لما ذكر من القبيل الأول آيتين ذكر من القبيل الثاني وهو الزينة آيتين:

إحدهما: الفلك التي تجري في البحر فتستخرج<sup>(٢)</sup> من البحر ما يترزق به كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيحًا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَيْثُ تَلْبَسُونَهَا وَرَىٰ الْفُلْكَ فِيهِ مَوَازِيرَ﴾ [فاطر: ١٢].

وثانيهما: الدواب التي هي في البر كالفلك في البحر في قوله: ﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾ فإن الدواب زينة كما قال تعالى: ﴿وَالْحَيْلَ وَالْأَعْنَاقَ وَالْحَمِيرَ لِرَّكْبِهَا وَزِينَةً﴾ [النحل: ٨].

قوله: ﴿أَنَا حَمَلْنَا﴾ متبداً «وآية» خبر مقدم<sup>(٣)</sup>، وجوز أبو البقاء أن يكون: ﴿أَنَا حَمَلْنَا﴾ خبر مبتدأ محذوف بناء منه على أن «آية لهم» مبتدأ وخبر كلام مستقل بنفسه كما

(١) أنقط من «ب».

(٢) في «ب» فيستخرج بالياء لا بالتاء.

(٣) قاله شهاب الدين السمين في الدر المصون ٤/٥٢٠ وانظر: التبيان لأبي البقاء ١٠٨٣ والتبيان للأنباري

تقدم في نظيره<sup>(١)</sup>، والظاهر أن الضميرين في «لَهُمْ» و «ذُرِّيَّتَهُمْ» لشيء واحد<sup>(٢)</sup>. ويراد بالذرية آباؤهم المحمولين في سفينة نوح - عليه (الصلاة و) السلام - أو يكون الضميران مختلفين أي ذرية القرون الماضية<sup>(٣)</sup>. ووجه الامتنان عليهم أنهم في ذلك مثل الذرية من حيث إنهم ينتفعون بها كانتفاع أولئك. وقوله «مَا يَرْكُبُونَ» هذا يحتمل أن يكون من جنس الفُلْكَ إن أريد بالفلك سفينة نوح - عليه (الصلاة و) السلام - خاصة وأن يكون من جنس آخر كالإبل ونحوه ولهذا سمتها العرب سُفْنَ الْبَرِّ فقوله: «مِنْ مِثْلِهِ» أي من مثل الفلك أو من مثل ما ذكر من خلق الأزواج، (في قوله<sup>(٤)</sup> «وَأَخْرَجْنَا مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجًا»<sup>(٥)</sup>). والضمير في «لَهُمْ» يحتمل أن يكون عائداً إلى الذرية أي حملنا ذريتهم وَخَلَقْنَا للمحمولين ما يركبون، ويحتمل أن يعود إلى العباد الذين عاد إليهم قَوْلُهُ: «وَأَيَّةٌ لَهُمْ». وهو الظاهر لعود الضمائر إلى شيء واحد<sup>(٦)</sup>. و «مِنْ» يحتمل أن تكون صلة أي خلقنا لهم مثله<sup>(٧)</sup>، وأن تكون لِلْيَبْيَانِ؛ لأن المخلوق كان أشياء. وقال مِنْ مِثْلِ الْفُلْكَ للبيان<sup>(٨)</sup>. وتقدم اشتقاق الذَّرِيَّةِ فِي الْبَقْرَةِ<sup>(٩)</sup>، واختلاف القراء فيها في الأعراف<sup>(١٠)</sup>.

## فصل

قال المفسرون: المراد بالذَّرِيَّةِ<sup>(١١)</sup> الآباء والأجداد واسم الذرية يقع على الآباء كما يقع على الأولاد أي حَمَلْنَا آبَاءَكُمْ فِي الْفُلْكَ، والألف واللام للتعريف أي فُلْكَ نُوحٍ وهو مذكور في قوله: «وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ» [هود: ٣٧] وهو معلوم عند العرب. وقال الأكثرون<sup>(١٢)</sup>: الذرية لا تطلق إلا على الولد. وعلى هذا فالمراد إما أن يكون الفلك

(١) التبيان له ١٠٨٣. (٢) الدر المصون ٤/٥٢٠.

(٣) البحر المحيط ٧/٣٣٨ والجامع لأحكام القرآن ١٥/٣٤ والدر المصون ٤/٥٢٠.

(٤) ما بين القوسين ساقط من «ب». (٥) انظر السابق.

(٦) قاله الإمام الفخر الرازي ٢٦/٧٩.

(٧) وهذا رأي الأخفش وسيبويه يقول: «من» لا يكون صلة إلا عند النفي تقول ما جاءني من أحد كما في قوله تعالى: «وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ». نقلها الرازي في تفسيره.

(٨) قال بذلك الرَّازِي وانظر: التفسير الكبير له ٢٦/٨١.

(٩) عند الآية ٢٦٦: «وَأَصَابَةَ الْكَبِيرِ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ صُعَقَاءٌ». وبين المؤلف هناك أن الكسر والفتح والضم على فاء الكلمة لغات واردة وأنها إما أن تكون من ذُرُوتٍ فتكون ذرية أصلها «ذُرِّيَّةٌ» أو ذُرِّيَّتٍ أو من ذُرَا الله الخلق أو من الذَّر. اللباب ميكروفيلم.

(١٠) عند قوله تعالى: «وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ» الآية ١٧٢ وذكر هناك أن ابن كثير وعاصماً وحزمة والكسائي بالإنفراد. والباقون بالجمع. وانظر: اللباب ٣/١٧٤ ب.

(١١) الرازي ٢٦/٧٨.

(١٢) وقد اختاره القراء في معاني القرآن فقال: «إنما يخاطب أهل مكة فجعل الذرية التي كانت مع نوح =

المعين الذي كان لنوح وإما أن يكون المراد الجنس كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ [الزخرف: ١٢] وقوله: ﴿وَرَزَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَآخِرٌ﴾ [فاطر: ١٢] وقوله: «فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ». إلى غير ذلك من استعمال لام التعريف في الفلك لبيان الجنس فإن كان المراد سفينة نوح ففيه وجوه:

الأول: أن المراد: حملنا أولادهم إلى يوم القيامة في ذلك الفلك ولولا ذلك لما بقي للأب نسل ولا عقب وعلى هذا فقوله: «حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ» إشارة إلى كمال النعمة أي لم تكن النعمة مقتصرة عليكم بل متعددة إلى أعقابكم إلى يوم القيامة وهذا قول الزمخشري<sup>(١)</sup>، ويحتمل أن يقال: إنه تعالى إنما خص الذريات بالذكر لأن الموجودين كانوا كفاراً لا فائدة في وجودهم فقال: «حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ» أي لم يكن الحمل حملاً لهم وإنما كان حملاً لما في أصلابهم من المؤمنين كمن حمل صندوقاً لا قيمة له وفيه جواهر (ف) قيل<sup>(٢)</sup>: إنه لم يحمل الصندوق إنما حمل<sup>(٣)</sup> ما فيه.

الثاني: أن المراد بالذرية الجنس أي حملنا أجناسهم لأن ذلك الحيوان من جنسه ونوعه، والذرية تطلق على الجنس ولذلك<sup>(٤)</sup> تطلق على النساء كنهى النبي - عليه (الصلاة والسلام) - عن قتل الذراري أي النساء<sup>(٥)</sup>. لأن المرأة وإن كانت صنفاً غير صنف الرجل لكنها من جنسه ونوعه يقال: ذرارينا أي أمثالنا.

الثالث<sup>(٦)</sup>: أن الضمير في قوله: «وَأَيَّةٌ لَهُمْ» عائدة على العباد، حيث قال: «يَا حَسْرَةَ عَلَى الْعِبَادِ» وقال بعد ذلك: «وَأَيَّةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ». (وإذا علم<sup>(٧)</sup> هذا فكأنه تعالى قال: «وَأَيَّةٌ لِلْعِبَادِ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ»). وإذا علم هذا فكأنه تعالى قال: «وَأَيَّةٌ لِلْعِبَادِ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّاتِ الْعِبَادِ». ولا يلزم أن يكون المراد بالضمير في الموضوعين أشخاصاً معينين كقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩] «وَيُذِيقُ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ»<sup>(٨)</sup>. وكذلك<sup>(٩)</sup>

= لأهل مكة لأنها أصل لهم فقال: «ذُرِّيَّتَهُمْ» وهم أبناء الذرية. ٣٧٩/٢. وانظر: «اللسان»: ١٤٩٤ و ١٤٩٥.

(١) معنى كلامه هذا في الكشاف ٣/٣٢٤. قال: «إنه حمل آباءهم الأقدمين وفي أصلابهم هم وذرياتهم».

(٢) زيادة لتكميل السياق.

(٣) هذا رأي الإمام الرازي في تفسيره ٧٩/٢٦.

(٤) في «ب» وكذلك.

(٥) السابق وانظره أيضاً في الكشاف ٣/٣٢٤.

(٦) وهذه الأوجه كلها من ذكر الرازي الإمام الفخر. انظر المرجع السابق.

(٧) ما بين القوسين تكرير وزيادة من «أ» على «ب»، والفخر الرازي.

(٨) كذا في النسختين الآية تلك ٦٥ من الأنعام وما في الرازي «ويريد بعضكم بعضاً».

(٩) كذا في «ب» والرازي كذلك و «أ» لئذلك.

إذا تقاتل قوم ومات الكل في القتال يقال: هؤلاء القوم هم قتلوا أنفسهم. «فهم» في الموضوعين يكون عائداً إلى القوم ولا يكون المراد أشخاصاً مُعَيَّنِينَ بل المراد أن بعضهم قتل بعضهم فكذلك قوله تعالى: «آيَةٌ لَهُمْ» أي آية لكل بعض منهم أنا<sup>(١)</sup> حلمنا ذرية كل (بعض)<sup>(٢)</sup> منهم، أو ذرية بعض منهم. وإن قلنا: المراد جنس الفلك وهو الأظهر لأن سفينة نوح لم تكن بحضرتهم ولم يعلموا من حُمِلَ فيها فأما جنس الفلك فأية ظاهرة لكل أحد وقوله تعالى في سفينة نوح: ﴿وَجَمَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: ١٥] أي بوجود جنسها ومثلها. ويؤيده قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ يَبْعَثُ اللَّهُ لِرَبِّكَ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [لقمان: ٣١]. وإن قيل: المراد سفينة نوح فوجه المناسبة أنه ذكرهم بحال نوح وأن المكذبين هلكوا والمؤمنين فازوا فكذلك هم إن آمنوا يفوزوا وإن كذبوا يهلكوا. والأول أظهر وهو أن المراد بالفلك الموجود في زمانهم ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾.

فإن قيل: لم قال «حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ» ولم يقل: «حملناهم» ليكون أعم<sup>(٣)</sup> كما قال: «وآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ» ولم يقل: تأكل ذُرِّيَّتَهُمْ؟.

فالجواب: قوله تعالى: «حملنا ذريتهم» أي ذريات العباد ولم يقل حملناهم لأن سكون الأرض عام (ل)<sup>(٤)</sup> كل أحد يسكنها فقال: «وآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ» إلى أن قال: «فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ»؛ لأن الأكل عام وأما الحمل في السفينة فمن الناس من لا يركبها في عمره ولا يُحْمَلُ فيها ولكن ذرية العباد لا بد لهم من ذلك فإن فيهم من يحتاج إليها فيُحْمَلُ فيها.

فإن قيل: ما الحكمة في كونه جمع الفلك في قوله: «وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاجِرًا» وأفرده في قوله: «فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ».

فالجواب: أن فيه تدقيقاً مليحاً في علم اللغة وهو أن الفلك<sup>(٥)</sup> تكون حركتها مثل حركة تلك الكلمة في الصورة، والحركتان مختلفتان في المعنى مثاله قولك: سَجَدَ يَسْجُدُ سُجُوداً للمصدر وهم قوم سُجُودٌ في جمع «سَاجِدٍ» يظن أنها كلمة واحدة لمعنيين وليس كذلك بل السجود عند كونه مصدراً حركته أصلية إذا قلنا: إن الفعل مشتق من المصدر<sup>(٦)</sup>

(١) في «ب» أن. (٢) فقدت في «ب» ووجدت في الرازي كما هنا.

(٣) في «أ» أهم. وهنا «ب» الصحيح.

(٤) اللام من الرازي ولم توجد في النسختين. وانظر كل ما مضى في تفسير الرازي ٧٩/٢٦.

(٥) في الرازي: الكلمة بدل الفلك.

(٦) وهذا غير مذهب الكوفيين فقد ذهبوا إلى أن الفعل أصل المشتقات واستدلوا على ذلك بأدلة منها أن المصدر يتبع فعله صحة وإغلالاً فإذا صح الفعل صحَّ المصدر نحو: لاوذ لوذاذاً، وإذا أعلَّ الفعلُ أعلَّ =

وحركة السجود عند كونه للجمع حركة<sup>(١)</sup> معتبرة من حيث إن الجمع مشتق<sup>(٢)</sup> من الواحد وينبغي أن يلحق المشتق تغيير في حرف أو حركة أو في مجموعهما، فساجد لما أردنا أن يشتق منه لفظ جمع غيرناه وجئنا بلفظ السجود فإذا السجود للمصدر والجمع ليس من قبيل الألفاظ المشتركة التي وضعت بحركة واحدة لمعينين. وإذا عرف هذا فنقول «الفلك» عند كونه واحداً مثل: «أفقل ويزد»<sup>(٣)</sup> وعند كونها جمعاً مثل حُشِبٍ أو بُرِدٍ<sup>(٤)</sup> أو غيرهما. فإن قيل: فإذا جعلته جمعاً ما يكون واحداً؟.

فالجواب: نقول جاز أن يكون واحداً فلئكة أو غيرها مما لم يستعمل كواحد النساء لم يستعمل وكذا القول في: «إمام مبین» إمام كزمام وكتاب عند قوله تعالى: «كُلُّ أَنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ» أي بَأئِمَّتِهِمْ إِمَامٌ كِسِهَامٌ وَحِقَانٌ<sup>(٥)</sup>، وهذا من دقيق التّصريف. وأما من جهة المعنى ففيه سؤالات:

السؤال الأول: قال ههنا: «حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ» مَنْ عَلَيْهِمْ بِحَمَلِ ذُرِّيَاتِهِمْ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا لَنَّا طَعَا لَمَّا حَمَلْنَا فِي الْبَابِ﴾ [الحاقة: ١١] مَنْ عَلَيْهِمْ هُنَا بِحَمَلِ أَنْفُسِهِمْ.

فالجواب: أن من ينفع المتعلق بالغير يكون قد نفع ذلك الغير ومن يدفع الضر عن المتعلق بالغير لا يكون قد دفع الضر عن ذلك الغير بل يكون قد نفعه كمن أحسن إلى ولد إنسان وفرّحه فرّحه أبوه وإذا دفع الألم عن ولد إنسان يكون قد فرّح أباه ولا يكون في الحقيقة أزال الألم عن أبيه فعند طغيان الماء كان الضرر يلحقهم فقال: دفعت<sup>(٦)</sup> عنكم الضرر ولو قال: دفعت عن أولادكم الضرر لما حصل بيان دفع الضرر عنهم وههنا أراد بيان المنافع فقال: «حملنا ذرياتهم» لأنّ النفع حاصل بنفع الذرية، وبدل على هذا قوله: «فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ» فَإِنِ امْتَلَأَ الْفُلُكُ مِنَ الْأَمْوَالِ يَحْصُلُ (بذكره)<sup>(٧)</sup>

= المصدر نحو: قَامَ قِيَاماً وشأن الفرع أن يتبع الأصل. وذهب البصريون إلى أن المصادر أصل الاشتقاق ومن أدلتهم على ذلك أن المصدر يدل على الحدث والفعل وسائر المشتقات تدل على الحدث والزمان أو الحدث، والذات وشأن الفرع أن يدل على معنى الأصل ويزيد عليه زيادةً هي الغرض من اشتقاقه وصياغته انظر: التبيان في تصريف الأسماء ٣٣ للدكتور كحيل.

- (١) كذا في النسختين وفي الرازي: «متغيرة».
- (٢) في «ب» يشتق.
- (٣) البرد من الثياب ثوب به خطوط. وخص بعضهم به الوشي. اللسان: «ب ر د» ٢٥٠.
- (٤) جمع البرد صاحب اللسان فقال «والجمع أبراد وأبرد ويزود». اللسان المرجع السابق.
- (٥) يوضح الرازي هذه النقطة في كتابه فيقول: «وكذا القول في إمام مبین، وفي قوله: «تَدْعُو كُلُّ أَنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ» أي بَأئِمَّتِهِمْ؛ عند قوله تعالى: «إمام مبین» إمام كزمام وكتاب وعند قوله تعالى: «كُلُّ أَنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ» إمام كِسِهَامٌ وَكِرَامٌ وَحِقَانٌ وهذا من دقيق التصريف. الرازي ٢٦/٨٠ و ٧٩.
- (٦) في «ب» كلتا الكلمتين رفعت بالراء وما هنا في «أ» موافق للرازي.
- (٧) سقط من «ب».

بيان المنفعة<sup>(١)</sup> وإذا دفع المضرة فلا لأن الفلك كلما كان أثقل كان الخلاص بها أبطأ وهذا كالاتي فاختار هناك ما يدل على الخلاص من الضرر وهو الجري وههنا ما يدل على كمال المنفعة وهو الشَّخْن .

فإن قيل: قال تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ ولم يقل: وحملنا ذريتك مع أن المقصود في الموضوعين بيان النعمة لا دفع الثَّغْمَة تقول: لما قال في البرِّ والبحر عَمَّ الخلق لأن ما من أحدٍ إلا وحمل في البرِّ والبحر وأما الحمل في البحر فلم يعمَّ فقال إن كنا ما حملناكم بأنفسكم فقد حملنا من يهكم أمره من الأولاد والأقارب والإخوان والأصدقاء .

### فصل

وفي قوله: «المشحون» فائدة أخرى وهي أن الآدميَّ يرُسب في الماء ويغرُق فحمله في الفلك واقع بقدرته لكن من الطَّبِيعِيِّينَ<sup>(٢)</sup> من يقول: الخفيف لا يرُسب في الماء لأنه يطلب جهة فوق فقال: «الْفُلُكُ الْمَشْحُونُ» وهو أثقل من الثقال التي ترسب ومع هذا حمل الله الإنسان فيه مع ثقله .

فإن قيل: ما الحكمة في قوله: «وَأَيَّةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ (و)<sup>(٣)</sup> وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ»؟ ولم يقل: وآية لهم الفلك جعلناها بحيث تحملهم؟ .

فالجواب: أن حملهم في الفلك هو العجيب . أما نفس الفلك فليس بعجيب لأنه كَبِيتٌ مَبْنِيٌّ من خشب وأما نفس الأرض فعجيب ونفس الليل عجيب لا قدرة لأحد عليهما إلا الله<sup>(٤)</sup> .

قوله: «وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ» قرأ الحسن بتشديد<sup>(٥)</sup> الراء وهذه الآية تدل على أن المراد بقوله: «مِنْ مِثْلِهِ» الفلك الموجود<sup>(٦)</sup> في زمانهم وليس المراد الإبل كما قاله بعض المفسرين بأن المراد الإبل لأنها سفنُ البرِّ لأن ذلك يؤدي إلى أن يكون قوله: «وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ» فاصلاً بين متصلين . ويحتمل أن يقال: الضمير في مثله يعود إلى معلوم غير مذكور . وتقريره أن يقال: وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِ مَا ذَكَرْنَا مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ كَمَا فِي

(١) في «ب» فإذا وفي الرازي: فأما .

(٢) الأصح لها هكذا عندما نسب إلى لفظ المذكور . أما المؤنث فنقول الطَّبِيعِيَّاتِ . وإنما فعلوا ذلك قصداً للفرق بين المذكور والمؤنث ومع حذف تاء التانيث فالحذف يشجع الحذف .

(٣) زيادة للسياق . وانظر في هذا كله تفسير الرازي ٨٠ / ٢٦ .

(٤) المرجع السابق .

(٥) من الأربع الشواذ على العشرة فقد نقلها صاحب الإنحاف ٣٦٥ وانظر: مختصر ابن خالويه ١٢٥ والكشاف ٣ / ٣٢٥ .

(٦) في «ب» الموجودة .

قوله تعالى: ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾ أن الهاء عائدة إلى ما ذكرنا أي من<sup>(١)</sup> ثمرنا.

### فصل

في قوله: «وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ» فائدتان:

إحدهما: أن في حال النعمة ينبغي أن لا يؤمن<sup>(٢)</sup> عذاب الله.

والثانية: أن ذلك جواب عن سؤال مقدر وهو أن الطَّبِيعِيَّ يقول: السفينة تَحْمِلُ بِمُقْتَضَى الطَّبِيعَةِ والمَجْرُوفُ لا يرسب، فقال: ليس كذلك بل لو شاء الله إغراقهم لأغرقهم وليس كذلك بِمُقْتَضَى الطَّبِيعَةِ ولو صح كلامه الفاسد لكان لقاتل أن يقول: ألسنت توافق أن من السفن ما ينقلب وينكسر ومنها ما يثقبه ثاقب فيرسب وكل ذلك بمشيئة الله فإن شاء أغرقهم من غير شيء من هذه الأسباب كما هو مذهب أهل السنة أو شيء من تلك الأسباب التي سلمتها أنت<sup>(٣)</sup>.

قوله: «فَلَا صَرِيحٌ لَهُمْ» فَعِيلٌ بمعنى فاعل لا مغيث<sup>(٤)</sup> لهم. وقيل: فلا مُسْتَغِيثٌ<sup>(٥)</sup>. وقال الزمخشري: فلا إغاثة جعله مصدراً من «أَصْرَخَ»<sup>(٦)</sup>. قال أبو حيان «ويحتاج إلى نقل أن «صَرِيحاً» يكون مصدراً بمعنى إصراخ»<sup>(٧)</sup>. والعامّة على فتح «صَرِيحٌ». وحكى أبو البقاء أنه قرىء بالرفع والتثوين<sup>(٨)</sup>. قال: ووجهه<sup>(٩)</sup> على ما في قوله: «فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ».

### فصل

معناه: لا مُغِيثٌ لهم يمنع عنهم العَرَقَ «وَلَا هُمْ يُنْقَدُونَ» إذا أدركهم العرق لأن الخلاص من العذاب إما أن يكون برفع العذاب من أصله أو برفعه بعد وقوعه فقال: «لا صَرِيحٌ لَهُمْ» يدفع ولا هم يُنْقَدُونَ بعد الوقوع فيه وهو كقوله تعالى: ﴿لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلَا يُنْقَدُونَ﴾. وفيه فائدة أخرى غير الحصر وهي أنه تعالى قال: لا صَرِيحٌ لهم ولم يقل: ولا منقذ لهم؛ لأن<sup>(١٠)</sup> مَنْ لا يكون مِنْ شأنه أن ينصر لا يشع<sup>(١١)</sup> في

(١) قاله الرازي ٨١/٢٦.

(٢) في الرازي: أن في حال النعمة ينبغي أن لا يَأْمَنُوا عَذَابَ اللَّهِ.

(٣) وفيه: كما تسلم أنت. وانظر: تفسيره ٨٢/٢٦.

(٤) نقله أبو حيان في البحر ٣٣٩/٧ والسمين في الدر ٥٢٠/٤ والزجاج ٥٢٠/٤.

(٥) نقله السمين في الدر المرجح السابق.

(٦) الكشاف ٣٢٥/٣ وقد وافقه الفراء في المعاني ٣٧٩/٢.

(٧) البحر ٣٣٩/٧. (٨) التبيان ١٠٨٣.

(٩) النحاس ٣٩٧/٤ والكشاف ٣٢٤/٣ ومشكل الإعراب ٢٢٧/٢.

(١٠) لفظ النون سقط من نسخة «ب».

(١١) في «ب» يسرع بالسين.

النصر مخافة أن يُغْلَبَ ويذهب ماءٌ وَجْهِهِ وإنما يَنْصُرُ ويغيث من كان من شأنه أن يُغِيثَ فقال: «لَا صَرِيخَ لَهُمْ» وأما من لا يكون من شأنه أن ينقذ إذا رأى من يعين<sup>(١)</sup> عليه في نصره يشرع في الإنقاذ وإن لم يثق من نفسه في الإنقاذ ولا يغلب على ظنه وإنما يبذل المجهود فقال: «ولا هم ينقذون» ولم يقل: ولا منقذ لهم، ثم استثنى وقال: «إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعاً إِلَى حِينٍ» وهو يفيد أمرين:

أحدهما: انقسام الإنقاذ إلى قسمين: الرحمة والمَتَاع أي فمن عَلِمَ أنه يؤمن<sup>(٢)</sup> فينقذه الله رحمةً وفيمن علم أنه لا يؤمن فليمتنع<sup>(٣)</sup> زماناً ويزداد إثمه.

وثانيهما: أنه بيان لكون الإنقاذ غير مفيد للدوام بل الزوال في الدنيا لا بد منه، فينقذه رحمة ويمتعه إلى حين ثم يميتته فإذا الزوال لازم أن يقع. قال ابن عباس المراد «بالحِين» انقضاء آجالهم يعني (إلَّا)<sup>(٤)</sup> أن يرحمهم ويمتعمهم إلى حين آجالهم.

قوله: «إِلَّا رَحْمَةً» منصوب على المفعول<sup>(٥)</sup> له وهو استثناء<sup>(٦)</sup> مفرغ، وقيل: استثناء<sup>(٧)</sup> منقطع وقيل: على المصدر بفعل مقدر، أو على إسقاط الخافض أي إلا برحمة<sup>(٨)</sup>، والفاء في قوله: «فَلَا صَرِيخَ» رابطة لهذه الجملة بما قبلها<sup>(٩)</sup>؛ فالضمير في «لَهُمْ» عائد على «المُغْرَقِينَ»<sup>(١٠)</sup>. وجوز ابن عطية هذا ووجهاً آخراً وجعله أحسن منه وهو أن يكون استثناء إخبار عن المُسَافِرِينَ في البحر ناجين كانوا أو مُغْرَقِينَ هم بهذه الحالة لا نجاة لهم إلا بِرَحْمَةِ اللَّهِ وليس قوله: «فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ» مربوطاً بالمغرقين انتهى<sup>(١١)</sup>.

وليس جعله هذا الأحسن بالحسن لثلاث تخرج الفاء عن مَوْضُوعِهَا والكلام عن التمام<sup>(١٢)</sup>.

(١) في الرازي: من يعز عليه في ضرر.

(٢) في «ب» فليمتنع.

(٣) سقط من «ب» وانظر: الرازي ٨٢/٢٦ وزاد المسير ٢٢/٧.

(٤) التبيان ١٠٨٣ والبيان ٢٩٧/٢ وتأويل المشكل ٢٢٨/٢ ومعاني الزجاج ٢٨٩/٤ والإعراب للنحاس ٣٩٧/٣ والدر المصون ٥١٥/٤.

(٥) قاله أبو حيان في البحر ٣٣٩/٧.

(٦) لم يحدده الكسائي ونقل هذا الرأي أبو البقاء في التبيان ١٠٨٤.

(٧) في «ب» رحمة وهذا تحريف غير مقصود. وقد ذكر هذين الوجهين العكبري في التبيان ١٠٨٣ و ١٠٨٤ والأنباري في البيان ٢٩٧/٢ ومكي في مشكل الإعراب ٢٢٨/٢ والسمين في الدر ٥٢١/٤ ومعنى قول الكشاف أنه منصوب على المفعول له. انظره ٣٢٤/٣.

(٨) الدر المصون ٥٢١/٤ والبحر ٣٣٩/٧.

(٩) السمين ٥٢١/٤.

(١٠) المرجعان السابقان.

(١١) هذا معنى كلام أبي حيان على ابن عطية معترضاً عليه كعادته قال: «وليس بحسن ولا أحسن».

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطِعِم مِّنْ لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطَعِمَهُ إِنَّا شَرْنَا إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾

قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا﴾ جوابها محذوف أي أعرضوا يدل عليه قوله بعده: ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾. وعلى هذا فلفظ «كانوا»<sup>(١)</sup> زائد، قال ابن عباس: ما بين أيديكم يعني الآخرة فاعملوا لها، وما خلفكم يعني الدنيا فاخذروها ولا تغتروا بها<sup>(٢)</sup>. وقيل: ما بين أيديكم وقائع الله فيمن كان قيلكم من الأمم وما خلفكم عذاب الآخرة قاله قتادة ومقاتل<sup>(٣)</sup>، «لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ»<sup>(٤)</sup>.

قوله: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ أي دلالة على صدق محمد - ﷺ - إلا كانوا عنها معرضين. وهذا الاستئناف في محل (نصب)<sup>(٥)</sup> حال<sup>(٦)</sup> كما تقدم في نظائره، وهذه الآية متعلقة بقوله تعالى: ﴿يَا حَسْرَةَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أي إذا جاءتهم الرسل كذبوا وإذا أتوا بالآيات أعرضوا.

قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا﴾ لما عدد الآيات بقوله: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ﴾<sup>(٧)</sup> (و) «آيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ» (و) «آيَةٌ لَهُمُ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ» وكانت الآيات تفيد اليقين والقطع ولم تفدهم<sup>(٨)</sup> اليقين قال فلا أقل من أن يخترزوا<sup>(٩)</sup> وقوع العذاب، فإن من أخبر بوقوع العذاب يتقيه وإن لم يقطع بصدق المخبر احتياطاً فقال تعالى: إذا ذكرتم الدليل القاطع لا يعترفون به فإذا قيل لهم اتقوا لا يتقون فهم في غاية الجهل ونهاية الغفلة لا مثل العلماء الذين يبنون الأمر على الأحوال ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ بحرف التمني أي أن يخفى عليه البرهان لا يترك الاحتراز والاحتياط.

قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ أي أعطاكم الله. وهذا إشارة إلى أنهم بخلوا بجميع التكاليف لأن المكلف يجب عليه التعظيم لجانب الله والشفقة على خلق الله وهم تركوا التعظيم حيث قيل لهم: اتقوا (فلم) يتقوا وتركوا الشفقة على خلق الله

(١) قاله الرازي في التفسير الكبير ٨٣/٢٦. (٢) ورأي الكلي أيضاً. زاد المسير ٢٣/٧.

(٣) السابق. (٤) أي لتكونوا على رجاء الرحمة من الله.

(٥) زيادة يتم لها الكلام والسياق. (٦) قاله السمين في الدرر ٥٢١/٤.

(٧) ما بين القوسين سقط من «ب». (٨) في «ب» ولم يفدهم بالتذكير على أن الفاعل اليقين.

(٩) في النسختين: يجوزوا فإن من جوز. والتصحيح من الرازي، انظر: الرازي ٨٢/٢٦.

(١٠) ما بين القوسين ساقط من «ب».

حيث قيل لهم: **أَنْفِقُوا** ولم ينفقوا فما الحكمة في حذف الجواب في قوله: **«وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا؟»** وههنا أجاب وأتى بأكثر من الجواب ولو قال: **«وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا قَالُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ»** لكان كافياً فما الفائدة في قوله تعالى: **«قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا؟»** فالجواب: أن الكفار كانوا يقولون بأن الإطعام من الصفات الحميدة وكانوا يفتخرون بطعمة الأضياف فأوردوا في ذلك على المؤمنين معتقدين بأن أفعالنا متأ<sup>(١)</sup> ولولا إطعامنا متأ لما اندفعت<sup>(٢)</sup> حاجة الضيف وأنتم تقولون: إن إلهكم يرزق من يشاء فليمن تقولون<sup>(٣)</sup> لنا: **أَنْفِقُوا؟** فلما كان غرضهم الرد على المؤمنين، لا الامتناع من الإطعام قال تعالى عنهم: **«قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا»** إشارة إلى الرد. وأما قوله: **أَتَقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ** فلم يكن لهم رد على المؤمنين فأعرضوا فأعرض (الله)<sup>(٤)</sup> عن ذكر إعراضهم لحصول<sup>(٥)</sup> العِلْم به.

### فصل

قال المفسرون: إن المؤمنين قالوا لكفار مكة: **أَنْفِقُوا** على المساكين مما<sup>(٦)</sup> زعمتم أنه لله من أموالكم وهو ما جعلوا لله من حُرُوثهم<sup>(٧)</sup> وأنعامهم **«قَالُوا أَنْطَعِمُ»** أنرزق **«مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ»** رزقه ثم لم يرزقه مع قدرته عليه فنحن نوافق مشيئة الله فلا نطعم من لم يطعمه الله. وهذا مما يتمسك به البخلاء يقولون: لا نعطي من حرمه الله. وهذا الذي يزعمون باطل؛ لأن الله تعالى أغنى بعض الخلق وأفقر بغضهم ابتلاءً فمنع الدنيا من الفقير لا بخلاً، وأمر الغني بالإنفاق لا حاجة إلى ماله ولكن ليبلى الغني بالفقير فيما فرض له في مال الغني ولا اعتراض لأحد على مشيئة الله وحكمه في خلقه.

فإن قيل: ما الفائدة من<sup>(٨)</sup> تغيير اللفظ في جوابهم حيث لم يقولوا: **أَنْفِقُوا** من لو يشاء الله رزقه وذلك أنهم أمروا بالإنفاق في قوله: **«وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا»** فكان جوابهم أن يقولوا: **أَنْفِقُوا؟** فليمن قالوا: **أَنْطَعِمُ؟**

فالجواب: أن في هذا بيان غاية مخالفتهم لأنهم إذا أمروا بالإنفاق والإنفاق يدخل فيه الإطعام وغيره فلم يأتوا بالإنفاق ولا بأقل منه وهو الإطعام. وهذا كقول القائل لغيره: **«أَعْطِ زَيْدًا دِينَارًا»** فيقول: **لَا أُعْطِيهِ** دزهماً مع أن المطابق هو أن يقول لا أعطيه ديناراً

(١) في الرازي: «ثاء» لا متأ.

(٢) كذا في «ب» والعرف النحوي وفي «أ»: فلم تقولوا بحذف التون لحن لغوي.

(٣) زيادة من الرازي.

(٤) في «ب» فيما.

(٥) في «ب» حُرُوثهم بالافراد. وهذا القول ينسب إلى مقاتل. انظر: زاد المسير ٢٤/٧ والجامع للقرطبي

٣٦/١٥ و ٣٧ والبحر المحيط ٣٤٠/٧.

(٦) في «ب» في. وهو الموافق للرازي ٨٤/٢٦.

ولكن المبالغة في هذا الوجه أتم . فكذلك ههنا .

فإن قيل : قولهم : «مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطَعَمَهُ» كلام حق فلماذا ذكر في معرض الدّم ؟

فالجواب : لأن مرادهم كان الإنكارَ لقدرة الله أو لعدم جواز الأمر بالإنفاق مع قدرة الله وكلاهما فاسدٌ فبين الله ذلك بقوله : «مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ» فإنه يدل على قدرته ويصحح<sup>(١)</sup> أمره بالإعطاء لأن من كان له في يد الغير مال وله في خزائنه مال فهو مخير إن أراد أعطي مما في خزائنه وإن أراد أمر من عنده المال بالإعطاء ، ولا يجوز أن يقول من في يده مال : في خزائنتك أكثر مما في يدي أعطه منه<sup>(٢)</sup> .

قوله : «مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطَعَمَهُ» مفعول «أَنْطَعِمُ» و «أَطَعَمَهُ» جواب «لو» وجاء على

أحد الجائزين (و)<sup>(٣)</sup> هو تجرده من اللام . والأفصح<sup>(٤)</sup> أن يكون بلام<sup>(٥)</sup> ، نحو : «لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَمًا»<sup>(٦)</sup> [الواقعة : ٦٥] قوله : «إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ» يقول الكفار للمؤمنين : ما أنتم إلا في خطأ بين<sup>(٧)</sup> في أتباعكم محمداً وترك ما نحن عليه وهذا إشارة إلى أنهم قطعوا المؤمنين بهذا الكلام وأن أمرهم بالإنفاق مع قولهم بقدرة الله ظاهر الفساد واعتقادهم هو الفساد .

## فصل

اعلم أنّ «إِنْ» وردت للنفي بمعنى «مَا» وكان الأصل في «إِنْ» أن تكون للشرط والأصل في «مَا» أن تكون للنفي لكنهما اشتراكا من بعض الوجوه فتعارضتا<sup>(٨)</sup> . واستعمل «مَا» في الشرط ، واستعمل «إِنْ» في النفي . أما وجه اشتراكهما فهو أن كل واحدة منهما حرف مركب من حرفين متقاربين فإن الهمزة تقرب من الألف والميم من النون ولا بد أن يكون المعنى الذي يدخل عليه «مَا» و «إِنْ» لا يكون ثابتاً أما في «مَا» فظاهر وأما في «إِنْ» فلأنك إذا قلت : «إِنْ جَاءَ زَيْدٌ أَكْرَمْتُهُ» ينبغي أن لا يكون منه في الحال (مجيء)<sup>(٩)</sup>

(١) في «ب» صحح وما في الرازي موافق لما هنا أعلى .

(٢) انظر : تفسير الإمام فخر الدين الرازي ٨٤/٢٦ و ٨٥ .

(٣) سقط من ب .

(٤) نقول : إن حكمه كقول الله - عز وجل - «اسْتَعْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ» فكانت القاعدة تقتضي القول استنحاءً كاستنحاءٍ واستنحاءً لكنا نقول : إنه شاذ قياساً فصيح استعمالاً فكان على المؤلف أن يذكر بدل الأفصح الأكثر .

(٥) حيث إن الجواب ماضٍ مثبت غير منفي وإذا كان كذلك كانت اللام هي الكثيرة وبدونها يكون قليلاً .

(٦) وجاء من حيث القلة قوله : «أَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا» ٦٩ من نفس السورة .

(٧) في ب مبين .

(٨) أي أخذ كل منهما من الآخر شيئاً فأصبحتا متعارضتين . وفي ب «فتعارضتا» . تحريف .

(٩) سقط من ب وفي الرازي ٨٥/٢٦ : «أن لا يكون له في الحال مجيء» ، وانظر : تفسير الإمام الفخر الرازي ٨٥/٢٦ .

فاستعمل إن مكان «ما». وقيل: «إِنْ زَيْدٌ قَائِمٌ» أي ما زيد بقائم. وأستعمل ما في الشرط تقول: مَا تَصْنَعُ أَصْنَعُ والذي يدل على ما ذكرنا أن «ما» النافية تستعمل بحيث لا تستعمل إن (وذلك)<sup>(١)</sup> لأنك تقول: «مَا إِنْ جَلَسَ زَيْدٌ» فتجعل إن «صلة» ولا تقول: «إِنْ<sup>(٢)</sup> جَلَسَ زَيْدٌ»، بمعنى النفي وبمعنى الشرط تقول: إِمَّا<sup>(٣)</sup> ترين فتجعل «إِنْ» أصلاً و «ما» صلة فدلنا هذا على أَنَّ «إِنْ» في الشرط أصل و «ما» دخيل فيه و «ما» في النفي بالعكس.

### فصل

قوله: «إِنْ أَنْتُمْ»<sup>(٤)</sup> يفيد ما لا يفيد قوله: «أَنْتُمْ فِي ضَلَالٍ» لأنه يوجب الحصر وأنه<sup>(٥)</sup> ليسوا في غير الضلال. ووصف الضلال بالمُبين أي أنه لظهوره تبين<sup>(٦)</sup> نفسه أنه ضلال أي في ضلال لا يخفى على أحد أنه في ضلال.

وقوله: «في ضلال» يفيد<sup>(٧)</sup> كونهم مغمورين فيه غائصين، فأما قوله في موضع آخر: «عَلَى بَيِّنَةٍ» و «عَلَى هُدًى» فهو إشارة إلى كونهم راكبين متن الطريق المستقيم قَادِرِينَ عَلَيْهِ<sup>(٨)</sup>.

### فصل

إنما وصفوا المؤمنين بأنهم في ضلال مبين لظنهم أن كلام المؤمنين متناقض ومن يتناقض كلامه يكون في غاية الضلال. قال ابن الخطيب: ووجه<sup>(٩)</sup> ذلك أنهم قالوا: أنطعم من لو يشاء الله أطعمه وهذا إشارة إلى أن الله إن شاء أن يطعمهم فهو يطعمهم فكان الأمر بإطعامهم أمراً بتحصيل الحاصل وإن لم يشأ إطعامهم لا يقدر أحد على إطعامهم لامتناع وقوع ما لم يشأ فلا قدرة لنا على الإطعام فكيف تأمرونا بالإطعام؟! ووجه آخر وهو أنهم قالوا إن أراد الله تجويعهم فلو أطعمناهم يكون ذلك سعيًا في إبطال

(١) سقط من ب.

(٢) في ب «ما» بدل «أن» تحريف ولحن وربما سهو من التأنيخ.

(٣) الأصل إن ما، فلفظ «إما» مركب من «إن» و «ما» وقلبت النون ميماً وأدغمت الميمان في بعضهما ولقد أورد هذه القضية كلها الإمام الرازي في تفسيره ٨٥/٢٦. ولقد نقل السيوطي في الأشباه والنظائر أن «إما» مركبة من إن الشرطية وما النافية حيث قال: «ومن الاختصار تركيب إما العاطفة على قول سيبويه من إن الشرطية وما النافية». الأشباه والنظائر ٢٩/١. وهذا بخلاف كلامه في الهمع فقد ذكر أنها من «إن» و «ما» الزائدة. الهمع ١٣٥/٢ وهو رأي الكوفيين ونقله عنهم ابن هشام في المغني ٦١. وانظر: قضايا التركيب ٢٠٦ و ٢٠٧.

(٤) في ب لا يفيد خطأ لأن الغرض الإيجاب لا النفي.

(٥) كذا في أ والرازي وفي ب أنهم ليسوا.

(٦) في ب مبين.

(٧) في ب مفيد.

(٨) و (٩) تفسير الرازي له ٨٥/٢٦ و ٨٦.

فعل الله وأنه لا يجوز وأنتم تقولون أطمعوهم فهو ضلال . واعلم أنه لم يكن في الضلال إلا هم حيث نظروا إلى المراد ولم ينظروا إلى الطلب والأمر وذلك لأن العبد إذا أمره السيد بأمر لا ينبغي الاطلاع على المقصود<sup>(١)</sup> الذي لأجله الذي أمره به مثاله إذا أراد الملك الركوب للهجوم على عدوه بحيث لا يطلع عليه أحد وقال للعبد: أخضر المركوب فلو تطلع واستكشف المقصود الذي لأجله الركوب لنسب إلى أنه يريد أن يطلع عدوه على الحذر منه وكشف سره فالأدب في الطاعة هو اتباع الأمر لا تتبع المراد فالله تعالى إذ(١)<sup>(٢)</sup> قال: أنفقوا مما رزقكم الله لا يجوز أن يقال: لِمَ لَمْ يطعمهم (الله)<sup>(٣)</sup> مما في خزائنه؟

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٤٨) مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ (٤٩) فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ (٥٠) وَيُفِيحُ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (٥١) قَالُوا يَا بَنِيَّادَنَا مَا بَعَثْنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (٥٢) إِنْ كُنْتُمْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٥٣) قَالِيَوْمَ لَا تُظَلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٥٤)

قوله: «وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ» أي القيامة والبعث «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» وهذا إشارة إلى ما اعتقدوا أن التقوى المأمور بها في قوله: «وَإِذَا قِيلَ لَهُم اتَّقُوا» والإنفاق المذكور في قوله: «وَإِذَا قِيلَ لَهُم أَنْفِقُوا» لا فائدة فيه لأن الوعد لا حقيقة له وقولهم: «مَتَى هَذَا الْوَعْدُ» أي متى يقع الموعد به.

### فصل

«إِنْ» للشرط وهي تستدعي جزاء<sup>(٤)</sup> و «متى» استفهام لا تصلح جواباً فيه فما الجواب؟

قيل: هو في صورة الاستفهام وهو في المعنى إنكار كأنهم قالوا: إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ في وقوع الحشر فقولوا متى يكون.

### فصل

الظاهر أن هذا الخطاب مع الأنبياء لأنهم لما أنكروا الرسالة قالوا إِنْ كُنْتُمْ أَيُّهَا الْمُدْعُونَ لِرِسَالَةِ صَادِقِينَ فَأخبرونا متى يكون ما تعدوننا به.

(١) في الرازي: لا ينبغي أن يكشف سبب الأمر والاطلاع على المقصود الذي أمر به لأجله.

(٢) ألف «إذ» زيادة من ب على أ والرازي.

(٣) سقط من ب.

(٤) أو جواباً فكلاهما صحيحان.

فإن قيل: ليس في هذا الموضع وعد فالإشارة بقوله: «هَذَا الْوَعْدُ» إلى أي وعد؟  
فالجواب: هو ما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾  
من قيام الساعة، أو نقول: هو معلوم وإن لم يكن مذكوراً لكون الأنبياء مقيمين على  
تذكيرهم بالساعة والحساب<sup>(١)</sup> والثواب والعقاب.

قوله: «مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً». قال ابن عباس: ما ينتظرون إلا الصيحة  
المعلومة يريد النفخة الأولى<sup>(٢)</sup>، والتنكير للتكثير.

فإن قيل<sup>(٣)</sup>: هم ما كانوا ينتظرون بل كانوا يجزمون بعدمها.

فالجواب: المراد بالانتظار فعلهم لأنهم كانوا يفعلون ما يستحق به فاعله الهوان  
وتعجيل العذاب وتقريب الساعة لولا حكم الله وعلمه بأنهم لا يفوتونه أو يقال: لما لم  
يكن قولهم «متى» استفهاماً حقيقياً قال ينتظرون انتظاراً غير حقيقي لأن القائل متى يفهم  
منه الانتظار نظر لقوله.

## فصل

ذكر في الصيحة أموراً تدل على عظمها:

أحدها: التنكير.

وثانيها: قوله «واحدة» أي لا يحتاج معها إلى ثانية.

ثالثها: «تأخذهم» أي تَعْمُهُم بِالْأَخْذِ وتصل إلى مَنْ في الأرض مشارقها  
ومغاربها<sup>(٤)</sup>.

قوله: «وَهُمْ يَخْصَمُونَ» قرأ حمزة بسكون الخاء وتخفيف الصاد من خَصِمَ يَخْصِمُ.  
والمعنى يخصم بعضهم بعضاً فالمفعول محذوف<sup>(٥)</sup>، وأبو عمرو وقالون بإخفاء فتحة  
الهاء، وتشديد الصاد. ونافع وابن كثير وهشام كذلك إلا أنه بإخلاص فتحة الخاء،  
والباقون بكسر الخاء<sup>(٦)</sup> وتشديد الصاد والأصل في القراءات الثلاث يَخْتَصِمُونَ فأدغمت  
التاء في الصاد. فنافع وابن كثير وهشام نقلوا فتحها إلى الساكن قبلها نقلاً كاملاً، وأبو  
عمرو وقالون اختلسا حركتها تنيهاً على أن الخاء أصلها السكون والباقون حذفوا حركتها

(١) وقد قال بهذه الأقوال كلها الإمام العلامة فخر الدين في التفسير الكبير ٨٦/٢٦.

(٢) قاله الخازن والبغوي في تفسيريهما ١١/٦.

(٣) و (٤) الرازي ٨٦/٢٦ و ٨٧.

(٥) انظر: الإتحاف ٣٦٥ والسبعة ٥٤١ وإبراز المعاني ٦٥٩ وكشف مكي ٢١٧/٢ و ٢١٨ والنشر ٢/

٣٥٤ وتقريب النشر ١٦٥ ونسبها الفراء في المعاني إلى يحيى بن وثاب ٣٧٩/٢. وانظر: حجة ابن

خالويه ٢٩٨ وزاد المسير ٢٥/٧ والكشاف ٣٢٥/٣.

(٦) المراجع السابقة وانظر في هذا كله البحر لأبي حيان ٣٤٠/٧ و ٣٤١ والدر المصون ٥٢٢/٤ وهي

قراءات متواترة.

فالتقى ساكتان كذلك فكسر(وا)<sup>(١)</sup> أولهما. فهذه أربع قراءات قرىء بها في المشهور، وروي عن أبي عمرو وقالون سكون الخاء وتشديد الصاد فالنحاة يستشكلونها للجمع بين ساكتين على غير حَدِيثِهِمَا. وقرأ جماعة «يَخْصُمُونَ» بكسر الياء والحاء وتشديد الصاد وكسروا الياء إتباعاً<sup>(٢)</sup>. وقرأ أبي يَخْصُمُونَ على الأصل<sup>(٣)</sup>، وقال أبو حيان وروي عنهما - أي عن أبي عمرو وقالون - سكون الخاء، وتخفيف الصاد من خَصَم<sup>(٤)</sup>. قال شهاب الدين: هذه هي قراءة حمزة ولم يحكها هو عنه، وهذا يشبه قوله: «يَخْطَفُ أَبْصَرَهُمْ»<sup>(٥)</sup> [البقرة: ٢٠] في البقرة و «لَا يَهْدِي»<sup>(٦)</sup> في يونس وقرأ ابن مُخَيِّن «يرجعون» مبنياً للمفعول<sup>(٧)</sup>.

## فصل

قال عليه (الصلاة و) السلام: «لَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلَانِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا فَلَا يَبِيَعَانِهِ وَلَا يَطْوِيَانِهِ وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ الرَّجُلُ أَكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ»<sup>(٨)</sup> فَلَا يَطْعُمَهَا.

قوله: «فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً» أي لا يقدرون على الإيذاء قال مقاتل: أي أعجلوا عن الوصية فماتوا «وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ» يَنْقَلِبُونَ. أي أَنَّ السَّاعَةَ لَا تُنْهَلُهُمْ لشيء<sup>(٩)</sup>.

واعلم أن قول القائل: فلان في هذه الحالة لا يوصي دون قوله لا يستطيع التوصية لأن من لا يوصي قد يستطيعها والتوصية بالقول، والقول يوجد أسرع مما يوجد الفعل فقال: لا يستطيعون كلمة، فكيف الذي يحتاج إلى زمن<sup>(١٠)</sup> طويل من أداء الواجبات ورد المظالم؟! واعتبار الوصية من بين سائر الكلمات يدل على أنه لا قدرة له على أهم الكلمات فإن وقت الموت الحاجة إلى الوصية أمس. والتذكير في التوصية للتعميم أي لا

(١) ما بين القوسين زيادة من أफी ب كسر بدون وار. وانظر هذا في الدر ٥٢٢/٤ والإتحاف والمراجع السابقة.

(٢) نقلها أبو حيان ٣٤١/٧ والسمين في الدر ٥٢٢/٤ والزمخشري في الكشاف ٣٢٥/٣.

(٣) المراجع الثلاثة السابقة. وانظر أيضاً معاني القرآن للفراء ٣٧٩/٢ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/٢٩٠ وفضل الزجاج قراءة: «يَخْصُمُونَ» بفتح الخاء مع الياء قال: «والقراءة الجيدة يخضمون بفتح الخاء والأصل: يخضمون فطرح فتحة التاء على الخاء وأدغمت في الصاد».

(٤) البحر ٣٤١/٧.

(٥) وكسر الطاء قراءة مجاهد. والفتح أعلى وأفصح كما قال الزمخشري انظر: الكشاف ٢١٩/١.

(٦) وهي قراءة حمزة والكسائي وهي الآية ٣٥ من يونس وانظر: السبعة ٣٢٦ والإتحاف ٣٦٥.

(٧) السابق وانظر: البحر ٣٤١/٧ والدر ٥٢٣/٤.

(٨) من حديث طويل رواه البخاري في صحيحه ٢٣١/٤ وقد رواه أبو هريرة.

(٩) قال بهذه المعاني البغوي والخازن في تفسيريهما ١١/٦.

(١٠) كذا هنا وفي الزاوي: إلى زمان وفي ب إلى «أمن» تحريف.

يقدر على توصية (ما)<sup>(١)</sup> ولو كانت بكلمة يسيرة، ولأن التوصية<sup>(٢)</sup> قد تحصل بالإشارة، فالعاجز<sup>(٣)</sup> عنها عاجز عن غيرها. وقوله: «وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ» بيان لشدة الحاجة إلى التوصية، ثم بين ما بعد الصيحة الأولى فقال: «وَنُفِخَ فِي الصُّورِ» أي نفخ فيه أخرى كقوله تعالى: «ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ» [الزمر: ٦٨] وقرأ الأعرج ونفخ في الصور بتفخ الواو<sup>(٤)</sup>. وهي القبور واحدا جَدَثٌ، وقرىء من الأجداف<sup>(٥)</sup> بالفاء. وهو لغة في الأجداث يقال: جَدَثٌ، وَجَدَفَ كَثْمٌ وَفَمٌّ، وَثُومٌ، وَفُومٌ<sup>(٦)</sup>.

فإن قيل: أين<sup>(٧)</sup> يكون ذلك الوقت أجداث وقد زلزت الصيحة الجبال؟

فالجواب: أن الله يجمع أجزاء كل ميت في الموضع الذي أُقْبِرَ فيه من ذلك الموضع وهو جدته.

قوله: «إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ» أي يخرجون من القبور أحياء. وقرأ ابنُ أبي إسحاق وأبو عمرو في رواية: يَنْسِلُونَ<sup>(٨)</sup> بضم السين، يقال: نَسَلَ الثعلبُ يَنْسِلُ وَيَنْسُلُ إذا أسرع في عَدْوِهِ، ومنه قيل للولد: نَسَلَ لخروجه من ظهر أبيه وبطن أمه<sup>(٩)</sup>.

فإن قيل: المسمي<sup>(١٠)</sup> إذا توجه إلى من أحسن إليه يقدم رجلاً ويؤخر أخرى والنَّسْلان سرعة الشيء فكيف يوجد بينهم ذلك؟

فالجواب: ينسلون من غير اختيارهم والمعنى أنه أراد أن يبين كمال قدرته ونفوذ إرادته حيث ينفخ في الصور فيكون في وقته جمع وإحياء وقيام وعدو في زمان واحد، فقوله: «إِذَا هُمْ يَنْسِلُونَ» أي في زمان واحد ينتهون إلى هذه الدرجة وهي النسلان الذي لا يكون إلا بعد مراتب.

فإن قيل: قال في آية «فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ» وقال ههنا: «فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ» والقيام غير النسلان فقوله في الموضعين: «إذا هم» يقتضي أن يكونا معاً.

(١) سقط من ب. (٢) في ب التوصية وهو الموافق للرازي.

(٣) في ب والعاجز بالواو.

(٤) ذكرها أبو الفتح في المحتسب ٢/٢١٢ وهي من الشواذ وانظر كذلك الرمخشري في كشافه ٣/٣٢٥. وقد أنكر الزجاج هذه إن قرئت فلم يعترف بأن قارئاً قرأها بالفعل فقال: «وما قرأ أحد أحسن صُوركم ولا قرأ أحد ونفخ في الصور من وجه يثبت» ٤/٢٩٠.

(٥) ذكرها الرمخشري في الكشاف ٣/٣٢٥ وأبو حيان في البحر ٧/٣٤١.

(٦) انظر: الإبدال لابن السكيت ١٢٥: ١٢٧ وأمالي القالي ٢/٣٤.

(٧) الرازي ٢٦/٨٨.

(٨) لم أجد لها عنه في المتواتر انظر: مختصر ابن خالويه ١٢٥ والكشاف ٣/٣٢٦.

(٩) انظر: اللسان: «٤٤١٣» والمصدر النَّسْلان.

(١٠) الرازي ٢٦/٨٧ و ٨٨.

فالجواب من وجهين:

الأول: أن القيام لا ينافي المشي السريع لأن الماشي قائم ولا ينافي النظر.

الثاني: أن لسرعة<sup>(١)</sup> الأمور كأن الكل في زمان واحد كقول القائل:

٤١٨٣ - مَكْرٌ مِفْرٌ مُقْبِلٌ مُذْبِرٌ مَعَاً.....<sup>(٢)</sup>

واعلم أن النفتختين تورثان تزلزلاً وانقلاباً للأجرام فعند اجتماع<sup>(٣)</sup> الأجرام يُفْرَقُها وهو المراد بالنفخة الأولى وعند تفرق الأجرام يجمعها وهو النفخة الثانية.

قوله: «يَا وَيْلَتَا» العامة على الإضافة إلى ضمير المتكلمين دون تأنيث وهو «ويل» مضاف لما بعده. ونقل أبو البقاء أن «وي» كلمة برأسها عن الكوفيين و «لنا» جار ومجرور<sup>(٤)</sup> انتهى. قال شهاب الدين: ولا معنى لهذا إلا بتأويل بعيد وهو أن يكون يا عَجَبَ لنا، لأن «وي» تفسير بمعنى أعجب منا<sup>(٥)</sup>. وابن أبي ليلى يا ويلتنا بتاء التأنيث وعنه أيضاً يَا وَيْلَتِي بإبدال التاء ألفاً<sup>(٦)</sup>. وتأويل هذه أن كل واحد منهم يقول يا ويلتي<sup>(٧)</sup>.

قوله: «مَنْ يَعْثَنَا» العامة على فتح ميم «من» و «بعثنا» فعلاً ماضياً خيراً «لمن» الاستفهامية قبله، وابن عباس والضحاك وأبو نُهَيْك بكسر الميم على أنها حرف<sup>(٨)</sup> جر، و «بعثنا» مصدر مجرور «بمن»، ف «من» الأولى تتعلق<sup>(٩)</sup> بالويل والثانية تتعلق<sup>(١٠)</sup> بالبعث. والمرقّد يجوز أن يكون مصدراً<sup>(١١)</sup> أي من رُقَادِنَا وأن يكون<sup>(١٢)</sup> مكاناً وهو مفرد

(١) في ب سرعة والرازي موافق ل «أ».

(٢) صدر بيت من الطويل عجزه:

كَجَلْمُودٍ صَخْرٍ حَطَّةِ السَّيْلِ مِنْ عَلٍ

وهو يصف فرسه النشيط بصفات كثيرة الكرور والفرار والإقبال والإدبار. وهذه مبالغة في سرعته الخارقة وعدم بلادته. ومحل الشاهد: أن لسرعة هذا الحصان كأنه يفعل هذه الأشياء في زمن ومكان واحد. وانظر: شذور الذهب ١٤٧، والمحتسب ٣٤٢/٢ وابن يعيش ٨٩/٤ والتصريح ٥٤/٢. والهمع ٢١٠/١ وحاشية الديمهوري ٨١ والفخر الرازي ٨٨/٢٦ والكتاب ٢٢٨/٤، والمغني ١٥٤.

(٣) في ب إجماع.

(٤) الدر المصون ٥٢٣/٤.

(٥) المحتسب ٢١٣/٢ ومختصر ابن خالويه ١٢٥ والكشاف ٣٢٦/٣ الأولى فقط وانظر البحر ٣٤١/٧ والسمين ٥٢٣/٤.

(٦) المرجع الأخير السابق.

(٧) انظر: مختصر ابن خالويه ١٢٥ ونسبها إلى علي أيضاً. وانظر: الكشاف ٣٢٦/٣ والبحر ٣٤١/٧ وهي من الشواذ.

(٨) في ب «متعلق» أيضاً.

(٩) أي مصدراً ميمياً كملعب، ومذبح مما ماضيه بفتح العين ومضارعه أيضاً.

(١٠) أي اسم مكان على مفعل كالعلة السابقة للمصدر.

أقيم مُقام الجمع والأول<sup>(١)</sup> أحسن؛ إذ المصدر يفرد مطلقاً<sup>(٢)</sup>.

## فصل

قال ابن عباس وأبي بن كعب وقتادة: إنما يقولون هذا لأن الله يرفع عنهم العذاب بين التفختين فيرقدون فإذا بعثوا بعد النفخة الأخيرة وعابنوا القيامة، دعوا بالويل. وقال (أهل)<sup>(٣)</sup> المعاني: الكفار إذا عابنوا جهنم وأنواع عذابها صار عذاب القبر في جنبها كالنوم فقالوا: مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا<sup>(٤)</sup>.

فإن قيل: لو قيل: فإذا هم من الأحداث إلى ربهم ينسلون يقولون يا ويلنا كان أليق قال ابن الخطيب: نقول: معاذ الله وذلك لأن قوله إذا هم من الأحداث إلى ربهم ينسلون إشارة إلى أنه تعالى بأسرع زمان يجمع أجزاءهم ويؤلفها ويحييها ويحركها بحيث يقع نسلانهم في وقت النفخ مع أن ذلك لا بد له من الجمع والتأليف فلو قال يقولون لكان ذلك مثل الحال لينسلون أي ينسلون قائلين يا ويلنا وليس كذلك فإن قولهم: يا ويلنا قبل أن ينسلوا وإنما ذكر النسلان لما ذكرنا من الفائدة<sup>(٥)</sup>.

فإن قيل: ما وجه تعلق «مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا» بقولهم «يَا وَيْلَنَا»؟

فالجواب: لما بعثوا تذكروا<sup>(٦)</sup> ما كانوا يسمعون من الرسل فقالوا: يَا وَيْلَنَا أَبَعَثَ اللَّهُ الْبَعَثَ الموعود به أم كنا نياماً هنا كما إذا كان إنسان موعوداً بأن يأتيه عدو لا يطيقه ثم يرى رجلاً هائلاً يقبل عليه فيرتجف في نفسه ويقول أهذا ذاك أم لا؟. ويدل على هذا قولهم: «مِنْ مَرْقَدِنَا» حيث جعلوا القبور موضع الرقاد إشارة إلى أنهم شكوا في أنهم كانوا نياماً فنبهوا أو كانوا موتى فبعثوا وكان الغالب على ظنهم هو البعث فجمعوا بين الأمرين وقالوا من بعثنا إشارة إلى ظنهم أنه بعثهم الموعود به وقالوا من مرقدنا إشارة إلى توهمهم احتمال الأتية<sup>(٧)</sup>.

قوله: «هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ» في «هذا» وجهان:

أظهرهما: أنه مبتدأ وما بعده خبره<sup>(٨)</sup>. ويكون الوقف تاماً على قوله: «مِنْ مَرْقَدِنَا». وهذه الجملة حينئذ فيها وجهان:

(١) أي المصدر.

(٢) بالمعنى من البحر ٣٤١/٧ وباللفظ من الدر المصون ٥٢٤/٤.

(٣) سقطت من الأصل فالتصحيح من ب والمرجمين الآتين.

(٤) قال بذلك الإمامان الخازن والبغوي في تفسيريهما: لَبَاب التَّوِيل ومعالِم التنزيل ١١/٦.

(٥) قاله في التفسير الكبير الإمام الفخر الرازي ٨٨/٢٦.

(٦) في ب فذكروا وفي الرازي كما هنا أعلى. (٧) انظر: تفسير الإمام الرازي ٨٩/٢٦.

(٨) في ب خبر بدون هاء الضمير. وانظر: التبيان ١٠٨٤، والبيان ٢/٢٩٨، ومعاني الزجاج ٢٩١/٤

ومعاني الفراء ٢/٣٨٠ ومشكل إعراب القرآن ٢/٢٣٠ والدر المصون ٤/٥٢٤ والكشاف ٣/٣٢٦

وإعراب النَّحَّاس ٣/٤٠٠ والقرطبي ١٥/٤٢.

أحدهما: أنها مستأنفة إما من قول الله تعالى، أو من قول الملائكة، أو من قول المؤمنين للكفار<sup>(١)</sup>.

الثاني: أنها من كلام الكفار فيكون في محل نصب بالقول<sup>(٢)</sup>.  
والثاني من الوجهين الأولين: (أن)<sup>(٣)</sup> «هذا» صفة «لمرقدنا» و «مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ» منقطع عما قبله<sup>(٤)</sup>، ثم في «ما» وجهان:

أحدهما: أنها في محل رفع بالابتداء والخبر مقدر أي الذي وعده الرحمن وصدق فيه المرسلون حق عليكم<sup>(٥)</sup>. وإليه ذهب الزجاج والزمخشري<sup>(٦)</sup>.

والثاني: أنه خبر مبتدأ مضمرة أي هذا وعد<sup>(٧)</sup> الرحمن، وقد تقدم في أول الكهف أن حَفْصاً يقف على «مرقدنا» وقفة لطيفة دون قطع نفس لثلاث يتوهم أن اسم الإشارة تابع لـ «مَرَقِدِنَا». وهذان الوجهان يقويان ذلك المعنى المذكور الذي تعمد الوقف لأجله<sup>(٨)</sup>، و «ما» يصح أن تكون موصولة اسمية أو حرفية كما تقدم<sup>(٩)</sup>. ومفعولا الوعد والصدق محذوفان أي وَعَدْنَاهُ الرَّحْمَنُ وَصَدَقْنَاهُ الْمُرْسَلُونَ<sup>(١٠)</sup>، والأصل «صدقنا فيه» ويجوز حذف الخافض وقد تقدم ذلك نحو: صَدَقْنِي سَنَ بَكْرٍ (٥) أي في سنة<sup>(١١)</sup> (١٢).

قوله: «إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيِّحَةً وَاحِدَةً» تقدمت قراءتا: «صَيِّحَةً وَاحِدَةً» [يس: ٥٣] نصباً ورفعاً أي ما كانت النفخة إلا صيحة واحدة، ويدل على النفخة قوله: «وَتُنْفَخَ فِي الصُّورِ». ويحتمل أن يقال: إنها كانت الواقعة وقرئت الصيحة مرفوعة على أن «كان» هي التامة<sup>(١٣)</sup> بمعنى «ما وقعت إلا صيحة» قال الزمخشري: لو كان كذلك لكان الأحسن أن

(١) نقله مكِّي في المشكل ٢٣٠/٢ والسمين في الدر ٥٢٤/٤.

(٢) وهو قالوا من: «قَالُوا يَا وَيْلَنَا». (٣) زيادة للسياق وتنسيقه.

(٤) المراجع السابقة.

(٥) ذهب أبو البقاء إليه في التبيان ١٠٨٤ أيضاً ومكِّي في المشكل ٢٣٠/٢.

(٦) الكشف ٣٢٦/٣ ومعاني القرآن وإعرابه ٢٩١/٤.

(٧) ذهب إليه مكِّي في المشكل ٢٣٠/٢ والفراء في المعاني ٣٨٠/٢ وابن الأنباري في البيان ٢٩٨/٢ والتبيان

١٠٨٣ و ١٠٨٤ وذكره أيضاً الزجاج في المعاني ٢٩١/٤ والكشاف ٣٢٦/٣ والقرطبي ٤٢/١٥.

(٨) المؤلف في الكهف كان يتحدث عن قوله: «وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا» وأشار إلى السكبة اللطيفة على

ألف «عِوَجًا» فذكر هناك «مرقدنا» فالشيء بالشيء ذكر. وانظر: الباب ٤٩٧/٣ ب والإتحاف ٢٨٧.

(٩) المراجع السابقة. (١٠) الدر المصون ٥٢٤/٤ و ٥٢٥.

(١١) سقطت من ب.

(١٢) المختار أن الجار لا يحذف ويبقى عمله اختيارياً وإن وقع فضرورة كقوله: ... أَشَارَتْ كَلَيْبٍ بِالْأَكْفِ

الأصابع إلا مع «كم» أو «رب» بعد الفاء والواو العاطفة كثيراً. وقيل خلاف ذلك. انظر: الهمع ٢/

٣٧ و ٣٦.

(١٣) وهي التي تكتفي بمرفوع على أنه فاعل أو نائبه كقوله عز وجل: «وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ» وهذا رأي

الإمام الرازي في أن «كان» هي التامة.

يقال: إن كان؛ لأن المعنى حينئذ ما وقع شيء إلا صيحة لكن التأنيث جائز إحالته على الظاهر<sup>(١)</sup>. ويمكن أن يقول<sup>(٢)</sup> الذي قرأ بالرفع<sup>(٣)</sup> إن قوله: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ [الواقعة: ١] تأنيث تهويل ومبالغة بدليل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَوْعَتِنَا كَذِبَةٌ﴾ [الواقعة: ٢] فإنها للمبالغة فكذلك ههنا قال: «إن كانت إلا موتتنا الأولى» تأنيث تهويل، ولهذا جاءت أسماء يوم الحشر كلها مؤنثة كالقيامة والقارعة والحاقة والصاخة إلى غيرها<sup>(٤)</sup>.

والزمخشري يقول: كاذبة بمعنى ليس لوقعتها نفس كاذبة<sup>(٥)</sup> وتأنيث أسماء الحشر لكون الحشر مسمى بالقيامة. وقوله «محضرون» دليل على أن كونهم ينسلون إجباري لا اختياري<sup>(٦)</sup>، ثم بين ما يكون في ذلك اليوم فقال: «فَالْيَوْمَ لَا تُظَلِّمُ نَفْسٌ شَيْئًا» فالיום منصوب «بلا تظلم»<sup>(٧)</sup>، و «شيئاً» إما مفعول ثانٍ وإما مصدر<sup>(٨)</sup>.

فقوله: «لَا تُظَلِّمُ نَفْسٌ لِيَأْمَنَ الْمُؤْمِنُ (و) «وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» لِيَأْسَ الْمَجْرِمُ وَالْكَافِرُ»<sup>(٩)</sup>.

فإن قيل: ما الفائدة في الخطاب عند الإشارة إلى يأس المجرم وترك الخطاب في الإشارة إلى أمان المؤمن؟

فالجواب: أن قوله: «لَا تُظَلِّمُ نَفْسٌ شَيْئًا» يفيد العموم وهو كذلك فإنه لا يظلم أحداً وأما «لا تجزون» فيختص بالكافر لأن الله يجزي المؤمن وإن لم يفعل فإن الله فضلاً مختصاً بالمؤمن وعدلاً عاماً فيه. وفيه بشارة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَاهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَلٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِنُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَّمَ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَجِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمَجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾

ثم بين حال المحسن<sup>(١٠)</sup> فقال: «إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَاهُونَ» فقوله: «فِي شُغْلٍ» يجوز أن يكون خبراً لـ «إِنَّ» و «فَاكِهُونَ» خبر ثانٍ وأن يكون «فَاكِهُونَ» هو

(١) الكشاف ٣/٣٢٠. (٢) هذا قول الرازي. انظر التفسير الكبير له ٩٠/٢٦.

(٣) في ب نافع تحريف وخطأ. (٤) الرازي ٩٠/٢٦.

(٥) قاله في الكشاف ٥١/٤. (٦) الرازي ٩٠/٢٦.

(٧) قاله أبو حيان في البحر ٣٤١/٧ والسمين في الدر ٥٢٤/٤ و ٥٢٥.

(٨) المرجع الأخير السابق. ويقصد بالمفعول الثاني أنه «لُظَلِّمَ». والمفعول الأول هو نائب الفاعل وهو «نفس» والأصل: لا يُظَلِّمُ اللهُ نفساً شيئاً. ويقصد بالمصدر المقام مقامه لكلمة شيئاً وهي صفته وهي إحدى النابات عن المفعول المطلق كقولنا: «أَحَبُّ اللّهِ كَثِيرًا» أي حُبًا كثيرًا.

(٩) الرازي المرجع السابق. (١٠) السابق.

الخبر و «في شُغْل» يتعلق به<sup>(١)</sup>، وأن يكون<sup>(٢)</sup> حالاً، وقرأ الكوفيون وابنُ عامر «شُغْل» بضمّتين. والباقون بضم وسكون<sup>(٣)</sup>. وهما لغتان للحجازيين قاله الفراء<sup>(٤)</sup>، ومجاهدٌ وأبو السَّمال بفتحيتين<sup>(٥)</sup>. ويزيد النجوي وابنُ هُبَيْرَةَ<sup>(٦)</sup> بفتح وسكون. وهما (لغتان) أيضاً. والعامّة على رفع «فاكهون» على ما تقدم. والأعمشُ وطلحةُ «فاكهين»<sup>(٧)</sup> نصّاً على الحال، والجار الخبر. والعامّة أيضاً على فاكهين<sup>(٨)</sup> بالألف بمعنى أصحاب فاكهة كلابن وتامرٍ ولاجِم<sup>(٩)</sup>، والحسنُ وأبو جَعْفَرٍ وأبو حَيوَةَ وأبو رجاء وشيبة وقتادة ومجاهد «فاكهون» بغير<sup>(١٠)</sup> ألف بمعنى طربون فرحون من الفُكاهَةِ بالضم. وقيل: الفاكهة<sup>(١١)</sup> والفاكهة بمعنى المتلذذ والمتنعم لأن كلاً من الفاكهة والفاكهة مما يُتَلَذَّذُ بِهِ ويتنعم كحاذر وحذر<sup>(١٢)</sup>، وقرئ «فِكِهين»<sup>(١٣)</sup> بالقصر والياء على ما تقدم. وفكهُونٌ بالقصر وضم الكاف، يقال: رجل فِكِه وفكّه وفكّه كرجل نيس ونُدس وحذر وحذر<sup>(١٤)</sup>.

### فصل

اختلفوا في الشغل فقال ابن عباس: في افتضاض الأبيكار، وقال وكيع بن الجراح في السماع. وقال الكلبي: في شغل عن أهل النار وما هم فيه لا يهمهم أمرهم ولا يذكرونهم. وقال ابن كيسان<sup>(١٥)</sup>: في زيارة بعضهم بعضاً.

- (١) التبيان ١٠٨٤ والبيان ٢/٢٩٨ والدر المصون ٤/٥٢٥.
- (٢) الضمير على ما ذكر أبو البقاء في إعرابه يعود على «فاكهون». التبيان ١٠٨٤ فتكون فكهين كما سياتي والظاهر أنه يعود على «شغل». السمين ٤/٥٢٥. والخبر فاكهون خير إن.
- (٣) من المتواتر. انظر: الإتحاف ٣٦٥ والتبيان ١٠٨٤ وإعراب النحاس ٤/٤٠١.
- (٤) نقله عنه السمين المرجع السابق ولم أثر عليه في المعاني.
- (٥) من الشواذ انظر: مختصر ابن خالويه ١٢٥ والكشاف ٣/٣٢٧.
- (٦) هو أحد وزراء بني العباس قرأ بالروايات على مسعود الحلبي ثم على البطائحي. انظره في غاية النهاية لابن الجزري ٢/٢٩٥ أقول: وقد نسب ابن خالويه في شواذه هذه القراءة إلى أبي هريرة رضي الله عنه انظر: المختصر ١٢٥ والكشاف ٣/٣٢٧ والتبيان ١٠٨٤ وأجاز هذه القراءات الزجاج لغويّاً فقال: «ويقرأ: شُغْل وشُغْل وشُغْل وشُغْل يجوز في العربية». المعاني ٤/٢٩١.
- (٧) معاني الفراء ٢/٣٨٠ ومختصر ابن خالويه ١٢٧ والتبيان ١٠٨٤ والقرطبي ١٥/٤٤.
- (٨) هي وما قبلها بالواو في ب. والواو جائزة في الأخيرة على الحكاية. أما الأولى فلحن ظاهر غير مراد لأن النصب هو المراد.
- (٩) أي صاحب لبن وتمر ولحم.
- (١٠) المختصر السابق ومعاني الفراء ٢/٣٨٠ وأوردها الزمخشري في الكشاف «فكهين» نصّاً بالياء بدون ألف.
- (١١) في ب الفاكهة. لحن.
- (١٢) وانظر: البحر ٧/٣٤٢ والسمين ٤/٥٢٦ والكشاف ٣/٣٢٧ واللسان (ف ك ه) ٣٤٥٣ و ٣٤٥٤.
- (١٣) البحر والكشاف المرجعان السابقان. (١٤) المراجع السابقة.
- (١٥) هو عبد الرحمن بن كيسان المفسر له آراء في التفسير كثيرة وليس بابن كيسان التَّحَوِّي المعروف انظر: طبقات المفسرين للسيوطي.

وقيل: في ضيافة الله فاكهون. وقيل: في شغل عن هَوْلِ اليوم بأخذ ما آتاهم الله من الثواب فما عندهم خير من عذاب ولا حساب<sup>(١)</sup>. وقوله «فَاكِهُون» متمم لبیان سلامتهم فإنه لو قال: في شُغْلٍ جاز أن يقال هم في شغل أعظم من التذکر في اليوم وأهواله فإن من يصيبه فتنة عظيمة ثم يعرض عليه أمر من أموره أو يخبر بخُسران وقع في ماله يقول أنا مشغول عن هذا بأهم منه فقال: فاكهون أي شغلوا عنه باللذة والسُرور لا بالوَيْلِ والثُبُور. وقال ابن عباس: فاكهون فَرِحُونَ<sup>(٢)</sup>.

قوله: «هُم وَأَزْوَاجُهُمْ» يجوز في «هم» أن يكون تأكيداً للضمير المستكن في: «فَاكِهُون» و «أَزْوَاجُهُمْ» عطف على المستكن، ويجوز أن يكون تأكيداً للضمير المستكن في «شُغْلٍ» إذا جعلناه خبراً و «أَزْوَاجُهُمْ» عطف عليه (مستكن ويجوز أن أيضاً)<sup>(٣)</sup>. كذا ذكره<sup>(٤)</sup> أبو حيان<sup>(٥)</sup>. وفيه نظر من حيث الفصل بين المؤكد والمؤكد بخبر «أن»، ونظيره أن نقول: «إِنَّ زَيْدًا فِي الدَّارِ قَائِمٌ هُوَ وَعَمْرُو» على أن يجعل «هو» تأكيداً للضمير في قولك: «في الدار»، وعلى هذين الوجهين يكون قوله: «مُتَكَيِّثُونَ» خبراً آخر لـ «إِنَّ»<sup>(٦)</sup> و «فِي ظِلَالٍ» متعلق<sup>(٧)</sup> به أو حال<sup>(٨)</sup>، و «عَلَى الْأَرَائِكِ» متعلق به<sup>(٩)</sup>، ويجوز أن يكون «هم» مبتدأ<sup>(١٠)</sup> ومتكئون خبره والجاران على ما تقدم<sup>(١١)</sup>، وجوز أبو البقاء أن يكون «في ظِلَالٍ» هو الخبر<sup>(١٢)</sup> قال «وعلى الأرائك» مستأنف<sup>(١٣)</sup>. وهي عبارة موهمة غير الصواب ويريد بذلك أن «مُتَكَيِّثُونَ» خبر مبتدأ مضمرة و «على الأرائك» متعلق به، فهذا وجه استثنافه لا أنه خبر مقدم و «متكئون» مبتدأ مؤخر إذ لا معنى له<sup>(١٤)</sup>. وقرأ عبد الله «مُتَكَيِّثِينَ» نصباً على الحال<sup>(١٥)</sup>. وقرأ الأخوان «في ظُلَلٍ» بضم الظاء<sup>(١٦)</sup> والقصر. وهو جمع ظَلَّةٍ نحو عُزْفَةٍ وَعُرْفٍ، وَحُلَّةٍ وَحُلَلٍ. وهي عبارة عن الفرش والستور والباقون

(١) انظر: زاد المسير ٢٨/٧ والبغوي ١٢/٦.

(٢) الرازي ٩١/٢٦. (٣) زيادة من أ لا معنى لها.

(٤) الزمخشري في الكشاف ٣٢٧/٣ قد ذكر هذين الوجهين البحر ٣٤٢/٧ والدر المصون ٥٢٦/٤.

(٥) المرجعين السابقين والتبيان ١٠٨٥. (٦) البيان ٢٩٩/٢ والتبيان ١٠٨٥ والسمين ٥٢٦/٤.

(٧) قال بذلك ابن الأنباري ٢٩٩/٢ في بيانه.

(٨) السمين والتبيان السابقان والبحر ٣٤٢/٧.

(٩) السمين ٥٢٦/٤. (١٠) الكشاف ٣٢٧/٣ والنحاس ٤٠١/٤ والبيان ٢٩٩/٢.

(١١) من تعلق «في ظلال» بالخبر «متكئون» ومن تعلق على الأرائك بـ «في الظلال».

(١٢) خبر «هم». انظر: التبيان ١٠٨٥. (١٣) السابق.

(١٤) انظر: الدر المصون لشهاب الدين السمين ٥٢٦/٤.

(١٥) من الشواذ والتي لم ترو في المتواتر. انظر: ابن خالويه ١٢٧ والكشاف ٣٢٧/٣ ومعاني الفراء ٢/

٣٨٠.

(١٦) المرجع السابق وانظر: الإتحاف ٣٦٦ والسبعة ٥٤٢ والنشر ٢/٣٥٥ وحجة ابن خالويه ٢٩٩ وإبراز

المعاني ٦٦٠ وهي من القراءات المتواترة.

بكسر الظاء والألف جمع ظَلَّةٍ أيضاً كحَلَّةٍ وحلّالٍ وبُرْزَمَةٍ وبِرَامٍ أو جمع «فَعْلَةٌ» بالكسر إذ يقال: ظَلَّةٌ وظِلَّةٌ بالضم والكسر، كُلْفَحَةٌ ولِقَاحٌ إلا أن فِعْلاً لا ينقاس فيها<sup>(١)</sup> أو جمع «فَعْلٌ» نحو: ذُئِبٌ وذِئَابٌ ورِيحٌ ورِيَّاحٌ<sup>(٢)</sup>.

## فصل

الأَرَائِكُ هي السرر في الحجال واحدها أَرِيكة. قال ثعلب: لا تكون أَرِيكة (جمع)<sup>(٣)</sup> حتى يكون عليها حجلة. «متكئون» ذُو (و)<sup>(٤)</sup> اتكأ<sup>(٥)</sup>. وهو إشارة إلى الفراغ. وقوله «هُم وَأَزْوَاجُهُمْ» إشارة إلى عدم الوحشة «لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ» إشارة إلى دفع جميع حوائجهم. وقوله: «لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ» إشارة إلى أن لا جوع هناك لأن التفكه لا يكون لدفع ألم الجوع<sup>(٦)</sup>.

قوله: «وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ» في «ما» هذه ثلاثة أوجه: موصولة اسمية (أو) نكرة موصوفة والعائد على هذين محذوف (أو) مصدرية<sup>(٧)</sup>. و «وَيَدْعُونَ» مضارع ادّعى افتعل من دَعَا يَدْعُو؛ وأشرب<sup>(٨)</sup> التمني<sup>(٩)</sup>. قال أبو عبيدة: العرب تقول: «ادّع عليّ ما شئت» أي تَمَنَّ، و «فَلَانٌ فِي خَيْرٍ مَا يَدْعِي» أي ما يتمنى<sup>(١٠)</sup>، وقال الزجاج: هو من الدعاء أي ما يدعونه أهل الجنة يأتيهم<sup>(١١)</sup>، من: دَعَوْتُ غلامِي. فيكون<sup>(١٢)</sup> الافتعال بمعنى الفعل كالاتعمال بمعنى الحمل والارتحال بمعنى الرحل. وقيل: افتعل بمعنى تفاعل أي ما يتداعونه كقولهم: ازْتَمَوْا<sup>(١٣)</sup> وتَرَامَوْا، و «ما» مبتدأ<sup>(١٤)</sup> وفي خبرها وجهان:

(١) أي في فعلة.

(٢) انظر: البحر المحيط ٣٤٢/٧ والكشف لمكي ٢١٩/٢، والدر المصون ٥٢٧/٤ وحجة ابن خالويه ٢٩٩ الذي قال: «وحجة من قال بكسر الظاء أنه جعله جمع ظل وهو ما ستر من الشمس في أول النهار إلى وقت الزوال».

(٣) سقط من نسخة ب.

(٤) بالإفراد في ب.

(٥) وانظر: اللسان «أرك» ومعالم التنزيل للبخاري والفخر الرازي. اللسان ٦٥، والبغوي ١٢/٧ والرازي ٩٣/٢٦.

(٦) السابق أخيراً.

(٧) السمين في الدر ٥٢٧/٤ والتبيان ١٠٨٥ والبيان ٣٠٠/٢ والمشكل ٢٣٠/٢ وما بين الأقواس زيادات للسياق.

(٨) في ب وأثرت لحن ظاهر.

(٩) انظر: مجاز القرآن ١٦٤/٢.

(١٠) معاني القرآن وإعرابه ٢٩٢/٤ وواقفه الزمخشري في الكشاف ٣٢٧/٣.

(١١) قاله الرازي ٩٣/٢٦. (١٢) هذا قول الزمخشري في كشافه ٣٢٧/٣.

(١٤) المشكل ٢٣٠/٢ والتبيان ١٠٨٥ والبيان ٣٠٠/٢.

أظهرهما: أنه الجار قبلها<sup>(١)</sup>.

والثاني: أنه «سَلَامٌ»<sup>(٢)</sup> أي مسلم<sup>(٣)</sup> خالص أو ذو سَلَامَةٍ.

قوله: «سَلَامٌ» العامة على رفعه وفيه وجه:

أحدها: ما تقدم من كونه خبر «مَا يَدْعُونَ»<sup>(٤)</sup>.

الثاني: أنه بدل منها. قاله الزمخشري<sup>(٥)</sup>. قال أبو حيان: وإذا كان بدلاً كان «مَا

يَدْعُونَ» خصوصاً والظاهر أنه عموم في كل ما يدعونه وإذا كان عموماً لم يكن بدلاً منه<sup>(٦)</sup>.

الثالث: أنه صفة<sup>(٧)</sup> «لِمَا» وهذا إذا جعلتها نكرة موصوفة. أما إذا جعلتها بمعنى

الذي أو مصدرية تعذر ذلك لتخالفهما تعريفاً<sup>(٨)</sup> وتكثيراً.

الرابع: أنه خبر مبتدأ مضمرة أي هو سلام<sup>(٩)</sup>.

الخامس: أنه مبتدأ خبره الناصب لـ (قوله) «قَوْلًا» أي سَلَامٌ يُقَالُ لَهُمْ قَوْلًا.

وقيل: تقديره سَلَامٌ عَلَيْكُمْ<sup>(١٠)</sup>.

السادس: أنه مبتدأ وخبره «مِنْ رَبِّ». و «قَوْلًا» مصدر مؤكد لمضمون الجملة وهو

مع عامله معترض بين المبتدأ والخبر<sup>(١١)</sup>، وقرأ أبي وعبدُ الله وعيسى سَلَامًا بالنصب<sup>(١٢)</sup>. وفيه وجهان:

أحدهما: أنه حال<sup>(١٣)</sup>، قال الزمخشري: أي لهم مرادهم<sup>(١٤)</sup> خالصاً.

والثاني: أنه مصدر<sup>(١٥)</sup> (أي) يُسَلِّمُونَ سَلَامًا إما من التحية وإما من السلامة.

(١) المراجع السابقة.

(٢) إعراب النحاس ٤٠٢/٣ وانظر هذا المرجع فيما سبق أيضاً وانظر أيضاً في هذا الوجه البيان ٣٠١/٢ ومشكل الإعراب، ٢٣١/٢ والتبيان ١٠٨٥.

(٣) في ب سلم وهو غير مراد. (٤) المراجع السابقة.

(٥) الكشاف ٣/٣٢٧. (٦) البحر المحيط له ٣٤٣/٧.

(٧) البيان ٢٠١/٢ والمشكل ٢٣١/٢ والتبيان ١٠٨٥ والإعراب ٤٠٢/٤ وانظر في وجه البديلية مع الكشاف المراجع السابقة ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/٢٩٢. وانظر في هذا كله السمين ٤/٥٢٧.

(٨) البحر المحيط ٣٤٣/٧ والسمين المرجع السابق.

(٩) التبيان السابق ومعاني الفراء ٢/٣٨١ والسمين ٤/٥٢٧.

(١٠) قاله أبو حيان في البحر ٣٤٣/٧ والسمين في الدر ٤/٥٢٧ و ٥٢٨.

(١١) المرجع السابق.

(١٢) ذكرها ابن خالويه في المختصر ١٢٧ وابن جني في المحتسب ٢/٢١٥ والكشاف ٣/٣٢٧ ومعاني الفراء ٢/٣٨٠ وهي من الشواذ.

(١٣) الكشاف ٣/٣٢٧ ومشكل الإعراب ٢/٢٣٠ والتبيان ١٠٨٥.

(١٤) الكشاف ٣/٣٢٧. (١٥) البيان ٢/٣٠١ وانظر المراجع السابقة.

و «قَوْلًا» إما مصدر مؤكد<sup>(١)</sup>، وإما منصوب على الاختصاص<sup>(٢)</sup>. قال الزمخشري: وهو الأوجه<sup>(٣)</sup> و «مَنْ رَبِّ» إما صفة لـ «قَوْلًا» وإما خبر «سلام» كما تقدم. وقرأ القُرظي<sup>(٤)</sup> «سَلِّمْ» بالكسر والسكون، وتقدم الفرق بينهما في البقرة.

### فصل

إذا قيل: بأن سلام بدل مِنْ «مَا يَدْعُونَ» فكأنه تعالى قال لهم ما يدعون ونَبَّهَ بدله فقال: لهم سلام فيكون<sup>(٥)</sup> مبتدأ وخبره الجار والمجرور كما يقال: «فِي الدَّارِ رَجُلٌ وَلِزَيْدٍ مَالٌ» وإن كان في النحو ليس كذلك بل هو بدل وبدل النكرة من المعرفة جائز<sup>(٦)</sup>، فتكون «ما» بمعنى الذي معرفة، وسلام نكرة. ويحتمل على هذا أن يقال: «ما» في قوله تعالى: ﴿مَا يَدْعُونَ﴾ لا موصوفة ولا موصولة بل هي نكرة تقديره لهم شيءٌ يَدْعُونَ، ثم بين بذكر البديل فقال: «سَلَامٌ». والأول أصح. وإن قيل: سلام خبر «ما» و «لهم» لبيان الجهة فتقديره ما يدعون سلام لهم أي خالص لهم. والسَلَامُ بمعنى السالم والسليم، يقال: عَبَدُ سَلَامٍ أي سَلِيمٌ من العيوب كما يقال: لَزِيدٍ الشَّرْفُ متوفر فالجَارُ والمجرور يكون لبيان من له ذلك، و «الشرف» هو المبتدأ «ومتوفر» خبره، وإن قيل: «سلام» منقطع عما قبله وهو مبتدأ وخبره محذوف فتقديره: سَلَامٌ عَلَيْهِمْ ويكون ذلك إخباراً من الله تعالى في حالهم قال: سلام عليهم كقوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ﴾ و ﴿سَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ فيكون الله تعالى أحسن إلى عباده المؤمنين كما أحسن إلى عباده المرسلين. أو يقال تقديره: سلام عليكم ويكون التفاتاً حيث قال لهم كذا وكذا، ثم قال: «سَلَامٌ عَلَيْكُمْ»<sup>(٧)</sup>.

(١) التبيان والكشاف والإعراب للمتجاس ٤٠٢/٣ والمشكل ٢٣١/٢.

(٢) وهو قول الزمخشري.

(٣) كشافه ٣٢٧/٣.

(٤) هو محمد بن كعب بن سليم أبو حمزة القُرظي تابعي، روى عن فضالة بن عبيد وغيره مات سنة ١٢٠ هـ. انظر: غاية النهاية ١٣٣/٢. وقد ذكر قراءته ابن جني في المحتسب ٢١٤/٢ وهي من الشواذ وذكر المؤلف هناك في البقرة الفرق بين السَلْمِ والسَلِّمْ عند الآية ٢٠٨ ﴿ادْخُلُوا فِي السَّلْمِ كَافَّةً﴾ وبين هناك أن السَلْمَ - بالكسر - هو السلام وبالفتح الصلح أو أنهما بمعنى. اللباب ٤٢٠/١.

(٥) أي سلام وخبره الجار والمجرور ويكون في المعنى.

(٦) هذا رأي الجمهور فقد قال السيوطي في الهمع: والجمهور لا تجب موافقة البديل لمتبوعه في التعريف والإظهار وضدهما فتبدل النكرة من المعرفة والمضمر من المظهر والمفرد من غيره وبالعكوس كقوله تعالى: ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. صِرَاطَ اللَّهِ﴾. ﴿لَنْسَفَعًا بِالْأَنْصِيَةِ. نَاصِيَةً كَاطِبَةً خَاطِبَةً﴾.

(٧) وهذا كلام الإمام فخر الدين الرازي كله في تفسيره الكبير ٩٤/٢٦ من كون رفع «سلام» واتصاله بما قبله وانقطاعه ومن كون إعراب «ما» ونوعيتها وقد أوضحته قبل قليل بالتفصيل من كلام المؤلف نفسه وغيره مما اعتمد عليهم في آرائهم. والآيتان ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ﴾ و﴿سَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾، من الصفات الأولى ٧٩، والثانية ١٨١.

## فصل

إذا قيلَ: إِنَّ «قَوْلًا» منصوب على المصدر فتقديره على قولنا إن المراد لهم سلام هو أن يقال لهم سلام يَقُولُهُ اللَّهُ قَوْلًا. أو تقول<sup>(١)</sup> الملائكة قَوْلًا، وعلى قولنا ما يدعون<sup>(٢)</sup> سلام لهم فتقديره قال الله ذلك قَوْلًا ووعدهم أن لهم ما يدعون سلامً وعداً، وعلى قولنا: سلام عليهم<sup>(٣)</sup> فتقديره أَقُولُهُ قَوْلًا، وقوله «مِنْ رَبِّ»<sup>(٤)</sup> رَحِيمٌ يكون لبيان (أن)<sup>(٥)</sup> السلام منه أي سلام عليهم من رب رحيم أقوله<sup>(٦)</sup> قَوْلًا، ويحتمل<sup>(٧)</sup> أن يقال على هذا بأنه تمييز<sup>(٨)</sup>؛ لأن السلام قد يكون قَوْلًا وقد يكون فِعْلًا فَإِنْ من يدخل على الملك يطأطئ رأسه يقال<sup>(٩)</sup>: سلمت على الملك فهو حينئذ كقول القائل: موجود حُكْمًا لَا حِسًّا.

## فصل

روى جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله - ﷺ -: «بَيْنَا أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي نَعِيمِهِمْ إِذْ سَطَعَ لَهُمْ نُورٌ فَرَفَعُوا رُؤُوسَهُمْ فَإِذَا الرَّبُّ - عَزَّ وَجَلَّ - قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ؛ فَذَلِكَ قَوْلُهُ - عَزَّ وَجَلَّ -: «سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ» فَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ فَلَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى شَيْءٍ مِنَ النَّعِيمِ مَا دَامُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ حَتَّى يَحْتَجِبَ عَنْهُمْ فَيَبْقَى نُورُهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْهِمْ فِي دِيَارِهِمْ»<sup>(١٠)</sup>. وقيل: تسلم عليهم الملائكة من ربهم كقوله: «وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ» [الرعد: ٢٣ - ٢٤] أي يقولون سلام عليكم يا أهل الجنة من ربكم الرحيم، وقيل: يعطيهم السلامة<sup>(١١)</sup>.

قوله: «وامتازوا» عى إضمار قول مقابل لما قيل للمؤمنين أي ويقال للمجرمين امتازوا أي انعزلوا من مآزِهِ يَمَيِّزُهُ»<sup>(١٢)</sup>.

قال المفسرون: إن المجرم يرى منزلة المؤمن ورفعته (ويرى ذلّة نفسه)<sup>(١٣)</sup>

(١) كذا في النسختين وفي الرازي: تقوله بالهاء. وهذا على اعتبار أن «سلام» مبتدأ مؤخر.

(٢) وهذا على اعتبار أن «سلام» خبر ما.

(٣) وهذا على اعتبار أن سلام مبتدأ وخبره الناصب لـ «قَوْلًا» كما أوضح هو وهذا رأي أبي حيان كما سبق.

(٤) وهو الجار والمجرور. (٥) سقط ما بين القوسين من ب.

(٦) في ب أقول بدون عائد أو ضمير. وكلاهما صحيحان.

(٧) هذا رأي الإمام الفخر في تفسيره.

(٨) في النسختين مميز والتصحيح من الرازي والغزف اللغوي والسِّيَاقِ.

(٩) في ب قال. وفي الرازي يقول.

(١٠) أخرجه البغوي في تفسيره عن محمد بن المنكدر. انظره ١٢/٦.

(١١) السابق. (١٢) الدر المصون ٥٢٩/٤.

(١٣) سقط من ب.

فيتحسر فيقال: امتازوا اليوم. وقيل: المعنى ادخلوا مساكنكم من النار، وقال أبو العالية تميزوا، وقال السدي: كونوا على حدة<sup>(١)</sup>. وقال الزجاج: انفردوا عن المؤمنين<sup>(٢)</sup> والمجرم هو الذي يأتي بالجريمة. وقيل: إن قوله وامتازوا أمر تكوين فحين يقول فيميزون بسيماهم ويظهر على جباههم أو في وجوههم سواد كما قال تعالى: ﴿يَعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ بِسِيمَتِهِمْ﴾ [الرحمن: ٤١].

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ رَبِّيَ إِذْ مَنَعْتُمُ السَّبِيلَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُرْهُوٌّ لِلْعَالَمِينَ﴾ (٦٠) وَإِنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦١) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (٦٢) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٦٣) أَصَلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٦٤) الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَنصِتُهُمْ أَلَسَوْا كَانُوا يُكْسِبُونَ (٦٥) وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ (٦٦) وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَاتَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ (٦٧) وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ (٦٨)

قوله: «أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ» العامة على فتح الهمزة على الأصل في حرف المضارعة، وطلحة والهدذيل بن شرحبيل<sup>(٣)</sup> الكوفي بكسرهما<sup>(٤)</sup>. وتقدم أن ذلك لغة في حروف المضارعة بشروط ذكرت في الفاتحة<sup>(٥)</sup>، وقرأ ابن وثاب «أَحَدٌ» بحاء مشددة<sup>(٦)</sup>، قال الزمخشري: وهي لغة تميم ومنه<sup>(٧)</sup>: «دَحَا مَحًا» أي دَعَهَا مَعَهَا فقلبت الهاء حاء ثم العين حاء حين أريد الإدغام، والأحسن أن يقال: إن العين أبدلت حاء وهي لغة هذيل فلما أدغم قلب الثاني للأول وهو عكس باب الإدغام. وقد مضى تحقيقه آخر آل عمران، وقال ابن خالويه وابن وثاب والهدذيل: «أَلَمْ أَعْهَدْ» بكسر الميم والهمزة وفتح الهاء وهي على لغة من كسر أول المضارع سوى الياء<sup>(٨)</sup>. وروي عن ابن وثاب «أَعْهَدْ» بكسر الهاء

(١) معالم التنزيل للبغوي ١٢/٦. (٢) قاله في معاني القرآن وإعرابه له ٢٩٢/٤.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) من الفراءات الشاذة وقد نسبها ابن خالويه إلى ابن وثاب ١٢٥ وقد ذكرها الزمخشري بدون نسبة كمعظم أقواله. انظر الكشاف ٣/٣٢٧ وانظر الدر المصون ٤/٥٢٨ والبحر المحيط ٧/٣٤٣.

(٥) وهي أن لا يكون حرف المضارعة ياء لثقل ذلك رغم أن بعضهم قال: يبجل مضارع (وجل) وأن يكون المضارع من ماضٍ مكسور العين نحو: عَهْدٌ وَسَمِعَ، أو في أوله همزة وصل نحو: بَشَعَيْنِ مِنْ اسْتَعَانَ أَوْ تَاءٍ مَطَاوَعَةٍ نَحْوِ تَعْلَمُ مِنْ تَعْلَمَ. انظر: اللباب ١/٢٧ ب.

(٦) المراجع السابقة.

(٧) الكشاف ٣/٣٢٧. وانظر: البحر المحيط ٧/٣٤٣ والدر المصون ٤/٥٢٨.

(٨) مختصر ابن خالويه ١٢٥.

يقال: عَهْدَ وَعَهْدًا، انتهى<sup>(١)</sup>. يعني بكسر الميم<sup>(٢)</sup> والهمزة أن الأصل في هذه القراءة أن يكون كسر حرف المضارعة ثم نقل حركته إلى الميم فكسرت لا أن الكسر<sup>(٣)</sup> موجود في الميم وفي الهمزة لفظاً إذ يلزم من ذلك قطع همزة الوصل وتحريك الميم من غير سبب، وأما كسر الهاء فلما ذكر من أنه سمع في الماضي «عَهْدًا» بفتحها<sup>(٤)</sup>. قوله: «سوى الياء» - وكذا قال الزمخشري<sup>(٥)</sup> - هو المشهور، وقد نقل عن بعض كُتِّبِ أنهم يكسرون الياء فيقولون: يَعْلَمُ. وقال<sup>(٦)</sup> الزمخشري فيه: وقد جوز الزجاج أن يكون من باب: نَعِمَ يَنْعَمُ وضَرْبَ يَضْرِبُ<sup>(٧)</sup> يعني أن تخريجه<sup>(٨)</sup> على أحد وجهين إما بالشذوذ فيما اتحد فيه فَعِلَ يَفْعِلُ بالكسر فيهما كَنِعَمَ يَنْعَمُ وَحَسِبَ يَحْسِبُ، وَيَيْسُ يَيْئَسُ. وهي ألفاظ معدودة في البقرة<sup>(٩)</sup>. وإما (أنه)<sup>(١٠)</sup> سمع في ماضيه الفتح كضرب كما حكاها ابن خالويه<sup>(١١)</sup>، وحكى الزمخشري أنه قرىء «أَخْهَدًا»<sup>(١٢)</sup> بإبدال العين حاء. وقد تقدم أنها لغة هذيل. وهذه تقوي أن أصل أحد أحهد فأدغم كما تقدم. قوله: «أَنْ لَا تُعْبُدُوا» و «وَأَنْ اُعْبُدُونِي» يجوز في «أن» أن تكون مفسرة فسرت العهد بنهي وأمر وأن تكون مصدرية (أي)<sup>(١٣)</sup> ألم أعهد إليكم في عدم عبادة الشيطان وفي عبادتي<sup>(١٤)</sup>.

(١) حكاها المؤلف عن السمين عن أبي حيان عن ابن عطية انظر: الدر المصون ٥٢٩/٤، والبحر المحيط ٣٤٣/٧ والذي في المختصر - مختصر ابن خالويه -: «ألم أعهد إليكم يحيى بن وثاب: ألم أخذ إليكم».

(٢) الواقع أن هذا كلام من كلام ابن عطية فيما رواه عنه أبو حيان في البحر المحيط فقد قال: «وقال ابن عطية وقرأ هذيل وابن وثاب ألم إعهد بكسر الميم والهمزة وفتح الهاء وهي على لغة من كسر أول المضارع سوى الياء». فما ذكره المؤلف أعلى كلام متصل بكلام قبله هو ما ذكرت وهو في الواقع مقولة ابن عطية فيما نقله عنه أبو حيان في البحر المحيط وهو شاذ في الرواية فلم أجده في كتب القراءات سوى البحر لأبي حيان.

(٣) في ب الكسرة بالتأنيث.

(٤) بالمعنى من البحر المحيط لأبي حيان ٣٤٣/٧ وباللفظ من السمين ٥٢٩/٤ ولما نقلت حركة الهمزة إلى الميم قبلها أصبحت همزة وصل ألم أعهد.

(٥) الكشف ٣٢٧/٣. (٦) السابق.

(٧) قال في معاني القرآن وإعرابه: «والكسر يجوز على ضربين على عهد يعهد وعلى عهد يعهد مثل حسب يحسب».

(٨) في ب يخرج.

(٩) وهي نعم ينعم وينس يئس ويس ييس وعمد وعمد والفتح لغة تميم والكسر أهل الحجاز.

(١٠) سقط من ب. (١١) البحر ٣٤٣/٧.

(١٢) الكشف ٣٢٧/٣. (١٣) سقط من ب.

(١٤) الدر المصون ٥٢٩/٤ و ٥٣٠ وجعلها مكئي وابن الأنباري مصدرية. البيان ٣٠١/٢ ومشكل الإعراب ٢٣١/٢.

## فصل

في معنى هذا العهد وجوه: أقواها<sup>(١)</sup> ألم أوصي إليكم، واختلفوا في هذا العهد فقيل: هو العهد الذي كان مع آدم في قوله: ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا لِآدَمَ﴾ [طه: ١١٥] وقيل: هو الذي كان مع ذرية آدم حين أخرجهم وقال: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى، وقيل: مع كل قوم على لسان رسولهم. وهو الأظهر، وقوله «لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ» أي لا تطيعوا الشيطان. والطاعة قد تطلق على العبادة ثم قال: «إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ» أي ظاهر العداوة ووجه عداوته أنه لما أكرم الله آدم - عليه (الصلاة و) السلام - عاداه إبليس.

فإن قيل: إذا كان الشيطان عدواً للإنسان فما بال الإنسان يقبل على ما يرضيه من الزنا والشرب ويكره ما يسخطه من المجاهدة والعبادة؟

فالجواب: استعانة الشيطان بأعوان من عند الإنسان وترك استعانة الإنسان بالله فيستعين بشهوته التي خلقها الله فيه لمصالح بقاءه وبقاء نوعه ويجعلها سبباً لفساد حاله ويدعوه بها إلى مسالك المهالك وكذلك يستعين بغضبه الذي خلقه الله فيه لدفع المفاسد عنه ويجعلها سبباً لوباله وفساد أحواله وميل الإنسان إلى المعاصي كميل المريض إلى (المصادر)<sup>(٢)</sup>، وذلك حيث ينحرف المزاج عن الاعتدال فترى المحموم يريد الماء البارد وهو يزيد من مرضه ومن معدته فاسدة لا يهضم<sup>(٣)</sup> القليل من الغذاء يميل إلى الأكل الكثير ولا يشبع بشيء وهو يزيد فساد معدته وصحيح المزاج لا يشتهي إلا ما ينفعه.

قوله: «وَأَنِ اعْبُدُونِي» أطيعوني ووحدوني «هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ» لما منع من عبادة الشيطان بقوله: «وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا» أي خَلَقًا كَثِيرًا<sup>(٤)</sup>.

قوله: «جِبِلًّا» قرأ نافع وعاصم بكسر الجيم والبناء وتشديد اللام، وأبو عمرو وابن عامر بضممة وسكون<sup>(٥)</sup> والباقون بضميتين واللام مخففة في كِلْتَيْهِمَا<sup>(٦)</sup>. وابن أبي

(١) قال بهذه الوجوه كلها في كتابه التفسير الكبير ٩٦/٢٦ وقال ابن الجوزي في زاد المسير بالأول انظر: زاد المسير ٣٠/٧ وانظر: معالم التنزيل ١٣/٦.

(٢) سقطت من ب.

(٣) في ب تهضم أي المعدة وهي في الرازي بالياء ومن به فساد المعدة فلا يهضم القليل من الغذاء.

(٤) وانظر: الرازي ٩٦/٢٦.

(٥) من القراءات السبعية المتواترة هي وما قبلها. انظر النشر لابن الجوزي ٣٥٥/٢ وحجة ابن خالويه ٢٩٨ والسبعة ٥٤٢ والإتحاف ٣٦٦ وإبراز المعاني ٦٦٠ والدر المصون ٥٣٠/٤.

(٦) إحدى القراءات السبع المتواترة أيضاً. انظر: النشر ٣٥٥/٢ وحجة ابن خالويه ٢٩٨ والسبعة ٥٢٢ والإتحاف ٣٦٦ والسمين ٥٣٠/٤ وذكر القراءات الثلاثة الإمام ابن الجوزي في زاد المسير

إسحاقَ والزهرَيَّ وابنُ هُرْمُزٍ بضمّتين وتشديد اللام<sup>(١)</sup> والأعْمَشَ بكسرتين<sup>(٢)</sup> وتخفيف اللام<sup>(٣)</sup> والأشهبَ المُقْبِلِيَّ<sup>(٤)</sup> واليمانيَ وحماد بن سلمة<sup>(٥)</sup> بكسرة<sup>(٦)</sup> وسكون وهذه لغات في هذه اللفظة وتقدم معناها آخر الشعراء<sup>(٧)</sup>. وقرىءَ جِبَلًا بكسر الجيم وفتح الباء جمع جِبَلَةٍ، كَفِطْرٍ جمع فِطْرَةٍ<sup>(٨)</sup>، وقرأ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بالياء من أسفل (ثنتان)<sup>(٩)</sup>. وهي واضحة.

قال ابن الخطيب: الجيم<sup>(١٠)</sup> والياء لا تخلو عن معنى الاجتماع (و) الجبل فيه اجتماع الأجسام الكثيرة وجبل الطين فيه اجتماع أجزاء الماء والتراب، وشاة لجباء إذا كانت مجتمعة اللبن الكثير، ولا يقال: البلجة نقض على ما ذكرتم فإنها تنبئ عن التفرق فإن الأبلج خلاف المقرون لأننا نقول: هي لاجتماع الأماكن الخالية التي تسع المتمكنات فإن البلجة والبلدة بمعنى. والبلدُ سمي بلدًا للاجتماع، لا لتفرق<sup>(١١)</sup> الجمع (العظيم)<sup>(١٢)</sup> حتى قيل: إن دون العشرة آلاف لا يكون بلدًا وإن لم يكن صحيحاً. قوله: «أَفَلَمْ تَكُونُوا» قرأ العامة بالخطاب لبني آدم. وطلحة<sup>(١٣)</sup> وعيسى<sup>(١٤)</sup> بياء الغيبة<sup>(١٥)</sup> والضمير للجبل، ومن حقهما أن يقرأ: التي كانوا يوعدون لولا أن يَغْتَدِرُوا بِالْأَيْتَاتِ<sup>(١٦)</sup>.

## فصل

في كيفية هذا الإضلال وجهان:

- (١) من الأربع فوق العشرة وهي قراءة روح أيضاً. انظر: المحتسب ٢/٢١٦ والإتحاف ٣٦٦ والكشاف ٣/٣٢٨.
- (٢) في أ وتحقيق بالقاف والحاء وهو غير المراد فالصحيح من ب والكتب المعتمدة.
- (٣) من الشواذ غير المتواترة انظر: مختصر ابن خالويه ١٢٥ والكشاف ٣/٣٢٨ والسمين ٤/٥٣٠ والبحر ٧/٣٤٤.
- (٤) لم أقف عليه.
- (٥) ابن دينار أبو سلمة البصري الإمام الكبير روى القراءة عرضاً عن عاصم وابن كثير روى عنه حرمي بن عمارة وحجاج بن المنهال مات سنة ١٦٧ هـ. انظر: الغاية ١/٢٥٨.
- (٦) مختصر ابن خالويه ١٢٥ والمحتسب ٢/٢١٦.
- (٧) عند قوله: «وَالْجِبَلَةُ الْأُولَى» الآية ١٨٤ وكلها لغات بمعنى الخلق. انظر: اللباب ٦/٣٥٠ ب وانظر: الكشاف ٣/٣٢٨ والرازي ٢٦/١٠٠.
- (٨) من الشواذ. المراجع السابقة.
- (٩) كذا في النسختين. ولم أعرف قصده. وانظر البحر ٧/٣٤٤ وبقية المراجع السابقة.
- (١٠) الرازي ٢٦/١٠٠ وانظر: اللسان ج ب ل ٥٣٧، وبلد ٣٤٠.
- (١١) في ب لتفريق. (١٢) سقط من ب.
- (١٣) إذا أطلق فهو ابن مصرف. (١٤) الثقفي كما هو معروف.
- (١٥) ذكرها أبو حيان في البحر ٧/٣٤٤ والسمين في الدر ٤/٣٥٠.
- (١٦) الأخير السابق.

الأول: تولّيه عن المقصد وخديغته<sup>(١)</sup> فالشيطان يأمر البعض بترك عبادة الله وعبادة غيره فهو توليه فإن لم يقدر يحيد<sup>(٢)</sup> بأمر غير ذلك من رياسة وجاه وغيرهما وهو يُفْضِي إلى التولية لأن مقصوده لو حصل لترك الله وأقبل على ذلك الغير فتحصل<sup>(٣)</sup> التولية. ثم قال: «أفلم تكونوا تعقلون» ما أتاكم من هلاك الأمم الخالية بطاعة إبليس. ويقال لهم لما دَنَوْا من النار: «هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ» بها في الدنيا<sup>(٤)</sup> «اضلّوها اليوم» أي ادخلوها<sup>(٥)</sup> اليوم «بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ». وفي هذا الكلام ما يوجب شدة ندامتهم وحزنهم من ثلاثة أوجه:

أحدها: قوله تعالى: ﴿اصْلَوْهَا الْيَوْمَ﴾ أمر تنكيل وإهانة كقوله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩].

الثاني: قوله: «اليوم» يعني العذاب حاضر ولذاتك قد مضت وبقي اليوم العذاب.

الثالث: قوله تعالى: ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ فَإِنَّ الْكُفْرَ وَالْكَفْرَانَ بِنَيْءٍ عَنْ نِعْمَةٍ كَانَتْ فَكْفَرُ بِهَا وَحَيَاءُ الْكُفُورِ مِنَ الْمُنْعَمِ مِنْ أَشَدِّ الْأَلَامِ كَمَا قِيلَ: أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ لِذِي هِمَّةٍ حَيَاءُ الْمُسِيءِ مِنَ الْمُحْسِنِ<sup>(٦)</sup>.

قوله: «الْيَوْمَ نَخْتِمُ» اليوم ظرف لما بعده. وقرئ: يُخْتِمُ<sup>(٧)</sup> مبنياً للمفعول. والجار بعده قائم مقام فاعله. وقرئ: «وَتَتَكَلَّمُ»<sup>(٨)</sup> بتاءين من فوق. وقرئ: وَلِتَتَكَلَّمُنَّ وَلِتَشْهَدُ بِلَامِ الْأَمْرِ. وقرأ<sup>(٩)</sup> طلحة وَلِتَكَلَّمْنَا وَلِتَشْهَدَ بِلَامِ كِي نَاصِبَةٍ لِلْفِعْلِ وَمَتَعَلِقِهَا مِحْذُوفِ أَي لِلتَّكَلُّمِ وَاللشَّهَادَةِ حَتَّمْنَا<sup>(١٠)</sup>. و «بِمَا كَانُوا» أي بالذي كانوا أو بكونهم كاسبين<sup>(١١)</sup>.

(١) كذا في النسختين. وفي الرازي: وصد عنه.

(٢) كذا في النسختين. وفي الرازي: فإن لم يقدر يأمره بعبادة الله لأمر غير الله.

(٣) قاله الرازي في التفسير الكبير ١٠٠/٢٦.

(٤) قاله البغوي في معالم التنزيل ١٢/٦.

(٥) السابق.

(٦) الرازي ١٠١/٢٦ وفي الرازي لذي نعمة، وانظر هذه الحكمة من خلال هذا البيت الشعري في السراج المنير للمخطيب الشربيني ٣٥٩/٣.

(٧) لم يذكر أبو حيان من قرأ بها وكذلك تلميذه شهاب الدين السمين انظر: البحر ٣٤٤/٧ والدر المصون ٥٣٠/٤ وانظر الكشاف ٣٢٨/٣.

(٨) المراجع السابقة

(٩) المراجع السابقة البحر والسمين والدر والكشاف وانظر: شواذ القرآن ٢٠٤.

(١٠) البحر والدر المرجعان السابقان.

(١١) الدر المصون ٥٣١/٤.

## فصل

في الترتيب<sup>(١)</sup> وجهان:

الأول: أنهم حين يسمعون قوله تعالى: ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ يريدون ينكرون كفرهم كما قال عنهم: «مَا أَشْرَكْنَا» وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ» فيختم الله على أفواههم فلا يقدرّون على الإنكار ويُنطقُ الله جوارحهم غير لسانهم فيعترفون بذنوبهم.

الثاني: لما أن قال الله تعالى لهم: ﴿الْمَ أَعْهَدَ إِلَيْكُمْ﴾ لم يكن لهم جواب فسكتوا وخرسوا وتكلمت أعضاؤهم غير اللسان. وفي الختم على الأفواه وجوه أقواها: أن الله تعالى يسكت ألسنتهم وينطق جوارحهم فيشهدون عليهم وأنه في قدرة الله يسير (و)<sup>(٢)</sup> أما الإسكانُ فلا خفاء فيه وأما الإنطاق فلأن اللسان عضو متحرك بحركة مخصوصة كما جاز تحرك غيره بمثلها والله قادر على كل الممكنات. والوجه الآخر: أنهم لا يتكلمون بشيء لانقطاع أعضائهم وانتهاك أستارهم فيقفون ناكسي<sup>(٣)</sup> الرؤوس لا يجدون عُذراً فيَعْتَذِرُونَ ولا مجال<sup>(٤)</sup> توبة فيستغفرون وتكلم الأيدي هو ظهور الأمور بحيث لا يسمع معه الإنكار كقول القائل: الحيطان تبكي على صاحب الدار إشارة إلى ظهور الحزن والصحيح<sup>(٥)</sup> الأول لما ثبت في الصحيح أن الله تعالى يقول للعبد كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً وبالكرام الكاتبين شهوداً قال: فيختم على فيه، فيقال لأركانها انطقي قال: فتنتطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعداً لكنَّ وسحقاً فعنكن كنت أناضل<sup>(٦)</sup> وقال عليه (الصلاة و) السلام: «أول ما يسأل من أحدكم فخذ له ولقه»<sup>(٧)</sup>.

فإن قيل: ما الحكمة في إسناده<sup>(٨)</sup> الختم إلى نفسه وقال «نختم» وأسند الكلام والشهادة إلى الأرجل والأيدي؟

فالجواب: أنه لو قال: نختم على أفواههم وتنطق أيديهم لاحتمل أن يكون ذلك جبراً منه وقهراً والإقرار والإجبار غير مقبول فقال: تكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم أي باختيارها يقدرها الله تعالى على الكلام ليكون أدل على صدور الذنب منهم.

فإن قيل: ما الحكمة في جعل الكلام للأيدي وجعل الشهادة للأرجل؟

(١) التفسير الكبير للرازي ١٠١/٢٦.

(٢) زيادة الواو من النسختين لا معنى لها.

(٣) تصحيح من الرازي ومن السياق اللغوي ففي النسختين ناكسو.

(٤) في ب محال بالحاء وما في أ يوافق الرازي.

(٥) السابق ١٠١/٢٦.

(٦) أخرجه البغوي في تفسيره عن الشعبي عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٧) أورده ابن كثير في تفسيره عن الرازي انظر: تفسيره ٥٧٧/٣.

(٨) انظر في كل هذا تفسير الرازي ١٠١/٢٦ و ١٠٢.

فالجواب: لأن الأفعال تسند إلى الأيدي قال تعالى: ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ [يس: ٣٥] أي ما عملوه وقال ﴿وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] أي لا تلقوا بأنفسكم، فإذا الأيدي كالعاملة والشاهد على العامل ينبغي أن يكون غيره فجعل<sup>(١)</sup> الأرجل والجلود من الشهود لبعدها إضافة الأفعال إليهم.

فإن قيل: إن يوم القيامة من تقبل شهادته من المقربين والصدّيقين كلهم أعداء للمجرمين وشهادة العدو على العدو غير مقبولة وإن كان عدلاً وغير الصدّيقين من الكفار والفساق لا تقبل شهادتهم والأيدي والأرجل صدرت الذنوب (منها)<sup>(٢)</sup> فهي قاسقة فينبغي أن لا تقبل شهادتها.

فالجواب: أن الأيدي والأرجل ليسوا من أهل التكليف ولا ينسب إليها عدالة ولا فسق<sup>(٣)</sup>، إنما المنسوب من ذلك إلى العبد المكلف لا إلى أعضائه، ولا يقال: إن العين تزني وإن الفرج يزني. وأيضاً فإننا نقول: في رد شهادتها (قبول)<sup>(٤)</sup> شهادتها لأنها إن كذبت في مثل ذلك اليوم مع ظهور الأمور لا بد أن يكون مذنباً في الدنيا وإن صدقت في مثل ذلك اليوم فقد صدر منها الذنب في الدنيا وهذا كمن قال لِقَاسِقٍ: «إن كذبت في نهار هذا اليوم فعبدني حُرّاً» فقال القاسق: كذبت في نهار هذا اليوم عتق العبد<sup>(٥)</sup>؛ لأنه إن صدق في قوله كذبت في نهار ذلك اليوم فوجد الشرط<sup>(٦)</sup> أيضاً بخلاف ما لو قال في اليوم الثاني كذبت في نهار اليوم الذي علق عتق عبدك على كذا فيه.

قوله: «وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ» أي أذهبنا أعينهم الظاهرة بحيث لا يبدوا لها جفن ولا شئ وهو معنى الطمس<sup>(٧)</sup>، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٠] يقول: إذا<sup>(٨)</sup> أعمينا قلوبهم لو شئنا أعمينا أبصارهم الظاهرة<sup>(٩)</sup>.

قوله: «فَاسْتَبَقُوا» عطف على «لَطَمَسْنَا» وهذا على سبيل القرض والتقدير<sup>(١٠)</sup>... وقراً عيسى فاستبقوا أمراً<sup>(١١)</sup>. وهو على إضمار القول أي فيقال لهم استبقوا<sup>(١٢)</sup> والبصراط ظرف مكان مختص عند الجمهور فلذلك تأولوا وصول الفعل إليه إما بأنه مفعول (به)<sup>(١٣)</sup>.

(١) في ب فتجعل الأرض والأرض لحن غير مراد.

(٢) سقط من ب.

(٣) في ب ضيق.

(٤) سقط من ب فقط.

(٥) كذا في الرازي و ب. و أ الأب.

(٦) الأصح كما في الرازي: فقد وجد الشرط ووجب الجزاء وإن كذب في قوله كذبت فقد كذب في نهار اليوم فوجد الشرط الخ...

(٧) غريب القرآن ٣٦٧ واللسان طمس والقرطبي ٤٧/١٥.

(٨) في البغوي كما.

(٩) البغوي ١٤/٦.

(١٠) البحر المحيط ٣٤٤/٧ والدر المصون ٥٣١/٤.

(١١) من الشواذ ذكرها البحر والدر المرجعان السابقان ومختصر ابن خالويه ١٢٦.

(١٢) البحر ٣٤٤/٧ والدر المصون ٥٣١/٤.

(١٣) سقط من ب.

مجازاً جعله مستبقاً لا مُستَبَقاً إليه ويضمن استبقوا معنى بادروا وإما على حذف الجار أي إلى الصراط<sup>(١)</sup>. وقال الزمخشري: منصوب على الظرف<sup>(٢)</sup>، وهو ماش على قول ابن الطراوة<sup>(٣)</sup> فإن الصراط والطريق ونحوهما ليست عنده مختصة<sup>(٤)</sup> إلا أن سيبويه على أن قوله:

٤١٨٤ - لَذَنْ بِهِزُ الْكَفِّ يَغْسِلُ مَثْنُهُ فِيهِ كَمَا عَسَلَ الطَّرِيقُ الثَّغْلَبُ<sup>(٥)</sup>  
ضرورة لنصبه الطريق.

وقرأ أبو بكر مَكَانَاتِهِمْ<sup>(٦)</sup> جمعاً، وتقدم في<sup>(٧)</sup> الأنعام. والعامّة على «مُضِيئاً» بضم الميم وهو مصدر على فُعُولٍ أصله مُضُوئِي<sup>(٨)</sup> فأدغم وكسّر ما قبل الياء ليصبح نحو: «لُفِيئاً»<sup>(٩)</sup>. وقرأ أبو حيوة ورُوِيَتْ عن الكِسَائِيّ مِضِيئاً (أي)<sup>(١٠)</sup> بكسر الميم إتباعاً لحركة العين<sup>(١١)</sup> نحو ﴿عَتِيئًا﴾ و﴿صَيْئًا﴾ [مريم: ٦٩ - ٧٠]، وقرىء بفتحها وهو من المصادر التي وردت على فِعِيلٍ كالرَّسِيمِ وَالزَّمِيلِ<sup>(١٢)</sup>.

- (١) ذكر هذه الأقوال الكشاف ٣/٣٢٨ والبحر ٧/٣٤٤ والسمين في الدر المصون ٤/٥٣١ وذكر القول الأول النحاس في الإعراب ٤/٤٠٣.
- (٢) الكشاف ٣/٣٢٨.
- (٣) أبو الحسن سليمان بن محمد سمع من الأعمش الكتاب كانت له آراء وانفرد بمسائل مخالفة عن العلماء انظر: نشأة النحو للمرحوم الشيخ الطنطاوي ١٩٦.
- (٤) نقلها عنه أبو حيان في البحر ٧/٣٤٤.
- (٥) من تمام الكامل وهو لساعدة بن جُوَيْة ويروى «لذّ» بدل لذن والذّن اللينّ الناعم والغسلان: سير سريع في اضطراب وهو يشبه نفسه في السرعة والمهارة في استخدام الريح بسير الثعلب والشاهد: «عَسَلَ الطريق» فإنه منصوب على نزع الخافض لا على الظرف عند سيبويه. قال سيبويه: «وقد قال بعضهم ذهب الشام يشبهه بالمبهم. وهو شاذ لأنه ليس في مذهبه دليل على الشام». قال: «ومثل ذلك قول ساعدة» وأنشد البيت انظر: الكتاب ١/٣٥ و ٣٦ و ٢١٤ والهُذَلِيّين ١/١٩٠، والكامل ١/٣٦٩، واللسان عَسَلَ والبحر ٧/٣٤٤ والخصائص ٣/٣١٩ والتصريح ١/٣١٢ والمغني ١١ و ٥٢٥ و ٥٧٦، والهمع ١/٢٠٠ و ٢/٨١ والأشْمُونِي ٢/٩١ و ٩٧ والشجري ١/٤٢ و ٢/٢٤٨ وشرح شواهد المغني للسيوطي ١٧ و ٨٨٥.
- (٦) من المتواتر وهي رواية أبي بكر عن عاصم. انظر: إتحاف فضلاء البشر ٣٦٦ والسبعة ٥٤٢ والدر المصون ٤/٥٣٢ والكشاف ٣/٣٢٩. والمكانة والمكان بمعنى.
- (٧) يقصد قوله: «قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَيَّ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ» الآية ٢٣٥ منها. فقرأ أبو بكر عن عاصم مكاناتكم وكذلك قرأ الحسن جمعاً. وقال هناك: إن الميم من «مكانة» إما أن تكون أصلية وإما أن تكون زائدة أصلية في مكن يمكن وزائدة من الكون. انظر: اللباب ٣/٢١٧.
- (٨) فقد اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون الأصلي فقلبت الواو ياء ثم أدغمتا في بعضهما.
- (٩) كانت لَقُوِيٌّ.
- (١٠) زيادة لا معنى لها من أ.
- (١١) أوردها أبو حيان في البحر ٧/٣٤٤ والسمين في الدر ٤/٥٣٢.
- (١٢) المرجعان السابقان فتكون «مُضِيئاً» فيها لغات وقراءات ثلاث مُضِيئاً وَمُضِيئاً وَمِضِيئاً.

### فصل (١)

المعنى كما أعمينا قلوبهم لو شئنا أعمينا أبصارهم الظاهرة فاستبقوا الصراط فتبادروا إلى الطريق «فَأَنى يُبْصِرُونَ» كيف يبصرون وقد أعمينا أعينهم يعني لو نشاء لأضللتناهم عن الهدى وتركناهم عمياً يترددون فكيف يبصرون الطريق حينئذ؟ هذا قول الحسن، وقتادة، والسدي. وقال ابن عباس ومقاتل وعطاء وقتادة: معناه لو نشاء لَفَقَأْنَا أعين ضاللتهم فأعميناهم عن غيهم وحولنا أبصارهم من الضلالة إلى الهدى فأبصروا رشدهم فأنى يبصرون ولم أفعل ذلك بهم. «ولو نشاء لمسختناهم على مكائهم» أي مكانهم أي لو نشاء جعلناهم قِرْدَةً وخنزير في منازلهم لا أزواج لهم «فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ» إلى ما كانوا عليه. وقيل: لا يقدرّون على ذهاب ولا رجوع.

قوله: «وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ» قرأ عاصم وحمزة بضم النون الأولى وفتح الثانية وكسر الكاف مشددة من نَكَّسَهُ مبالغة<sup>(٢)</sup>، والباقون بفتح الأولى وتسكين الثانية وضم الكاف<sup>(٣)</sup>، خفيفة من نَكَّسَهُ. وهي محتملة للمبالغة وعدمها. وقد تقدم في الأنعام أن نافعاً وإبن ذكوان قرءا «تعقلون» والباقون بالغيبة<sup>(٤)</sup>.

### فصل (٥)

معنى ننكسه نرُدُّه إلى أرذل العمر شِبْه الصَّبِيِّ في أول الخلق، وقيل: ننكسه في الخلق أي ضعف جوارحه بعد قوتها ونقصانها بعد زيادتها «أفلا يعقلون» فيعتبرون<sup>(١)</sup>، ويعلمون أن الذي قدر على تَصْرِيفِ أحوال الإنسان يقدر على البعث بعد الموت.

قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ (٦٩) يُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٧﴾

قوله: «وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ» قال الكلبي: إن كفار مكة قالوا: إن محمداً شاعر، وما يقوله شعر فأنزل الله تكديباً لهم وما علمناه الشعر وما ينبغي له أي ما يتسهل له ذلك وما كان يتزن له بيت شعر حتى إذا تمثل بيت شعر جرى على لسانه

(١) انظر هذا الفصل في معالم التنزيل للبغوي ١٤/٦.

(٢) من القراءات المتواترة السبعة انظر: النشر ٣٥٥/٢ وتقريبه ٨٦٥ وحجة ابن خالويه ٣٩٩ والسبعة ٥٤٣ ومعاني الفراء ٣٨١/٢ والسمين ٥٣٢/٤. والمبالغة تجيء من التضعيف فقد قالوا: زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى.

(٣) انظر ما سبق من مراجع.

(٤) من الآية ٣٢ من الأنعام: ﴿وَلِلَّذَاذِ الْأَخْرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

(٥) معالم التنزيل للبغوي ١٤/٦ و ١٥.

(٦) في ب أفلا تعقلون فتعتبرون وتعلمون بالتاء.

منكسراً. روى<sup>(١)</sup> الحسن أن النبي - ﷺ - كان يتمثل بهذا البيت:

كَفَى بِالْإِسْلَامِ وَالشَّيْبِ لَلْمَرْءِ نَاهِيًا<sup>(٢)</sup>

فقال أبو بكر: يا نبي الله إنما قال الشاعر: كَفَى الشَّيْبِ وَالْإِسْلَامَ لَلْمَرْءِ نَاهِيًا. فقال عمر: أشهد أنك رسول بقول الله - عز وجل - : «وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ» وعن أبي شريح قال: قلت لعائشة: كان رسول الله - ﷺ - يتمثل من الشعر قالت: كان يتمثل من شعر عبد الله بن رواحة قالت: وربما قال:

٤١٨٥ - وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّد<sup>(٣)</sup>

وفي رواية (قالت)<sup>(٤)</sup>: كان الشعر أبغض الحديث إليه، قالت: ولم يتمثل بشيء من الشعر إلا ببيت أخي بني قيس طرفة:

٤١٨٦ - سَتُبْدِي لَكَ الْآيَامَ مَا كُنْتَ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّد

فجعل يقول: ويأتيك من لم تزود بالأخبار. فقال أبو بكر: ليس هكذا يا رسول الله فقال: إني لست بشاعر ولا ينبغي لي<sup>(٥)</sup>. وقيل: معناه ما كان<sup>(٦)</sup> يتأتى له. قاله ابن الخطيب. وفيه وجه أحسن من ذلك وهو أن يحمل ما ينبغي له على مفهومه الظاهر وهو أن الشعر ما كان يليق به ولا يصلح له لأن الشعر يدعو إلى تغيير المعنى لمراعاة<sup>(٧)</sup> اللفظ والوزن والشارع يكون اللفظ منه تبعاً للمعنى والشاعر يكون المعنى منه تبعاً للفظ لأنه يقصد لفظاً به يصح وزن الشعر (أ)<sup>(٨)</sup> وقافيته فيحتاج إلى التخيل لمعنى يأتي به لأجل ذلك اللفظ. وعلى هذا فنقول: الشعر هو الكلام الموزون الذي قصد إلى وزنه قصداً أولاً وأما من يقصد المعنى فيصدر موزوناً لا يكون شاعراً ألا ترى أن قوله تعالى: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] ليس بشعر والشاعر إذا صدر منه هذا الكلام فيه متحركات وساكنات بعدد ما في الآية تقطيعه<sup>(٩)</sup> بفاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن والمعنى<sup>(١٠)</sup> تبعه. والحكيم قصد المعنى فجاء على تلك الألفاظ وعلى هذا يحصل

(١) المراجع السابقة. (٢) من الطويل وهو لعبد بني الخنحناس سحيم. وقد تقدم. (٣) البيت من الطويل وهو لطرفة بن العبد. وأورده أبو حيان في البحر ٧/ ٣٤٥ وانظر: تفسير ابن كثير ٣/ ٥٧٩ ومجمع البيان للطبرسي ٧/ ٦٧٥ والدر المنثور للسيوطي ٧/ ٧١ وفتح القدير للشوكاني ٤/ ٣١٩ ولباب التأويل للخازن ٦/ ١٥ ومعالم التنزيل للبغوي ٦/ ١٥ وتفسير العلامة القرطبي ١٥/ ٥١.

(٤) سقطت من ب. (٥) البغوي والخازن السابقان.

(٦) نقله الرازي في ١٠٤/٢٦. (٧) في ب لمراعاته.

(٨) الهمزة سقطت من ب. (٩) في ب مقطعة.

(١٠) وفيها: فالمعنى.

الجواب عن قول من يقول: إِنَّ النَّبِيَّ ذَكَرَ بَيْتَ شَعْرٍ وَهُوَ قَوْلُهُ:

٤١٨٧ - أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ<sup>(١)</sup>

أو بيتين لأننا نقول: ذلك ليس بشعر لعدم قصده إلى الوزن والقافية وعلى هذا لو صدر من النبي - عليه (الصلاة و) السلام - كلام كثير موزون مَقْفَى لا يكون شعراً لعدم قصده اللفظ قصداً أولياً، ويؤيد ما ذكرنا أنك إذا تبعت كلام الناس في الأسواق تجد فيه ما يكون موزوناً واقعاً في بحر من بحور الشعر ولا يسمى المتكلم به شاعراً ولا الكلام شعراً لفقد القصد إلى اللفظ أولاً.

## فصل

وجه الترتيب ما تقدم من أنه تعالى في كل موضع ذكر أصلين من الأصول الثلاثة وهي الوجدانية والرسالة والحشر ذكر الأصل الثالث منها وههنا ذكر أصلين الوجدانية والحشر. أما الوجدانية ففي قوله تعالى: ﴿الْمَ أَعْهَدَ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ وفي قوله: ﴿وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ وأما الحشر ففي قوله تعالى: ﴿اضْلَوْهَا الْيَوْمَ﴾ وبقوله: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ (عَلَى أَفْوَاهِهِمْ)﴾ إلى غير ذلك فلما ذكرهما وبينهما<sup>(٢)</sup> ذكر الأصل الثالث وهو الرسالة فقال: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذَكَرَ وَقُرَّانَ مَبِينٌ﴾.

فقوله: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ﴾ إشارة إلى أنه معلم من عند الله فعلمه ما أراد ولم يُعَلِّمَهُ ما لم يُرِدْ.

فإن قيل: لم خص الشعر بنفي التعليم مع أن الكفار كانوا ينسبون إلى النبي - ﷺ - أشياء من جملتها السحر، والكهانة ولم يقل: وما علمناه السُّحْرَ وما علمناه الكَهَانَةَ؟

فالجواب: أما الكهانة فكانوا ينسبون النبي - ﷺ - إليها عندما كان يخبر عن الغيوب ويكون كما يقول. وأما السحر فكانوا ينسبونه إليه عندما كان يفعل ما لا يقدر عليه<sup>(٣)</sup> العَيْرُ كَشَقِّ الْقَمَرِ، وتكلم الحجر، والجذع وغير ذلك، وأما الشعر فكانوا ينسبونه إليه عندما كان يتلو القرآن عليهم لكنه - عليه (الصلاة و) السلام - ما كان يُتَحَدَّى إِلَّا بِالْقُرْآنِ كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣] إلى غير ذلك ولم يقل: إن كنتم في شك من رسالتي فاقطعوا<sup>(٤)</sup> الجذوع أو أشبعوا الخلق العظيم أو أخبروا الغيوب فلما كان تحديه عليه (الصلاة و) السلام بالكلام وكانوا

(١) انظر: تفسير الرازي ١٠٥/٢٦ و ١٠٤.

(٢) وانظر هذا كله في تفسير العلامة الفخر الرازي ١٠٥/٢٦ و ١٠٤ وانظر: القرطبي ٥١/١٥ و ٥٢ ومعالم التنزيل ١٥/٦ ولباب التأويل ١٥/٦ أيضاً.

(٤) كذا في النسختين. وفي تفسير الرازي: بدل «فاقطعوا» فأنطقوا.

ينسبونه إلى الشعر عند الكلام خص الشعر بنفس التعليم<sup>(١)</sup>.

قوله: «إِنْ هُوَ» أي (إن)<sup>(٢)</sup> القرآن، دل عليه السياق أو إن المُعَلَّم «إِلَّا ذِكْرٌ» يدل عليه: «وَمَا عَلَّمْنَاهُ» والضمير في قوله «له» للنبي - ﷺ - وقيل: للقرآن<sup>(٣)</sup>.

قوله: «إِلَّا ذِكْرٌ» موعظة «وَقُرْآنٌ مُبِينٌ» فيه الفرائض والحدود والأحكام<sup>(٤)</sup>.

قوله: «لِيُنذِرَ» قرأ نافع وابن عامر هنا وفي الأحقاف<sup>(٥)</sup> «لِتُنذِرَ» خطاباً<sup>(٦)</sup>، والباقون بالغيبة بخلاف عن البزّي في الأحقاف<sup>(٧)</sup>، والغيبة يحتمل أن يكون الضمير فيما للنبي - ﷺ - وأن يكون للقرآن<sup>(٨)</sup>. وقرأ الجحدري واليماني «لِتُنذِرَ» مبنياً للمفعول<sup>(٩)</sup>. وأبو السَّمَال واليماني أيضاً - لِيُنذِرَ - بفتح الياء والذال من نَذَرَ بكسر الذال أي علم فتكون «مَنْ» فاعلاً<sup>(١٠)</sup>.

## فصل

المعنى لتُنذِرَ القرآنَ مَنْ كَانَ حَيًّا يعني مؤمناً حي القلب لأن الكافر كالميت في أنه لا يتدبر<sup>(١١)</sup> ولا يتفكر قال تعالى: ﴿أَرَمَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّارِ﴾ [الأنعام: ١٢٢]. وقيل: من كان حياً أي عاقلاً<sup>(١٢)</sup> وذكر<sup>(١٣)</sup> الزمخشري في «زبيح الأبرار» «وَبِحَقِّ الْقَوْلِ» ويجب العذاب<sup>(١٤)</sup> على الكافر.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِيئِنَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَلَائِكُونَ

(١) تفسير الإمام الرازي ١٠٤/٢٦.

(٢) زيادة من أ عن ب.

(٣) زاد المسير ٣٧/٧ ومعالم التنزيل للبقوي ١٦/٦ والقرطبي ٥٥/١٥ والسمين ٥٣٢/٤.

(٤) المراجع السابقة.

(٥) من الآية ١٢ ﴿لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَيُفْرَى لِمُخْسِنِينَ﴾.

(٦) من القراءة المتواترة. انظر: السبعة ٥٤٤ والإتحاف ٣٦٦ و ٣٦٧ والنشر ٣٥٥/٢ وحجة ابن خالويه ٣٠٠ والكشاف ٣٣٠/٣.

(٧) الإتحاف ٣٩٠ والنشر ٣٧٢/٢ و ٣٧٣ فمن راو عنه بالخطاب ومن راو بالغيب.

(٨) السمين ٥٣٢/٤.

(٩) روى ابن خالويه تلك القراءة في المختصر ١٢٦ وانظر البحر ٣٤٦/٧ والكشاف ٣٣٠/٣.

(١٠) السمين ٥٣٣/٤، والبحر ٣٤٦/٧ والكشاف ٣٣٠/٣.

(١١) معالم التنزيل للبقوي ١٦/٦.

(١٢) وهو رأي الضحاك والزجاج. انظر: زاد المسير ٣٧/٧ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٩٤/٤.

(١٣) كذا هنا وفي ب ذكره الزمخشري وهذا خطأ؛ لأن الكلام السابق للضحاك ومن هذا حذوه ويصح أن يكون للزمخشري إذا اعتبرنا سقوط الواو فلقد أخبر عن «حيًا» في الكشاف ٣٣٠/٣ أي عاقلاً تاملاً.

(١٤) الكشاف ٣٣٠/٣.

(٧١) وَذَلَّلْنَاهَا لَكُم فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (٧٢) وَهُمْ فِيهَا مَتَّعُ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ  
(٧٣) وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لَعَلَّهُمْ يُبْصِرُونَ (٧٤) لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَكُم جُنْدٌ  
مُخَضَّرُونَ (٧٥) فَلَا يَحْزَنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٦)

ثم إنه تعالى أعاد الوجدانية والدلائل عليها فقال: «أَو لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِنَّا عَمَلَتْ أَيْدِينَا» أي من جملة ما عملت أيدينا أي ما<sup>(١)</sup> عملناه من غير معين ولا ظهير بل عملناه بقدرتنا وإرادتنا «أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ» ضابطون قاهرون أي لم يخلق الأنعام وحشية نافرة<sup>(٢)</sup> من بني آدم لا يقدرون على ضبطها بل هي مسخرة لهم كقوله: «وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ»، «سَخَّرْنَاهَا لَهُمْ». «فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ» أي ما يركبون وهي الإبل «وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ» من لحمائها<sup>(٣)</sup>.

قوله: «رَكُوبُهُمْ» أي مركوبهم كالحلوب والحصور بمعنى المفعول وهو لا ينقاس<sup>(٤)</sup>. وقرأ أبي وعائشة «رَكُوبَتُهُمْ» بالتاء وقد عد بعضهم دخول التاء على هذه الزنة<sup>(٥)</sup> شاذاً وجعلها الزمخشري في قول بعضهم جمعاً يعني اسم جمع<sup>(٦)</sup> وإلا فلم يرد في أبنية التفسير هذه الزنة. وقد عد ابن مالك أيضاً أبنية أسماء الجموع فلم يذكر فيها فعولة<sup>(٧)</sup>، وقرأ الحسن وأبو البرهسم والأعمش رُكُوبُهُمْ بضم الراء<sup>(٨)</sup>، ولا بد من حذف مضاف إما من الأول أي فمن منافعها ركوبهم وإما من الثاني أي ذو<sup>(٩)</sup> ركوبهم. قال ابن خالويه العرب تقول: ناقة حلوب رُكُوبٌ وركوبة حلوبة وركبأة حلبأة وركبوت حلبوت وركبي حلبي وركبوتا (حلبوتا)<sup>(١٠)</sup> وركبائة حلبائة وأنشد:

٤١٨٨ - رَكْبَانَةٌ حَلْبَانَةٌ زَفُوفٌ تَخْلُطُ بَيْنَ وَبَرٍ وَصُوفٍ<sup>(١١)</sup>

(١) الرازي ١٠٦/٢٦. (٢) البغوي ١٦/٦.

(٣) في ب لحماتها. (٤) وإنما ينقاس فعيل بمعنى الفاعل أو المفعول.

(٥) ذكر هذه القراءة ابن جنبي في المحتسب ٢١٦/٢ وابن خالويه ١٢٦ ومعاني الفراء ٣٨١/٢ والكشاف ٣٣٠/٣ والبيان ٣٠١/٢ وسبب شذوذها أن فعلاً مما يستوي فيه المذكر والمؤنث فتقول ركوب في النوعين.

(٦) الكشاف ٣٣٠/٣.

(٧) في ب فعول. تحريف. وانظر: التسهيل ٢٦٧: ٢٨٠. وقد جوز الزمخشري وأبو حيان في البحر ٧/٣٤٧ الأفراد واسم الجمع معاً.

(٨) معاني الفراء ٣٨١/٢ والكشاف ٣٣٠/٣ والمحتسب ٢١٦/٢ ومختصر ابن خالويه ١٢٦.

(٩) قاله في الكشاف ٣٣٠/٣.

(١٠) سقط من ب. وانظر مختصر ابن خالويه ١٢٦. واللسان: «ح ل ب» ٩٥٦: ٩٦٠ و«ر ك ب» ١٧١٢: ١٧١٥ وكذلك القاموس ٥٩/١ و ٧٨ و ٧٩.

(١١) رجز مجهول قائله وقبله: أكرم لنا بناقة ألوف... ويروى صفوف بدل زفوف. وهي التي تصف=

## فصل

لما بين الركوب والأكل ذكر غير ذلك فقال: «وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبٌ» فالمراد بالمنافع أصوافها وأوبارها وأشعارها ونسلها وبالمشارب ألبانها، والمشارب جمع مشرب بالفتح مصدر<sup>(١)</sup> ومكانا<sup>(٢)</sup>. ثم قال: «أَفَلَا يَشْكُرُونَ» رب هذه النعم «وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً» إشارة إلى بيان زيادة ضلالهم لأنه كان الواجب عليهم عبادة الله شكراً لأنعميه فتركوها، وأقبلوا على عبادة من لا يضر ولا ينفع «لَعَلَّهُمْ يُتَّصِرُونَ» أي ليمنعهم من عذاب الله ولا يكون ذلك<sup>(٣)</sup>، والضمير في قوله: «لَا يَسْتَطِيعُونَ» إما للآلهة وإما لعابديها وكذلك الضمائر بعده<sup>(٤)</sup>. قال ابن عباس: لا تقدر<sup>(٥)</sup> الأصنام على نصرهم ومنعهم من العذاب «وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحَضَّرُونَ» أي الكفار جند للأصنام<sup>(٦)</sup> فيغضبون لها ويحضرونها في الدنيا وهي لا تسوق لهم خيراً ولا تستطيع لهم نصراً، وقيل: هذا في الآخرة يؤتى بكل معبود من دون الله ومعه أتباعه الذين عبدوه كأنهم جند<sup>(٧)</sup> (هـ)<sup>(٨)</sup> يحضرون<sup>(٩)</sup> في النار. وهذا إشارة إلى الحشر بعد تقرير التوحيد. وهذا كقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] وقوله: ﴿أَخْتَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ إِنَّ صِرَاطَ الْمَسْجَمِ﴾ [الصفات: ٢٢-٢٣].

قوله: «فَلَا يَحْزَنُكَ» قد تقدم قراءة «يَحْزَنُ» و «يُحْزِنُ». «قَوْلُهُمْ» يعني قول الكفار في تكذيبك وهذا إشارة إلى الرسالة لأن الخطاب معه بما يوجب تسلية قلبه «إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ» ما يسرون في ضمائرهم وما يعلنون من عبادة الأصنام أو ما يعلنون بالستهم من الأذى.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ نُوقِدُونَ (٨٠) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ

= الأقداح من كثرة لبنها. وجيء بالبيت حتى يقول: إن ركبانه وحلبانه مما تكلمت به العرب بمعنى الكثيرة الحلب والصالحة للركوب.

- (١) ميمياً من الفعل الثلاثي.
- (٢) في أي مكانها وهو جائر.
- (٣) اسم مكان أيضاً من الثلاثي وانظر: البحر ٣٤٧/٧ والدر ٥٣٤/٤ والكشاف ٣٣٠/٣.
- (٤) الرازي ١٠٦/٢٦ ومعالم التنزيل ١٦/٦.
- (٥) البحر والدر والكشاف السابقة.
- (٦) في ب يقدر بالتذكير.
- (٧) في ب جند الأصنام.
- (٨) زيادة من أ.
- (٩) في ب محضرون.

وَهُوَ الْخَلْقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾  
فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدِينُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

قوله تعالى: ﴿أَوْ لَمْ يَرَ الْإِنْسَانَ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ لما ذكر دليلاً من الآفاق على وجوب عبادته بقوله: ﴿أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾<sup>(١)</sup> ذكر دليلاً من الأنفس فقال: ﴿أَوْ لَمْ يَرَ الْإِنْسَانَ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ﴾، قيل: المراد بالإنسان أبي بن خلف الجُمَحِيِّ حَاصِمِ النَّبِيِّ - ﷺ - في إنكار البعث وأتاه بعظم قد بلي ففتته بيده وقال: أترى يُخَيِّبِي اللَّهُ هَذَا الْعِظْمَ بَعْدَمَا رَمَّ فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - : - نَعَمْ وَيَبْعَثُكَ وَيُدْخِلُكَ النَّارَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَاتِ قَالَ ابْنُ الْخَطِيبِ: وقد ثبت في أصول الفقه أن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ألا ترى قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١] نزلت في واحدة وأراد الحكم في الكل فكذلك كل إنسان ينكر الله أو الحشر هذه الآية رد عليه وقوله: ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ أي جِدِلٌ بِالْبَاطِلِ «مُبِينٌ» بين الخصومة. وفي (هذه) الآية لطيفة وهي أن اختلاف صور أعضائه<sup>(٢)</sup> مع تشابه أجزاء النطفة آية ظاهرة ومع ذلك فهناك ما هو أظهر، وهو نُطْقُهُ وَفَهْمُهُ لَأَنَّ النُّطْفَةَ جِسْمٌ فَهِيَ أَنْ جَاهِلًا يَقُولُ إِنَّهُ اسْتِحَالَ جِسْمًا آخَرَ لَكِنِ الْقُوَّةَ النَّاطِقَةَ، وَالْقُوَّةَ الْفَاهِمَةَ مِنْ أَيْنَ تَقْتَضِيهِمَا النُّطْفَةُ فإِبداعِ النُّطْقِ وَالفَهْمِ أَعْجَبُ وَأَعْرَبُ مِنْ إِبْدَاعِ الْخَلْقِ وَالجِسْمِ وَهُوَ (إِلَى)<sup>(٤)</sup> إدراك القوة والاختيار منه أقرب فقوله: «خَصِيمٌ» أي ناطق، وإنما ذكر الخصيم مكان الناطق لأنه أعلى أحوال الناطق فإن الناطق مع نفسه لا يبين كلامه مثل ما يبينه وهو يتكلم مع غيره والمتكلم مع غيره إذا لم يكن خصماً لا يبين ولا يجتهد مثل ما يجتهد إذا كان كلامه مع<sup>(٥)</sup> خصمه.

قوله (تعالى)<sup>(٦)</sup>: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ قرأ زيد بن علي: «وَنَسِيَ خَالِقَهُ» بزنة اسم الفاعل<sup>(٧)</sup>.

## فصل

المعنى: «وَنَسِيَ خَلْقَهُ» أي بَدَأَ أَمْرَهُ<sup>(٨)</sup> ﴿قَالَ مَنْ يُخَيِّبِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ قيل:

- (١) في ب بدل هذه الآية قوله: «أَوْ لَمْ يَرَ الْإِنْسَانَ» وهو غير مقصود.
- (٢) رواه العوفي عن ابن عباس زاد المسير ٤١/٧. وهو قول مجاهد وقتادة والجمهور والمفسرين. ومن قائل: إنه عبد الله بن أبي ابن سلول. ومن قائل: إنه العاص بن وائل السهمي. المرجع السابق.
- (٣) في ب الأعضاء. (٤) سقط من ب.
- (٥) وانظر هذا كله في تفسير الإمام الفخر الرازي ١٠٧/٢٦ و ١٠٨.
- (٦) سقط من الأصل.
- (٧) وهو الله - عزت جلالت - أوردها أبو حيان في بحره ٣٤٨/٧ وهي قراءة ابن السَّمِيعِ أيضاً. انظر: شواذ القرآن ٢٠٤ والدر المصون ٥٣٤/٤.
- (٨) قاله البغوي ١٧/٦.

فَعِيلٌ بِمعنى فاعل<sup>(١)</sup>، وقيل: مفعول<sup>(٢)</sup> فعلى الأول عدم التاء غير مقيس<sup>(٣)</sup>. وقال الزمخشري: الرَّمِيم اسم لما بلي من العظام غير صفة كالرَّمَّة والرفات فلا يقال: لم لم يؤنث وقد وقع خبراً لمؤنث ولا هو فعيل بمعنى فاعل أو مفعول<sup>(٤)</sup> وقال البغوي ولم يقل: رميمة لأنه معدول من فاعلة فكل ما كان معدولاً عن وجهه ووزنه كان مصروفاً عن إعرابه<sup>(٥)</sup> كقوله: ﴿وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٨] أسقط الهاء لأنها مصروفة عن «باغية».

## فصل

هذه الآية وما بعدها إشارة إلى بيان الحشر، واعلم أن المنكرين للحشر منهم من لم يذكر فيه دليلاً ولا شبهة بل اكتفى بمجرد الاستبعاد وهم الأكثرون كقولهم: ﴿وَقَالُوا آءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [السجدة: ١٠] ﴿آءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِأْتَانَا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٢] ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ على طريق الاستبعاد، فأبطل استبعادهم بقوله: ﴿نَسِي خَلْقَهُ﴾ أي نسي أنا خلقناه من تراب ومن نطفة<sup>(٦)</sup> متشابهة (الأجزاء)<sup>(٧)</sup>، ثم جعلنا لهم من النواصيبي إلى الأقدام أعضاء مختلفة الصورة<sup>(٨)</sup>، وما اكتفينا بذلك حتى أودعناهم ما ليس من قبيل هذه الأجرام وهو النطق والعقل اللذيذ (ن)<sup>(٩)</sup> بهما استحقوا الإكرام فإن كانوا يقنعون<sup>(١٠)</sup> بمجرد الاستبعاد فهلا يستبعدون خلق الناطق العاقل من نطفة قدرة لم تكن محلاً للحياة أصلاً ويستبعدون إعادة النطق والعقل إلى محل كانا فيه. واختاروا العظم بالذكر لأنه أبعد عن الحياة<sup>(١١)</sup> لعدم الإحساس فيه ووصفوه بما يقوي جانب الاستبعاد من البلى والثقت. والله تعالى دفع استبعادهم من جهة ما في العبد من القدرة والعلم فقال: «وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا» أي جعل قدرتنا كقدرتهم «ونسي خلقه» العجيب وبدأه الغريب. ومنهم من ذكر شبهة وإن في آخرها يعود إلى مجرد الاستبعاد وهي على وجهين:

الأول: أنه بعد العدم لن يبقى شيء فكيف يصح على العدم الحكم بالوجود؟!

- (١) وهو قول القرطبي في الجامع ٥٨/١٥ والبغوي في معالم التنزيل ١٧/٦ ونقله السمين في الدر المصون ٥٣٤/٤ وهو أحد قولي أبي البقاء في التبيان ١٠٨٦.
- (٢) الوجه الآخر من قول العكبري انظر: المرجع السابق.
- (٣) انظر: التبيان ٩٨ و٩٩.
- (٤) الكشاف ٣/٣٣١. فجعله اسماً.
- (٥) البغوي ١٧/٦ وفي أخواته بدل إعرابه وانظر: القرطبي ٥٨/١٥.
- (٦) في ب خلقه وانظر: الرازي ١٠٨/٢٦ و ١٠٩.
- (٧) سقط من ب.
- (٨) في ب والرازي الصور جمعاً.
- (٩) زيادة على النسختين والرازي.
- (١٠) كذا في الرازي وفي ب. وما في أ يضعون.
- (١١) كذا هنا في أ وفي الرازي وما في ب: من.

فأجاب الله عن هذه الشبهة بقوله تعالى: ﴿الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ يعني كما خلق الإنسان ولم يكن<sup>(١١)</sup> شيئاً مذكوراً كذلك يعيده وإن لم يبق شيئاً مذكوراً.

الثاني: أن من تفرقت أجزاؤه في مشارق الأرض ومغاربها وصار بعضه<sup>(١٢)</sup> في أبدان السباع، وبعضه<sup>(١٣)</sup> في حواصل الطيور وبعض<sup>(١٤)</sup> في جذران الرباع كيف يجتمع؟ وأبعد من هذا: لو أكل الإنسان<sup>(١٥)</sup> إنساناً وصار أجزاء المأكول في أجزاء الآكل (فإن أعيدت<sup>(١٦)</sup> أجزاء الآكل) فلا يبقى للمأكول أجزاء تتخلق منها أعضاء<sup>(١٧)</sup> وإما أن تُعاد إلى بدن المأكول فلا يبقى للأكل أجزاء. فأبطل الله تعالى هذه الشبهة بقوله: «وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ». ووجهه: أن في الأكل أجزاء أصلية وأجزاء فضلية وفي المأكول كذلك فإذا أكل إنسان<sup>(١٨)</sup> إنساناً صار الأصلي من أجزاء المأكول فضلياً من أجزاء الآكل والأجزاء الأصلية للأكل هي ما كان قبل الأكل فالله بكل خلق عليم يعلم الأصل من الفضل فيجمع الأجزاء الأصلية للأكل ويجمع الأجزاء الأصلية للمأكول وينفخ فيه روحاً وكذلك يجمع أجزاءه المتفرقة في البقاع المتبددة بحكمته وقدرته<sup>(١٩)</sup>.

ثم إنه تعالى عاد إلى تقرير ما تقدم من دفع استبعادهم وإبطال إنكارهم فقال: «الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً» هذه قراءة العامة، وقرىء الخضراء<sup>(٢٠)</sup> اعتباراً بالمعنى، وقد تقدم أنه يجوز تذكير اسم الجنس وتائيثه قال تعالى: ﴿تَحَلِّي مُنْفِعِرٌ﴾ [القمر: ٢٠] ﴿تَحَلِّي خَاوِيَةٌ﴾<sup>(٢١)</sup> [الحاقة: ٧]، وتقدم أن بني تميم وتجد يذكرونه، والحجاز<sup>(٢٢)</sup> يؤنثونه إلا ألفاظاً استثنيت<sup>(٢٣)</sup>.

(١) في ب لم يك وما هنا هو ما يوافق الرازي.

(٢) كذا في الرازي وفي ب بعضها.

(٣) و (٤) كذلك.

(٥) في ب إنسان وإنساناً وفي الرازي: هو أن إنساناً إذا أكل إنساناً.

(٦) سقط من ب.

(٧) في ب أعضاؤه وهي موافقة للرازي.

(٨) كذا في الرازي وما في ب الإنسان إنساناً.

(٩) انظر تفسير الرازي ١٠٩/٢٦.

(١٠) أوردها أبو حيان في بحره ٤٣٨/٧ والزمخشري في الكشاف ٣٣٢/٣ والسمين في الدر ٥٣٤/٤ ولم ينسبها أي منهم.

(١١) ولقد ذكر القرآن الكريم وأنت ما رجح إليهما أي النخل. وهو اسم الجنس فالتذكير نظراً للفظ والتائيث نظراً للمعنى.

(١٢) في ب والحجازيون.

(١٣) كماء وتراب. والغالب في اسم الجنس أن يكون مذكراً إذا كان مجرداً من التاء ومن ذلك: ﴿وَالكَلِيمِ الطَّيِّبِ يَرْفَعُهُ﴾ «كأنهم أصجارٌ نخلٍ خاويةٌ». وانظر: شرح الشافية ١٩٣/٢ و ١٩٤ والبيان ١٦٦.

## فصل

قال ابن عباس<sup>(١)</sup>: هما شجرتان يقال لإحدهما المرخ<sup>(٢)</sup> وللأخرى العفار<sup>(٣)</sup> فمن أراد منهما النار قطع منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطران الماء فيسحق المرخ على العفار فيخرج منهما النار بإذن الله تعالى. وتقول العرب: في كل شجرٍ نارٌ واستمجد<sup>(٤)</sup> المرخُ العفار. وقالت الحكماء: في كل شجرنا إلا العناب<sup>(٥)</sup>.

قوله: «فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ» أي تَفْدَحُونَ وتُوقِدُونَ النار من ذلك الشجر، ثم ذكر ما هو أعظم من خلق الإنسان فقال «أَوْ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ» هذه قراءة العامة ودخلت الباء زائدة على اسم الفاعل، والجحدري وابن أبي إسحاق والأعرج<sup>(٦)</sup> «يَقْدِر» فعلا مضارعاً<sup>(٧)</sup>، والضمير في مثلهم قيل: عائد على الناس لأنهم هم المخاطبون وقيل: على السموات والأرض لتضمنهم مَنْ يعقل<sup>(٨)</sup>، ثم قال: «بَلَى» (أي<sup>(٩)</sup> قل بلى) هو قادر على ذلك «وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ» (يخلق خلقاً بعد<sup>(١٠)</sup>) خلق العليم بجميع ما خلق و «بَلَى» جواب «لَلَيْسَ» وإن دخل عليها الاستفهام لتصويرها إيجاباً<sup>(١١)</sup>، والعامة<sup>(١٢)</sup> على «الْخَلَّاقُ» صيغة مبالغة، والجحدري والحسن ومالك بن دينار<sup>(١٣)</sup> «الْخَالِقُ» اسم فاعل<sup>(١٤)</sup>.

(١) ذكره الخازن في لباب التأويل ١٧/٦ وكذلك البغوي في معالم التنزيل ١٧/٦.

(٢) من شجر النار معروف وهو شجر كثير الوري سريعه.

(٣) وهو شجر أيضاً يتخذ منه الزناد. والمرخ والعفار شجرتان فيهما نار ليس في غيرهما. وانظر: اللسان عفر ٣٠١٢ ومرخ ٤١٧١.

(٤) هذا مثل قالته العرب عن هاتين الشجرتين. انظر اللسان المرجع السابق ومعالم التنزيل ولباب التأويل للبغوي والخازن المرجعين السابقين. واستمجد المرخ والعفار استكثراً وأخذاً من النار ما هو بحسبهما. وهو مثل يضرب في تفضيل بعض الشيء على بعض، انظر: الجامع للقرطبي أيضاً ٥٩/١٥ و ٦٠.

(٥) البغوي والخازن المرجعان السابقان. وقال في اللسان: العناب النبكة الطويلة في السماء الفاردة المحددة الرأس يكون أسود وأحمر وعلى كل لون يكون والغالب عليه الشمرة وهو جبل طويل في السماء لا يثبت شيئاً. وانظر اللسان «ع ن ب» ٣١١٩.

(٦) حُمَيْد بن قَيْس الأعرج أبو صَفْوَانَ المكي القاري. روى عن سُفْيَانَ بْنِ عَيْنَةَ وغيره. مات سنة ١٣٠ هـ، انظر: غاية النهاية ٢٦٥/١.

(٧) من الشواذ انظرها في المختصر ١٢٦ والإتحاف ٣٦٧ وانظر: الكشاف ٣/٣٣٢ وزاد المسير ٤٢/٧ وهي قراءة أبي بكر الصديق أيضاً.

(٨) البحر المحيط ٣٤٨/٧ والدر المصون ٥٣٥/٤.

(٩) سقط من ب. كذلك.

(١٠) فعند الإثبات تقول: بلى وعند النفي في غير القرآن تقول: نعم لا.

(١١) في ب. والعائد. لحن وتحريف.

(١٢) السامي الناجي مولاهم أبو يحيى الزاهد الراءظ أحد الأعلام عن أنس وابن جبير وعطاء وعنه عاصم الأحول وثقه النسائي. انظر: غاية النهاية ٣٦/٢ وخلاصة الكمال ٣٦٧.

(١٤) من الأربع فوق العشرة. ابن خالويه ١٢٦ والإتحاف ٣٦٧.

قوله: «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ». تقدم الخلاف في «فيكون» نصباً ورفعاً وتوجيه ذلك في البقرة<sup>(١)</sup>.

قوله: «فَسُبْحَانَ الَّذِي فِي يَدَيْهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ» قرأ طلحة والأعمش<sup>(٢)</sup> مَلَكَةُ بزنة شَجَرَةٍ. وقرىء مَمْلَكَةُ بزنة مَفْعَلَةٍ وقرىء مُلْكٌ<sup>(٣)</sup>. والملكوت أبلغ الجميع، والعامّة على «تُرَجَعُونَ» مبنياً للمفعول، وزيد بن عليّ مبنياً للفاعل<sup>(٤)</sup> وتقدم الكلام على قوله «سُبْحَانَ»<sup>(٥)</sup> والتسبيح التنزيه، والملكوت مبالغة في الملْك كالرَّحْمَتِ<sup>(٦)</sup>، والرَّهْبُوتِ، وهو فَعْلُولٌ أو فَعْلُولٌ فيه<sup>(٧)</sup> كلام، قال - عليه (الصلاة و) السلام -: «أَقْرَأُ وَأَعْلَى مَوْتَاكُمْ يَسَّ»<sup>(٨)</sup>. وقال عليه (الصلاة) والسلام: «لِكُلِّ شَيْءٍ قَلْبٌ، وَإِنَّ قَلْبَ الْقُرْآنِ سُورَةُ يَسَّ وَمَنْ قَرَأَ يَسَّ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِقِرَاءَتِهَا قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ عَشْرَ مَرَّاتٍ»<sup>(٩)</sup>، وعن عائشة قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «إِنَّ فِي الْقُرْآنِ سُورَةَ تَشْفَعُ لِقَارِبِهَا وَيُغْفَرُ لِمُسْتَمِعِهَا أَلَّا وَهِيَ سُورَةُ يَسَّ»<sup>(١٠)</sup> وعن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «يَسَّ تُدْعَى الْمُعِمَّةُ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَمَا الْمُعِمَّةُ؟ قال: تَعَمَّ صَاحِبُهَا خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَتُدْعَى

- (١) عند قوله: «وَيَكُونُ الَّذِينَ لِلَّهِ» ١٩٣ قرأ بالنصب ابن عامر والكسائي على جواب لفظ والباقيون بالرفع خير لمبتدأ محذوف فهو. وانظر: الإتحاف ٣٦٧ والسبعة ٥٤٤، وابن خالويه ٣٠٠.
- (٢) الكشاف ٣/٣٣٢ والمحتسب ٢/٢١٧ وهي من الأربع فوق العشرة المتواترة. وانظر: الإتحاف ٣٦٧ وذكرها ابن خالويه بالهاء «ملكة» وكلها بمعنى واحد.
- (٣) البحر ٧/٣٤٩ والكشاف ٣/٣٣٢ والدر المصون ٤/٥٣٥.
- (٤) إحدى القراءات العشرية المتواترة انظر: المراجع السابقة والإتحاف ٣٦٧، والنشر ٢/٣٥٥ و ٣٥٦ وهي قراءة يعقوب أيضاً.
- (٥) تكررت هذه اللفظة كثيراً في القرآن فلقد سبقت في يوسف ١٠٨ و ١ من الإسراء و ٩٣ منها و ١٠٨ منها أيضاً و ٢٢ من الأنبياء و ٩١ من المؤمنون و ٨ من النمل و ٦٨ من القصص و ١٧ من الروم و ٣٦ من نفس السورة ولعله يقصد الإعراب الذي في الآية الأخيرة من نفس السورة عموماً فهو علم للتسبيح كعُظْمَانُ للرجل وانتصابه بفعل مضمّر متروك إظهاره تقديره أَسْبَحَ اللَّهُ سُبْحَانَ، ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد مسدّه ودل على التنزيه البليغ من جميع القبائح.
- (٦) في كلتا النسختين كالرحمن: تحريف وخطأ، فسياق الكلام والقرآن يشير إلى ما صححت أعلى وهو الرَّحْمَتِ.
- (٧) نقل السيوطي في المزهري عن ابن دُرَيْدٍ قوله: «لم يجيء على فَعْلُولٌ إِلَّا مَلَكُوتٌ وَجَبْرُوتٌ وَرَحْمَتٌ وَرَحْمَةٌ وَرَهْبُوتٌ مِنَ الرَّهْمِيَّةِ وَعَظْمُوتٌ مِنَ الْعَظْمَةِ وَسَلْبُوتٌ مِنَ السَّلْبِ وَنَاقَةٌ تَرْبُوتٌ لَا تَنْفِرُ وَحَلْبُوتٌ وَرَكْبُوتٌ تَصْلُحُ لِلْحَلْبِ وَالرَّكْبِ وَرَجُلٌ حَلْبُوتٌ خِدَاعٌ مَكَارٍ». وزاد الفارابي ثَلْبُوتٌ أَرْضٌ. انظر: المزهري ٦٨/٢.
- (٨) رواه مَعْقِلُ بْنُ يَسَّارٍ. انظر: القرطبي ١/١٥. وابن كثير ٣/٥٦٣.
- (٩) القرطبي ١/١٥ عن أنس رضي الله عنه وكذلك أخرجه البغوي في معالم التنزيل ٦/٢.
- (١٠) أورده الزمخشري في الكشاف ٣/٣٣٣.

الدافعة القاضية تدفع عنه كل سوء وتغضي له كل حاجة، ومن قرأها عدلت له عشرين حجةً ومن سمعها كان له ألف دينار في سبيل الله ومن كتبها وشربها أدخلت جوفه ألف دواء وألف يقين والف رافة ونزع منه كل داء وغل<sup>(١)</sup>، وعن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله - ﷺ - من قرأ يس يريد بها وجهه - عز وجل - غفر الله له وأعطى من الأجر كأنما قرأ القرآن اثنتي عشرة مرة، وأيما مريض قرىء عنده سورة يس نزل عليه بقدر<sup>(٢)</sup> كل حرف عشرة أملاك، يؤمون بين يديه صُفُوفاً فيصلون عليه ويستغفرون عليه ويشهدون قبضه وغسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وأيما مريض قرأ سورة يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يحيئه رضواناً خازن الجنة يشربها وهو على فراشه فيموت وهو رياناً ويبعث وهو رياناً، ويحاسب وهو رياناً ولا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء، حتى يدخل الجنة وهو رياناً<sup>(٣)</sup>، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله - ﷺ - «من قرأ سورة يس في ليلة أصبح مغفوراً له»<sup>(٤)</sup>. وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله - ﷺ - من دخل المقابر فقرأ سورة يس حفف عنهم يومئذ وكان له بعدد من فيها حسنات<sup>(٥)</sup>. وعن يحيى بن أبي كثير قال: بلغنا أنه «من قرأ يس حين يضح لم يزل في فرح حتى يمسي ومن قرأها حين يمسي لم يزل في فرح حتى يضح»<sup>(٦)</sup>.

(١) أخرجه الشوكاني في فتح القدير ٣٥٨/٤ عن ابن الضريس وابن مَزْدُونَه والخطيب والبيهقي عن أبي بكر. وقد ذكره الثعلبي من حديث عائشة تكلمة للحديث الأسبق قريباً. بينما أخرجه الترمذي الحكيم في نوادر الأصول عن أبي بكر وانظر: القرطبي ٢/١٥.

(٢) في ب بعدد.

(٣) حكم صاحب السراج المنير ٣/٣٦٨ بأن هذا الحديث موضوع وانظر: البيضاوي ١٥٤/٢، تبعاً للزمخشري ٣/٣٣٢ ومجمع البيان ٨/٦٤٦.

(٤) الحديث رواه السيوطي في جامع الأحاديث ٩/٣٥٧. وقد أخرجه ابن حبان والضياء عن جندب بن عبد الله. كما أخرجه الطبراني في الأوسط. انظر: فتح القدير ٤/٣٥٨ والسراج المنير ٣/٣٦٨ والقرطبي ١/١٥ و٣.

(٥) السابق وانظر: مجمع البيان ٨/٦٤٦ والسراج المنير ٣/٣٦٨.

(٦) قال شهر بن حوشب: إن هذا قول ابن عباس، القرطبي ١٥/٢.

## سورة «الصفات»

مكية<sup>(١)</sup>. وهي مائة واثنان وثمانون آية، وثمانمائة وستون كلمة، وثلاثة آلاف وثمانمائة وستة وعشرون حرفاً.

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿وَالصَّبَّاتِ صَفَاً﴾ (١) ﴿فَالزَّجْرَاتِ زَجْرًا﴾ (٢) ﴿فَالْمَلَيِّنَاتِ ذِكْرًا﴾ (٣) ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ (٤) رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا رَبُّ الْمَشْرِقِ ﴿٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَالصَّافَاتِ صَفَاً﴾ قرأ أبو عمرو وحمزة بإدغام التاء من «الصَّافَاتِ» و «الزَّاجِرَاتِ» و «الثَّالِيَّاتِ» في صاد «صفاً» وزاي «زجراً» وذال «ذكراً»، وكذلك فعلاً في ﴿وَالْمَلَيِّنَاتِ ذَرَوًا﴾ [الذاريات: ١] وفي ﴿فَالْمَلَيِّنَاتِ ذِكْرًا﴾ [المرسلات: ٥]، وفي ﴿وَالْمَلَيِّنَاتِ صَبْحًا﴾<sup>(٢)</sup> [العاديات: ١] بخلاف عن خَلَادٍ<sup>(٣)</sup> في الأخيرين وأبو عمرو جار على أصله في إدغام المتقاربين كما هو المعروف من أصله، وحمزة خارج عن أصله. والفرق بين مذهبيهما أن أبا عمرو يجيز الروم وحمزة لا يجيزه وهذا كما اتفقا في إدغام ﴿بَيْتَ طَائِفَةٍ﴾ [النساء: ٨١] وإن كان ليس من أصل حمزة إدغام مثله<sup>(٤)</sup>. وقرأ الباقر بإظهار جميع ذلك<sup>(٥)</sup>.

قال الواحدي<sup>(٦)</sup>: إدغام التاء في الصاد حسن لمقاربة الحرفين، ألا ترى أنهما من

(١) في قول الجميع قرره القرطبي ٦١/١٥ وابن الجوزي في زاد المسير ٤٤/٧، والبيهقي في معالم التنزيل ١٧/٦.

(٢) وهي من القراءات المتواترة. انظر: النشر ٣٥٦/٢ وابن خالويه في حجته ٣٠٠ والسبعة ٥٤٦. وإبراز المعاني ٦٦٢ والقراء ٣٨٢/٢ والقرطبي ٦٦/١٥ والرازي ١١٤/٢٦ وتقريب النشر ١٦٦ والإتحاف ٣٦٧.

(٣) تقدم.

(٤) وقال بكل هذا الإمام شهاب الدين السمين ٥٣٦/٤ وانظر: البحر ٣٥٢/٧ وقد أخبر أن الإدغام أيضاً قراءة ابن مسعود والأعمش ومسروق.

(٥) المراجع السابقة.

(٦) هو علي بن أحمد بن محمد بن علي الإمام أبو الحسن إمام مصنف مفسر نحوي، أستاذ عصره وواحد دهره أنفق شبابه في التحصيل، فأتقن الأصول على الأئمة وطاف على أعلام الأمة من مصنفاته البسيط والوسيط والوجيز في التفسير مات سنة ٤٦٨ هـ انظر: البغية ١/١٤٥.

طَرَفَ اللسان وأصول الثنايا يسمعان في الهمس والمدغم فيه يزيد على المدغم بالإطباق والصَّفِير وإدغام الأنقص في الأزيد حسن ولا يجوز أن يدغم الأزيد صوتاً في الأنقص .  
وأيضاً إدغام التاء في الزاي في قوله: «فَالزَّجْرَاتِ زَجْرًا» حسن لأن التاء مهموسة والزاي مجهورة وفيها زيادة صفير كما كان في الصاد . وأيضاً حَسَنَ إدغام التاء في الذال في قوله: «فَالثَّالِيَاتِ ذِكْرًا» لاتفاقهما في أنهما من طَرَفِ اللسان وأصول الثنايا . وأما من قرأ بالإظهار فلاختلاف المَخَارِج<sup>(١)</sup> ومفعول<sup>(٢)</sup> «الصَّافَاتِ» و«الزَّاجِرَاتِ» غير مراد إذ المعنى الفاعلات لذلك<sup>(٣)</sup> . وأعرب أبو البقاء «صَفًا» مفعولاً به على أنه قد يقع على المصنوف<sup>(٤)</sup> . وهذا ضعيف<sup>(٥)</sup> ، وقيل: هو مراد والمعنى والصفات أنفسها وهم الملائكة<sup>(٦)</sup> ، أو المجاهدون أو المصلون أو الصافات أجنحتها وهي الطير، كقوله<sup>(٧)</sup>:  
﴿وَالطَّيْرُ صَفَّتْ﴾ [النور: ٤١] والزاجرات: السحاب أو العصاة إن أريد بهم العلماء<sup>(٨)</sup> ،  
والزجر الدفع بقوة وهو قوة التصويت وأنشد:

٤١٨٩ - زَجْرَ أَبِي عُرْوَةَ السَّبَاعِ إِذَا أَشْفَقَ أَنْ يَخْتَلِطْنَ بِالغَنَمِ<sup>(٩)</sup>

وَزَجْرَتِ الإِبِلِ وَالغَنَمِ إِذَا فَرَعَتْ مِنْ صَوْتِكَ<sup>(١٠)</sup> . وأما «وَالثَّالِيَاتِ» فيجوز أن يكون «ذِكْرًا» مفعول<sup>(١١)</sup> ، والمراد بالذكر القرآن وغيره من تسبيح وتحميد، ويجوز أن يكون «ذِكْرًا» مصدرًا أيضاً من معنى الثَّالِيَاتِ ، وهذا أوفق لما قبله<sup>(١٢)</sup> . قال الزمخشري: الفاء في «فالزاجرات» (وفي) فالثاليات إما أن تدل على ترتيب معانيها في الوجود كقوله<sup>(١٣)</sup>:

(١) قاله في البسيط ونقله عنه الإمام الفخر الرازي في تفسيره ١١٤/٢٦ .

(٢) في ب: والمفعول بألف ولام وهو غير جائز نحوياً .

(٣) قاله السمين في الدر ٥٣٦/٤ . (٤) التبيان له ١٠٨٧ .

(٥) هذا قول السمين في الرد على أبي البقاء ولا أعلم سبباً لضعفه .

(٦) انظر: القرطبي ١٥/٦٢ ٦٢ زاد المسير ٤٤/٧ .

(٧) في ب: لقوله .

(٨) الكشاف ٣/٣٣٣ و ٣٣٤ وانظر: المرجعين السابقين أيضاً والدر المصون ٥٣٦/٤ .

(٩) من المنسرح وهو للناطقة الجمعدى وأتى به تبييناً على أن الزجر هو الصوت بقوة وذلك لأن زجر الضواري لا يكون إلا برفع الصوت بصورة تخفيفها . وانظر: الكشاف ٣/٣٣٨ والبحر ٧/٣٥٠ والكمال للمبرد ٢/١٦٥ والدر المصون ٤/٥٣٧ وشرح شواهد الكشاف ٥٣٨ ، وديوانه ١٥٨ وفتح القدير ٤/٣٨٦ .

(١٠) اللسان: «زج ر» ١٨١٣ وفي الديوان «يلتبس» .

(١١) أي مفعول «الثاليات» لأنه وصف يعمل عمل الفعل فهو اسم فاعل والفاعل مستتر فيه «هي» . وانظر في الإعراب السمين ٤/٥٣٧ .

(١٢) المرجع السابق فيكون منصوباً على أنه مفعول مطلق و «ذِكْرًا» على تلك الحال مما ناب عنه فاللفظ مختلف والمعنى متحد .

(١٣) من السريع وهو لابن زبيبة . و «لهف» منادى وهي كلمة تحسر . و «زبيبة» أم الشاعر . والصحيح: الذي =

٤١٩٠ - يَا لَهْفَ رَبَّابَةِ لِلْحَارِثِ الضَّ ضَابِحٍ فَالْقَانِمِ فَالْأَيْبِ

أي الذي صبح فغنم فأب، وإما على ترتبها<sup>(١)</sup> في التفاوت من بعض الوجوه كقولك: خذ الأفضل فالأفضل واعمل الأحسن فالأجمل، وإما على ترتب<sup>(٢)</sup> موصوفاتها في ذلك كقوله (ﷺ): «رَحِمَ اللَّهُ الْمُحَلِّقِينَ فَالْمُقْضِرِينَ»<sup>(٣)</sup>. فأما هنا فإن وجدت الموصوف كانت للدلالة على ترتب الصفات في التفاضل، فإذا كان الموحد الملائكة فيكون الفضل للصف ثم للزجر، ثم للتلاوة وعلى العكس وإن ثلثت الموصوف فترتب في الفضل، فيكون «الصفات» ذوات فضل والزاجرات أفضل<sup>(٤)</sup> والثالثات أبهر فضلاً أو على العكس يعني بالعكس في الموضوعين أنك ترتقي من أفضل إلى فاضل إلى مفضول أو تبدأ بالأدنى ثم بالفاضل<sup>(٥)</sup> ثم بالأفضل. والواو في هذه للقسم، والجواب قوله: «إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ»<sup>(٦)</sup>.

وقد ذكر الكلام في الواو (و)<sup>(٧)</sup> الثانية والثالثة هل هي للقسم أو للعطف<sup>(٨)</sup>.

### فصل

قال ابن عباس<sup>(٩)</sup>. والحسن وقتادة: والصفات صفًا هم الملائكة في السماء يصفون كصفوف الخلق في الدنيا للصلاة وقال - عليه (الصلاة و) السلام -: «أَلَا تَصِفُونَ كَمَا تَصِفُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ؟ قُلْنَا: وَكَيْفَ تَصِفُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ: يُثَمِّنُونَ الصَّفُوفَ الْمَقْدَمَةَ وَيَتَرَاصُونَ فِي الصَّفِّ»<sup>(١٠)</sup>. وقيل: هم الملائكة تصف أجنتها في الهواء واقفة

= يصح القوم بالغارة، والغنم الذي يغتنم الأموال، و «الأيب» الذي يثوب ويعود بها. والشاهد: عطف الكلمات الأخيرة من البيت بالفاء فهي تدل على ترتيبها في الوجود فمن تصيبح لغنم لإياب. وانظر: الخزانة للبغدادي ١٠٧/٥ : ١١٣ والكشاف ٣/٣٣٤ والجامع للقرطبي ٦٢/١٥ والبحر ٧/٣٥١ وشرح شواهد الكشاف ٣٢٥ وشرح الكافية للرضي ١/٣١٩ والهمع ١١٩/٢ والمغني ١٦٣، والدر المصون ٤/٥٣٧، والشجري ٢/٢١٠.

(١) في ب: لترتيبها.

(٢) الكشاف ٣٣٤/٣٤ مع تصرف يسير من المؤلف في الألفاظ.

(٤) ما بين القوسين كله سقط من ب.

(٥) قاله من بعد البحر المحيط ٧/٣٥١ و ٣٥٢ وانظر في هذا السمين ٤/٥٣٧.

(٦) المرجع السابق.

(٧) زيادة من «أ» لا معنى لها.

(٨) ويقصد بالثانية في قوله: «ورب المشارق» وبالثالثة: «وحفظاً». ويجوز في الثانية هذه أن تكون للعطف

على «رب السموات» وأن تكون للقسم ومن هنا نستأنف جملة جديدة. أما الثالثة فالأقرب لها أن

تكون للعطف فهي جملة على مثلتها إذ التقدير: وحفظناها حفظاً فتلك جملة والمعطوف عليها «إنا

رَبَّنَا السَّمَاءُ» وهو عطف على المعنى إذ التقدير: إنا خلقنا الكواكب في السماء الدنيا زينة للسماء.

(٩) انظر في هذا زاد المسير لابن الجوزي ٧/٤٤ ومعالم التنزيل للبغوي ٦/١٧ و ١٨ ولباب التأويل

للخازن ٦/١٧ و ١٨.

(١٠) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ٢/٢٩ كما أخرجه البغوي في معالم التنزيل ٦/١٨.

حتى يأمر (ها) الله بما يريد، وقيل: هي الطير لقوله تعالى «وَالطَّيْرَ صَافَاتٍ» «فالزاجرات زجرأ» يعني الملائكة تزجر السحاب وتسوقه، وقال قتادة: هي زواجر القرآن تنهى وتزجر عن القبيح «فالتاليات ذكراً» هم الملائكة يتلون ذكر الله وقيل: هم جماعة قراء القرآن، وهذا كله قسم، وقيل: فيه إضمار، أي وَرَبَّ الصَّافَاتِ وَالزَّاجِرَاتِ وَالتَّالِيَاتِ<sup>(١)</sup>.

### فصل

قال أبو مسلم الأصفهاني<sup>(٢)</sup> لا يجوز حمل<sup>(٣)</sup> هذه الألفاظ على الملائكة لأنها مُشْعِرَةٌ بالتأنيث والملائكة مبرأون عن هذه الصفة، وأجيب بوجهين<sup>(٤)</sup>:

**الأول:** أن الصافات جمع الجمع فإنه يقال جماعة صافة، ثم يجمع على صافات.  
**والثاني:** أنهم مبرأون عن التأنيث المعنوي وأما التأنيث اللفظي فلا وكيف وهم يسمون بالملائكة مع أن علامة التأنيث حاصلة.

### فصل

اختلف الناس<sup>(٥)</sup> ههنا في المقسم به على قولين:

**أحدهما:** أن المقسم به خالق هذه الأشياء لِتَهْيِئِهِ - ﷻ - عن الحلف بغير الله تعالى ولأن الحلف في مثل هذا الموضع تعظيم للمحلوف به، ومثل هذا التعظيم لا يليق إلا بالله تعالى ومما يؤكد هذا أنه تعالى صرح به في قوله: ﴿وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَّهَا وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ [الشمس: ٥ - ٧].

**الثاني:** أن المقسم به هو هذه الأشياء لظاهر اللفظ فالعدول عنه خلاف الدليل وأما قوله تعالى: «وَمَا بَنَاهَا» فإنه علق لفظ القسم بالسماء<sup>(٦)</sup> ثم عطف عليه القسم بالباء في السماء ولو كان المراد من القسم بالسماء القسم بمن بنى السماء لزم التكرار في موضع واحد وأنه لا يجوز وأيضاً لا يبعد أن تكون<sup>(٧)</sup> الحكمة في قسم الله تعالى بهذه الأشياء التنبيه<sup>(٨)</sup> على شرف دَوَاتِهَا.

(١) المرجع الأخير السابق.

(٢) محمد بن بحر الأصفهاني كان من أكابر المعتزلة له التفسير على مذهب المعتزلة وغيره من المؤلفات مات سنة ٣٢٢ هـ انظر: بغية الوعاة ١/٥٩.

(٣) نقله عنه الرازي في التفسير الكبير وأجاب عن اعتراضه. الرازي ١١٥/٢٦ و ١١٦.

(٤) السابق.

(٥) لم أعر على أن المقسم به هو الله إلا في الفخر الرازي ١١٧/٢٦ وسائر المراجع التي قلبتها أفادت أن المقسم به هو هذه الأشياء.

(٦) كذا هنا وفي الرازي وما في ب بدل السماء: «بمن بنى».

(٧) في ب: يكون بالتذكير.

(٨) في ب: للتنبيه.

فإن قيل: ذكر الحَلْف في هذا الموضع غير لائق وبيانه من وجوه:

**الأول:** أن المقصود من هذا القسم إما إثبات هذا المطلوب عند المؤمن أو عند الكافر. والأول باطل لأن المؤمن مُقَرَّب به من غير حلف.

**والثاني:** باطل لأن الكافر لا يقر به سواء حصل الحلف أو لم يحصل فهذا الحلف عديم الفائدة على كل تقدير.

**الثالث:** أنه تعالى أقسم في أول هذه السورة على أن الإله واحد وأقسم في أول سورة الذاريات على أن القيامة حق فقال: ﴿وَالَّذِينَ ذَرَوْا﴾ [الذاريات: ١]. إلى قوله: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ وَإِنَّ الَّذِينَ لَوَفَّوْا﴾ [الذاريات: ٥، ٦]. وإثبات هذه المطالب العالية الشريفة على المخالفين من الدهرية وأمثالهم بالحلف لا يليق بالعقلاء.

فالجواب: من وجوه:

**الأول:** (١) أنه قرَّر التوحيد وصحة البعث والقيامة في سائر السور بالدلائل اليقينية فلما تقدم ذكر تلك الدلائل لم يبعد تقريرها بذكر القسم تأكيداً لما تقدم لا سيما والقرآن أنزل بلغة العرب وإثبات المطالب بالحلف واليمين طريقة مألوفة عند العرب.

**الثاني:** أنه تعالى لما أقسم بهذه الأشياء على صحة قوله تعالى: «إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ» ذكر عقيبه ما هو الدليل اليقيني في كون الإله واحداً وهو قوله تعالى: ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبِّ الْمَشَارِقِ﴾ وذلك لأنه تعالى بين في قوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] أنَّ انتظام أحوال السماوات والأرض يدل على أن الإله واحد فهنا لما قال: «إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ» أردفه: «رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبِّ الْمَشَارِقِ» كأنه قيل: بيِّن أن النظر في انتظام هذا العالم يدل على كون الإله واحداً فتأملوا ليحصل لكم العلم بالتوحيد.

**الثالث:** أن المقصود من هذا الكلام الرد على عبدة الأصنام (٢) في قولهم: بأنها آلهة فكأنه قيل: إن هذا المذهب قد بلغ (٣) في السقوط والركاكة إلى حيث يكفي في إبطاله مثل هذه الحجَّة.

قوله: «رَبِّ السَّمَاوَاتِ» يجوز أن يكون (٤) خبراً ثانياً، وأن يكون بدلاً من «لَوَاحِدٌ» (٥) وأن يكون خبر (٦) مبتدأ مضمرة، وجمع المشارق والمغارب باعتبار جميع

(١) انظر في هذا كله التفسير الكبير للرازي ١١٧/٢٦.

(٢) كذا في الرازي وما في ب: الأوثان.

(٣) قاله الرازي في التفسير الكبير ١١٨/٢٦.

(٤) الكشاف ٣/٣٣٤ والقرطبي ١٥/٦٣ والسمين ٤/٥٣٨.

(٥) القرطبي والسمين وأبو البقاء ١٠٨٧.

(٦) الكشاف ٣/٣٣٤ والمراجع السابقة.

السنة فإن للشمس ثلاثمائة وستين مشرقاً وثلاثمائة وستين مغرباً، وأما قوله: «المَشْرِقَيْنِ والمَغْرِبَيْنِ» فباعتبار الصَّيْفِ والشَّتَاءِ، وقيل: المراد بالمشارك مشارق الكواكب، لأن لكل كوكب مشرقاً ومغرباً، (وقيل<sup>(١)</sup>): كل موضع شرقت عليه الشمس فهو مشرق وكل موضع غربت عليه الشمس فهو مغرب كأنه أراد رب جميع ما شرقت عليه الشمس وغربت<sup>(٢)</sup> .

فإن قيل: لم اكتفى بذكر المشارق؟

فالجواب: من وجهين:

الأول: أراد المشارق والمغارب كما قال في موضع آخر: ﴿فَلَا أَفِيحُ بِرَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [المعارج: ٤٠] وأنه اكتفى بذكر المشارق كقوله: ﴿تَقِيحُكُمْ الْحَرَ﴾ [النحل: ٨١].

والثاني: أن الشروق قوى حالاً من الغروب وأكثر نفعاً من الغروب فذكر المشرق بينهما على كثرة إحسان الله تعالى<sup>(٣)</sup> على عباده. ولهذه الدقيقة استدل إبراهيم - عليه الصلاة و السلام - بالمشرق فقال: ﴿فَإِنَّكَ اللَّهُ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

### فصل

دَلَّ قوله تعالى: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ على كونه تعالى خالقاً لأعمال العباد، لأن أَعْمَالَ العباد موجودة فيما بين السموات والأرض وهذه الآية دلت على أن كل ما حصل بين السموات والأرض فالله ربه ومالكة وهذا يدل على أن فعل العبد حصل بخلق الله.

فإن قيل: الأعراض لا يصح وصفها بأنها حصلت بين السموات والأرض لأن هذا الوصف إنما يكون حاصلًا في حَيْزٍ وجهةٍ والأعراض ليست كذلك.

قلنا: إنها لما كانت حاصلة في الأجسام الحاصلة بين السماء والأرض فهي أيضاً حاصلة بين السموات<sup>(٤)</sup> والأرض.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ (٦) وَحَفَظْنَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ (٧) لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ (٨) دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ (٩) إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ (١٠) فَاسْتَفْتِهِمْ أَهْمَ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْتَهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ (١١) ﴿

قوله: «إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ» قرأ عاصم برواية أبي بكر: «بِزِينَةِ» منونة ونصب «الكواكب»<sup>(٥)</sup> وفيه وجهان:

(١) ما بين الأقواس سقط من ب. (٢) انظر البيهقي ١٨/٦.

(٣) انظر الرازي ١١٨/٢٦.

(٤) نقله الإمام الرازي في التفسير الكبير ١١٨ و ١١٩ ج ٢٦.

(٥) من القراءات السبعية المتواترة نقلها صاحب النشر ٣٥٦/٢ وكذلك الإمام ابن خالويه في الحجة ٣٠٠ =

أحدهما: أن تكون الزينة مصدراً<sup>(١)</sup>، وفاعله محذوف بأن زين الله الكواكب في كونها مضيئة حسنة في نفسها.

والثاني: أن الزينة اسم لما يزان به كالثبينة<sup>(٢)</sup> اسم لما يلاق به الدواة فتكون الكواكب على هذا منصوبة بإضمار أعني أو يكون بدلاً من (ال) سماء الدنيا بدل اشتغال أي كواكبها أو من محل<sup>(٣)</sup> «بزينة» وحمزة وحفص كذلك<sup>(٤)</sup> إلا أنهما خفضا الكواكب على أن يراد بزينة ما يزان به، والكواكب بدل أو بيان<sup>(٥)</sup> للزينة وهي قراءة مسروق بن الأجدع. قال الفراء: وهو رد معرفة على نكرة كقوله: «بالتأصية. ناصية كاذبة» فرد نكرة على معرفة<sup>(٦)</sup>، وقال الزجاج: الكواكب بدل من الزينة<sup>(٧)</sup> لأنها هي كقولك: «مرزت بأبي عبد الله زيد». والباقون<sup>(٨)</sup> بإضافة زينة إلى الكواكب. وهي تحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يكون إضافة أعم إلى أخص فتكون للبيان نحو: تَوْبُ خَزْ.

الثاني: أنها مصدر مضاف لفاعله أي بأن زينت الكواكب السماء بضمونها.

والثالث: أنه مضاف لمفعوله أي بأن زينها الله بأن جعلها مشرقة مضيئة في نفسها<sup>(٩)</sup>، وقرأ ابن عباس وابن مسعود بتنوينها وبرفع الكواكب<sup>(١٠)</sup> فإن جعلتها مصدراً

= ومكي في الكشف ٢٢١/٢ والإتحاف ٣٦٧ والسبعة ٥٤٦ وانظر البحر ٣٥٢/٧ والسمين ٥٣٨/٤.

(١) قاله النحاس في الإعراب ٤١٠/٤ ومكي في المشكل ٢٣٣/٢ وابن الأثير في البيان ٣٠٢/٢ وأبو البقاء في التبيان ١٠٨٧ وأبو حيان في البحر ٣٥٢/٧ والزمخشري في الكشاف ٣٣٥/٣ والزجاج في المعاني ٢٩٨/٤ والسمين في الدر ٥٣٨/٤.

(٢) يقال: لاق الدواة وألقتها ليقاً وإلافة لرق المداد بصوفها وهي لائق وهي أغرب والاسم الليقة. اللسان (ليق) ٤١١٥.

(٣) البيان والمشكل والتبيان ومعاني الزجاج والإعراب المراجع السابقة وانظر كذلك البحر والسمين المرجعين السابقين.

(٤) مراجع القراءات السابقة.

(٥) معاني القرآن للأخفش ٦٦٨ والكشاف ٣٣٥/٣ وانظر أيضاً المراجع السابقة.

(٦) قال: «وحدثنى قيس وأبو معاوية عن الأعمش عن أبي الصحرى عن مسروق أنه قرأ: «بزينة الكواكب» بخفض الكواكب بالتكرير فرد معرفة على نكرة كما قال: «لتسفعاً بالتأصية. ناصية كاذبة خاطئة» فرد نكرة على معرفة». المعاني ٣٨٢/٢ وهو مع ذلك أجاز قراءة نصب السابقة وقراءة الرفع الآتية أفصد نصب ورفع الكواكب.

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٢٩٨/٤.

(٨) ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر والكسائي. انظر: مراجع القراءات السابقة وإبراز المعاني ٦٦٣ و ٦٦٤.

(٩) قال بالثلاثة أبو البقاء في التبيان ١٠٨٧ ومكي في المشكل ٢٣٣/٢ و٢٣٤ وأبو حيان في البحر ٧/٣٥٢ والسمين في الدر ٥٣٨/٤ وبالأولى الزجاج ٢٩٨/٤ والنحاس في الإعراب ٤١٠/٣ وبالثانية والثالثة الزمخشري في الكشاف ٣٣٥/٣.

(١٠) انظر: المراجع السابقة.

ارتفع الكواكب به، وإن جعلتها اسماً لما يزان به فعلى هذا ترتفع «الكواكب» بإضمار مبتدأ أي هي الكواكب. وهي في قوة البدل<sup>(١)</sup>، ومنع الفراء إعمال المصدر المنون وزعم أنه لم يُسَمَّع<sup>(٢)</sup>، وهو غلط لقوله تعالى: ﴿إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ كما سيأتي إن شاء الله. قوله: «وَحِفْظًا» منصوب على المصدر، بإضمار فعل أي حَفِظْنَاهَا حِفْظًا<sup>(٣)</sup>، وإما على المفعول من أجله على زيادة الواو<sup>(٤)</sup>، والعامل فيه زَيْنًا، أو على أن يكون العامل مقدرًا أي لِحِفْظِهَا زَيْنًا أو على الحمل على المعنى المتقدم أي<sup>(٥)</sup>: إنا خلقنا السماء الدنيا زينةً وحفظًا، و «مِنْ كُلِّ» متعلق «بحفظًا» إن لم يكن مصدرًا مؤكدًا<sup>(٦)</sup>، وبالمحذوف إن جعل مصدرًا مؤكدًا<sup>(٧)</sup>؛ ويجوز أن يكون صفةً «لِحِفْظًا»<sup>(٨)</sup>، قال المبرد: إذا ذكرت فعلاً ثم عطفت عليه مصدر فعل آخر نصبت المصدر لأنه قد دل على فعله كقولك: أَفَعَلُ وَكَرَامَةٌ لما قال أفعل علم أن الأسماء لا تعطف على الأفعال فكان المعنى أَفَعَلُ ذَاكَ وَأَكْرَمَكَ كَرَامَةً<sup>(٩)</sup>.

### فصل

قال ابن عباس «زيننا السماء الدنيا» بضوء<sup>(١٠)</sup> الكواكب «وحفظناها من كل شيطان مارء» متمرد يرمون بها، وتقدم الكلام على المارد عند قوله: ﴿مَرْدُوا عَلَى الْإِنْفَاقِ﴾<sup>(١١)</sup> [التوبة: ١٠١]. واعلم أنه تعالى بين أنه زين السماء لمنفعتين:

إحدهما: تحصيل الزينة.

والثانية: الحفظ من الشيطان المارد.

فإن قيل: ثبت في علم الهيئة أن هذه الكواكب الثوابت مركوزة في الكرة الثامنة وأن السيارات مركوزة في الكرات السَّتَّةِ المحيطة بسماء الدنيا فكيف يصح قوله: إنا زيننا السماء الدنيا بزينة الكواكب؟

(١) السمين ٥٣٨/٤.

(٢) انظر: المعاني ١٤٥/١ و ٣١٨ و ٣١٩ و ٣٤٦ و ٤٠٦ و ٢٣٤/٣ و ٢٤٩.

(٣) قاله الزجاج ٢٩٨/٤ والنحاس ٤١١/٣ ومكي في المشكل ٢٣٤/٢ والتبيان ١٠٨٨ والأخفش في معانيه ٦٦٨/٢.

(٤) قاله الزمخشري في الكشاف ٣٣٥/٣ معنى وأبو حيان والسمين في كتابيهما لفظاً انظر: البحر ٣٥٢/٧ والدر ٥٣٩/٤ وانظر: المغني لابن هشام في باب المعطف على المعنى ٤٧٩.

(٥) المراجع السابقة. (٦) السمين في الدر ٥٣٩/٤.

(٧) أبو البقاء في التبيان ١٠٨٨. (٨) السمين المرجع السابق.

(٩) قاله في المقتضب. وقد نقله عنه الإمام الرازي ١٢٠/٢٦.

(١٠) في ب: وضوء. وانظر: الخازن ١٨/٦.

(١١) وأوضح هناك أن المارد هو العاتي. ويقولون مرد على الأمر يمرد مروداً ومرادةً فهو مارد ومريد. وتمرد: أقبل.

فالجواب: أن الناس الساكنين على سطح كرة الأرض إذا نظروا إلى السماء فإنهم يشاهدون (ن) بها<sup>(١)</sup> مزينة بهذه الكواكب فصح قوله تعالى: «إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ». وأيضاً فكون هذه الكواكب مركوزة في الفلك الثامن لم يتم دليل الفلاسفة عليه.

فن قيل: هذه الشهب التي يرمى بها هل هي من الكواكب التي زين الله السماء بها أم لا؟ والأول باطل لأن هذه الشهب تَبْطُلُ وتَضْمَحَلُ فلو كانت هذه الشهب تلك الكواكب الحقيقية لوجب أن يظهر نقصان كثير في أعداد كواكب السماء ولم يوجد ذلك فإن أعداد كواكب السماء باقية لم تتغير ألبتة وأيضاً فجعلها رجوماً للشياطين مما يوجب وقوع النقصان في زينة السماء فكان الجمع بين هذين المقصودين كالمتناقض<sup>(٢)</sup>. وإن كانت هذه الشهب جنساً<sup>(٣)</sup> آخر غير الكواكب المركوزة في الفلك فهو<sup>(٤)</sup> أيضاً مُشْكَلٌ لأنه تعالى قال في سورة الملك: «وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ ﴿٥﴾ [الملك: ٥] فالضمير في قوله: «وَجَعَلْنَاهَا» عائد إلى المصابيح فوجب أن تكون تلك المصابيح هي الرجوم بأعيانها.

فالجواب: أن الشهب غير تلك الكواكب الثابتة وأما قوله تعالى: «ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين» فنقول (ل)<sup>(٥)</sup> كل نير يحصل في الجو العالي فهو مصباح لأهل الأرض إلا أن تلك المصابيح منها باقية على وجه الأرض آمنة من التغيير والفساد ومنها<sup>(٦)</sup> ما لا يكون كذلك وهي هذه الشهب التي يحدثها الله تعالى ويجعلها رجوماً للشياطين إلى حيث يعلمون وبهذا يزول الإشكال.

فإن قيل: كيف يجوز أن تذهب الشياطين حيث يعلمون أن الشهب تحرقهم ولا يصلون إلى مقصودهم البتة وهل يمكن أن يصدر (مثل)<sup>(٧)</sup> هذا الفعل عن عاقل فكيف من الشياطين الذين لهم مَرِيَّةٌ في معرفة الحيل الدقيقة؟

فالجواب: أن حصول هذه الحالة ليس له موضع معين وإلا لم يذهبوا إليه وإنما يمنعون من المصير إلى مواضع الملائكة ومواقعها مختلفة فربما صاروا إلى موضع تصيبهم الشهب وربما صاروا إلى غيره ولا صادفوا الملائكة ولا تصيبهم الشهب فلما هلكوا في بعض الأوقات وسلموا في بعض الأوقات جاز أن يصيروا إلى مواضع يغلب على ظنونهم أنهم لا تصيبهم الشهب فيها كما يجوز فيمن سَلَكَ الْبَحْرَ أن يسلكه في موضع يغلب على ظنه حصول النجاة. هذا ما ذكره أبو عَلِيٍّ الْجُبَّائِيُّ<sup>(٨)</sup> في الجواب عن

(١) تصحيح لغوي على النسختين.

(٢) في ب: كالمتناقض.

(٣) في ب: جنس بالرفع.

(٤) في ب: في.

(٥) سقط من ب.

(٦) انظر تفسير الإمام الرازي ١١٩/٢٦ و١٢٠.

(٧) سقط من ب.

(٨) هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام من معتزلة البصرة وهو الذي ذلّل الكلام وسهّله وكان من

المتكلمين الكبار، مات سنة ٣٠٣ هـ، وانظر: الفهرست ٦.

(هذا)<sup>(١)</sup> السؤال في تفسيره وفي هذا الجواب نظر فإن السموات ليس فيها موضع خال من الملائكة لقوله - عليه (الصلاة و) السلام - : «أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَنْطَبَّ مَا فِيهَا مَوْضِعٌ قَدَّمَ إِلَّا وَفِيهِ مَلَكٌ قَائِمٌ أَوْ سَاجِدٌ»<sup>(٢)</sup>، قال ابن الخطيب: ولقائل أن يقول: إنهم إذا صعدوا إما أن يصلوا إلى مواضع (الملائكة)<sup>(٣)</sup> وإلى غير (تلك) المواضع فإن وصلوا إلى مواضع الملائكة احترقوا<sup>(٤)</sup> وإن وصلوا إلى غير مواضع الملائكة لم يفوزوا بمقصود أصلاً وعلى كلا التقديرين فالمقصود غير حاصل. وإذا كان الفوز بالمقصود محالاً وجب أن يمتنعوا عن هذا الفعل وألا يقدموا عليه أصلاً بخلاف حال المسافر في البحر فإن الغالب عليهم السلامة والفوز بالمقصود وأما ههنا فالشيطان الذي يسلم من الإحراق إنما يسلم إذا لم يصل إلى مواضع<sup>(٥)</sup> الملائكة وإذا لم يصل إلى ذلك الموضع لم يفز بالمقصود فوجب أن لا يعود إلى هذا العمل البتة والأقرب في الجواب أن يقال هذه الواقعة إنما تتفق في الندر<sup>(٦)</sup> فلعلها لا تشتهر بسبب نُذْرَتِهَا فيما بين الشياطين. والله أعلم<sup>(٧)</sup>. فإن قيل: دللتنا التواريخ المتواترة على أن حدوث الشهب كان حاصلًا قبل مجيء النبي - ﷺ - (ولذلك)<sup>(٨)</sup> فإن<sup>(٩)</sup> الحكماء الذين كانوا موجودين قبل مجيء النبي - ﷺ - بزمان طويل ذكروا ذلك وتكلموا في سبب حدوثه وإذا ثبت أن ذلك كان موجوداً قبل مجيء النبي - ﷺ - امتنع حمله على مجيء النبي - ﷺ - أجاب القاضي<sup>(١٠)</sup> بأن الأقرب أن هذه الحالة كانت موجودة قبل النبي - ﷺ - ولكنها كثرت في زمان النبي - ﷺ - فصارت بسبب الكثرة معجزة<sup>(١١)</sup>.

فإن قيل: الشيطان مخلوق من النار كما حكى عن قول إبليس ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ﴾ [الأعراف: ١٢] وقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْتَهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَّارِ السَّمُومِ﴾ [الحجر: ٢٧] ولهذا السبب يقدر على الصعود إلى السموات وإذا كان كذلك فكيف يعقل إحراق النار بالنار؟.

فالجواب: يحتمل أن الشياطين وإن كانوا من النيران إلا أنها نيران ضعيفة ونيران الشهب أقوى حالاً منهم ولا جرم صار الأقوى للأضعف مبطلاً، ألا ترى أن السراج

(١) سقط من ب. (٢) رواه أبو هريرة. وهو في ابن ماجه باب الزهد ١٣٨٨/٢.

(٣) سقط من ب. وهي في الرازي. (٤) كذا في الرازي، وفي ب: أحرقوا.

(٥) كذا في الرازي وفي ب: موضع بالافراد.

(٦) كذا في الرازي وفي ب: القدرة وهو تحريف.

(٧) انظر: تفسير الرازي ١٢١/٢٦. (٨) زيادة من ب.

(٩) في ب: قال بدل فإن.

(١٠) هو عبد الجبار بن أحمد بن الخليل أبو الحسن الهمداني وهو الذي تلقبه المعتزلة قاضي القضاة كان إمام أهل الاعتزال له من التصانيف التفسير. روى عنه القاضي أبو يوسف مات سنة ٤١٥ بالري ودفن في داره. انظر: طبقات الداودي ٢٦٣/١.

(١١) انظر الرازي ١٢١/٢٦.

الضعيف إذا وضع في النار القوية فإنه ينطفئ فكذلك ههنا<sup>(١)</sup>.

قوله: «لَا يَسْمَعُونَ» قرأ الأخوان وحفص بتشديد السين (فالميم)<sup>(٢)</sup> والأصل يَسْمَعُونَ فأدغم، والباقون بالتخفيف<sup>(٣)</sup> فيهما. واختار أبو عبيد الأولى وقال: لو كان مخففاً لم يتعد بإلى<sup>(٤)</sup>. وأجيب عنه بأن معنى الكلام لا يسمعون إلى الملائكة، وقال مكي: لأنه جرى مجرى مُطَاوِعِهِ وهو يَسْمَعُونَ فكما كان يسمع يتعدى<sup>(٥)</sup> «بإلى» تعدى سَمِعَ بإلى، وَقَعَلْتُ وَاِفْتَعَلْتُ في التعدى سواء فتسمع مطاوع سَمِعَ واستمع أيضاً مطاوع سَمِعَ فتعدى سَمِعَ تعدى مطاوعه<sup>(٦)</sup>. وهذه الجملة منقطعة عما قبلها ولا يجوز فيها أن تكون صفة لشيطان على المعنى إذ يصير<sup>(٧)</sup> التقدير: مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ غير سامع أو مستمع وهو فاسد، ولا يجوز أن يكون جواباً لسؤال سائل: لم تحفظ من الشياطين؟ إذ يفسد معنى ذلك<sup>(٨)</sup>. وقال بعضهم: أصل الكلام لثلاثا يسمعون فحذفت «اللام وأن» فارتفع الفعل وفيه تعسف<sup>(٩)</sup>. وَقَدْ وَهَمَ أَبُو الْبَقَاءِ فَجَوَزَ أَنْ تَكُونَ صِفَةً وَأَنْ تَكُونَ حَالاً وَأَنْ تَكُونَ مَسْتَأْنَفَةً<sup>(١٠)</sup> فالأولان ظاهرهما الفساد والثالث إن عني به الاستئناف<sup>(١١)</sup> البياني فهو فاسد أيضاً. وإن أراد الانقطاع على ما تقدم فهو صحيح<sup>(١٢)</sup>.

### فصل

واحتجوا لقراءة التخفيف بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْرُوفُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٢]. وروى مجاهد عن ابن عباس: أن الشياطين يسمعون إلى الملائكة الأعلى ثم يمتنعون ولا يسمعون وللأولين أن يجيبوا فيقولوا التنصيص على كونهم معزولين عن السمع لا يمنع من كونهم معزولين أيضاً عن السمع<sup>(١٣)</sup> بدلالة هذه الآية بل هذا أقوى في ردع الشياطين ومنعهم من استماع أخبار السماء فإن الذي منع من الاستماع بأن يكون ممنوعاً

(١) المرجع السابق. (٢) سقط من ب.

(٣) من القراءات المتواترة انظر: السبعة ٥٤٧ والإنحاف ٣٦٨، والقرطبي ٦٥/١٥ والنشر ٣٥٦/٢ ومعاني القراء ٣٨٣/٢.

(٤) القرطبي ٦٥/١٥ والسمين ٥٣٩/٤. (٥) في ب: تعدى.

(٦) قاله في مشكل إعراب القرآن ٢/٢٣٤، وانظر أيضاً الكشف ٢/٢٢٢.

(٧) في ب: يعتبر.

(٨) هذا توجيه الزمخشري في الكشف ٣/٣٣٥ و ٣٣٦ وأبي حيان في البحر ٧/٢٥٢ و ٣٥٣ وانظر: الدر المصون ٤/٥٣٩.

(٩) نقلته المراجع الثلاثة السابقة. (١٠) التبيان ١٠٨٨.

(١١) هو أن تكون الثانية - أي الجملة الثانية - بمنزلة جواب لسؤال اقتضته الجملة الأولى، الإيضاح للقرظيني ١١٥ - ١١٧. وهذا ليس منه بالطبع.

(١٢) الكشف ٣/٣٣٦ والدر المصون ٤/٥٤٠.

(١٣) في ب: التسميع.

عن السمع أولى<sup>(١)</sup> واعلم أن الفرق بين قولك: سَمِعْتُ حَدِيثَ فَلَانَ وبين قولك: سَمِعْتُ إِلَى حَدِيثِهِ أَنَّ قَوْلَكَ: سَمِعْتُ حَدِيثَهُ يَفِيدُ الْإِدْرَاكَ وَسَمِعْتُ إِلَى حَدِيثِهِ يَفِيدُ الْإِصْفَاءَ مَعَ الْإِدْرَاكِ<sup>(٢)</sup>، وفي قوله: «لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى» قولان أشهرهما: أن تقدير الكلام لثلاثا يسمعون، فلما حذف الناصب صار كقوله: ﴿يَسْمَعُونَ اللَّهَ لَكُمْ أَنْ تَصَلُّوا﴾ [النساء: ١٧٦] وقوله: ﴿رَوَيْكَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥]. قال الزمخشري: حذف<sup>(٣)</sup> اللام وإن كل واحد منهما جائز بانفراده وأما اجتماعهما فمن المنكرات التي يجب صون القرآن عنها، قال الزمخشري: إنه كلام منقطع عما قبله وهو حكاية المُسْتَرْقِينَ السمع وأنهم لا يقدرُونَ أن يسمعوا إلى كلام الملائكة ويتسمعوا وهم مقذوفون بالشهب مدحورون عن المقصود<sup>(٤)</sup>. والمَلَأُ الْأَعْلَى هم الملائكة الكتبة سكان السموات ومعنى يُقَذَّفُونَ يُرْمَوْنَ من كل جانب من أفاق السماء<sup>(٥)</sup>.

قوله: «دُحُورًا» العامة على ضم الدال. وفي نصبه أوجه:

أحدها: المفعول له أي<sup>(٦)</sup> لأجل الطرد.

الثاني: مصدر ليقذفون أي يُدْحَرُونَ دُحُورًا أو يُقَذَّفُونَ قذفًا فالتجوز إما في الأول وإما<sup>(٧)</sup> في الثاني.

الثالث: أنه مصدر لمقدر أي يُدْحَرُونَ دُحُورًا<sup>(٨)</sup>.

الرابع: أنه في موضع الحال أي ذَوِي دُحُورٍ أو مَدْحُورِينَ<sup>(٩)</sup>. وقيل: هو جمع دَاحِرٍ نحو قَاعِدٍ وَقُعُودٍ فيكون حالاً بنفسه من غير تأويل<sup>(١٠)</sup>. قال مجاهد: دحوراً مطرودين. وروي عن أبي عمرو أنه قرأ وَيُقَذَّفُونَ مبنياً للفاعل<sup>(١١)</sup> وقرأ عَلِيٌّ وَالسَّلْمِيُّ وَابْنُ أَبِي عَبَّالَةَ دُحُورًا بفتح<sup>(١٢)</sup> الدال وفيها وجهان:

(١) الرازي ١٢٢/٢٦. (٢) الكشاف ٣/٣٣٦. والرازي ٢٦/١٢٢.

(٣) سبق أنه في ٣/٣٣٦. (٤) المرجع السابق.

(٥) انظر: البغوي ٦/١٩. وزاد المسير لأبي الفرج ابن الجوزي ٧/٤٧ والقرطبي ١٥/٦٥.

(٦) هذا رأي الكشاف وصاحبه ٣/٣٣٦.

(٧) قاله أيضاً صاحب الكشاف ونقله أبو حيان في البحر ٧/٣٥٢ قال صاحب الكشاف: أو لأنَّ القذف والطرْدَ متقاربان في المعنى فكأنه قيل: يدحرون (دحوراً أو يقذفون) قذفاً. الكشاف ٣/٣٣٦ وهذا رأي قال به أبو البقاء أيضاً هو وسابقيه. التبيان ١٠٨٨.

(٨) قاله في البيان في غريب إعراب القرآن ٢/٣٠٣ وأما المشكل في الإعراب ٢/٢٣٥ فقد جعله مصدراً ليقذفون التوجيه السابق. وأورد هذا الرأي أيضاً التبيان ١٠٨٨.

(٩) الكشاف والتبيان المرجعان السابقان.

(١٠) قاله أبو البقاء ١٠٨٨ وانظر في هذا كله السمين ٤/٥٤٠.

(١١) البحر ٧/٣٥٣ والسمين ٤/٥٤٠ ونسبها في المختصر إلى السلمي ١٢٨.

(١٢) المحتسب ٢/٢١٩ وابن خالويه ١٢٧ والكشاف ٣/٣٣٦ والفراء ٢/٣٨٣.

أحدهما: أنه صفة لمصدر مقدر أي قَدْماً دُحوراً. وهو كَالصَّبُورِ والشُّكُورِ.  
والثاني: أنه مصدر كَالقُبُولِ والوَلُوعِ<sup>(١)</sup> وقد تقدم أنه محصور في ألفاظ، والدُّحُورُ  
قال المبرد: أشد الصغار<sup>(٢)</sup> والذَّل. وقال ابن قتيبة: دَحْرَنُهُ دُحُوراً ودَحْرَأَ أي دَفَعْتُهُ  
وطَرَدْتُهُ<sup>(٣)</sup>. وتقدم في الأعراف عند قوله: ﴿مَدَّهُ وَمَا مَدْحُورًا﴾ [الأعراف: ١٨].  
قوله: «وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ» دائم<sup>(٤)</sup>، قال مقاتل: دائم إلى النفخة الأولى<sup>(٥)</sup>.  
وتقدم في سورة النحل في قوله: ﴿وَكَلَّةٌ لِّلَّذِينَ وَاصِبًا﴾ [النحل: ٥٢].  
قوله: «إِلَّا مَنْ خَطِفَ» فيه وجهان:  
أحدهما: أنه مرفوع المحل بدلاً من ضمير «لَا يَسْمَعُونَ»<sup>(٦)</sup> وهو أحسن لأنه غير  
موجب.

والثاني: أنه منصوب على أصل الاستثناء، والمعنى: أن الشياطين لا يسمعون  
الملائكة إلا من خطف<sup>(٧)</sup>، قال شهاب الدين: ويجوز أن يكون «من» شرطية وجوابها:  
«فَأَتَّبَعَهُ»<sup>(٨)</sup> أو موصولة<sup>(٩)</sup> وخبرها «فَأَتَّبَعَهُ». وهو استثناء منقطع وقد نصوا على أن مثل  
هذه الجملة تكون استثناء منقطعاً كقوله: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾<sup>(١٠)</sup>  
[الغاشية: ٢٢، ٢٣]، والخَطْفَةُ مصدر معرف بأل الجنسية أو العهدية<sup>(١١)</sup>، وقرأ العامة  
خَطَفَ بفتح الخاء وكسر الطاء مخففة، وفتادة والحسن بكسرها وتشديد الطاء<sup>(١٢)</sup>. وهي  
لغة تميم بن مرة وبكر بن وائل<sup>(١٣)</sup>. وعنهما أيضاً وعن عيسى: بفتح الخاء وكسر  
الطاء<sup>(١٤)</sup> مشددة وعن الحسن (أيضاً)<sup>(١٥)</sup> خطف كالعامة<sup>(١٦)</sup>. وأصل القراءتين اختطف

- (١) قال بالوجهين الزمخشري في الكشاف ٣/٣٣٦ والثاني فقط ابن جني في المحتسب ٢/٢١٩ وأجاز  
الفراء وابن جني في نصبه أن يكون على نزع الخافض أي ويقذفون من كل جانب بداحر.  
(٢) الرازي ٢٦/١٢٣. (٣) غريب القرآن ٣٦٩.  
(٤) قاله ابن قتيبة في غريب القرآن ٣٦٩ وأبو عبيدة في المجاز ٢/١٦٦ و ١٦٧.  
(٥) البيهقي ٦/١٩.  
(٦) قال بذلك الزمخشري في الكشاف ٣/٣٣٦ والبحر ٧/٣٥٣ والسمين في الدر ٤/٥٤٠.  
(٧) أي إن الاستثناء في تلك الحال متصل وفيه الوجهان المعهودان النصب على الاستثناء والرفع على  
البديلية أو الإتيان عامة إذا كان تاماً منفيّاً كآيتنا هذه. وقال بالوجه الأول والأخير أيضاً أبو البقاء في  
التيبان ١٠٨٨ وانظر: البحر والكشاف والدر المراجع السابقة أيضاً.  
(٨) فتكون في محل جزم. (٩) مبتدأ.  
(١٠) الدر المصون للسمين ٤/٥٤٠. (١١) قاله أبو البقاء ٢/١٠٨٨.  
(١٢) من الأربع فوق العشرة المتواترة انظر: الإتحاف ٣٦٨ والكشاف ٣/٣٣٦.  
(١٣) البحر ٧/٣٥٣. (١٤) البحر ٧/٣٥٣ والكشاف ٣/٣٣٦.  
(١٥) سقط من ب.  
(١٦) ابن خالويه ١٢٧ ويقصد بالقراءتين خَطَفَ وخَطَفَ السابقين وانظر تلك القراءات كلها في الدر المصون  
٤/٥٤١.

فلما أريد الإدغام سكنت التاء وقبلها الخاء ساكنة فكسرت الخاء لالتقاء الساكنين ثم كسرت الطاء إتياعاً لحركة الخاء وهذه [الأولى] واضحة. وأما الثانية<sup>(١)</sup> فمشكلة جداً لأن كسر الطاء إنما كان لكسر الخاء وهو مفقود. وقد وجه على التَّوَهُمِ وذلك أنهم لما أرادوا الإدغام نقلوا حركة التاء إلى الخاء ففتحت وهم يتوهمون أنها مكسورة لالتقاء الساكنين - كما تقدم تقريره - فأتبعوا الطاء لحركة<sup>(٢)</sup> الخاء المتوهمه، وإذا كانوا قد فعلوا ذلك في مقتضيات الإعراب فلأن يَفْعَلُوهُ في غيره أولى. وبالجملة فهو تحليل شدوذ<sup>(٣)</sup>، وقرأ ابن عَبَّاسٍ خِطَفَ بكسر الخاء والطاء خفيفة<sup>(٤)</sup>. وهو إتياع كقولهم: نِعِمَّ بكسر النون والعين. وقرئ فاتَّبِعَهُ بالتشديد<sup>(٥)</sup>.

## فصل

ومعنى الخطف أي اختلس الكلمة من كلام الملائكة مسارقةً «فاتَّبِعَهُ» أي لحقه شهاب ثاقب كوكب مضيء قوي لا يخطئه يقتله<sup>(٦)</sup> أو يحرقه، قيل: سمي ثاقباً لأنه يثْقُبُ بنوره سَبَعٌ<sup>(٧)</sup> سموات. وقال عطاء: سمي النجم الذي يرمى به الشياطين ثاقباً لأنه يثْقُبُهُمْ وإنما يعودون إلى استراق السمع مع علمهم بأنهم لا يصلون إليه طمعاً في السلامة ونيل المراد كراكب البَحْرِ.

قوله: «فَاسْتَفْتَيْهِمْ» يعني كفار مكة أي سألهم «أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمْ مَنْ خَلَقْنَا» يعني السموات والأرض والجبال. وهو استفهام بمعنى التقرير أي هذه الأشياء أشد خلقاً<sup>(٨)</sup> كقوله: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧] وقوله: ﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمْ أَلْسَمَاءُ بَنِيهَا﴾ [النازعات: ٢٧]. (وقيل<sup>(٩)</sup>: معنى) أَمَّنْ خَلَقْنَا (يعني<sup>(١٠)</sup>): من الأمم الخالية لأن مَنْ تذكر لمن يعقل. والمعنى أن هؤلاء ليسوا بأحكم خلقاً من غيرهم من الأمم وقد أهلكناهم في ذنوبهم فما الذي يُؤمِّنُ هؤلاء من العذاب<sup>(١١)</sup>.

قوله: «أَمَّنْ خَلَقْنَا» العامة على تشديد الميم. الأصل أَمْ مَنْ وهي «أَمْ» المتصلة

(١) يقصد بفتح الخاء وكسر الطاء مشددة خطف.

(٢) في ب: بحركة.

(٣) قاله في البحر ٣٥٣/٧ والسمين في الدر ٥٤١/٤ والبناء في إتحاف فضلاء البشر ٣٦٨.

(٤) من القراءات الشاذة غير المتواترة وانظرها في مختصر ابن خالويه ١٢٧ والبحر ٣٥٣/٧ والسمين ٤/٥٤١ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/٤١٢.

(٥) لم يعزها كل من أبي حيان والزمخشري في مرجعيهما السابقين وقد عزاها صاحب الشواذ - شواذ القرآن - إلى قتادة والحسن وانظره ص ٢٠٥.

(٦) في ب: فيقتله. (٧) رأي الرازي ٢٦/٢٤.

(٨) انظر: معالم التنزيل للبغوي ٦/١٩. (٩) و (١٠) سقطا من نسخة ب.

(١١) نقله الإمام البغوي في تفسيره أيضاً ٦/١٩ كما نقله الخازن في لباب التأويل عن البغوي ٦/١٩ أيضاً.

عظفت «من» على «هم»<sup>(١)</sup> وقرأ الأعمش بتخفيفها<sup>(٢)</sup> وهو استفهام ثانٍ<sup>(٣)</sup>، فالفهمزة للاستفهام أيضاً و «مَنْ» مبتدأ وخبره محذوف أي الذين خلقناهم أشد، فهما جملتان مستقلتان<sup>(٤)</sup>، وغلب من يعقل على غيره ولذلك أتى «بمن»<sup>(٥)</sup> قوله: «إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ» أي جيد حر لاصق يعلِّق باليد. واللازِبُ واللازِمُ بمعنى<sup>(٦)</sup>. وقد قرئ: «لَازِمٌ»<sup>(٧)</sup>، لأنه يلزم اليد، وقيل: اللازِبُ اللُّزج<sup>(٨)</sup>. وقال مجاهد والضحاك: مُنْتِن<sup>(٩)</sup>، وأكثر أهل اللغة على أن الباء في اللازِبِ بدل من الميم<sup>(١٠)</sup>.

## فصل

وجه النظم<sup>(١١)</sup>: أنه قد تقرر أن المقصود الأعظم من القرآن إثبات الأصول الأربعة وهي الإلهيات والمعاد والثبوت وإثبات القضاء والقدر فافتتح تعالى هذه السورة بإثبات ما يدل على وجود الصانع وعلى علمه وقدرته وحكمته ووحدانيته وهو خالق السموات والأرض وما بينهما وربّ المشارق، ثم فرع عليها إثبات الحشر والنشر والقيامة وهو أن من قدر على ما هو أصعب وأشقّ وجب أن يقدر على ما هو دونه وهو قوله: «فَاسْتَفْتَيْهِمْ أَهْمٌ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا» فمن قدر على ما هو أشد وأصعب فيأن يكون قادراً على إعادة الحياة في هذه الأجساد كان أولى. وأيضاً فقوله: «إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ» يعني أن هذه الأجساد قابلة للحياة إذ لو تكن قابلة للحياة لما صارت حية في المرة الأولى والمراد بقوله: «إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ» يعني أصلهم وهو آدم - عليه (الصلاة و) السلام - زوي أن القوم قالوا: كيف يعقل تولد الإنسان لا من أبوين ولا من نطفة؟ فكانه تعالى قال لهم: إنكم لما أقررتهم بحُدُوثِ العالَمِ واعترفتم بأن السموات والأرض وما

(١) من قوله تعالى: «أهم أشد خلقاً».

(٢) أي أمن ولم ترو هذه القراءة عنه إلا في الشواذ فلم أجدها في الكتب المتواترة ونسبها إليه أبو حيان والسمين ولم ينسبها الزمخشري. انظر: البحر ٣٥٤/٧ والدر ٥٤١/٤ والكشاف ٣٣٧/٣.

(٣) يقصد بالأول: أهم أشد خلقاً وبالثاني: أم من خلقنا.

(٤) قاله الزمخشري في المرجع السابق والسمين في الدر ٥٤١/٤.

(٥) المرجعين السابقين.

(٦) قاله أبو إسحاق الزجاج في المعاني ٢٩٩/٤.

(٧) نقلها صاحب الكشاف قراءة لا لغة انظر: الكشاف ٣٣٧/٣ وانظرها كقراءة في الدر المصون ٥٤١/٤.

(٨) نقله الرازي في تفسيره ١٢٥/٢٦.

(٩) السابق وانظر البيهقي ١٩/٦.

(١٠) لتقارب المخارج وانظر مجاز القرآن ١٦٧/٢ وغريب القرآن ٣٦٩ والقرطبي ٦٨/١٥ و٦٩. وحكى

الفراء عن قيس أنهم يقولون لازِبٌ ولازِبٌ. واللاتِبُ الثابت. والمعاني ٣٨٤/٢ وانظر: اللسان: «ل ز

ب» ٤٠٢٦ و «ل ز م» ٤٠٢٧ ولزب أفصح من لزِم.

(١١) قال بهذا الإمام الرازي في التفسير الكبير ١٢٤/٢٦.

بينهما إنما حصل بتخليق الله تعالى وتكوينه فلا بد وأن يعترفوا بأن الإنسان الأول إنما حدث لا من الأبوين فإن اغترفتُم به فقد سقط قولكم: إن الإنسان كيف يحدث من غير نطفة ومن غير الأبوين؟ وأيضاً فقد اشتهر عند الجمهور أن آدم مخلوق من طين لازب ومن قدر على خلق الحياة من الطين اللازب كيف يعجز عن إعادة الحياة إلى هذه الدوات ويمكن أن يكون المراد<sup>(١)</sup> بقوله: «إنا خلقناهم من طين لازب» أي كل الناس ووجهه أن الحيوان إنما يتولد من المني ودم الطمّث والمني إنما يتولد من الدّم فالحيوان إنما يتولد من الدم والدم إنما يتولد من الغداء، والغذاء إما حيواني وإما نباتي، أما تولد الحيوان الذي صار غذاءً فالكلام في كيفية تولده كالكلام في تولد الإنسان فثبت أن الأصل في الأغذية هو النبات والنبات إنما يتولد من امتزاج الأرض بالماء وهو الطين اللازب فظهر أن كل الخلق (منه)<sup>(٢)</sup> متولدون من الطين اللازب وهو قابل للحياة والله تعالى قادر عليها. وهذه القابلية والقادرية واجبة البقاء فوجب بقاء هذه الصفة في كل الأوقات. وهذه بيانات ظاهرة<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخَرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَوَدَا مِنَّا وَكُنَّا نَرَاهَا وَعِظْلًا أَوْنَا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوْ ءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾﴾

قوله: «بَلْ عَجِبْتَ» قرأ الأخوان بضم التاء والباقون بفتحها<sup>(٤)</sup>، فالفتح ظاهر وهو ضمير الرسول أو كل من يصح منه ذلك. وأما الضم فعلى صرفه للمخاطب أي قُلْ يَا مُحَمَّد بَلْ عَجِبْتُ أَنَا، أو على إسناده للباري تعالى على ما يليق به<sup>(٥)</sup>. وقد تقدم هذا في البقرة<sup>(٦)</sup> وما ورد منه في الكتاب والسنة. وعن شريح<sup>(٧)</sup> أنه أنكرها وقال: اللّهُ لَا يَعْجَبُ فبلغت إبراهيم النخعي فقال: إن شريحاً كان مُعْجَباً برأيه قرأها مَنْ هو أعلم (منه)<sup>(٨)</sup>؛

(١) في ب: من قوله. (٢) زيادة من «أ» لا معنى لها.

(٣) وانظر في هذا كله تفسير الرازي ١٢٤/٢٦ و ١٢٥.

(٤) من القراءات المتواترة. وانظر: النشر ٣٥٦/٢ والإتحاف ٣٦٨ ومعاني الفراء ٣٨٤/٢ والبحر ٣٥٤/٧ والسبعة ٦٤٧ وإبراز المعاني ٦٦٤ و ٦٦٥ وانظر: إعراب النحاس ٤١٣/٣. ولقد رجح الفراء قراءة الرفع قال: لأنها مروية عن عليّ وابن مسعود، وهذا كله قد نقله الإمام شهاب الدين السمين في الدرر ٥٤١/٤ و ٥٤٢.

(٥) المرجع السابق.

(٦) عند قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [البقرة: ٢٠٤]. وانظر: اللباب ٢٣٥/٢ ب.

(٧) هو شريح بن يزيد أبو حيوة الحضرمي الحمصي، صاحب القراءة الشاذة ومقرئ الشام، له اختيار في القراءة. توفي سنة ٢٠٣ هـ انظر: غاية النهاية ٣٢٥/١.

(٨) سقط من ب.

يعني عبد الله بن مسعود وابن عباس<sup>(١)</sup>. والعَجَبُ من الله ليس كالتعجب من الآدميين كما قال: ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩] وقال: ﴿سُئِلَ اللَّهُ فَسَيَّرَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧]. فالعجب من الآدميين إنكاره<sup>(٢)</sup> وتعظيمه والعجب من الله تعالى قد يكون بمعنى الإنكار والذم وقد يكون بمعنى الاستحسان والرضا كما جاء في الحديث: «عَجِبَ رَبُّكُمْ مِنْ شَابٍ لَيْسَتْ لَهُ صَبُوءَةٌ»<sup>(٣)</sup>، وقوله: «عَجِبَ رَبُّكُمْ مِنْ إِلِكُمْ وَقُنُوطِكُمْ وَسُرْعَةَ إِجَابَتِهِ إِيَّاكُمْ»<sup>(٤)</sup>. وَسُئِلَ جُنَيْدٌ<sup>(٥)</sup> عن هذه الآية فقال: إن الله لا يعجب من شيء ولكن الله وافق رسوله لما عجب رسوله وقال: «إِنْ تَعَجَبَ فَعَجِبَ قَوْلُهُمْ» أي هو كما تقوله<sup>(٦)</sup>.

قوله: «وَيَسْخَرُونَ» يجوز أن يكون استئنافاً<sup>(٧)</sup> وهو الأظهر. وأن يكون حالاً. والمعنى أي عجبت من تكذيبهم إياك وهم يسخرون من تعجبك<sup>(٨)</sup>، وقال قتادة: عَجِبَ نَبِيُّ اللَّهِ - ﷺ - من هذا القرآن حين أنزل وضلال بني آدم وذلك أن النبي - ﷺ - كان يظن أن كل من يسمع القرآن يؤمن به فلما سمع المشركون القرآن فسخروا منه ولم يؤمنوا عجب النبي - ﷺ - من ذلك فقال الله تعالى: «بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ» وَإِذَا ذَكَرُوا لَا يَذْكُرُونَ» أي إذا وعظوا بالقرآن لا يتعظون<sup>(٩)</sup>.

وقرأ (جَنَاحُ)<sup>(١٠)</sup> بن جبيش «ذُكِرُوا» مخففاً<sup>(١١)</sup>، «وإذا رأوا آية» قال ابن عباس ومقاتل: يعني أنشأق القمر<sup>(١٢)</sup> «يَسْتَسْخِرُونَ» يسخرون ويستهزئون، وقيل: يستدعي بعضهم عن بعض السخرية<sup>(١٣)</sup> وقرئ «يستسحرون» بالحاء المهملة<sup>(١٤)</sup>. «وَقَالُوا إِنْ هَذَا

(١) الدر المصون ٥٤٢/٤ والقرطبي ٦٩/١٥.

(٢) في ب: إن كان تحريف ولحن.

(٣) أخرجه البغوي في تفسيره ١٩/٦ وقد أخرجه أبو داود السجستاني في باب الجهاد برقم ٣٦.

(٤) البغوي والخازن ١٩/٦ والقرطبي ٧٠/١٥ و«الإل» أشد القنوط.

(٥) إمام من الزاهدين المتصوفين. انظره في المرجعين السابقين.

(٦) السابقان.

(٧) قاله السمين في الدر ٥٤٢/٤ والقرطبي في الجامع ٧١/١٥.

(٨) جوزة السمين والقرطبي مع الوجه السابق. وانفرد به الكشف في ٣٣٧/٣.

(٩) البغوي والخازن ٢٠/٦. (١٠) سقط من ب.

(١١) من الشاذات غير المتواترات. ذكرها ابن خالويه في المختصر ١٢٧ كما ذكرها أبو حيان في البحر ٧/

٣٥٥ والسمين في الدر المصون ٥٤٢/٤.

(١٢) زاد المسير ٥١/٧ ومعالم التنزيل ٢٠/٦.

(١٣) السابق. وقال ابن قتيبة: يقال سخر واستسخر كما يقال: قرأ واستقر. ومثله: عجب واستعجب.

الغريب ٣٧٠ والمجاز ١٦٧/٢.

(١٤) من السحر. ولم يحدد أبو حيان ومن بعده السمين من قرأ بها. البحر ٣٥٥/٧ والدر ٥٤٢/٤.

إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ» (أي سحر<sup>(١)</sup> بَيِّن) يعني إذا رأوا آية ومعجزة سخروا منها لاعتقادهم أنها من باب السحر.

### فصل

قال ابن الخطيب: والذي عندي في هذا الباب أن يقال: القوم كانوا يَسْتَبْعِدُونَ الحَشْرَ والقيامة ويقولون من مات وصار تراباً وتفرقت أجزاءه في العالم كيف يعقل عوده بعينه؟ وبقوا<sup>(٢)</sup> في هذا الاستبعاد إلى حيث كانوا يسخرون ممن يذهب إلى هذا المذهب وإذا كان كذلك ولا طريق إلى إزالة هذا الاستبعاد إلا من وجهين:

أحدهما: أن يذكر لهم<sup>(٣)</sup> الدليل على صحة الحشر والنشر مثل أن يقال لهم: هل تعلمون أن القادر على الأصعب الأشق يجب أن يكون قادراً على الأسهل. فهذا الدليل وإن كان جلياً قوياً إلا أن (ذكر)<sup>(٤)</sup> أولئك المنكرين إذا عرض على قلوبهم هذه المقدمات لا يفهمونها ولا يقفون عليها وإذا ذكروا لم يتذكروها لشدة بلادتهم وجهلهم فلا جرم لم ينتفعوا بهذا الدليل.

والطريق الثاني: أن يثبت الرسول - ﷺ - رسالته بالمعجزات ثم يقول: لما ثبت بالمعجزة كوني رسولاً صادقاً من عند الله فأنا أخبركم بأن البعث والقيامة حقٌ ثم إن أولئك المنكرين لا ينتفعون بهذا الطريق أيضاً لأنهم إذا رأوا معجزة قاهرة<sup>(٥)</sup> وآية باهرة حملوها على أنها سِحْرٌ وَسِحْرٌ منها واستهزأوا بها. وهذا هو المراد من قوله تعالى: «وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ».

قوله: «أَتَيْدًا مِثْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَيْتًا لَمَبْعُوثُونَ»<sup>(٦)</sup> وهذا بيان للسبب الذي حملهم على الاستهزاء بجميع المعجزات وهو اعتقادهم أن من مات وتفرقت أجزاءه في العالم فما فيه من الأرض اختلط (بتراب)<sup>(٧)</sup> الأرض وما فيه من المائية والهوائية اختلط ببخارات العالم. فهذا الإنسان كيف يعقل عَوْدُهُ بعينه حياً ثانياً؟! ثم إنه تعالى لما حكى عنهم هذه الشبهة قال: قُلْ (لَهُمْ)<sup>(٨)</sup> يَا مُحَمَّد «نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ» أي نعم تبعثون وأنتم صاغرون، والدخور أشد الصغار وإنما اكتفى تعالى بهذا القدر من الجواب لأنه ذكر في الآية المتقدمة البرهان القطعي<sup>(٩)</sup> على أنه (أمر)<sup>(١٠)</sup> ممكن وإذا ثبت الجواب القطعي فلا سبيل

(١) ما بين القوسين سقط من ب.

(٢) كذا في (أ) والرازي. وفي ب: لهما. تحريف. (٤) زيادة على تفسيره.

(٥) كذا في الرازي. وفي ب: ظاهرة. (٦) وانظر تفسيره ١٢٧/٢٦ و ١٢٨.

(٧) سقط من ب.

(٨) في «أ» القطع والرازي هنا موافق لـ «ب».

(١٠) سقط من ب.

(٨) زيادة من ب.

إلى القطع بالوقوع إلا بأخبار المخبر<sup>(١)</sup> الصادق فلما قامت المعجزات على صدق محمد - عليه (الصلاة و) السلام - كان واجب الصدق فكان مجرد قوله: «نعم» دليلاً قاطعاً على الوقوع<sup>(٢)</sup>.

قوله: «أَوْ أَبَاؤُنَا» قرأ ابنُ عامرٍ وقالون: بسكون الواو على أنها «أَوْ»<sup>(٣)</sup> العاطفة المقتضية للشك والباقون بفتحها<sup>(٤)</sup> على أنها همزة استفهام دخلت على واو العطف، وهذا الخلاف جار أيضاً في «الواقعة»<sup>(٥)</sup> وتقدم مثل هذا في الأعراف في قوله: «أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَى»<sup>(٦)</sup>، فمن فتح الواو أجاز في: «أَبَاؤُنَا» وجهين: أحدهما: أن يكون معطوفاً على محل إن واسمها<sup>(٧)</sup>.

والثاني: أن يكون معطوفاً على الضمير المستتر في: «لَمَبْعُوثُونَ»<sup>(٨)</sup> واستغني بالفصل بهمزة الاستفهام، ومن سكنها تعين فيما الأول دون الثاني على قول الجمهور لعدم الفاصل، وقد أوضح هذا الزمخشري حيث قال: «أَوْ أَبَاؤُنَا» معطوف على محل إن واسمها أو على الضمير في: «لَمَبْعُوثُونَ»، والذي جوز العطف عليه الفصل بهمزة الاستفهام<sup>(٩)</sup>. قال أبو حيان: أما قوله معطوف على محل «إِنَّ» واسمها فمذهب سيبويه خلافه<sup>(١٠)</sup>، فإن قولك: «إِنَّ زَيْدًا قَائِمٌ وَعَمْرُو» وعمرو فيه مرفوع بالابتداء وخبره محذوف، وأما قوله: أو على الضمير في لمبعوثون (الخ) ... فلا يجوز أيضاً؛ لأن همزة

(١) في ب: للمخبر.

(٢) وانظر: التفسير الكبير للإمام الرازي ١٢٨/٢٦.

(٣) في ب: الواو.

(٤) من القراءات المتواترة. وانظر في ذلك السبعة ٢٨٧ و ٢٨٦ والإتحاف ٣٦٨ والنشر ٢/٣٥٧ والكشاف ٣/٣٣٧.

(٥) عند قوله تعالى: «أَنَا لَمَبْعُوثُونَ أَوْ أَبَاؤُنَا الْأَوْلُونَ» الآية ١٠.

(٦) الآية ٩٨ منها: «أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضَحَى وَهُمْ يَلْعَبُونَ» فقرأء بأو وبالواو على العطف والاستفهام أيضاً.

(٧) من قوله: «أَنَا لَمَبْعُوثُونَ» وانظر الكشاف ٣/٣٣٧ والسمين ٤/٥٤٢.

(٨) المرجع السابق وانظر: الكشاف ٣/٣٣٧.

(٩) المرجع السابق.

(١٠) فالزمخشري قد مشى في رحا الكوفيين وقليل من البصريين الذين لم يشترطوا المحرز وهو الطالب للمحل، ولأن «إِنَّ» لم تعمل عندهم في الخبر شيئاً بل هو مرفوع بما كان مرفوعاً به قبل دخولها. وفي الكتاب لسيبويه أنه يجيز رأي الكوفيين هذا ولكنه رأي ضعيف ومفضول. قال: «هذا باب ما يكون محمولاً على إن فيشاركه فيه الاسم الذي وليها ويكون محمولاً على الأول فأما ما حمل على الابتداء فقولك: إن زيدا ظريف وعمرو، وإن زيدا منطلق وسعيد فعمرو وسعيد يرتفعان لوجهين فأما الوجه الحسن فإن يكون محمولاً على الابتداء وأما الوجه الآخر الضعيف فإن يكون محمولاً على الاسم المضاف في المنطلق». الكتاب ٢/١٤٤.

الاستفهام لا تدخل إلا على الجمل لا على المفرد؛ لأنه إذا عطف على المفرد كان الفعل عاملاً في المفرد بواسطة حرف العطف وهمزة الاستفهام لا يعمل ما قبلها فيما بعدها، فقوله: «أَوْ أَبَاؤُنَا» مبتدأ محذوف الخبر لما ذكرنا<sup>(١)</sup>. قلت<sup>(٢)</sup>: أما الرد الأول: فلا يلزم لأنه لا يُلتزم<sup>(٣)</sup> مذهب سيبويه<sup>(٤)</sup>، وأما الثاني: فإن الهمزة مؤكدة للأولى فهي داخلة في الحقيقة على الجملة إلا أنه فصل بين الهمزتين بأن واسمها وخبرها. ويدل على هذا ما قاله هو<sup>(٥)</sup> في سورة الواقعة فإنه قال: دخلت همزة الاستفهام على حرف العطف، فإن قلت: كيف حسن العطف على المضممر في لمبعوثون<sup>(٦)</sup> من غير تأكيد بنحن؟ قلت: حسن للفواصل الذي هو الهمزة كما حسن في قوله: ﴿مَا أَشْرَكْنَا وَلَا أَبَاؤُنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨] لفصل (لا)<sup>(٧)</sup> المؤكدة بالنفي انتهى<sup>(٨)</sup>. فلم يذكر هنا غير هذا الوجه وتشبيهه بقوله لفصل (لا)<sup>(٩)</sup> المؤكدة للنفي لأن لا مؤكدة للنفي المتقدم بما إلا أن هذا مشكل بأن الحرف إذا كرر للتأكيد لم يُعَدَّ في الأمر العام إلا بإعادة ما اتصل به أولاً أو بضميره. وقد مضى القول فيه<sup>(١٠)</sup>. وتحصل في رفع «أبائنا» ثلاثة أوجه: العطف على محل «إن» واسمها، والعطف على الضمير المستكن في «لمبعوثون». والرفع على الابتداء والخبر مضممر<sup>(١١)</sup>، والعامل في «إذا» محذوف أي: أُتْبِعَتْ إِذَا مِتْنَا. هذا إذا جعلتها ظرفاً غير متضمن لمعنى الشرط، فإن جعلتها شرطية كان جوابها عاملاً فيها<sup>(١٢)</sup> أي إذا متنا بُعِثْنَا أَوْ حُسِرْنَا<sup>(١٣)</sup>.

وقرىء «إذا» دون استفهام<sup>(١٤)</sup>، وقد مضى القول فيه في الرد<sup>(١٥)</sup>.

- (١) قاله في البحر ٣٥٥/٧.
- (٢) هذا رد شهاب الدين فيما نقله عنه المؤلف ٥٤٣/٤.
- (٣) في ب: لا يلزم.
- (٤) بدليل أن سيبويه صرح بالرأيين الجائزين وفضل أحدهما على الآخر وهذا ما أميل إليه في تجويز الرأيين.
- (٥) أي جار الله الزمخشري.
- (٦) ما بين القوسين كله سقط من الأصل.
- (٧) زيادة من الكشاف من قول الزمخشري.
- (٨) الكشاف ٥٥/٤.
- (٩) زيادة لتوضيح السياق وتكميله.
- (١٠) في الأنعام عند تلك الآية السابقة.
- (١١) وهذا ما توحي به عبارة سيبويه في الكتاب المرجع السابق. والأولان قال بهما جار الله الزمخشري. ونقلهما شهاب الدين السمين في الدر ٥٤٢/٤.
- (١٢) ولذلك يقولون في إعراب «إذا» ظرف خافض لشرطه منصوب بجوابه.
- (١٣) تفسير الإمام شهاب الدين السمين ٥٤٣/٤.
- (١٤) من القراءات المتواترة السبعية فهي قراءة عبد الله بن عامر انظر: الإنحاف ٣٦٨. وفي السبعة لابن مجاهد لم يذكرها وانظر: البحر ٣٥٥/٧ والسمين ٥٤٣/٤.
- (١٥) يشير إلى قوله تعالى: ﴿أئنذا كنا تراباً أئنذا لفي خلقٍ جديدٍ﴾ الآية ٥. وبين هناك أن كل القراء يقرأون بالاستفهام فيهما: «أئنذا - وأئنذا»، وأن ابن عامر قرأ وحده بالإخبار.

قوله: «وَأَنْتُمْ ذَاخِرُونَ» جملة حالية العامل فيها الجملة القائمة مقامها «تَعْمَنَ» أي تبتعثون<sup>(١)</sup> وأنتم صاغرون أذلاء<sup>(٢)</sup>. قال أبو حيان: وقرأ ابن وثاب «نِعْمَ» بكسر العين<sup>(٣)</sup> وتقدم أن الكسائي قرأها كذلك حيث وقعت. وكلامه هنا موهم أن ابن وثاب منفرد بها<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا هِيَ زَجْرًا وَوَجْدًا فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمَ الَّذِينَ يَحْكُمُونَ ﴿٢٠﴾ هَذَا يَوْمَ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ أَحْسَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقَفَّوْهُمْ لِيَتِمَّ مَسْئَلُكُمْ عَنْ يَوْمِئِذٍ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمْ أَلْيَوْمَ مُتَسَلِّمُونَ ﴿٢٦﴾

قوله: «فَأَمَّا هِيَ» قال الزمخشري: «فَأَمَّا هِيَ» جواب شرط مقدر تقديره إذا كان كذلك فما هي إلا زجرة واحدة<sup>(٥)</sup>. قال أبو حيان: وكثيراً ما تضمَّن جملة الشرط قبل فاء إذا ساغ تقديره ولا ضرورة تدعو إلى ذلك ولا يحذف الشرط ويبقى جوابه إلا إذا انجزم الفعل في الذي يطلق<sup>(٦)</sup> عليه أنه جواب للأمر والنهي وما ذكر معهما، أما ابتداء فلا يجوز حذفه<sup>(٧)</sup>.

### فصل

«هي» ضمير البعثة المدلول عليها بالسياق لما كانت بعثتهم ناشئة عن الزجرة جعلت إياها مجازاً، قال الزمخشري «هي» مبهمة يوضحها خبرها، قال أبو حيان: وكثيراً ما يقول هو<sup>(٨)</sup> وابن مالك<sup>(٩)</sup>: إن الضمير يفسره خبره<sup>(١٠)</sup>. ووقف أبو حاتم على «يَا وَيْلَنَا» وجعل

(١) هو قول الزمخشري في الكشاف ٣/٣٣٨ والسمين في الدر ٤/٥٤٤.

(٢) قاله في اللسان دخر ١٣٤٠ وغريب القرآن ٣٧٠ ومجازه ٢/١٦٨.

(٣) البحر ٧/٣٥٥ والإتحاف ٣٦٨ والسمين ٤/٣٤٤.

(٤) المرجع السابق وقد وقعت في [الأعراف: ٤٤، ١١٤]، [الشعراء: ٤٢]، [الصافات: ١٨].

(٥) الكشاف ٣/٣٣٨.

(٦) في ب: ينطلق وما هنا في «أ»: موافق لما قاله أبو حيان في البحر ٧/٣٥٥ و ٣٥٦.

(٧) المرجع السابق هذا والمحذوف هو الشرط أو الجواب مع إن دون سائر الأدوات واختصت بذلك لأنها أم الباب ولأنه لم يرد في غيرها ولم يسمع أن حذف الجواب وحده والشرط وحده مع غير إن اللهم إلا ما أشبهه ابن مالك في شرح الكافية:

متى تؤخذوا قسراً بظئنة عامر ولا ينجح إلا في الصبأ يزيد

هذا ولا يجوز حذف الأداة وحدها ولو كانت «إن» وهناك من جوز ذلك، بتصرف من الهمع ٢/٦٢ و ٦٣.

(٨) فقد قال في الكشاف عند [المؤمنون: ٣٧]: «هذا ضمير لا يعلم ما يعنى به إلا بما يتلوه من بيانه، ثم وضع «هي» موضع الحياة لأن الخبر يدل عليها وبينها». الكشاف ٣/٣٢.

(٩) قال في التسهيل ص ٢٨: «ضمير الشأن عند البصريين وضمير المجهول عند الكوفيين ولا يفسر إلا بجملة خبرية مصرح بجزئتها».

(١٠) البحر ٧/٣٥٦.

مع ما بعده من قول البارئ تعالى<sup>(١)</sup>، وبعضهم جعل «هَذَا يَوْمُ الدِّينِ» من كلام الكفار الكفرة فيقف عليه، وقوله: «هَذَا يَوْمُ الْفُضْلِ» من قول البارئ تعالى. وقيل: الجميع من كلامهم. وعلى هذا فيكون قوله: «تُكذَّبُونَ» إما التفاتاً من التكلم إلى الخطاب وإما مخاطبة بعضهم لبعض<sup>(٢)</sup>.

## فصل

لما بين في الآية المتقدمة ما يدل على إنكار البعث والقيامة وأزْدَقَهُ بما يدل على وقوع القيامة ذكر في هذه الآيات بعض تفاصيل أحوال القيامة فمنها قوله: «فإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ» أي صيحة واحدة وهي نفخة البعث فإذا هم ينظرون أي أحياء ينظر بعضهم إلى بعض، وقيل: ينتظرون ما يحدث لهم أو ينظرون إلى البعث الذي كذبوا به والزجرة هي الصيحة التي يزرها كالزجرة بالنَّعْمِ والإبل عند الحث، ثُمَّ كَثُرَ اسْتِعْمَالُهَا حَتَّى صَارَتْ بِمَعْنَى الصَّيْحَةِ، قال ابن الخطيب: ولا يبعد أن يقال تلك الصيحة إذا سميت زجرة لأنها تزجر الموتى عن الرقود في القبور وتحثهم على القيام من القبور إلى الحضور في موقف القيامة.

فإن قيل: فما الفائدة في هذه الصيحة للأموات وهذه النفخة جارية مَجْرَى السبب لحياتهم فتكون مقدمة<sup>(٣)</sup> على حياتهم فلزم أن هذه الصيحة إنما تكون حالاً لكونهم أمواتاً فتكون الصيحة عديمة الفائدة فهي عَبَثٌ والعبث لا يجوز في فعل الله؟

فالجواب: على قول أهل السنة يفعل الله ما يشاء وأما المعتزلة فقال القاضي: فيه وجهان:

الأول: أن يعتبر بها الملائكة.

والثاني: أن تكون فائدتها التخويف والإرهاب. (انتهى)<sup>(٤)</sup>. وهذه الصيحة لا تأثير لها في الحياة بدليل أن الصيحة الأولى استعقبها الموت والثانية الحياة وذلك يدل على أن الصيحة لا أثر لها في الموت ولا في الحياة بل خالق الموت<sup>(٥)</sup> والحياة هو الله (وذلك يدل على<sup>(٦)</sup> أن الصيحة لا أثر لها) كما قال: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ [الملك: ٢] روي أن الله تعالى يأمرنا سراً قيل فينادى أَيْتُّهَا الْعِظَامُ النَّخْرَةَ، وَالْجُلُودُ الْبَالِيَةَ وَالْأَجْزَاءُ الْمْتَفْرَقَةَ اجْتَمَعُوا بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى. الحالة الثانية من تفاصيل أحوال القيامة قولهم بعد القيام من القبور: «يا ويلنا هذا يوم الدين» أي يوم الحساب ويوم الجزاء. قال الزجاج: الويل كلمة

(١) انظر: البحر المحيط ٣٥٦/٧ والدر المصون ٥٤٤/٤.

(٢) المرجعان السابقان.

(٣) في ب: متقدمة وكذا هي في الرازي كما في «أ» وانظر: تفسير الرازي ١٢٩/٢٦.

(٤) زيادة من ب، عن «أ». (٥) في «أ» السموات وما في ب هنا هو الموافق للمعنى وللرازي.

(٦) زيادة من «أ» عن الرازي و «ب».

يقولها القائل وقت الهلكة<sup>(١)</sup>، ويحتمل أن يكون المراد بقولهم: «هذا يوم الدين» أي يوم الحساب القيامة المذكور في قوله: «مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ» أي لا مالك في ذلك اليوم إلا الله تعالى وأما قوله: «هَذَا يَوْمُ الْفَضْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ» تقدّم الكلام على قائله هل هو من كلام الله تعالى أو من كلام الملائكة أو من كلام المؤمنين أو من كلام الكفار.

قوله: «اخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا» هذا من كلام الملائكة والمراد أجمعوا الذين أشركوا إلى الموقف للحساب والجزاء.

فإن قيل: ما معنى اخشروا مع أنهم قد حشروا من قبل وحضروا محفل القيامة وقالوا: هذا يوم الدين وقالت الملائكة لهم: بل هذا يوم الفصل؟

أجاب القاضي<sup>(٢)</sup> عنه وقال: المراد اخشروهم إلى دار الجزاء وهي النار، ولذلك قال بعده: «فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ» أي ذلّوهم على ذلك الطريق، ثم سأل نفسه وقال: كيف يصح ذلك وقد قال بعده<sup>(٣)</sup>: «وَقَفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ» ومعلوم أن (ف)<sup>(٤)</sup> خشروهم إلى الجحيم إنما يكون بعد المسألة وأجاب بأنه ليس في العطف بحرف الواو ترتيب ولا يمتنع أن يقال اخشروهم وقفّوهم مع أنا بعقولنا نعلم أن الوقوف كان قبل الحشر. قال ابن الخطيب: وعندي فيه وجه آخر وهو أن يقال: إنهم إذا قاموا من قبورهم لم يتعدّ أن يقفوا هناك لحيرة تلحقهم لمعاينتهم أهوال القيامة، ثم إن الله تعالى يقول للملائكة: اخشروا الذين ظلموا واهدوهم إلى صراط الجحيم، أي سوقوهم إلى طريق جهنم وقفّوهم هناك ويحصل السؤال هناك ثم (من) هنا (ك)<sup>(٥)</sup> يساقون إلى النار.

قوله: «وَأَرْوَاهُمْ» العامة على نصبه وفيه وجهان:

أحدهما: العطف على الموصول.

والثاني: أنه مفعول معه<sup>(٦)</sup>. قال أبو البقاء: وهو في المعنى أقوى<sup>(٧)</sup>، وإنما قال في المعنى لأنه في الصناعة ضعيف لأنه أمكن العطف فلا يعدل عنه<sup>(٨)</sup>، وقرأ عيسى بن سليمان الحجازي<sup>(٩)</sup> بالرفع عطفاً على ضمير «ظلموا»<sup>(١٠)</sup>. وهو ضعيف لعدم

(١) قاله في معاني القرآن وإعرابه ٣٠١/٤. (٢) سبق التعريف به أنه كبير المعترلة.

(٣) وانظر في هذا كله تفسير الفخر الرازي ١٢٩/٢٦ و١٣٠.

(٤) زيادة من أ. (٥) ما بين الأقواس زيادة من ب. وكذا هي في الرازي.

(٦) قاله أبو البقاء العكبري في التبيان ١٠٨٩ والسمين في الدر ٥٤٤/٤ وقال أبو جعفر في الإعراب بالأول فقط الإعراب ٤١٥/٤.

(٧) التبيان المرجع السابق. (٨) الدر ٥٤٤/٤.

(٩) أبو موسى الحجازي المعروف بالشيزري الحنفي مقرئ عالم نحوي معروف أخذ القراءة عرضاً وسماعاً عن الكسائي وله عنه انفرادات وأخذ عنه خلق كثير. انظر: الغاية ٦٠٩/١.

(١٠) من القراءات الشاذة انظرها في مختصر ابن خالويه ١٢٧.

العامل<sup>(١)</sup>، وقوله: «وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ» لا يجوز فيه هذا لأنه لا ينسب إليهم ظلم إن لم يرد<sup>(٢)</sup> بهم الشياطين وإن أريد بهم ذلك جاز فيه الرفع أيضاً على ما تقدم<sup>(٣)</sup>.  
قوله: «إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ» العامة على الكسر على الاستثناف المفيد<sup>(٤)</sup> للعلة، وقرئ بفتحها<sup>(٥)</sup> على حذف لام العلة أي قَفُوهُمْ لأجل سؤَالِ اللَّهِ إِيَّاهُمْ.

## فصل

المراد بالأزواج أشباههم وأمثالهم وأتباعهم. قال قتادة والكلبي: كل من عمل مثل عملهم فأهل الخمر مع أهل الخمر وأهل الزنا مع أهل الزنا واليهودي مع اليهودي والنصراني مع النصراني لقوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ [الواقعة: ٧] أي أشكالا وأشباهاً، وتقول «عندي من هذا أزواج» أي أمثال، وتقول: زَوْجَانِ مِنَ الْخُفِّ لَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا نَظِيرُ الْآخَرِ وكذلك الرجل والمرأة يُسَمَّيَانِ زَوْجَيْنِ متشابهين، وكذلك العدد الزوج<sup>(٦)</sup>، وقال الضحاك ومقاتل قرناؤهم من السوء الشياطين كل كافر مع شيطانه في سلسلة. وقال الحسن: أزواجهم: المشركات<sup>(٧)</sup>، وما كانوا يعبدون من دون الله في الدنيا يعني الأوثان والطواغيت. وقال مقاتل: يعني إبليس وجنوده لقوله: «أَلَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ». «فاهلؤهم إلى صراط الجحيم»، قال ابن عباس: دلوههم إلى طريق<sup>(٨)</sup> النار. وقال ابن كيسان والأصم<sup>(٩)</sup>: قدموهم<sup>(١٠)</sup> والعرب تسمى السابق هادياً. قال الواحدي<sup>(١١)</sup>: وهذا وهم لأنه يقال هَدَى إِذَا تَقَدَّمَ وَمِنَ الْهَادِيَةِ وَالْهَوَادِي، وَهَادِيَاتُ الْوَحْشِ، وَلَا يُقَالُ هَدَى بِمَعْنَى قَدِمَ. «وَقَفُوهُمْ» يقال وَقَفْتُ الدَّابَّةَ أَقْفَهَا وَقَفًّا فَوْقَ قَتِّ هِيَ وَقُوفًا<sup>(١٢)</sup>. قال المفسرون: لما سيقوا إلى النار حبسوا عند الصراط لأن السؤال عند الصراط فقال<sup>(١٣)</sup>: «قَفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ». قال ابن عباس: عن أقوالهم وأفعالهم<sup>(١٤)</sup>.

(١) ليس كذا في النسختين وإنما فيهما: الفاعل وما أثبتته هو الأصح. وقراءة النصب أسلم لسلامتها من التقدير.

(٢) في ب: ترد بالياء وإذا لم يرد بهم الشياطين يراد بهم الأصنام.

(٣) الدر ٥٤٥/٤. (٤) في ب: المقيد.

(٥) نسبها القرطبي إلى القرظي والكلبي. انظر: القرطبي ٧٢/١٥ وقد نسبت إلى عيسى بن عمر والكسائي. البحر ٣٥٦/٧ وابن خالويه ١٢٧ والقرطبي المرجع السابق.

(٦) القرطبي ٧٣/١٥ والرازي ١٣١/٢٦ و ١٣٢.

(٧) في ب: الشركاء. وانظر: زاد المسير ٥٢/٧. (٨) البغوي ٢٠/٦.

(٩) هو محمد بن يعقوب بن يوسف الأموي مولاهم المعقلي النيسابوري الإمام الثقة محدث المشرق مات سنة ٤٦ هـ انظر: تذكرة الحفاظ ٣/٨٦٠ - ٨٦٣.

(١٠) الرازي ١٣٢/٢٦ (١١) الرازي ١٣٢/٢٦ واللسان: «هدى» ٤٦٤١.

(١٢) المرجع السابق «وقف» ٤٨٩٨. (١٣) في ب: فيقال.

(١٤) البغوي ٢٠/٦.

وقيل: تسألهم الخزنة<sup>(١١)</sup>: «ألم يأتكم نذير رسل منكم»، (رسل)<sup>(١٢)</sup> بالبيئات أقالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين. ويجوز أن يكون هذا السؤال<sup>(١٣)</sup> هو قوله بعد ذلك: «مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ» (أي لا تسألون)<sup>(١٤)</sup> (توبيخاً لهم)<sup>(١٥)</sup> فيقال: ما لكم لا تناصرون قال ابن عباس: لا ينصر بعضهم بعضاً كما كنتم في الدنيا وذلك أن أبا جهل قال يوم بدر: نحن جميع منتصر فقبل لهم يوم القيامة: ما لكم لا تَنَاصَرُونَ، وقيل: يقال للكفار: ما لشركائكم لا يمنعونكم من العذاب<sup>(١٦)</sup>.

قوله: «مَا لَكُمْ» يجوز أن يكون منقطعاً عما قبله والمسؤول عنه غير مذكور ولذلك قدره بعضهم عن أعمالهم<sup>(١٧)</sup>، ويجوز أن يكون هو المسؤول عنه في المعنى فيكون معلقاً للسؤال و «لَا تَنَاصَرُونَ» جملة حالية العامل فيها الاستقرار في «لكم»<sup>(١٨)</sup>. وقيل: بل هي على حذف حرف الجر وأن الناصبة فلما حذف «أن» ارتفع الفعل. والأصل في أن لا<sup>(١٩)</sup>. وتقدمت قراءة البزّي لا تناصرون بتشديد التاء<sup>(٢٠)</sup>. وقرئ تَنَاصَرُونَ على الأصل<sup>(٢١)</sup>.

قوله (تعالى)<sup>(٢٢)</sup>: ﴿بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ قال ابن عباس<sup>(٢٣)</sup>: خاضعون. وقال الحسن منقادون، يقال استسلم الشيء إذا انقاد له وخضع. والمعنى هم اليوم أدلاء منقادون لا حيلة لهم في دفع تلك المضار.

قوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلْ بِضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَسَاءَ لَوْنٌ﴾ (٢٧) قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ نَأْوِيْنَا عَنِ الْيَمِينِ (٢٨) قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٢٩) وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ (٣٠) فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ (٣١) فَأَقْوَيْتَكُمْ إِنَّا كُنَّا عَلْوِينَ (٣٢) فَأَيُّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٣) إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (٣٤) إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

(١) نقله الرازي في تفسيره ١٣٢/٢٦. (٢) سقط من ب، فهو زيادة من «أ».

(٣) المرجع السابق.

(٤) سقط من ب.

(٥) سقط أيضاً من ب.

(٦) الرازي ١٣٢/٢٦ و ١٣٣ وانظر: البغوي ٢١/٦.

(٧) كما قاله ابن عباس والكلبي ومحمد بن كعب. وانظر: البحر المحيط ٣٥٦/٧ و ٣٥٧ والسمين ٤/٥٤٥.

(٨) التبيان ١٠٨٩ و البيان ٣٠٣/٢ والمشكل ٢٣٥/٢.

(٩) قاله العكبري في المرجع السابق وانفرد به.

(١٠) القرطبي ٧٤/١٥ و السمين ٥٤٥/٤ والكشاف ٣٣٨/٣.

(١١) المرجعان الأخيران.

(١٢) زيادة من ب.

(١٣) انظر: زاد المسير ٥٣/٧ و البغوي ٢٠/٦ و ٢١.

إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَ الْهِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾

قوله: «وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ» قيل: الأتباع والرؤساء يتساءلون متخاصمون. وقيل: هم والشياطين يقولون إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين أي من قبل الدين فتصلوننا عنه. قاله الضحاك، وقال مجاهد: من الصراط الحق واليمين عبارة عن الدين والحق كما أخبر الله عن إبليس: ﴿فَمَّا لَا يَتُوبُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧] فمن<sup>(١)</sup> أتاه الشيطان من قبل اليمين أتاه من قبل الدين فليس عليه الحق<sup>(٢)</sup>، واليمين ههنا استعارة عن الخيرات والسعادات لأن الجانب الأيمن أفضل من الجانب الأيسر إجماعاً، ولا تبأشر الأعمال الشريفة إلا باليمين ويتفاءلون بالجانب الأيمن ويسمونه البارح<sup>(٣)</sup> وكان - عليه (الصلاة و) السلام - يحب التيامن في شأنه كله وكتب الحسنات من الملائكة على اليمين ووعده الله المحسن أن يعطيه الكتاب باليمين. وقيل: إن الرؤساء كانوا يحلفون للمستضعفين أن ما يدعونهم إليه هو الحق فوثقوا بأيمانهم، وقيل: عن اليمين أي عن القوة والقدرة كقوله: ﴿لَاخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ [الحاقة: ٤٥].

قوله: «عَنِ الْيَمِينِ» حال من فاعل: «تَأْتُونَنَا». واليمين إما الجارحة عبر بها عن القوة وإما الحلف لأن المتعاقدين بالحلف يمسح كل منهما يمين الآخر فالتقدير على الأول وتأتوننا أقوياء وعلى الثاني مُقْسِمِينَ حَالِفِينَ<sup>(٤)</sup>.

قوله: «بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ» وهذا جواب الرؤساء للأتباع أي ما كنتم موصوفين بالإيمان حتى يقال: إنا أزلناكم عنه وإنما الكفر من قبلكم «وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ» من قوة وقُدرة حتى نقهركم ونجبركم «بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَآغِيَةً» ضالين «فَحَقَّ عَلَيْنَا»<sup>(٥)</sup> وجب علينا جميعاً «قَوْلُ رَبِّنَا» يعني كلمة العذاب وهو قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩].

قوله: «إِنَّا لَذَائِقُوا الْعَذَابِ» الظاهر أنه من إخبار الكفرة المتبوعين أو الجن بأنهم ذائقون العذاب. ولا عدول في هذا الكلام<sup>(٦)</sup>. وقال الزمخشري: ولزمننا قول ربنا إنا لذائقون يعني وعيد الله بأننا لذائقون لعذابه لا محالة ولو حكي الوعيد كما هو لقال إنكم

(١) المرجعان السابقان. (٢) المرجع السابق.

(٣) قال ابن منظور في اللسان: والبارح ما مر من الطير والوحش من يمينك إلى يسارك والعرب تطير به لأنه يمكنك أن ترميه حتى تنحرف والسَّانِح: ما مر بين يديك من جهة يسارك إلى يمينك والعرب تيمن به لأنه أمكن للرمي والصيد. وفي المثل: «من لي بالسَّانِح بعد البارح». انظر: اللسان برح ٢٤٦.

(٤) البحر ٣٥٧/٧ والسمين ٥٤٥/٤. (٥) البغوي ٢١/٦.

(٦) البحر والدر المرجعان السابقان.

لذائقون ولكنه عدل به إلى لفظ المتكلم لأنهم متكلمون بذلك عن أنفسهم ونحوه قول القائل:

٤١٩١ - لَقَدْ عَلِمْتُمُ<sup>(١)</sup> هَوَازِنَ قَلِّ مَالِي.....<sup>(٢)</sup>

ولو حكى قولها لقال: قَلِّ مَالِكُ، ومنه قول المحلف للحالف احلف (لأَخْرِجَنَّ)<sup>(٣)</sup> ولتَخْرِجَنَّ<sup>(٤)</sup>، الهمزة لحكاية الحالف، والتاء لإقبال المحالف<sup>(٥)</sup> على المحلف<sup>(٦)</sup>.

قوله: «فَأَعْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ» أي إنما أقدمنا<sup>(٧)</sup> إغوائكم لأننا كنا موصوفين في أنفسنا بالغواية. وفيه دققة أخرى كأنهم قالوا: إن اعتقدتم أن غوايتكم<sup>(٨)</sup> بسبب إغوائنا فغوايتنا إن كانت بسبب إغواء غاؤ آخر لزم التسلسل. وذلك محال فعلمنا أن حصول الغواية والرشاد ليس من قبلنا بل من قبل غيرنا. وذلك الغير هو الذي ذكره فيما قبل وهو قوله: «فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا»<sup>(٩)</sup>. ثم قال تعالى بعده: «فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ» يعني الرؤساء والأتباع يومئذ يسألون<sup>(١٠)</sup> ويراجعون<sup>(١١)</sup> الكلام فيما بينهم ثم قال: «إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ» أي الكفار. قال ابن عباس: الذين جعلوا الله شركاء ثم وصفهم بأنهم «إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ» يتكبرون عن كلمة التوحيد ويمتنعون منها «وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ» يعني النبي - ﷺ<sup>(١٢)</sup> - وقرأ ابن كثير أينا لتاركوا بهمزة وياء بعدها خفيفة وألف ساكنة بلا مدة<sup>(١٣)</sup>. وقرأ نافع في رواية قالون وأبو عمرو كذلك، ويمدان. والياقون بهمزتين<sup>(١٤)</sup> بلا مد، ثم إنه تعالى كذبهم في ذلك الكلام بقوله: «بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ» أي جاء بالدين الحق.

قوله: «وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ» أي صدقهم محمد - عليه (الصلاة و) السلام - يعني

(١) في الكشاف زعمت.

(٢) من تمام الوافر وذلك صدر بيت وعجزه:

وهل لي غير ما أنفقت مال

ويروى: ألا زعمت. وهو مجهول القائل وجيء به شاهداً للعدول والالتفات من الخطاب إلى التكلم فكان مسار الكلام وحكاية قولها وهي هوازن قل مالك، وانظر: البحر ٣٥٧/٧ والدر المصون ٥٤٦/٤ والكشاف ٣/٣٣٩ وشرح شواهد ٥٠٠.

(٣) زيادة من أ والكشاف عن ب. (٤) في ب: ليخرجن بالياء.

(٥) تصحيح من الكشاف عن النسختين ففيهما المحلف.

(٦) انظر الكشاف ٣/٣٣٩. (٧) في ب: قدمتا.

(٨) في ب: إغوائكم وما هنا موافق للرازي.

(٩) الرازي ٢٦/١٣٥. (١٠) تصحيح لغوي لا بد منه على النسختين.

(١١) انظر: معالم البيهقي ٢١/٦.

(١٢) من القراءات الأربع فوق العشرة. انظر: الإتحاف ٣٦٩ والرازي ٢٦/١٣٥.

(١٣) المرجعان السابقان، الإتحاف والرازي.

صدقهم في مجيئهم بالتوحيد، وقرأ عبد الله<sup>(١)</sup> صدق خفيف الدال «المُرْسَلُونَ» فاعلاً به أي صدقوا فيما جاؤوا به<sup>(٢)</sup>. ثم التفت من الغيبة إلى الحضور فقال: «إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ».

قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾ (٣٨) وَمَا يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَاكُهُمْ وَهُمْ يَخْرُجُونَ فِي حَتِّتِ النَّعِيمِ ﴿٤٢﴾ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٣﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ ﴿٤٤﴾ بِيضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿٤٥﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْفَكُونَ ﴿٤٦﴾ وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتٌ الْأَطْرَفِ عِينٌ ﴿٤٧﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكُونٌ ﴿٤٨﴾ ﴿٤٩﴾

قوله: «لَذَائِقُوا الْعَذَابِ» العامة على حذف النون والجر. وقرأ بعضهم بإثباتها<sup>(٣)</sup> والنصب هو الأصل. وقرأ أبان بن تغلب<sup>(٤)</sup> - عن عاصم وأبو السَّمَال في رواية - بحذف النون والنصب<sup>(٥)</sup> أجرى النون مجرى التنوين في حذفها لالتقاء الساكنين كقوله: ﴿أَحَدٌ اللَّهُ الْضَكَّةُ﴾ [الإخلاص: ١ - ٢] (و):

٤١٩٢ - وَلَا ذَاكِرِ السَّلَّةِ إِلَّا قَلِيلًا<sup>(٦)</sup>

وقال أبو البقاء: قرئ شاذاً بالنصب. وهو سهو من قارئه لأن اسم الفاعل يحذف منه النون وينصب إذا كان فيه<sup>(٧)</sup> الألف واللام، قال شهاب الدين: وليس بسهو لما تقدم<sup>(٨)</sup>، وقرأ أبو السمال أيضاً لذائق بالإفراد والتنوين العَذَابَ نصباً<sup>(٩)</sup>. وتخريجه<sup>(١٠)</sup>

- (١) ونسبت أيضاً للحسن وهي من الأربع فوق العشرة. انظر: الإتحاف ٣٦٩ ومختصر ابن خالويه ١٢٨ والسمين ٥٤٦/٤ والبحر المحيط ٣٥٨/٧.
- (٢) من بشارتهم به عليه السلام.
- (٣) لم ينسبها أبو حيان في البحر المرجع السابق ولا الزمخشري في الكشاف ٣/٣٣٩ وقد نسبها صاحب الشواذ شواذ القرآن إلى الضحَّاك. انظره (٢٠٥).
- (٤) الرُّبَيْعِي أَبُو سَعْد. ويقال: أَبُو أَمِيمة الكوفي النحوي. قرأ على عاصم أخذ عنه محمد بن صالح الكوفي مات سنة ٥٣٤ هـ غاية النهاية ٤/١.
- (٥) البحر والكشاف والمختصر السابقة وانظر: السمين ٥٤٦/٤.
- (٦) مضى هذا الشاهد ومضى القول فيه بالتفصيل.
- (٧) التبيان له ١٠٨٩ وقد شنع الناس على قراءة أبان هذه التي تنسب لأبي السمال. قال ابن الأنباري: وهو رديء في القياس ولذلك قال أبو عثمان لحن أبو السمال بعد أن كان فصيحاً. البيان ٢/٣٠٤.
- (٨) في الدر: «لما ذكرته لك». وقد ذكر عن قرب أنه حذف النون وأجراها مجرى التنوين في الحذف لالتقاء الساكنين. الدر ٤/٥٤٦.
- (٩) نقلها أبو حيان في بحره عن ابن عطية. البحر ٧/٣٥٨ وانظر الدر المصون ٤/٥٤٦.
- (١٠) في ب: ويخرجه.

على حذف اسم جمع هذه صفته أي إنكم لفريق أو لجمع ذائق ليتطابق<sup>(١)</sup> الاسم والخبر في الجَمْعِيَّة<sup>(٢)</sup>. ثم كأنه قيل: فكيف يليق بالرحيم الكريم المتعالي عن النفع والضر أن يعذب عباده؟ فأجاب بقوله: «وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» أي «إلا جزاء ما كنتم تعملون»<sup>(٣)</sup>.

قوله: «إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ» استثناء منقطع<sup>(٤)</sup> أي لكن عباد الله المخلصين الموحدين، وقوله: «أُولَئِكَ لَهُمْ» بيان لحالهم، وقد تقدم في فتح اللام وكسرهما من الْمُخْلِصِينَ<sup>(٥)</sup> قراءتان فمن قرأ بالفتح<sup>(٦)</sup> فالمعنى أن الله تعالى أخلصهم واصطفاهم بفضله. والكسر<sup>(٧)</sup> هو أنهم أخلصوا الطاعة لله تعالى<sup>(٨)</sup>. والرزق المعلوم قيل: بُكْرَةٌ وَعَشِيَّةٌ لقوله: ﴿وَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةٌ وَعَشِيَّةٌ﴾ [مریم: ٦٢] فيكون المراد منه معلوم الوقت وهو مقدار غَدْوَةٍ أو عَشْوَةٍ وإن لم يكن ثم بكرة ولا عشية. وقيل: ذلك الرزق معلوم الصفة أي مخصوصاً بصفات من طيب طعم ولذة وحسن منظر. وقيل معناه أنهم يتيقنون دوامه لا كرزق الدنيا الذي لا يعلم متى يحصل ومتى ينقطع وقيل: معلوم القدر الذي يستحقونه بأعمالهم من ثواب الله وقد (بين<sup>(٩)</sup> أنه) تعالى يعطيهم غير ذلك تَفَضُّلاً<sup>(١٠)</sup>.

قوله: «فَوَاكِهَ» يجوز أن يكون بدلاً من «رزق» وأن يكون خبر ابتداء مضمرة أي ذلك الرزق فَوَاكِهَ<sup>(١١)</sup>، وفي الفَوَاكِهَ قَوْلَانِ:

أحدهما: أنها عبارة عما يؤكل للتلذذ لا للحاجة وأرزاق أهل الجنة كلها فواكه لأنهم مستغنون عن حفظ الصحة بالأقوات فإن أجسامهم محكومة ومخلوقة للأبد فكل ما يأكلونه فهو على سبيل التلذذ.

والثاني: أن المقصود بذكر الفاكهة التنبيه بالأدنى على الأعلى، لما كانت الفاكهة حاضرة أبداً كان المأكول للغذاء أولى بالحضور<sup>(١٢)</sup>.

- (١) في ب: لتطابق.
- (٢) هذا معنى قول أبي حيان في البحر المرجع السابق. وانظر: الدر أيضاً السابق.
- (٣) الرازي ١٣٥/٢٦. (٤) السمين ٥٤٦/٤.
- (٥) يشير إلى الآية ٢٤ من يوسف و٤٠ من الحجر.
- (٦) وهم نافع وعاصم وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف، والباقون بالكسر انظر: الإتحاف ٣٦٩.
- (٧) في ب: بالكسر.
- (٨) الرازي ١٣٦/٢٦.
- (٩) بياض في ب، وتكملة من أ وفي الرازي بين الله تعالى.
- (١٠) الرازي المرجع السابق.
- (١١) قاله السمين في الدر ٥٤٦/٤ وأبو البقاء في التبيان ١٠٨٩ وقال ابن الأنباري في البيان بالأول ٢/٣٠٤.
- (١٢) الرازي ١٣٦/٢٦ و ١٣٧.

قوله: «وَهُمْ مُكْرَمُونَ» قرأ العامة مُكْرَمُونَ خفيفة الراء. و (ابن) (١) مقيّم بتشديدها (٢). والمعنى وهم مُكْرَمُونَ بثواب الله في جنات النعيم لما ذكر مأكولهم ذكر مسكنهم. وقوله «فِي جَنَّاتٍ» يجوز أن يتعلق «بمُكْرَمُونَ» وأن يكون خيراً ثانياً وأن يكون حالاً (٣).

قوله: «عَلَى سُرُرٍ» العامة على ضم الراء. وأبو السَّمَال بفتحها (٤). وهي لغة بعض كَلْب (٥)، وتميم يفتحون عين «فُعَلٍ» جمعاً إذا كان اسماً مضاعفاً. وأما الصفة نحو: دُلٌّ ففيها خلاف. والصحيح أنه لا يجوز لأن السماع ورد في الجوامد دون الصفات (٦). و «عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ» حال، ويجوز أن يتعلق «عَلَى سُرُرٍ» بمتقابلين و «يُطَافُ» صفة «لمكرمون» أو حال من الضمير في: «متقابلين» أو من الضمير في أحد الجارّين إذا جعلناه حالاً (٧).

ومعنى متقابلين لا يرى بعضهم قفاً بعض (٨)، ولما ذكر المأكل والمسكن ذكر بعده صفة المشرب فقال: «يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ». والكأس من الزجاج ما دام فيها شراب وإلا فهو قَدَح. وقد يطلق الكأس على الخمر نفسها وهو مجاز سائغ (٩) وأشد:

٤١٩٣ - وَكَأْسٍ شَرِبْتُ عَلَى لَذَّةٍ وَأُخْرَى تَدَاوَيْتُ مِنْهَا بِسَهَاً (١٠)

و «مِنْ مَعِينٍ» صفة «لكأس» (١١). والمعين معناه الخمر الجارية في الأنهار، أي ظاهرة تراها العيون وتقدم الكلام في مَعِين (١٢). وعن الأخفش: كل كأس في القرآن فهي

(١) تصحيح على النسختين ففيهما أبو. والصحيح ما أثبت أعلى، محمد بن الحسين بن يعقوب بن الحسن بن الحسين بن مقسم أبو بكر البغدادي الإمام المقرئ النحوي أخذ عن إدريس بن عبد الكريم وداود بن سليمان روى عنه ابن مهران وغيره. مات سنة ٣٥٤ هـ، الغاية ١٢٣/٢: ١٢٥.

(٢) نقلها أبو حيان في بحره ٣٥٩/٧ وكذلك صاحب التبيان ١٠٨٩ ولكن بدون عزو.

(٣) ذكر الأوجه الثلاثة العكيري في تيبانه ١٠٨٩ كما ذكرها صاحب الدر ٥٤٧/٤.

(٤) ذكرها أبو حيان والسمين المرجعان السابقان.

(٥) البحر المرجع السابق.

(٦) المرجعان السابقان. وانظر المجاز لأبي عبيدة ١٦٩/٢ وشرح الشافية للإمام الرضي ١٣١/٣ و١٣٢.

(٧) ذكر هذه الأوجه كلها أيضاً العكيري في التبيان وزادها إيضاحاً وكثرة السمين في الدر ٥٤٧/٤.

(٨) قاله أبو إسحاق الزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٣٠٣/٤ وأبو حيان في البحر ٣٥٨/٧ والكشاف ٣/٣٤٠.

(٩) قاله الرازي ١٣٧/٢٦ والنحاس في الإعراب ٤١٩/٣ والزجاج في المعاني ٣٠٣/٤.

(١٠) البيت من المتقارب وهو للأعشى ميمون وقد ذكره الرازي في ١٣٧/٢٦ والبحر في ٣٥٩/٧، والبيضاوي ٥٦/٢ والزمخشري في ٣٤٠/٣ وشرح شواهد ٥٦١ وديوانه ٢٤ دار صادر بيروت.

(١١) قاله السمين ٥٤٨/٤.

(١٢) عند قوله: «وَأَوْبَانَهُمَا إِلَى رِبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ»، [المؤمنون: ٥٠] وقال هناك المعين الماء الظاهر الجاري ولنا أن نجعل ميمها أصليةً ونجعلها فعيلةً من الماعون أو مفعولاً من العيون وانظر: اللباب ميكروفيلم.

الْخَمْرُ<sup>(١)</sup>، وقوله: «مِنْ مَعِينٍ» أي من شراب مَعِينٍ أو من نَهْرٍ مَعِينٍ. المَعِينُ مأخوذ من عين الماء أي يخرج من العيون كما يخرج الماء، وسمي (م)<sup>(٢)</sup> مَعِيناً لظهوره، يقال: عَانَ الماء إذا ظهر جارياً، (قاله<sup>(٣)</sup> ثعلب) فهو مَفْعُولٌ من العَيْنِ نحو: مَبِيعٌ وَمَكِيلٌ، وقيل: سمي مَعِيناً لأنه يجري ظاهر العين كما تقدم. ويجوز أن يكون فِعْلاً من المَعِينِ وهو الماء الشديد الجري، ومنه أَمَعَنَ في الجَزْيِ إذا اشتد فيه<sup>(٤)</sup>.

قوله: «بَيْضَاءَ» صفة لكأس<sup>(٥)</sup>. وقال أبو حيان: صفة «لكأس» أو «للخمر»<sup>(٦)</sup>، قال شهاب الدين: لم يذكر الخمر اللهم إلا أن يعني بالمعين الخمر. وهو بعيد جداً. ويمكن أن يجاب بأن الكأس إنما سميت كأساً إذا كان فيها الخمر<sup>(٧)</sup>.

وقرأ عبد الله: صَفْرَاءَ<sup>(٨)</sup> وهي مخالفة للسواد، إلا أنه جاء وصفها بهذا اللون وأنشد لبعض المولدين:

٤١٩٤ - صَفْرَاءُ لَا تَنْزِلُ الْأَخْرَانُ سَاحَتَهَا لَوْ مَسَّهَا حَجْرٌ مَسَّتْهُ سَرَاءُ<sup>(٩)</sup>

و «الذة» صفة أيضاً وصفت بالمصدر مبالغة كأنها نفس اللذة وعينها كما يقال: فَلَانٌ جُودٌ وَكَرَمٌ إذا أرادوا المبالغة<sup>(١٠)</sup>.

وقال الزجاج: أو على حذف المضاف أي ذات<sup>(١١)</sup> لذَّة، أو على تأنيث «لذَّة» بمعنى لذيد فيكون وصفاً على «فَعْلٌ» كصَغِبَ<sup>(١٢)</sup> يقال: لَذَّ الشَّيْءُ يَلْدُ لَذًّا فهو لَذِيذٌ وَلَذٌّ وأنشد:

٤١٩٥ - بِحَدِيثِهَا اللَّذُّ الَّذِي لَوْ كَلَّمَتْ أَسَدَ الْقَلَاةِ بِهِ أَتَيْنَ سِرَاعًا<sup>(١٣)</sup>

- (١) نقله عنه الرازي والكشاف المراجع السابقة. (٢) الميم سقط من ب.
- (٣) سقط من «ب» و«ا» أيضاً فهو تصحيح من الرازي واللسان. وانظر: اللسان: «م ع ن» ٤٢٣٧ فقد نقل الهروي في فصل «عين» عن ثعلب أنه قال: عان الماء يعين إذا جرى ظاهراً. اللسان المرجع السابق.
- (٤) اللسان والرازي السابقان. (٥) التبيان ١٠٨٩ والسمين ٥٤٨/٤.
- (٦) البحر ٣٥٩/٧. (٧) الدر المصون ٥٤٨/٤.
- (٨) وقد وافقه الحسن والضحاك وانظر المختصر لابن خالويه ١٢٨، وانظر: البحر المحيط ٣٥٩/٧. والدر المصون ٥٤٨/٤. وهي شاذة غير متواترة كما هو واضح.
- (٩) من البسيط وهو لأبي نواس الحسن بن هانئ الشاعر الحكمي. وأتى بالبيت حتى بدلنا على أن الصفراء صفة من صفات الخمر وأيدت تلك قراءة عبد الله بن مسعود. وانظر: الديوان ٦، والبحر المحيط ٣٥٩/٧ والدر المصون ٥٤٨/٤.
- (١٠) نقله الرازي ١٣٧/٢٦ والسمين ٥٤٨/٤ والبحر المحيط ٣٥٩/٧ والكشاف ٣٤٠/٣.
- (١١) معاني القرآن وإعرابه ٣٠٣/٤ وانظر أيضاً إعراب النحاس ٤١٩/٣ وانظر أيضاً المراجع السابقة.
- (١٢) الكشاف والبحر والدر والرازي المراجع السابقة.
- (١٣) من الكامل، ولم أعر على قائله وشاهده: أن اللذ مصدر للذ. ويروي: بحديثك اللذ. على الخطاب. يقول: إن سحر حديثها يجذب أي إنسان حتى ولو كان أسد الغاب وذلك مبالغة. وانظر: الدر المصون ٤٥٨/٤ والبحر ٣٥٠/٧ وفتح القدير ٣٩٣/٤.

وقال آخر:

٤١٩٦ - لَذَّ كَطَعْمِ الصَّرْحَدِيِّ تَرَكَتُهُ بِأَرْضِ الْعِدَا مِنْ خَشْيَةِ الْحَدَثَانِ<sup>(١)</sup>

واللذيذ كل شيء مستطاب. وأنشد:

٤١٩٧ - يَلْدُ لِطْفَمِهِ وَتَحَالَ فِيهِ إِذَا نَبَّهَتْهَا بَعْدَ الْمَنَامِ<sup>(٢)</sup>

و «لِلشَّارِبِينَ» صفة «لِلذَّةِ». وقال الليث: اللذَّةُ واللَّذِيذَةُ يجريان مَجْرَى واحداً في النعت يقال: شَرَابٌ لَذٌّ ولذِيذٌ قال تعالى: ﴿بَيْضَاءَ لَذَّةً لِلشَّارِبِينَ﴾ وقال تعالى: ﴿مِنْ حَرِّ لَذَّةِ اللَّسَنِ﴾<sup>(٣)</sup> [محمد: ١٥] وعلى هذا «لَذَّة» بمعنى لذِيذ<sup>(٤)</sup>.

قوله: «لَا فِيهَا غَوْلٌ» صفة أيضاً<sup>(٥)</sup>، ويطل عمل لا وتكررت لتقدم<sup>(٦)</sup> خبرها، وتقدم<sup>(٧)</sup> أول البقرة فائدة تقديم مثل هذا الخبر، والبحث مع أبي حيان فيه. قال الفراء: العرب تقول ليس فيها غَيْلَةٌ وغَائِلَةٌ وغَوْلٌ (وغَوْلٌ)<sup>(٨)</sup> سواء<sup>(٩)</sup>، وقال أبو عبيدة: العَوْلُ أن تغتال<sup>(١٠)</sup> عقولهم<sup>(١١)</sup> وأنشد قول مطيع بن إياس:

(١) من الطويل وقد نسه صاحب اللسان إلى الراعي وجاء كذا في مادة لذذ فيه، واللذذ النوم الممتع كإمتاع الشراب المنسوب إلى صرخد وهو مكان بالشام. ومعنى البيت: أن الرجل ترك النوم اللذيذ خشية غدر الأعداء به. وانظر: اللسان ٢٤٢٦، ٤٠٢٤ والكشاف ٣/٣٤٠ وجاء في اللسان العجز في مادة: صرخد: طرحته عشيةً حُمسِ القوم والعين عاشقة. وهذا هو الموافق للديوان ١٨٦. وانظر: القرطبي ٧٨/١٥ والدر ٤/٥٤٨.

(٢) البيت من الوافر وهو للنايفة. ويروى: تلذذ بطعمه وجيء بالبيت على أن اللذيذ بمعنى المستطاب الطيب. انظر: الديوان ١٣٢ والبحر المحيط ٧/٣٥٠ والدر المصون ٤/٥٤٨ وتمهيد القواعد ٢/٣٠٠.

(٣) [محمد: ١٥] وتاماما: «وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرِ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ».

(٤) وانظر رأي الليث هذا في تفسير الإمام الرازي ١٣٧/٢٦.

(٥) قاله السمين ٤/٥٤٩ فتحصل أن هناك صفات خمساً «لكأس» هي: «من معين» و «بيضاء» ولذة، وللشاربين و «لا فيها غول».

(٦) وهو: «فيها». ومعروف أن لا النافية للجنس تعمل إذا كان اسمها نكرة وكذلك الخبر إذا لم يتقدم خبرها على اسمها وإذا قصد بها النفي العام وأن لا يفصل بين لا والنكرة بشيء وأن لا تكون النكرة غير معمولة لغير لا.

(٧) عند قوله: «فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» الآية ٣٨ وبين هناك أن التقديم لتأكيد المعنى وتثبيت أول الأمر كما بين أن أناساً يجيزون إعمال لا والحالة هذه من هؤلاء الرماني فقد جوز النصب في قوله: «لا فيها غولاً» وقد حكى: لا كذلك رجلاً، ولا كزيد رجلاً ولا كالعشية زائراً وأجيب بالتأويل. اللياب ١/٥٨.

(٨) زيادة من المعاني.

(٩) المعاني ٢/٣٨٥.

(١٠) المجاز ٢/١٦٩.

(١١) كذا هي في المجاز وما في ب: يغتال.

٤١٩٨ - وَمَا زَالَتِ الْكَأْسُ تَفْتَالُهُمْ وَتَأْذَنُ بِالْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ<sup>(١)</sup>

وقال الليث: الغول الصداع والمعنى ليس فيها صداع كما في خمر الدنيا<sup>(٢)</sup>، وقال الواحدي: الغُول حقيقته الإهلاك، يقال: غَالَهُ غَوْلًا وَاغْتَالَهُ أَهْلَكَهُ، وَالغَوْلُ وَالغَائِلُ الْمَهْلِكُ وَسُمِّيَ (وَوَظُّهُ)<sup>(٣)</sup> الْمَرْضِعُ غَوْلًا لِأَنَّهُ يُؤَدِي إِلَى الْهَلَاكِ، وَالغَوْلُ كُلُّ مَا اغْتَالَكَ أَيْ أَهْلَكَكَ، وَمِنَ الْغَوْلِ بِالضَّمِّ شَيْءٌ تَوَهَّمْتَهُ الْعَرَبُ وَلَهَا فِيهِ أَشْعَارٌ<sup>(٤)</sup> كَالعَنْقَاءِ<sup>(٥)</sup> يُقَالُ غَالَنِي كَذَا وَمِنَ الْغَيْلَةِ فِي الْعَقْلِ وَالرِّضَاعِ قَالَ:

٤١٩٩ - مَضَى أَوْلُونَا نَاعِمِينَ بِعَيْشِهِمْ جَمِيعًا وَعَالَتْنِي بِمَكَّةَ غَوْلٌ<sup>(٦)</sup>

فالغول اسم لجميع الأذى. وقال الكلبي: لا فيها إثم<sup>(٧)</sup>، وقال قتادة: وَجِعُ الْبَطْنِ<sup>(٨)</sup>. وقال أهل المعاني: الغول فساد يلحق أمره في خفية، وخمر الدنيا يحصل فيها أنواع من الفساد منها السُّكْرُ وَدَهَابُ الْعَقْلِ وَوَجَعُ الْبَطْنِ وَالصُّدَاعُ وَالْقِيءُ وَالْبَوْلُ وَلَا يُوْجَدُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فِي خَمْرٍ<sup>(٩)</sup> الْجَنَّةِ.

قوله: «وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ» قرأ الأخوان «ينزفون» هنا، وفي الواقعة<sup>(١٠)</sup>، بضم الياء وكسر الزاي. وافقهما عاصمٌ على ما في الواقعة فقط. والباقون بضم الياء وفتح الزاي<sup>(١١)</sup>. وابن أبي إسحاق بالفتح والكسر<sup>(١٢)</sup>. وطلحة بالفتح والضم<sup>(١٣)</sup> فالقراءة الأولى من أَنْزَفَ الرَّجُلُ إِذَا دَهَبَ عَقْلُهُ مِنَ السُّكْرِ فَهُوَ نَزِيفٌ وَمَنْزُوفٌ، وَكَانَ قِيَاسُهُ مِنْزَفٌ كَمُكْرِمٍ، وَنَزَفَ الرَّجُلُ الْخَمْرَةَ فَأَنْزَفَ هُوَ ثَلَاثِيَةٌ مُتَعَدِّدٌ وَرَبَاعِيَةٌ بِالْهَمْزَةِ قَاصِرٌ وَهُوَ نَحْوُ: كَبَيْتُهُ فَأَكَّبَ وَقَشَعَتِ الرِّيحُ السَّحَابَ فَأَقْشَعَتْ أَي دَخَلَا فِي الْكَبِّ وَالْقَشْعُ<sup>(١٤)</sup> وَقَالَ الْأَسُودُ:

(١) من المتقارب وانظر: البحر ٣٥٠/٧ والمجاز ١٦٩/٢ والقرطبي ٧٩/١٥ ومجمع البيان ٦٩٠/٧ وابن

كثير ٧/٤ وفتح القدير ٣٩٣/٤ والرازي ١٣٧/٢٦ والطبري ٣١/٢٣ واللسان: «غ و ل» ٣٣١٩.

(٢) اللسان «غ و ل» ٣٣١٧. (٣) زيادة من أ.

(٤) اللسان ٣٣١٩.

(٥) وهي طائر ضخمة ليس بالعقاب. انظر: اللسان «ع ن ق» ٣١٣٦.

(٦) من الطويل ولم أعرف قائله وشاهده أن الغول العوائق أي عاقنتي عوائق وانظر: البحر ٣٥٠/٧.

(٧) نقله القرطبي ٧٩/١٥.

(٨) السابق. (٩) انظر: معالم التنزيل للبخاري ٢٣/٦.

(١٠) الآية ١٩: «لَا يَصْدَعُونَ عَنْهَا وَلَا يَنْزَفُونَ».

(١١) من القراءات المتواترة وانظر: حجة ابن خالويه ٣٠٢ والكشف ٢٢٤/٢ والسبعة ٥٤٧ والإتحاف ٣٦٩

والتشر ٣٥٧/٢ ومعاني القراء ٢٨٥/٢.

(١٢) نقلها صاحب البحر ٣٦٠/٧، والدر ٥٤٩/٤.

(١٣) المرجعان السابقان وانظر أيضاً الكشاف ٣٤٠/٣.

(١٤) السابق وانظر أيضاً الكشاف لمكي ٢٢٤/٢ ولسان العرب (نزف) ٤٣٩٧ و ٤٣٩٨.

٤٢٠٠ - لَعَمْرِي لِيئنْ أَنْزَفْتُمْ أَوْ صَحَوْتُمْ لَبِئْسَ النَّدَامَى أَنْتُمْ آلَ أَبَجْرَا<sup>(١)</sup>

ويقال: أنزف أيضاً أي نَفَذَ<sup>(٢)</sup> شَرَابَهُ. وأما الثانية فمن نَزَفَ أيضاً بالمعنى المتقدم وقيل هو من قولهم: نَزَفَتِ الرَّكِيَّةُ أي نَزَحَتْ<sup>(٣)</sup> ماءها. والمعنى أنهم لا تذهب خمورهم<sup>(٤)</sup> بل هي باقية أبداً، وضمن يَنْزِفُونَ معنى يصدون عنها بسبب التَّزْيِيفِ.

وأما القراءتان الأخيرتان<sup>(٥)</sup> فيقال: نَزَفَ الرَّجُلُ وَنَزَفَ بِالْكَسْرِ وَالضَّمِّ بِمَعْنَى ذَهَبَ عَقْلُهُ بِالسُّكْرِ، ولما ذكر تعالى صفة مشروبهم ذكر عقيبه صفة منكوحهم فقال: «وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عَيْنٌ». «قاصرات الطرف» يجوز أن يكون من باب الصِّفَةِ المشبهة<sup>(٦)</sup> أي قاصرات أطرافهن كَمُنْطَلِقِ اللِّسَانِ، وأن يكون من باب إطلاق اسم الفاعل<sup>(٧)</sup> على أصله. فعلى الأول المضاف إليه مرفوع المحل<sup>(٨)</sup> وعلى الثاني منصوبه<sup>(٩)</sup> أي قَصَرْنَ أَطْرَافَهُنَّ على أزواجهن. وهو مدح عظيم قال امرؤ القيس:

٤٢٠١ - مِنْ الْقَاصِرَاتِ الطَّرْفِ لَوْ دَبَّ مَحْوَلٌ مِنْ الذَّرِّ فَوْقَ الْإِنْسِ مِنْهَا لِأَثْرَا<sup>(١٠)</sup>

ومعنى القصر في اللغة الحبس ومنه قوله تعالى: ﴿مَقْصُورَاتٌ فِي الْبَيْتِ﴾ [الرحمن: ٧٢]. والمعنى أنهم يَحْسِبْنَ نظرهنَّ ولا ينظرن إلى غير أزواجهن، والعَيْنُ جمع عَيْنَاءَ وهي الواسعة العينين والذِّكْرُ أَعْيُنٌ<sup>(١١)</sup>، قال الزجاج كِبَارُ الْأَعْيُنِ حِسَانُهَا<sup>(١٢)</sup>، يقال رَجُلٌ أَعْيُنٌ، وامرأة عَيْنَاءُ، ورجالٌ ونساءٌ عَيْنٌ<sup>(١٣)</sup>.

قوله: «كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ» والبييض جمع بَيْضَةٌ وهو معروف والمراد به هنا بيض

(١) البيت مختلف في نسبه فقد نسب في المجاز ١٦٩/٢ إلى الأبيرد البياضي ونسبه القرطبي للحطينة والسمين وأبو حيان إلى الأسود العنسي. وشاهده: استعمال (أنزف) رباعياً قاصراً وغير متعد. وانظر: القرطبي ٧٩/١٥ والبحر ٣٥٠/٧ والسمين ٥٤٩/٤، والمحتسب ٣٠٨/٢ والكشاف ٣٤٠/٣.

(٢) في ب: فقد. وانظر: المعاني ٣٨٥/٢.

(٣) الكشاف ٣٤٠/٣ والكشف ٢٢٤/٢ والركية: البئر تحفر؛ اللسان «ركا» ١٧٢٢ و ٤٣٩٧ «ن ز ف».

(٤) في ب: جمودهم. لحن وخطأ.

(٥) وهي قراءة يتزفون بفتح الياء وكسر الزاي، ويتزفون بالفتح والضّم وانظر: الدر المصون ٥٠٠/٤.

(٦) حيث إنها تدل على الثبوت والدوام بخلاف.

(٧) اسم الفاعل فإنه يدل على التجدد والحدوث.

(٨) على اعتبار أن الطرف هو القاصر أي قصر طرفهن.

(٩) على اعتبار أن الطرف مقصور والفاعل ضمير في اسم الفاعل، كما أوّل: «قصرن أطرافهن».

(١٠) له من الطويل والمحول: الصغير من الذر وهو ضرب من النمل، والإتب القميص ويروي فوق الخد. وهو يقول لا تنظر إلا إلى بعلها فقط والشاهد «قاصرات الطرف» فإنه اسم فاعل أضيف إلى مفعوله فهو

منصوب وقد تقدم.

(١٢) معاني القرآن وإعرابه ٣٠٤/٤.

(١١) قاله أبو عبيدة ١٧٠/٢.

(١٣) اللسان عين ٣١٩٦، ٣١٩٧.

النَّعَامِ، والمكون المصون المستور من كَنَنْتُهُ أي جعلته في كِنٍ<sup>(١)</sup> والعرب تشبه المرأة بها في لونها وهو بياض مشوب<sup>(٢)</sup> ببعض صُفرة والعرب<sup>(٣)</sup> تحبه.  
قال امرؤ القيس:

٤٢٠٢ - وَبَيْضَةٌ خَدٌ (ر) لَا يَرَامُ خِبَاؤُهَا تَمَتَّعْتُ مِنْ لَهْوِ بِهَا غَيْرَ مَعْجَلٍ  
كَبِكْرٍ مُقَانَاةَ الْبَيَاضِ بِصُفْرَةٍ عَذَاهَا تَمِيزُ الْمَاءِ غَيْرُ الْمُحَلَّلِ<sup>(٤)</sup>  
وقال ذو الرمة:

٤٢٠٣ - بَيْضَاءُ فِي بَرَجٍ صَفْرَاءُ فِي عَنَجٍ كَأَنَّهَا فِضَّةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبٌ<sup>(٥)</sup>  
وقال بعضهم: إنما شبهت المرأة بها في أجزائها فإن البيضة من أي جهة أتيتها كانت في رأي العين مشبهة للأخري. وهو في غاية المدح وقد لاحظ هذا بعض الشعراء حيث قال:

٤٢٠٤ - تَنَاسَبَتِ الْأَعْضَاءُ فِيهَا فَلَا تَرَى  
بِهِنَّ اخْتِلَافًا بَلْ أَتَيْنَ عَلَى قَدْرِ<sup>(٦)</sup>  
ويجمع البيض على يَبُوضُ قال:

٤٢٠٥ - بِتَيْهَاءٍ قَفْرٍ وَالْمَطْيِ كَأَنَّهَا قَطَا الْحَزْنِ قَدْ كَانَتْ فِرَاحًا بِيُوضِهَا<sup>(٧)</sup>  
قال الحسن: شب (ها)<sup>(٨)</sup> بهن ببيض النعام تكئها<sup>(٩)</sup> بالرَّيش عن الريح والغبار فلونها أبيض في صفرة.

(١) اللسان كتن ٣٩٤٢، ٣٩٤٣. (٢) كذا في «أ» مشوب.

(٣) انظر اللسان: «ب ي ض» ٣٩٨.

(٤) هما من بحر الطويل له من مغلقة المشهورة والخياء ما كان على عمودين أو ثلاثة، ولا يرام خباؤها كناية عن عزتها ومنعتها والخدر: بيت المرأة وهنا شبهها في ملمسها وصفائها بالبيضة. ومن هنا جاء البيت، والبكر: أول بيضة تضعها النعام، والمقانة المخالطة التي قوني بياضها بصفرة أي خلط. ويرور المقانة البياض. وفي تلك الحال يجوز خفض البياض ونصبه على اختلاف بين البصريين والكوفيين في النصب كما يجوز رفعه. وقد تقدم.

(٥) من البسيط له في وصف الخمر، والبرج شدة البياض والظهور. والغنج الدُّلُّ. وشاهده بياضه فإن بياض الخمر مشرب بصفرة. وأقد تقدم.

(٦) من الطويل ولم يعرف قائله. وأتى به استثناءً للمعنى قبله من تشبيه المرأة بالبيضة، وانظر: البحر ٧/ ٣٦٠ و ٢٩٨/٨ والدر المصون ٥٥١/٤.

(٧) البيت من بحر الطويل أيضاً وهو لعمرو بن أحمر والتهاء الصحراء، والقفر الخالي. والقطا: طير سريع الطيران والحزن الأرض الغليظة. يصف سرعة المطي بأنها مثل سرعة القطا في طيرانه. والشاهد أن البيوض جمع بيضة. وانظر: الأشموني ١/ ٢٣٠ وابن يعيش ٧/ ١٠٢، والدر المصون ٥٥١/٤ واللسان عرض والخزاة ٢٠١/٩.

(٨) الهاء ساقطة من ب ففيها شهن.

(٩) في ب: لكنها تحريف وغير مراد ورأي الحسن موافق لرأي أبي إسحاق الزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٣٠٤/٤.

يقال: هذا أحسن ألوان النساء تكون المرأة بيضاء مُشْرِبةً صفرة<sup>(١)</sup>، (وإنما<sup>(٢)</sup>) ذكر الممكنون والبيض جمع مؤنث لأنه رده إلى اللفظ<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ إِذَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِهْنَا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ قَرَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدَتْ لَتُرْدِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّيْنَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَذَا هُوَ الْقَوْرُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِيُنِيلَ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾﴾

قوله: «فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ» وهذا على عطف قوله: «يُطَافُ عَلَيْهِمْ»<sup>(٤)</sup> والمعنى يشربون فيتحدثون على الشراب قال:

٤٢٠٦ - وَمَا بَقِيَتْ مِنَ اللَّذَاتِ إِلَّا مُحَادَّةُ الْكِرَامِ عَلَى الْمُدَامِ<sup>(٥)</sup>  
وأتى بقوله «فَأَقْبَلَ» ماضياً لتحقيق وقوعه، كقوله «وَتَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ»<sup>(٦)</sup>  
[الأعراف: ٥٠] وقوله: «يَتَسَاءَلُونَ» حال من فاعل «أَقْبَلَ» والمعنى: أهل الجنة يسأل بعضهم بعضاً عن حاله في الدنيا.

قوله: «قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ» أي في الدنيا ينكر البعث. و «يَقُولُ أَتُنكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ» أي كان يوبخني على<sup>(٧)</sup> التصديق بالبعث والقيامة ويقول تعجباً: «أَبْنَا مِثْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَتُنَّا لَمَدِينُونَ» أي لمحاسبون ومُجَازُونَ، والمعنى أن ذلك القرين كان يقول هذه الكلمات على سبيل الاستنكار. واعلم أنه تعالى لما ذكر أن أهل الجنة يتساءلون عند اجتماعهم على الشرب ويتحدثون كانت من جملة كَلِمَاتِهِمْ<sup>(٨)</sup> أنهم يتذكرون ما كان قد حصل لهم في الدنيا مما يوجب الوقوع في عذاب الله ثم إنهم تخلصوا عنه وفازوا بالسعادة الأبدية. قال مجاهد: كان ذلك القرين شيطاناً، وقيل: كان من الإنس، وقال مقاتل: كانا أَخَوَيْنِ<sup>(٩)</sup>. وقيل: كانا شريكين<sup>(١٠)</sup> حصل لهما ثمانية آلاف دينار

(١) نقله الإمام أبو الفرج بن الجوزي في زاد المسير ٥٨/٧.

(٢) ما بين القوسين سقط من ب. (٣) فلفظ البيض مذكر وهو اسم جنس له مفرد من لفظه بالتاء بيضة.

(٤) انظر: الدر المصون ٥٥١/٤.

(٥) من الوافر ولم أهد إلى قائله. وأتى به استثناءً للمعنى المتقدم عليه أي أن هؤلاء الأقوام لا يتكلمون ويتسامرون إلا عند الشرب وانظر: القرطبي ٨١/١٥، والكشاف ٣/٣٤٠ والبحر ٧/٣٦ والرازي ٢٦/١٣٨، والدر المصون ٥٥٢/٤.

(٦) المراجع السابقة. (٧) في ب: عن.

(٨) في ب: كلامهم. (٩) وانظر: الرازي ٢٦/١٣٩ وزاد المسير ٥٩/٧.

(١٠) وهو رأي مقاتل، انظر: زاد المسير ٥٩/٧ وانظر: معالم التنزيل والرازي ٢٦/١٣٩.

فَتَقَاسَمَاها واشترى أحدهما داراً بألف دينار فأراها صاحبه وقال كيف ترى حسنهما؟ (فقال<sup>(١)</sup>: «مَا أَحْسَنَهَا»)، ثم خرج فتصدق بألف دينار وقال: اللهم إن صاحبي قد ابتاع هذه الدار بألف دينار وإني أسألك داراً من دور الجنة ثم إن صاحبه تزوج امرأة حسناء بألف دينار، فتصدق صاحبه بألف دينار لأجل أن يزوجه الله تعالى من الحُورِ العِينِ ثم إن صاحبه اشترى بساتين بألفي دينار فتصدق هذا بألفي دينار، ثم إن الله تعالى أعطاه ما طلب في الجنة.

وقيل: كان أحدهما كافراً اسمه نُظْرُوس والآخر مؤمن اسمه يَهُودَا وهما اللذان قص الله خبرهما في سورة<sup>(٢)</sup> الكهف: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَجُلَيْنِ﴾ [الكهف: ٣٢].

قوله: «لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ» العامة على التخفيف الصاد من التصديق أي لمن المصدقين بقاء الله. وقرىء بتشديدها من الصَّدَقَة<sup>(٣)</sup>، واختلف القراء في هذه الاستفهامات الثلاثة وهي قوله: «أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ» «أَيُّدَا مِثْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا» «أَيُّنَّا لَمَدِيُونٌ» فقرأ نافع الأولى والثانية بالاستفهام بهمزة غير مهموسة<sup>(٤)</sup> والثالثة بكسر الألف من غير استفهام. (ووافق<sup>(٥)</sup> الكسائي إلا أنه يستفهم الثالثة بهمزتين وابن عامر الأولى والثالثة بالاستفهام بهمزتين والثانية بكسر الألف من غير استفهام). والباقون بالاستفهام في جميعها. ثم اختلفوا فابن كثير يستفهم بهمزة واحدة غير مطولة وبعدها ياء ساكنة خفيفة وأبو عمرو مطولة وحمزة وعاصم بهمزتين<sup>(٦)</sup>.

## فصل

ثم إن ذلك الرجل يقول لجلسائه يدعوهم إلى كَمَالِ الشُّرُورِ بالاطلاع إلى النار لمشاهدة ذلك القرين ومخاطبته «هَلْ أَنتُمْ مَطَّلِعُونَ» إلى النار فيقول أهل الجنة أنت أعرف به<sup>(٧)</sup> منا «فأطلع أنت». قال ابن عباس: إن في الجنة كَوْرِي ينظر أهلها منها إلى النار. قوله: «مَطَّلِعُونَ» قرأ العامة بتشديد الطاء مفتوحة وفتح النون فأطلع ماضياً مبنياً للفاعل افتعل من الطلوع. وقرأ ابن عباس في آخرين - ويروى عن أبي عمرو - بسكون الطاء وفتح النون «فأطلع» بقطع (ال)<sup>(٨)</sup> بهمزة مضمومة وكسر اللام ماضياً مبنياً

(١) سقط من نسخة ب.

(٢) المرجع السابق.

(٣) من القراءة المتواترة فقرأ حمزة بالتشديد، وانظر: زاد المسير ٥٩/٧، فيما رواه عن حمزة بكر بن عبد

الرحمن القاضي، وانظر: البحر المحيط ٣٦٠/٧، وكذلك الكشاف ٣٤١/٣ بدون نسبة أيضاً.

(٤) كذا هنا في أ وفي ب مهموزة وفي الرازي ممدودة.

(٥) ما بين المعرفين كله سقط من نسخة ب.

(٦) وانظر: الفخر الرازي ١٤٠/٢٦ وإتحاف فضلاء البشر ٢٦٩.

(٧) في ب: بئاً مثلاً. وانظر البغوي ٢٢/٦.

(٨) زيادة من أ.

للمفعول<sup>(١)</sup>، ومطلعون على هذه القراءة يحتمل أن يكون قاصراً أي مقبلون من قولك: اطلع علينا فلان أي أقبل<sup>(٢)</sup>، وأن يكون متعدياً ومفعوله محذوف أي أضحابكم<sup>(٣)</sup>، وقرأ أبو البرهسم وحماد بن<sup>(٤)</sup> أبي عمار: مُطْلِعُونَ خفيفة الطاء مكسورة النون فأُطْلِعَ مبنياً للمفعول<sup>(٥)</sup>، ورد أبو حاتم وغيره<sup>(٦)</sup> هذه القراءة من حيث الجمع بين النون وضمير المتكلم إذ كَانَ قِيَّاسَهَا مُطْلِعِيٍّ، والأصل مُطْلِعُوي فأبدل فأدغم نحو: جاء مُسْلِمِي القاطنُونَ وقوله عليه - (الصلاة و) السلام - «أَوْ مُخْرَجِي هُمْ»<sup>(٧)</sup>، وقد وجهها ابن جني على أنها أجري فيها اسم الفاعل مُجْرَى المضارع يعني في إثبات النون فيه مع الضمير<sup>(٨)</sup> وأنشد الطبري على ذلك:

٤٢٠٧ - وَمَا أَذْرِي وَظَنِّي كُلَّ ظَنِّي أَمْسَلِمُنِي<sup>(٩)</sup> إِلَى قَوْمِي شَرَّاحٍ<sup>(١٠)</sup>

وإليه نحا الزمخشري قال: أو شبه اسم الفاعل في ذلك بالمضارع لتآخ بينهما (كأنه)<sup>(١١)</sup> قال يُطْلِعُونَ<sup>(١٢)</sup> وهو ضعيف لا يقع إلا في شعر<sup>(١٣)</sup>. وذكر فيه فيه تَوْجِيهاً آخر فقال: أراد مُطْلِعُونَ إِيَّاي فوضع المتصل موضع المنفصل<sup>(١٤)</sup> كقوله:

(١) من القراءات المتواترة فقد رواها ابن مجاهد في السبعة ٥٤٨ كما رويت في الإتحاف ٣٦٩ وانظر أيضاً المحتسب ٢١٩/٢ ومختصر ابن خالويه ١٢٧ و ١٢٨.

(٢) قاله ابن جني في المحتسب ٢١٩/٢ و ٢٢٠ والسمين في الدر ٥٥٢/٤.

(٣) قاله أبو البقاء في التبيان ١٠٩٠. (٤) لم أقف على ترجمة له.

(٥) انظر: الكشاف ٣٤١/٣ والبحر ٣٦١/٧ والتبيان ١٠٩٠ والبيان ٣٠٤/٢ وإعراب الزجاج ٣٠٤/٤ و ٣٠٥.

(٦) تكاد كل الكتب التي رجعت إليها تضعف هذه القراءة لهذه العلة المذكورة حيث الجمع بين الإضافة «الواو» والنون. قال بذلك الزجاج في معاني القرآن ٣٠٤/٤ و ٣٠٥ والنحاس في الإعراب ٤٢٢/٣ ومعاني الفراء ٣٨٥/٢ والتبيان ١٠٩٠/٢ والبيان ٣٠٤/٢ و ٣٠٥ ومشكل إعراب مكِّي ٢٣٦/٢ والقرطبي ٨٣/١٥ والبحر ٣٦١/٧، والسمين ٥٥٢/٤.

(٧) ذكره الإمام البخاري في صحيحه ٧/١ من حديث طويل عن عائشة رضي الله عنها.

(٨) قال في المحتسب ٢٢٠/٢: والأمر على ما ذهب إليه أبو حاتم إلا أن يكون على لغة ضعيفة وهو أن يجرى اسم الفاعل مجرى الفعل المضارع لقربه منه، فيجري «مطلعون» مجرى يطلعون وعليه قال بعضهم:

أرأيت إن جئت به أم لوداً  
أقائلن أحضروا الشهوداً

فوكد اسم الفاعل بالنون وإنما بابها الفعل كقوله تعالى ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾.

(٩) في ب: أسلمني وهو ما يخالف روايته.

(١٠) من تمام الوافر وهو ليزيد بن محرم الحارثي وشاهده: «أسلمني» حيث بقيت نون الوقاية مع اسم الفاعل وهي لا تكون إلا مع الفعل لأنها تقيه من الكسر الذي يخص الاسم. وذلك الذي نرى شاذ وقياسه أسلمني كمخرجي السابق وقد تقدم.

(١١) سقط من ب فقط.

(١٢) في الكشاف تطلعون.

(١٣) و (١٤) الكشاف ٣٤١/٣.

٤٢٠٨ - هُمُ الْفَاعِلُونَ الْخَيْرَ وَالْأَمْرُونَ (١)

ورده أبو حيان بأن هذا ليس من مواضع المنفصل حتى يدعي أن المتصل (٢) وقع موقعه لا يجوز: «هَذَا زَيْدٌ ضَارِبٌ إِيَّاهَا» ولا «زَيْدٌ ضَارِبٌ إِيَّايَ». قال شهاب الدين: وإنما لم يجر ما ذكر لأنه إذا قدر على المتصل لم يُعَدَلْ إلى المنفصل (٣). ولِقَائِلِ أَنْ يَقُولَ: لَا أَسْلَمُ (٤) أَنَّهُ يَقْدَرُ عَلَى الْمَتَّصِلِ حَالَةَ ثُبُوتِ النَّوْنِ أَوْ التَّنْوِينِ قَبْلَ الضَّمِيرِ بَلْ يَصِيرُ الْمَوْضِعُ مَوْضِعَ الضَّمِيرِ الْمُنْفَصِلِ فَيَصِحُّ مَا قَالَ (هـ) (٥) الزمخشري، وللنحاة في اسم الفاعل المنون قبل ياء المتكلم نحو البيت المتقدم وقول الآخر:

٤٢٠٩ - فَهَلْ قَتَى مِنْ سَرَاةِ الْقَوْمِ يَحْمِلُنِي وَلَيْسَ حَامِلُنِي إِلَّا ابْنُ حَمَّالٍ (٦)

وقول الآخر:

٤٢١٠ - وَلَيْسَ بِمُعِينِي وَفِي النَّاسِ مُنْعٍ صَدِيقٌ وَقَدْ أَعْيَى عَلَيَّ صَدِيقٌ (٧)

قولان:

أحدهما: أنه تنوين وأنه شد ثبوته مع الضمير. وإن قلنا: إن الضمير بعده في محل نصب (٨)

(١) يروى: القاتلون الخير ويروى: الأمرون الخير. من الطويل وهو مجهول القائل عجزه:

إِذَا مَا خَشُوا مِنْ مَحْدَثِ الْأَمْرِ مَعْظَمًا

والشاهد: الجمع بين النون (نون جمع المذكر) والإضافة (الهاء) وحكم المضمرة أن يعاقب النون والتنوين لأنه بمنزلةتهما في الاتصال والضعف وقد عاقب المظهر النون والتنوين مع قوته وانفصاله. وقد زعم سيبويه أنه مصنوع وانظر: الكتاب ١/١٨٨ وابن يعيش ٢/١٢٥ ومجالس ثعلب ١٢٣ ومعاني القراء ٢/٣٨٦ والكشاف ٣/٣٤١ والدر ٤/٥٥٣ والخزانة ٤/٢٦٩ وكامل المبرد ١/٣٦٤ والبحر ٧/٣٦١.

(٢) المرجع السابق.

(٣) الدر ٤/٥٥٣.

(٤) في ب: لا نسلم، وهذا رأي السمين الحلبي وعرضه في كتابه الدر. وقد رجح أبو حيان في البحر تخريج أبي الفتح وهو شبه الاسم للفعل. انظر: البحر ٧/٣٦١ والسمين ٤/٥٥٣.

(٥) الهاء زيادة من أ.

(٦) من السيط من أبيات لأبي محلم السعدي ويروى: أَلَا قَتَى مِنْ بَنِي ذُبْيَانَ. وشاهده حاملي حيث جاءت نون الوقاية مع اسم الفاعل والأصح: حاملي، كمسلمي ومخرجي، فالنون مع الفعل لهدف وهنا مع ياء المتكلم الذي مع الاسم لا هدف لها، ومن ثم تحتم الشذوذ، وانظر: الإنصاف ١٢٩ والبحر ٧/٣٦١ والدر ٤/٥٥٣، وشرح الرضي على كافي ابن الحاجب ١/٢٨٣ والكامل ١/٣٦٣، ٣٦٤. والرواية فيه يحملني وعليه فلا شذوذ فيه والخزانة ٤/٢٦٥ والبيان ٢/٣٠٥.

(٧) من الطويل مجهول القائل. وشاهده كسابقه في «معيني» وانظر: البحر ٧/٣٦١ والأشموني ١/١٣٦ والدر المصون ٤/٥٥٤.

(٨) نسب ابن هشام في المغني هذا الرأي إلى هشام الكوفي قال: وزعم هشام أن الذي في «أسلمني» ونحوه تنوين لا نون وبنى ذلك على قوله في «ضاريني» أن الياء منصوبة. المغني ٣٤٥.

والثاني: أنه ليس تنويناً وإنما هو نون وقاية<sup>(١)</sup>.

واستدل ابن مالك على هذا بقوله: وليس بمعيّني، وبقوله أيضاً:

٤٢١١ - وَلَيْسَ الْمُؤَافِنِي (وَفِي الثَّاسِ مُنْبِغٌ صَدِيقٌ إِذَا أَعْيَا عَلَيَّ صَدِيقٌ)<sup>(٢)</sup>

ووجه الدلالة من الأول أنه لو كان تنويناً لكان ينبغي أن يحذف الياء قبله لأنه منقوص منون، والمنقوص المنون تحذف ياءه رفعاً وجراً لالتقاء الساكنين، ووجهها من الثاني أن الألف واللام لا تجامع التنوين. والذي يرجح القول الأول ثبوت النون في قوله: «وَالْأَمْرُونَةُ»<sup>(٣)</sup>، وفي قول الآخر:

٤٢١٢ - وَلَمْ يَرْتَفِقْ وَالنَّاسُ مُخْتَضِرُونَهُ جَمِيعاً وَأَيْدِي الْمُعْتَفِينَ رَوَاهِقَهُ<sup>(٤)</sup>

فإن النون قائمة مقام التنوين ثنية وجمعاً على حدها، وقال أبو البقاء «وتقرأ بكسر النون». وهو بعيد جداً؛ لأن النون إن كانت للوقاية فلا تلحق الأسماء وإن كانت نون الجمع لا تثبت في الإضافة<sup>(٥)</sup> وهذا الترديد صحيح لولا ما تقدم من الجواب عنه مع تكلف فيه وخروج عن القواعد<sup>(٦)</sup>.

(وَقُرِيءَ)<sup>(٧)</sup> مُطَّلَعُونَ بِالتَّشْدِيدِ كَالْعَامَةِ فَاطَّلَعَ مُضَارِعاً) منصوباً (بإضمار<sup>(٨)</sup>) «أن» على

(١) ظاهر كلام ابن مالك في التسهيل ص ٢٥ قال وقد تلحق نون الوقاية مع اسم الفاعل وأفعال التفضيل.

(٢) الواقع أن ما بين القوسين كله تخليط من الناسخ لبيت آخر هو السابق عليه وإنما البيت المعني هو:

وليس الموافيني ليرفد خائباً فإِنَّ لَهُ أضعاف ما كان له أملاً

وهو من الطويل مجهول القائل والموافيني اسم فاعل من وافى كعادي وقاضى ويرفد يعطي من الرشد وهو العطاء والشاهد: الموافيني فقد استدل ابن مالك على أن النون نون الوقاية لا تنوين لأنه لا يجامع الألف واللام. وانظر: توضيح المقاصد ١/١٦٦ والأشموني ١/١٢٦ والمغني ٤/٣٤٥ والمقاصد الكبرى للعيّني ١/٣٨٧ وأجاز رواية أملاً والدر المصون ٤/٥٤٤.

(٣) قد سبق عما قريب.

(٤) من الطويل مجهول القائل. وروي: يرتفق بدل يرتفق. واحتضر بمعنى حضر وشهد والارتفاق الالتقاء والرواهق الذين جاءوه والمعتهي طالب المعروف يقول إنه لم يشغل عن قضاء حاجة الملهوف مهما كان الأمر وشاهده «محتضرونه» فقد جمع بين الواو واو جمع المذكر والهاء «الإضافة». والشاهد الآخر الذي نحن بصده الآن أن هذا تأييد لوجه نظر هشام الذي يقول: إن النون هي التنوين بدليل ثبوتها جمعاً وثنية. وانظر: الدر المصون ٤/٥٥٤ وابن يعيش ٢/١٢٥ وشرح الكافية ١/٢٨٣ والخزانة ٤/٢٧١ وكامل المبرد ٢/٣٦٤ وكتاب سيبويه ١/١٨٨ وقد اتفقوا على أن هذا البيت من المصنوعات كما سبق في نظيره «الأمرونه».

(٦) انظر: الدر المصون ٤/٥٥٤.

(٥) التبيان ١٠٩٠.

(٧) ما بين القوسين كله سقط من نسخة ب وقد روى أبو الفتح في المحتسب ٢/٢١٩، ٢٢٠ قراءة مطلعون فأطلع وانظر أيضاً الدر المصون ٤/٥٥٤.

(٨) ما بين القوسين الصغيرين سقط من ب وما بين الكبيرين كله ساقط من أ.

جواب الاستفهام). وقرئ مُطْلِعُونَ بالتخفيف فَاطْلِعَ مخففاً ماضياً ومخففاً مضارعاً على ما تقدم يقال: طَلَعَ عَلَيْنَا فلانٌ وَأَطْلَعَ كَأَكْرَمَ وَأَطْلَعَ بالتشديد بمعنى واحد<sup>(١)</sup>. وأما قراءة من بنى الفعل للمفعول ففي القائم مقام الفاعل ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه مصدر الفعل أي أَطْلَعَ الاطْلَاعَ<sup>(٢)</sup>.

الثاني: الجار المقدر<sup>(٣)</sup>.

الثالث: - وهو الصحيح - أنه ضمير القائل لأصحابه ما قاله لأنه يقال: طَلَعَ زَيْدٌ وَأَطْلَعَهُ غَيْرُهُ فالهمزة فيه للتعدية<sup>(٤)</sup>، وأما الوجهان الأولان فذهب إليهما أبو الفضل الرازي في لَوَامِحِهِ فقال: طلع وأطلع إذا بدا وظهر وأطلع اطلاقاً إذا جاء وأقبل. ومعنى ذلك: هل أنتم مقبلون فأقبل، وإنما أقيم المصدر فيه مُقَامَ الفاعل بتقدير فاطلع الاطلاع، أو بتقدير حرف الجر المحذوف أي أَطْلَعَ بِهِ لأن أَطْلَعَ لازم كما أن أقبل كذلك<sup>(٥)</sup>. ورد عليه أبو حيان هذين الوجهين فقال قد ذكرنا أن «أَطْلَعَ» بالهمزة معدى بها من طلع اللازم. وأما قوله أو حرف الجر المحذوف أي اطلع به فهذا لا يجوز لأن مفعول ما لم يسم فاعله لا يجوز حذفه لأنه نائب عنه<sup>(٦)</sup> فكما أن الفاعل لا يجوز حذفه دون عامله<sup>(٧)</sup>، فكذلك هذا لو قلت: «زَيْدٌ مَمْزُورٌ أو مَغْضُوبٌ» تريد «به» أو «عليه» لم يجز<sup>(٨)</sup>.

قال شهاب الدين: أبو الفضل لا يدعي أن النائب عن الفاعل محذوف وإنما قال: بتقدير حرف الجر المحذوف. (ومعنى<sup>(٩)</sup> ذلك) أنه لما حذف حرف الجر اتساعاً<sup>(١٠)</sup> انقلب الضمير مرفوعاً فاستتر في الفعل كما يدعى ذلك في حذف عائد الموصول المجرور عند عدم شروط الحذف ويُسمى الحذف على التدرج<sup>(١١)</sup>.

(١) الكشاف السابق والبحر ٣٦١/٧.

(٢) هذا رأي ابن جني في المحتسب المرجع السابق قال: «فالفعل إذا الذي هو اطلع مسند إلى مصدره أي فاطلع الاطلاع كقولك: قد قيم أي قيم القيام، وقد تعد أي تعد القعود».

(٣) نقله أبو حيان عن أبي الفضل الرازي. انظر: البحر ٣٦١/٧.

(٤) هذا رأي أبي حيان في البحر المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

(٦) كذا في أ والبحر وفي ب عن الفاعل.

(٧) كذا الأصح منهما أيضاً وفي ب فاعله تحريف.

(٨) ورأي أبي حيان هذا سديد فثبت من هذا أن الفعل إذا بني للمجهول فإن النائب عن الفاعل هو ضمير القائل لأصحابه وانظر: البحر ٣٦٢/٧، ٣٦٣، ونفس رأي أبي حيان هو رأي الفراء في معانيه ٣٨٧/٢ وانظر أيضاً البيان ١٠٥/٢ ومشكل الإعراب ٢٣٦/٢، ٢٣٧، وإعراب النحاس ٤٢٣/٣ ومعاني الزجاج ٣٠٤/٤.

(٩) كذا هي في الدر المصون و «أ». وحذفت من ب.

(١٠) وحروف الجر والظروف يتوسع فيها ما لا يتوسع في غيرها.

(١١) قاله في الدر لمصون ٥٥٥/٤.

قوله: «فَرَأَهُ» عطف على «فَاطَّلَعَ»<sup>(١)</sup>. و «سَوَاءُ الْجَحِيمِ» وسطها<sup>(٢)</sup>، وأحسن ما قيل فيه ما قاله ابن عباس سمي بذلك لاستواء المسافة منه إلى الجوانب<sup>(٣)</sup>، وعن عيسى بن عُمَرَ أنه قال لأبي عُبَيْدَةَ<sup>(٤)</sup>: كنت أكتب حتى<sup>(٥)</sup> ينقطع سوائي<sup>(٦)</sup>.  
قوله: «تَاللَّهِ» قسم فيه تعجب<sup>(٧)</sup>، و «إِنْ» مخففة<sup>(٨)</sup> أو نافية<sup>(٩)</sup>. واللام في «لُتْرَدِينَ» فارقة أو بمعنى إلا. وعلى التقديرين فهي جواب القسم أعني إن وما في خبرها<sup>(١٠)</sup>.

## فصل

قال المفسرون: إنه ذهب إلى أطراف الجنة فاطلع عندها إلى النار فَرَأَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ أي وسط الجحيم فقال له توبيخاً: «تالله إن كدت لتردين» أي والله لقد كدت أن تهلكني. وقال مقاتل: والله لقد كدت أن تُغْوِيَنِي ومن أغوى إنساناً فقد أهلكه، والرَّدَى<sup>(١١)</sup> الهلاك أي تهلكني بدعائك إِيَّاي إلى إنكار البعث والقيامة. «وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي» أي رحمة ربي وإنعامه عليّ بالإسلام «لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضَرِّينَ» معك في النار. ولما تمم الكلام مع قرينه الذي هو في النار عاد<sup>(١٢)</sup> إلى مخاطبة جلسائه من أهل الجنة وقال: «أَقَمَّا نَحْنُ بِمَيْتِينَ» قال بعضهم: إن أهل الجنة لا يعلمون في أول دخولهم الجنة أنهم لا يموتون فإذا جيء بالموت على صورة كَبَشٍ أَمْلَحٍ وذُبْحٍ يقول أهل الجنة للملائكة: «أَقَمَّا نَحْنُ بِمَيْتِينَ؟» فتقول الملائكة: لا. فعند ذلك يعلمون أنهم لا يموتون. وعلى هذا فالكلام حصل قبل ذبح الموت<sup>(١٣)</sup>. وقيل: إن الذي تكاملت سعادته إذا عظم تعجُّبه بها يقول ذلك. والمعنى أهذا لي على جهة الحديث بنعمة الله عليه<sup>(١٤)</sup>، وقيل: يقوله المؤمن لقرينه توبيخاً له بما كان ينكره<sup>(١٥)</sup>.

قوله: «بِمَيْتِينَ» قرأ زيد بن عُمَرَ<sup>(١٦)</sup>، وهما مثل ضَيِّقٍ، وضائق كما

(١) السابق.

(٢) المجاز ١٧٠/٢.

(٣) البحر ٣٦٢/٧.

(٤) في ب: عند.

(٥) المجاز السابق ١١٧٠/٢ وانظر الكشاف للزمخشري ٣٤١/٣ وانظر: اللسان (سوى) ١٢٦٣.

(٦) قاله أبو حيان في البحر ٣٦٢/٧. (٨) من الثقلة. وعليه فاسمها ضمير الشأن محذوف.

(٩) بمعنى ما أي ما كدت. (١٠) السمين ٥٥٥/٤.

(١١) المجاز ١٧٠/٢.

(١٢) في ب: دعا. وانظر: زاد المسير ٦٠/٧ والقرطبي ٨٣/١٥، ٨٤.

(١٣) ذكره الكلبي. وانظر: تفسير العلامة ابن الجوزي ٦٠/٧، ٦١.

(١٤) السابق. (١٥) السابق. ونسب هذا القول إلى الثعلبي.

(١٦) هذه القراءة نسبها أبو حيان في البحر ٣٦٢/٧ ولم ينسبها للزمخشري كعادته في الكشاف انظر:

الكشاف ٣٤١/٣ وانظر: الدر المصون ٥٥٦/٤.

تقدم<sup>(١)</sup>، وقوله «أَقَمَّا» فيه الخلاف المشهور، فقدّره الزمخشري أَنْحَنُ مُخَلَّدُونَ مُتَعَمُّونَ فما نحن بميتين<sup>(٢)</sup>، وغيره يجعل الهمزة متقدمة على الفاء.

قوله: «إِلَّا مَوْتَنَا» منصوب على المصدر، والعامل فيه الوصف قبله<sup>(٣)</sup>، ويكون استثناء مُفْرَعًا<sup>(٤)</sup>، وقيل: هو استثناء منقطع أي لكن الموتة الأولى كانت لنا في الدنيا<sup>(٥)</sup>. وهذا قريب في المعنى من قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ [الدخان: ٥٦]. وفيها هناك بحث حسن.

قوله: «إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» وهذا قول أهل الجنة عند فراغهم من (هذه)<sup>(٦)</sup> المحادثات. وقوله: «لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ» قيل: إنه من بقية كلامهم، وقيل: إنه ابتداء كلام من الله تعالى أي لمثل هذا النعيم الذي ذكرناه<sup>(٧)</sup>.

قوله تعالى: ﴿أَذَلِكْ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ (٦٢) ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾ (٦٣) ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ (٦٤) ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رِئُوسُ الشَّيْطَانِ﴾ (٦٥) ﴿فَأَنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ مِنْهَا فَمَا لَوْ أَنَّ الْبَطُونَ﴾ (٦٦) ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ (٦٧) ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرَجَهُمْ لِأَيِّ الْجَحِيمِ﴾ (٦٨) ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَاةٌ أَتَاءَهُمْ صَالِينَ﴾ (٦٩) ﴿فَهُمْ عَلَىٰ عَائِدِهِمْ مِهْرُونَ﴾ (٧٠) ﴿وَلَقَدْ صَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرَ الْأُولِينَ﴾ (٧١)

قوله: «أَذَلِكْ خَيْرٌ نُّزُلًا» أي أذلك الذي ذكره لأهل الجنة خيرٌ نزلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ. (فنزلًا) تمييز<sup>(٨)</sup> «الخير» والخيرية بالنسبة إلى ما اختاره الكفار على غيره. والزقوم شجرة مسمومة يخرج لها لبن متى مَسَّ جِسْمٌ أَحَدٍ تَوْرَمَ فَمَاتَ. والتزقم البلع بشدة وجهد للأشياء الكريهة<sup>(٩)</sup>، وقول أبي جهل وهو من العرب: لا نعرف الزقوم إلا بالتمر والزبد من العناد والكذب البحث<sup>(١٠)</sup>

(١) من قوله تعالى: ﴿فَلَمَلَكْ تَارِكٌ بَعْضُ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ﴾ [هود: ١٢] وهي من القراءات الشاذة أقصد قوله: «بماتين».

(٢) الكشاف ٣/٣٤١ فهو ومن تبعه يقدرون محذوفاً حتى يقولوا إن الهمزة في موضعها الأصلي فلم تقدم على حرف العطف. وهذا غير مذهب سيويه والجمهور الذين يقولون: إنها تقدم على العاطف تنبيهاً على أصلاتها في التصدير. (بتصرف من المعنى ١٥، ١٦).

(٣) قاله ابن الأنباري في البيان ٢/٣٠٥ وأبو البقاء في التبيان ١٠٩٠ ومشكل الإعراب ٢/٢٣٧ والإعراب للنجاشي ٣/٤٢٤.

(٤) السمين ٤/٥٥٦. (٥) المشكل والإعراب والتبيان المراجع السابقة.

(٦) سقط من ب. (٧) الدر المصون ٤/٥٥٦.

(٨) التبيان ١٠٩٠ والنحاس ٤/٤٢٤. والكشاف ٣/٣٤٢ وجوز فيه أيضاً الحالية.

(٩) و (١٠) اللسان «ز ق م» ١٨٤٦، والرازي ٢٦/١٤١ والسمين ٤/٥٥٦ واللسان ذكر الزقوم فعول من الرقم عن ثعلب.

## فصل

لما ذكر ثواب أهل الجنة ووصفها وذكر مآكل أهل الجنة ومشاربهم وقال: «لِمِثْلِ هذا فليعمل العاملون أتبعه بقوله: «قُلْ» يا محمد أذلك خيرٌ أم شجرة الزقوم ليصير ذلك زاجراً لهم عن الكفر. وذكر مآكل أهل النار ومشاربهم. والنُّزْلُ الفضل<sup>(١)</sup> الواسع في الطعام؛ يقال: طعام كثيرٌ النَّزْلُ، و (استعير)<sup>(٢)</sup> للحاضر<sup>(٣)</sup> من الشيء؛ ويقال: أرسل الأمير إلى فلان نُزْلاً وهو الشيء الذي يحصل حال من نزل بسببه. وإذا عرف هذا فحاصل الرزق المعلوم لأهل الجنة اللذة والسرور وحاصل شجرة الزقوم الألم والغم. ومعلوم أنه لا نسبة لأحدهما إلى الآخر في الجزائية إلا أنه جاء هذا الكلام إما على سبيل السخرية بهم أو لأجل أن المؤمنين لما اختاروا ما أوصلهم إلى الرزق الكريم العظيم والكافرين اختاروا ما أوصلهم إلى العذاب الأليم قيل لهم ذلك توبيخاً لهم على اختيارهم<sup>(٤)</sup>.

قال الكلبي: لما نزلت هذه الآية قال ابن الزُّبَيْرِي: أكثر الله في بيوتكم الزقوم فإن أهل اليمن يسمون التمر والزُّبْدَ بالزقوم فقال أبو جهل لجاريته: زَقْمِيْنَا فأتته بزُّبْدٍ وَتَمْرٍ وقال تَزَقَّمُوا<sup>(٥)</sup>. قال الواحدي: ومعلوم أن الله تعالى لم يرد بالزقوم ههنا التمر والزُّبْدَ<sup>(٦)</sup>. قال ابن دُرَيْدٍ<sup>(٧)</sup>: لم يكن للزقوم اشتقاق من الزِّقْمِ وهو الإفراط في أكل الشيء حتى يكره ذلك، يقال: بَاتَ فُلَانٌ يَتَزَقَّمُ<sup>(٨)</sup>. وظاهر لفظ القرآن يدل على أنها شجرة كريهة الطعم منتنة الرائحة شديدة الخسونة موصوفة بصفات رديّة وأنه تعالى يكره أهل النار على أكلها<sup>(٩)</sup>.

قوله: «إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ» أي الكافرين وذلك أن الكفار لما سمعوا هذه الآية قالوا: كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر؟ فأجيبوا: بأن خالق النار قادر على أن يمنع النار من إحراق الشجر؛ لأنه إذا جاز أن تكون في النار زبانية والله تعالى يمنع النار عن إحراقهم فَلِمَ لا يجوز مثله في هذه الشجرة؟

فمعنى كون شجرة الزقوم فتنّة للظالمين هو أنهم لما سمعوا هذه الآية وبقيت تلك الشبهة في قلوبهم وصارت سبباً لتماديتهم في الكفر فهو المراد من كونها فتنّة لهم. أو يكون المراد صيرورة هذه الشجرة فتنّة لهم من النار لأنهم إذا كلّفوا تناولها شق ذلك

(١) قاله ابن قتيبة في الغريب ٣٧١ وانظر الرازي أيضاً ١٤١/٢٦.

(٢) سقط من ب. (٣) كذا في التسخين وفي الرازي الحاصل.

(٤) قال بذلك الفخر الرازي ١٤١/٢٦. (٥) القرطبي ١٥/٨٥.

(٦) قاله الرازي ١٤١/٢٦. (٧) تقدم.

(٨) انظر: الجمهرة: «ز ق م» وانظر أيضاً اللسان لابن منظور: «ز ق م» ١٨٤٥، ١٨٤٦.

(٩) الرّازي ١٤١/٢٦.

عليهم فحينئذ يصير ذلك فتنةً في حقهم. أو يكون المراد من الفتنة الامتحان والاختبار فإن هذا شيء بعيد عن العرف والعادة. وإذا ورد على سمع المؤمن فوض علمه إلى الله وإذا ورد على الزنديق توسل به إلى الطعن في القرآن والنبوة. ثم إنه تعالى وصف هذه الشجرة بصفات الأولى قوله: «إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ» قال الحسن: أصلها في قعر جهنم وأغصانها ترتفع إلى دركاتها.

الصفة الثانية قوله: «طَلْعُهَا» أي ثمرها سمي طلعاً لطلوعه<sup>(١)</sup>. قال الزمخشري: الطَّلُعُ للنخلة فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها إما استعارة لفظية أو معنوية<sup>(٢)</sup>، قال ابن قتيبة: سمي طلعاً لطلوعه كل سنة<sup>(٣)</sup> فلذلك قيل: طلع النخل لأول ما يخرج من ثمره.

قوله: «رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ» فيه وجهان:

أحدهما: أنه حقيقة، وأن رؤوس الشياطين شجرة معينة<sup>(٤)</sup> بناحية اليمن تسمى الأستن قال النابغة:

٤٢١٣ - تَحِيدُ عَنْ أَسْتَنِ سَوْدٍ أَسَافِلَهَا      مِثْلَ الْإِمَاءِ الْعَوَادِي تَحْمِلُ الْحَزْمَا<sup>(٥)</sup>

وهو شجر منكر الصورة سَمَّتهُ العرب بذلك تشبيهاً برؤوس الشياطين في القبح ثم صار أصلاً يشبه به. وقيل: الشياطين صنف من الحيات ولهن أعراف قال:

٤٢١٤ - عُجَيْرٌ تَخْلِفُ حِينَ أُخْلِفُ      كَمِثْلِ شَيْطَانِ الْحَمَاطِ أَعْرَفُ<sup>(٦)</sup>

وقيل: شجر يقال له: الصوم ومنه قول ساعدة بن جؤيئة:

٤٢١٥ - مُوَكَّلٌ بِشُدُوفِ الصَّوْمِ يَرْقُبُهَا      مِنْ الْمَعَارِبِ مَخْطُوفِ الْحَشَا رَوْمُ<sup>(٧)</sup>

(١) المرجع السابق. (٢) الكشاف ٣/٣٤٢.

(٣) انظر: غريب القرآن له ٣٧٢ وتأويل المشكل له أيضاً ٣٠٢ وانظر: القرطبي ١٥/٨٦.

(٤) في السمين: شجر بعينه ووصفه اللسان بذلك ولم يحدد مكانه.

(٥) من السيمط وهو له يصف ناقة تعدل في سيرها وتبعد عن هذا الشجر كأنها خائفة منه والأستن - كما جاء في اللسان - شجر يفشو في منابته ويكثر وإذا نظر إليه الناظر من بعد شبهه بشخص الناس ولذلك يسمى برؤوس الشياطين. انظر اللسان: «س ت ن» ١٩٣٦ والدر المصون ٤/٥٥٦ وكامل المبرد ٣/١٩٣، وديوانه (٦٥).

(٦) رواية البيت هنا كما في البحر المحيط ٧/٣٦٣ والدر المصون ٤/٥٥٧ ورواه الفراء في المعاني: عنجرة تحلف... إلخ. والحماط: شجر تألفه الحيات، وأعرف: ذو عرف والمراد بشيطان الحماط: الحية التي تسكنه. يهجو امرأته بأنها عنجرد أي عجوز شمطاء وهي خبيثة وداهية تشبه تلك الحية التي تسكن هذا الشجر. والشاهد: إطلاق العرب لفظ الشيطان على نوع معين من الحيات. بقي أن أقول: إن البيت من تمام الرجز ولم أعرف قائله. وانظر: معاني الفراء ٢/٢٨٧ واللسان عنجرة ٣١٢٣ والدر المصون ٤/٥٥٧ والبحر المحيط ٧/٣٦٣ والقرطبي ١٥/٨٧.

(٧) من السيمط وهو مجهول القائل. والصوم شجر على شكل شخص الإنسان كربه المنظر جداً يقال لثمره =

فعلى هذا قد خوطبت العرب بما تعرفه، وهذه الشجرة موجودة فالكلام حقيقة، والثاني أنه من باب التخيل والتمثيل وذلك أنه كل ما يستنكر ويستقبح في الطباع والصورة يشبه بما يتخيله الوهم وإن لم يره والشياطين وإن كانوا موجودين عَيَّرَ مَرْتَبِينَ للعرب إلا أنه خاطبهم بما أَلْفُوهُ من الاستعارات التخيلية<sup>(١)</sup> كقول امرئ القيس: [البيسط]

٤٢١٦ - أَيَقْتُلُنِي وَالْمَشْرِفِي مَضَاجِعِي وَمَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كَأَنْيَابِ أَغْوَالٍ<sup>(٢)</sup>

ولم ير أنيابها؛ بل ليست موجودة ألبتة، قال ابن الخطيب: وهذا هو الصحيح؛ وذلك أن الناس لما اعتقدوا في الملائكة كمال الفضل في الصورة والسيره واعتقدوا في الشياطين نهاية القبح في الصورة والسيره فكما حسن التشبيه بالملك عند إرادة الكمال والفضيلة في قول النساء: «إِنَّ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ» فكذلك حَسَنَ التشبيه برؤوس الشياطين بالقبح وتشويه الخلقة، ويؤكد هذا أن العقلاء إِذَا رَأَوْا شَيْئاً (شديداً)<sup>(٣)</sup> الاضطراب منكر الصورة قبيح الخلقة قالوا: إنه شيطان وإذا رَأَوْا شَيْئاً حَسَناً قالوا: إنه ملك من الملائكة<sup>(٤)</sup>. قال ابن عباس: هم الشياطين بأعيانهم شبه بها لِقُبْحِهِ.

قوله: «فَأَنَّهُمْ لَأَكِلُونَ مِنْهَا فَمَا لَثُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ»، والمِلءُ حَشْوُ الوِعَاءِ بما لا يحتمل الزيادة عليه<sup>(٥)</sup>.

فإن قيل: كيف يأكلونها مع نهاية حُسُونِهَا وَتَنَبُّهَا ومرارة طعمها؟

فالجواب: أن المضطر ربما استروح من الضَّرَرِ<sup>(٦)</sup> بما يقاربه في الضرر فإذا جوعهم

= رؤوس الشياطين ويعنى بها الحيات وأكثر ما ينبت في بلاد بني شابة. والمعازب الأماكن البعيدة، والشدوف: الشخوص ومخطوف الحشا ضامره، وزرم: لا يثبت في مكان ومعناه أنه يرقب شخوص هذه الأشجار يحسبها ناساً وهو في خوف لا يكاد يستقر في مكان وأتى بالبيت حتى يقول: إن رؤوس الشياطين يطلق على ثمر هذا الشجر المسمى بالصوم. وانظر: اللسان: «ص و م» ٢٥٣٠ والبحر ٧/ ٣٦٣ وأمالي القالي ١/ ٢٥ والخصائص ٣/ ٧٩ وديوان الهذليين ١/ ١٩٤ وانظره هو وما قبله في مجمع البيان ٧/ ٩٦، وورد في مجمع البيان: المعارم: وهي النقطة السوداء في أذن الشاة الضائنة وورد فيه يرقبه.

(١) الكشف ٣/ ٣٤٣ والبحر ٧/ ٣٦٣.

(٢) من الطويل والمشرقي نسبة إلى مشارف الشام كانت تصنع في قراها السيوف والمسنون المحدد المصقول. وشاهده بلاغي حيث شبه تشبيهاً وهمياً وهو غير المدرك بإحدى الحواس الخمس فإن أنياب الغول مما لا يدركه الحس لعدم تحققها. وانظر: دلائل الإعجاز ١٤٩ ومعاهد التنصيص ١/ ١٣٤ والبحر ٧/ ٣٦٣ وكامل المبرد ٣/ ٩٦ وفتح القدير للشوكاني ٤/ ٣٩٨ ومجمع البيان للطبرسي ٧/ ٦٩٧ وديوانه ٣٣.

(٣) ما بين المعقوفين كله ساقط من «ب» وهو في الرازي و «أ».

(٤) الرازي ٢٦/ ١٤٢ وانظر بيت امرئ القيس أيضاً فيه وفي زاد المسير ٧/ ٦٣ واللسان: «غ و ل».

(٥) قاله في اللسان: «م ل أ» ٤٢٥٢. (٦) في الرازي: استروح منه إلى ما يقاربه في الضرر.

الله الجُوع الشديد فرعوا إلى إزالة ذلك الجوع بتناول هذا الشيء. أو يقال: إن الزبانية يُكْرهُونهم على الأكل من تلك الشجرة تكميلاً<sup>(١)</sup> لعذابهم.

قوله: «ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشُوبًا مِنْ حَمِيمٍ» قرأ العامة بفتح الشين وهو مصدر على أصله. وقيل: يُراد به اسم المفعول<sup>(٢)</sup>. ويدل له قراءة شَيْبَانَ النَّحْوِيَّ<sup>(٣)</sup> لَشُوبًا - بالضم<sup>(٤)</sup> - قال الزجاج: المفتوح مصدر، والمضموم اسم بمعنى المشوب كالتنقض بمعنى المنقوض<sup>(٥)</sup>، وعطف «بِثُمَّ» لأحد معنيين إما لأنه يؤخر ما يظنونه يُزويهم من عطشهم زيادة في عذابهم فلذلك أتى «بِثُمَّ» المقتضية للتراخي، وإما لأن العادة تقتضي<sup>(٦)</sup> بترأخي الشرب عن الأكل فعمل على ذلك المثل وأما ملء البطن فيعقب الأكل فلذلك عطف على ما قبله بالفاء<sup>(٧)</sup>.

قال الزجاج: الشوب اسم عام في كل ما خلط بغيره<sup>(٨)</sup>، والشَّوب الخلط والمزج، ومنه شَاب اللبن يشوبه أي خَلَطَهُ وَمَزَجَهُ، والحميم: الماء الحار والمنتاهي في الحرارة<sup>(٩)</sup>. و «مِنْ حَمِيمٍ» صفة «لشوباً»<sup>(١٠)</sup> واعلم أن الله تعالى وصف شرابهم في القرآن بأشياء منها: ﴿وَسَقَاتًا﴾ [النبا: ٢٥] ومنها: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاهُمْ﴾ [محمد: ١٥] ومنها المذكور في هذه الآية<sup>(١١)</sup>، ولما ذكر الطعام بتلك الشناعة والكراهة وصف الشراب بما هو أشنع منه وسماه شُوبًا أي خَلَطًا وَمَزَجًا من حميم من ماء حار، فإذا أكلوا الزَّقُومَ وشربوا عليه الحَمِيمَ فيشرب<sup>(١٢)</sup> الحميم في بطونهم فيصير شوباً له.

قوله: «ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ» قال مقاتل: أي بعد أكل الزقوم وشرب الحميم. وهذا يدل على أنهم عند شرب الحميم لم يكونوا في الجحيم وذلك بأن يكون

(١) كذا في الرازي أيضاً وفي ب تكميلاً وانظر: الرازي ١٤٢/٢٦، ١٤٣.

(٢) الدر المصنوع ٥٥٧/٤.

(٣) هو شيبان بن معاوية أبو معاوية النحوي روى عن عاصم وعنه موسى بن هارون مات سنة ١٦٤ هـ. انظر: الغاية ٣٢٩/١.

(٤) من الشواذ غير المتواترة. انظر: المحتسب ٢٢٠/٢ وابن خالويه ١٢٨.

(٥) بالمعنى من المعاني له ٣٠٧/٤. (٦) في ب: تقتضي.

(٧) انظر: الكشف للزمخشري ٣/٣٤٣، والبحر ٧/٣٦٣.

(٨) قال: أي الخلط ومزاجاً ويقرأ: لشوباً من حميم، الشوب المصدر، والشوب الاسم والخلط المخلوط. معاني القرآن وإعرابه ٣٠٧/٤ وانظر أيضاً المجاز ١٧٠/٢ وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٧٢ واللسان: «ش و ب» ٢٣٥٥.

(٩) السابق ١٠٠٨. (١٠) قاله السمين ٥٥٨/٤.

(١١) وهو الشوب من الحميم.

(١٢) كذا هي هنا في أ وفي الرازي وفي ب فيشوب أي يشوب الزقوم بالحميم نعوذ بالله منهما.

الحميم في موضع خارج عن الجحيم فهم يُورَدُونَ<sup>(١)</sup> الحميم لأجل الشرب كما تُورد الإبل إلى الماء ثم يَرَدُونَ<sup>(٢)</sup> إلى الجحيم؛ ويدل عليه قوله: ﴿يَطُوفُونَ بِنَهَا وَيَبْنَ حَمِيمٍ مَّانٍ﴾ [الرحمن: ٤٤] وقرأ ابن مسعود: «ثُمَّ إِنَّ<sup>(٣)</sup> مَقِيلَهُمْ لِأَلَى الْجَحِيمِ» «إِنَّهُمْ أَلْفُوا» وجدوا «آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يَهْرَعُونَ»؛ قال الفراء: الإهراع الإسراع<sup>(٤)</sup>، يقال: هَرَعَ وأَهْرَعَ إذا استحث<sup>(٥)</sup>. والمعنى أنهم يتبعون آباءهم اتباعاً في سرعة كأنهم يزعمون إلى اتباع آباءهم. وقال الكلبي: يعملون مثل عملهم، ثم إنه تعالى ذكر لرسوله ما يسليه في كفرهم وتكذيبهم فقال: «وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأُولِينَ» من الأمم الخالية.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ﴾ (٧٢) فَأَنْظَرَ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ (٧٣) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (٧٤)

«وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ» فبين تعالى أن إرساله الرسل قد تقدم والتكذيب لهم قد سلف فوجب أن يكون له - ﷺ - أسوة بهم حتى يصبر كما صبروا ويستمر على الدعاء إلى الله وإن تمردوا فليس عليه إلا البلاغ. ثم قال: «فَأَنْظَرَ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ» الكافرين أي كان عاقبتهم العذاب وهذا الخطاب وإن كان ظاهره مع الرسول - عليه (الصلاة و) السلام - إلا أن المقصود منه خطاب الكفار لأنهم سمعوا بالأخبار ما جرى على قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من أنواع العذاب فإن لم يعلموا ذلك فلا أقل من ظن وخوف يحتمل أن يكون زاجراً لهم عن كفرهم<sup>(٦)</sup>.

قوله: «إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ» استثناء من قوله: «المنذرين» استثناءً منقطعاً لأنه وعيد وهم لم يدخلوا (في)<sup>(٧)</sup> هذا الوعيد<sup>(٨)</sup>، وقيل: استثناء من قوله: «وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأُولِينَ»<sup>(٩)</sup>.

(١) قال صاحب اللسان: الورد النصيب من الماء وأورده الماء جعله يرده، والموردة مائة الماء، وقيل: الجادة قال طرفة:

كَأَنَّ عُلُوبَ النَّسْعِ فِي دَابَّاتِهَا مَوَارِدَ مِنْ خُلُقَاءِ فِي ظَهْرِ قَرْدٍ

وفي الحديث: اتقوا البراز في الموارد أي المجاري والطرق. وانظر: اللسان: «ورد» ٤٨١١.

(٢) كذا في النسختين وفي الرازي يوردون بالبناء للمجهول.

(٣) لم أجد لها في الشواذ ولا المتواتر وفي الكشاف ثم إن منقلبهم، ثم إن مصيرهم، ثم إن منقذهم، قراءات ٣/٣٤٣.

(٤) معاني القرآن ٢/٣٨٧.

(٥) اللسان: «هرع» ٤٦٥٤ والغريب ٣٧٢ والقرطبي ٨٨/١٥ والمجاز ٢/١٧١.

(٦) انظر الرازي ٢٦/١٤٣، ١٤٤.

(٧) سقط من ب.

(٨) قاله أبو حيان في البحر ٧/٤٦٤ والسمين في الدر ٤/٥٥٨ والرازي في التفسير الكبير ٢٦/١٤٣.

(٩) مع قوله: فانظر كيف كان عاقبة المنذرين فإنها كانت أقبح العواقب وأفظعها إلا عاقبة عباد الله المخلصين فإنها مقرونة بالخير والراحة. وقد قال بهذا الرازي ٢٦/١٤٤.

والمراد بالمُخْلِصِينَ: الموحدِين نَجَوْا مِنَ الْعَذَابِ. وتقدم الكلام على هذا الإخلاص في سورة الحجر عند قوله تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ﴾<sup>(١)</sup> [الحشر: ٤٠].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ (٧٥) وَبَيَّنَّاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٧٦) وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمْ الْبَاقِينَ (٧٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (٧٨) سَلَّمَ عَلَى نُوْحٍ فِي الْعَالَمِينَ (٧٩) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٠) إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (٨١) ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْآخِرِينَ (٨٢)

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا﴾ الآية. لما قال: ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين وقال: «فانظر كيف كان عاقبة المنذرين» أتبعه بشرح وقائع الأنبياء - عليهم (الصلاة و) السلام - فقال: ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا﴾ أي نادى ربه أن ينجيه مع من نجا من الغرق، وقيل: نادى ربه أي استنصره على كفار قومه، فأجاب الله دعاءه.

قوله: «فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ» جواب لقسم مقدر أي فوالله<sup>(٢)</sup> ومثله:

٤٢١٧ - لَعَمْرِي لَنِعْمَ السَّيِّدَانِ وَجَدْتُمَا .....<sup>(٣)</sup>

والمخصوص بالمدح محذوف تقديره أي نحن<sup>(٤)</sup> أجبنا دعاءه وأهلكنا قومه. «وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ» واعلم أن هذه الإجابة كانت من النعم العظيمة وذلك من وجوه:

أحدها: أنه تعالى عبر عن ذاته بصيغة الجمع فقال: ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا﴾ والقادر العظيم لا يليق به إلا الإحسان العظيم.

وثانيها: أنه أعاد صيغة الجمع في قوله: فلنعم المجيبون (من<sup>(٥)</sup> ذلك أيضاً يدل على تعظيم تلك النعمة لا سيما وقد وصف تلك الإجابة بأنها نعمة الإجابة.

وثالثها: أن الفاء في قوله: ﴿فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ يدل على أن محصول<sup>(٦)</sup> هذه الإجابة

(١) وبين هناك معنى مخلصين بفتح اللام أي الذين أخلصهم الله واصطفاهم لعبادته وبين معنى مخلصين الموحدين كما تقدم أن قراءة المخلصين بالفتح قراءة نافع وأهل الكوفة حيث وقع سواء أكان في يوسف أو الحجر أو الصافات أو أي مكان في القرآن والباقرن بالكسر بالبناء للفاعل، انظر: اللباب ٣/١١٧.

(٢) قاله في الدر ٤/٥٥٨.

(٣) صدر بيت من الطويل لزهير من معلقته الشهيرة عجزه:

على كل حال من سحيل ومبرم

والرواية «يميناً لنعم» وعليه يكون الشاهد والتقدير: أقسم بالله يميناً لنعم أما الرواية هنا أعلى فلا شاهد حينئذ ورواية المؤلف كرواية السمين في الدر ٤/٥٥٨ وسحيل ومبرم قبيلتان. وانظر: السبع الطوال ٢٦٠ والهمع ٢/٤٢ والبحر ٧/٣٦٤ والديوان ١٤.

(٤) قاله ابن الأنباري في البيان ٢/٣٠٦ والعكبري في التبيان ١٠٩٠ والسمين في الدر ٤/٥٥٨.

(٥) ما بين القوسين كله ساقط من ب. (٦) في ب: حصول وهو الموافق للرازي.

مرتّب<sup>(١)</sup> على ذلك النداء والحكم المرتب على الوصف المناسب يقتضي كونه معللاً به . وهذا يدل على أن النداء بالإخلاص سبب لحصول الإجابة ثم إنه تعالى لما بين أنه نعم المجيب بين أن الإنعام حصل في تلك الإجابة بقوله : «وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ» . والكرّب : هو الخوف الحاصل من العرق والكرّب الحاصل من أذى قومه<sup>(٢)</sup> «وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ» وذلك يفيد الحصر وذلك يدل على أن كل من سواه وسوى ذريته فقد قُتوا، قال ابن عباس : ذريته بنوه الثلاثة سام وحام ويافث . فسام أبو العرب وفارس<sup>(٣)</sup> ، وحام أبو السودان<sup>(٤)</sup> ويافث أبو الترك والخزر وأجوج<sup>(٥)</sup> ، قال ابن عباس : لما خرج نوح من السفينة مات<sup>(٦)</sup> من كان معه من الرجال والنساء إلا ولده ونساءهُم .

قوله : «وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ» أي أبقينا له ثناءً حسناً وذكرأً جميلاً فيمن بعده من الأنبياء والأمم إلى يوم القيامة<sup>(٧)</sup> .

قوله : «سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ» مبتدأ وخبر، وفيه أوجه :

أحدها : أنه مفسر «لِتَرْكُنَا» .

والثاني : أنه مفسر لمفعوله، أي تركنا عليه ثناءً وهو هذا الكلام<sup>(٨)</sup> ، وقيل : ثمّ قول مقدر أي فقلنا سلام<sup>(٩)</sup> .

وقيل : ضمن تركنا معنى<sup>(١٠)</sup> قلنا، وقيل : سلط «تركنا» على ما بعده<sup>(١١)</sup> . قال الزمخشري : وتركنا عليه في الآخرين «هذه الكلمة» وهي «سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ» يعني يسلمون عليه تسليماً ويَدْعُونَ لَهُ، وهو من الكلام المحكي كقولك : «قَرَأْتُ سُوْرَةَ أَنْزَلْنَاهَا»<sup>(١٢)</sup> .

(١) في ب : يترتب . وهو المخالف للرازي .

(٢) قاله الإمام القرطبي في الجامع ٨٩/١٥ . (٣) والروم .

(٤) من المشرق إلى المغرب السند والهند والنوبة والزنج والحبشة والقطب والبربر وغيرهم . انظر المرجع السابق والسودان يوافق التفسير وفي ب السواد .

(٥) والصقالية . انظر : المرجع السابق وانظر : الرازي ١٤٥/٢٦ والخزر : قال عنه صاحب اللسان «جيل خزر العيون وفي حديث حذيفة : كأي بهم خنس الأنوف خزر العيون، والخزرة انقلاب الحدقة نحو اللحاظ» . انظر : اللسان «خ زر» ١١٤٨ وفي ب الخزر لا الخزر .

(٦) في ب : مرات . وهو تحريف . (٧) قاله الزجاج ٣٠٨/٤ .

(٨) قال بهذين الوجهين أبو البقاء في التبيان ١٠٩٠ .

(٩) السابق وهو رأي الكسائي وانظر : مشكل الإعراب ٢/٢٣٧ ، ٢٣٨ وتفسير النحاس ٤/٤٢٧ .

(١٠) التبيان المرجع السابق . (١١) وهو قول الزمخشري في الكشاف ٣/٣٤٣ .

(١٢) السابق وانظر الرأيين الأخيرين في القرطبي ١٥/٩٠ والرأي الأخير في البحر ٧/٣٦٤ والآراء كلها في السمين ٤/٥٥٨ .

وهذا الذي قاله قول الكوفيين جعلوا الجملة في محل نصب مفعولاً بتركنا لا أنه ضمن<sup>(١)</sup> معنى القول بل هو على معناه<sup>(٢)</sup> بخلاف الوجه<sup>(٣)</sup> قبله. وهذا أيضاً من أقوالهم<sup>(٤)</sup>، وقرأ عبد الله «سلاماً»<sup>(٥)</sup> وهو مفعول به «بتركنا»<sup>(٦)</sup> و«كذلك» نعت مصدر<sup>(٧)</sup> أو حال من ضميره<sup>(٨)</sup>. كما تقدم تحريره.

### فصل

المعنى: سلامٌ عليه في العالمين، وقيل: تركنا عليه في الآخرين أن يصلى عليه إلى يوم الدين<sup>(٩)</sup> «إنا كذلك نجزي المحسنين» أي إنما خصصنا نوحاً - عليه (الصلاة و) السلام - بهذه التشريفات الرفيعة من جعل الدنيا مملوءة من ذريته ومن تبقية<sup>(١٠)</sup> ذكره الحسن في السنة العالمين لأجل كونه محسناً، ثم علل كونه محسناً بأنه كان عبداً مؤمناً<sup>(١١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَاتَّ مِنْ شَيْعِهِ لِإِبْرَاهِيمَ (٨٣) إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٤) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ (٨٥) أَيْفَاكُمُ إِلَهَةٌ دُونَ اللَّهِ تَرْيُدُونَ (٨٦) فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٧) فَظَنَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (٨٨) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ (٨٩) فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ (٩٠) فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٩١) مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ (٩٢) فَرَاغَ عَلَيْهِمْ صَرْبًا بِالْيَمِينِ (٩٣) فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَرْفُونَ (٩٤) قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (٩٥) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦) قَالُوا إِنَّمَا لَمْ نَبْنِئَا فَأَلْقُوهُ فِي الْبَحْرِ (٩٧) فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ (٩٨) وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ (٩٩) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠)﴾

القصة الثانية: قصة إبراهيم - عليه (الصلاة و) السلام - قوله تعالى: «وَأَنَّ مِنْ

(١) في ب: يضمن.

(٢) لم يتعرض أبو إسحاق الزجاج في كتابه إعراب القرآن ومعانيه لهذا القضية. ولقد نقل أبو جعفر النحاس في الإعراب ٤٢٧/٣ عن الكسائي كلاماً حول هذه الآية قال: زعم الكسائي أن فيه تقديرين: أحدهما: وتركنا عليه في الآخرين يقال: سلامٌ على نوح أي تركنا عليه هذا الثناء قال: وهذا مذهب أبي العباس المبرد، بينما قال الفراء في المعاني ٣٨٧/٢، ٣٨٨ يقول أبقينا له ثناء حسناً في الآخرين ويقال: تركنا علي في الآخرين سلامٌ على نوح. أي تركنا عليه هذه الكلمة كما تقول: قرأت من القرآن الحمد لله وب العالمين فيكون في الجملة في معنى نصب ترفعها بالكلام كذلك: «سلام على نوح» ترفعه بعلى وهو في تأويل نصلي. ولو كان: تركنا عليه سلاماً كان صواباً. وقد سبق عن قريب رأي الزمخشري في الكشف أنه موافق لرأيهم.

(٣) وهو تضمين تركنا معنى قلنا. (٤) الدر ٥٥٩/٤.

(٥) البحر ٣٦٤/٧. (٦) معاني الفراء ٣٨٨/٢ والبيان ١٠٩٠.

(٧) السابق. (٨) السمين ٥٥٨/٤.

(٩) في ب: إلى يوم القيامة. (١٠) في ب: بقية.

(١١) الرازي ١٤٥/٢٦.

شَيْعَتِهِ» أي من أهل دينه وسنته وفي الضمير وجهان:

أظهرهما: أنه يعود على «نوح» أي ممن كان يشايعه أي يتبعه على دينه والتصلب في أمر الله<sup>(١)</sup>.

الثاني: أنه يعود على محمد - ﷺ - وهو قول الكلبي<sup>(٢)</sup>. والشيعه قد تطلق على المتقدم كقوله:

٤٢١٨ - وَمَا لِي إِلَّا آلَ أَحْمَدِ شَيْعَةً وَمَا لِي إِلَّا مِثْمَبَ الْحَقِّ مِثْمَبٌ<sup>(٣)</sup>

فجعل (آل) أحمد<sup>(٤)</sup> وهم متقدمون عليه وهو تابع لهم شيعة له، قاله الفراء<sup>(٥)</sup>، والمعروف أن الشيعة تكون في المتأخر. قالوا كان بين نوح وإبراهيم (نبيان<sup>(٦)</sup>) هود وصالح، وروى الزمخشري أنه كان بين نوح وإبراهيم ألفان وستمائة وأربعون سنة<sup>(٧)</sup>.

قوله: «إذ جاء» في العامل فيه وجهان:

أحدهما: أذكر مقدراً. وهو المتعارف.

والثاني: قال الزمخشري: ما في الشيعة من معنى المشايعة يعني وإن مِمَّنْ شَايَعَهُ على دينه وتقواه حين جاء<sup>(٨)</sup> رَبُّهُ، قال أبو حيان: (لا يجوز<sup>(٩)</sup> لأن فيه) الفصل بين العامل والمعمول بأجنبي وهو «لإبراهيم»؛ (لأنه أجنبي<sup>(١٠)</sup>) مِنْ «شَيْعَتِهِ» ومن «إذ» وزاد المنع أن قدره ممن شايعه حين جاء لإبراهيم؛ (لأنه قدر ممن<sup>(١١)</sup>) شايعه فجعل العامل قبله صلة لموصول، وفصل بينه وبين «إذ» بأجنبي وهو «لإبراهيم»، وأيضاً فلام الابتداء<sup>(١٢)</sup> تمنع أن يعمل ما قبلها فيما بعدها لو قلت: إِنَّ ضَارِباً<sup>(١٣)</sup> لَقَادِمٌ عَلَيْنَا زَيْدًا<sup>(١٤)</sup> تقديره: أن ضارباً زيداً قادمٌ علينا. لم يجز<sup>(١٥)</sup>.

(١) وهو قول الأكثرين.

(٢) واختاره الفراء في المعاني ٣٨٨/٢ وانظر: زاد المسير لابن الجوزي ٦٦/٧.

(٣) من الطويل وهو للكميث بن زيد مادم بيت أهل النبوة وجيء به ليدل على أن الشيعة من الإمكان أن تطلق على المتقدم من الناس وهذا يخالف العادة والعرف وفيه شاهد نحوي آخر وهو أنه يجوز أن يتقدم المستثنى على المستثنى منه فالأصل: وما لي شيعة إلا آل أحمد. وكذا في الشطر الثاني.

(٤) ما بين القوسين سقط من ب. (٥) المعاني ٣٨٨/٢.

(٦) ما بين القوسين سقط من ب بسبب انتقال النظر. (٧) الكشف ٣٤٤/٣.

(٨) قال الزمخشري بالوجهين أيضاً المرجع السابق وانظر: التبيان ١٠٩١.

(٩) سقط من ب فقط.

(١٠) ما بين القوسين أيضاً ساقط من ب بسبب انتقال النظر أيضاً.

(١١) ما بين القوسين زيادة من الشارح شرحاً لكلام أبي حيان.

(١٢) في البحر لام التوكيد. (١٣) في ب: ضارب رفعاً غير مراد.

(١٤) وفيها زيد رفعاً أيضاً غير مراد. (١٥) وانظر: البحر ٧/٢٦٥.

## فصل

قال مقاتل والكَلْبِيُّ: المعنى أنه سليم من الشُّرك؛ لأنه أنكر على قومه الشُّرك لقوله: «إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ». وقال الأصوليون: معناه أنه عاش ومات على طهارة القلب من كل معصية<sup>(١)</sup>.

قوله: «إِذْ قَالَ» بدل من «إِذْ» الأولى، أو ظرف لسليم أي سلم عليه في وقت قوله كَيْتٌ وَكَيْتٌ، أو ظرف لَجَاءَ، ذكره أبو البقاء<sup>(٢)</sup>، وقوله: «مَاذَا تَعْبُدُونَ» استفهام توبيخ وتهجين لتلك الطريقة وتقييحها<sup>(٣)</sup>.

قوله: «أَفْكَأ» فيه أوجه:

أحدها: أنه مفعول من أجله، أي أتريدون آلهة دون الله إفكاً، فالآلهة مفعول به، ودون ظرف «لتريدون» وقدمت معمولات الفعل اهتماماً بها، وحسنه كون العامل رأس فاصلة، وقدم المفعول من أجله على المفعول به اهتماماً به لأنه مكافح لهم بأنهم على إفك وباطل، وبهذا الوجه بدأ الزمخشري<sup>(٤)</sup>.

الثاني: أن يكون مفعولاً وتكون «آلهة» بدلاً منه<sup>(٥)</sup>، جعلها نفس الإفك مبالغة فأبدلها عنه وفسره بها<sup>(٦)</sup>. ولم يذكر ابن عطية غيره<sup>(٧)</sup>.

الثالث: أنه حال من فاعل «تريدون» أي تريدون آلهة أفكين أو ذوي إفك، وإليه نحا الزمخشري<sup>(٨)</sup>.

قال أبو حيان: وجعل المصدر حالاً لا يطرد إلا مع أمّا نحو: أمّا علماً فَعَالِمٌ<sup>(٩)</sup>، والإفك أسوأ الكذب.

قوله: «فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ» أي أتظنون برب العالمين أنه جوز جعل هذه الجمادات مشاركة في العبودية، أو تظنون برب العالمين أنه من جنس هذه الأجسام حتى

(١) انظر الرازي ١٤٦/٢٦.

(٢) التبيان ١٠٩١ وانظر: الدر المصون ٥٥٩/٤.

(٣) قاله الإمام الفخر الرازي في تفسيره ١٤٦/٢٦.

(٤) انظر هذا في الزمخشري في كشافه ٣٤٤/٣ والتبيان لأبي البقاء ١٠٩١ والدر للسمين ٥٥٩/٤ والبحر ٣٦٥/٧.

(٥) ذكره أبو حيان في البحر عن ابن عطية ٣٦٥/٧ والسمين في الدر وابن الأنباري في البيان ٣٠٦/٢ ومكي في مشكل الإعراب ٢٣٨/٢ والزمخشري في الكشاف ٣٤٣/٣، ٣٤٤.

(٦) السمين ٥٥٩/٤، ٥٦٠.

(٧) المرجع السابق وهو البحر المحيط.

(٨) الكشاف ٣٤٤/٣ وانظر: البحر أيضاً المرجع السابق.

(٩) السابق.

جعلتموها مساوية له في المعبودية فنبههم بذلك على أنه ليس كمثلته شيء. أو فما ظنكم برب العالمين إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره أنه يصنع بكم؟

قوله: «فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ» قال ابن عباس: كان قومه يتعاطون علم النجوم فعاملهم على مقتضى عاداتهم، وذلك أنه أراد أن يكايدهم في أصنامهم ليلزمهم الحجة في أنها غير معبودة وكان لهم من الغد يوم عيد يخرجون إليه فأراد أن يتخلف عنهم ليبقى خالياً في بيت الأصنام فيقديروا على كسرها.

فإن قيل: النظر في علم النجوم غير جائز فكيف أخبرهم بخلاف حاله؟

فالجواب: من وجوه.

**الأول:** أن نظره في النجوم أي في أوقات الليل والنهار، وكانت تأتيه الحمى في بعض ساعات الليل والنهار فنظر ليعرف هل هي تلك الساعة فقال: إني سقيم فجعله عذراً في تخلفه عن العيد الذي لهم فكان صادقاً فيما قال، لأن السقم كان يأتيه في ذلك الوقت.

**الثاني:** أنهم كانوا أصحاب النجوم يعظمونها ويقضون بها على أمورهم فلذلك نظر إبراهيم في النجوم أي في علم النجوم كما تقول: «نَظَرَ فُلَانٌ فِي الْفِقْهِ» أي في علم الفقه فأراد إبراهيم أن يوهمهم أنه نظر في علمهم وعرف منه ما يعرفونه حتى إذا قال: إني سقيم سَكُنُوا إِلَى قَوْلِهِ، وأما قوله: إني سقيم فمعناه سَأَسْقِمُ كقوله: «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ» أي ستموت.

**الثالث:** أن نظره في النجوم هو قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ (الليل) رَاءَ كَوْكَبًا﴾ إلى آخر الآيات فكان نظره ليعرف أحوال هذه الكواكب هل هي قديمة أو محدثة؟ وقوله: «إِنِّي سَقِيمٌ أَي سَقِيمَ الْقَلْبِ أَي غَيْرِ عَارِفِ بَرْبِي، وَكَانَ ذَلِكَ قَبْلَ الْبُلُوغِ.

**الرابع:** قال ابن زيد: كان له نجم مخصوص وكلما طلع على صفة مخصوصة مَرَضَ إبراهيم فلهذا الاستقراء لما رآه في تلك الحالة المخصوصة قال: إني سقيم أي هذا السقم واقع لا محالة.

**الخامس:** أن قوله: إني سقيم أي مريض القلب بسبب إطباق ذلك الجمع العظيم على الكفر والشرك كقوله تعالى لمحمد - ﷺ -: ﴿فَلَمَّا كَ تَبَجَّعَ نَفْسَكَ﴾ [الكهف: ٦].

**السادس:** أنا لا نسلم أن النظر في علم النجوم والاستدلال بها حرام؛ لأن من اعتقد أن الله تعالى خص كل واحد من هذه الكواكب بطبع وخصائية لأجلها يظهر منه أثر مخصوص فهذا العلم على هذا الوجه ليس بباطل وأما الكذب فغير لازم لأن قوله: إني سقيم على سبيل التعريض بمعنى أن الإنسان لا ينفك في أكثر حاله عن حصول حالة

مكروهة<sup>(١)</sup> إما في بدنه وإما في قلبه وكل ذلك سَقَمٌ<sup>(٢)</sup>.

السامع: قال ابن الخطيب: قال بعضهم ذلك القول عن إبراهيم - عليه (الصلاة و) السلام - كذباً. وأوردوا فيه حديثاً عن النبي - ﷺ - أنه قال: «مَا كَذَبَ إِبْرَاهِيمُ إِلَّا ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ»<sup>(٣)</sup>.

قلت<sup>(٤)</sup> لبعضهم: هذا الحديث لا ينبغي أن ينقل لأن فيه نسبة الكذب (إلى إبراهيم)<sup>(٥)</sup> فقال ذلك الرجل فكيف نحكم بكذب الراوي العدل؟ فقلت: لما وقع التعارض بين نسبة الكذب إلى الراوي وبين نسبة الكذب إلى الخليل عليه (الصلاة و) السلام كان من المعلوم بالضرورة أن نسبه إلى الراوي أولى. ثم نقول: لِمَ لا يجوز أن يكون المراد من قوله: «فَنظَرَ نَظْرَةً فِي الشُّجُومِ» أي في نجوم كلامهم ومتفرقات أقوالهم، فإن الأشياء التي تحدث قطعة قطعة يقال: إنها مُنَجِّمة<sup>(٦)</sup> أي متفرقة. ومنه: نَجَمْتُ<sup>(٧)</sup> الْكِتَابَةَ، والمعنى: أنه لما جمع كلماتهم المتفرقة نظر فيها حتى يستخرج منها حيلة يقدر بها على إقامة عذر لنفسه في التخلف عنهم، فلم يجد عذراً أحسن من قوله: «إِنِّي سَقِيمٌ»؛ (والمراد: أنه لا بد<sup>(٨)</sup> من أن أصير سقيماً كما تقول لمن رأيتَه يتجهز للسفر: إنك مسافر، ولما قال: إني سقيم) تَوَلَّوْا عَنْهُ مَدْبِرِينَ وتركوه، وعذروه في عدم الخروج إلى عيدهم.

قوله: «فَرَاغٌ» أي مال في خفية، وأصله من رَوَّعَانَ الثعلب، وهو تردده وعدم ثبوته بمكان، ولا يقال: رَاغٌ<sup>(٩)</sup> حتى يكون صاحبه مخفياً لذهابه ومجيئه، فقال استهزاء بها: «أَلَا تَأْكُلُونَ» يعني الطعام الذي كان بين أيديهم «مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ» قاله أيضاً استهزاء، فراغ عليهم مال عليهم مستخفياً<sup>(١٠)</sup>.

قوله: «ضَرْبًا» مصدر واقع موقع الحال أي فراغ عليهم ضارباً، أو مصدر لفعل ذلك الفعل حال تقديره فراغ يَضْرِبُ ضَرْبًا<sup>(١١)</sup>، أو ضمن راغ معنى «يضرب» وهو بعيد<sup>(١٢)</sup>.

(١) كذا في الرازي وفي ب وفي أمكرة.

(٢) و (٣) وانظر الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره ١٤٧/٢٦، ١٤٨.

(٤) هذا قول الرازي في تفسيره ١٤٨/٢٦.

(٥) ما بين القوسين ساقط من ب بسبب انتقال النظر.

(٦) كذا هي في الرازي وفي أ أما في ب فهي نجمة.

(٧) في الرازي و ب نجوم وهو الأصح.

(٨) ما بين القوسين سقط من ب بسبب انتقال النظر.

(٩) في ب: أراغ بهزة التعدية وهو غير المراد. وانظر: اللسان ١٧٧٩ ومعاني الفراء ٣٨٨/٢.

(١٠) وانظر كل هذا في الرازي ١٤٨/٢٦.

(١١) و (١٢) قال بالقول الأول الزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٣٠٩/٤ وبالأقوال الثلاثة أبو حيان في

البحر ٣٦٦/٧ والسمين في الدر ٥٦٠/٤، وكذا الزمخشري في الكشاف ٣٤٥/٣ بينما قال بالثاني

والثالث أبو البقاء في التبيان ١٠٩١. وبالثلث فقط مكى في المشكل ٢٣٨/٢.

و «بِالْيَمِينِ» متعلق «بِضَرْبِهَا» إن لم تجعله مؤكداً وإلا فلعامله<sup>(١)</sup>، واليمين يجوز أن يراد بها إحدى اليدين وهو الظاهر وأن يراد بها القوة<sup>(٢)</sup>، فالباء<sup>(٣)</sup> على هذا للحال أي ملبساً<sup>(٤)</sup> بالقوة، وأن يراد بها الحليف وفاء، بقوله: ﴿وَتَأْتِيهِمُ الْغَمَّةُ أَكْرَبُ مِنَ الْمُنِجَاتِ﴾ [الأنبياء: ٥٧] والباء على هذا للسبب<sup>(٥)</sup>، وعدي «راغ» الثاني «بعلى» لما كان مع الضرب المستولي عليهم من فوقهم إلى أسفلهم بخلاف الأول فإنه مع توبيخ لهم، وأتى بضمير العقلاء في قوله: «عَلَيْهِمْ» جرياً على ظن عبدتها أنها كالعقلاء<sup>(٦)</sup>.

قوله (تعالى): «يَزْفُونَ» حال من فاعل «أَقْبَلُوا». و «إِلَيْهِ» يجوز تعلقه بما قبله أو بما بعده<sup>(٨)</sup>، وقرأ حمزة يُزْفُونَ. بضم الياء<sup>(٩)</sup> من أَرْفَ. وله معنيان:

أحدهما: أنه من أَرْفَ يُزْفَ أي دخل في الزفيف<sup>(١٠)</sup>. وهو الإسراع، أو زفاف العَرُوس، وهو المشى على هَيْئَةٍ؛ لأن القوم كانوا في طمأنينة من أمرهم، كذا قيل. وهذا الثاني ليس بشيء، إذ المعنى أنهم لما سمعوا بذلك بادروا مسرعين، فالهمزة على هذا ليست للتعدي<sup>(١١)</sup>.

والثاني: أنه من أَرْفَ غَيْرُهُ أي حملة على الزفيف وهو الإسراع، أو على الزَّفَاف<sup>(١٢)</sup>، وقد تقدم ما فيه، وباقى السبعة بفتح الياء من زَفَ الظلِيمِ<sup>(١٣)</sup> يُزْفُ أي عَدَا بِسُرْعَةٍ<sup>(١٤)</sup>. وأصل الزفيف للنعام. وقرأ مجاهد وعبد الله بن يزيد<sup>(١٥)</sup> والضحاك وابن أبي عبلة: يُزْفُونَ من وَزَفَ يُزْفُ أي أسرع إلا أن الكسائي والفراء قالوا لا نعرفها بمعنى زَفَ<sup>(١٦)</sup>. وقد عرفها غيرهما، قال مجاهد - وهو بعض من قرأ بها -: الوزيفُ

(١) السمين ٥٦٠/٤. (٢) الكشاف ٣/٣٤٥ والقرطبي ٩٤/١٥.

(٣) في ب: غالباً. وهو تحريف. (٤) كذا في أ وفي ب ملتبساً وهما قريان.

(٥) أصنامكم سقط من ب.

(٦) بالمعنى من الكشاف ٣/٣٤٥ واللفظ من السمين ٥٦٠/٤.

(٧) السابق. (٨) السابق أيضاً.

(٩) من المتواتر انظرها في السبعة ٥٤٨ ومعاني الفراء ٢/٣٨٨ والكشاف ٣/٣٤٥ وحجة ابن خالويه ٣٠٢ والنشر ٢/٣٥٧.

(١٠) وأزف عن ابن الأعرابي وقال اللحياني: أزف بعد اللغتين اللسان ١٨٤٢.

(١١) البحر ٧/٣٦٦ والسمين ٥٦١/٤.

(١٢) الكشاف ٢/٢٢٥ والكشاف ٣/٣٤٥ وقد تعرض للأول أيضاً.

(١٣) ذكر النعام. (١٤) وانظر السبعة ٥٤٨.

(١٥) هو عبد الله بن يزيد أبو عبد الرحمن القرشي المقرئ البصري ثم المكي إمام كبير في الحديث ومشهور في القراءات ثقة روى الحروف عن عاصم، وله اختياز في القراءة ينسب إليه. مات سنة ٢١٣ هـ.

انظر: طبقات القراء ١/٤٦٣ وانظر قراءته هو ومن تبعه في المختصر لابن خالويه ١٢٨

والمحتسب لابن جني ٢/٢٢١ والكشاف ٣/٣٤٥ والدر المصون ٤/٥٦١.

(١٦) قال في المعاني: «وقد قرأ بعض القراء يزفون بالتخفيف كأنه من زف يزف، وزعم الكسائي أنه لا =

النسلان<sup>(١)</sup>، وقرىء: يُزْفُونَ مبنياً للمفعول وَيَزْفُونَ كَبْرُومُونَ من زَفَأَهُ بمعنى حدهاء كأن بعضهم يَزْفُو بعضاً لتسارعهم إليه<sup>(٢)</sup>، وبين قوله: «فَأَقْبَلُوا» وقوله «فَرَأَعُ عَلَيْهِمْ» جمل محذوفة يدل عليها الفتحوى أي فبلغهم الخبر، فرجعوا من عيدهم ونحو هذا<sup>(٣)</sup>.  
قال ابن عرفة<sup>(٤)</sup>: من قرأ بالنصب<sup>(٥)</sup> فهو من زَفَ يَزِفُ (ومن<sup>(٦)</sup> قرأ بالضم فهو من: أَزَفَ يَزِفُ)<sup>(٧)</sup>. قال الزجاج: يَزْفُونَ يسرعون، وأصله من زفيف النعامة وهو من أشد<sup>(٨)</sup> عذوبها.

قوله: «أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ» لما عاتبوا إبراهيم على كسر الأصنام ذكر لهم الدليل الدال على فساد عبادتها فقال: «أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ» ووجه الاستدلال: أن الخشب والحجر قبل النحت والإصلاح ما كان معبوداً البتة فإذا نحته وشكله على الوجه المخصوص لم يحدث فيه الآثار تصرفه فلو صار معبوداً عند ذلك لكان معناه أن الشيء الذي لم يكن معبوداً إذا حصلت آثارُ تَصْرُفَاتِهِ<sup>(٩)</sup> فيه صار معبوداً (إلى<sup>(١٠)</sup> ذلك))، وفساد ذلك معلوم بيديها العقل.

قوله: «وَمَا تَعْمَلُونَ» في «ما» هذه أربعة أوجه:

أجودها: أنها بمعنى الذي أي وخلق الذي تصنعونه<sup>(١١)</sup>، فالعمل هنا التصوير والنحت نحو: عمل الصانع السوار الذي صاغه. ويرجح كونها بمعنى الذي تقدم «ما» قبلها فإنها بمعنى الذي أي أتعبدون الذي تنحتون والله خلقكم وخلق الذي تعملون (هـ)<sup>(١٢)</sup> بالنحت<sup>(١٣)</sup>.

= يعرفها. وقال الفراء: لا أعرفها أيضاً إلا أن تكون لم تقع إلينا». المعاني ٣٨٩/٢.

(١) انظر: البحر المحيط ٣٦٦/٧ والدر المصون ٥٦١/٤ وانظر أيضاً اللسان: «وزف» ٤٨٢٦.

(٢) لم ينسب أبو حيان ولا الزمخشري هاتين القراءتين في البحر ٣٦٦/٧ والكشاف ٣٤٥/٣ ونسب ابن منظور الأولى للأعمش ونسبها صاحب الشواذ لابن مقسم ونسب الثانية لابن أبي عمير الشواذ ٢٠٦، وانظر معنى الثانية في الكشاف.

(٣) وهو ما يسمى بإيجاز الحذف. انظر: الدر المصون ٥٦٢/٤، ٥٦٣.

(٤) أبو عبد الله إبراهيم بن محمد الواسطي كان عالماً بالحديث والعربية أخذ عن ثعلب والمبرد وغيرهما مات سنة ٣٣٣ انظر: نزهة الألباء ١٧٥: ١٧٧.

(٥) يقصد نصب الياء. (٦) ما بين القوسين سقط من ب.

(٧) وانظر: الرازي ١٤٨/٢٦. (٨) في المعاني: ابتداء. وانظر: المعاني ٣٠٩/٤.

(٩) تصحيح من الرازي ففي النسختين تصرفاتي.

(١٠) ما بين القوسين الكبيرين سقط من ب وما بين القوسين الصغيرين سقط من أ. انظر: الرازي ١٤٩/٢٦.

(١١) في ب: يصنعونه. وقال بموصولية ما الزمخشري في الكشاف ٣٤٥/٣ وأبو البقاء في التبيان ١٠٩١ ونقلها مكي في المشكل ٢٣٩/٢ ورجحه أبو حيان في البحر ٣٦١/٧ والسمين في الدر ٥٦٣/٤.

(١٢) الهاء سقطت من ب.

(١٣) وانظر المرجع الأخير السابق.

والثاني: أنها مصدرية أي خلقكم وأعمالكم<sup>(١)</sup>، وجعلها الأشعرية دليلاً على خلق أفعال العباد لله تعالى وهو الحق، إلا أن دليل ذلك من هنا غير قوي لما تقدم من ظهور كونها بمعنى الذي<sup>(٢)</sup>، وقال مكي: يجب أن تكون ما والفعل مصدرأ جيء به ليفيد أن الله خالق الأشياء كلها. وقال أيضاً: وهذا أليق لقوله: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ٢] أجمع القراء على الإضافة فدل على أنه خالق الشر. وقد فارق عمرو بن عبّيد<sup>(٣)</sup> الناس فقرأ من شرّ بالتنوين<sup>(٤)</sup> ليثبت مع الله خالقين<sup>(٥)</sup>، وشنع الزمخشري على القائل هنا بكونها مصدرية.

والثالث: أنها استفهامية<sup>(٦)</sup>، وهو استفهام توبيخ، أي: (و) أي شيء تعملون؟ الرابع: أنها نافية<sup>(٧)</sup>، أي أن العمل في الحقيقة ليس لكم فأنتم (لا)<sup>(٨)</sup> تعملون شيئاً، والجملة من قوله: «وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ» حال. ومعناها حسن أي أتعبدون الأصنام على حالة تنافي ذلك وهي أن الله خالقكم وخالقهم جميعها، ويجوز<sup>(٩)</sup> أن تكون مستأنفة.

### فصل

دلت الآية على أن فعل العبد مخلوق لله تعالى لأن النحويين اتفقوا على أن لفظ (ما) مع ما بعده في تقدير المصدر فقوله<sup>(١٠)</sup>: «وَمَا تَعْمَلُونَ» معناه وعملكم، وعلى هذا فيصير معنى الآية: والله خلقكم وخلق عملكم.

فإن قيل: هذه الآية حجة عليكم من وجوه:

الأول: أنه تعالى قال: «أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ» أضاف العبادة والنحت إليهم إضافة

(١) مشكل الإعراب ٢/٢٣٩. وهو اختياره ورجحه على غيره. وانظر أيضاً البيان ٢/٣٠٦ والإعراب ٣/٤٣٠ والبيان ١٠٩١ والسمين ٤/٥٦٢.

(٢) السابق وانظر: مشكل الإعراب ٢/٢٣٩.

(٣) هو عمرو بن عبّيد بن باب أبو عثمان البصري وردت عنها الرواية في حروف القرآن روى عن الحسن وسمع منه وعنه بشار بن أيوب مات سنة ١٤٤ هـ انظر: غاية النهاية ٢/٦٠٢.

(٤) نقلها أبو حيان في بحره عن ابن عطية البحر ٨/٥٣٠ وكذلك صاحب مشكل الإعراب ٢/٢٣٩ ونسبها ابن خالويه إلى عمرو بن فائد ص ١٨٢.

(٥) انظر: مشكل الإعراب لمكي المرجع السابق.

(٦) المرجع السابق وانظر: البيان ١٠٩١ والبيان ٢/٣٠٦ والإعراب ٣/٤٣٠ ومشكل إعراب القرآن ٢/٢٤٠ والبحر المحيط ٧/٣٦٧ والدر المصون ٤/٥٦٢.

(٧) المرجعان الأخيران.

(٨) ما بين القوسين سقط من ب.

(٩) قاله السمين أيضاً في الدر ٤/٥٦٢ فإن كانت حالاً فهي في محل نصب، وإن كانت مستأنفة فلا محل لها من الإعراب كما هو العهد والعرف.

(١٠) تصحيح من السياق والرازي ففي النسختين (بقوله).

الفعل إلى الفاعل ولو كان ذلك دافعاً بتخليق الله لاستحالة كونه فعلاً (للعبد) (١).

الثاني: أنه تعالى إنما ذكر هذه الآية توبيخاً لهم على عبادة الأصنام؛ لأنه تعالى لما ذكر هذه الآية بين أنه خالقهم وخالق لتلك الأصنام، والخالق هو المستحق للعبادة دون المخلوق، فلما تركوا عبادته - سبحانه وتعالى - وهو خالقهم وعبدوا الأصنام لا جرم أنه سبحانه وبخهم على هذا الخطأ العظيم فقال: «أَتَعْبُدُونَ مَا تَخْلُقُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ» ولو لم يكونوا فاعلين لأعمالهم لما جاز توبيخهم عليها سلمنا أن هذه الآية ليست حجة عليكم ولكن لا نسلم أنها حجة لكم فقولكم: لفظ ما مع ما بعدها في تقدير المصدر قلنا: ممنوع لأن سبويه والأخفش اختلفا هل يجوز أن يقال: أعجبتني ما قمت أي قيامك، فجوزه سبويه (٢) ومنعه الأخفش، وزعم أن هذا لا يجوز إلا في الفعل المتعدي وذلك يدل على أن ما مع ما بعده في تقدير المفعول (٣) عند الأخفش سلمنا أن ذلك قد يكون بمعنى المصدر لكنه أيضاً قد يكون بمعنى المفعول. ويدل عليه وجوه (٤):

الأول: قوله: «أَتَعْبُدُونَ مَا تَخْلُقُونَ» والمراد بقوله: «ما تخلقون» المنحوت لا النحت لأنهم ما عبدوا النحت فوجب أن يكون المراد بقوله: «وَمَا تَعْمَلُونَ» المعمول لا العمل حتى يكون كل واحد من هذين اللفظين على وفق الآخر.

الثاني: أنه تعالى قال: ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الأعراف: ١١٧] وليس المراد أنها تلقف نفس الإفك بل أراد العصي والجبال التي هي متعلقات ذلك الإفك فكذا ههنا.

الثالث: إن العرب تسمى محل العمل عملاً، يقال في الباب والخاتم: هذا عمل فلان والمراد محل عمله فثبت بهذه الوجوه أن لفظ (ما) (٥) مع ما بعده كما يجيء بمعنى المصدر قد يجيء أيضاً بمعنى المفعول فكان حمله ههنا على المفعول أولى؛ لأن المقصود في الآية تزييف مذهبهم في عبادة الأصنام لا بيان أنهم لا يوجدون أفعال أنفسهم

(١) ما بين القوسين سقط من ب.

(٢) قال في الكتاب ١/٣٦٧: «ومثل ذلك أيضاً من الكلام فيما حدثنا أبو الخطاب: ما زاد إلا ما نقص وما نفع إلا ما ضر، فما مع الفعل بمنزلة اسم نحو النقصان، والضر كما بعد إلا في ذا الموضوع». وقال في ١/٤١٠: «ومن ذلك قولهم: اتنتني بعد ما تفرغ مما تفرغ بمنزلة الفراغ وتفرغ صلة». وقال في ص ٣٧٧ وتقول: أتاني القوم ما عدا زيدا، وأتوني ما خلا زيدا، فما هنا اسم.

(٣) يقول أبو العباس المبرد في المقتضب ٣/٢٠٠: «فأما اختلاف الأخفش وسبويه في (ما) إذا كانت والفعل بصدرأ فإن سبويه كان يقول: أعجبتني ما صنعت فهو بمنزلة قولك: أعجبتني أن قمت . . . والأخفش يقول: أعجبتني ما صنعت أي ما صنعت كما تقول: أعجبتني الذي صنعت ولا يجيز: أعجبتني ما قمت لأنه لا يتعدي، وقد خلط أي الأخفش فأجاز مثله، والقياس والصواب رأي سبويه» انظر: المقتضب ٣/٢٠٠.

(٤) لحيء ما بمعنى المفعول مع ما بعده رأي الإمام الفخر الرازي في تفسيره ٢٦/١٥٠. وانظر مقولته تلك في نفس المرجع.

(٥) سقط من ب.

لأن الذي جرى ذكره من أول الآية إلى هذا الموضع فهو مسألة عبادة الأصنام لا خلق الأعمال<sup>(١)</sup>. قال ابن الخطيب: و(اعلم<sup>(٢)</sup> أن) هذه (ال) سُؤَالَاتٍ قَوِيَّةٍ فَالْأُولَى تَرَكَ الاستدلال بهذه الآية.

قوله: «قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا» لما أورد عليهم الحجة القوية ولم يقدروا على الجواب عدلوا إلى طريقة الإيذاء (فقالوا: ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا)، قال ابن عباس: بنوا حائطاً من حجر طوله في السماء ثلاثون ذراعاً وعرضه عشرون ذراعاً وملاؤه ناراً وطرحوه فيها وذلك هو قوله: «فَأَلْقَوْهُ فِي الْجَحِيمِ» وهي النار العظيمة<sup>(٣)</sup>. قال الزجاج: كل نار بعضها فوق بعض فهي جحيم<sup>(٤)</sup>، والألف واللام في الجحيم يدل على النهاية<sup>(٥)</sup> (والمعنى<sup>(٦)</sup> في جحيمه أي في جحيم ذلك البنيان. ثم قال تعالى: «فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ» والمعنى أن في وقت المحاجة<sup>(٧)</sup> حصلت الغلبة له وعندما ألقوه في النار صرف الله عنه صرَرَ النار فصار هو الغالب عليهم «وَأَرَادُوا كَيْدًا» أي شواء وهو أن يخرقوه «فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ» المقهورين من حيث سلم الله إبراهيم ورد كيدهم، ولما انقضت هذه الواقعة قال إبراهيم: «إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَّهِدِينَ» ونظير هذه الآية قوله تعالى: «وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي» [العنكبوت: ٢٦] والمعنى أهجرت دار الكفر أي أذهب إلى موضع دين ربي، وقوله: «سَيَّهِدِينَ» أي إلى حيث أمرني بالمصير إليه وهو الشام، وهذا يدل على أن الهداية لا تحصل إلا من الله تعالى. ولا يمكن حمله على وضع الأدلة وإزاحة الأعدار لأن ذلك كان حاصلًا في الزمان والماضي، قال مقاتل: فلما قديم الأرض المقدسة سأل ربه الولد فقال: «رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ» أي هب لي ولدًا صالحًا، لأن لفظ الهبة غلب في الولد وإن كان قد جاء في الأخ في قوله تعالى: «وَوَهَبْنَا لِمَنْ يَرْتَمِينَا آخَاءَهُمْ هُرُونَ نَبِيًّا» [مريم: ٥٣].

قوله تعالى: «فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ» ﴿١١١﴾ فَأَمَّا بَلَّغَ مَعَهُ السَّعَى فَكَالَ يَبْتُئِي إِتَى أَرَى فِي الْمَنَارِ آتَى أَدْبَحَكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَبَّتْ أَعْمَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّمَ لِلجِبِينِ ﴿١١٣﴾ وَنَدْبَتُهُ أَنْ يَتَابِرَهُسُ ﴿١١٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُ الْبَلْتُو الْمُبِينِ ﴿١١٦﴾ وَقَدِينَتُهُ يَذْبُجُ عَظِيمِ ﴿١١٧﴾ وَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١١٨﴾ سَلَّمَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿١١٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾

«فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ» في كِبَرِهِ فففيه بشارة أنه ابن وأنه يعيش وينتهي إلى سنٍّ يُوسَفُ

(١) الرازي المرجع السابق.

(٢) ما بين الأقواس زيادة من تفسير الرازي المشار إليه أعلى.

(٣) انظر: القرطبي ٩٧/١٥. (٤) قاله في معاني القرآن وإعرابه ٣١٠/٤.

(٥) في ب: الكفاية. (٦) ما بين القوسين كله سقط من ب بسبب انتقال النظر.

(٧) في ب: المحاجة.

بالحلم، وأتى حلم أعظم من أنه عرض عليه أبوه الذبح فقال «سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّابِرِينَ»!<sup>(١)</sup>

قوله: «فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ» (مَعَهُ)<sup>(١)</sup> متعلق بمحذوف على سبيل البيان كأن قائله قال: مَعَ (مَنْ)<sup>(٢)</sup> بلغ السعي؟ فقيل: مع أبيه ولا يجوز تعلقه «ببَلَغَ»؛ لأنه يقتضي بلوغهما معاً حدّ السعي، ولا يجوز تعلقه بالسعي لأن صلة المصدر لا تتقدم عليه، فتعين ما تقدم. قال معناه الزمخشري<sup>(٣)</sup> ومن يتسع في الظرف يجوز تعلقه بالسعي<sup>(٤)</sup>.

### فصل

قال ابن عباس وقتادة: معنى بلغ السعي أي المشي معه إلى الجبل<sup>(٥)</sup>، قال مجاهد عن ابن عباس: لما شب حتى بلغ سعيه سعي إبراهيم<sup>(٦)</sup> والمعنى أن ينصرف معه وبعينه في عمله<sup>(٧)</sup>، قال الكلبي: يعني العمل لله. وهو قول الحسن<sup>(٨)</sup>؛ ومقاتل وابن حبان وابن زيد قالوا: هو العبادة<sup>(٩)</sup>، واختلفوا في سنه، فقيل: كان ابن ثلاث عشرة سنة<sup>(١٠)</sup>، وقيل: كان ابن سبع سنين.

قوله: «إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ» قال المفسرون: لما بُشِّرَ إبراهيم - عليه (الصلاة والسلام) - بالولد قبل أن يولد له فقال: هو إذن لله ذبيح، فقيل لإبراهيم: قد نذرت نذراً فأوف بنذرك فلما أصبح قال يا بُنَيَّ: إِنْ أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ، وقيل: رأى في ليلة التروية في منامه كأن قائله يقول: إن الله يأمرك بذبح ابنك، فلما أصبح تروى في ذلك من الصباح إلى الرّواح، أمّن الله أو من الشيطان؟ فلذا سمي يوم التروية، فلما رأى ذلك أيضاً عرف أنه من الله تعالى فسمي يوم عَرَاقَةَ، ثم رأى مثله في الليلة الثالثة فهممّ بالنحر فسمي يوم النحر. وهو قول أكثر المفسرين. وهذا يدل على أنه رأى في المنام ما يوجب أن يذبح ابنه في اليقظة، وعلى هذا فتقدير اللفظ أرى في المنام ما يوجب أني أَذْبَحُكَ<sup>(١١)</sup>.

### فصل

اختلفوا في الذبيح، فقيل: إسحاق. وهو قول عمر، وعلي، وابن مسعود،

(١) و (٢) ما بين الأقواس سقط من ب.

(٣) قاله في الكشاف ٣٤٧/٣ وانظر: البحر المحيط ٣٦٩/٧ والدر المصون ٥٦٢/٤، و ٥٦٣.

(٤) المرجع الأخير السابق. (٥) زاد المسير ٧٢/٧.

(٦) القرطبي ٩٩/١٥.

(٧) غريب القرآن ٣٧٣ وتأويل المشكل ٣٩٠ والقرطبي المرجع السابق.

(٨) البيهقي ٢٦/٦، ٢٧. (٩) زاد المسير ٧٢/٧.

(١٠) وهو قول الكلبي المرجع السابق والفراء في المعاني ٣٨٩/٢.

(١١) انظر: البحر المحيط ٣٦٩/٧ والقرطبي ١٠٢/١٥ وهذا الرأي نسب للسدي وغيره.

والعباد بن عبد المطلب، وكعب الأحبار، وقتادة، وسعيد بن جبير، ومسروق، وعكرمة والزهري، والسدي، ومقاتل، وهي رواية عكرمة، وسعيد بن جبير، عن ابن عباس . وقالوا: وكانت هذه القصة بالشام<sup>(١)</sup>، وقيل: إنه إسماعيل وهو قول ابن عباس وابن عمر، وسعيد بن المسيب، والحسن، والشعبي، ومجاهد، والكلبي، والربيع بن أنس، ومحمد بن كعب القرظي وهي رواية عطاء بن أبي رباح ويوسف بن (مِهْرَان)<sup>(٢)</sup> عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>، وكذا القولين رُويَا عن رسول الله - ﷺ - واحتجَّ القائلون بأنه إسماعيل بقوله عليه (الصلاة و) السلام: «أَنَا ابْنُ الذَّبِيحَيْنِ»<sup>(٤)</sup> وقال له أعرابي: يَا ابْنَ الذَّبِيحَيْنِ فْتَبَسَّمُ النَّبِيُّ - ﷺ - فسئل عن ذلك فقال: «إِنَّ عَبْدَ الْمُطَلِّبِ لَمَّا حَفَرَ بئرَ زَمْرَمَ نَذَرَ إِنْ سَهَلَ اللَّهُ أَمْرَهَا لِيَذْبَحَنَ أَحَدًا وَلَدَهُ، فَخَرَجَ السَّهْمُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ فَمَنَعَهُ أَحْوَالُهُ وَقَالُوا لَهُ: أَفَدَّ ابْنُكَ بِمِائَةِ مِنَ الْإِبِلِ»<sup>(٥)</sup>. والذبيح الثاني إسماعيل ونقل الأصمعي أنه قال: سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا أصمعي: أين<sup>(٦)</sup> عقلك؟ ومتى كان إسحاق بمكة؟ وإنما كان إسماعيل بمكة وهو الذي بنى البيت مع أبيه والمنحز بمكة وقد وصف الله إسماعيل بالصبر دون إسحاق في قوله: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥] وهو صبره على الذبح، ووصفه أيضاً بصدق الوعد فقال: ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ [مريم: ٥٤] لأنه وعد أباه من نفسه الصبر على الذبح فقال: «سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ». وقال قتادة: «فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمَنْ وَرَاءَ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ» فكيف تقع البشارة المتقدمة؟! وقال الإمام أحمد: الصحيح أن الذبيح هو إسماعيل وعليه جمهور العلماء من السلف والخلف، قال ابن عباس: وذبحت اليهود أنه إسحاق وكذبت اليهود، وروى ابن عباس أنه هبط عليه الكيش من بشير فذبح وهو الكيش الذي قربه ابن آدم فتقبل منه فذبحه بمنى وقيل بالمقام، وروى: أنه كان وعلاً. وقيل: كان تيساً من الأروى، قال سفيان: لم يزل قرنا الكيش في البيت حتى أخرق فاخترقاً. وروى ابن عباس: أن الكيش لم يزل معلقاً عند ميزاب الكعبة حتى وحش وأرسل رسول الله ﷺ إلى عثمان بن طلحة فقالت امرأة عثمان لم دعاك رسول الله - ﷺ -؟ قال: إني كنت رأيت قرني الكيش حين دخلت البيت فنسيت أن أريك أين نحرها فإنه لا ينبغي أن يكون في البيت شيء يشغل المصلي، وهذا يدل على أن الذبيح كان إسماعيل لأنه الذي كان مقيماً بمكة، وإسحاق لا يعلم أنه

(١) انظر: زاد المسير ٧٢/٧ وهو نفس قول أبو موسى الأشعري وأبي هريرة وهوب بن منبه وعبيد بن عمير واختاره ابن جرير وانظر أيضاً القرطبي ٩٩/١٥ والكشاف ٣/٣٥٠.

(٢) سقط من ب.

(٣) وهو قول ابن سلام والحسن البصري وأبي صالح وعبد الرحمن بن سابط وانظر المراجع السابقة.

(٤) الحديث في المقاصد الحسنة ١٤ وانظر: الكشاف ٣/٣٥٠.

(٥) المرجع السابق.

(٦) في القرطبي: عزب عقلك.

كان قدمها في صغره وهذا ظاهر القرآن لأنه ذكر قصة الذبيح، ثم قال بعده: «وَيَسْرُزَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ»<sup>(١)</sup> قال ابن كثير: من قال: إنه إسحاق وإنما أخذه - والله أعلم - من كعب الأحبار أو من صحف أهل الكتاب وليس في ذلك حديث صحيح عن المعصوم حتى ينزل لأجله ظاهر الكتاب العزيز<sup>(٢)</sup>.

قوله: «مَاذَا تَرَى» يجوز أن تكون «ماذا» مركبة مُغَلَّباً فيها الاستفهام فتكون منصوبة وهي وما بعدها في محل نصب «بانظر» لأنها معلقة له<sup>(٣)</sup>، وأن تكون «ما» استفهامية ر «ذا» موصولة فتكون مبتدأ وخبراً. والجملة معلقة أيضاً<sup>(٤)</sup>، وأن تكون ماذا بمعنى الذي فيكون معمولاً<sup>(٥)</sup> لا نُنْظَرُ. وقرأ الأخوان تُرَى بالضم والكسر<sup>(٦)</sup>، والمفعولان محذوفان أي تُرِينِي إِيَّاهُ مِنْ صَبْرِكَ واحتمالك<sup>(٧)</sup>. وباقي السبعة تَرَى - بفتحتين - من الرُّأْيِ. وقرأ الأعمش والضحاك تَرَى بِالضَّمِّ والفتح<sup>(٨)</sup>، بمعنى: مَا يُحَيِّلُ إِلَيْكَ وَيَسْنَحُ لِخَاطِرِكَ<sup>(٩)</sup>.

قوله: «مَا تُوَمَّرُ» يجوز أن تكون «ما» بمعنى الذي<sup>(١٠)</sup>، والعائد مقدر، أي تُوَمَّرُهُ والأصل: تُوَمَّرُ بِهِ، ولكن حذف الجار مطرد فلم يحذف العائد إلا وهو منصوب المحل، فليس حذفه هنا كحذفه (في)<sup>(١١)</sup> قولك: جاء الذي مَرَزْتُ<sup>(١٢)</sup> وأن تكون مصدرية<sup>(١٣)</sup>، قال الزمخشري: أو أمرك على إضافة المصدر للمفعول وتسمية المأمور به أمراً<sup>(١٤)</sup>. يعني بقوله المفعول أي الذي لم يُسَمَّ فاعله، إلا أن في تقدير المصدرية (بفعل) مبني للمفعول خلافاً مشهوراً<sup>(١٥)</sup>.

- (١) وانظر هذا كله في معالم التنزيل للبغوي ٢٦/٦، ٢٧ ولباب التأويل للخانزاد ٢٦/٦، ٢٧ وابن كثير ١٣/٤.
- (٢) المرجع السابق.
- (٣) انظر: مشكل الإعراب ٢٤١/٢، والبحر المحيط ٣٧٠/٧، والتبيان ١٠٩٢ و الدر المنصون ٥٦٣/٤ والتبيان ٣٠٧/٢.
- (٤) المراجع السابقة.
- (٥) المراجع السابقة.
- (٦) من القراءات السبعة المتواترة انظر: السبعة ٥٤٨، والكشف ٢٢٧/٢، ٢٢٨ وانظر أيضاً الكشف ٣/٣٤٨ ومعاني الفراء ٣٨٩/٢، ٣٩٠.
- (٧) قاله الفراء في المرجع السابق وخالفه الرَّجَّاج فجعلها: «ماذا تشير» انظر: معاني القرآن وإعراجه ٤/٣١٠.
- (٨) المحتسب ٢/٢٢٢ والكشاف ٣/٣٤٨ وضبطها الفراء تُرَى ولعلها خطأ من الناسخ أو الطباعة.
- (٩) المحتسب المرجع السابق.
- (١٠) قال بهذا الزمخشري في الكشف ٣/٣٤٨ وأبو حيان في البحر ٧/٣٧٠ والسمين في الدر ٤/٥٦٣.
- (١١) سقط من ب.
- (١٢) الواقع أن هذا تجاوز في التعبير من المؤلف فالعائد عامة يحذف ولا خلاف أن حذف المنصوب قوي فكذلك ما في معناه. والعائد المجرور يجوز حذفه في صور وكذلك المرفوع يحذف في مواضع انظر ذلك بتفصيل في الهمع ١/٨٩، ٩٠.
- (١٣) المراجع السابقة البحر والكشاف والذّر.
- (١٤) الكشف السابق.
- (١٥) انظر الهمع ٢/٩٤ و الدر المنصون ٤/٥٦٣.

قوله: «سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ» لما تؤمر. إنما علق المشيئة لله تعالى على سبيل التبرك والتميم فإنه لا حول عن معصية الله إلا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله إلا بتوفيق الله.

## فصل

اختلف<sup>(١)</sup> الناس في أن إبراهيم - عليه (الصلاة و) السلام - كان مأموراً بهذا. وهذا الاختلاف يتفرع عليه مسألة أصولية وهي أنه هل يجوز نسخ الحكم قبل حضور وقت الامتثال، فقال بعضهم: إنه يجوز، وقالت المعتزلة وبعض الشافعية والحنفية: إنه لا يجوز فعلى الأول أن الله تعالى أمره بالذبح، ثم إن الله تعالى فسخ هذا التكليف قبل حضور وقته<sup>(٢)</sup>، وعلى الثاني أن الله تعالى ما أمره بالذبح وإنما أمره بمقدمات الذبح، واحتج الأولون بقصة إبراهيم - عليه (الصلاة و) السلام - وقول الولد لأبيه: «أفعل ما تؤمّر». وقالت المعتزلة لا نسلم أنه أمر بذبح ولده بل إنما أمر بمقدمات الذبح وهي إضجاعه، ووضع السكين على حلقه، والعزم الصحيح في الإتيان بذلك الفعل، ثم إن الله تعالى أخبر عنه بأنه أتى بما أمر به لقوله: «يا إبراهيم قَدْ صَدَقْتَ الرَّؤْيَا» فدل على أنه تعالى إنما أمره بمقدمات الذبح لا بنفس الذبح. وأيضاً فإن الذبح عبارة عن قطع الحلقوم، فلعل إبراهيم - عليه (الصلاة و) السلام - قطع الحلقوم إلا أنه كلما قطع جزءاً أعاد الله تأليفه ولهذا السبب لم يحصل الموت. وأيضاً فإنه تعالى لو أمر شخصاً معيناً بإيقاع فعل معين في وقت معين فهذا يدل على أن إيقاع ذلك الفعل في ذلك الوقت حسن فلو حصل النهي في عقيب ذلك الأمر لزم أحد أمرين إما أن يكون عالماً بحال ذلك الفعل فيلزم أن يقال: إنه أمر بالقبيح أو نهى عن الحسن، وإن لم يكن عالماً به لزم جهل الله (تعالى) وأنه محال، والجواب عن الأول أنه تعالى إنما أمره بالذبح لظاهر الآية وأما قولهم كلما قطع إبراهيم عليه (الصلاة و) السلام جزءاً أعاد الله تأليفه فهذا باطل لأن إبراهيم عليه (الصلاة و) السلام لو أتى بكل ما أمر به لما<sup>(٣)</sup> احتاج إلى الفداء وحيث احتاج إليه علمنا أنه لم يأت بكل ما أمر به، وأما قولهم: يلزم إما الأمر بالقبيح وإما الجهل فنقول: هذا بناء على أن الله لا يأمر إلا بما يكون حسناً في ذاته ولا ينهى إلا عما يكون قبيحاً في ذاته فذلك مبني على تحسين العقل وتقييحه. وهو باطل فإن سلمنا ذلك فليم<sup>(٤)</sup> (لا) يجوز أن يكون الأمر بالشيء تارة حسناً لكون المأمور به حسناً في ذلك الوقت لمصلحة من المصالح وإن لم يكن المأمور به حسناً كما إذا أراد السيد اختبار طاعة العبد فيقول له: اعمل الفعل الفلاني في يوم الجمعة ويكون ذلك الفعل شاقاً ويكون مقصود السيد ليس أن يأتي العبد بذلك الفعل بل أن يوطن العبد نفسه على الانقياد

(٢) في ب: دفعه.

(١) انظر هذه الآراء في الرازي ١٥٥/٢٦.

(٤) كلمة «لا» سقطت من نسخة ب.

(٣) في ب: «فما» بدل «لما».

والطاعة ثم إن السيد إذا علم منه توطين نفسه على الطاعة فقد يزيل (الألم عنه)<sup>(١)</sup> بذلك التكليف فكذا ههنا.

### فصل

احتجوا بهذه الآية على أنه تعالى قد يأمر بما لا يريد وقوعه، لأنه تعالى لو أراد وقوعه لوقع الذبح لا محالة.

### فصل في الحكمة في ورود هذا التكليف في النوم لا في اليقظة<sup>(٢)</sup>

وذلك من وجوه:

الأول: أن هذا التكليف في نهاية المشقة على الذابح والمذبح فورد أولاً في النوم حتى يصير ذلك كالمفيد<sup>(٣)</sup> لو رُود هذا التكليف الشاق، ثم يتأكد ذلك بأحوال اليقظة لكيلا يهجم هذا التكليف الشاق على النفس دفعة واحدة بل على التدريج.

الثاني: أن الله تعالى جَعَلَ رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ (الصَّلَاةُ وَ) السَّلَامُ - حَقًّا، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ [الفتح: ٢٧] وقال عن يوسف: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤] وقول إبراهيم: ﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾. والمقصود من هذا تقوية الدلالة على كونهم صادقين فإذا تظاهرت الحالتان على الصدق دل ذلك على نهاية كونهم محقين في كل الأحوال<sup>(٤)</sup>.

### فصل

والحكمة في مشاورة الابن في هذا الأمر ليظهر له صبره في طاعة الله فيكون فيه قوة عين لإبراهيم حيث يراه قد بلغ في الحكمة إلى هذا الحد العظيم في الصبر على أشد المكاره إلى هذه الدرجة العالية ويحصل للابن الثواب العظيم في الآخرة والثناء الحسن في الدنيا<sup>(٥)</sup>.

قوله: «فَلَمَّا أَسْلَمًا» في جوابها ثلاثة أوجه:

أظهرها: أنه محذوف أي ذَاتُهُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ ظَهَرَ صَبْرُهُمَا، أَوْ أَجْرَلْنَا لِهَمَا أَجْرَهُمَا<sup>(٦)</sup>، وقدره بعضهم: بعد الرؤيا؛ أي كان ما كان مما يَنْطِقُ به الحال والوصف مما لا يدرك كُنْهَهُ<sup>(٧)</sup>، ونقل ابن عطية: أن التقدير فَلَمَّا أَسْلَمًا أَسْلَمًا<sup>(٨)</sup> وَتَلَّهُ كَقَوْلِهِ:

(١) تكلمة من الرازي فقد سقطت من ب.

(٢) انظر كل هذا في التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي ٢٦/١٥٥، ١٥٦.

(٣) في الرازي كالمعنى.

(٤) الرازي ٢٦/١٥٦.

(٥) المرجع السابق.

(٦) قاله مكي في مشكله ٢/٢٤٠ وصاحب التبيان ١٠٩٢ والبيان ٢/٣٠٧ والزمخشري ٤/٥٦٣.

(٧) هذا هو تقدير الزمخشري في الكشاف من كلام قاله فيه هذا معظمه. الكشاف ٣/٣٤٨.

(٨) البحر ٧/٣٧٠.

٤٢١٩ - فَلَمَّا أَجْرْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ وَانْتَحَى بِنَا بَطْنُ خَبْتِ ذِي قَفَابٍ عَقَنْقَلٍ<sup>(١)</sup>

أي فلما أجزنا أجزنا وانتحي<sup>(٢)</sup> ويغزى هذا لسببويه وشيخه الخليل<sup>(٣)</sup>. وفيه نظر من حيث اتخاذ الفعلين الجاريتين مجزى الشرط والجواب، إلا أن يقال: جعل التغير في الآية بالعطف على الفعل وفي البيت بعمل الثاني في «ساحة» وبالعطف عليه أيضاً، والظاهر أن مثل هذا لا يكفي في التغير<sup>(٤)</sup>.

الثاني: أنه «وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ» والواو زائدة وهو قول الكوفيين والأخفش<sup>(٥)</sup>.

والثالث: أنه: «وَنَادَيْنَاهُ» والواو زائدة<sup>(٦)</sup> أيضاً كقوله: «وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجَبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ»<sup>(٧)</sup> [يوسف: ١٥] فنودي من الجبل أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا. ثم الكلام هنا. ثم ابتداء: إِنَّ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وقرأ عليّ وعبد الله وابن عباس سلماً<sup>(٨)</sup>، وقرىء: «استسلمات»<sup>(٩)</sup>. «وتله» أي صرعه وأضجعه على شبقه، وقيل: هو الرمي بقوة وأصله من رمى به على التل وهو المكان المرتفع أو من التليل وهو العنق، أي رماه على عنقه، ثم قيل لكل إسقاط وإن لم يكن على تل ولا عنق. والتل الریح الذي يتل به،

(١) من الطويل من المعلقة المعهودة ويروى الشطر الثاني هكذا:

بنا بطن حقي ذي ركام عقنقل

وأجزنا: قطعنا، والساحة: الفناء، وانتحي: اعترض، والخبث: بطن من الأرض غامض. والقفاب مفردة قف ما غلظ من الأرض وارتفع والعقنقل: المنعقد المتداخل بعضه في بعض وهو يخبرنا بحاله معها. وشاهده: أن جواب لما مقدر من لفظ فعل الشرط كما قاله ابن عطية و«انتحي» عطف على «أجزنا» المقدر. وهو الجواب وانظر: البحر ٣٧٠/٧ والإنصاف ٤٥٧ ومعاني الفراء ٢/٢٥٠، ٢٦١ والسبع الطوال ٥٤، ٥٥ والجامع للقرطبي ١٥/١٠٤ والمنصف ٣/٤١ واللسان: «ج و ز» وتمهيد القواعد ٢/٨٤٥ وديوانه ١٥/ بلفظ: «ذي ركام».

(٢) في ب: انتهى. وهو غير مراد.

(٣) وفيها: الجليل بالجيم. وقد قال في الكتاب: «وسألت الخليل عن قوله: «حتى إذا جاءها وفتحت أبوابها» أين جوابها وعن قوله... فقال: إن العرب قد تترك في مثل هذا الخير في كلامهم لعلم المخبر لأي شيء وضع هذا الكلام». فلم يقدر سببويه ولا شيخه الجواب بلفظ الشرط ولعله في مكان آخر لم نقع عليه.

(٤) قاله شهاب الدين السمين في الدر ٤/٥٦٤.

(٥) نقله البيان ٢/٣٠٧، والبيان ١٠٩٢ ومشكل الإعراب ٢/٢٤٠ لبعض الكوفيين.

(٦) ونسبه مكي للكسائي ٢/٢٤٠ وانظر: البيان ٢/٣٠٧ والفراء ٢/٣٩٠، والبيان ١٠٩٢ وانظر هذا في السمين ٤/٥٦٤ والبحر ٧/٣٧٠.

(٧) وأوضح المبرد في المقتضب رأي البصريين في عدم زيادة الواو وقال: «وزيادة الواو غير جائزة عند البصريين». المقتضب ٢/٧٨.

(٨) انظر: الإتحاف ٣٧٠ وابن خالويه ١٢٨ والمحتسب ٢/٢٢٢.

(٩) لم تنسب في كل من الكشاف ٣/٣٤٨ والبحر ٧/٣٧٠.

و «الْجَبِينُ» ما انكشف من الجبهة من هنا ومن هنا، وشد جمعه على أُجْبِن، وقياسه في القلة أُجْبِنَةٌ كَأَرْعَفَةٍ وفي الكثرة جُبْنٌ وَجُبْتَانٌ كَرُغَيْفٍ وَرُغْفٍ وَرُغْفَانٍ<sup>(١)</sup>.

### فصل

المعنى سلم لأمر الله، وأسلم واستسلم بمعنى واحد أي انقاد وخضع. والمعنى أخلص نفسه لله وجعلها سالمة خالصة وكذلك استسلم استخلص نفسه لله، وعن قتادة في أسلماً: أسلم هذا ابنه، وهذا نفسه<sup>(٢)</sup>، وقوله: «وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ» أي صرعه على شقه فوق أحد جبينيه للأرض وللوجه جَبِينَانِ والجبهة بينهما. قال ابن الأعرابي: التَّلِيلُ وَالمَثْلُولُ المَصْرُوعُ وَالمَثْلُ الذي يَتَلُّ به أي يُصْرَعُ<sup>(٣)</sup>، والمعنى أنه صرعه على جبينه. وقال مقاتل: كبه على جبهته وهذا خطأ لأن الجبين غير الجبهة «وَنَادَيْتَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا».

فإن قيل: لِمَ قَالَ: صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا وكان قد رأى الذي لم يُذْبِحْ؟ قيل: جعله مصدقاً لأنه قد أتى بما أمكنه والمطلوب إسلامهما لأمر الله وقد فعلاً. وقيل: قد كان رأى في النوم مصالحة ولم ير إراقَةَ دَمٍ وقد فعل في اليقظة ما رأى في النوم ولذلك قال: قد صدقت الرؤيا، قال المحققون: السبب في هذا التكليف كمال طاعة إبراهيم لتكليف الله فلما كلفه هذا التكليف الشاق الشديد وظهر منه كمال الطاعة وظهر من ولده كمال الطاعة والانقياد لا جرم قال الله تعالى: «قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا»، وقوله: «إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ» ابتداء إخبار من الله تعالى والمعنى إنا كما عَفَوْنَا عن ذبِيح ولده كذلك نَجْزِي من أحسن في طاعتنا<sup>(٤)</sup> قال مقاتل: جزاه الله بإحسانه في طاعته العفو عن ذبِيح ولده «إِنَّ هَذَا لَهُوَ البَلَاءُ المَبِينُ» الاختبار<sup>(٥)</sup> البَيِّنُ الذي يتميز فيه المخلصون من غيرهم أو المحنة البينة الصعوبة التي لا محنة أضعب منها، وقال مقاتل<sup>(٦)</sup>: البلاء ههنا التعمية وهو أن فدى ابنه بالكبش، وقوله: «وَقَدَيْتَاهُ بِذَبِيحٍ عَظِيمٍ» الذَّبِيحُ مصدر ذَبَحْتُ وَالدَّبِيحُ أيضاً ما يذبح وهو المراد في هذه الآية<sup>(٧)</sup>. وسمي عظيماً لِسَمِيهِ<sup>(٨)</sup> وَعَظْمِهِ، وقال سعيد بن جبيرة: حق

(١) وانظر في هذا غريب القرآن ٣٧٣ ومجازه ١٧١/٢ ومعاني القرآن وإعرابه ٣١١/٤ للزجاج ومعاني القرآن للفراء ٣٩٠/٢، وانظر أيضاً اللسان: «ت ل ل» و «ح ب ن».

(٢) وانظر: القرطبي ١٠٤/١٥ والذر المصون ٥٦٣/٤، ٥٦٤.

(٣) اللسان: «ت ل ل» ٤٤١ والرازي ١٥٧/٢٦ ونوادير ابن الأعرابي «ت ل ل».

(٤) انظر: تفسير إمامنا فخر الدين الرازي ١٥٧/٢٦، ١٥٨.

(٥) المرجع السابق.

(٦) قاله أبو الفرج ابن الجوزي في زاد المسير ٧٧/٧.

(٧) السابق. وانظر أيضاً القرطبي ١٠٧/١٥، وبكسر الدال اسم ما ذبح. وانظر: غريب القرآن ٣٧٤ والمجاز ١٧٣/٢.

(٨) قاله الماوردي.

له أن يكون عظيماً لعِظَمِ قَدْرِهِ حيث قبله الله فداء ولد إبراهيم<sup>(١)</sup>. وتقدم الكلام على نظير بقية القصة.

قوله تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن دُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾

قوله: «وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ». «نبياً» نصب على الحال. وهي حال مقدرة<sup>(٢)</sup>. قال أبو البقاء: إِنْ كَانَ الذَّبِيحُ إِسْحَاقَ فَيُظْهِرُ كَوْنَهَا مَقْدَرَةٌ وَإِنْ كَانَ إِسْمَاعِيلَ هُوَ الذَّبِيحُ وَكَانَتْ هَذِهِ الْبَشَارَةُ بِشَارَةَ بَوْلَادَةِ إِسْحَاقَ فَقَدْ جَعَلَ الزَّمْخَشَرِيُّ ذَلِكَ مَحَلَّ سَوَالٍ<sup>(٣)</sup> قَالَ: فَإِنِ قُلْتُ: فَرَقَ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ قَوْلِهِ: «فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ» وَذَلِكَ أَنَّ الدَّخُولَ مَوْجُودَ مَعَ وَجُودِ الدَّخُولِ وَالْخُلُودِ (غَيْرِ) مَوْجُودَ مَعَهُمَا فَقَدَرْتُ الْخُلُودَ فَكَانَ مُسْتَقِيمًا وَلَيْسَ كَذَلِكَ الْمُبَشِّرُ بِهِ فَإِنَّهُ مَعْدُومٌ وَقَدْ وَجُودَ الْبَشَارَةِ وَعَدَمُ الْمُبَشِّرِ بِهِ أَوْجَبَ عَدَمَ حَالِهِ لِأَنَّ الْحَالَ حَالِيَةٌ<sup>(٤)</sup> لَا يَقُومُ إِلَّا فِي الْمَحَلِّ. وَهَذَا الْمُبَشِّرُ بِهِ الَّذِي هُوَ إِسْحَاقُ حِينَ وَجَدَ لَمْ تَوْجِدِ النَّبُوَّةَ أَيْضًا بِوُجُودِهِ بَلْ تَرَاخَتْ عَنْهُ مَدَّةٌ طَوِيلَةٌ فَكَيْفَ نَجْعَلُ «نَبِيًّا» حَالًا مَقْدَرَةً وَالْحَالَ صِفَةٌ لِلْفَاعِلِ<sup>(٥)</sup> وَالْمَفْعُولِ عِنْدَ وَجُودِ الْفِعْلِ مِنْهُ أَوْ بِهِ؟ فَالْخُلُودُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ صِفَتُهُمْ عِنْدَ دَخُولِ الْجَنَّةِ فَتَقْدَرُهَا صِفَتُهُمْ لِأَنَّ الْمَعْنَى مَقْدَرِينَ الْخُلُودَ وَلَيْسَ كَذَلِكَ النَّبُوَّةُ فَإِنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَى أَنْ تَكُونَ مَوْجُودَةً أَوْ مَقْدَرَةً وَقَدْ وَجُودَ الْبَشَارَةِ بِإِسْحَاقَ لِعَدَمِ إِسْحَاقَ قُلْتُ: هَذَا سَوَالٌ دَقِيقٌ الْمَسْلُوكِ<sup>(٦)</sup>. وَالَّذِي يَحِلُّ الْإِشْكَالُ أَنَّهُ لَا بَدَّ مِنْ تَقْدِيرِ مُضَافٍ وَذَلِكَ قَوْلُهُ: وَبَشَّرْنَاهُ بِوُجُودِ إِسْحَاقَ نَبِيًّا أَيُّ بَأَنَّ يَوْجُدُ مَقْدَرَةٌ نَبُوَّتُهُ، وَالْعَالَمُ فِي الْحَالِ الْوُجُودَ لَا فِعْلَ الْبَشَارَةِ، وَذَلِكَ يَرْجِعُ نَظِيرَ قَوْلِهِ تَعَالَى: «فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ» انْتَهَى<sup>(٧)</sup>. وَهُوَ كَلَامٌ حَسَنٌ.

قوله: «مِنَ الصَّالِحِينَ» يجوز أن يكون صفة «لِنَبِيًّا» وأن يكون حالاً من الضمير في «نَبِيًّا» فتكون حالاً متداخلة<sup>(٨)</sup>، ويجوز أن تكون حالاً ثانية، قال الزمخشري: وَوَرُودُهَا عَلَى سَبِيلِ التَّنَاءِ وَالتَّفْرِيطِ لِأَنَّ كُلَّ نَبِيٍّ لَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ مِنَ الصَّالِحِينَ<sup>(٩)</sup>.

قوله: «وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ» يعني على إبراهيم في أولاده «وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ» بَأَنَّ أُخْرِجَ جَمِيعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ صُلْبِهِ<sup>(١٠)</sup>.

(١) وهو رأي مجاهد أيضاً وانظر زاد المسير ٧٨/٧.

(٢) التبيان ١٠٩٢ والسمين ٥٦٥/٤.

(٣) قال في البحر ٧/٣٧١، ٣٧٢ «ومن جعل الذبيح إسحاق جعل هذه البشارة بشارة بنبوته، ومن جعله إسماعيل جعل البشارة بولده إسحاق إلخ...».

(٤) في الكشف: لا محالة لأن الحال حالية والحلية لا تقوم.

(٥) وفيه: صفة الفاعل أو المفعول. (٦) فيه: دقيق المسلك ضيق.

(٧) وانظر: الكشف ٣/٣٥١ والبحر ٧/٣٧١، ٣٧٢ والآية في: «فادخلوها» [الزمر: ٧٣].

(٨) الدر المصون ٤/٥٦٥. (٩) الكشف ٣/٣٥١ وانظر المرجع السابق.

(١٠) الرازي ٢٦/١٥٩.

وقيل: هو الثناء الحسن على إبراهيم وإسحاق إلى يوم القيامة. «وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ مُؤْمِنٌ «وَوَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ» أي كافر «مُؤْمِنٌ» ظاهر وفي ذلك تنبيه على أنه لا يلزم من كثرة فضائل الأب فضيلة الابن لثلاث تصير هذه الشبهة سبباً لمفاخرة اليهود<sup>(١)</sup>، ودخل تحت قوله: «مُحْسِنٌ» الأنبياء والمؤمنون، وتحت قوله: «وَوَظَالِمٌ» الكافر والفاسق.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ وَجَعَلْنَاهُمَا قَوْمَهُمَا مِنْ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَبَّرْنَاهُم فكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْأَخْرَبِ ﴿١١٩﴾ سَلَّمْنَا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾﴾

قوله تعالى: «وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ» أنعمنا عليهما بالنبوة «وَجَعَلْنَاهُمَا قَوْمَهُمَا مِنْ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ» الذي كانوا فيه من استعباد فرعون إياهم.

قوله<sup>(٢)</sup>: «وَتَبَّرْنَاهُمْ» قيل: الضمير يعود على «موسى وهارون وقومهما»، وقيل: عائد على الاثنين بلفظ الجمع تعظيماً كقوله<sup>(٣)</sup>:

٤٢٢٠ - فَإِنْ شِئْتَ حَرَمْتُ النَّسَاءَ سِوَاكُمْ

.....<sup>(٤)</sup>

«يَأْيُهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النَّسَاءَ».

قوله: «فَكَانُوا هُمْ» يجوز في «هم» أن تكون تأكيداً، وأن تكون بدلاً، وأن تكون فصلاً، وهو الأظهر<sup>(٥)</sup>.

## فصل

المعنى: فكانوا هم الغالبين على القبط في كل الأحوال، أما في أول الأمر فيظهر الحجة، وأما في آخر الأمر فبالدولة والرفعة «وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَقِيمَ» المستنير المشتمل على جميع العلوم المحتاج إليها في مصالح الدين والدنيا<sup>(٦)</sup> كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٤]. «وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ» دللناهما

(١) المرجع السابق.

(٢) ما بين القوسين ساقط من ب.

(٣) وانظر القرطبي ١١٤/١٥، ومعاني القراء ٣٩٠/٢، والدر المصون ٥٦٦/٤.

(٤) مضى أن هذا صدر بيت لعمر بن أبي ربيعة وعجزه:

.....  
وإن شئت لم أطمع نقاحاً ولا برداً

وشاهده هنا: مخاطبة المفرد مخاطبة الجمع تعظيماً وإكباراً فالأصل: سواك أو سواكن.

(٥) قال بهذه الأوجه الثلاثة أبو حيان في البحر ٣٧٢/٧، وشهاب الدين السمين ٥٦٦/٤.

(٦) القرطبي / ١١٤.

على طريق الحق عقلاً وسمعاً. «وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْأَخْرِينِ». تقدم الكلام عليه في آخر القصة.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَّمَ عَلَيْنَ إِلَى يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾

قوله: «وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ» قرأ العامة إلياس بهمزة مكسورة همزة قطع، وابن ذكوان بوصلها، ولم ينقلها عنه أبو حيان بل نقلها عن جماعة غيره<sup>(١)</sup>، ووجه القراءة فيه أنه اسم أعجمي تلاعبت به العرب فقطعت همزته تارة ووصلتها أخرى، وقالوا فيه إلياسين كجبرائيلين، وقيل: تحتل (٢) قراءة الوصل أن يكون اسمه ياسين ثم دخلت عليه «أل» المعرفة كما دخلت على «يَسَع»<sup>(٣)</sup>؛ وقد تقدم. وإلياس هذا قيل: ابن (إل)<sup>(٤)</sup> ياسين المذكور بعد ولد هارون أخي موسى<sup>(٥)</sup>، وقال ابن عباس هو ابن عم اليَسَع<sup>(٦)</sup>، وقال ابن إسحاق: هو إلياس بن بشير بن فُحَّاص بن العيران بن هارون بن عمران، وروى عن عبد الله بن مسعود قال: إلياس هو إدريس<sup>(٧)</sup> وفي مصحفه «وَإِنَّ إِدْرِيْسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ» وبها قرأ عبد الله والأعمش وابن وثاب<sup>(٨)</sup>، وهذا قول عكرمة، وقرئ إدرايس (يل)<sup>(٩)</sup> وإبراهيم وإبراهيم، وفي مصحف أبي قراءته وإن أيليس بهمزة مكسورة ثم ياء ساكنة بنقطتين من تحت ثم لام مكسورة ثم ياء بنقطتين من تحت ساكنة ثم سين مفتوحة مهملة<sup>(١٠)</sup>.

قوله: «إِذْ قَالَ» ظرف لقوله «لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ» والتقدير: اذكر يا محمد لقومك إذ قال

(١) قال: وقرأ الأعرج وأبو رجاء وابن عامر وابن محيصن وعكرمة والحسن بخلاف عنهما بوصل الألف فاحتمل أن يكون وصل همزة القطع. انظر: البحر ٣٧٣/٧ وانظر: الإتحاف ٣٧٠ وهي من السبعة المتواترة.

(٢) نقل هذين الوجهين شهاب الدين السمين في الدر المصون ٥٦٦/٤ وما في المحتسب والبحر أن اسمه ياس كباب ودار ثم لحقه لام التعريف فصار إلياس بمنزلة الباب والدار. المحتسب ٢٢٣/٢ والبحر ٣٧٣/٧.

(٣) قرأ الجمهور بلام واحدة وفتح الياء بعدها.

(٤) سقط من ب: (ال). (٥) وانظر: الكشاف ٣/٣٥٣.

(٦) قال القرطبي في الجامع ١٥/١٥ عم اليسع.

(٧) الرازي ١٦١/٢٦ والكشاف ٣/٣٥٢.

(٨) السابقة وانظر: مختصر ابن خالويه ٢٨.

(٩) الياء واللام زائدتان من «ب» فهي إدرايس وانظر: المحتسب ٢/٢٢٠.

(١٠) حكاه أبو حاتم عن أبي. انظر: المرجع السابق وانظر في هذا كله السمين ٥٦٦/٤ و ٥٦٧.

لقومه: أَلَا تَتَّقُونَ<sup>(١)</sup> أي لا تخافون الله. ولما خوفهم على سبيل الاحتمال ذكر ما هو السبب لذلك التخويف فقال: «أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ».

قوله: «بَعْلًا» القراء على تنوينه منصوباً وهو الرب بلغة اليمن سمع ابن عباس رجلاً منهم يُنشد ضالَّةً فقال آخر: أنا بَعْلُهَا، فقال: الله أكبر وتلا الآية. ويقال: مَنْ بَعْلٌ هذه الدار؟ أي مَنْ رَبُّهَا؟ وسمي الزوج بعلاً لهذا المعنى، قال تعالى: ﴿وَمَوْلَاهُنَّ أَحَقُّ بِرَبِّهِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، وقال: ﴿وَهَذَا بَعْلِي شَيْعًا﴾ [هود: ٧٢] فعلى هذا التقدير: المعنى أتعبدون بعض البعول وتتركون عبادة الله تعالى وقيل: هو علم لصنم بعينه، وقيل: هو علم لامرأة بعينها أتتهم بضلالٍ فاتبعوها<sup>(٢)</sup>، ويؤيده قراءة من قرأ: «بَعْلَاء» بزنة حمراء<sup>(٣)</sup>.

قوله: «وَتَذَرُونَ» يجوز أن يكون حالاً، على إضمار مبتدأ، وأن يكون عطفاً على «تَدْعُونَ» فيكون داخلاً في خبر الإنكار<sup>(٤)</sup>.

قوله: «اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ» قرأ الأخوان بنصب الثلاثة<sup>(٥)</sup> من ثلاثة أوجه: النصب على المدح<sup>(٦)</sup> أو البدل<sup>(٧)</sup> أو البيان إن قلنا: إن إضافة «أفعل» إضافة محضة<sup>(٨)</sup>، والباقون بالرفع إما على أنه خبر ابتداء مضمرة أي هو الله<sup>(٩)</sup>، أو على أن الجلالة مبتدأ وما بعده الخبر<sup>(١٠)</sup>، روي عن حمزة أنه كان إذا وصل نصب، وإذا وقف رفع. وهو حسن جداً. وفيه جمع بين الروايتين.

- (١) الدر المصون ٥٦٧/٤، والبيان ١٠٩٢. وقيل: بإضمار أعني. المرجع السابق.
- (٢) انظر هذه المعاني والآراء كلها في البحر ٣٧٣/٧، والكشاف ٣/٣٥٢، والرازي ٢٦/١٦١، وزاد المسير لأبي الفرج ابن الجوزي ٨٠/٧، والقرطبي ١١٧/١٥، ومعاني الفراء ٢/٣٩٢ و ٣٩٣، وانظر أيضاً في معنى البعل: الغريب لابن قتيبة ٣٧٤، والمجاز لأبي عبيدة ١٧٢/٢ واللسان: «ب ع ل» ٣١٦ ومعاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق الزجاج ٤/٣١٢.
- (٣) ذكر هذه القراءة أبو حيان في البحر ٣٧٣/٧ وشهاب الدين السمين في الدر ٤/٥٦٧ وابن خالويه في المختصر ١٢٨ وهي من القراءة الشاذة وانظرها أيضاً في شواذ القرآن «٢٠٧».
- (٤) الدر المصون ٥٦٧/٤.
- (٥) من القراءات المتواترة. السبعة ٥٤٩ وإبراز المعاني ٦٦٦ وحجة ابن خالويه ٣٠٤ والنشر ٢/٣٦٠، والكشف ٢/٢٢٨.
- (٦) قاله أبو البقاء ١٠٩٣ أي أعني.
- (٧) السابق والبيان ٢/٣٠٧ ومشكل الإعراب لمكي ٢/٢٤٢ وانظر كل هذا في الدر المصون ٤/٥٦٧.
- (٨) هذا قول أبي حيان والسمين في البحر والدر، البحر ٧/٣٧٣ والدر ٤/٥٦٧.
- (٩) المرجع الأخير السابق وانظر: القرطبي ١١٧/١٥ ونقله عن أبي حاتم.
- (١٠) الدر المصون السابق ومشكل الإعراب ٢/٢٤٣ وإعراب النحاس ٣/٤٣٦ والبيان ٢/٣٠٧ ومعاني الزجاج ٤/٣١٣.

## فصل

قال المفسرون: لما قَبَضَ اللهُ حِزْقِيلَ<sup>(١)</sup> - عليه (الصلاة و) السلام - عَظَمَتِ الأحداثُ في بني إسرائيل وظهر فيهم الفساد والشك وعبدوا الأوثان من دون الله - عز وجل - فبعث الله إليهم إلياس نبياً، وكانت الأنبياء من بني إسرائيل، يبعثون من بعد موسى بتجديد ما نَسُوا من التوراة وبنو إسرائيل كانوا متفرقين في أرض الشام، وسبب ذلك أن يُوَشَعَ بن نُونٍ لما فتح الشام بوأها بني إسرائيل وقسمها بينهم فأحل سبطاً منهم بعلبك ونواحيها وهم السبط الذين كان منهم إلياس فبعثه الله إليهم نبياً وعليهم يومئذ ملك يقال له أحب قد أضلَّ قومه وأجبرهم على عبادة الأصنام وكان يعبد هو وقومه صنماً يقال له بَغْلٌ وكان طوله عشرين ذراعاً وله أربعة أوجه فجعل إلياس يدعوهم إلى الله - عزَّ وجلَّ - وهم لا يسمعون إلا ما كان من الملك فإنه صدقه وأمن به ثم ذكروا قصة طويلة وذكرها في آخرها أن إلياس رفع إلى السماء وكساه الله الرِّيشَ وقطع عنه لِيذَّةَ المطعم والمشرب فكان إنسياً ملكياً أرضياً سمائياً<sup>(٢)</sup>، قال ابن أبي دُوَادٍ<sup>(٣)</sup>: إِنَّ الخضرَ وإلياسَ يصومان شهر رمضان ببيت المقدس ويوافقان الموسم في كل عام. وقيل: إِنَّ إلياسَ وكلَّ بالفيافي والخضرَ وكلَّ بالعمار. ثُمَّ قال تعالى: «فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ» أي لمحضرون النار غداً «إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ» من قومه الذين أوتوا بالتوحيد الخالص فإنهم محضرون «وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ».

قوله: «إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ» استثناء من فاعل «فكذبوه» وفيه دلالة على أن في قومه من لم يكذبه فلذلك استثنوا ولا يجوز أن يكونوا مُسْتَثْنَيْنِ من ضمير «لَمُحْضَرُونَ»؛ لأنه يلزم أن يكونوا مُنْدَرِجِينَ فيمن كذب لكنهم لم يحضروا لكونهم عباد الله المخلصين. وهو بين الفساد. (و) لا يقال: هو مُسْتَثْنَى منه استثناء منقطعاً؛ لأنه يصير المعنى لكن عباد الله المخلصين من غير هؤلاء لم يحضروا. ولا حاجة إلى هذا بوجه إذ به يَفْسُدُ نَظْمُ الكَلَامِ<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: «على إلياسين» قرأ نافع وابن عامر «أَلِ يَاسِينَ» بإضافة «أل» - بمعنى الأهل - إلى ياسين والباقون بكسر الهمزة وسكون اللام موصولة بياسين<sup>(٥)</sup>؛ كأنه جمع

(١) هو حزقييل بن بودي وهو الذي أصاب قومه الطاعون وحذَّروهم من الموت. انظر: معارف ابن قتيبة ٥١.

(٢) انظر هذه القصة في زاد المسير ٨١/٧.

(٣) أبو عبد الله أحمد بن أبي دُوَادٍ كان من أصل المعتزلة وأفاضلهم وممن جرد في إظهار المذهب والذب عن أهله والعناية به مات سنة ٢٤٠ هـ. انظر: الفهرست ٢١٢، وانظر: البغوي ٣٦/٦ و ٣٧.

(٤) انظر بالمعنى من البحر المحيط ٣٧٣/٧ وباللفظ من الدر المصون ٥٦٨/٤.

(٥) من القراءة المتواترة. انظرها في السبعة ٥٤٩ وحجة ابن خالويه ٣٠٣، والنشر ٣٦٠/٢ والكشف ٢/٢.

إلياس جمع سلامة<sup>(١)</sup>، فأما الأولى<sup>(٢)</sup> فإنه أراد بالآل إلياس ولد ياسين كما تقدم وأصحابه، وقيل: المراد بياسين هذا إلياس المتقدم فيكون له اسمان مثل إسماعيل وإسماعين وميكائيل وميكائين، وآله: زهطه وقومه المؤمنون، وقيل: المراد بياسين، محمد بن عبد الله - ﷺ - وقيل: المراد بياسين اسم القرآن كأنه قيل سلام على من آمن بكتاب الله الذي هو ياسين.

وأما القراءة الثانية، فقيل: هي جمع إلياس المتقدم وجمع باعتبار أصحابه (ك) المَهَالِبَةِ والأشَاعِنَةِ فِي الْمَهَلْبِ وَبَيْنِهِ وَالْأَشْعَثُ وَقَوْمِهِ. وهو في الأصل جمع المنسوب إلى إلياس والأصل إلياسي<sup>(٣)</sup> كأشعري، ثم استثقل تضعيفهما فحذفت إحدى يائي النسب، فلما جمع جمع سلامة التقى ساكنان إحدى اليائين (و)<sup>(٤)</sup> ياء الجمع فحذفت أولاهما لالتقاء الساكنين فصار الياسين كما ترى ومثله الأشعرون<sup>(٥)</sup> والخبيبون<sup>(٦)</sup>، قال:

٤٢٢١ - قَدْنِي مِنْ نَضْرِ الْخَبِيبِينَ قَدِي (٧)

وقد تقدم طرف من هذا آخر الشعراء عند قوله: «الأعجمين»<sup>(٨)</sup> إلا أن الزمخشري قد رد هذا بأنه لو كان على ما ذكر لوجب تعريفه بأل، فكان يقال على الإلياسيين<sup>(٩)</sup>:

(١) انظر هذا التوجيه بالمعنى في الكشف ٢/٢٢٧ وانظر المحتسب ٢/٢٢٣. والدر المصون ٤/٥٦٨، وزاد المسير لابن الجوزي ٧/٨٢: ٨٤.

(٢) المراجع السابقة.

(٣) هذا مأخوذ من كلام ابن جني في المحتسب قال: «والياسين على هذا كأنه على إرادة ياء النسب كأنه الياسين كما حكى عنهم صاحب الكتاب الأشعرون والثميرون يريد الأشعريين والنميريين» ثم قال: «وقد يجوز أن يكون جعل كل واحد من أهل إلياس ياساً فقال إلياسين» المحتسب ٢/٢٢٣.

(٤) لفظ الواو سقط من نسخة «ب».

(٥) فإن مفردها أشعري.

(٦) فإن مفردها خبيبي، وانظر: الدر المصون ٤/٥٦٨، ومجاز القرآن ٢/١٧٢ و ١٧٣ وعلى هذا فإن الياسين قبل الإعلال والحذف كانت الياسيين بياء النسبة وياء الجمعية فحصل فيها ما أثبت من علة وتوجيه.

(٧) صدر بيت من الرجز لحميد الأرقط عجزه:

ليس أميري بالشحيح الملحد

وا احتمال أن يكونا شطري رجز لا بيتاً واحداً. والخبيبين يروى بالثنية وبالجمع والجمع يكون فيه الاستشهاد حيث كان الأصل الخبيبين فحدث فيه ما حدث حيث جعلهم كأن كل رجل منهم خبيب مثل الأشعرون إذا نسبوا إلى الأشعر. والمراد بالخبيبين أبا خبيب ومصعباً أخاه. وانظر المحتسب ٢/٢٢٣ والإنصاف ١٣١ وابن يعيش ٣/١٢٤ و ٧/٢٤٣ وشرح الكافية ٢/٢٣ والمقتصد ٢٠٢ والخزانة ٥/٣٨٢ و ٢٩٦ والأشموني ١/٢٢٥ وكامل المبرد ١٠/١٤٤ والمجاز ٢/١٧٣.

(٨) عند الآية ١٩٨ منها.

(٩) قال في الكشف: «ولو كان جمعاً لعرف بالآلف واللام». وانظر الكشف ٣/٣٥٢.

قال شهاب الدين: لأنه متى جمع العلم جمع سلامة أو ثني لزمته الألف واللام لأنه تزول علميته فيقال: الرِّيدَان، والرِّيدُون، والرِّيبَات، ولا يلتفت إلى قولهم: جمادِيَان وجمادِيَان عَلَمِي شَهْرَيْنِ، وَجَبَلَيْنِ لندورهما<sup>(١)</sup>. وقرأ الحسنُ وأبو رجاء على الياسين<sup>(٢)</sup> بوصل الهمزة لأنه يجمع الياسين وقومه المنسوبين إليه بالطريق المذكورة. وهذه واضحة لوجود «ال» المعرفة كالزُّيْدَيْنِ. وقرأ عبد الله على إذراسين<sup>(٣)</sup> لأنه قرأ في الأول: وإن إدريس، وقرأ أبي علي إيليسين<sup>(٤)</sup> لأنه قرأ في الأول وإن إيليس كما تقدم عنه، وهاتان القراءتان تدلان على أن «الياسين» جمع إلياس.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٣٣) إِذْ بَخَّيْتَهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَوَكَّرْنَا لِنُورِنَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِالْبَلِّ الْأَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَمَعَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴿١٤٥﴾ فَبَدَّدْنَا بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَبْتَدْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَتَأَمَّنُوا فَمَرَدُّهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ ﴿١٤٨﴾

قوله تعالى: «وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ» تقدم الكلام على نظيره، وقوله: «مُصْبِحِينَ» حال<sup>(٥)</sup>، وهو من أَصْبَحَ التامة<sup>(٦)</sup> أي داخلين في الصُّبْح، ومنه:

٤٢٢٢ - إِذَا سَمِعْتَ بِسُرَى الْقَيْدِ - مِنْ فَاغْلَمَ بِأَنَّهُ مُصْبِحٌ<sup>(٧)</sup>

أي مقيم<sup>(٨)</sup> في الصباح، وتقدم ذلك في سورة الروم، و «بِالْبَلِّ» عطف على الجارِّ قَبْلَهَا، أي ملتبس<sup>(٩)</sup> بالليل، والمعنى أن أولئك القوم كانوا يسافرون إلى الشام، والمسافر في أكثر الأمر إنما يَمْشِي في الليل أو في النهار فلهذا السبب عبر تعالى عن هذين الوقتين ثم قال: «وَبِالْبَلِّ الْأَفَلَا تَعْقِلُونَ» أي ليس فيكم عقول تَعْتَبِرُونَ بِهَا<sup>(١٠)</sup> قوله: «وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ» قرئ بضم النون وكسرهما، قاله الزمخشري<sup>(١١)</sup>، قال ابن الخطيب: وإنما صارت هذه القصة آخر القصص لأنه لم يصبر على أذى قومه<sup>(١٢)</sup>، قال

(١) الدر المصون ٥٦٩/٤. (٢) المحاسب لابن جني ٢٢٣/٢.

(٣) السابق. وانظر مختصر ابن خالويه ١٢٨ ومعاني القراء ٣٩٢/٢.

(٤) السابق. (٥) الدر المصون ٥٦٩/٤.

(٦) أي التي لا تحتاج إلى اسم وخبر وإنما إلى فاعل فقط كقوله عزَّتْ أسماءه: «وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة» أي وإن وجد صاحب عسرة.

(٧) في «ب» تصبح.

(٨) في «ب» تقيم.

(٩) الدر المصون ٥٦٩/٤. (١٠) قاله الرازي في تفسيره ١٦٣/٢٦.

(١١) انظر: الكشف ٣٥٣/٣. (١٢) قاله في تفسيره «التفسير الكبير» ١٦٣/٢٦.

المفسرون: بَعَثَ اللهُ تَعَالَى يُؤَنِّسَ عَلَيْهِ (الصلاة و) السلام إلى أرض نيتوى من أرض الموصل فدعاهم إلى الله - عز وجل - فكذبوه وتمادوا عليه على كفرهم فلما طال ذلك عليه خرج من بين أظهرهم وواعدهم حلول العذاب بعد ثلاث كما سيأتي<sup>(١)</sup>.

قوله: «إِذْ أَبَقَ» (ظرف<sup>(٢)</sup> لِلْمُرْسَلِينَ<sup>(٣)</sup>)، أي هو من المرسلين، حتى في هذه الحالة و «أَبَقَ» هرب يقال: أَبَقَ الْعَيْدُ يَأْبِقُ إِبَاقاً فَهوَ أَبَقٌ و) الجمع إِبَاقٌ كضِرَابٍ<sup>(٤)</sup>، وفيه لغة ثانية أَبَقٌ بِالْكَسْرِ يَأْبِقُ بِالْفَتْحِ وَيَأْبِقُ الرَّجُلُ تَشْبَهُ بِهِ فِي الْإِسْتِارِ<sup>(٥)</sup>، وقول الشاعر:

..... ٤٢٢٣ - (و) قَدْ أَحْكَمْتَ حَكَمَاتِ الْقِدِّ وَالْأَبْقَا<sup>(٦)</sup>

قيل: هو الْقَتَب. (قوله)<sup>(٧)</sup>: «فَسَاهَمَ» أي فغالبهم في المساهمة وهي الافتراء، وأصله (أن)<sup>(٨)</sup> يخرج السهم على من غلب «فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ» أي المغلوبين، يقال أَدْحَضَ اللهُ حُجَّتَهُ<sup>(٩)</sup> فَدَحِضَتْ أَي أزالها فزال وأصل الكلمة من الدَحْضِ وهو الزلْزَلُ يقال: دَحِضْتُ رِجْلَ الْبَعِيرِ إِذَا زَلِقَتْ<sup>(١٠)</sup>.

### فصل

قال ابن عباس ووهب: كان يونس وعد قومه العذاب فلما تأخر عنهم خرج كالمتشرد منهم فقصد البحر فركب السفينة فاحتبست السفينة فقال الملاحون: ههنا عبد أبى من سيده فافترعوا فوقعت القرعة على يونس فافترعوا ثلاثاً فوقعت على يونس فقال يونس: أنا الأبى وزج نفسه في الماء<sup>(١١)</sup>.

قوله: «فَالْتَقَمَهُ الْحَوْثُ وَهُوَ مُلِيمٌ» المليم الذي أتى بما يلام عليه<sup>(١٢)</sup>. قال:

(١) قاله القرطبي في ٣٨٤/٨ و ٣٢٩/١١ و ١٢١/١٥.

(٢) ما بين القوسين كله ساقط من «ب» . (٣) الدر المصون ٥٦٩/٤.

(٤) انظر: اللسان: «أ ب ق»، والغريب ٣٧٤ والمجاز ١٧٤/٣، ومعاني الزجاج ٣١٢/٤.

(٥) اللسان لم يتعرض لهذه اللغة. وقد قال بها السمين في الدر ٥٦٩/٤ و ٥٧٠.

(٦) هذا عجز بيت من البسيط لزهير وصدده:

القائد الخيل منكوباً دوابرها

وهو يمدح هذا الرجل الذي يركب الخيل التي أحكم سرجها بحبال متينة من ليف. وأتى به شاهداً على أن الأبى هو القتب شجر تؤخذ منه مادة الحشيش، أو هو ليفه، أو هو الكتان. انظر: اللسان:

«أ ب ق» ٩ ومعاني الأخص ٤٢ وديوانه (٤٩) والدر المصون ٥٧٠/٤.

(٧) سقط من «ب». (٨) كذلك.

(٩) اللسان: «س ه م» ٢١٣٥ والغريب ٣٧٤.

(١٠) السابق. وانظر اللسان: «د ح ض» ١٣٣٥.

(١١) انظر تلك في تفسير البغوي ٣٦/٦ والخازن ٣٦/٦ أيضاً.

(١٢) قاله الزجاج في معاني القرآن ٣١٣/٤ وأبو عبيدة في المجاز ١٧٤/٢ وقال عنه الفراء في المعاني ٣٩٣/٢ =

٤٢٢٤ - وَكَمْ مِنْ مُلِيمٍ لَمْ يُصَبِّ بِمَلَامَةٍ وَمُشْبَعٍ بِالذُّنْبِ لَيْسَ لَهُ ذَنْبٌ<sup>(١)</sup>

يقال: أَلَامَ فلانٌ أي فعل ما يلام عليه، وقوله «وَهُوَ مُلِيمٌ» حال. وقرئ «مُلِيمٌ» بفتح الميم من لَامَ يَلُومُ وهي شاذة جداً، إذ كان قياسها «مَلُومٌ»؛ لأنها من ذوات الواو كَمَقُولٍ وَمُصُوبٍ<sup>(٢)</sup>. قيل: ولكن أخذت من ليم على كذا مبنياً للمفعول ومثله في ذلك: شيب الشيء فهو مَشِيْبٌ ودُعِيَ فهو مَدْعِي<sup>(٣)</sup>. والقياس مَشُوبٌ ومَدْعُوٌّ لأنهما من يَشُوبُ ويَدْعُو.

## فصل

روى<sup>(٤)</sup> ابن عباس أن يونس - عليه (الصلاة و) السلام - كان يسكن مع قومه فِلَسْطِينَ فَعَزَّاهُمْ مَلِكٌ وَسَبَى مِنْهُمْ تِسْعَةَ أَسْبَاطٍ وَنَصَفَ وَبَقِيَ سِبْطَانٌ وَنَصَفَ وَكَانَ قَدْ أَوْحَى إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذَا أَسْرَكُمُ عَدُوْكُمْ (أ)<sup>(٥)</sup> وَأَصَابَتْكُمْ مَصِيْبَةٌ فَادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ فَلَمَّا نَسُوا ذَلِكَ وَأَسْرُوا أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى بَعْدَ حِينٍ إِلَى نَبِيٍِّّ مِنْ أُنْبِيَائِهِمْ أَنَّ أَذْهَبَ إِلَى مَلِكٍ هَؤُلَاءِ الْأَقْوَامِ وَقُلْ لَهُمْ<sup>(٦)</sup> يَبْعَثُ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ نَبِيًّا فَاخْتَارَ يُونُسَ - عَلَيْهِ (الصلاة و) السلام - لِقَوْتِهِ وَأَمَانَتِهِ، قَالَ يُونُسُ: اللَّهُ أَمْرُكَ بِهَذَا؟ قَالَ: لَا وَلَكِنْ أَمَرْتُ أَنْ أُبْعَثَ قَوِيًّا أَمِينًا وَأَنْتَ كَذَلِكَ فَقَالَ يُونُسُ: وَفِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي فَلَمْ لَا تَبْعَثْهُ؟ فَأَلَحَّ الْمَلِكُ عَلَيْهِ فَعَضِبَ يُونُسُ مِنْهُ وَخَرَجَ حَتَّى أَتَى بَحْرَ الرُّومِ فَوَجَدَ سَفِينَةً مَشْحُونَةً فَحَمَلُوهُ فِيهَا، فَلَمَّا أَشْرَفَ<sup>(٧)</sup> عَلَى لُجَّةِ الْبَحْرِ أَشْرَفُوا عَلَى الْغُرُقِ. فَقَالَ الْمَلْحُونُ إِنْ فِيكُمْ عَاصِيًّا وَإِلَّا لَمْ يَحْصُلْ فِي السَّفِينَةِ مَا نَرَاهُ<sup>(٨)</sup>. وَقَالَ التَّجَارُ قَدْ جَرَّبْنَا مِثْلَ هَذَا فَإِذَا رَأَيْنَاهُ نَقْتَرِعُ فَمَنْ خَرَجَ عَلَيْهِ<sup>(٩)</sup> نَغْرَقَهُ فَلَانَ يَغْرُقُ وَاحِدٌ خَيْرٌ مِنْ عَرَقِ الْكَلِّ فَخَرَجَ مِنْ بَيْنِهِمْ<sup>(١٠)</sup> يُونُسُ فَقَالَ يَا هَؤُلَاءِ: أَنَا الْعَاصِي وَتَلَقَّفَ فِي كِسَاءٍ وَرَمَى بِنَفْسِهِ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ<sup>(١١)</sup> وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى الْحُوتِ: لَا تَكْسِرْ مِنْهُ عَظْمًا وَلَا تَقَطِّعْ لَهُ وَصْلًا ثُمَّ إِنَّ السَّمَكَةَ خَرَجَتْ

= «وهو الذي اكتسب اللوم وإن لم يلم، والملوم الذي قد ليم باللسان، وهو مثل قول العرب: أصبحت محمقاً معطشاً أي عندك المحمق والعطش. وهو كثير في الكلام».

(١) أنشد على أن المليم الذي يأتي بما يلومه عليه الناس. والبيت أحد بيتين ذكرهما القالي في أماليه انظر أمالي القالي ١٦/١ والدر المصون ٥٧٠/٤.

(٢) حكم بشذوذ هذه القراءة مع أنها جائزة لغةً وهناك ما هو أشد شذوذاً منها السمين في الدر ٥٧٠/٤ وذكرها الزمخشري في الكشاف ٣/٣٥٣ وأبو حيان في البحر ٧/٣٧٥.

(٣) الكشاف ٣/٣٥٣. (٤) انظر هذا في الرازي ١٦٤/٢٦.

(٥) زيادة من الرازي. (٦) في الرازي: وقل له حتى يبعث إلى.

(٧) وفيه: فلما دخلت لجة البحر أشرفت على الغرق.

(٨) وفيه: ما نراه من غير ربح ولا سبب ظاهر.

(٩) وفيه: خرج سهمه. (١٠) في «ب» سهم.

(١١) في «ب»: فابتلعه السمكة.

من نيل<sup>(١)</sup> مصر ثم إلى بحر فارس ثم إلى (بَحْرٍ)<sup>(٢)</sup> البطائح، ثم دجلة فصعدت به ورمته في أرض نصيبين بالعراء، وهو كالفرخ المتئوف لا شغَرٌ ولا لَحْمٌ فأنتب الله عليه شجرة من يقطين فكان يستظل بها ويأكل من ثمرها حتى اشتد. ثم إن الأرض (بَةً)<sup>(٣)</sup> أكلتها فحزن يونس لذلك حزناً فقال يا رب كنت أستظل تحت هذه الشجرة من الشمس والريح وأمض من ثمرها وقد سقطت فقبل (له)<sup>(٤)</sup>: يا يونس تحزن (على شجرة)<sup>(٥)</sup> أنبتت في ساعة واقتلعت في ساعة ولا تحزن على مائة ألف أو يزيدون تركتهم فانطلق إليهم.

قوله: «فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ» من الذاكرين الله قبل ذلك وكان كثير الذكْر، قال ابن عباس: من المصلين وقال وهب: من العابدين. وقال الحسن: ما كانت له صلاة في بطن الحوت ولكن قدّم عملاً صالحاً. وقال سعيد بن جبير هو قوله في بطن الحوت: «لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين»<sup>(٦)</sup>.

قوله: «فِي بَطْنِهِ» الظاهر أنه متعلق «بَلَيْثٍ». وقيل: حال أي مستقر<sup>(٧)</sup>. وكان بطنه قبراً له إلى يوم القيامة، قال الحسن: لم يلبث إلا قليلاً ثم أُخْرِجَ من بطن الحوت. وقال بعضهم: التقمه بكرة ولَفِظَهُ عشياً وقال مقاتل بن حَيَّان ثلاثة أيام، وعن عطاء: سبعة أيام، وعن الضحاك: عشرون يوماً. وقيل: شهر، وقيل: أربعين يوماً<sup>(٨)</sup>.

قال ابن الخطيب: ولا أدري بأي دليل عينوا هذه المقادير<sup>(٩)</sup>. وروى أبو بردة<sup>(١٠)</sup> عن النبي - ﷺ - أنه قال: سَبَّحَ يُونُسُ في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسيحه فقالوا ربنا إنا نسمع صوتاً بأرض غريبة فقال ذاك عبدي يونس عَصَانِي فحَبَسْتُهُ في بطن الحوت في البحر، قالوا: العبد الصالح الذي كان يصعد إليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح قال: نعم فشفعوا له فأمر الحوت فقفذه بالساحل. وروى أن يونس لما ابتلعه الحوت ابتلع الحوت حوتاً آخر أكبر منه فلما استقر في جوف الحوت حسب أنه قد مات فحرك جوارحه فتحركت فإذا هو حيٌّ فحَرََّ لله ساجداً وقال: يا رب اتخذت لك مسجداً لم يعبدك أحد في مثله.

قوله: «فَتَبَدَّلْنَا» أضاف التبديل إلى نفسه مع أن ذلك التبديل إنما حصل بفعل الحوت وهذا يدل على أن فعل العبد مخلوق لله تعالى<sup>(١١)</sup>. وقوله: «بالعراء» أي في العراء نحو: زَيْدٌ بِمَكَّةَ<sup>(١٢)</sup>.

- (١) وفيه: أخرجه إلى نيل.  
 (٢) زيادة من الرازي.  
 (٣) سقط من «ب»  
 (٤) سقط من «ب»  
 (٥) سقط من «ب» وانظر: الرازي ١٦٤/٢٦.  
 (٦) انظر هذه الأقوال في زاد المسير ٨٧/٧.  
 (٧) التبيان ١٠٩٣.  
 (٨) القرطبي ١٢٣/١٥ وزاد المسير ٨٨/٧ والرازي ١٦٥/٢٦.  
 (٩) المرجع السابق.  
 (١٠) في المرجع السابق أنه أبو هريرة.  
 (١١) السابق.  
 (١٢) فتكون الباء بمعنى «في» الظرفية. وانظر: الدر المصون ٥٧٠/٤.

والعراء: الأرض الواسعة التي لا نبات بها ولا مغلّم<sup>(١)</sup> اشتقاقاً من العري وهو عدم السترة وسميت الأرض الجرداء بذلك لعدم استتارها بشيء<sup>(٢)</sup>. والعري بالقصر الناحية ومنه اغترأه أي قصد عرأه. وأما الممدود فهو كما تقدم الأرض<sup>(٣)</sup> الفيحاء قال:

٤٢٢٥ - وَرَفَعْتُ رَجُلًا لَا أَخَافُ عِثَارَهَا وَنَبَذْتُ بِالْمَنَنِ الْعَرَءَ ثِيَابِي<sup>(٤)</sup>

قوله: «وَأَبْنَيْتُنَا عَلَيْهِ» أي له، وقيل: عنده<sup>(٥)</sup> «شَجَرَةٌ مِنْ يَقْطِينٍ» اليقطين (ب) فَعِيلٌ مِنْ قَطَنٌ بالمكان إذا أقام فيه لا يَبْرَحُ<sup>(٦)</sup>. قال المبرد والزجاج: اليقطين كل ما لم يكن له ساق من عُود كَالْقِثَاءِ وَالْقَرْعِ وَالْبَطِيخِ وَالْحَنْظَلِ وهو قوله الحسن و (قتادة)، ومقاتل.

قال البغوي: المراد هنا القرع على قول جميع المفسرين<sup>(٨)</sup>. وروى الفراء أنه ورق القرع عن ابن عباس.

فقال: «وَمَنْ جَعَلَ وَرَقَ الْقَرْعِ مِنْ بَيْنِ الشَّجَرِ يَقْطِينًا كُلَّ وَرْقَةٍ اتَّسَعَتْ وَسْتَرَتْ فَهِيَ يَقْطِينٌ»<sup>(٩)</sup>.

واعلم أن في قوله: «شجرة» ما يرد قول بعضهم أن الشجرة في كلامهم ما كان لها ساق من عود<sup>(١٠)</sup> بل الصحيح أنها أعم، ولذلك يَبَيَّنُ<sup>(١١)</sup> بقوله<sup>(١٢)</sup>: «مِنْ يَقْطِينٍ»، وأما قوله: ﴿وَالنَّجْمِ وَالشَّجَرِ﴾ [الرحمن: ٦] فلا دليل فيه لأنه استعمال اللفظ العام في أحد مدلولاته.

وقيل: بل أنبت الله اليقطين الخاص على ساق معجزة له، فجاء على أصله<sup>(١٣)</sup>. قال الواحدي: الآية تقتضي شيئين لم يذكرهما المفسرون:

(١) في «ب» ولا تعلم. تحريف وانظر: المجاز ١٧٥/٢ والغريب ٣٧٤ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/٣١٣ والتهذيب للأزهري «عري» واللسان «عرا» ٢٩٢١.

(٢) السابق وانظر أيضا المنقوص والممدود ١٨ و ١٩.

(٣) اللسان السابق ومعاني الزجاج السابق وانظر: الدر المصون ٥٧١/٤.

(٤) من الكامل أنشده صاحب المجاز لرجل من خزاعة، ويعزى لأبي خراش الهذلي وروايته: رَفَعْتُ. وانظر: المجاز ١٧٥/٢ ومعاني القرآن وإعرابه ١٣/٤ - ٣١٣ واللسان: «ع ر ا» والقرطبي ١٥/١٢٩، وكامل المبرد ١/٢٧٦، وديوان الهذليين ١٦٨/٢.

(٥) ذكرهما القرطبي في الجامع ١٥/١٢٩.

(٦) الباء سقطت من «ب». وهو خطأ أي سقوطها وانظر هذا الوزن في الممتع لابن عصفور ١/١١٠ والمزهر للسيوطي ٢/٥٩.

(٧) الرازي ١٦٦/٢٦ ومعاني الزجاج ٤/٣١٤.

(٨) السابق وانظر القرطبي ١٥/١٢٩. (٩) ذكره في معالم التنزيل ٦/٣٨.

(١٠) المعاني ٢/٣٩٣.

(١١) هذا قول أبي العباس المبرد. نقله عنه القرطبي ١٥/١٢٩.

(١٢) في «ب» ثبت.

(١٣) في «ب» مقوله.

(١٤) قاله أبو حيان في البحر ٧/٣٧٥ والسمين في الدر المصون ٤/٥٧١.

أحدهما: أن هذا اليقطين لم يكن فأنبتته الله لأجله، والآخر: أن اليقطين مغروس ليحصل له ظل، ولو كان منبسطاً على الأرض لم يمكن أن يستظل به<sup>(١)</sup>. وقال مقاتل بن حيان: كان<sup>(٢)</sup> يونس يستظل بالشجرة وكانت وغلّة تختلف إليه فيشرب من لبنها يكره وعشياً حتى اشتد لحمه ونبت شجره.

وقال ههنا: «فنبذناه بالعرءاء» وقال في موضع آخر: «أولاً أن تدارككم فمنةً من ربّيه لئيد بالعرءاء وهو مذموم» [القلم: ٤٩] ولكنه تداركه النعمة فنبذّه وهو غير مذموم.

## فصل

قال شهاب الدين: ولو بنيت من الوعد مثل يقطين لقلت: يُوَعِدُ، لا يقال بحذف الواو لوقوعها بين ياء وكسرة كيعد مضارع «وعد» لأن شرط تلك الياء أن تكون للمضارعة، وهذه مما يمتحن بها أهل التصريف بعضهم بعضاً<sup>(٣)</sup>.

قوله: «وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ» يحتمل أن يكون المراد: «وَأَرْسَلْنَاهُ قَبْل مُلْتَقِمِهِ»؛ وعلى هذا فالإرسال وإن ذكر بعد الالتقام فالمراد به التقديم. والواو معناها الجمع ويحتمل أن يكون المراد به الإرسال بعد الالتقام قال ابن عباس: كان إرسال يونس بعدما نبذ الحوت وعلى هذا التقدير يجوز أنه أرسل إلى قوم آخرين سوى القوم الأول ويجوز أن يكون أرسل إلى الأولين<sup>(٤)</sup> بشريعة فأمنوا بها<sup>(٥)</sup>.

قوله: «أَوْ يَزِيدُونَ» في «أو» هذه سبعة أوجه تقدم تحقيقها أول البقرة عند قوله تعالى: «أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ» [البقرة: ١٩] فالشك بالنسبة إلى المخاطبين أي أن الرائي يشك عند رؤيتهم<sup>(٦)</sup>، والإبهام بالنسبة إلى الله تعالى أبهم أمرهم<sup>(٧)</sup> والإياحة أي أن الناظر إليهم يباح له أن يحذرهم بهذا القدر أو بهذا القدر<sup>(٨)</sup> وكذا التخيير أي هو مخير بين أن يحذرهم كذا أو كذا<sup>(٩)</sup>، والإضراب<sup>(١٠)</sup> ومعنى الواو<sup>(١١)</sup> واضحان.

(١) انظر: تفسير الرازي ١٦٦/٢٦. (٢) قاله الإمام البغوي ٤٧/٦.

(٣) قاله شهاب الدين السمين في الدر ٥٧١/٤.

(٤) في الرازي إلى الأولين ثانياً. (٥) وانظر: تفسير الإمام الرازي ١٦٦/٢٦.

(٦) وبه قال أهل البصرة انظر: خصائص ابن جني ٤٦١/٢ والبيان ٣٠٨/٢ وانظر في هذا الوجه مشكل الإعراب ٢٤٣/٢.

(٧) انظر: البحر المحيط ٣٧٦/٧.

(٨) الدر المصون ٥٧٢/٤.

(٩) مشكل الإعراب ٢٤٣/٢ والمرجع السابق وكذلك البيان ٣٠٨/٢ وهو رأي للبصريين.

(١٠) وهو قول الكوفيين انظر: معاني الفراء ٣٩٣/٢، وحكاة أبو حيان في البحر عن الإمام ابن عباس انظر البحر أيضاً ٣٧٦/٧ أي بكل يزيدون وهو إضراب انتقالي.

(١١) وبهذا المعنى قرأ جعفر بن محمد. انظر المحتسب ٢٢٦/٢ والكشاف ١٣٥٤/٣ والمجاز ١٧٥/٢.

قوله: «فَأَمَّنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ» قال قتادة أرسل إلى أهل نيسوى من أرض الموصل قبل الانتقام كما تقدم، وقيل: بعده، وقيل: إلى قوم آخرين. وتقدم الكلام على «أو». قال ابن عباس: إنها بمعنى الواو، وقال مقاتل والكلبي: بمعنى بل، وقال الزجاج: على الأصل بالنسبة للمخاطبين<sup>(١)</sup>. واختلفوا في مبلغ الزيادة، قال ابن عباس ومقاتل: كانوا عشرين ألفاً. ورواه أبي بن كعب عن رسول الله - ﷺ - وقال الحسن: بضعاً وثلاثين ألفاً، وقال سعيد بن جبير: تسعين ألفاً فأمَّنوا يعني الذين أرسل إليهم يونس بعد معاينة العذاب فأمَّنوا فمتَّعناهم إلى حين انقضاء آجالهم<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَاسْتَفْتَيْهِمْ الشَّجَرَاتُ وَلَهُنَّ الْبُسُوجُ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مَنِ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَّ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأَنزَلْنَا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِجَابًا وَقَدَّ عَلِمَتِ الْجَنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمَخْلُوعِينَ ﴿١٦٠﴾﴾

قوله: «فاستفتتهم» قال الزمخشري: معطوف على مثله في أول السورة وإن تباعدت<sup>(٣)</sup>. قال أبو حيان: وإذا كان قد عدوا الفضل بنحو: كُلِّ لِحْمًا، واضرب زيداً أو خبزاً من أقبح التُّر (١) كيب<sup>(٤)</sup> فكيف بجمل كثيرة وقصص متباينة<sup>(٥)</sup>؟ قال شهاب الدين: ولقائل أن يقول: إن الفصل وإن كثر بين الجمل المتعاطفة مغتفر، وأما المثال الذي ذكره فمن قبيل المفردات، ألا ترى كيف عطفت خبزاً على لِحْمًا<sup>(٦)</sup>، فعلى الأول أنه تعالى لما ذكر أفاصيص الأنبياء - عليهم (الصلاة و) السلام - عاد إلى شرح مذاهب المشركين وبيان قبحها ومن جملة أقوالهم الباطلة أنهم أثبتوا الأولاد لله تعالى ثم زعموا أنها من جنس الإناث لا من جنس الذكور فقال «فاستفتتهم» باستفتاء قريش عن وجه الإنكار للبعث أولاً ثم ساق الكلام موصولاً ببعضه ببعض إلى أن أمرهم بأن يستفتيهم في أنهم لم أثبتوا لله سبحانه البنات ولهم البنين<sup>(٧)</sup>؟

ونقل الواحدي عن المفسرين أنهم قالوا: إن قريشاً وأجناس العرب جهينة وبنو سلمة وخرزاعة وبنو مليح، قالوا الملائكة بنات الله<sup>(٨)</sup>. وهذا الكلام يشتمل<sup>(٩)</sup> على أمرين:

(١) انظر: معاني الزجاج ٣١٤/٤.

(٢) انظر: زاد المسير لابن الجوزي في كل هذه الأقوال ٩٠/٧.

(٣) الكشاف ٣٥٤/٣. (٤) الألف ناقصة من ب، ففيها التركيب.

(٥) البحر ٣٧٦/٧. (٦) الدر المصون ٥٧٣/٤.

(٧) قاله الرازي في تفسيره ٦٧/٢٦. (٨) الرازي ٦٧/٢٦ و ١٦٨.

(٩) وانظر هذا كله في المرجع السابق.

أحدهما: إثبات البنات لله وذلك باطل لأن العرب كانوا يستنكفون من البنات والشيء الذي يستنكف منه المخلوق كيف يمكن إثباته للخالق؟

والثاني: إثبات أن الملائكة إناث، وهذا أيضاً باطل لأن طريق العلم إما الحس أو الخبر وإما النظر أما الحس فمفقود لأنهم لم يشاهدوا كيف خلق الله الملائكة وهو المراد من قوله: «أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ». وأما الخبر فمفقود أيضاً لأن الخير إنما يفيد العلم إذا علم كونه صدقاً قطعاً وهؤلاء الذين يخبرون عن هذا الحكم كذابون أفاكون لم يدل على صدقهم دليل وهذا هو المراد من قولهم: «أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إَفْكِهَمْ لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ» وأما النظر فمفقود من وجهين:

الأول: أن دليل العقل يقتضي فساد هذا المذهب لأنه تعالى أكمل الموجودات والأكمل لا يليق به اصطفاء البنات على البنين بمعنى إسناد الأفضل إلى الأفضل أقرب إلى العقل من إسناد الأحسن إلى الأفضل فإن كان حكم العقل معتبراً في هذا الباب كان قولكم باطلاً.

الثاني: أن يتركوا بترك الاستدلال على فساد مذهبهم بل نطالبهم بإثبات الدليل على صحة مذهبهم فإذا لم يجدوا دليلاً ظهر بطلان مذهبهم، وهذا هو المراد بقوله: «أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ فَأْتُوا بِكُتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ». فقوله: «فاسْتَفْتِهِمْ» فاسأل يا محمد أهل مكة وهو سؤال توبيخ «أَلَرَبُّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبُتُونَ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ» وهذه جملة<sup>(١)</sup> حالية من الملائكة، والرباط الواو، وهي هنا واجبة لعدم رباط غيره<sup>(٢)</sup> قاله شهاب الدين<sup>(٣)</sup>؛ ويحتمل أن يكون جملة حالية من السوالين<sup>(٤)</sup>.

قوله: «أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إَفْكِهَمْ لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ» العامة على «ولد» فعلاً ماضياً مسنداً للجلالة، أي أتى بالولد؛ تعالى عما يقولون علواً كبيراً، وقرئ: «وَلَدَ اللَّهُ بِإِضَافَةِ الْوَلَدِ إِلَيْهِ، أَي يَقُولُونَ الْمَلَائِكَةَ وَلَدَهُ، فَحَذَفَ الْمَبْتَدَأَ لِلْعَلْمِ بِهِ، وَأَبْقَى خَبْرَهُ، وَالْوَلَدُ فَعْلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ كَالْقَبْضِ فَلِذَلِكَ يَقَعُ خَبِراً عَنِ الْمَفْرَدِ وَالْمَثْنِ وَالْمَجْمُوعِ تَذْكِيراً وَتَأْنِيثاً، (تقول<sup>(٥)</sup>): هَذِهِ) وَلَدِي وَهُمْ وَلَدِي<sup>(٦)</sup>».

قوله: «أَضَطَّقِي» العامة على فتح الهمزة على أنها همزة استفهام بمعنى الإنكار والتقريع، وقد حذف معها همزة الوصل استغناء عنها. وقرأ نافع في رواية وأبو جعفر

(١) الدر المصون ٥٧٢/٤. (٢) لأن من الروابط أيضاً الضمير.

(٣) المرجع السابق.

(٤) وهما «الرَّبُّكَ الْبَنَاتُ» و «أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا».

(٥) ما بين القوسين سقط من ب.

(٦) قاله الزمخشري في الكشاف ٣٥٤/٣ والسمين في الدر ٥٧٢/٤.

وشيبة والأعمشُ بهمزة وصل تثبت ابتداءً وتسقط درجاً<sup>(١)</sup>. وفيه وجهان:

أحدهما: أنه على نية الاستفهام، وإنما حذف للعلم به ومنه قول عمر بن أبي ربيعة:

٤٢٢٦ - قَالُوا: تُحِبُّهَا قُلْتُ: بَهْرًا عَدَدَ الرَّمْلِ وَالْحَصَى وَالشَّرَابِ<sup>(٢)</sup>  
أي أتحبها.

والثاني: أن هذه الجملة بدل من الجملة المحكية بالقول وهي: «وَلَدَ اللَّهُ» أي تقولون كذا وتقولون اضْطَفَى هذا الجنس على هذا الجنس<sup>(٣)</sup>.

(قال الزمخشري<sup>(٤)</sup>): وقد قرأ بها حمزة والأعمش. وهذه القراءة وإن كان هذا محلها فهي ضعيفة والذي أضعفها) أن هذه الجملة قد اكتتفها<sup>(٥)</sup> الإنكار من جانبيها وذلك قوله: «وَأَنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ» فمن جعلها للإثبات فقد أوقعها دخيلة بين نسبتين<sup>(٦)</sup>؛ لأن<sup>(٧)</sup> لها مناسبة ظاهرة مع قولهم: «ولد الله» وأما قولهم: «وَأَنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ» فهي جملة اعتراض بين مقالة الكفرة جاءت للتشديد والتأكيد في كون مقالتهم تلك هي من إفكهم<sup>(٨)</sup>، ونقل أبو البقاء أنه قرئ «اضْطَفَى» بالمد قال: وهو بعيد جداً<sup>(٩)</sup>.

قوله: «مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ» جملتان استفهامتان ليس لإحادهما تعلق بالأخرى من حيث الإعراب استفهم أولاً عما استقر لهم وثبت استفهام إنكار، وثانياً استفهم تعجب من حكمهم بهذا الحكم الجائر وهو أنهم نسبوا أحسن الجنسين إليهم<sup>(١٠)</sup>. والمعنى: ما لكم كيف تحكمون الله بالبنات ولكم بالبنين؟ «أَفَلَا تَذَكَّرُونَ» تتعظون «أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ» برهان بين على أن الله ولد «فَأَتُوا بِكِتَابِكُمْ» الذي لكم فيه حجة «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» في قولكم.

(١) من القراءة المتواترة انظر: السبعة ٥٤٩ ومختصر ابن خالويه ١٢٨ ومعاني الفراء ٢/٢٩٤.

(٢) من الخفيف له من قصيدة في الثريا بنت عبد الله لما هجرته. وبهراً معناه جماً كثيراً. واستشهد بالبيت على حذف الاستفهام للعلم به والأصل كما قدره: أتحبها. وانظر: الكتاب ١/٣١١ والخصائص ٢/٢٨١ وابن عيش ٢/٢٢١ ومعني اللبيب ١٥ والتبيان ١٠٩٤ واللسان: «ب هر» ٣٧٠ والدر المصون ٤/٥٧٣ وشرح شواهد المغني للسيوطي ٣٩.

(٣) قاله في الدر المصون ٤/٥٧٣. (٤) ما بين القوسين كله ساقط من ب.

(٥) أي أحاط بها قال في اللسان: وتكتف الشيء واكتنفه صار حواليه وتكنفوه من كل جانب احتوشوه. اللسان: «لَا ن ف» ٣٩٤١.

(٦) الكشف للزمخشري ٤/٣٥٤ و ٣٥٥.

(٧) الواقع أن هذا كلام أبي حيان في البحر. وقبلة: «ولست دخيلة بين نسبتين لأن لها مناسبة ظاهرة الخ...».

(٨) وانظر البحر له ٧/٣٧٧. (٩) التبيان له ١٠٩٤.

(١٠) انظر: الدر المصون ٤/٥٧٣.

قوله: «وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا» قال مجاهد وقتادة: أراد بالجنة الملائكة سموا جنة لاجتنائهم عن الأبصار<sup>(١)</sup>.

وقال ابن عباس: جنس من الملائكة يقال لهم الجن منهم إبليس<sup>(٢)</sup>، وقيل: إنهم خزان الجنة<sup>(٣)</sup>، قال ابن الخطيب: وهذا القول عندي مُشكَلٌ؛ لأنه تعالى أبطل قولهم: الملائكة بنات الله، ثم عطف عليه قوله: «وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا» والعطف يقتضي كون المعطوف مقابلاً بمعطوف عليه فوجب أن يكون المراد من الآية غير ما تقدم<sup>(٤)</sup>.

وقال مجاهد: قالت كفار قريش الملائكة بنات الله فقال لهم أبو بكر الصديق: فمن أمهاتهم؟ قالوا: سَرَواتُ<sup>(٥)</sup> الجن<sup>(٦)</sup> وهذا أيضاً بعد لأن المصاهرة لا تسمى نسباً<sup>(٧)</sup>.

قال ابن الخطيب: وقد روينا في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ [الأنعام: ١٠٠] أن قوماً من الرنادقة يقولون: إن الله وإبليس أخوان فالله هو الحر الكريم وإبليس هو الأخ الشديد، فقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا﴾ المراد منه هذا المذهب. وهذا القول عندي هو أقرب الأقاويل. وهو مذهب المجوس القائلين بيزدان وأهرمن<sup>(٨)</sup>، ثم قال: «وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ» أي علمت الجنة أن الذين قالوا هذا القول محضرون النار ومعذبون. وقيل: المراد ولقد علمت الجنة أنهم سيحضرون في العذاب. فعلى (القول)<sup>(٩)</sup> الأول: الضمير عائد إلى قائل هذا القول وعلى (القول) الثاني عائد إلى نفس الجنة، ثم إنه تعالى نزه نفسه عما قالوا من الكذب فقال «سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ»<sup>(١٠)</sup> قوله: «إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ» في هذا الاستثناء وجوه: أحدهما: أنه مستثنى منقطع والمستثنى منه إما فاعل «جَعَلُوا»<sup>(١١)</sup> أي جعلوا بينه وبين الجنة نسباً إلى عباد الله.

الثاني: أنه فاعل «يُصِفُونَ»<sup>(١٢)</sup> أي لكن عباد الله يصفونه بما يليق به تعالى.

الثالث: أنه ضمير «محضرون»<sup>(١٣)</sup> أي لكن عباد الله ناجون. وعلى هذا فتكون

(١) زاد المسير. ٩١/٧. (٢) انظر: زاد المسير ٩١/٧ والقرطبي ١٣٤/١٥.

(٣) المرجع السابق والرازي ١٦٧/٢٦. (٤) المرجع السابق.

(٥) جمع مفردة سراة من السرى، وهو السير ليلاً.

(٦) وانظر: المرجع السابق والقرطبي ١٣٤/١٥.

(٧) الرازي السابق.

(٨) يزدان وأهرمن أي الشر والخير أو التور والظلمة. وهذا المذهب هو المذهب المعروف بالمانوية نسبة إلى ماني أول من قال به. وهو باطل لما فيه من الإشراك بالله.

(٩) زيادة لتوضيح السياق. (١٠) انظر: الرازي ١٦٨/٢٦ و ١٦٩.

(١١) التبيان ١٠٩٤ والدر المصون ٥٧٣/٤.

(١٢) المرجع الأخير السابق وانظر كشاف الزمخشري ٣٥٥/٣.

(١٣) السابق والتبيان ١٠٩٤ والدر ٥٧٣/٤.

جملة التسييح معترضة<sup>(١)</sup>. وظاهر كلام أبي البقاء أنه يجوز أن يكون استثناءً متصلاً لأنه قال: مستثنى من «جَعَلُوا» أو «مُخَضَّرُونَ». ويجوز أن يكون منفصلاً<sup>(٢)</sup>. وظاهر هذه العبارة أن الوجهين الأولين هو فيهما متصل لا منفصل. وليس ببعيد كأنه قيل: وجَعَلَ النَّاسَ، ثم استثنى منهم هؤلاء وكل من لم يجعل بين الله وبين الجنة نسباً فهو عند الله مُخَلَّصٌ مِنَ الشُّرْكِ<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَاتَّكُرْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأُولِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾﴾

قوله: «فَاتَّكُرْ وَمَا تَعْبُدُونَ» في المعطوف وجهان:

أحدهما: أنه معطوف على اسم «إِنَّ»<sup>(٤)</sup> «وما» نافية<sup>(٥)</sup> و «أَنْتُمْ» اسمها<sup>(٦)</sup> أو مبتدأ<sup>(٧)</sup>. و «أَنْتُمْ» فيه تغليب المخاطب على الغائب إذ الأصل فإِنَّكُمْ وَمَعْبُودَكُمْ ما أَنْتُمْ وَهُوَ؛ فغلب الخطاب (و)<sup>(٨)</sup> «عَلَيْهِ» متعلق بقوله «بِفَاتِنِينَ» والضمير عائد على «مَا تَعْبُدُونَ» بتقدير حذف مضاف وضمن «فاتنين» معنى حاملين على عبادته إلا الذي سبق في علمه أنه من أهل صُلَى الْجَحِيمِ و «من»<sup>(٩)</sup> مفعول بِفَاتِنِينَ. والاستثناء مفرغ<sup>(١٠)</sup>.

الثاني<sup>(١١)</sup>: أنه مفعول معه وعلى هذا فيحسن السكوت على تعبدون كما يحسن في قولك: إِنَّ كُلَّ رَجُلٍ وَضِيعَتَهُ<sup>(١٢)</sup>. (وحكى الكسائي<sup>(١٣)</sup>: إِنَّ كُلَّ تَوْبٍ وَتَمَنَّهُ، والمعنى إنكم مع معبودكم مقرون) كما تقدر ذلك في كل رجل وضيعته مقترنان<sup>(١٤)</sup>. وقوله: «مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ» مستأنف أي ما أنتم على ما تعبدون بفاتنين أو بحاملين على الفتنة، «إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ» مثلكم، قاله الزمخشري<sup>(١٥)</sup>، إلا أن أبا البقاء ضعف<sup>(١٦)</sup> الثاني وتابعه أبو

(١) الكشاف المرجع السابق. (٢) التبيان ١٠٩٤.

(٣) الدر المصون ٥٧٤/٤. (٤) وهو الكاف.

(٥) من قوله: «ما أنتم عليه بفاتنين». (٦) إذا اعتبرناها حجازية عاملة.

(٧) إذا اعتبرناها تميمية، لا تعمل ومهملة.

(٨) سقط من ب حرف الواو. (٩) من قوله: «إلا من هو صال الجحيم».

(١٠) وانظر هذا بالمعنى من بحر أبي حيان ٣٧٨/٧ وانظره لفظاً من الدر المصون ٥٧٤/٤.

(١١) من الوجهين الجائزين في: «وما تعبدون».

(١٢) انظر: الكشاف ٣٥٥/٣. (١٣) ما بين القوسين ساقط من ب.

(١٤) المرجع السابق. (١٥) السابق.

(١٦) قال: «ويضعف أن يكون (أي الواو) بمعنى مع إذ لا فعل هنا» ١٠٩٤.

حيان في تضعيفه لعدم تبادره (إلى) (١) الفهم (٢)، قال شهاب الدين: الظاهر أنه معطوف واستئناف «ما أتم عليه بفاتنين» غير واضح والحق أحق أن يتبع (٣).

وجوز الزمخشري أن يعود الضمير في «عليه» على الله. قال: فإن قلت: كيف يفتنونهم على الله؟

قلت: يفسدونهم عليه بإغوائهم من قولك: فَتَنَ فُلَانٌ عَلَى أَمْرَاتِهِ كَمَا تَقُولُ: أَفْسَدَهَا عَلَيْهِ وَخَيَّبَهَا عَلَيْهِ (٤)، و «مَنْ هُوَ» يجوز أن تكون موصولة أو موصوفة (٥). وقرأ العامة صَالِ الْجَجِيمِ بكسر اللام لأنه منقوص مضاف حذف لأمه لالتقاء الساكنين وحمل على لفظ «مَنْ» فَأَفْرَدَ «هُوَ».

وقرأ الحسن وابن أبي عبلة بضم اللام مع واو بعدها فيما نقله الهذلي عنهما، و (ابن (٦) عطية) عن الحسن (٧) (وقرأ (٨) بضمها مع عدم واو (بعدها) (٩) فيما نقل ابن خالويه (١٠) عَنْهُمَا) وعن الحسن فقط فيما نقله الزمخشري (١١)، وأبو الفضل (١٢). فأما مع الواو فإنه جمع سلامة بالواو والنون ويكون قد حُمِلَ على لفظ «من» أولاً فأفرد في قوله: «هُوَ» وعلى معناها ثانياً فجمع في قوله: «صَالُو» وحذفت النون للإضافة (١٣) ومما حمل فيه على اللفظ والمعنى في جملة واحدة وهي صلة الموصول قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرًا﴾ [البقرة: ١١١] فأفرد في «كَانَ» وجمع في «هُودًا». ومثله قوله (١٤):

٤٢٢٧ - وَأَيْقَظَ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ نِيَامًا (١٥)

- (١) سقط من ب. (٢) وانظر: البحر ٣٧٨/٧.
- (٣) الدر المصون ٥٧٤/٤ و ٥٧٥. (٤) نقله في الكشاف ٣٥٥/٣.
- (٥) وهي في كلا الحالين في موضع نصب بفاتنين. وانظر: البيان ١٠٩٥ و الدر المصون ٥٧٥/٤ والبيان ٣٠٩/٢ والمشكل ٢٤٣/٢.
- (٦) سقط من ب.
- (٧) انظر: البيان ٣٠٩/٢ وإعراب النحاس ٤٤٥/٣ وانظر كذلك معاني الفراء ٣٩٤/٢ والإتحاف ٣٧١ والبحر المحيط ٣٧٩/٧.
- (٨) ما بين القوسين كله سقط من نسخة «ب» بسبب انتقال النظر.
- (٩) زيادة لتوضيح السياق وتكميله. (١٠) انظر: المختصر ١٢٨.
- (١١) الكشاف ٣٥٦/٣.
- (١٢) البحر المحيط ٣٧٩/٧ وانظر هذا الوجه من القراءة في المحتسب ٢٢٨/٢. وهذان الوجهان من القراءة وجهان شاذان.
- (١٣) انظر: إعراب النحاس ٤٤٦/٣ و الدر المصون ٥٧٥/٤ والبيان ٣١٠/٢ ومشكل إعراب القرآن ٢٤٤/٢.
- (١٤) في ب قول الآخر.
- (١٥) شطر بيت من الوافر ولا أعرف ما إذا كان صدرأ أم عجزأ فقد بحثت عنه كثيراً فلم أهد إلى تتمه له، ولا إلى قائله وشاهده: «من كان منكم نياماً» فقد عاد الضمير على معنى من «في منكم» و «نياماً». وانظر: البحر المحيط ٣٧٩/٧ و الدر ٥٧٥/٤.

وأما مع عدم الواو فيحتمل أن يكون جمعاً (أيضاً) وإنما حذفت الواو خطأ كما حذفت لفظاً<sup>(١)</sup>، وكثيراً ما يفعلون هذا يُسْقُطُونَ في الخط ما يَسْقُطُ في اللفظ، ومنه: ﴿يَقْضِ الْحَقُّ﴾<sup>(٢)</sup> [الأنعام: ٥٧]، في قراءة من قرأ بالضاد المعجمة ورسوم بغير ياء، وكذلك: ﴿وَأَحْشَوْنَ الْيَوْمَ﴾ [المائدة: ٣]. ويحتمل أن يكون مفرداً وحقه على هذا كسر اللام فقط لأنه عين منقوص وعين المنقوص مكسورة أبداً وحذفت اللام - وهي الياء - لالتقاء الساكنين نحو: هَذَا قَاضٍ الْبَلَدِ<sup>(٣)</sup>، وقد ذكروا فيه توجيهين:

أحدهما: أنه مقلوب إذ الأصل صَالِي ثم صائل قَدَمُوا اللام إلى موضع العين، فوقع الإعراب على العَيْنِ ثم حذفت لام الكلمة بعد القلب فصار اللفظ كما ترى ووزنه على هذا قَاع، فيقال على هذا: جَاءَ صَالٌ وَرَأَيْتُ صَالاً، وَمَرَزْتُ بِصَالٍ فيصير في اللفظ كقولك: هَذَا بَابٌ وَرَأَيْتُ بَاباً، ومررت بباب<sup>(٤)</sup>، ونظيره في مجرد القلب، شاكٍ ولاثٍ في شائكٍ ولائثٍ، ولكن شائك ولائث قبل القلب صحيحان فصارا به معتلين منقوصين بخلاف صَالِي فإنه قبل القلب كان معتلاً منقوصاً فصار به صحيحاً<sup>(٥)</sup>.

والثاني: أن اللام حذفت استثقلاً من غير قلب<sup>(٦)</sup>، وهذا عندي<sup>(٧)</sup> أسهل مما قبله وقد رأيناها يَتَنَاسَوْنَ اللام المحذوفة ويجعلون الإعراب على العين، وقد قرىء: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ﴾<sup>(٨)</sup> [الرحمن: ٢٤] برفع الراء. «وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٌ»<sup>(٩)</sup> برفع النون تشبيهاً بَجَنَاحٍ وَجَانٌ، وقالوا: ما بِالْيَتِ بِهِ بَالَةٌ، والأصل بِالْيَةِ، كعافية<sup>(١٠)</sup>. وقد تقدم طَرْفٌ من هذا عند قوله: «وَمِنْ قَوْعِهِمْ غَوَاشٌ» فيمن قرأه برفع الشين<sup>(١١)</sup>.

(١) وهو رأي قطرب كما قاله ابن جني في المحتسب ٢٢٨/٢ ونقله ابن الأنباري في البيان ٣١٠/٢.

(٢) وهي قراءة أبي عمرو وحمزة وابن عامر والكسائي. انظر: السبعة: ٢٥٩ والإتحاف ٢٠٩.

(٣) وانظر هذا وما قبله في الدر المصون ٥٧٦/٤.

(٤) انظر في هذا المرجع السابق وهو الدر المصون ٥٧٥/٤ و ٥٧٦ وانظر في القلب هذا البيان ٣١٠/٢ وإعراب النحاس ٤٤٦/٤ ومعاني القرآن للزجاج ٣١٥/٤ والتبيان ١٠٩٥ ومعاني الفراء ٣٩٤/٢، والكشاف ٣٥٦/٣.

(٥) الدر المصون ٥٧٦/٤.

(٦) البيان ٣١٠/٢ والكشاف ٣٥٦/٣ والدر المصون ٥٧٦/٤. وممن قال به أبو علي الفارسي فيما نقله عنه ابن جني في المحتسب ٢٢٨/٢ وانظر أيضا البحر ٣٧٩/٧.

(٧) الدر المصون السابق.

(٨) وهي قراءة الإمام الحسن وهي من الأربع فوق العشرة انظر: الإتحاف ٤٠٦ والسّمين ٥٧٦/٤.

(٩) السورة السابقة آية ٥٤ وانظرها في المرجع الأخير السابق والبحر ٣٧٩/٧.

(١٠) انظر: الكشاف ٢٢٨/٣ والبيان ٣١٠/٢.

(١١) [الأعراف: ٤١] وهي قراءة أبي رجاء. وانظر: المحتصر لابن خالويه ٤٣ وبين هناك أن مثل غواش وجوار يعرب بالحركات على الحرف قبل الأخير.

## فصل

قال المفسرون: المعنى «فإنكم» تقولون لأهل مكة «وما تعبدون» من الأصنام «ما أنتم عليه» ما تعبدون «بفاتنين» بمُضِلِّينَ أحداً إلا من هو صال الجحيم أي من قَدَّرَ اللهُ أنه سيدخل النار، ومن سبق له في علم الله الشقاوة، واعلم أنه لما ذكر الدلائل على فساد مذاهب الكفار أتبعه بما ينبه على أن هؤلاء الكفار لا يقدرُونَ على إضلال أحدٍ إلا إذا كان قد سبق حكم الله في حقه بالعذاب والوقوع في النار. وقد احتج أهل السنة بهذه الآية على أنه لا تأثير لإيحاء الشيطان ووسوسته وإنما المؤثر قضاء الله وقدره.

قوله: «وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ» فيه وجهان:

أحدهما: أن «منا» صفة لموصوف محذوف فهو مبتدأ والخبر الجملة من قوله: «إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ» تقديره: ما أخذ مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ<sup>(١)</sup>، وحذف المبتدأ مع «مِن» جِدًّا فصيح.  
والثاني: أن المبتدأ محذوف أيضاً و «إِلَّا لَهُ مَقَامٌ» صفة حذف موصوفها والخبر على هذا هو الجار المتقدم والتقدير: «وما مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا لَهُ مَقَامٌ»<sup>(٢)</sup>. قال الزمخشري: حذف الموصوف وأقام الصِّفَّةَ مَقَامَهُ كقوله:

٤٢٢٨ - أَنَا ابْنٌ جَلَاءٌ وَطَلَأُ الشَّائِيَا

وقوله:

٤٢٢٩ - يَزْمِي بِكَفِّي كَانَ مِنْ أَرْمَى الْبَشَرِ<sup>(٤)</sup>

ورده أبو حيان فقال: «ليس هذا من حذف الموصوف وإقامة الصفة مَقَامَهُ، لأن

(١) هذا تقدير العلامة أبي حيان في البحر ٣٧٩/٧ وانظر: البيان ٣١٠/٢، والدر المصون ٥٧٦/٤ وعزه ابن الأنباري في البيان للبصرة ونفس التقدير ذهب إليه أبو إسحاق في المعاني لكن يتقدير مختلف للمضمر قال: «وما مِنَّا ملك» المعاني ٣١٦/٤، وانظر: التبيان ١٠٩٥، ومشكل الإعراب لمكي ٢/٢٤٤.

(٢) هذا قول جار الله في الكشاف كما أخير هو بعد. انظر: الكشاف ٣٥٦/٣.

(٣) من الوافر لسحيم بن وثيل عجزه:

منى أضع العمامة تعرفوني

انظر: الكتاب ٢٠٧/٣، ومجالس ثعلب ١٧٦، وأمالى القالي ٢٤٦/١، وابن يعيش ٦١/١ و ٦٢/٣ و ١٠٥/٤، ومعاهد التنصيص ١١٤/١، والتصريح ٢٢١/٢، والأصعيات ٦١، والأشمنوني ٢٦٠/٣، وحاشية يس ١٢/٢، وانظر أيضاً الخزانة ٢٥٥/١ و ٢٦٨ و ٦٤/٥، والمغني ١٦٠ و ٣٣٤، والحامسة البصرية ٣٢٥/١، وديوانه ١٣٣، والهمع ٣٠/١ و ١٢٠/٢.

(٤) شطر من الرجز وروايته المشهورة: جادت بكفي كان من أرمى البشر. وهو مجهول القائل وتروى (من) مكسورة الميم ومفتوحة على أنها موصولة وكان زائدة أو على أنها نكرة موصوفة وشاهده: حذف الموصوف وحلول الصفة محله أي يكفي رجل كان وعده أبو حيان من أقبح الضرائر النحوية.

المحذوف مبتدأ و «إِلَّا لَهُ مَقَامٌ» خبره ولأنه لا ينعقد كَلَامٌ من قوله: «وَمَا مِنَّا أَحَدٌ»، وقوله: «إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ» محط الفائدة وإن تخيل أن «له مقام معلوم» في موضع الصفة فقد نَصُوا على أن «إِلَّا» لا تكون صفة إذا حذف موصوفها وأنها فارقت «غَيْرًا» إذا كانت صفة في ذلك لِتَمَكِّن «غَيْرٍ» في الوصف<sup>(١)</sup> وعدم تمكن «إِلَّا» فيه؛ وجعل ذلك كقوله: «أَنَا ابْنُ جَلَاءٍ» أي أنا ابن رَجُلٍ جَلَاءٍ، و «بِكْفِي كَانَ» أي رَجُلٍ كَانَ فقد عدّه التَّحْوِيلُونَ من أقبح الضرائر، حيث حذف الموصوف والصفة جملة لم يتقدمها مِنْ<sup>(٢)</sup>، بخلاف قوله: ٤٢٣٠ - «مِنَّا ظَعَنَ وَمِنَّا أَقَامَ»<sup>(٣)</sup>

يريدون: مِنَّا فريقٌ ظَعَنَ، ومِنَّا فريقٌ أَقَامَ، وقد تقدم نحو من هذا في النِّسَاءِ عند قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَأَلَا يُؤْمِنُونَ بِوَدِّ﴾ [النساء: ١٥٩]. وهذا الكلام وما بعده ظاهره أنه من كلام الملائكة، وقيل: من كلام الرُّسُولِ ﷺ<sup>(٤)</sup>.

### فصل

قال المفسرون: يقول جبريل للنبي - ﷺ -: «وَمَا مِنَّا مَعْشَرَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ» أي ما منا ملك إلا له مقام معلوم في السموات يعبد الله فيه<sup>(٥)</sup>. قال ابن عباس: «ما في السموات موضع شبر إلا وعليه ملك يصلي أو يُسَبِّحُ»<sup>(٦)</sup>، وقال - عليه (الصلاة و) السلام -: «أَطَّتْ السَّمَاءُ وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَنْطَبُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا فِيهَا مَوْضِعٌ أَرْبَعَةَ أَصَابِعَ إِلَّا وَفِيهِ مَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ»<sup>(٧)</sup>. وقال السُّدِّيُّ: «إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ فِي الْقُرْبَةِ وَالْمَشَاهِدَةِ»<sup>(٨)</sup>.

قوله: «وَأَنَا لَنَحْنُ الصَّافُونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ» مفعول «الصافون والمسبحون» يجوز أن يكون مراداً أي الصافون أَقْدَامَنَا وَأَجْنِحَتَنَا، والمسبحون اللَّهُ تَعَالَى، وأن لا يُرَادَ البتة أي نحن من أهل هذا الفعل<sup>(٩)</sup>.

(١) قال الإمام السيوطي في الهمع ١/٢٢٩: الأصل في إلا أن تكون للاستثناء، وفي غير أن تكون وصفاً ثم قد تحمل إحداهما على الأخرى فيوصف بإلا يعنون بذلك عطف البيان... ومن شروط الوصف بإلا ألا يحذف موصوفها بخلاف غير فلا يقال جاءني إلا زيد، ويقال: جاءني غير زيد.

(٢) وانظر: الهمع أيضاً ٢/١٢٠ وشروط ابن مالك فيما نقله عنه السيوطي أيضاً (في) كمن وجعل ابن عصفور في من الضرائر.

(٣) هذا قول من أقوالهم انظر: الهمع ٢/١٢٠ والبحر ٧/٣٧٩ والسمين ٤/٥٧٧ أي منا قوم أو ناس.

(٤) ذكر هذين القولين السمين في الدر ٤/٥٧٧.

(٥) قاله الخازن في لباب التأويل ٦/٣٩. (٦) السابق.

(٧) أخرجه البغوي في معالم التنزيل ٦/٣٩ عن أبي ذر.

(٨) المرجع السابق.

(٩) معنى كلام الزمخشري في الكشاف ٣/٣٥٦، وانظر: السمين ٤/٥٧٧، ٥٧٨.

فعلى الأول يفيد الحصر ومعناه أنهم هم الصافون في مواقف العبودية لا غيرهم وذلك يدل على أن طاعات البشر بالنسبة إلى طاعات الملائكة كالعدم حتى يصح هذا الحصر<sup>(١)</sup>.

قال ابن الخطيب: وكيف يجوز مع هذا الحصر أن يقال: البشر أقرب درجة من الملك فضلاً عن أن يقال: هم أفضل منه أم لا؟<sup>(٢)</sup>.

قال قتادة: قوله<sup>(٣)</sup>: «وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ» هم الملائكة صَفُوا أَقْدَامَهُمْ، وقال الكلبي<sup>(٤)</sup>: صفوف الملائكة في السماء كصفوف الناس في الأرض. «وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ» أي المصلون المنزهون الله عن السوء بخبر جبريل للنبي - ﷺ - أنهم يعبدون الله بالصلاة والتسبيح وأنهم ليسوا بمعبودين كما زعمت الكفار، ثم أعاد الكلام إلى الإخبار عن المشركين فقال: «وَإِنْ كَانُوا» أي وقد كانوا: يعني أهل مكة «لَيَقُولُونَ» لام التأكيد «لَوْ أَنَّ عِبْدَنَا ذَكَرْنَا مِنَ الْأُولِينَ» أي كتاباً من كتب الأولين «لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ» أي لأخلصنا العبادة لله ولما كذبنا، ثم جاءهم الذكر الذي هو سيد الأذكار وهو القرآن، «فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ» عاقبة هذا الكفر. وهذا تهديد عظيم.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنْ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصَرْتُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَعْبَدْنَا بِمَسْجِدٍ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحِلِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٧٦﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٧﴾ وَأَبْصَرْتُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٨﴾ رَبِّ الْعَزَّةِ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٧٩﴾ وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨٠﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨١﴾﴾

قوله: «وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ» وهي قوله: ﴿بَكَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَيْنَ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة: ٢١] لما هدد الكفار بقوله: «فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ» أردفه بما يقوي قلب الرسول فقال «وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنْ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ» والنصرة والغلبة قد تكون<sup>(٥)</sup> بالحجة وقد تكون بالدولة والاستيلاء وقد تكون بالدوام والثبات فالمؤمن وإن صار مغلوباً في بعض الأوقات بسبب ضعف أحوال الدنيا فهو الغالب ولا يلزم على هذه الآية أن يقال قد قتل بعض الأنبياء وهزم كثير من المؤمنين<sup>(٦)</sup>.

قوله: «إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ» تفسير للكلمة فيجوز أن لا يكون لها محل من

(٣) و(٤) زاد المسير ٩٣/٧ والبعوي ٣٩/٦.

(١) و(٢) الرازي ١٧١/٢٦.

(٥) في الرازي: بقرة الحجة.

(٦) قاله الإمام الفخر في: التفسير الكبير ١٧٢/٢٦.

الإعراب، ويجوز أن تكون خير مبتدأ مضمرة ومنصوبة بإضمار فعل أي هي أنهم لهم المنصورون أو<sup>(١)</sup> أعني بالكلمة هذا اللفظ ويكون ذلك على سبيل الحكاية لأنك لو صرحت بالفعل قبلها حاكياً للجملة بعده كان صحيحاً كأنك قلت: عنيت<sup>(٢)</sup> هذا اللفظ كما تقول: كَتَبْتُ زَيْدًا قَائِمًا، وَإِنَّ زَيْدًا لَقَائِمٌ<sup>(٣)</sup>. وقرأ الضحاك: «كَلِمَاتُنَا» جمعاً<sup>(٤)</sup>.

قوله: «فَتَوَلَّ عَنْهُمْ» أي أعرض عنهم «حَتَّى جِين» قال ابن عباس: يعني الموت، وقال مجاهد: يوم بدر، وقال السدي: حتى يأمرك الله بالقتال، وقيل: إلى أن يأتيهم عذاب الله، وقيل: إلى فتح مكة<sup>(٥)</sup>.

قال مقاتل بن حيان: نسختها آية القتال<sup>(٦)</sup> «وَأَبْصِرْهُمْ» إذا نزل بهم العذاب عن القتل والأسر في الدنيا والعذاب في الآخرة «فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ» ذلك من النصر والتأييد في الدنيا والشواب العظيم في الآخرة فقالوا: متى هذا العذاب؟ فقال تعالى: «أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ» أي إن ذلك الاستعجال جهل لأن لكل شيء من أفعال الله تعالى وقتاً معيناً لا يتقدم ولا يتأخر.

قوله: «فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ» العامة على نَزَلَ مبنياً للفاعل، وعبد الله<sup>(٧)</sup> مبنياً للمفعول، والجار قائم<sup>(٨)</sup> مقام فاعله.

والساحة الفناء الخالي<sup>(٩)</sup> من الأبنية وجمعها سُوح<sup>(١٠)</sup> فألفها عن واو فيصغر على سُوَيْحَةٍ قال الشاعر:

٤٢٣١ - فَكَانَ سِيَّانٍ أَنْ لَا يَسْرَحُوا نَعْمًا أَوْ يَسْرَحُوهُ بِهَا وَأَغْبَرَّتِ السُّوحُ<sup>(١١)</sup>

وبهذا يتبين ضعف قول الراغب: إنها من ذَوَاتِ الْيَاءِ حيث عدها في مادة سِيح، ثم قال: الساحة المكان الواسع ومنه: ساحة الدار. والسائح الماء الجاري في الساحة،

(١) في ب إذا عنى. وهو غير مراد. (٢) قاله شهاب الدين السمين في الدر ٥٧٨/٤.

(٣) السابق.

(٤) البحر المحيط ٣٨٠/٧، والسمين ٥٧٨/٤، والكشاف ٣٥٧/٣، وشواذ القرآن (٢٠٧).

(٥) وانظر هذه الأقوال في القرطبي ١٣٩/١٥، وزاد المسير ٩٣/٧ و٩٤، والبغوي ٣٩/٦.

(٦) المراجع السابقة.

(٧) من القراءات غير المتواترة. انظر: المختصر ١٢٩ والمحتسب ٢٢٩/٢، والكشاف ٣٥٧/٣ والبحر

٣٨٣/٧.

(٨) المرجعان الأخيران السابقان. (٩) انظر الفراء ٣٩٦/٢.

(١٠) وساحات وفي ب سيوح خطأ.

(١١) البيت من بحر البسيط لأبي ذؤيب من قصيدة في رثاء صديق له.

وانظر: الخزانة ١٣٤/٥: ١٤٠ والمقتصد بشرح الإيضاح ٩٣٩ والخصائص ٣٤٨/١ و٢٠٢/٢٤٦ وشرح

ابن يعيش ٨٦/٢ و٩١/٨ والمغني ٦٣ والحجة لأبي علي ١٩٩/١ ولسان ابن منظور (سوا) وديوان

الهدليين ١٠٧/١.

وَسَاحَ فَلَآنَ فِي الْأَرْضِ مَرَّ مَرَّ السَّائِحِ . وَرَجُلٌ سَائِحٌ وَسَائِحٌ <sup>(١)</sup> انْتَهَى . وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ لَهَا مَادَّتَانِ لَكِنْ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَذَكَرَ مَا هِيَ الْأَشْهُرُ أَوْ يَذَكَرُهُمَا مَعًا .

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾ يعني العذاب بساحتهم، قال مقاتل: يحضرتهم . وقيل: بعتابهم .

قال الفراء: العرب تكتفي بذكر الساحة عن القوم <sup>(٢)</sup> «فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ» فَبَسَّ صَبَاحَ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ أُنْذِرُوا بِالْعَذَابِ . لَمَّا خَرَجَ - عَلَيْهِ (الصَّلَاةُ وَ) السَّلَامُ - إِلَى خَيْبَرَ أَنَاهَا لَيْلًا، وَكَانَ إِذَا جَاءَ قَوْمًا بَلِيلٌ لَمْ يَغْزُ حَتَّى يُصْبِحَ فَلَمَّا أَصْبَحَ خَرَجَتْ يَهُودُ (خَيْبَرَ) <sup>(٣)</sup> بِمَسَاجِيهَا وَمَكَاتِلِهَا، فَلَمَّا رَأَوْه قَالُوا: مُحَمَّدٌ وَاللَّهِ مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُ أَكْبَرُ حَرَبْتُ خَيْبَرَ إِنَّا إِذَا نَزَّأْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ» <sup>(٤)</sup> .

قوله: «فَقَوْلٌ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ وَأَبْصُرُ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ» .

قيل: المراد من هذه الكلمة فيما تقدم أحوال الدنيا وفي هذه الكلمة أحوال القيامة وعلى التقديرين فالتكرير زائل، وقيل: المراد من التكرير المبالغة في التهديد والتهويل <sup>(٥)</sup> .

فإن قيل: ما الحكمة في قوله أولاً: «وَأَبْصِرُهُمْ» وههنا قال: «وَأَبْصِرْ» بغير ضمير؟

فالجواب أنه حذف مفعول «أبصر» الثاني إما اختصاراً لدلالة الأولى عليه وإما اقتصاراً تفتناً في البلاغة <sup>(٦)</sup> . ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى خَتَمَ السُّورَةَ بِتَنْزِيهِ نَفْسِهِ عَنِ كُلِّ مَا لَا يَلِيْقُ بِصِفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ فَقَالَ: «سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ» أَيِ الْعَلِيَّةِ وَالْقُوَّةِ، أَضَافَ الرَّبَّ إِلَى الْعِزَّةِ لِإِخْتِصَاصِهِ بِهَا كَأَنَّهُ قِيلَ: ذُو الْعِزَّةِ، كَمَا تَقُولُ: صَاحِبُ صَدَقٍ لِإِخْتِصَاصِهِ بِهِ . وَقِيلَ الْمُرَادُ بِالْعِزَّةِ الْمَخْلُوقَةَ الْكَائِنَةَ بَيْنَ خَلْقِهِ <sup>(٧)</sup> .

ويترتب على القولين مسألة اليمين <sup>(٨)</sup> .

## فصل

قوله: «رَبُّ الْعِزَّةِ» الربوبية إشارة إلى كمال الحكمة والرحمة والعزة إشارة إلى كمال القدرة، فقوله «رَبُّ الْعِزَّةِ» يدل على أنه القادر على جميع الحوادث، لأن الألف

(١) انظر: مفردات الراغب ٢٤٦ . (٢) المعاني ٣٩٦/٢ .

(٣) سقط من نسخة «ب» . (٤) وانظر: البغوي ٣٩/٦ .

(٥) الرازي ١٧٣/٢٦ . (٦) البحر المحيط ٣٨٠/٧، والدر المصون ٥٧٨/٤ .

(٧) انظر: الكشف ٣٥٧/٣ والدر المصون ٥٧٨/٤ .

(٨) فعلى الأول ينعقد بها اليمين لأنها صفة من صفاته تعالى بخلاف الثاني فإنه لا ينعقد بها . القرطبي

١٤٠/١٥ و ١٤١ والدر المصون ٥٧٨/٤ .

واللام في قوله: «العزة» يفيد الاستغراق وإذا كان الكل ملكاً له لم يبق لغيره شيء فثبت أن قوله: «سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ» كلمة محتوية على أقصى الدرجات وأكمل النهايات<sup>(١)</sup> «وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ»، الذين بلغوا عن الله التوحيد بالشرائع «وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» على هلك الأعداء ونصر الأنبياء - عليهم (الصلاة و) السلام -<sup>(٢)</sup>.

رُوي عن عليّ - رضي الله عنه - قال «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكْتَالَ بِالْمِكْيَالِ الْأَوْقَى مِنْ الْأَجْرِ فَلْيَكُنْ آخِرَ كَلَامِهِ مِنْ مَجْلِسِهِ: سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»<sup>(٣)</sup>. ورَوَى أبو أمامة عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله - ﷺ - من قرأ سورة «الصافات» أُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ عَشْرَ حَسَنَاتٍ بِعَدَدِ كُلِّ جَنِيٍّ وَشَيْطَانٍ وَتَبَاعَدَتْ مِنْهُ مَرَدَّةُ الشَّيَاطِينِ وَبَرِيءٌ مِنَ الشُّرْكِ وَشَهِدَ لَهُ حَافِظَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّهُ كَانَ مُؤْمِنًا<sup>(٤)</sup>.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

(١) قاله الإمام الرازي ١٧٣/٢٦.

(٢) البغوي ٤٠/٦، والقرطبي ١٥/١٤٢.

(٣) أخرجه البغوي في تفسيره معالم التنزيل عن أصبغ بن نباتة عن عليّ - رضي الله عنه - انظر: المرجع السابق.

(٤) انظر هذا الحديث في الكشاف ٣/٣٥٨، ومجمع البيان ٨/٦٨١، والسراج المنير ٣/٣٩٨، والبيضاوي ٢/١٦١.

## سورة ص (١)

مكية<sup>(٢)</sup> وهي خمس وثمانون آية<sup>(٣)</sup> وسبعمئة واثنان وثمانون<sup>(٤)</sup> كلمة، وثلاثة آلاف وسبعة وستون<sup>(٥)</sup> حرفاً.

### بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ بِلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَرَّ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلا تَنْصُرْهُمْ هَؤُلَاءِ فَاصْرُفْ عَنْهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مِنْ قَبْلِهِمْ رَءِيفًا ﴿٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ص﴾ قرأ العامة بسكون الدال كسائر حروف التهجي في أوائل السور وقد مر ما فيه.

وقرأ أبيّ والحسنُ وابنُ أبي إسحاقُ وابنُ أبي عَبدِلةُ وأبو السَّمالُ بكسر الدال من غير تنوين<sup>(٦)</sup>. وفيه وجهان:

أحدهما: أنه كسر لالتقاء الساكنين وهذا أقرب.

والثاني: أنه (أمر)<sup>(٧)</sup> من المصاداة وهي المعارضة ومنه صوت الصّدَى لمعارضته لصوتك، وذلك في الأماكن الصُّلبة الخالية<sup>(٨)</sup>.

والمعنى عارض القرآن بعملك فاعمل بأوامره (وانته عن نواهيه). قاله الحسن<sup>(٩)</sup>. وعنه أيضاً<sup>(١٠)</sup> أنه من صَادَيْتُ أَي حَدَثْتُ<sup>(١١)</sup> والمعنى حَدِثِ النَّاسَ بِالقرآنِ، وقر ابنُ

(١) ويقال لها سورة «داود».

(٢) بالإجماع وانظر: زاد المسير ٩٦/٧ والقرطبي ١٤٢/١٥.

(٣) الأصح كما في القرطبي والبخاري أنها ست وثمانون آية وقيل: ثمان وثمانون آية.

(٤) كذا في النسختين والأصح ثلاثون. (٥) في النسختين وتسعة وتسعون حرفاً.

(٦) وانظر: المحتسب ٢٣٠/٢ والقرطبي ١٤٢/١٥ والمختصر ١٢٩ ومعاني الفراء ٣٩٦/٢ ومعاني الزجاج ٣١٩/٤ والإتحاف ٣٧١.

(٧) ما بين القوسين سقط من ب.

(٨) انظر: المحتسب ٢٣٠/٢ والبحر المحيط ٣٨٣/٧ والدر المصون ٥٧٩/٤.

(٩) انظر: زاد المسير لابن الجوزي ٩٧/٧.

(١٠) المرجع السابق. (١١) ما بين القوسين كله سقط من ب.

أبي إسحاق كذلك إلا أنه نونه<sup>(١)</sup> وذلك على أنه مجرور بحرف قسم مقدر حذف وبقي عمله كقولهم: اللّه لأفعلنّ بالجر إلا أن الجر يقل في غير الجلالة، وإنما صرفه ذهاباً به إلى معنى الكتاب أو التنزيل<sup>(٢)</sup>. وعن الحسن أيضاً وابن السميع وهارون الأعور<sup>(٣)</sup> صاد بالضم من غير تنوين<sup>(٤)</sup> على أنه اسم للسورة وهو (خبر)<sup>(٥)</sup> مبتدأ مضمّر أي هذه صاد. ومنع من الصرف للعلمية والتأنيث<sup>(٦)</sup> وكذلك قرأ ابن السميع وهارون قاف<sup>(٧)</sup> ونون<sup>(٨)</sup> بالضم على ما تقدم وقرأ عيسى وأبو عمرو - في رواية محبوب - صاد<sup>(٩)</sup> بالفتح من غير تنوين وهي تحتمل ثلاثة أوجه: البناء على الفتح تخفيفاً كأيّن وكيف، والجر بحرف القسم المقدر وإنما منع من الصرف للعلمية والتأنيث كما تقدم. والنصب بإضمار فعل أو على حذف حرف القسم<sup>(١٠)</sup> نحو قوله:

٤٢٣٢ - فَذَٰكَ أَمَانَةٌ لِلَّهِ التَّيِّبِ<sup>(١١)</sup>

وامتنعت من الصرف لما تقدم. وكذلك قرأ<sup>(١٢)</sup> قاف ونون بالفتح<sup>(١٣)</sup> فيهما. وهما كما تقدم<sup>(١٤)</sup> ولم يحفظ التنوين مع الفتح والضم.

## فصل

قيل: هذا قسم<sup>(١٥)</sup>، وقيل: اسم للسورة كما ذكر في الحروف المقطعة في أوائل

- (١) قال بذلك الزمخشري في الكشاف ٣/٣٥٨ والدر المصون ٤/٥٧٩.
- (٢) بالمعنى من الكشاف للزمخشري قال: «وقد صرفها من قرأ «ص» بالجر والتنوين على تأويل الكتاب والتنزيل».
- (٣) هارون بن موسى أبو عبد الله الأعور العتكي البصري مولاهم علامة صدوق نبيل له قراءة معروفة روى عن عاصم الجحدري وابن محيصن وعبد الله بن كثير وغيرهم روى عنه علي بن نصر، ويونس بن محمد المؤدب وغيرهما. مات قبل المائتين انظر: غاية النهاية ٢/٣٤٨.
- (٤) ذكرها ابن خالويه في المختصر وهي من غير المتواتر. انظر: المختصر ١٢٩ والدر المصون ٤/٥٧٩.
- (٥) سقط من ب وانظر: الدر المصون ٤/٥٧٩ والقرطبي ١٥/١٤٣.
- (٦) السابقان.
- (٧) من قوله تعالى: ﴿ق. والقرآن المجيد﴾ [ق: ١].
- (٨) من قوله: ﴿ن. والقلم وما يسطرون﴾ [القلم: ١] وانظر: مختصر ابن خالويه ١٤٤، والدر المرجع السابق.
- (٩) القرطبي ١٥/١٤٣ والكشاف ٣/٣٥٨ وابن خالويه ١٢٩.
- (١٠) البيان ٢/٣١١ والبحر المحيط ٧/٣٨٣ والدر المصون ٤/٥٧٩.
- (١١) سبق هذا البيت وما ورد فيه من شواهد.
- (١٢) أي عيسى وأبو عمرو.
- (١٣) انظر: مختصر ابن خالويه ١٤٤، ١٥٩.
- (١٤) من احتمال الأوجه الثلاثة التي ذكرها.
- (١٥) أقسم الله به وهو من أسماؤه رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. انظر: زاد المسير ٧/٩٧.

السور<sup>(١)</sup>. قال محمد بن كعب القرظي: (ص) مفتاح اسم الصمد وصادق الوعد<sup>(٢)</sup>. وقال الضحاك: معناه صدق الله<sup>(٣)</sup> وروي عن ابن عباس صدق محمد ﷺ<sup>(٤)</sup>. وقيل معناه أن القرآن مركب من هذه الحروف وأنتم قادرون عليها ولستم قادرين على معارضته<sup>(٥)</sup>.

فإن قيل: قوله «والقرآن ذي الذكر» قسم فأين المقسم عليه؟

فالجواب من وجوه:

أحدها: قال الزجاج والكوفيون غير الفراء: هو قوله: «إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ»<sup>(٦)</sup> قال الفراء: لا نجده مستقيماً لتأخيره جداً عن قوله «والقرآن»<sup>(٧)</sup>. وقال ثعلب والفراء هو قوله: «كَمْ أَهْلَكْنَا»<sup>(٨)</sup> والأصل: «لكم أهلكننا» فحذف اللام كما حذفها في قوله: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَقَهَا»<sup>(٩)</sup> [الشمس: ٩] بعد قوله: «وَالشَّمْسُ»، لما طال الكلام.

الثالث: قال الأخفش هو قوله: «إِنَّ كُلَّ لَمَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ»<sup>(١٠)</sup>، كقوله: «تَأْتِيهِمْ كِتَابٌ» [الشعراء: ٩٧] وقوله: «وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ» «إِنْ كُنَّ» [الطارق: ١ و ٤].  
الرابع: قوله: «إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا»<sup>(١١)</sup>.

الخامس: هو قوله: «(ص)» لأن المعنى والقرآن لقد صدق محمد قاله الفراء وثعلب<sup>(١٢)</sup> أيضاً؛ وهذا بناء منهما على جواز تقديم جواب القسم وأن هذا الحرف مقطوع من جملة دال هو عليها<sup>(١٣)</sup> وكلاهما ضعيف.

السادس: أنه محذوف<sup>(١٤)</sup>. واختلفوا في تقديره فقال الحوفي تقديره: «لَقَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ» ونحوه وقدره ابن عطية<sup>(١٥)</sup>: ما الأمر كما تزعمون. ودل على هذا المحذوف

(٢) المرجع السابق.

(١) البغوي ٤٠/٦.

(٤) السابقان.

(٣) السابق وانظر أيضاً زاد المسير ٩٧/٧.

(٥) البغوي السابق.

(٦) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣١٩/٤ وانظر التبيان ١٠٩٦ والبيان ٣١١/٢ والدر المصون ٥٨٠/٤ والقرطبي ١٤٤/١٥ وقد نسب للكسائي وكذلك أبو حيان في البحر ٣٨٣/٧ وانظر: الإغفال للفارسي ١١٨٨.

(٨) وانظر: المعاني للقرء ٣٩٧/٢.

(٧) المعاني له ٢٩٧/٢.

(٩) معاني الأخفش ٦٦٩، ٦٧٠ وانظر أيضاً البيان ٣١٢/٢ والتبيان والقرطبي المرجعين السابقين وانظر: البحر ٣٨٣/٧.

(١٠) نقله القرطبي في ١٤٤/١٥.

(١١) معاني الفراء ٣٩٦/٢، ٣٩٧ وانظر أيضاً الدر المصون ٥٨٠/٤ وزاد المسير ٩٨/٧.

(١٢) قاله أبو حيان في البحر ٣٨٣/٧ والسمين في الدر ٥٨٠/٤.

(١٣) وانظر: زاد المسير ٩٩/٧، وإليه ذهب قتادة وابن جرير في جامع البيان ٧٦/٢٣.

(١٤) قاله في البرهان في علوم القرآن. وانظر: البحر ٣٨٣/٧.

(١٥) في ب: ابن مالك. وهو تحريف.

قوله: «بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا». والزمخشري: أنه لمعجز<sup>(١)</sup>، وأبو حيان<sup>(٢)</sup>: إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ. قال: لأنه نظير: ﴿يَسْ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: ١ - ٣].

وللزمخشري هنا عبارة بشعة<sup>(٣)</sup> جداً قال: فإن قلت: قوله: «ص». والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق» كلام ظاهر متناف غير منتظم فما وجه انتظامه؟ قلت: فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون قد ذكر اسم هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدي والتنبيه على الإعجاز كما مر في أول الكتاب ثم أتبعه القسم محذوف الجواب بدلالة التحدّي عليه كأنه قال: والقرآن ذي الذكر إنه لكلام معجز.

والثاني: أن يكون (صاد) خير مبتدأ محذوف على أنها اسم للسورة كأنه قال: هذه «ص» يعني هذه السورة التي أعجزت العرب والقرآن ذي الذكر كما تقول: «هذا حاتم والله» تريد هو المشهور بالسخاء والله وكذلك إذا أقسم بها كأنه قال: أقسمت بصاد والقرآن ذي الذكر إنه لمعجز. ثم قال: بل الذين كفروا في عزة واستكبار عن الإذعان لذلك والاعتراف (بالحق)<sup>(٤)</sup> وشقاق لله ورسوله. (و) جعلتها مقسماً بها وعطفت عليها «والقرآن ذي الذكر» جاز لك أن تريد بالقرآن التنزيل كله، وأن تريد السورة بعينها. ومعناه: أقسم بالسورة الشريفة والقرآن ذي الذكر كما تقول: مَرَزْتُ بِالرَّجُلِ الْكَرِيمِ وبالنسبة المباركة، ولا تريد بالنسبة غير الرجل<sup>(٥)</sup>. وقيل: فيه تقديم وتأخير<sup>(٦)</sup> تقديره بل الذين كفروا في عزة وشقاق والقرآن ذي الذكر.

(والمراد بكون القرآن<sup>(٧)</sup> ذي الذكر) أي ذي الشرف<sup>(٨)</sup>، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤] وقال: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [الأنبياء: ١٠] كما تقول: «لِفُلَانٍ ذِكْرٌ فِي النَّاسِ». ويحتمل أن يكون معناه ذو النبأ<sup>(٩)</sup> أي فيه أخبار الأولين والآخرين وبيان العلوم الأصلية والفرعية.

(١) الكشاف ٣/٣٥٩.

(٢) البحر ٧/٣٨٣.

(٣) لعل المصنف بشعها من ناحية الأسلوب فقد قال: «غير منتظم فما وجه انتظامه؟» وكأنه يعدل على كلام الله المعجز وكيف يكون مرصوفاً تعالى الله عن ذلك علواً كثيراً. ولعل الزمخشري يقصد بالمنتظم التقديم والتأخير فعالم مثل هذا لا يخفى عليه العبارات الركيكة التي قد تشبهه وتدخله في منازل الإلحاد.

(٤) زيادة من الكشاف. (٥) الكشاف ٣/٣٥٩.

(٦) نقله البغوي في تفسيره ولم يحدد قائله انظر: معالم التنزيل للبغوي ٦/٤٠.

(٧) ما بين القوسين سقط من ب.

(٨) قاله أبو إسحاق الزجاج في المعاني ٤/٣١٩.

(٩) في الرازي ذو البيانين (الأولين والآخرين). وانظر: الرازي ٢٦/١٧٥.

قوله: «بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا» إضراب انتقال من قصة إلى أخرى. وقرأ الكسائي - في رواية سورة<sup>(١)</sup> - وحماد بن الزبرقان<sup>(٢)</sup> وأبو جعفر والجحدري: في عِزَّة<sup>(٣)</sup> بالغيين المعجمة والراء. وقد نقل أن حمادا<sup>(٤)</sup> الراوية قرأها<sup>(٥)</sup> كذلك تصحيفاً فلما رُذت عليه قال: ما ظننت أن الكافرين في عِزَّة. وهو وهم منه، لأن العزة المشار إليها حمية الجاهلية. والتكثير في (عزة وشقاق) دلالة على شدتهما وتفاقمهما<sup>(٦)</sup>.

### فصل

قالت المعتزلة دل قوله: (ذي الذِّكْرِ) على أنه مُخَدَّث، ويؤيده قوله: «وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ» ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾ [الأنبياء: ٥٠] ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٩]، والجواب: أنا نصرف ذليلكم إلى ما نقرأه نحن به<sup>(٧)</sup>.

### فصل

قال القُتَيْبِيُّ: بل لتدارك كلام ونفي آخر، ومجاز الآية أن الله أقسم بصاد والقرآن ذي الذكر أن الذين كفروا من أهل مكة في عزة وحمية جاهلية وتكبر عن الحق وشقاق خلاف وعداوة لمحمد - ﷺ<sup>(٨)</sup> - وقال مجاهد: في عزة وتغابن<sup>(٩)</sup>.  
قوله: «كَمْ أَهْلَكْنَا» (كم) مفعول «أَهْلَكْنَا» و «مِنْ قَرْنٍ» تَمَيِّزٌ، و «مِنْ قَبْلِهِمْ» لابتداء الغاية<sup>(١٠)</sup> والمعنى كم أهلكنا من قبلهم من قرن يعني من الأمم الخالية فنادوا استغاثوا عند نزول العذاب وحلول النُقْمَةِ. وقيل: نادوا بالإيمان والتوبة عند معاينة العذاب<sup>(١١)</sup>.  
قوله: «وَلَاتَ جِينٍ» هذه الجملة في محل نصب على الحال من فاعل «نَادَوْا» أي استغاثوا والحال أنه لا مَهْرَبَ وَلَا مَنجَى<sup>(١٢)</sup>.

- (١) هو سورة بن المبارك الخراساني الدينوري. روى القراءة عن الكسائي وعنه محمد بن سمعان، عن ابن مسعود وانظر: طبقات القراء ١/٣٢١.
- (٢) كذا هنا وفي أكثر النسخ. وفي ب: الزبير وحماد بن الزبرقان. وقد مر ترجمته.
- (٣) ذكرها ابن خالويه في المختصر ١٢٩ وانظر: البحر ٧/٣٨٣ والدر المصون ٤/٥٨١ والكشاف ٣/٣٥٩.
- (٤) كان من أهل الكوفة مشهور بالأشعار والأخبار. وانظر: نزهة الألباء ٢٤: ٢٧.
- (٥) عزا ابن خالويه هذه القراءة إلى حماد بن الزبرقان السابق وعزاها صاحب شواذ القرآن لابن مسعود (٢٠٧).
- (٦) وانظر: الدر المصون ٤/٥٨١. (٧) الرازي ٢٦/١٧٥.
- (٨) قاله في تأويل المشكل وفي غريب القرآن له ٣٧٦ وانظر: تفسير البغوي ٤/٤١.
- (٩) المرجع السابق. (١٠) الدر المصون ٤/٥٨١، ٥٨٢.
- (١١) وانظر: الرازي ٢٦/١٧٥ والبغوي ٤/٤١.
- (١٢) الدر المصون ٤/٥٨٢.

وقرأ العامة «لآت» بفتح التاء وحين منصوبة وفيها أوجه:

أحدها وهو مذهب سيويه: أن لا نافية بمعنى ليس والتاء مزيدة فيها كزيادتها في رُبُّ وُثْمٌ، كقولهم: رُبْتُ وُثْمٌ وأصلها «ها» وُصِلَتْ بلا فقالوا «لآه» كما قالوا «ثُمَّ»<sup>(١)</sup> ولا يعمل إلا في الزمان خاصة نحو: لات حين، ولات أو أن كقوله:

٤٢٣٣ - طَلَبُوا ضَلْحَنَا وَلَاتَ أَوَانٍ فَاجْبِنَا أَنْ لَيْسَ حِينٌ بَقَاءً<sup>(٢)</sup>

وقوله الآخر:

٤٢٣٤ - نَدِمَ الْبُقَاةَ لَاتَ سَاعَةً مَثْمٌ وَالْبَغْيِي مَرْتَعٌ مُبْتَغِيهِ وَخِيمٌ<sup>(٣)</sup>

والأكثر حينئذ حذف مرفوعها<sup>(٤)</sup> تقديره: وَلَاتَ الْحِينِ حِينَ مَنَاصٍ. وقد يحذف المنصوب ويبقى المرفوع<sup>(٥)</sup>. وقد قرأ هنا<sup>(٦)</sup> بذلك بعضهم لقوله:

٤٢٣٥ - مَنْ صَدَّ عَنْ نِيرَانِهَا فَأَنَا ابْنُ قَيْسٍ لَا بَرَاحٌ<sup>(٧)</sup>

أي لا براح لي. ولا تعمل في غير الأحيان على المشهور، وقد تمسك بإعمالها في غير الأحيان في قوله:

٤٢٣٦ - حَنَّتْ نَوَارُ وَلَاتَ هُنَا حَنَّتْ وَيَدَا الَّذِي كَانَتْ نَوَارُ أَجْنَتْ<sup>(٨)</sup>

فإن «هنا» من ظروف الأمكنة، وفيه شذوذ من ثلاثة أوجه:

(١) انظر: التبيان ١٠٩٧ ومشكل الإعراب ٢/٢٤٧ والبيان ٢/٣١٢ والكشف ٢/٢٣٠ والقرطبي ١/١٥٤٦، ١٤٧ والدر المصون ٤/٥٨٢ والكشاف ٣/٣٥٩.

(٢) من الخفيف لأبي زيد الطائي. وانظر: معاني الأخفش ٦٧٠ والخصائص ٢/٣٧٧ والهمع ١/١٢٦ والأشموني ١/٢٥٦ والقرطبي ١٥/١٤٧ والخزانة ٤/١٨٣ وابن يعيش ٩/٣٢ والكشاف ٣/٣٥٩ والطبري ٢٣/٧٨ وديوانه ٣٠ والفراء ٢/٣٩٨.

(٣) البيت على رواية المؤلف من تمام الكامل لمحمد بن عيسى التميمي. وقيل: مهلهل بن مالك الكناني. وشاهده: «ولات ساعة» حيث عملت لات في الزمان خاصة. وانظر: الخزانة ٤/١٧٤، ١٧٥ ومعاني الفراء ٢/٣٩٧ والأشموني ١/٣٥٥ وابن الناظم ٥٨ وشرح الكافية للرضي ١/٢٧٠ والدر المصون ٤/٥٨٢.

(٤) وهو مذهب إمام النحاة سيويه. وانظر الكتاب ١/٥٧، ٥٨.

(٥) انظر: المراجع السابقة وقبله الزجاج فقال: «والرفع جيد» بينما لم يحبذ الفراء في المعاني قال: «والكلام أن ينصب بها لأنها في معنى ليس».

(٦) أي في تلك الآية. وقد نسبها ابن خالويه إلى عيسى بن عمر. انظر: المختصر ١٢٩.

(٧) لسعد بن مالك من الكامل. وشاهده: «لا براح» حيث رفع الاسم وبقي وحذف الخبر المنصوب في لا العاملة عمل ليس وانظر: الأشموني ١/٥٤ والكتاب ١/٥٨ والمقتضب ٤/٣٦ والإنصاف ٣٦٧ وابن يعيش ١/١٠٨ وتمهيد القواعد ٢/٢٧، ٣٠ والسراج المنير ١/٣٩٩.

(٨) من الكامل كسابقه لشبيب بن جعيل التغلبي، وقد تقدم.

أحدها: عملها في اسم الإشارة وهو معرفة ولا تعمل إلا في النكرات.  
الثاني: كونه لا ينصرف.

الثالث: كونه غير زمان. وقد رد بعضهم هذا بأن «هنا» قد خرجت عن المكانية واستعملت في الزمان كقوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَيْتُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب: ١١]، وقوله: ٤٢٣٧ - (وَإِذَا الْأُمُورُ تَعَاظَمَتْ وَتَشَاكَلَتْ) (١) فَهَٰذَاكَ يَغْتَرِفُونَ أَيْنَ الْمَفْرَعِ (٢) كما تقدم في سورة الأحزاب.

إلا أن الشذوذين الأخيرين باقيا. وتناول بعضهم البيت أيضاً بتأويل آخر وهو أن «لات» هنا مُجْمَلَةٌ لا عمل لها، و «هنا» ظرف خبر مقدم و «حنت» مبتدأ بتأويل حذف «أن» المصدرية تقديره «أَنَّ حَنْتَ» نحو: «تَسْمَعُ بِالْمُعَيَّدِي» (٣) خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ». وفي هذا تكلف وبعد إلى أن فيه الاستراحة من الشذوذات المذكورة أو الشذوذين (٤). وفي الوقف عليها مذهبان: أشهرهما عند [علماء] العربية وجماهير القراء السبعة بالتاء المجبورة اتباعاً لمرسوم الخط (٥)، والكسائي وخذه من السبعة بالهاء.

والأول: مذهب الخليل وسيبويه والزجاج والفراء وابن كيسان.

والثاني: مذهب المبرد (٦).

وَأَعْرَبَ أَبُو عبيد فقال: الوقف على «لا» والتاء متصلة بحين فيقولون: قمت تحين قمت وتحين كان كذا فعلت كذا، وقال: رأيتها في الإمام كذا «وَلَا تَحِينُ» متصلة، وأنشد على هذا أيضاً قول أبي وجزة السعدي:

٤٢٣٨ - الْعَاطِفُونَ تَحِينُ مَا مِنْ عَاطِفٍ وَالْمُطْعِمُونَ زَمَانَ لَا مِنْ مُطْعِمٍ (٧)

(١) صدر البيت حذف من ب وانظر: الدر المصون ٥٨٣/٤.

(٢) سبق الكلام على الشاهد هذا وهو هنا يستشهد بالبيت على أن «هناك» للزمان لا للمكان.

(٣) هذا مثل يضرب للشيء يظن به الخير فإذا حضر كان الأمر على خلافه، وانظر: مجمع الأمثال للميداني ١/٢٢٧.

(٤) الدر المصون ٥٨٣/٤.

(٥) وانظر: مشكل إعراب القرآن ٢/٢٤٧ ومعاني الزجاج ٤/٣٢٠ وإعراب النحاس ٣/٤٥١ والبيان ٢/٣١٢ والبيان ١٠٩٧، ومعاني الفراء ٢/٣٩٨ والإتحاف ١/٣٧، وإبراز المعاني ١/٢٧٤، ٢٧٥ والبحر المحيط ٧/٣٨٤ والمذكر والمؤث لابن الأنباري ١/١٨٠ و١٨٣ والإغفال للفارسي ٩٢/١١.

(٦) السابقة.

(٧) البيت من الكامل. وانظر: الخزانة ٤/١٧١، ١٧٥ والمذكر والمؤث لابن الأنباري ١/١٨٣، ١٨٤. وانظر: الغريب المصنف لأبي عبيد ٢٢٥، والأشموني ٤/٣٣٩ ومجمع البيان للطبرسي ٧/٧٢٥ والإنصاف ١٠٨ ومجالس ثعلب ٣٧٤ وتمهيد القواعد ٢/٣٧ والدر المصون ٤/٥٨٣، ٥٨٤، وفتح القدير ٤/٤٢٠ وإعراب القرآن للنحاس ٣/٤٥١، ٤٥٣ وجامع البيان للطبرسي ٢٣/٧٨ بزيادة (هاء) العاطفونه والمطعمونه.

ومنه حديث ابن عمر وسأله رجل عن عثمان فذكر مناقبه ثم قال: «أَذْهَبَ تَلَانٌ إِلَى أَصْحَابِكَ» يريد «الآن»<sup>(١)</sup> والمصاحف إنما هي لات حين. وحمل العامة ما رآه على أنه مما شذ عن قياس الخط كَنَظَائِرَ له مرت. فأما البيت فقيل فيه: إنه شاذ لا يلتفت إليه<sup>(٢)</sup>. وقيل: إنه إذا حذف الحين المضاف إلى الجملة التي فيها «لات حين» جاز أن يحذف (لا) وحدها ويستغنى عنها بالتاء، والأصل: العاطفُونَ حِينَ لَاتٍ حِينَ لَا مِنْ عَاطِفٍ، فحذف الأول ولا وحدها كما أنه قد صرح بإضافة حين إليها في قول الآخر:

٤٢٣٩ - وَذَلِكَ حِينَ لَاتٍ أَوَانٍ حِلْمٍ .....<sup>(٣)</sup>

ذكر هذا الوجه ابن مالك<sup>(٤)</sup>؛ وهو متعسف<sup>(٥)</sup> جداً. وقد يقدر إضافة «حين» إليها من غير حذف لها كقوله:

٤٢٤٠ - تَذَكَّرَ حُبٌّ لَيْلَى لَاتٍ حِينَا .....<sup>(٦)</sup>

أي حين لات حين. وأيضاً فكيف يصنع أبو عبيد بقوله: «وَلَاتٌ سَاعَةٌ مَثَدَمٌ، وولات أوانٍ» فإنه قد وجدت التاء من «لا» دُونَ حِينَ؟!!

الوجه الثاني من الأوجه السابقة: أنها عاملة عمل «أن» يعني أنها نافية للجنس فيكون «حِينَ مَنَاصٍ» اسمها، وخبرها مقدر تقديره وولات حِينَ مَنَاصٍ لَهُمْ، كقولك: لَا غَلَامٌ سَفَرٍ لَكَ. وَأَسْمُهَا مَعْرَبٌ لِكَوْنِهِ مَظَافاً<sup>(٧)</sup>.

(١) تفسير البغوي ٤١/٤. (٢) قال بذلك شهاب الدين السمين في الدر ٥٨٤/٤.

(٣) صدر بيت من الوافر مجهول قائله عجزه:

ولكن قبلها اجتنبوا أذاتي

وقبله:

لعل حلومهم يأوي إليكم إذا شئرت واضطربت شذاتي

وشاهده: إضافة حين إلى لات. وانظر الهمع ١/١٢٦ والخزانة ٤/١٧٨ وتمهيد القواعد ٢/٣٦ وشرح التسهيل للمرادي ١/٣٩٩ والارتشاف ٤٦٤ والدر المصون ٤/٥٨٤.

(٤) نقله في التسهيل ٥٧ قال: «وقد يضاف إليها حين لفظاً أو تقديراً وربما استغني مع التقدير عن «لا» بالتاء».

(٥) لما فيه من التكلف والتأويل فالأصل عدم التأويل.

(٦) صدر بيت من الوافر عجزه:

وأمسي الشيب قد قطع القرينا

والبيت مما جهل قائله، وانظر فتح القدير ٤/٤٢٠ ومجمع البيان ٧/٧٢٥ بلفظ: وأضحى الشيب. وشاهده: تقدير حين مضافة إلى «لات» من غير حذف لها كما حدث في البيت السابق على أحد الآراء. وانظر: معاني الفراء ٢/٣٩٧ والخزانة ٤/١٧٨ والهمع ١/١٢٦ وتمهيد القواعد ٢/٣٦ والتذيل ٢/٥١٢ وشرح التسهيل للمرادي ١/٣٩١ وإعراب النحاس ٣/٤٥٣.

(٧) نسب هذا القول للأخفش والكوفيين. وانظر خزانة الأدب للبيدادي ٤/٢٧٣ والهمع للإمام السيوطي

١٢٦/١ ولم أجد في معاني الأخفش عن هذه الآية ما يفيد ذلك.

الثالث: أن بعدها فعلاً مقدراً ناصباً لحين مناص بعدها أي لات أرى حين مناص لهم بمعنى لست أرى ذلك، ومثله: «لَا مُرْحَبًا بِهِمْ وَلَا أَهْلًا وَلَا سَهْلًا» أي لا أتوا مرحباً ولا وطمثوا سهلاً ولا لقموا أهلاً.

وهذا الوجهان ذهب إليهما الأخفش<sup>(١)</sup>. وهما ضعيفان وليس إضمار الفعل هنا نظير إضماره في قوله:

٤٢٤١ - الْآرَجُلَاءُ جَزَاءُ النَّاسِ خَيْرًا.....(٢)

لضرورة أن اسمها المفرد النكرة مبني على الفتح فلما رأينا هنا معرباً قدرنا له فعلاً خلافاً للزجاج فإنه يجوز تنوينه في الضرورة ويدعي أن فتحته للإعراب، وإنما حذف التنوين للتخفيف ويستدل بالبيت المذكور<sup>(٣)</sup> وقد تقدم تحقيق هذا.

الرابع: أن لات هذه ليست هي «لا» مراداً فيها تاء التانيث. وإنما هي ليس فأبدلت السين تاء، وقد أبدلت منها في مواضع قالوا: النَّاسُ يريدون الناس ومنه سَتُّ وأصله سُدْسٌ، وقال:

٤٢٤٢ - يَا قَاتِلَ النَّاسِ بَنِي السُّفَلَاتِ

عَمْرُو بْنُ يَزْبُوعٍ شِرَارِ النَّاسِ

لَيْسُوا بِأَخْيَارٍ وَلَا أَلْيَاتِ<sup>(٤)</sup>

وقرىء شاذاً: «قل أعوذُ بربِّ النَّاسِ»<sup>(٥)</sup> إلى آخرها [الناس: ١ - ٦] يريد شيرار

(١) وانظر هذا وما قبله في الدر المصون للسمين ٥٨٥/٤.

(٢) صدر بيت من الوافر لعمرو بن قعناس أو قعاس عجزه: يدل على محصلة تبيت. والمحصلة المرأة التي تحصل تراب المعدن ويروي تبيت مفتوح الأول ومضمومه، والشاهد: ألا رجلاً حيث أن بعد لا إذا كان منصوباً منوناً فإنه يكون على تقدير فعل أي ألا ترونني رجلاً، ويروي هذا البيت بالجزء على تقدير من الاستغرافية ألا من رجع فمثل هذا البيت يجوز فيه تقدير الفعل العامل لوجود المقتضي لذلك بخلاف ما عدها من أبيات مغايرة. وقد تقدم.

(٣) هذا مذهب الجزمي والزرجاني والسيرافي أيضاً والرماني وهو مردود عليهم بأن حذفه من النكرة المطولة كان أولى وبأنه لم يعهد حذف التنوين إلا لمنع صرف أو إضافة أو وصف العلم بابين أو ملاقة ساكن أو وقف أو بناء. وهذا ليس واحداً مما قبل البناء فتعين البناء وانظر: التسهيل ٦٧ والهمع ١/١٤٦ وهامش الكتاب (لرأي السيرافي) ٢/٢٧٥.

(٤) جاءت هذه الآيات شاهداً على إبدال السين تاء، كما أن لات هذه التي معنا ليست هي لا المزاد عليها التاء وإنما هي ليس ولكن أبدلت السين تاء وقلبت الياء ألفاً حتى لا تلتبس بحرف التمني وهو لبت وهذا على أحد الآراء في «لات». والأكياس جمع كَيْس وهو اللبيب العاقل ومنه حديث الرسول: المؤمن كَيْس فطنٌ وتلك الآيات من مشطور الرجز لعلاء بن أرقم اليشكري ووردت في الممتع غير أعفاء ولا أكيات.

(٥) الآيات الثلاث من الست سورة الناس. ونقلها ابن خالويه في المختصر ١٨٣. وهي شاذة غير متواترة =

الناس ولا أكياس فأبدل، ولما أبدل السين تاءً خاف من التباسها بحرف التمني فقلب الياء ألفاً فبقيت تاء «لات» وهو من الاكتفاء بحرف العلة، لأن حرف العلة لا يبدل ألفاً إلا بشرطٍ منها أن يتحرك، وأن يفتح ما قبله فيكون «حين مناص» خبرها والاسم محذوف على ما تقدم والعمل هنا بحق الأصلة لا الفرعية<sup>(١)</sup>.

وقرأ عيسى بن عمر: ولاتٍ حينٍ مناصٍ بكسر التاء<sup>(٢)</sup> وجر حين. وهي قراءة مشكلةٌ جداً، زعم الفراء أن لاتٍ يجر بها وأنشد:

٤٢٤٣ - وَلَتَنَدُمَنَّ وَلَاتَ سَاعَةَ مَثَدَمٍ<sup>(٣)</sup>

وأنشد غيره:

٤٢٤٤ - طَلَبُوا صَلْحَنَا وَلَاتَ أُوَانَ<sup>(٤)</sup>

وقال الزمخشري: ومثله قول أبي زبيد الطائي:

٤٢٤٥ - طَلَبُوا صَلْحَنَا .....

البيت. قال: فإن قلت: ما وجه الجر في أوانٍ؟

قلت: شبه بإذٍ في قوله:

٤٢٤٦ - وَأَنْتَ إِذْ صَجِيحٌ<sup>(٥)</sup>

في أنه زمان قطع عنه<sup>(٦)</sup> المضاف إليه وعوض منه التنوين لأن الأصل: ولاتٍ أوانٌ<sup>(٧)</sup> صلح. فإن قلت: فما تقول في «حينٍ مناص» والمضاف إليه قائم؟ قلت: نزل قطع المضاف إليه من «مناص» لأن أصله حين مناصهم منزلة قطعه من «حين» لاتحاد<sup>(٨)</sup>

= وزعم أبو عمرو أنها لغة قضاة، وقال السيوطي في الاقتراح: إنها كانت في أهل اليمن وتسمى الوتم انظر: الاقتراح (٢٠١).

(١) قاله صاحب الدر ٨٦/٤.

(٢) مختصر ابن خالويه ١٢٩ والكشاف ٣٥٩/٣ والدر المصون ٥٨٦/٤ وانظر: البحر ٣٨٤/٧ والقرطبي ١٤٨/١٥ وشواذ القرآن ٢٠٧.

(٣) قال الفراء ومن العرب من يضيف لات فيخفف وأنشد البيت ثم قال: ولا أحفظ صدره رغم أن له من أنشد له صدرأ كالقرطبي وغيره. وقد سبق هذا البيت عن قريب وجاء هنا شاهداً على جر لات لما بعدها.

(٤) سبق أيضاً هذا البيت عن قريب وجاء به هنا شاهداً على جر لات لما بعدها.

(٥) جزء من بيت من بحر الوافر لأبي ذؤيب الهذلي تمامه:

نهيتك عن طلابك أم عمرو بعافية .....

وشاهده: قطع «إذ» عن الإضافة وتعميضا بالتنوين. وانظر شرح ابن عيش ٣١/٨ والأشموني ٣٦/١ والخصائص ٣٧٦/٢ وحاشية يس ٣٩/٢ والكشاف ٣٥٩/٣ وشرح شواهد ٣٦٣/٤ والخزانة ٦/٥٣٩.

(٨) في ب: لإعلال.

(٧) في ب: حين.

(٦) في ب: منه.

المضاف والمضاف إليه وجعل تنوينه عوضاً عن المضاف المحذوف، ثم بين الجهة لكونه مضافاً إلى غير متمكن انتهى<sup>(١)</sup>.

وخرجها أبو حيان على إضمار «من»<sup>(٢)</sup> والأصل ولات من حين مناص فحذفت «من» وبقي عملها نحو قولهم: «عَلَى كَمْ جَدَعٌ بَنِيَّتْ بَيْتِكَ» أي مِنْ جَدَعٍ فِي أَصْحَ الْقَوْلِينَ<sup>(٣)</sup>. وفيه قول آخر: أَنَّ الْجِرَ<sup>(٤)</sup> بِالْإِضَافَةِ مِثْلَ قَوْلِهِ:

٤٢٤٧ - أَلَا رَجُلٍ جَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا<sup>(٥)</sup>

أنشدوه بجز رجلٍ أي ألامن رجلٍ.

وقد يتأيد بظهورها في قوله:

٤٢٤٨ - ..... وقال ألامن سبيل إلى هند<sup>(٦)</sup>

قال: ويكون موضع (من حين مناص) رفعا على أنه اسم لات بمعنى ليس، كما تقول: لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ قَائِمًا والخبر محذوف، وهذا على قول سيبويه، (و)<sup>(٧)</sup> على أنه مبتدأ والخبر محذوف على قول الأخفش<sup>(٨)</sup>. وخرج الأخفش «ولات أوان» على حذف مضاف يعني أن (ه)<sup>(٩)</sup> حذف المضاف وبقي المضاف إليه مجرورا على ما كان والأصل ولات حين أوان<sup>(١٠)</sup>.

وقدر هذا الوجه مكي بأنه كان ينبغي أن يقوم المضاف إليه مقامه في الإعراب فيرفع<sup>(١١)</sup>.

(١) وانظر: الكشاف ٣/٣٥٩. (٢) التي تفيد الاستغراق.

(٣) انظر: البحر المحيط ٧/٣٨٤.

(٤) ليس في كلام أبي حيان ما يفيد الجر بالإضافة وكيف تجيء الإضافة التي في مثل قولنا: على كم جدع بيتك فهل يقصد المؤلف الإضافة أي إضافة لات لما بعدها ولا يعرف حرف أضيف لاسم فالمؤلف قد وهم في هذا كما وهم من قبل النمنين في الدر ٤/٥٨٧.

(٥) وقد سبق هذا البيت عن قريب برواية ألا رجلا على أن رجلا معمولا لمحذوف وهنا جاءت بخفض رجل على أنها - أي رجل - مخفوضة بمن على زعم أبي حيان. وانظر: البحر ٧/٣٨٤ والدر المصون ٤/٥٨٨.

(٦) عجز بيت من الطويل صدره:

فقام يذود الناس عنها بسيفه

وهو مجهول القائل، وجيء بالبيت على تأكيد من بظهورها غير مقدرة وهي «من» الزائدة حيث وقعت بعد استفهام ونفي ودخلت على نكرة والأصل لا سبيل. وقد تقدم.

(٧) الواو سقطت من ب. (٨) انظر: البحر المحيط ٧/٣٨٤.

(٩) الهاء زيادة من أ.

(١٠) وقد سبق أن النحاس في الإعراب رد هذا الوجه كما رده مكي وانظر: معاني الأخفش ٦٧٠.

(١١) قاله في مشكل الإعراب ٢/٢٤٨.

قال شهاب الدين: قد جاء<sup>(١)</sup> بقاء المضاف إليه على جرّه وهو قسمان قليل وكثير: فالكثير أن يكون في اللفظ مثل المضاف نحو قوله:

٤٢٤٩ - أَكُلُّ امْرِئٍ تَخَسِبِينَ امْرَأَةً وَنَارٍ تَتَوَقَّدُ بِاللَّيْلِ نَارًا<sup>(٢)</sup>

أي وكل نار، والقليل أن لا يكون كقراءة من قرأ: «وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ» بجر الآخرة فليكن هذا منه. على أن المبرد رواه بالرفع على إقامته<sup>(٣)</sup> مقام المضاف، وقال الزجاج: الأصل<sup>(٤)</sup> ولات أواننا، فحذف المضاف إليه فوجب أن لا يعرف وكسره لالتقاء الساكنين.

وقال أبو حيان: وهذا هو الوجه الذي قرره الزمخشري أخذه من أبي إسحاق<sup>(٥)</sup> يعني الوجه الأول وهو قوله ولات أوان صلح. هذا ما يتعلق بجر «حين» وأما كسرة لات فعلى أصل التقاء الساكنين كحين<sup>(٦)</sup> إلا أنه لا يعرف تاء تأنيث<sup>(٧)</sup> إلا مفتوحة<sup>(٨)</sup>. وقرأ عيسى أيضاً بكسر التاء فقط ونصب حين كالعامه<sup>(٩)</sup>. وقرأ أيضاً ولات حين بالرفع<sup>(١٠)</sup>. مناص بالفتح<sup>(١١)</sup>. وهذه قراءة مشكلة جداً لا تبعد عن الغلط من راويها عن عيسى فإنه بمكان<sup>(١٢)</sup> من العلم المانع له من مثل هذه القراءة<sup>(١٣)</sup>. وقد خرجها أبو الفضل الرازي في لوامحه على التقديم والتأخير وأن «حين» أُجْرِي مُجْرَى «قَبْلُ وَبَعْدُ» في بنائه على الضم عند قطعه عن الإضافة بجامع ما بينه وبينها من الظرفية الزمانية و «مناص» اسمها مبني على الفتح فصل بينه وبينها بحين المقطوع عن الإضافة والأصل: ولات مَنَاصَ حِينُ كذا، ثم حذف المضاف إليه حين وبني على الضم وقدم فاصلاً بين لات واسمها قال: وقد

(١) قاله في الدر المصون ٥٨٨/٤، ٥٨٩.

(٢) البيت من بحر المتقارب، وهو لأبي دؤاد الإيادي وهو بيت مشهور في النحو. وشاهده حذف المضاف وبقاء المضاف إليه فلم يأخذ مكانه في الإعراب - وهو النصب هنا - لأن الشرط هنا أن المحذوف وهو المضاف في اللفظ مثل ما عطف عليه وهو المضاف الأول. وقد تقدم.

(٣) لم أجد هذا في المقتضب ولا في الكامل وقد نقل هذا الرأي عن المبرد الإمام أبو جعفر النحاس في الإعراب ٤٥٤/٣ ومكي في المشكل ٢٤٨/٢ والسمين في الدر ٩/٤ والقرطبي في الجامع ١٤٩/١٥.

(٤) قاله في معاني القرآن وإعرابه له ٣٢١/٤.

(٥) البحر المحيط ٣٨٤/٧.

(٦) فكان الأصل حين بسكون النون فحركت النون للتخفيف لالتقاء الساكنين.

(٧) في ب: التأنيث بال.

(٨) وما تقرأه من لعبت وسمعت ومثل هذا فجاءوا بالتسكين حتى لا يتوالى أربع حركات في الكلمة.

(٩) مختصر ابن خالويه ١٢٩ وإعراب النحاس ٤٥٢/٣ والبحر ٣٨٤/٧.

(١٠) المختصر السابق والدر المصون ٥٨٩/٤.

(١١) المرجع الأخير السابق.

(١٢) في ب: بمكانة أي عيسى يبعد عن هذه الأشياء.

(١٣) انظر: الدر المصون ٥٨٩/٤.

يجوز أن يكون لذلك معنى لا أعرفه<sup>(١)</sup>. وقد روي<sup>(٢)</sup> في تاء لات الفتح والكسر والضم<sup>(٣)</sup>.

(قوله)<sup>(٤)</sup>: «فَنَادَا» لا مفعول له لأن الأصل فَعَلُوا النداء من غير قصد منادى<sup>(٥)</sup>. وقال الكلبي: كانوا إذا قاتلوا فاضطربوا نادى بعضهم لبعض مناص أي عليكم بالفرار فلما أتاهم العذاب قالوا مناص فقال الله لهم: وَلَا تَحِينَنَّ مناص<sup>(٦)</sup>. قال القشيري<sup>(٧)</sup> فعلى هذا يكون التقدير فنادوا فحذف لدلالة ما بعده (عليه)<sup>(٨)</sup><sup>(٩)</sup>.

قال شهاب الدين: فيكون قد حذف المنادى وهو بعضاً وما ينادون به وهو «مناص» أي نادوا بعضهم بهذا اللفظ<sup>(١٠)</sup> وقال الجرجاني<sup>(١١)</sup>: أي فنادوا حين لا مناص أي ساعة لا منجى ولا قوت، فلما قدم «لا» وأخر «حين» اقتضى ذلك الواو كما يقتضي الحال إذا جعل ابتداءً وخيراً مثل ما تقول: جَاءَ زَيْدٌ رَاكِباً، ثم تقول: جاء وَهُوَ رَاكِبٌ، «فحين» ظرف لقوله: «فَنَادَا»<sup>(١٢)</sup> (وقال أبو حيان<sup>(١٣)</sup>: وكون أضل هذه الجملة فنادوا حين لا مناص وأن حين ظرف لقوله): فنادوا دعوى أعجمية<sup>(١٤)</sup> في نظم القرآن والمعنى على نظمه في غاية الوضوح<sup>(١٥)</sup>. قال شهاب الدين: الجرجاني لا يعني أن «حين» ظرف «لِنَادَا» في التركيب الذي عليه القرآن الآن إنما يعني بذلك في أصل المعنى والتركيب كما شبه ذلك بقوله: «جَاءَ زَيْدٌ رَاكِباً، ثم جَاءَ زَيْدٌ وَهُوَ رَاكِبٌ» «فراكباً» في التركيب الأول

(١) انظر هذا في البحر المحيط لأبي حيان أنير الدين ٣٨٤/٧ والدر المصون ٥٨٩/٤.

(٢) في ب: وقد قرئ بدل روي وكلا اللفظين صحيحان.

(٣) فلات بالفتح هي قراءة العامة وروي لات عن عيسى ولات عن أبي السَّمَال انظر: مختصر ابن خالويه ١٢٩.

(٤) سقط من نسخة ب. (٥) الدر المصون ٥٩٠/٤.

(٦) السابق وانظر: البحر المحيط ٣٨٤/٧ والقرطبي ١٤٥/١٥ بلفظ «فاضطروا».

(٧) هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد الإمام الكبير أبو القاسم القشيري النيسابوري الزاهد الصوفي صنف من المصنفات الكثير منها التفسير الكبير وهو من أجود التفاسير مات سنة ٤٦٥ هـ انظر: طبقات المفسرين للداودي ١/٣٤٤، ٣٥٢ وطبقات السيوطي ٧٣، ٧٤ وإنباه الرواة للقفطي ١٩٣/٢ وخلاصة الكمال ٣٣٦.

(٨) سقط من ب.

(٩) وانظر: الدر والبحر والقرطبي المراجع السابقة.

(١٠) الدر المصون ٥٩٠/٤.

(١١) لعله أبو علي الجرجاني صاحب نظم القرآن الحسن بن علي بن نصر بن منصور الطوسي عن محمد بن رافع والزبير بن بكار مات سنة ٣٠٨ هـ. انظر: طبقات المفسرين للداودي ١/١٤١، ١٤٢. وانظر أيضاً طبقات الحفاظ للذهبي ٣/٧٨٧.

(١٢) نقله الإمام القرطبي في الجامع ١٤٦/١٥ وأبو حيان في البحر ٨٤/٧ والسمين في الدر ٥٩٠/٤.

(١٣) ما بين القوسين كله سقط من ب. (١٤) وفي البحر: المخالفة لنظم القرآن.

(١٥) انظر: البحر المحيط ٣٨٤/٧.

حال وفي الثاني خبر مبتدأ كذلك حين كان (في<sup>(١)</sup> الأصل) ظرف للنداء، ثم صار خبر «لات» أو اسمها على حسب الخلاف المتقدم<sup>(٢)</sup>.

و «الْمَنَاصُ» مَفْعَلٌ مِنْ نَاصٍ يَنْوِصُ أَي هَرَبَ فَهُوَ مُصَدَّرٌ<sup>(٣)</sup>. يُقَالُ نَاصَهُ يَنْوِصُهُ إِذَا فَاتَهُ فَهُوَ مُتَعَدٌّ، وَنَاصَ يَنْوِصُ أَي تَأَخَّرَ<sup>(٤)</sup>، وَمِنْهُ نَاصٌ عَنْ قِرْنِهِ أَي تَأَخَّرَ عَنْهُ جِبَانًا. قَالَ الْفَرَّاءُ<sup>(٥)</sup>. وَأَنْشَدَ قَوْلَ امْرِئِ الْقَيْسِ: [من الطويل]

٤٢٥٠ - أَمِنْ ذِكْرِ سَلَمَى إِنْ نَأَتْكَ تَنْوِصُ فَتَقْضِرَ عَنْهَا حِقْبَةَ وَتَنْوِصُ<sup>(٦)</sup>

قال أبو جعفر النحاس: نَاصَ يَنْوِصُ إِذَا تَقَدَّمَ<sup>(٧)</sup> فَيَكُونُ مِنَ الْأَضْدَادِ، وَاسْتَنَاصَ طَلَبَ الْمَنَاصَ<sup>(٨)</sup>، قَالَ حَارِثَةُ بْنُ بَدْرٍ:

٤٢٥١ - عَمْرُ الْجِرَاءِ إِذَا قَصَزَتْ عِنَانَهُ بِيَدِي اسْتَنَاصَ وَرَامَ جَزْيَ الْمِسْحَلِ<sup>(٩)</sup>

ويقال: نَاصَ إِلَى كَذَا يَنْوِصُ نَوْصًا إِذَا التَّجَأَ إِلَيْهِ. قَالَ بَعْضُهُمُ الْمَنَاصُ الْمَنْجَى وَالْعَوْتُ، يُقَالُ نَاصَهُ يَنْوِصُهُ إِذَا أَغَاثَهُ<sup>(١٠)</sup>، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانَ كِفَارَ مَكَّةَ إِذَا قَاتَلُوا فَاضْطَرَبُوا فِي الْحَرْبِ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضِ مَنْاصٍ أَي اهِرَبُوا وَخَذُوا حَذْرَكُمْ، فَلَمَّا نَزَلَ بِهِمُ الْعَذَابُ بَبَدْرٍ، وَقَالُوا مَنْاصَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: وَلَا تَحِينَ مَنْاصَ أَي لَيْسَ حِينَ هَذَا الْقَوْلِ<sup>(١١)</sup>.

(١) ما بين القوسين سقط من ب.

(٢) الدر المصون ٤/ ٥٩٠ وهو يدافع عن رأي أبي علي الجرجاني وهو رأي ظريف له وجهة نظر ويقصد بالخلاف المتقدم آراء سيويه والأخفش وكل الآراء السابقة.

(٣) ميمي من الثلاثي المضموم العين والأجوف الواوي فيجيء على «مفعل» كما رأينا.

(٤) فهو لازم.

(٥) قال والنوص التأخر في كلام العرب، والبوص التقدم وقد بصته. انظر: المعاني له ٢/ ٣٩٧ واللسان: «ن و ص» ٤٥٧٦ وغريب القرآن ٣٧٦ والمجاز ٢/ ١٧٦.

(٦) البيت له كما في ديوانه ١٧٧ وأنشد شاهداً على أن النوص هو التأخر. و صدره في تفسير القرطبي ١٥/ ١٤٦ برواية إذ الظرفية. وانظر اللسان «ن و ص» ٤٥٧٦ وغريب القرآن ٣٧٦ وتأويل المشكل ٢٥٥ وجامع البيان للطبري ٢٣/ ٧٦ و الدر المصون ٤/ ٥٩٠، ٥٩١ وروي في الديوان خطوة بدل حقة. وانظر أيضاً فتح القدير ٤/ ٤٢٠ والبحر ٧/ ٣٨٤ واللسان: «ب و ص» ٣٨٦ وزاد المسير ٧/ ١٠١.

(٧) قاله في الإعراب ٣/ ٤٥٠.

(٨) كذا في السمين ٤/ ٥٩١ وفي اللسان: استناص أي تأخر. اللسان ٤٥٧٦.

(٩) من الكامل التام وهو لحارثة بن بدر. وهو يصف فرساً له وغمر: واسع كثير والجراء مصدر جرى وهو للفرس خاصة والمسحل حمار الوحش سمي بذلك لكثرة سحاله أي شقيقه. وهو يصفه بالسرعة الشديدة وعدم الكسل وبالمهارة المطلوبة وأتى به ليبين أن استناص بمعنى طلب المهرب. وانظر اللسان ٤٥٧٦: «ن و ص» وجرى ٦١٠ والبحر ٧/ ٣٨١ والكشاف ٣/ ٣٥٩ وشرح شواهد ٥٠٠.

(١٠) نقله الرازي في تفسيره ٢٦/ ١٧٦.

(١١) نقله البغوي والخازن في تفسيريهما معالم التنزيل ولباب التأويل ٦/ ٤١.

قوله تعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾  
 أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَنُوا وَأَصْبَرُوا عَلَىٰ آيَاتِ الْهِتَمِ  
 إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَعَيْنَا يَهْدَا فِي آيَةِ الْآخِرَةِ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَخْلَاقٌ ﴿٧﴾ أَمْ نَزَّلْنَا عَلَيْهِ  
 الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُفَعُوا عَذَابَ ﴿٨﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ  
 الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُمْ شُكُّكَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴿١٠﴾ جُنْدٌ  
 مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾﴾

قوله: «وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ» أي من أن، ففيها الخلاف المشهور. «وقال الكافرون»  
 من باب وضع الظاهر موضع المضمرة شهادة عليهم بهذا الوصف القبيح<sup>(١)</sup>.

### فصل

لما حكى عن الكفار في كونهم في عزة وشقاق أتبعه بشرح كلماتهم الفاسدة فقال:  
 «وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ» وفي قوله: «منهم» وجهان:

الأول: أنهم قالوا: إن محمداً مساوٍ لنا في الخلق الظاهرة والأخلاق الباطنة  
 والنسب والشكل والصورة فكيف يعقل أن يُخْتَصَّ من بيننا بهذا المنصب العالي؟!

والثاني: أن الغرض من هذه الكلمة التنبيه على كمال جهلهم (لأنهم)<sup>(٢)</sup> جاءهم  
 رجل يدعوهم إلى التوحيد وتعظيم الملائكة والترغيب في الآخرة والتنفير عن الدنيا ثم إن  
 هذا الرجل من أقاربهم يعلمون أنه كان بعيداً عن الكذب والتهمة وكان ذلك مما يوجب  
 الاعتراف بتصديقه ثم إنهم لحماقتهم يتعجبون له من قوله. ونظيره قوله: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا  
 رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَمْ مُنْكَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٩] «وقال الكافرون هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ  
 إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ» مبالغة في «عجب» كقولهم: رَجُلٌ طَوَّالٌ<sup>(٣)</sup>، وأمر  
 سَرَاعٌ، هما أبلغ من طَوِيلٌ وَسَرِيعٌ<sup>(٤)</sup>، وقرأ عليٌّ والسلمي وعيسى وابن مِقْسَمٍ: عَجَّابٌ<sup>(٥)</sup>  
 بتشديد الجيم. وهي أبلغ مما قبلها فهي مثل رجل كريم وكَرَامٌ بالتخفيف وكَرَامٌ  
 بالتشديد.

(١) معنى كلام الزمخشري في الكشاف ٣/٣٥٩، ٣٦٠.

(٢) ما بين القوسين كله قد سقط من ب.

(٣) ومن هنا سمي النحوي المعروف بالطوال فتلك صفة ولقب.

(٤) قاله أبو عبيدة في المجاز ١٧٦/٢، ١٧٧ وابن قتيبة في الغريب ٣٧٦ والفراء في المعاني ٢/٣٩٨  
 والزجاج في المعاني ٤/٣٢١.

(٥) أجزت لغوياً من الزجاج والفراء في المرجعين السابقين وهي من الشواذ وقد نقلها الكشاف ٣/٣٦٠  
 وابن جني في المحتب ٢/٢٣٠ وابن خالويه في المختصر ١٢٩.

قال مقاتل: وعجاب - يعني بالتخفيف - لغة أزد شئوة<sup>(١)</sup>، وهذه القراءة أعني بالتشديد كقوله: ﴿وَمَكْرُوهًا مَّكْرًا كَبِيرًا﴾ [نوح: ٢٢]. وهو أبلغ من كَبَارٍ وَكُبَارٍ أبلغ من كَبِيرٍ، وقوله: «أَجَعَلَ» أي أَصَيَّرَهَا إِلَهًا واحداً في قوله وزعمه.

قوله: «وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ» الملاء: هم القوم الذين إذا حضروا امتلأت العيون والقلوب من مهابتهم<sup>(٢)</sup>، وقوله «مِنْهُمْ» أي من قريش انطلقوا عن مجلس أبي طالب بعد ما بكتهم رسول الله - ﷺ - بالجواب العنيد قائلين بعضهم لبعض: «أَنْ أَمْشُوا وَأَضْبِرُوا عَلَى آلِهِتِكُمْ»، وذلك أن عَمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أسلم فشق ذلك على قريش وفرح به المؤمنون فقال الوليد بن المغيرة للملاء من قريش وهم الصناديد والأشراف وكانوا خمسة وعشرين رجلاً أكبرهم سناً الوليد بن المغيرة قال لهم: امشوا إلى أبي طالب فأتوا أبا طالب وقالوا له: أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وإنا قد أتيناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك، فأرسل أبو طالب إلى النبي - ﷺ - فدعا به فقال يا ابن أخي: هؤلاء قومك يسألونك السؤاء فلا تَمَلْ كُلَّ الْمِيلِ عَلَى قَوْمِكَ، فقال رسول الله - ﷺ -: «مَاذَا تَسْأَلُونَ؟» فقالوا: اِرْقُضْ ذَكَرَ آلِهَتِنَا وَتَدْعُكَ وَآلِهَتِكَ فقال النبي - ﷺ -: أتعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقال أبو جهل لله أبوك لئُعْطِيَكُهَا وَعَشْرًا أمثالها فقال رسول الله - ﷺ -: قولوا لا إله إلا الله فنفروا من ذلك وقالوا: أجعل الآلهة إلهاً واحداً كيف يسع الخلق كلهم إله واحد؟! «إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ» أي عجيب<sup>(٣)</sup>.

قوله: «أَنْ أَمْشُوا» يجوز أن تكون «أَنْ» مصدرية أي انطلقوا بقولهم أَنْ أَمْشُوا<sup>(٤)</sup>، وأن تكون مفسرة إما «لَا نَطْلُقُ» لأنه ضمن معنى القول<sup>(٥)</sup>، قال الزمخشري: لأن المنطلقين عن مجلس التقاؤل لا بد لهم أن يتكلموا ويتعارضوا فيما جرى لهم انتهى<sup>(٦)</sup>. وقيل: بل هي مفسرة لجملة محذوفة في محل حال تقديره وَاَنْطَلَقُوا يتحاورون أَنْ أَمْشُوا<sup>(٧)</sup>.

ويجوز أن تكون مصدرية معمولة لهذا المقدر<sup>(٨)</sup>. وقيل: الانطلاق هنا الاندفاع في

(١) البحر ٣٨٥/٧ والدر المصون ٥٩١/٤ والقرطبي ١٥٠/١٥.

(٢) الرازي ١٧٨/٢٦.

(٣) نقله البغوي والخازن في تفسيريهما معالم التنزيل ولباب التأويل ٤١/٦، ٤٢ وانظر كذلك الكشاف ٣/٣٦٠ وزاد المسير ١٠٣/٧.

(٤) نقله أبو البقاء في كتابه التبيان ١٠٩٧ كما نقله السمين في الدر ٥٩٢/٤.

(٥) وهو مفهوم كلام النحاس في الإعراب ٤٥٤/٤ وابن الأنباري في البيان ٣١٣/٢ والزمخشري في الكشاف ٣/٣٦٠.

(٦) السابق. (٧) البحر ٣٨٥/٧ والسمين ٥٩٢/٤.

(٨) السابقان.

القول والكلام نحو: انْطَلَقَ لِسَانُهُ<sup>(١)</sup> فإن مفسرة له من غير تضمين ولا حذف. والمشي الظاهر أنه هو المتعارف. وقيل: (بل)<sup>(٢)</sup> هو دعاء بكثرة الماشية. وهذا فاسد لفظاً ومعنى، أما اللفظ فلأنه إنما يقال من هذه المعنى: أَمْشَى الرَّجُلُ إِذَا كَثُرَتْ مَاشِيَتُهُ، بالألف؛ أي صار ذا ماشية فكان ينبغي على هذا أن يقرأ أَمْشُوا بقطع الهمزة مفتوحة<sup>(٣)</sup>. وأما المعنى فليس مراداً البتة وأي معنى على ذلك<sup>(٤)</sup>، إلا أن الزمخشري ذكر وجهاً صحيحاً من حيث الصناعة وأقرب معنى مما تقدم (فقال<sup>(٥)</sup>): ويجوز أنهم قالوا امشوا أي اكلوا واجتمعوا من: مَشَتِ الْمَرْأَةُ إِذَا كَثُرَتْ وَلَاذَتْهَا، ومنه: الماشية للتفاؤل انتهى<sup>(٦)</sup> وإذا وقف على «أن» وابتدى<sup>(٧)</sup> بما بعدها فليبتدأ<sup>(٨)</sup> بكسر الهمزة لا بضمها، لأن الثالث<sup>(٩)</sup> مكسور تقديراً إذ الأصل: امشُوا، ثم أعل بال حذف<sup>(١٠)</sup>، وهذا كما يبتدأ بضم الهمزة في قولك: أغزي يا امرأة، وإن كانت الزاي مكسورة لأنها مضمومة، إذا الأصل اغزوي كاخْرُجِي فأعل بالحذف<sup>(١١)</sup>.

### فصل

لما أسلم عمر وحصل للمسلمين قوة لمكانه<sup>(١٢)</sup> قال المشركون: إن هذا الذي نراه من زيادة أصحاب محمد - ﷺ - لشيء يراد بنا، وقيل: يراد بأهل الأرض، وقيل: يراد بمحمد (أن)<sup>(١٣)</sup> يملك علينا<sup>(١٤)</sup>، وقيل: إن دينكم لشيء يراد أي يطلب ليؤخذ عنكم<sup>(١٥)</sup>. قوله: «مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمَلَةِ» أي ما سمعنا بهذا الذي يقول (ه)<sup>(١٦)</sup> محمد من التوحيد في الملة الآخرة، قال ابن عباس والكلبي ومقاتل: يعنون في النصرانية لأنها آخر المِلَلِ وَهُمْ لَا يُوحِدُونَ بل يقولون: ثالثُ ثلاثةٍ، وقال مجاهد وقتادة: يعنون ملة قريش دينهم الذي هم عليه<sup>(١٧)</sup>.

(١) هذا معنى كلام الزمخشري في الكشاف ٣/ ٣٦٠ قال: «يجوز أن يراد بالانطلاق الاندفاع في القول وأنهم قالوا امشوا أي اكلوا واجتمعوا».

(٢) سقط من ب.

(٣) قال بهذين الوجهين صاحب الدر المصون ٤/ ٥٩٢ والبحر ٧/ ٣٨٥.

(٤) السابق.

(٥) سقط من ب.

(٦) الكشاف ٣/ ٣٦٠.

(٧) في ب: ابتداء بالبناء للفاعل غير مراد.

(٨) كذلك في ب: فليبتدىء بالبناء للفاعل أيضاً. وهو غير مراد أيضاً.

(٩) أي الحرف الثالث وهو الشين.

(١٠) بأن تطرفت الواو وحذفت فاستقل الضم على الياء فنقل إلى الشين وحذفت الواو بعدما اجتمع ساكنان هي والياء.

(١١) الدر ٤/ ٥٩٢.

(١٢) في ب: بمكانه.

(١٣) سقط من ب.

(١٤) البغوي ٢٦/ ٤٢.

(١٥) الهاء ساقطة من ب.

(١٦) الرازي ٢٦/ ١٧٨.

(١٧) معالم التنزيل المرجع السابق.

قوله: «فِي الْمَلَّةِ» وفيه وجهان:

أحدهما: أنه متعلق بـ «بَسَمِغْنَا» أي (لم نسمع في الملة الآخرة بهذا الذي جئت به .

والثاني: أنه متعلق بمحذوف على أنه حال من هذا أي ما سمعنا بهذا كائناً في الملة الآخرة<sup>(١)</sup> أي لم نسمع من الكهّان ولا من أهل الكتب أنه يحدث توحيد الله في الملة الآخرة . وهذا من فَرْطِ كَذِبِهِمْ .

قوله: «إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ» أي افتعال وكذب .

(قوله)<sup>(٢)</sup>: «أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ (مِنْ بَيْنِنَا)، قد تقدم حكم هاتين الهمزتين في أوائل آل عمران<sup>(٣)</sup>، وأن الوارد منه في القرآن ثلاثة أماكن<sup>(٤)</sup>، والإضرابات في هذه الآية واضحة و «أم» منقطعة<sup>(٥)</sup> .

## فصل

المعنى أنزل عليه الذكر أي القرآن من بيننا وليس بأكبرنا ولا أشرفنا، وهذا استفهام على سبيل الإنكار فأجابهم الله تعالى بقوله: «بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي» (أي وحيي<sup>(٦)</sup> وما أنزلت)، (وقيل: بل هم في شك<sup>(٧)</sup> من ذكري) أي من الدلائل التي لو نظروا فيها لزال هذا الشك عنهم «بَلْ لَمَّا يَدُوْقُوا عَذَابِ» ولو ذاقوه لما قالوا هذا القول، وقيل: معنى «بل هم في شك من ذكري» هو أن النبي - ﷺ - كان يخوفهم من عذاب الله لو أصروا على الكفر. ثم إنهم أصروا على الكفر ولم ينزل عليهم العذاب فصار<sup>(٨)</sup> ذلك سبباً لشكهم في صدقه و «قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِمَّنْ عِنْدِكَ فَامْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا» [الأنفال: ٣٢] (مِنَ السَّمَاءِ)<sup>(٩)</sup> .

قوله: «أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ» يعني مفاتيح نعمة ربك وهي النبوة يعطونها

(١) انظر في هذا البحر لأبي حيان ٣٨٥/٧ والكشاف للزمخشري ٣/٣٦١ والدر المصون للسمين ٤/٥٩٣

وما بين القوسين كله سقط من ب .

(٢) سقط من السخيتين فهي زيادة تكميلية .

(٣) عند قوله تعالى: «قُلْ أُوْتِيتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ» من الآية ١٥ منها .

(٤) يقصد بالأماكن الثلاثة هذه الآية التي نحن بصدها من «ص» والآية التي حققت الآن من سورة «آل

عمران» والآية ٢٥ من سورة «القمر» «الْقِي عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشْرٌ» فلك ثلاث آيات في ثلاثة أماكن مختلفة .

(٥) يقصد بالإضراب (بل هم في شك) و (بل لما يدوقوا عذاب) . ومعنى انقطاع أم عدم مفارقة الإضراب

لها والإضراب هنا متضمن استفهاماً إنكارياً . (بتصرف من المغني ٤٤) .

(٦) ما بين القوسين سقط من ب .

(٧) سقط أيضاً من ب .

(٨) في ب: فجاز وهو مخالف لما في الرازي .

(٩) من السماء زيادة من ب .

من شاءوا، ونظيره: ﴿أَمْ يَحْسِبُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: ٣٢] أي نبوة ربك العزيز في ملكه الكامل القدر الوهاب أي وهب النبوة لمحمد - ﷺ - .

قوله: «أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا» لما قال: «أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ» فخرائن الله تعالى غير متناهية كما قال: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ [الحجر: ٢١] ومن جملة تلك الخزائن السموات والأرض، فلما ذكر الخزائن أولاً على العموم أردفها بذكر السموات والأرض وما بينهما يعني أن هذه الأشياء أحد أنواع خزائن الله فإذا كانوا عاجزين عن هذا القسم فبأن يكونوا عاجزين عن كل خزائن الله أولى<sup>(١)</sup>.  
قوله: «فَلْيُزْتَفَّوْا» قال أبو البقاء: هذا كلام محمول على المعنى أي إن زعموا ذلك فليزتفوا، فجعلها جواباً لشرط مقدر<sup>(٢)</sup>.

وكثيراً ما يفعل الزمخشري ذلك، ومعنى الكلام إن ادَّعَوْا شيئاً من ذلك فليصعدوا في الأسباب التي توصلهم إلى السماء فليأتوا منها بالوحي إلى من يختارون.  
قال مجاهد: أراد بالأسباب أبواب السماء وطرقها من سماء إلى سماء وكل ما يوصلك إلى شيء من باب أو طريق فهو سببه، وهذا أمر توبيخ وتعجيز<sup>(٣)</sup>. واستدل حكماء الإسلام بقوله: «فَلْيُزْتَفَّوْا فِي الْأَسْبَابِ» على أن الأجرام الفلكية وما أودع الله فيها من القوى والخواص أسباب لحوادث العالم السفلي لأن الله تعالى سمى الفلكيات أسباباً، وذلك يدل على ما ذكرنا<sup>(٤)</sup>.

قوله: «جُنْدٌ» يجوز فيه وجهان:

أظهرهما: أنه خير مبتدأ مضمراً أي هم جند<sup>(٥)</sup> و «ما» فيها وجهان:

أحدهما: أنها مزيدة<sup>(٦)</sup>.

والثاني: أنها صفة لجند<sup>(٧)</sup> على سبيل التعظيم للهزة بهم أو للتحقير ومثله قول

امرئ القيس:

(١) وانظر: تفسير الرازي ١٧٩/٢٦، ١٨٠، وتفسير البغوي ٤٢/٦.

(٢) قاله في التبيان ١٠٩٧.

(٣) انظر فيما سبق معالم التنزيل للبغوي ولباب التأويل للبخاري ٤٢/٦.

(٤) قاله الإمام الرازي في التفسير الكبير ١٨٠/٢٦.

(٥) قاله أبو حيان في البحر ٣٨٦/٧ والدر المصون للسمين ٥٩٣/٤، والوجه الثاني - وهو ما قالت به معظم المراجع - أن جند مبتدأ والخبر الظرف أو «مهزوم» وانظر: التبيان ١٠٩٨، والبيان ٣١٣/٢، ومشكل الإعراب ٢٤٨/٢.

(٦) إعراب النحاس ٤٥٦/٣ والبيان والتبيان السابقان وكذلك المشكل وكذلك الفراء في المعاني ٣٩٩/٢ والزجاج في المعاني ٣٢٢/٤ وانظر: الدر المصون ٥٩٣/٤ والبحر ٣٨٦/٧.

(٧) هذا رأي الزمخشري في الكشاف ٣٦٢/٣ وأبي حيان في البحر ٣٨٦/٧ رغم أن الزمخشري أقر بزيادتها.

٤٢٥٢ - ..... وَحَدِيثٍ مَا عَلَى قَصْرِهِ<sup>(١)</sup>

وقد تقدم هذا في أوائل البقرة<sup>(٢)</sup>. و «هنالك» يجوز فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يكون خبر الجند و «ما» مزيدة، ومهزوم نعت لجند. ذكره مكّي<sup>(٣)</sup>.

الثاني: أن يكون صفة لجند<sup>(٤)</sup>.

الثالث: أن يكون منصوباً «بمهزوم»<sup>(٥)</sup> ومهزوم يجوز فيه أيضاً وجهان:

أحدهما: أنه خبر ثانٍ لذلك المبتدأ المقدر<sup>(٦)</sup>.

والثاني: أنه صفة لجند<sup>(٧)</sup> إلا أن الأحسن على هذا الوجه أن لا يجعل «هنالك»

صفة بل متعلقاً به لثلا يلزم تقدم الوصف غير الصريح على الصريح<sup>(٨)</sup>.

و «هنالك» مشار به إلى موضع التقاؤل والمحاورة بالكلمات السابقة وهو مكة أي

سيهزمون بمكة، وهو إخبار بالغيب. وقيل: مشار به إلى نُصْرَةِ الأصنام، وقيل: إلى حَفْرِ

الْحَنْدُقِ يعني إلى مكان ذلك<sup>(٩)</sup>.

الثاني من الوجهين الأولين: أن يكون «جند» مبتدأ و «ما» مزيدة، و «هنالك» نعت

ومهزوم خبره، قاله أبو البقاء<sup>(١٠)</sup> قال أبو حيان: وفيه بعد لتغلت<sup>(١١)</sup> عن الكلام الذي قبله

قال شهاب الدين وهذا الوجه<sup>(١٢)</sup> المنقول عن أبي البقاء سبقه إليه مكّي<sup>(١٣)</sup>.

قوله: «من الأحزاب» يجوز أن يكون صفة لجند وأن يكون صفة «لمهزوم» وجوز

أبو البقاء أن يكون متعلقاً به<sup>(١٤)</sup> وفيه بعد لأن المراد بالأحزاب هم المهزومون.

(١) هذا عجز بيت من البسيط لامرئ القيس صدره:

وحديث الـركب يوم هنا

ويروي:

جد بالوفاق لمشتاق إلى مهره إن لم تجد فحديث ما على قصره

وانظر: شرح شواهد الكشاف ٤١٩، والديوان ١٢٧ وفيه «فحديث» بالفاء. وانظر أيضاً الدر المصون

٥٩٣/٤.

(٢) عند قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: ٢٦] وبين أن «ما» تلك

يجوز فيها أن تكون زائدة وأن تكون صفة لما قبلها ونكرة موصوفة.

(٣) قاله في مشكل الإعراب ٢/٢٤٨. (٤) البيان ٢/٣١٣ والتبيين ١٠٩٨.

(٥) السابقان ولم يرجعه ابن الأنباري. (٦) أبو حيان في البحر ٧/٣٨٦.

(٧) مشكل الإعراب ٢/٢٤٨. (٨) الدر المصون ٤/٥٩٤.

(٩) السابق وانظر الرازي ٢٦/١٨١، والكشاف ٣/٦٢.

(١٠) التبيان للمكبري ١٠٩٨. (١١) في البحر لفصله انظر: البحر ٧/٣٨٦.

(١٢) الدر المصون ٤/٥٩٤. (١٣) المشكل ٢/٢٤٨.

(١٤) ذكر المكبري أبو البقاء هذه الأوجه الثلاثة في التبيان ١٠٩٨.

## فصل

المعنى أن الذين يقولون هذا القول جند هنالك و «ما» صلة مهزوم مغلوب من الأحزاب أي من جملة الأجناد، يعني قريشاً، قال قتادة: أخبر الله تعالى نبيه - ﷺ - وهو بمكة أنه سيزم جند المشركين فقال: ﴿سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيَوْلُونَ الذَّبْرَ﴾ [القمر: ٤٥] فجاء تأويلها يوم بدر، وهنالك إشارة إلى (يوم)<sup>(١)</sup> بدر ومصارعهم، وقيل: يوم الخندق<sup>(٢)</sup>. وقال ابن الخطيب: والأصح عندي جملة على يوم فتح مكة لأن المعنى أنهم جند سيصيرون منهزمين<sup>(٣)</sup> في الموضع الذي ذكروا فيه هذه الكلمات وذلك الموضع هو مكة فوجب أن يكون المراد أنهم سيصيرون منهزمين في مكة وما ذاك إلا يوم الفتح.

وقوله: «من الأحزاب» أي من جملة الأحزاب أي هم من القرون الماضية<sup>(٤)</sup> الذين تحزّبوا وتجمعوا على الأنبياء بالتكذيب فقهروا وأهلكوا.

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودٌ وَقَوْمٌ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِنَّ كُلَّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابٌ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مِمَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا مَجْلٌ لَنَا قَطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾ أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾

ثم قال لنبيه - ﷺ - معزياً له: «كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ» قال ابن عباس ومحمد بن كعب: ذو البناء المحكم، وقيل: أراد ذو الملك الشديد الثابت<sup>(٥)</sup>، وقال القتيبي<sup>(٦)</sup>: تقول العرب: هم في عزّ ثابت الأوتاد يريدون أنه دائم شديد، وقال الضحّاك: ذو القوة والبطش، وقال عطية: ذو الجنود والجموع الكثيرة، وسميت الأجناد أوتاداً لكثرة المضارب التي كانوا يضربونها ويوتدونها<sup>(٧)</sup> في أسفارهم. وهي رواية عطية العوفي عن ابن عباس يعني أنهم كانوا يقوون أمره ويشدون ملكه كما يقوي الوتد<sup>(٨)</sup> الشيء. وهذه استعارة بليغة حيث شبه الملك ببيت الشعر، وبيت الشعر لا يثبت إلا بالأوتاد والأطناب<sup>(٩)</sup> كما قال الأفوه الأودي:

٤٢٥٣ - وَالْبَيْتُ لَا يُبْتَنَى إِلَّا عَلَى حُمِدٍ وَلَا عِمَادٍ إِذَا لَمْ تُزَمَّ أَوْتَادُ<sup>(١٠)</sup>

(١) سقط من ب. (٢) وانظر: معالم التنزيل للبغوي ٤٢/٦.

(٣) في ب: مهزومين وما هنا موافق للرازي. (٤) في ب: العضاضية لحن وتحريف وانظر الرازي ١٨١/٢٦.

(٥) البغوي ٤٢/٦. (٦) الغريب ٣٧٧.

(٧) كذا هي في البغوي وفي أ هنا وما في ب يوقدونها.

(٨) معالم التنزيل للبغوي ٤٢/٦.

(٩) قال في اللسان: «الطُّبُّ والطُّبُّ جبل الخبء والأطناب ما يشد به البيت من الحبال بين الأرض

والطراق». اللسان (طنب) ٢٧٠٨. وانظر: الدر المصون ٥٩٤/٤.

(١٠) له من بحر البسيط وأتى به شاهداً على أن المعنوي شبه بالحسي عن طريق الاستعارة وعلى أن الجامع =

فاستعير لثبات العز<sup>(١)</sup> والملك واستقرار الأمر<sup>(٢)</sup> كقول الأسود بن يعفر:

٤٢٥٤ - وَلَقَدْ عَنُوتُوا فِيهَا بِأَنْعَمِ عَيْشَةٍ فِي ظِلِّ مُلْكٍ ثَابِتِ الْأَوْتَادِ<sup>(٣)</sup>  
والأوتاد جمع وتد وفيه لغات: وَتَدٌ بفتح الواو وكسر التاء وهي الفصحى، وَتَدٌ  
بفتحيتين، وَوَدٌّ بإدغام التاء في الدال قال:

٤٢٥٥ - تُخْرِجُ الْوَدَّ إِذَا مَا أَشْجَذَتْ وَتَوَارِيهِ إِذَا مَا تَشْتَكِرُ<sup>(٤)</sup>  
ورث بإبدال (الدال) (هـ) تاء<sup>(٥)</sup>، ثم إدغام التاء فيها، وهذا شاذ؛ لأن الأصل إبدال  
الأول للثاني لا العكس، وقد تقدم نحو من هذا في آل عمران عند قوله: ﴿فَمَنْ ذُحِرَ عَنِ  
النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

ويقال: وَتَدٌ (وَإِتْد) <sup>(٧)</sup> أي قوتي ثابت وهو مثل مجاز قولهم: شُغِلَ شَاغِلٌ<sup>(٨)</sup>.  
أنشد الأصمعي:

٤٢٥٦ - لَأَقْتُ<sup>(٩)</sup> (عَلَى)<sup>(١٠)</sup> الْمَاءِ جُدَيْلًا وَاتِدَا

وَلَمْ يَكُنْ يُخْلِفُهَا الْمَوَاعِدَا<sup>(١١)</sup>

وقيل: الأوتاد هنا حقيقة لا استعارة<sup>(١٢)</sup>، (و) قال الكلبي ومقاتل: الأوتاد  
جمع الوتد وكان له أوتاد يعذب الناس عليها فكان إذا غضب على أحد مده  
مستلقياً بين أربعة أوتاد تشد<sup>(١٣)</sup> كل يد وكل رجل منه إلى سارية ويتركه كذلك في

= بينهما التمكن والثبات وانظر: الدر المصون ٥٩٤/٤ وأما القالي ٢٢٤/٢ والبحر المحيط ٣٨٦/٧  
وديوانه ١٠، والكشاف ٣٦٢/٣ وشرح شواهد ٣٨٥، ٣٨٦.

(١) في ب: العد لحن. (٢) قاله في الكشاف ٣٦٢/٣.

(٣) له من تمام الكامل وشاهده كسابقه من تشبيه المعنوي بالحسي، وغنوا فيها: أي أقاموا فيها من غني  
بالمكان. وقد تقدم.

(٤) من المديد لامرئ القيس في وصف سحابة وأنها إذا أشجذت أي سكنت يظهر الوتد الذي يربط به الحياء فإذا  
اشتكرت أي امتلأت وفاض ماؤها وارته وأخفته وشاهده: «الود» والأصل الوتد فقلبت التاء دالاً وأدغم  
المثلاث في بعضهما فدل على أنها لغة في الوتد. انظر: ديوانه ١٤٤ والبحر ٣٨١/٧ والدر المصون ٥٩٤/٤.

(٥) سقط من ب. (٦) في ب: دالاً. وهو خطأ وقلب.

(٧) سقط من ب وفيه بدله «قوي».

(٨) قال صاحب اللسان في وتد ٤٧٥٧ ووتد واتد: ثابت رأس منتصب ذهب أبو عبيد إلى أنه من باب  
شعر شاعر على النسب، قال ابن سيده: وعندي أنه على وتد كما تقدم قال: وإنما يحمل الشيء على  
النسب إذا عدم الفعل وإذا أمرت قلت: تد وتذك بالميتدة، وهي المدق (المرزبة التي يضم بها الوتد).

(٩) في ب: لات. (١٠) على سقطت من ب.

(١١) من الرجز لأبي محمد الفقعسي. وهو يشبه الرجل بالجدل لثباته وجدليل تصغير له والجدل الراعي.  
والضمير في «لاقت» للإبل. واستشهد به على أنه يقال وتد واتد كما يقال: شغل شاعل. ولا يخفى

أن معنى الوتد في هذا الشعر أيضاً يراد به المعنوي لا الحسي، فهو تشبيه.

(١٢) كما قال أهل التفسير. (١٣) في ب: تشدت.

الهواء<sup>(١)</sup> بين السماء والأرض حتى يموت. وقال مجاهد ومقاتل بن حيان كان يمد الرجل مستلقياً على الأرض ثم يشد<sup>(٢)</sup> يديه ورجليه ورأسه على الأرض بالأوتاد. وقال السدي: كان يمد الرجل ويشده بالأوتاد ويرسل عليه العقارب والحيات. وقال قتادة وعطاء: كانت له أوتاد وأرسان<sup>(٣)</sup> وملاعب يلعب عليها بين يديه<sup>(٤)</sup>، ثم قال: «وَتَمُودٌ وَقَوْمٌ لُوطٌ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ» تقدم الخلاف في الأيكة في سورة الشعراء<sup>(٥)</sup>.

قوله: «أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ» يجوز أن تكون مستأنفة لا محل لها (من الإعراب) وأن تكون خبراً، والمبتدأ قال أبو البقاء (من) قوله: «وعاد» وأن يكون من «ثمود» وأن يكون من قوله «وقوم لوط»<sup>(٦)</sup>.

قال شهاب الدين<sup>(٧)</sup>: الظاهر عطف (عاد) وما بعدها على «قوم نوح» واستئناف الجملة بعده، وكان يسوغ على ما قاله أبو البقاء أن يكون المبتدأ وحده «وأصحاب الأيكة».

### فصل

المعنى أن هؤلاء الذين ذكرناهم من<sup>(٨)</sup> الأمم هم الذين تحزبوا على أنبيائهم فأهلكناهم وكذلك قومك هم من جنس الأحزاب المتقدمين. وقيل: المعنى أولئك الأحزاب<sup>(٩)</sup> مع كمال قوتهم لما كان عاقبتهم هي الهلاك والبوار فكيف حال هؤلاء الضعفاء (المساكين)<sup>(١٠)</sup>؟

قوله: «إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرَّسُلَ» إن نافية ولا عمل لها هنا البتة ولو على لغة من قال:

(١) وفيها الهوى بالقصر. وهو الحب بخلاف الهواء.

(٢) وفيها يمد لا يشد.

(٣) أي أحيال جمع رسن، وفي المثل مر الصعاليك بأرسان الخيل. اللسان (ر س ن).

(٤) وانظر: البغوي والخازن ٤٣/٦ والقرطبي ١٥/١٥٤ وانظر البيت في القرطبي المرجع السابق واللسان وتد ٥٧ والبحر ٣٨١/٧ والدر المصون ٤/٥٩٥ و«ليس» لابن خالويه ٥٨ وفتح القدير ٤/٤٢٣.

(٥) قرأ نافع وابن كثير «ليكة» بلام واحدة وفتح التاء جعلوه اسماً غير معرف بال مضافاً إليه أصحاب هنا، وفي سورة (ص) خاصة والباقرن الأيكة معرفاً بال موافقة لما أجمع عليه في الحجر وفي (ق). وقد اضطربت أقوال العلماء مفسرين ولغويين في قراءة نافع هذه فانظرها بالتفصيل هناك اللباب ميكروفيلم سورة الشعراء.

(٦) التبيان ١٠٩٨. (٧) كتابه ٤/٥٩٥.

(٨) كذا هي هنا وفي الرازي وفي ب: في.

(٩) مبالغة لوصفهم بالقوة والكثرة كما يقال: فلان هو الرجل.

(١٠) زيادة من ب عن أ. وهي في الرازي وانظر: تفسير الرازي ٢٦/١٨٢.

٤٢٥٧ - **إِنْ هُوَ مُسْتَوِلياً عَلَى أَحَدٍ** .....<sup>(١)</sup>

وعلى قراءة: **﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادًا﴾**<sup>(٢)</sup> [الأعراف: ١٩٤] لانتقاض النفي بـ «إلا» فإن انتقاضه مع الأصل وهي «ما» مبطل فكيف بفرعها؟ وقد تقدم أنه يجوز أن تكون جواباً للقسم<sup>(٣)</sup>.

## فصل

المعنى كل هذه الطوائف لما كذبوا أنبياءهم في الترغيب والترهيب لا جرم نزل العقاب عليهم وإن كان ذلك بعد حين، والمقصود منه زجر السامعين. ثم بين تعالى أن هؤلاء المكذبين وإن تأخر هلاكهم فكأنه واقع بهم **﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ﴾** أي وما ينتظر<sup>(٤)</sup> هؤلاء يعني كفار مكة **﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾** وهي نفخة الصور الأولى كقوله: **﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾** [يس: ٤٩ - ٥٠] والمعنى أنهم وإن لم يذوقوا عذابي في الدنيا فهو معد لهم يوم القيامة فجعلهم منتظرين لها على معنى قربها منهم كالرجل الذي ينتظر الشيء فهو ماد الطرف إليه يقطع كل ساعة في حضوره. وقيل: المراد بالصيحة عذاب يفجأهم ويجيئهم دفعة واحدة كما يقال: صآح الزمان بهم إذا هلكوا<sup>(٥)</sup>:

٤٦٥٨ - **صآحَ الزَّمَانُ بِآلِ بَرْمَكٍ صَيْحَةً خَرُّوا لِشِدَّتِهَا عَلَى الْأَذْقَانِ**<sup>(٦)</sup>

ونظيره قوله تعالى: **﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ آيَاتِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانظُرُوا إِلَىٰ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾** [يونس: ١٠٢].

قوله: **﴿مَا لَهَا مِنْ قَوَاقِبٍ﴾** يجوز أن يكون «لها» رافعا **﴿لِمَنْ قَوَاقِبٍ﴾** بالفاعلية؛ لاعتماده

(١) صدر بيت من المنسرح تمامه:

### إِلَّا عَلَىٰ أضعف المجانين

ويروى: إلا على حزبه الملاعين، كما يروى: إلا على حزبه المناحيس. وشاهده: إعمال إن النافية عمل ليس قياساً على «ما» أختها. وهذا رأي قليل من النحويين كالكسائي والمبرد. والجمهور على عدم إعمالها ولكل رأي، وانظر: التصريح ٢٠١/١، والهمع ١٢٥/١ وشرح الكافية للرضي ٢٧٠/١ والخزانة ١٦٦/٤، ١٦٨ والأشموني ٢٥٥/١ ووصف المباني ١٠٨ والأزهية ٤٦، وإصلاح الخلل وتوضيح المقاصد ٣٢١/١ وشرح التسهيل للمراي ٣٨٧/١ وتمهيد القواعد ٢٥/٢ وعمدة الحفاظ ١٢٠ والمقرب ١٠٥/١.

(٢) وهي قراءة ابن جبير وانظر: المراجع السابقة وابن خالويه ٤٨.

(٣) وهو القرآن ذي الذكر. وقد سبق.

(٤) البغوي ٦/٤٣.

(٥) سقط من ب وانظر: الرازي ١٨٢/٢٦.

(٦) من الكامل ولا أعرف قائله و «برمك» بلد وجيء به على أن الصيحة هي العذاب الذي يفجأ الناس فيهلكون بسببه وانظر: الفخر الرازي ١٨٢/٢٦ وفتح القدير للشوكاني ٤٢٤/٤.

على النفي<sup>(١)</sup>، وأن يكون جملة من مبتدأ وخبر وعلى التقديرين فالجملة المنفية في محل نصب صفة «الصَّيْحَةِ» و «من» مزيدة<sup>(٢)</sup>. وقرأ الأخوان: «فَوَاقٍ» بضم الفاء، والباقون بفتحها<sup>(٣)</sup>، قال الكسائي والفراء<sup>(٤)</sup> وأبو عبيدة<sup>(٥)</sup>: هما لغتان وهما الزمان الذي بين حَلْبَتِي الحَالِبِ، وَرَضَعَتِي الرَّاضِعِ، والمعنى ما لها من توقف قدر فواق ناقة:

وفي الحديث: «العيادة»<sup>(٦)</sup> قَدْرُ فَوَاقٍ نَاقَةٍ. وهذا في المعنى كقوله: «فَإِذَا جَاءَ أَمْلَهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً» [الأعراف: ٣٤].

وقال ابن عباس: ما لها من رُجُوع<sup>(٧)</sup> من أفاق المريض إذا رجع إلى صحته وإفاقة الناقة ساعة يرجع اللبن إلى ضرعها يقال: أَفَاقَتِ النَّاقَةُ تَفِيقُ إِفَاقَةً رَجَعَتْ الْفَيْقَةُ فِي ضَرْعِهَا، والفَيْقَةُ اللَّبْنُ الذي يجتمع بين الحلبتين، ويجمع على أفواق وأما أفويق فجمع الجمع، ويقال: ناقة مُفِيقٌ وَمُفِيقَةٌ<sup>(٨)</sup>.

وقال الفراء<sup>(٩)</sup> وأبو عبيدة<sup>(١٠)</sup> ومؤرج السدوسي<sup>(١١)</sup>: الفواق بالفتح الإفاقة والاستراحة كالجواب من الإجابة وهو قول ابن زيد والسدي<sup>(١٢)</sup>.

وأما المضموم فاسم لا مصدر أي اسم لما بين الحَلْبَتَيْنِ، والمشهور أنهما بمعنى واحد كقصاص الشعر وقصاصه وجمام المَكُولِ<sup>(١٣)</sup> وجماميه، فالفتح لغة قريش<sup>(١٤)</sup>،

(١) على اعتبار من مزيدة، أي ما استقر لها فواق.

(٢) قال بهذا الإعراب السمين في الدر ٥٩٦/٤.

(٣) التبيان ١٠٩٨ والسبعة ٥٥٢ ومعاني الفراء ٤٠٠/٢ وانظر: النشر ٣٦١/٢، وحجة ابن خالويه ٣٠٤، واللسان فوق ٣٤٨٩.

(٤) المعاني ٤٠٠/٢. (٥) المجاز ١٧٩/٢، والبحر ٣٨٧/٧.

(٦) في ب: الساعة لا العيادة. والحديث ذكره الفراء ٤٠٠/٢ واللسان: «ف و ق» ٣٤٨٩ والبحر ٧/٣٨٧.

(٧) أخرجه البغوي في تفسيره معالم التنزيل عن ابن عباس وفي القرطبي والبحر أن هذا الرأي لمجاهد. انظر: القرطبي ١٥٦/١٥ والبحر ٣٨٧/٧.

(٨) انظر: اللسان: «ف و ق» ٣٤٨٨، ٣٤٨٩ ومعاني الزجاج ٣٢٣/٤ وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٧٧/٢، ٣٧٨ قال: «والفَواقِ والفَواقِ واحد كما يقال: جمام المَكُولِ وجمامه وهو أن تحلب الناقة وتترك ساعة حتى ينزل شيء من اللبن... فاستعير الفواق في موضع التمكث والانتظار». وانظر أيضاً المجاز ٢/١٧٩. وقد فرق أبو عبيد ما بين الضم والفتح فقال من فتحها قال ما لها من راحة ومن ضمها جعلها من فواق وهو ما بين الحلبتين وانظر: البحر ٣٨٧/٧ والقرطبي ١٥٦/١٥، ١٥٧.

(٩) المعاني له ٤٠٠/٢. (١٠) المجاز المرجع السابق.

(١١) البحر ٣٨٧/٧ والدر المصون ٥٩٦/٤.

(١٢) قاله أبو الفرج في زاد المسير ١٠٧/٧، ١٠٨ والسمين في الدر ٥٩٦/٤.

(١٣) البئر قلية الماء وانظر: الغريب والمجاز السابقين.

(١٤) في ب: لقريش.

والضم لغة تميم<sup>(١)</sup>. قال الواحدي: الفَوَاقُ والفُوقُ اسمان من الإفافة<sup>(٢)</sup>. والإفافة معناها الرجوع والسكون كما في إفافة المريض إلا أن الفَوَاقُ بالفتح يجوز أن يُقَامَ مُقَامَ المصدر، والفَوَاقُ بالضم اسم لذلك الزمان، الذي يعود فيه اللبن<sup>(٣)</sup>، وروى الواحدي في البسيط عن أبي هريرة عن النبي - ﷺ - أنه قال في هذه الآية: يأمر الله تعالى إسرأفيل فينفخ نفخة الفزع قال: فِيمَذَهَا ويطولها وهي التي يقول ما لها من فواق، ثم قال الواحدي: وهذا يحتمل معنيين:

أحدهما: ما لها من سكون.

الثاني: ما لها من رجوع والمعنى ما تسكن تلك الصبحة ولا ترجع إلى السكون ويقال لكل من بقي على حالة واحدة بأنه لا يُقَيِّقُ منه ولا يَسْتَقِيقُ<sup>(٤)</sup>.

قوله: «قطنا» أن نَصِيْبَنَا وَحَطْنَا، وأصله من قَطَّ الشيء أي قَطَعَهُ، ومنه قَطَّ<sup>(٥)</sup> القلم والمعنى قطعه مما وعدتنا به ولهذا يطلق على الصحيفة والصك<sup>(٦)</sup> قِطًّا، لأنهما قطعتان يقطعان، ويقال للجائزة أيضاً قِطًّا لأنها قطعة من العطية<sup>(٧)</sup>، قال الأعشى:

٤٢٥٩ - وَلَا الْمَلِكُ الثُّغْمَانُ يَوْمَ لَقِيْتُهُ      بِغِبْطَتِهِ يُغْطِي الْقُطُوطَ وَيَأْفُقُ<sup>(٨)</sup>

وأكثر استعماله في الكتاب، قال أمية بن أبي الصلت:

٤٢٦٠ - قَوْمٌ لَهُمْ سَاحَةٌ أَرْضِ الْعِرَاقِ وَمَا      يُجْبَى إِلَيْهِمْ بِهَا وَالْقِطُّ وَالْقَلَمُ<sup>(٩)</sup>

(١) قاله في الدر ٥٩٦/٤ وانظر: الرازي ١٨٣/٢٦.

(٢) في ب: الفافة خطأ.

(٣) و (٤) تفسير الإمام الفخر الرازي ١٨٣/٢٦.

(٥) القِطُّ بالفتح القطع عامة، وقيل: وهو قطع الشيء الصلب كالحقّة ونحوها، وقيل: هو القِطْعُ عرضاً قِطُّهُ يَقِطُّهُ قِطًّا قطعه عرضاً واقطعه فانقط، ومنه قط القلم. انظر: اللسان: «قطط» ٣٦٧١.

(٦) كذا هي في اللسان وفي الكتب المفسرة وفي ب الصلب، لحن وتحريف.

(٧) انظر: اللسان «قطط» ٣٦٧٣، ٣٦٧٤ وغريب القرآن ٣٧٨/٢ والمجاز ٧٩/٢ ومعاني الفراء ٤٠٠/١، ومعاني الزجاج ٣٢٣/٤ وإعراب النحاس ٤٥٧/٣ وانظر أيضاً القرطبي ١٥٧/١٥ والرازي ١٨٣/٢٦ والبعري ٤٣/٦.

(٨) هو له من بحر الطويل ومعنى يَأْفُقُ يفضل ويعلو والبيت من قصيدة في مدح المحلق الكلابي. والشاهد: في القُطُوطُ فهي جمع قط وهي النصيب والعطية وانظر: اللسان قطط ٣٦٧٣ والمجاز ٢/١٧٩ والقرطبي ١٥٧/١٥ والبحر ٣٧٨/٧ والإعراب للنحاس ٤٥٧/٣ ومعاني الزجاج ٣٢٣/٤ والطيبري ٨٥/٢٣ ومجمع البيان ٧٣١/٧ والكامل لابن الأثير ١٧١/١، ١٧٤ وفتح القدير ٤٢٤/٤ والجمهرة لابن دريد قطط ودويانه ١١٧.

(٩) من البسيط له وهو في اللسان ٣٦٧٤ والقرطبي ١٥٧/١٥ والمذكر والمؤنث لابن الأنباري برواية:

..... إذا ساروا جميعاً والقِطُّ والقَلَمُ

وانظر: البحر ٣٨٧/٧ والدر المصون ٥٩٧/٤ وأشد شاهدأ على أن القِطُّ مراد به الكتاب بدليل المعطوف وهو القلم.

ويجمع على قَطُوط كما تقدم، وعلى قَطَطَةٌ نحو: قِرْد وقِرْدَةٌ وقِرُود، وفي القلة على أَقِطَةٍ وَأَقْطَاطٍ<sup>(١)</sup> كَقِدْحٍ وَأَقْدِحَةٍ وَأَفْدَاحٍ، إلا أن أفعلةً في فعلٍ شاذ<sup>(٢)</sup>.

### فصل

قال سعيد بن جبير عن ابن عباس يعني كتابنا. والقِطُّ: الصحيفة أحصت كل شيء، قال الكلبي: لما نزل قوله في الحاقة: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْقَتْ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾، ﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْقَتْ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ [الحاقة: ١٩ - ٢٥] قالوا استهزاء: عجل لنا كتابنا في الدنيا قبل يوم الحساب، وقال سعيد بن جبير: يعنون حظنا ونصيبنا من الجنة التي تقول. وقال الحسن وقيادة ومجاهد والسدي: يعني عقوبتنا ونصيبنا من العذاب قال عطاء: قاله النَّضْرُ بن الحَرِث وهو قوله: ﴿إِنْ كَانَتْ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِكْمَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ [الأنفال: ٣٢] وعن مجاهد قطناً: حسابنا يقال للكتاب قط<sup>(٣)</sup>.

قال أبو عبيدة والكسائي: القِطُّ الكتابة بالجوائز<sup>(٤)</sup>. واعلم أن<sup>(٥)</sup> القوم تعجبوا من أمور ثلاثة، أولها: من أمر النبوات وإثباتها فقال: وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ، فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ.

وثانيها: تعجبهم من الإلهيات فقالوا: أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا. وثالثها: تعجبهم من المعاد والحشر والنشر فقالوا: «رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ»، قالوا ذلك استهزاء فأمره الله تعالى بالصبر على سفاهتهم فقال: «أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ».

فإن قيل: أي تعلق بين قوله: «أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ» وبين قوله «وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدًا؟

فالجواب: هذا التعلق من وجوه:

الأول: كأنه قيل: إن كنت شاهدت من هؤلاء الجهال جرأتهم على الله وإنكارهم الحشر والنشر فاذكر قصة داود حتى تعرف شدة خوفه من الله تعالى ومن يوم الحشر فإن بقدر ما يزيداد أحد الضدين شرفاً يزيداد (الضد) الآخر نقصاناً.

الثاني: كأنه قيل لمحمد - ﷺ - (لا)<sup>(٦)</sup> تضيق صدرك بسبب إنكارهم لقولك ودينك فإنهم وإن خالفوك فالأكابر من الأنبياء وافقوك.

(١) في النحاس ويجمع على أقط أيضاً على وزن أفعل وانظر: الدر المصون ٥٩٧/٤.

(٢) التسهيل لابن مالك ٢٧٠ وانظر: الدر المصون ٥٩٧/٤.

(٣) وانظر: تفسير البغوي معالم التنزيل، وتفسير الخازن لباب التأويل ٤٣/٦، وانظر أيضاً هذه الأقوال في القرطبي ١٥٧/١٥ وزاد المسير ١٠٨/٧، ١٠٩.

(٤) المجاز ١٧٩/٢ والقرطبي ١٥٧/٥ والبغوي ٤٣/٦.

(٥) انظر كل هذا الآتي في الفخر الرازي ١٨٣/٢٦، ١٨٤.

(٦) كلمة لا سقطت من ب.

**الثالث:** أن للناس في قصة داود قولان: منهم من قال: إنها تدل على دينه، ومنهم من قال إنها لا تدل عليه فمن قال بالأول كان وجه المناسبة فيه كأنه قيل لمحمد - ﷺ - إن حزنك ليس إلا لأن الكفار كذبوك، وأما حزن داود فكان بسبب وقوع ذلك الذنب، ولا شك أن حزنه أشد فتأمل في قصة داود وما كان فيه من الحزن. ومن قال بالثاني قال الخَصْمَان اللذَان دخلا على دَاوُدَ كَانَا مِنَ الْبَشَرِ وإنما دخلا عليه لقصد قتله، فخاف منهما داودُ ومع ذلك فلم يتعرض لإيذائهما ولا دعا عليهما بسوء بل اسْتَغْفَرَ لَهُمَ عَلَى (ما سيجيء تقرير<sup>(١)</sup>) هذه الطريقة، فلا جَرَمَ أمر الله تعالى محمداً - ﷺ - بأن يقتدي به في حسن الخلق.

**الرابع:** أن قريشاً إنما كذبوا محمداً - ﷺ - واستخفوا به لقولهم: إنه يتيم فقير، ثم إنه تعالى قصَّ على محمد - ﷺ - ما كان في مَمْلَكَةِ داود، ثم بين بعد ذلك أنه ما سلم من الأحزان والغموم ليُعَلِّمَ أن الخَلاصَ من الحزن لا سبيل إليه في الدنيا.

**الخامس:** قوله تعالى: ﴿اضْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ﴾ ولم يقتصر على قصة داود بل ذكر عقيب قصة داود قصص أنبياء كثيرة فكانه تعالى قال: فاصبر على ما يقولون واعتبر بحال سائر الأنبياء ليُعَلِّمَهُ أن كل واحد منهم كان مشغولاً بهمَّ خاص وحزن خاص فيعلم حينئذ أن لا انفكاك عن الهموم والأحزان وأن استحقاق الدرجة العالية عند الله لا تحصل إلا بتحمل المشاق والمتاعب في الدنيا.

قال ابن الخطيب: وههنا وجه آخر قوي وأحسن من كل هذه الوجوه وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى عند الانتهاء إلى تفسير قوله: ﴿كَتَبْنَا نَزْلَهُ إِلَيْكَ مَبْرُورًا﴾ الآية<sup>(٢)</sup> [ص: ٢٩].

قوله: «دَاوُدَ» بدل أو عطف بيان، أو منصوب بإضمار أغنيي و «ذَا الْأَيْدِ» نعت له<sup>(٣)</sup>، والأيد القوة<sup>(٤)</sup>، قال ابن عباس: أي القوة في العبادة، وقيل: القوة في الملك<sup>(٥)</sup>، واعلم أن قوله: «عَبْدَنَا دَاوُدَ» فوصفه بكونه عبداً له. وعبر عن نفسه بصيغة الجمع الدالة على نهاية التعظيم وذلك يدل على غاية التشريف ألا ترى أنه تعالى لما أراد أن يشرف محمداً - ﷺ - ليلة المعراج، قال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: ١] وأيضاً فإن وصف الأنبياء بالعبودية مُشْعِرٌ بأنهم قد حصلوا معنى العبودية بسبب الاجتهاد في الطاعة، والمراد بالأيد القوة في الطاعة والاحتراز عن المعاصي لأن مدحه بالقوة يوجب أن تكون تلك القوة موجبة للمدح العظيم وليست إلا القوة على فعل ما أمر الله به، وترك ما نهى

(١) ما بين القوسين من الرازي وما في النسختين (فاقتد بهذه الطريقة).

(٢) الرازي ١٨٤/٢٦.

(٣) الدر المصون ٥٩٧/٤ والنيان ١٠٩٨.

(٤) القرطبي ١٥٩/١٥ ومعاني الفراء ٤٠١/٢ ومجاز القرآن ١٧٩/٢ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/٣٢٣.

(٥) ذكرهما البغوي والخازن في تفسيريهما ٤٣/٦، ٤٤.

عنه، والأيد المذكورة ههنا كالقوة المذكورة في قوله: ﴿بَيِّحِينَ حُدَّ الْكِتَابِ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢] وقوله: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ﴾ [الأعراف: ١٤٥] أي باجتهاد وتشدد في القيام بالدعوة وترك إظهار الوهن والضعف، والأيد (و) <sup>(١)</sup> القوة سواء، ومنه قوله: ﴿هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِبَصِيرَةٍ﴾ [الأنفال: ٦٢] وقوله: ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٨٧] (وقوله) <sup>(٢)</sup>: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ [الذاريات: ٤٧] وقال عليه (الصلاة و) السلام: «أَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ عَلَيْهِ (الصَّلَاةُ وَ) السَّلَامُ وَأَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ صَلَاةُ دَاوُدَ كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيَقْطُرُ يَوْمًا وَكَانَ يَتَامَ يَضْفُ اللَّيْلَ وَيَقُومُ ثَلَاثَةَ يَوْمًا سُدُسَهُ» <sup>(٣)</sup>.

قوله: «إِنَّهُ أَوَّابٌ» أي رجاع إلى الله عز وجل بالتوبة على كل ما يكرهه، والأوَّابُ فعَالٌ من أَوَّابٍ إذا رَجَعَ قال تعالى: ﴿إِنَّا إِنَّا يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ [الغاشية: ٢٥] وهذا بناء مبالغة كما يقال: قتال وضَّرَابٌ وهو أبلغ من قَاتِلٍ وضَارِبٍ، وقال ابن عباس: مطيع، وقال سعيد بن جبیر: مسَّحٌ بلغة الحبشة <sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ (١٨) وَالطَّرِ مَحْشُورَةٌ كُلُّ لَهْمٍ أَوَّابٌ (١٩) وَشَدَدْنَا مُلْكَكُمْ وَأَيَّدْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَقَصَلِ الْخِطَابِ (٢٠) وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (٢١) إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَعْضُ بَعْضًا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ (٢٢) إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجْعَةً وَلِيَ نَجْعَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (٢٣) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْمِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخَالِفَةِ لِيُنَبِّئُكَ بِبَعْضِ آلِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (٢٤) فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَازِقِينَ يُحْسِنُ كِتَابًا (٢٥) يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ تُنْفَخُ الْأَسْبَابُ (٢٦)

قوله: «إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ» فقوله: «يسبحن» جملة حالية من «الجبال» <sup>(٥)</sup> وأتى بها هنا فعلاً مضارعاً دون اسم الفاعل فلم يقل مسبحات <sup>(٦)</sup>، دلالة على

(١) الواو سقطت من أ.  
(٢) زيادة للسياق.  
(٣) الحديث رواه البخاري في صحيحه ١٩٨/١ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وانظر أيضاً البيهقي ٤٤/٦ ومسنده الإمام أحمد ٣/٣٠٤، ٢/١٦٠، ١٦٤، ١٩٠، ٢٠٠، ٢٠٥، ٢١٦.  
(٤) ذكره البيهقي في تفسيره ٤٤/٦.  
(٥) انظر: الكشاف ٣/٣٦٤ والدر المنصور ٤/٥٩٧.  
(٦) في ب: يسبحات تحريف ولحن.

التجدد والحدوث شيئاً بعد شيء كقول الأعشى:

٤٢٦١ - لَعَمْرِي لَقَدْ لَاحَتْ عَيْونُ كَثِيرَةٍ إِلَى ضَوْءِ نَارٍ فِي بَقَاعٍ تَحْرَقُ<sup>(١)</sup>  
أي تحرق<sup>(٢)</sup> شيئاً فشيئاً، ولو قال: مُحْرِقَةٌ<sup>(٣)</sup> لم يدل على هذا المعنى.

## فصل

المعنى يسبحن بتسيبته. (و)<sup>(٤)</sup> في كيفية تسيب الجبال وجوه:

الأول: أن الله تعالى يخلق في جسم الجبل حياة وعقلاً وقُدرةً ونطقاً، فحينئذ يصير الجبل مسبحاً لله تعالى.

الثاني: قال القفال: إن داود - عليه (الصلاة و) السلام - أوتي من شدة الصوت وحسنه ما كان له في الجبال دويٌّ حسن وما يصغي الطير (إليه)<sup>(٥)</sup> لحسنه فيكون دويٌّ الجبال وتصويت الطير معه وإصغافها إليه تسيباً، وروى محمد بن إسحاق أن الله تعالى لم يعط أحداً من خلقه مثل صوت داود حتى إنه كان إذا قرأ الزبور دنت منه الوحوش حتى تؤخذ<sup>(٦)</sup> بأغناقها.

الثالث: أن الله تعالى سخر الجبال حتى إنَّها كانت تسير إلى حيث يريد داود فجعل ذلك السير تسيباً لأنه يدل على كمال قدرة الله وحكمته<sup>(٧)</sup>.

قوله: «بالعشيِّ والإشراق» قال الكلبي عذوةً وعشيئاً<sup>(٨)</sup> والإشراق هو أن تشرق الشمس ويتناهى ضوءها قال الزجاج: يقال شَرَقَتِ الشمس (إذا)<sup>(٩)</sup> طلعت، وأشرقت إذا أضاءت، وقيل: هما بمعنى. والأول أكثر<sup>(١٠)</sup>. تقول العرب شرقت الشمس والماء يُشرق<sup>(١١)</sup>، وفسره ابن عباس بصلاة الضحى. قال ابن عباس كنت أمر بهذه الآية لا أدري ما هي حتى حدثتني أم هانئ بنت أبي طالب أن رسول الله - ﷺ - دخل عليها فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى الضحى وقال يا أم هانئ: هذه صلاة الإشراق<sup>(١٢)</sup>. وروى

(١) من الطويل من قصيدة في مدح المعلق وشاهده التعبير بالمضارع في «تحرق» دون الاسم محرفة لأن الجملة الفعلية تدل على التجدد والحدوث بخلاف الاسم فإنها تدل على الثبوت والاستمرار على حال واحدة. وانظر: الكشاف ٣/٣٦٤ والدر المصون ٤/٥٩٧ وشرح شواهد الكشاف ٤٦٥، ٤٦٦ ودلائل الإعجاز ١٩٥ وديوانه ١٢٠.

(٢) في ب: يجري. لحن وتحريف. (٣) في ب: محرق. بالإفراد.

(٤) الواو سقطت من ب. (٥) كذلك.

(٦) في ب: يأخذ. وانظر: الرازي ٢٦/١٨٥.

(٧) الرازي المرجع السابق. (٨) معالم التنزيل للبغوي ٦/٤٤.

(٩) ما بين القوسين كله ساقط من ب.

(١٠) قاله الزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٤/٣٢٤.

(١١) الرازي ٢٦/٨٦. (١٢) البغوي ٦/٤٤ والقرطبي ١٥/١٥٩، ١٦٠.

طاوس عن ابن عباس قال: هل تجدون ذكرَ صلاةِ الضحى في القرآن؟ قالوا: لا؛ فقرأ: «إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ» قال: وكانت صلاة يصلّيها داود عليه السلام وقال لم يزل في نفسي شيء من صلاة الضحى حتى طلبتها فوجدتها في قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾<sup>(١)</sup>.

قوله: «وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً» العامة على نصبها عطفَ مفعولاً على مفعول، وحالاً على حال كقولك: ضربت زيداً مكتوفاً وعمراً مطلقاً<sup>(٢)</sup>، وأتى بالحال<sup>(٣)</sup> اسماً لأنه لم يقصد أن الفعل وقع شيئاً فشيئاً لأن حشرها دفعة واحدة أدل على القدرة والحاشر الله تعالى<sup>(٤)</sup>. وقرأ ابنُ أبي عَبيّلةَ والجَحدري برفعهما جعلهما مستقلة من مبتدأ وخبر<sup>(٥)</sup>. والمعنى وسخرنا الطير محشورة، قال ابن عباس: كان داود إذا سبّح جاءته الجبال واجتمعت إليه الطير فسبّحت معه واجتماعها إليه هو حشرها فيكون على هذا التقدير حاشرها هو الله تعالى.

فإن قيل: كيف يصدر تسييح الله عن الطير مع أنه لا عقل لها؟

جواب: أنه لا يبعد أن يخلق الله تعالى لها عقولاً حتى تعرف<sup>(٦)</sup> الله فتسبحه حينئذ ويكون ذلك معجزة لداود<sup>(٧)</sup> قال الزمخشري قوله: «مَحْشُورَةً» في مقابلة: «حن» إلا أنه ليس في الحشر ما كان في التسييح من إرادة الدلالة على الحدوث شيئاً بعد شيء فلا جرّم أتى به اسماً لا فعلاً، وذلك أنه لو قيل: وسخرنا الطير (محشورة)<sup>(٨)</sup> (يحشرون)<sup>(٩)</sup> على تقدير أن الحشر يوجد من حاشرها شيئاً بعد شيء والحاشر هو الله عز وجل لكان خلفاً لأنه تعالى حشرهم جملةً واحدة<sup>(١٠)</sup>.

قوله: «كُلُّ لَهْ أَوَّابٌ» أي كل من الجبال والطير لداود أي لأجل تسييحه، فوضع أواب موضع مستح. وقيل: (إن)<sup>(١١)</sup> الضمير في: «لَهْ» للباري تعالى<sup>(١٢)</sup>، والمراد كل من داود والجبال والطير مسبح ورجاع لله تعالى.

قوله: «وَشَدَدْنَا» العامة على تخفيف شدتنا أي قوينا كقوله: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ [القصص: ٣٥] وابنُ أبي عَبيّلةَ والحسن «شَدَدْنَا» بالتشديد<sup>(١٣)</sup>. وهي مبالغة

(١) الرازي المرجع السابق.

(٢) الإعراب ٤/٤٥٨، ٤٥٩ والسمين ٤/٥٩٧.

(٣) في ب: الجبال خطأ.

(٤) معاني الفراء ٢/٤٠١ والإعراب ٣/٤٥٩ ومختصر ابن خالويه ١٢٩ وهي من الشواذ غير المتواترة.

(٥) في ب: يعرف.

(٦) الرازي ٢٦/١٨٦.

(٧) كذا هي في الرازي. وقد نقلها الرازي عن الزمخشري كذا.

(٨) تصحيح من الكشاف.

(٩) وانظر: الكشاف ٣/٣٦٥.

(١٠) سقط من ب.

(١١) (١٢) قاله الرازي المرجع السابق.

(١٣) من الشواذ ذكرها ابن خالويه في مختصره ١٢٩ والزمخشري في الكشاف ٣/٣٦٥ والسمين في الدر

كقراءة العامة، ومعنى الكلام قويناه بالحرس والجنود.

قال ابن عباس: كان أشد ملوك الأرض سلطاناً كان يحرس محرابه كل ليلة ستة وثلاثون ألف رجل<sup>(١)</sup>.

قوله: «وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَلَ الْخِطَابِ» أما الحكمة فهي النبوة، وقيل: العلم والخير<sup>(٢)</sup>؛ قال تعالى: «وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا» [البقرة: ٢٦٩] وأما فصل الخطاب فقال بعض المفسرين: إن داود أول من قال في كلامه: أما بعد<sup>(٣)</sup>. وقيل: المراد منه: معرفة الأمور التي بها يفصل بين الخصوم وهو طلب البينة واليمين<sup>(٤)</sup>.

قال ابن الخطيب: وهذا بعيد لأن فصل الخطاب عبارة عن كونه قادراً على التعبير على كل ما يخطر بالبال ويحضر في الخيال بحيث لا يخلط شيئاً بشيء وبحيث يفصل كل مقام عن ما يخالفه. هذا معنى عام يتناول فصل الخصومات ويتناول الدعوة إلى الدين الحق ويتناول جميع الأقسام والله أعلم<sup>(٥)</sup>.

وروى ابن عباس أن رجلاً من بني إسرائيل استعدى على رجل من عظمائهم عند داود أن هذا غصبني بقرأ فسأله (داود) فجدد فقال للآخر البينة فلم يكن له بينة فقال لهما داود: قوما حتى أنظر في أمركما فأوحى الله إلى داود في منامه أن يقتل الذي استعدى عليه فقال هذه رؤيا ولست أعجل حتى أتثبت فأوحى الله إليه ثانية فلم يفعل فأوحى الله إليه الثالثة أن يقتله أو تأتيه العقوبة، فأرسل داود إليه فقال إن الله أوحى إلي أن أقتلك؛ فقال: تقتلني بغير بينة، فقال داود نعم والله لأنفذ أمر الله فيك فلما عرف الرجل أنه قاتله قال لا تعجل حتى أخبرك إني والله ما أخذت بهذا الذنب ولكن اغتلت والد هذا فقتلته ولذلك أخذت فأمر به داود فقتل فاشتد هيبة داود عند ذلك في قلوب بني إسرائيل، واشتد به مله فذلك قوله: «وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ»<sup>(٦)</sup> «وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ» يعني النبوة والإصابة في الأمور<sup>(٧)</sup>، و «فَضَلَ الْخِطَابِ» قال ابن عباس: بيان الكلام. وقال ابن مسعود والحسن والكلبي ومقاتل: على الحكم بالقضاء، وقال علي بن أبي طالب: هو أن البينة على المدعي واليمين على من أنكر<sup>(٨)</sup>؛ لأن كلام الخصوم ينقطع وينفصل به، ويروي ذلك

(١) البغوي ٤٤/٦. (٢) زاد المسير ١١١/٧.

(٣) وهو قول أبي موسى الأشعري والشعبي انظر: زاد المسير ١١٢/٧.

(٤) وهو قول شريح وقتادة وحبيذه ابن الجوزي فقال: وهو قول حسن لأن الخصومة إنما تفصل بهذا.

(٥) الرازي ١٨٨/٢٦.

(٦) أخرجه البغوي في تفسيره معالم التنزيل وكذلك الخازن في لباب التأويل عن عكرمة عن ابن عباس ٦/٤٤ و ٤٥.

(٧) المرجعان السابقان.

(٨) القرطبي ١٦٢/١٥ والبغوي والخازن السابقان وزاد المسير ١١١/٧ و ١١٢ وانظر أيضاً معاني الزجاج

٣١/٤ ومعاني الفراء ٤٠١/٢.

عن أبي بن كعب قال: فضل الخطاب الشهود والإيمان. وقال مجاهد وعطاء بن أبي رباح عن الشعبي: فضل الخطاب هو قول الإنسان بعد حمد الله والثناء عليه: أما بعد إذا أراد الشروع في كلام آخر<sup>(١)</sup>.

قوله (تعالى)<sup>(٢)</sup>: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضْمِ﴾ قد تقدم أن الخصم في الأصل مصدر فلذلك يصلح للمفرد والمذكر وضمّيهما، وقد يطابق، ومنه ﴿لَا تَخَفْ خَصْمَانِ﴾ [ص: ٢٢]. والمراد بالخصم هنا جمعٌ بدليل قوله: «إِذْ تَسَوَّرُوا» وقوله: «إِذْ دَخَلُوا». قال الزمخشري: وهو يقع للواحد والجمع كالضئيف، قال تعالى: ﴿حَدِيثٌ صَفِيفٌ لِرَبِّهِمُ الْمُكْرَمِينَ﴾ [الذاريات: ٢٤] لأنه مصدر في أصله، يقال خَصَمَهُ يَخْصِمُهُ خَصْمًا كما تقول: ضِافَةٌ صَفِيفَةٌ. فإن قلت: هذا جمع وقوله: خَصْمَانِ ثنية فكيف استقام ذلك؟ قلت: معنى خصمان فريقان خصمان، والدليل قراءة من قرأ: «بَعَى بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ»<sup>(٣)</sup> ونحوه قوله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ أَخَصَمُوا﴾ [الحج: ١٩] فإن قلت: فما تَضَعُ بقوله: «إِنَّ هَذَا أَخِي» وهو دليل على الاثنين<sup>(٤)</sup>؟ قلت: معناه أن التحاكم بين ملكين ولا يمنع أن يصحبهما آخرون، فإن قلت: كيف سماهم جميعاً خَصْمًا في قوله: «نَبَأُ الْخَضْمِ وَخَصْمَانِ»؟ قلت: لما كان صحب كل واحد من المتحاكمين في صورة الخصم صحت التسمية به<sup>(٥)</sup>.

قوله: «إِذْ تَسَوَّرُوا» في العامل في «إِذْ أَوْجَعُ»:

أحدها: أنه معمول للنبا إذا لم يرد به القصة. وإليه ذهب ابن عطية<sup>(٦)</sup> وأبو البقاء<sup>(٧)</sup> ومكي<sup>(٨)</sup> أي هل أتاك الخبر الواقع في وقت تسوّرهم المحراب، وقد ردّ بعضهم هذا بأن النبا الواقع في ذلك الوقت لا يصح إتيانه رسول الله - ﷺ - وإن أريد بالنبا القصة لم يكن ناصباً. قاله أبو حيان<sup>(٩)</sup>.

الثاني: أن العامل فيه «أَتَاكَ»<sup>(١٠)</sup>. وُرِدَ بما رُدُّ به الأول<sup>(١١)</sup>، وقد صرح الزمخشري

(١) البغوي ٤٥/٦. (٢) زيادة من «أ».

(٣) لم أجدها نسبت لمعين. انظر الكشاف ٣/٣٦٧ والبحر ٧/٣٩١ والدر المصون ٤/٥٩٨ وقد نسبها الكرمانى في شواذ القرآن لابن عمير. الشواذ ٢٠٧.

(٤) الواقع أن في الكشاف كلاماً زائداً على هنا وهو (قلت: هنا قول البعض المراد به بعضنا على بعض، فإن قلت: فإنه قد جاء في الرواية أنه بعث إليه ملكان).

(٥) وانظر: كشافه ٣/٣٦٦ و ٣٦٧. (٦) البحر المحيط ٧/٣٩٢.

(٧) التبيان ١٠٩٨.

(٨) مشكل الإعراب ٢/٢٤٩ وانظر: الكشاف ٣/٣٦٨ والبيان ٢/٣١٣ والدر المصون ٤/٥٩٩.

(٩) البحر المحيط ٧/٣٩١ والدر المصون ٤/٥٩٩. قال أبو حيان: ورد بأن إتيان النبا رسول الله - ﷺ - لا يقع إلا في عهده لا في عهد داود. كما قال: «وإن أردت بالنبا القصة في نفسها لم يكن ناصباً».

(١٠) قال أبو حيان في المرجع السابق إنه رأي الحوفي. انظر: المرجع السابق.

(١١) وهو أن النبا الواقع في ذلك الوقت لا يصح إتيانه رسول الله - ﷺ - لأنه في عهد داود.

بالرد على هذين الوجهين. فقال: «فإن قلت: بم انتصب إذ؟ قلت: لا يخلوا إما أن ينتصب «بأتاك» أو «بالتبأ» أو بمحذوف فلا يسوغ انتصابه بأتاك لأن إتيان النبأ رسول الله - ﷺ - لا يقع إلا في عهده لا في عهد داود (و) <sup>(١)</sup> لا بالنبأ؛ لأن النبأ واقع في عهد داود فلا يصح إتيانه رسول الله - ﷺ - وإن أردت بالنبأ القصة في نفسها لم يكن ناصباً، فبقي أن يكون منصوباً بمحذوف تقديره: وهل أتاك نبأ تحاكم الخضم إذ <sup>(٢)</sup>. فاختر <sup>(٣)</sup> أن يكون معمولاً لمحذوف <sup>(٤)</sup>.

الرابع: أن ينتصب بالخضم؛ لما فيه من معنى الفعل <sup>(٥)</sup>.

قوله: «إذ دخلوا» فيه وجهان:

أحدهما: أنه بدل من «إذ» الأولى.

الثاني: أنه منصوب بتسوروا <sup>(٦)</sup>.

ومعنى تسوروا علواً أعلى السور <sup>(٧)</sup>، وهو الحائط غير مهموز كقولك: تسنم البعير أي بلغ سنامة. والضمير في «تسوروا» و «دخلوا» راجع على الخضم، لأنه جمع في المعنى على <sup>(٨)</sup> ما تقدم، (أو على <sup>(٩)</sup> أنه مثنى والمثنى جمع في المعنى. وتقدم تحقيقه <sup>(١٠)</sup>).

قوله: «خضمان» خبر مبتدأ مضمرة أي نحن خضمان ولذلك جاء بقوله: «بعضنا» <sup>(١١)</sup>، ومن قرأ: «بعضهم» <sup>(١٢)</sup> بالغيبة يجوز أن يقدره كذلك ويكون قد راعى لفظ: خضمان، ويجوز أن يقدرهم خضمان ليتطابق <sup>(١٣)</sup>، وروي عن الكسائي خضمان بكسر الخاء <sup>(١٤)</sup>. وقد تقدم أنه قرأها كذلك في الحج.

قوله: «بغى بعضنا» جملة يجوز أن تكون مفسرة لحالهم، وأن تكون خبراً ثانياً <sup>(١٥)</sup>.

فإن قيل: كيف قالوا: بغى بعضنا على بعض وهما ملكان - على قول بعضهم -

(١) الواو ساقطة من ب.

(٢) الكشاف ٣/٣٤٨.

(٣) أي هو. وهو الزمخشري.

(٤) وانظر مع هذا الدر المصون ٤/٥٩٩.

(٥) المرجع السابق فهو قول السمين.

(٦) اختار النحاس الأول ٤/٤٥٩ وكذلك أبو البقاء في التبيان ١٠٩٧ والمشكل ٢/٢٤٩ والبيان ٢/٣١٤

وجوز الثاني مع الأول المراجع السابقة عدا النحاس.

(٧) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/٣٢٥ وانظر: الغريب ٣٧٨.

(٨) الدر المصون ٤/٥٩٩. (٩) ما بين القوسين سقط من نسخة «ب».

(١٠) في [الحج: ١٩] وهي: «هذان خصمان اختصموا في ربهم».

(١١) معاني الغراء ٢/٤٥٩ ومعاني الزجاج ٤/٣٢٦ والبيان لابن الأنباري ٢/٣١٤ ومشكل الإعراب لمكي

٢/٢٤٩ والدر المصون للسمين ٤/٥٩٩.

(١٢) سبق أن هذه القراءة لم تنسب إلا في شواذ القرآن للكرماني ٢٠٧ لابن عمير.

(١٣) في ب ليطابق. وانظر: الدر المصون ٤/٥٠٠.

(١٤) مختصر ابن خالويه ١٢٩ وقد رواها عن الكسائي أبو يزيد الخزان.

(١٥) الدر ٤/٦٠٠.

والملكان لا يبغيان؟ قيل: معناه أرأيت خصمَين بغيَ أحدهما على الآخر، وهذا من معارِضِ الكلام لا على تحقيق البغي من أحدهما<sup>(١)</sup>.

قوله: «فأحكّم بيننا بالحقّ ولا تُشيطط» العامة على ضم التاء وسكون الشين، وضم الطاء الأولى من (أ)<sup>(٢)</sup> شَطَطٌ يُشِطُّ إِشْطَاطاً إذا تجاوز الحق<sup>(٣)</sup>، قال أبو عبيدة: شَطَطْتُ في الحكم وأشَطَطْتُ إذا جُرْتُ<sup>(٤)</sup>؛ فهو مما اتفق فيه فعَلٌ وأفَعَلٌ<sup>(٥)</sup>، وإنما فكّه على أحد الجائزين كقوله: «مَنْ يَرْتَدِّدْ»<sup>(٦)</sup>. وقد تقدم تحقيقه. وقرأ الحسن وأبو رجاء وابن أبي عبة تَشَطُّطٌ بفتح التاء وضم الطاء من «شَطَطٌ» بمعنى «أَشَطُّ» كما تقدم<sup>(٧)</sup>.

وقرأ قتادة: تَشِطُّ من «أَشَطُّ» رباعياً إلا أنه أدغم<sup>(٨)</sup>. وهو أحد الجائزين كقراءة من قرأ: «مَنْ يَرْتَدِّدْ مِنْكُمْ» وعنه أيضاً «تَشَطُّطٌ» بفتح الشين وكسر الطاء مشددة<sup>(٩)</sup> من شَطَطٌ يشَطُّطُ. والتثقيب فيه للتكثير. وقرأ زُرُّ بن حبيش تَشَاطُّطٌ<sup>(١٠)</sup> من المفاعلة وأصل الكلمة من: شَطَطَتِ الدَّارُ وَأَطَّتْ إِذَا<sup>(١١)</sup> بَعُدَتْ. «وَأَهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصَّرَاطِ» أَرَشِدُنَا إِلَى طَرِيقِ الصَّوَابِ<sup>(١٢)</sup> فقال لهما داود: تَكَلَّمَا فَقَالَ أَحَدُهُمَا: «إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تَسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً» يعني امرأة<sup>(١٣)</sup> «وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ» أي امرأة واحدة.

(١) قاله الإمام البغوي في: معالم التنزيل ٤٧/٦ وكذلك الخازن في: لباب التأويل ٤٧/٦.

(٢) الهمزة سقطت من ب.

(٣) في ب الحد. وانظر: غريب القرآن ٣٧٨ قال: يقال: أشططت، إذا جرت وشطت الدار إذا بعدت فهي تشط. وقال الزجاج: لا تجر يقال أشط يشط إذا جار. ويقرأ لا تشطط بمعنى لا تبعد عن الحق وكذلك لا تشطط معناه كعنى الأول الزجاج ٣٢٦/٤ ونفس هذا المعنى من الفراء في المعاني ٤٠٣/٢.

(٤) الذي في المجاز «ولا تشطط أي لا تسرف...» ويقال كلّفنتني شططاً. ومنه: وشطت الدار أي بعدت. المجاز ١٨٠/٢. وقد نسب القرطبي في الجامع هذا القول لأبي عبيد القاسم بن سلام. انظر: القرطبي ١٧٢/١٥.

(٥) في ب وفاعل.

(٦) المائدة ٥٤، والبقرة ٢١٧ فيجوز: ولا تشط كما جاز ولا تشطط التي هي قراءة العامة كما قرأ قتادة القراءة الآتية.

(٧) معاني الفراء ٤٠٣/٢. ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٢٦/٤ والكشاف ٣٦٨/٣ والمختص ٢٣١/٢ ومختصر ابن خالويه ١٢٩ و ١٣٠ وشواذ القرآن ٢٠٧ واللسان: «ش ط ط» ٢٢٦٤.

(٨) البحر المحيط ٣٩٢/٧ والدر المصون ٦٠٠/٤.

(٩) المرجعين السابقين. وانظر المختصر والكشاف وشواذ القرآن المراجع السابقة.

(١٠) هي من الأربع الشواذ فوق العشر المترارة. انظر: الإتحاف ٣٧٢. وانظر: المختصر والكشاف والبحر والدر المراجع السابقة.

(١١) انظر في هذا اللسان ٢٢٦٤.

(١٢) غريب القرآن ٣٧٨ ومعاني الفراء ٤٠٣/٢ والزجاج ٣٢٦/٤.

(١٣) السابق.

قوله: «تَسْعُ وَتَسْعُونَ» العامة على كسر التاء وهي اللغة الفاشية، وزيد بن علي والحسن بفتحها<sup>(١)</sup>. وهي لُغِيَّةٌ<sup>(٢)</sup> لبعض تميم، وكثر في كلامهم الكناية بها عن المرأة، قال ابن عَوْن:

٤٢٦٢ - أَنَا أَبُوهُنَّ ثَلَاثُ هُنَّةٍ رَابِعَةٌ فِي الْبَيْتِ صُفْرَاهُنَّةٌ  
وَتَفَجَّتِي خَمْسًا تَوْفِيهُنَّةٌ<sup>(٣)</sup>

وقال آخر:

٤٢٦٣ - هُمَا نَفَجَتَانِ مِنْ نِعَاجِ تِبَالَةٍ لَدَى جُوذُرَيْنِ أَوْ كَبَعَضِ دُمَى هَكِرٍ<sup>(٤)</sup>

قال الحسين بن الفضل: هذا تعريض للتنبية والتفهيم لأنه لم يكن هناك نعاج ولا بغي كقولهم: ضَرَبَ زَيْدٌ عَمْرًا، أَوْ اشْتَرَى بَكْرٌ دَارًا. وَلَا ضَرَبَ هُنَا وَلَا شَرَاءً<sup>(٥)</sup>.

قال الزمخشري: «أخي» بدل من «هذا»<sup>(٦)</sup> وقر عبد الله: «تَسْعُ»<sup>(٧)</sup> وَتَسْعُونَ نَعْجَةٌ أَنْثَى<sup>(٨)</sup> وهذا تأكيد كقوله: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَذَخَّرُوا لِلَّهِ آتِينَ﴾ [النحل: ٥١] وقال الليث: النَّعْجَةُ الْأُنْثَى مِنَ الضَّأْنِ وَالْبَقْرُ الْوَحْشِيُّ وَالشَّاةُ وَالْجَمْعُ النَّعَاجُ<sup>(٩)</sup>.

قوله: «فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا» قال ابن عباس أعطيتها، وقال مجاهد: انزل لي عنها. وحقيقته ضُمَّهَا إِلَيَّ وَاجْعَلْنِي كَافِلَهَا، وهو الذي يعولها ويُنفق عليها، والمعنى: طلقها لأتزوج إياها<sup>(١٠)</sup>.

(١) اختلف في نسبة هذه القراءة لمن قرأ بها فقد نسبت في المختصر إلى الحسن وابن مسعود (١٣٠)، ونسبها ابن جني في المحتسب ٢/٢٣١ إلى الحسن فقط وبخلاف عنه، ونسبها أبو حيان والسمين في البحر والدر إلى الحسن وزيد بن علي كما سار عليه المؤلف أعلى، ومن الأربع فوق العشر انظر: الإتحاف ٣٧٢ وشواذ القرآن ١٠٧.

(٢) تصغير لغة أي لغة قليلة، فالتصغير هنا يفيد التقليل.

(٣) من الرجز والشاهد في قوله: «ونعجتني» حيث كنى بها عن المرأة.

وانظر القرطبي ١٥/١٧٢، والدر المصون ٤/٦٠١ والبحر المحيط ٧/٢٨٨.

(٤) من بحر الطويل لامرئ القيس. وتبالة موضع فيه النعاج الحسان والدُمَى جمع دمية وهي صور الرخام وهكر موضع تكثر فيه هذه الصور، والجوذر: ولد البقرة الوحشية. وشاهده كسابقه حيث كنى عن المرأة بالنعجة وهما هر وفرتى في البيت قبل وانظر: ديوانه ١١٠ واللسان هكر ٤٦٨٠ والجمهرة لابن دريد ٢/٤١٥ والبحر ٧/٣٨٨ والدر على هامشه ٧/٣٨٩ والدر المصون ٤/٦٠١.

(٥) نقله الإمامان البغوي والخازن في معالم التنزيل ولباب التأويل ٦/٤٧.

(٦) الكشف ٣/٣٦٨.

(٧) تصحيح من العرف النحوي؛ ففي النسختين: تسعة وتسعون بئاء التأنيث في «تسع».

(٨) كذا في الرازي ٢٦/١٩٦ وما في المختصر لابن خالويه «ولي نعجة أنثى» فالأنثى للفظ النعجة الواحدة وليس لتمييز التسع والتسعين. المختصر ١٣٠.

(٩) اللسان ٤٤٧١. (١٠) البغوي والخازن ٦/٤٧.

قوله: «وَعَزَّيْ» أي عَلَّيْ، قال:

٤٢٦٤ - قَطَاةٌ عَزَّهَا شَرْكَ فَبَاتَتْ تُجَاذِبُهُ وَقَدْ عَلِقَ الْجِنَاحُ<sup>(١)</sup>

يقال: عَزَّةٌ يَعَزُّهُ بضم العين. وتقدم تحقيقه في يس عند قوله تعالى: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾.

وقرأ طلحة وأبو حيوة: «وَعَزَّيْ» بالتخفيف<sup>(٢)</sup>. قال ابن جنِّي: حذف الزاي الواحدة تخفيفاً كما قال الشاعر:

٤٢٦٥ - ..... أَحْسَنَ بِهِ فَهَنَّ إِلَيْهِ شُوسٌ<sup>(٣)</sup>

يريد أَحْسَنَ فحذف. وتروى هذه قراءة عن عاصم. وقرأ عبد الله والحسن وأبو وائل ومسروق والضحاك: وَعَزَّيْ. بألف مع تشديد الزاي<sup>(٤)</sup> أي غَالِبِي.

قوله: «سُؤَالٍ نَعَجْتِكَ» مصدر مضاف لمفعوله. والفاعل محذوف أي بَأَنَّ<sup>(٥)</sup>. سَأَلَكَ نَعَجْتِكَ<sup>(٦)</sup>، وضمَّن السؤال معنى الإضافة والانضمام أي بإضافة نَعَجْتِكَ على سبيل السؤال ولذلك عدي (بالي)<sup>(٧)</sup>.

## فصل

قال ابن الخطيب: للناس في هذه القصة ثلاثة أقوال:

أحدها: أن هذه القصة دلت على صدور الكبيرة عنه.

وثانيها: دلالتها على الصغيرة.

وثالثها: لا تدل على كبيرة ولا على صغيرة، فأما القول الأول فقالوا: إن داود

(١) من الوافر لقيس بن الملوح وهو مجنون ليلي، و «قطاة» من طيور الصحراء و «عزها» غلبها وأمسك بها. وهو موطن الشاهد حيث المرها وفي الآية الشريفة معناه الغلبة. وانظر البحر المحيط ٣٨٨/٧ والدر المصون ٦٠١/٤ والقرطبي ١٧٤/١٥ والكشاف ٣٦٩/٣ وشرح شواهد ٣٦٣ وكامل المبرد ٣/٣٧ وديوانه ٩٠.

(٢) من القراءات الشاذة غير المتواترة، وانظر: الكشاف ٣٦٩/٣ وابن خالويه ١٣٠ والمحتسب ٢٣٢/٢.

(٣) عجز بيت من تمام الوافر لأبي زيد الطائي وصدوره:

خَلَا أَنْ الْمَتَاقَ مِنَ الْمَطَايَا

ديوانه ٩٦ وفي رواية الديوان: «حسن» وعلى هذه الرواية فلا شاهد فيه والبيت يصف قوماً تبعهم أسد وهم لا يحسون به إلا أن المطايا أحسَّت به فهي تنظر بمؤخر عينها نحوه وهو معنى تشؤس وتشؤس جمع أشوس والمؤنث شوساء. ويروى البيت: حسن. وعليها أيضاً فلا شاهد. والشاهد: «أحسن» حيث أن الأضل أحسن فحذف أحد المثلين. وقد تقدم.

(٤) من الشواذ. انظر: الكشاف ٣٦٩/٣ والمختصر ١٣٠.

(٥) في ب بأنه.

(٦) البيان ٣١٤/٢ والبيان للكعبري ١٠٩٩ والبحر ٣٩٣/٧.

(٧) المرجع السابق.

أحبَّ امرأة «أوريا» فاحتال في قتل زوجها ثم تزوج بها ثم أرسل الله (تعالى) <sup>(١)</sup> ملكين في صورة <sup>(٢)</sup> المتخاصمين في واقعة تشبه واقعته (وعرضاً <sup>(٣)</sup>) تلك الواقعة عليه) فحكم داود بحكم لزم منه اعترافه بكونه مذنباً ثم تنبه لذلك فاشتغل بالتوبة. وقال ابن الخطيب: والذي أدين به وأذهب إليه أن ذلك باطلٌ لوجوه:

**الأول:** أن هذه الحكاية لا تناسب داودَ لأنها لو نُسبت إلى أفسقِ الناس وأشدهم فجوراً لانتفى منها، والذي نقل هذه القصة لو نسب إلى مثل هذا العمل لبالغ في تنزيه نفسه ورعاً ولعن من نسه إليها فكيف يليق بالعاقل نسبة المعصية إليه؟! .

**الثاني:** أن حاصل القصة يرجع إلى أمرين إلى السعي وقتل رجل مسلم بغير حق وإلى الطمع في زوجته أما الأول فأمر منكر؛ قال - عليه (الصلاة و) السلام: «مَنْ سَعَى فِي دَمِ مُسْلِمٍ وَلَوْ بِشَرِّ كَلِمَةٍ جَاءَ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ آيَسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ» <sup>(٤)</sup>. وأما الثاني فمنكر عظيم، قال - عليه (صلاة و) السلام: - الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ <sup>(٥)</sup>. وإنه «أوريا» لم يسلم من داود لا في روحه <sup>(٦)</sup> ولا في منكوحه.

**الثالث:** أن الله تعالى وصف داودَ بصفات تنافي كونه - عليه (الصلاة و) السلام - موصوفاً بهذا الفعل المنكر فالصفة الأولى أنه تعالى أمر محمداً - ﷺ - (في) <sup>(٧)</sup> أن يقتدي بداود في المصابرة مع المكاره فلو قيل إن داود لم يصبر على مخالفة النفس بل سعى في إراقة دم مسلم لغرض شهوته <sup>(٨)</sup> فكيف يليق بأحكم الحاكمين أن يأمر محمداً أفضل الرسل بأن يقتدي بداود في الصبر على طاعة الله؟! . وأما الصفة الثانية فإنه وصفه بكونه عبداً له، وقد بينا أن المقصود من هذا الوصف بيان كون ذلك الموصوف كاملاً في وصف العبودية أما في القيام بأداء الطاعات والاحتراز عن المحظورات، فلو قلنا: إن داود اشتغل بتلك الأعمال الباطلة فحينئذ ما كان داود كاملاً إلا في طاعة الهوى والشهوة. وأما الصفة الثالثة وهي قوله: «ذَا الْأَيْدِ» أي ذا القوة ولا شك أن المراد منه القوة في الدين لأن القوة في غير الدين كانت موجودة في ملوك الكفار، ولا معنى للقوة في الدين إلا القوة الكاملة في أداء الواجبات والاجتناب عن المحظورات، وأي قوة لمن لم يملك نفسه عن القتل والرغبة في زوجة المسلم؟! الصفة الرابعة: كونه أواباً كثيراً الرجوع إلى الله تعالى فكيف يليق هذا بمن قلبه مشغوف بالقتل والفجور؟! الصفة الخامسة: قوله تعالى: «إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ» أفترى أنه سخرت له الجبال ليتخذوا <sup>(٩)</sup> سبيله

(١) سقطت من ب والرازي.

(٢) ما بين القوسين كله سقط من ب.

(٣) رواه البخاري في صحيحه ١١/١ عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٤) سقط من ب.

(٥) كذا في الرازي وما في ب نفسه.

(٦) في «أ» شهرته والتصحيح من ب والرازي.

(٧) كذا في النسختين وما في الرازي ليتخذها وسيلة.

إلى القتل والفجور؟! الصفة السادسة: قوله تعالى: ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾ قيل: إنه كان محرماً عليه صيد شيء من الطير فكيف يعقل أن يكون الطير آمناً<sup>(١)</sup> منه ولا يجوز<sup>(٢)</sup> أمن الرجل المسلم على زوجته ومنكوحه<sup>(٣)</sup>. الصفة السابعة: قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾ ومحال أن يكون المراد أنه تعالى: شد ملكه بأسباب الدنيا بل المراد بأننا ملكناه تقوى الدين وأسباب سعادة الآخرة، أو المراد تشديد ملكه في الدين والدنيا ومن لا يملك نفسه عن القتل والفجور كيف يليق به ذلك؟! الصفة الثامنة: قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلَ الْخِطَابَ﴾ (والحكمة اسم<sup>(٤)</sup> جامع لكل ما ينبغي علماً وعملاً فكيف يجوز أن يقال: إِنَّا آتَيْنَاهُ) الحكمة وفصل الخطاب مع إصراره على ما يستنكف عنه الشيطان من مُرَاحِمَةِ أَحْص<sup>(٥)</sup> أصحابه في الروح والمنكوح؟! فهذه الصفات التي وصف بها قيل شرح القصة.

وأما الصفات المذكورة بعد ذكر القصة فأولها<sup>(٦)</sup> قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ وهذا الكلام إنما يناسب لو دلت القصة المتقدمة (على<sup>(٧)</sup> قوته في طاعة الله أما لو كانت القصة المتقدمة) دالة على سعيه في القتل والفجور لم يكن قوله: ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ لائقاً.

وثانيها: قوله تعالى: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ وهذا يدل على كذب تلك القصة من وجوه:

**الأول:** أن الملك الكبير إذا حُكي عن عبده أنه قصد دماء الناس وأموالهم وأزواجهم<sup>(٨)</sup> فعند فراغه من شرح قصته على الناس يقبح منه أن يقول عقيبه أيها العبد إنني فوضت إليك خلافتي ونبوتي لأن ذكر تلك القبائح والأفعال المنكرة يناسب<sup>(٩)</sup> الزجر والحجر فأما جعله نائباً وخليفة لنفسه فذلك مما (لا)<sup>(١٠)</sup> يليق بالهبة.

**الثاني:** أنه ثبت في أصول الفقه أن ذكر الحكم عقيب الوصف المناسب يدل على كون ذلك الحكم معللاً بذلك الوصف فلما حكى الله تعالى عنه تلك الواقعة القبيحة، ثم قال بعده: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ أشعر هذا (الوصف)<sup>(١١)</sup> بأن الموجب لتفويض هذه الخلافة هو إتيانه بتلك الأفعال المنكرة. ومعلوم أن هذا فاسد. أما لو ذكرنا أن تلك

(١) في ب آمنا معه وما هنا يوافق الرازي.

(٢) كذا في النسختين وما في الرازي: ولا ينجو منه الرجل المسلم.

(٣) كذا في الرازي وفي ب ومنكوحته. (٤) ما بين القوسين كله سقط من ب.

(٥) في ب أحسن. (٦) في ب وأولها وفي الرازي فهي عشرة.

(٧) ما بين القوسين سقط من ب بسبب انتقال النظر.

(٨) في ب وأزواجهم وأموالهم. (٩) كذا هي في الرازي وفي ب تناسب.

(١٠) كلمة لا سقطت من ب. (١١) الوصف سقط من ب.

القصة كانت على وجه يدل على براءة ساحته عن المعاصي والذنوب وعلى شدة مصابرتة في طاعة الله تعالى فحينئذ يناسب أن يذكر عقبيه: «إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ» فثبت أن الذي نختاره<sup>(١)</sup> أولى.

الثالث: أنه لما كان مقدمة الآية دالة على مدح داود - عليه (الصلاة و) السلام - وتعظيمه ومؤخرتها أيضاً دالة على ذلك فلو كانت الوسطة دالة على المقابح والمعائب لجرى مجزى أن يقال: فلان عظيم الدرجة عالي المرتبة في طاعة الله تعالى يقتل ويزني ويسرق وقد جعله الله خليفة له في أرضه وصوب أحكامه فكما أن هذا الكلام مما لا يليق بالعاقل فكذا ههنا ومن المعلوم أن ذكر العشق والسعي في القتل من أعظم أبواب العيوب.

ورابعها: أن بعض القائلين ذكر في هذه الآية أن داود - عليه (الصلاة و) السلام - تمنى<sup>(٢)</sup> أن يحصل له في الدين كما حصل للأنبياء المتقدمين من المنازل العالية مثل ما حصل للخليل من الإلقاء في النار، وحصل للذبيح من الذبح وحصل ليعقوب من الشدائد الموجبة لكثرة الثواب فأوحى الله إليه إنما وجدوا تلك الدرجات لأنهم لما ابتلوا صبروا فعند ذلك سأل داود عليه (الصلاة و) السلام الابتلاء فأوحى الله إليه إنك مبتلى في يوم كذا فبالغ في الاحتراز، ثم وَقَعَت الواقعة فنقول: إن حكايتهم تدل على أن الله تعالى يبتليه بالبلاء الذي يزيد في منقبته ويكمل مراتب إخلاصه، فالسعي في قتل النفس (بغير الحق)<sup>(٣)</sup> والإفراط في العشق كيف يليق بهذه الحالة بحيث إن الحكاية التي ذكروها يناقص أولها آخرها.

وخامسها: أن داود عليه (الصلاة و) السلام (تمنى<sup>(٤)</sup>) أن يحصل له في الدين كما حصل للأنبياء المتقدمين من المنازل العالية) قال: «وَأَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ» استثنى الذين آمنوا من البغي. فلو قلنا: إنه كان موصوفاً بالبغي لزم أن يقال: إنه حكم بعدم الإيمان على نفسه وذلك باطل.

وسادسها: حضرت في مجلس وفيه بعض أكابر المسلمين وكان يريد أن يتعصب لتقرير ذلك القول الفاسد والقصة الخبيثة لسبب اقتضى ذلك فقلت له: لا شك أن داود عليه (الصلاة و) السلام كان من أكابر الأنبياء والرسل وقال الله: «اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ»، ومن مدحه الله (تعالى)<sup>(٥)</sup> (بمثل) هذا المدح العظيم لم يجز لنا أن نبالغ في المطعن فيه وأيضاً فبتقدير أنه ما كان من الأنبياء فلا شك أنه كان مسلماً؛ وقال - ﷺ -

(١) في ب يختاره. وما هو أعلى من «أ» موافق للرازي.

(٢) كذا في «أ» والرازي وفي ب تميز. (٣) سقط من ب.

(٤) ما بين القوسين كله سقط من ب. (٥) كذلك وانظر في هذا كله تفسير الرازي ١٩١/٢٦.

«لَا تَذْكُرُوا مَوْتَاكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ»<sup>(١)</sup> ثم على تقدير أننا لا نلتفت إلى شيء من هذه الدلائل إلا أننا نقول: إنَّ من المعلوم بالضرورة أن بتقدير أن تكون القصة التي ذكرتموها في حقه صحيحة فإن روايتها وذكرها لا يوجب شيئاً مِنَ الثواب، لأن إشاعة الفاحشة إن لم توجب العقاب فلا أقل من ألا توجب الثواب. وأما بتقدير أن تكون هذه القصة باطلة فاسدة فإن ذكرها مستحق<sup>(٢)</sup> به أعظم العقاب، والواقعة التي هذا شأنها وصفتها فإنَّ صريح العقل يوجب السكوت عنها فثبت أن الحق ما ذهبنا إليه، وأن شرح تلك القصة محرم محظور، فلما سمع ذلك الملك الشديد هذا الكلام سكت ولم يذكر شيئاً.

السابع: أن ذكر هذه القصة وذكر قصة يوسف - عليه (الصلاة و) السلام - يقتضي إشاعة الفاحشة في الدين آمنوا.

الثامن: لو سعى داود في قتل ذلك الرجل لدخل تحت قوله: «مَنْ سَعَى فِي دَمِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ وَلَوْ يَشْطُرِ كَلِمَةً جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ آيسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ». وأيضاً لو فعل ذلك لكان ظالماً وكان يدخل تحت قوله: «أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ» [هود: ١٨].

التاسع: عن سعيد بن المسيب أن علي بن أبي طالب قال: مَنْ حَدَّثَكُمْ بِحَدِيثِ دَاوُدَ عَلَى مَا تَرْوِيهِ الْقُصَاصُ فَاجْلِدُوهُ مِائَةً وَسِتِينَ<sup>(٣)</sup> (جلدة) وهو حد القرية على الأنبياء، وما يقوي هذا أنهم لما قالوا: إن المغيرة بن شعبة زنى وشهد ثلاثة من عدول الصحابة وأما الرابع فإنه لم يقل: إني رأيت ذلك بعيني فإن عمر بن الخطاب كذب أولئك الثلاثة وجلد كل واحد منهم ثمانين جلدة لأجل أنهم قذفوا، فإذا كان الحال في واحد من آحاد الصحابة كذلك فكيف الحال مع داود عليه (الصلاة و) السلام!؟ مع أنه كان من أكابر الأنبياء - عليهم (الصلاة و) السلام<sup>(٤)</sup> -.

العاشر: روي أن بعضهم ذكر هذه القصة على ما في كتاب الله، ثم قال: فما ينبغي أن يزداد عليها وإن كانت الواقعة على ما ذكرت ثم إنه تعالى لم يذكرها لسر تلك الواقعة على داود عليه الصلاة والسلام فلا يجوز للعاقل أن يسعى في هتك ستره الله ألف سنة أو أقل أو أكثر فقال عمر<sup>(٥)</sup>: سماعي هذا الكلام أحب إلي مما طلعت عليه الشمس.

(١) اختلف في لفظ هذا الحديث ووصفه فقيل: «اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساوئهم» أخرجه أبو داود في الأدب والترمذي في الجنائز من حديث معاوية بن هشام عن عمران بن أسد المكي عن ابن عمر، وقال الحاكم: إنه صحيح الإسناد وروي التساني من حديث منصور ابن صفية عن أمه قالت: ذكر عند النبي ﷺ - هالك بسوء فقال: لا تذكروا هلكاكم إلا بخير. وانظر هذا كله في المقاصد الحسنة ٤٦ و٤٧.

(٢) في ب يستحق. (٣) الرازي ١٩٢/٢٦.

(٤) وانظر هذا كله في حديث الرازي في المرجع السابق.

(٥) لم ينص الرازي ولا المؤلف فيما سبق على عمر هذا ولم يشر إليه. والخبر يفيد أن ذلك البعض الذي =

فثبت بهذه الوجوه التي ذكرناها أن القصة التي ذكروها باطلة فاسدة. فإن قال قائل: إن كثيراً من أكابر المحدثين المفسرين ذكروا هذه القصة فكيف الحال فيها؟!.

فالجواب الحقيقي: أنه لما وقع التعارض بين الدلائل القاطعة وبين خبر (كل)<sup>(١)</sup> واحد من أخبار الأحاد كان الرجوع إلى الدلائل القاطعة أولى. وأيضاً فالأصل براءة الذمة، وأيضاً فلما تعارض ذكر التحريم والتحليل كان جانب التحريم أولى، وأيضاً طريقة الاحتياط توجب ترجيح قولنا، وأيضاً فنحن نعلم بالضرورة أن بتقدير (وقوع)<sup>(٢)</sup> هذه الواقعة لا يقول لنا الله يوم القيامة لِمَ لَمْ تَسْعَوْا فِي تَشْهِيرِ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ أَمَا بِتَقْدِيرِ كَوْنِهَا بَاطِلَةً فَإِنَّهُ يُوجِبُ أَنْ لَا تَجُوزَ الشَّهَادَةُ بِهَا، وأيضاً كل المفسرين لم يتفقوا على هذا القول، بل الأكثرون والمحققون يردونه ويحكمون عليه بالكذب، وإذا تعارضت أقوال المفسرين والمحدثين تساقطت وبقِيَ الرجوع فيه إلى الدلائل التي ذكرناها.

الاحتمال الثاني أن نحمل هذه القصة على حُصُولِ الصَّغِيرَةِ لَا عَلَى حُصُولِ الْكَبِيرَةِ وذلك من وجوه:

**الأول:** أن هذه المرأة خطبها «أوريا» فأجابوه، ثم خطبها داود فأثره أهلها فكان ذنبه أن حَظَبَ عَلَى خَطْبَتِهِ أَخِيهِ الْمُؤْمِنَ مَعَ كَثْرَةِ نِسَائِهِ.

**الثاني:** قالوا إنه وقع بصره عليها فمال قلبه إليها وليس له في هذا ذنب أَلَيْتَهُ، أما وقوع بصره عليها من غير قصد فليس بذنب، وأما حصول الميل عقيب النظر فليس أيضاً ذنباً، لأن الميل ليس في وسعه فلا يكون مكلفاً به بل لما اتفق أنه قتل زوجها لأجل أنه طمع في أن يتزوج بتلك المرأة فَحَصَلَتْ<sup>(٣)</sup> بسبب هذا المعنى وهو أنه لم يشق عليه قتل ذلك الرجل.

**والثالث:** أنه كان أهل زمان داود عليه (الصلاة و) السلام يسأل بعضهم بعضاً أن يطلق زوجته حتى يتزوجها وكانت عاداتهم مألوفة مفهومة<sup>(٤)</sup> في هذا المعنى فاتفق أن عين داود (عليه السلام)<sup>(٥)</sup> وقعت على تلك المرأة فأحبها فسألوه النزول فاستحيا أن يرده ففعل وهي أم سليمان فقيل له هذا وإن كان جائزاً في ظاهر الشريعة إلا أنه لا يليق بك فإن حسان الأبرار سيئات المقربين. فهذه وجوه ثلاثة لو حملنا هذه القصة على واحد منها لم يلزم في حق داود عليه (الصلاة و) السلام إلا ترك الأفضل، والأولى.

الاحتمال الثالث<sup>(٦)</sup>: أن نحمل هذه القصة على وجه لا يلزم منه إيجاب كبيرة ولا

= حكى القول العاشر حكى القصة أمام شخص اسمه عمر فقال هذه الكلمة ولا يدري أهو عمر بن الخطاب أم ابن عبد العزيز أم شخص غيرهما؟ ولعله سقط بيان ذلك من النسخ أو المطبعة.

(١) زيادة من «أ» على «ب» والرازي.

(٢) سقط من ب وانظر: الرازي ٢٦/١٩٢.

(٣) في الرازي: فصلت إثرلة بسبب هذا المعنى. (٤) في ب: معهودة وفي الرازي معروفة.

(٥) سقطت من ب.

(٦) في ب: السادس خطأ.

صغيرة لداود عليه (الصلاة و) السلام بل يوجب إلحاق أعظم أنواع المدح والثناء به وهو أن نقول: روي أن جماعة من الأعداء طمعوا أن يقتلوا داود - عليه (الصلاة و) السلام - وكان له يوم يخلو فيه بنفسه ويشغل بطاعة ربه، فانتهزوا الفرصة في ذلك اليوم وتسوروا المحراب فلما دخلوا عليه وجدوا عنده أقواماً يمنعهم<sup>(١)</sup> منه فخافوا ووضعوا<sup>(٢)</sup> كذباً وقالوا خضمان بغى بعضنا على بعض إلى آخر القصة. وليس في لفظ القرآن ما يمكن أن يحتج به في إلحاق الذنب بداود عليه (الصلاة و) السلام إلا ألفاظ أربعة:

أحدها: قوله: «وَوَظَّنَّ دَاوُدُ أَنَّ مَا فَتَنَاهُ».

وثانيها: قوله: «فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا».

وثالثها: «وَأَنَابَ».

ورابعها: قوله: «فَعَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ». ثم نقول: هذه الألفاظ لا يدل شيء منها على ما ذكروه من وجوه:

الأول: أنهم لما دخلوا عليه لطلب قتله بهذا الطريق وعلم داود عليه السلام دعاه<sup>(٣)</sup> الغضب إلى أن يشتغل بالانتقام منهم أي أنه مال إلى الصَّفْح والتجاوز عنهم طلباً لمرضاة الله تعالى فكانت هي<sup>(٤)</sup> الفتنة لأنها جارية مجرى الابتلاء والامتحان ثم إنَّه استغفر ربه مما همَّ به من الانتقام منهم وتاب عن ذلك الهمَّ وَأَنَابَ فغفر له ذلك القدر من الهمِّ والعزم.

الثاني: أنه وإن غلب على ظنه أنهم دخلوا عليه ليقتلوه إلا أنه ندم على ذلك الظن وقال: لَمَّا لَمْ تَقْمِ دَلَالَةً وَلَا أَمَارَةً عَلَى أَنْ الْأَمْرَ كَذَلِكَ فَلَيْسَ<sup>(٥)</sup> مَا عَمِلْتُ حَيْثُ ظَنَنْتُ فِيهِمْ هَذَا الظن الرديء فكان هذا هو المراد من قوله: «وَوَظَّنَّ دَاوُدُ أَنَّ مَا فَتَنَاهُ» ثم إنه استغفر ربه وَأَنَابَ منه فغفر الله له ذلك.

الثالث: دخولهم عليه كان فتنة لداود - عليه (الصلاة و) السلام - إلا أنه عليه (الصلاة و) السلام استغفر لذلك العازم<sup>(٦)</sup> على قتله كقوله في حق محمد - ﷺ -: «وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ» [محمد: ١٩] فداود (عليه السلام)<sup>(٧)</sup> استغفر لهم، وأَنَابَ أي رجع إلى الله تعالى في طلب المغفرة لذلك الرجل الداخل القاصد القتل<sup>(٨)</sup>، وقوله: «فَعَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ» أي فَعَفَرْنَا ذلك الذنب لأجل احترام داود وتعظيمه كما قال بعض المفسرين في قوله تعالى: «لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ» [الفتح: ٢] إن معناه: إن الله يغفر لك ولأجلك ما تقدم من ذنب أمثك.

- (١) كذا؛ وفي الرازي يمنعونه منهم.  
 (٢) في ب: ووصفوا.  
 (٣) في ب: داعاه.  
 (٤) أي الواقعة وفي ب بدلاً من هي «من».  
 (٥) كذا في النسختين وفي الرازي: فيسما علمت بهم.  
 (٦) كذا في «أ» والرازي وفي ب: العزم.  
 (٧) ما بين القوسين سقط من ب.  
 (٨) كذا في ب و «أ». وفي الرازي للقتل.

الرابع: أنه عاتب داود عليه السلام عن زلّة صدرت منه لكن لا نسلم أن تلك الزلّة<sup>(١)</sup> وقعت بسبب المرأة. ولم لا يجوز أن يقال: إن تلك الزلّة إنما حصلت لأنه قضى لأحد الخصمين قبل أن يسمع كلام الخصم الثاني لأنه لما قال: «لقد ظلمك بسؤال نعتك» حكم عليه بكونه ظالماً بمجرد دعوة الخصم بلا بينة فيكون هذا الحكم مخالفاً للصواب. فعند هذا اشتغل بالاستغفار والتوبة إلا أن هذا من باب ترك الأفضل والأولى<sup>(٢)</sup> فثبت بهذه البيانات أنها إذا حَمَلْنَا هذه الآيات على هذا الوجه فإنه لا يلزم إسناد شيء من الذنوب إلى داود - عليه (الصلاة و) السلام - بل ذلك يوجب إسناد أعظم الطّاعَاتِ إليه. ثم نقول: وحمل الآية عليه أولى لوجوه:

الأول: أن الأصل في حال المسلم البعد عن المناهي لا سيما وهو رجل من أكابر الأنبياء والرسل.

الثاني: أنه أحوط<sup>(٣)</sup>.

الثالث: أنه تعالى قال في أول الآية لمحمد (ﷺ)<sup>(٤)</sup>: «اضْبِرْ عَلَيَّ مَا يَقُولُونَ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ» فإن قوم محمد - ﷺ - لما أظهروا السفاهة حيث قالوا: إنه ساحرٌ كذاب، واستهزأوا به حيث قالوا: ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب، فقال تعالى في أول الآية: اصبر على ما يقولون يا محمد وعلى سفاهتهم وتحمل ولا تظهر الغضب واذكر عبدنا داود فهذا الذكر إنما يحسن إذا كان داود عليه السلام قد صبر على أذاهم وتحمل سفاهتهم وحلّم ولم يظهر الطيش والغضب وهذا المعنى إنما يحصل إذا حملنا الآية على ما ذكرناه. أما إذا حملنا الآية على ما ذكره صار الكلام متناقضاً.

الرابع: أن تلك الرواية إنما تتمشى<sup>(٥)</sup> إذا قلنا: إن الخصمَيْنِ كانا ملكين وإذا كانا ملكين ولم يكن بينهما مخاصمة ولم يبع أحدهما على الآخر كان قولهما: «خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَيَّ بَعْضٍ» كذب. فهذه الرواية لا تتم إلا بشيئين<sup>(٦)</sup>: أحدهما: إسناد الكذب إلى الملائكة.

والثاني: إسناد أفحش القبائح إلى رجل كبير من أكابر الأنبياء وأما إذا حملنا الآية على ما ذكرنا استغنيا عن إسناد الكذب إلى الملائكة وعن إسناد القبيح إلى الأنبياء، فكان قولنا أولى<sup>(٧)</sup>.

(١) في ب المزة.

(٢) انظر: الرازي ١٩٣/٢٦ و ١٩٤.

(٣) في ب أحول خطأ.

(٤) في ب: بسبين لا بشيئين.

(٥) وانظر تفسير الرازي ١٩٤/٢٦.

(٦) هذه الجملة الدعائية سقطت من ب.

## فصل

قال المفسرون قوله: وَعَزَّنِي (في الخطاب) أي قهرني وغلبني «في الخطاب» أي في القول. قال الضحاك يقول: إن تكلم كان أفصح مني، وإن حارب كان أبطش مني وحقيقة المعنى أن الغلبة كانت له فضعفي في يده وإن كان الحق معي فقال داود: «لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجِكَ إِلَى نَعَاجِهِ» أي بسؤاله<sup>(١)</sup> نعجتك ليضمها إلى نعاجه<sup>(٢)</sup>.

فإن قيل: كيف قال: لقد ظلمك بسؤال نعجتك ولم يكن سمع قول صاحبه؟! .

فالجواب: قيل: إن معناه إن كان الأمر كما تقول فقد ظلمك<sup>(٣)</sup>، قال ابن إسحاق:

لما فرغ الخصم الأول من كلامه نظر داود إلى الخصم الذي لم يتكلم وقال: «لَيْتَنَ<sup>(٤)</sup> صَدَقَ لَقَدْ ظَلَمَهُ»<sup>(٥)</sup>.

وقال ابن الأنباري<sup>(٦)</sup>: لما ادعى أحد الخصمين اعترف الثاني فحكم داود عليه

ولم يذكر الله ذلك الاعتراف لدلالة الكلام<sup>(٧)</sup> عليه. وقيل التقدير: إن الخصم الذي هذا شأنه قد<sup>(٨)</sup> ظلمك ثم قال: «وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ».

قال الليث: خَلِيطُ الرَّجُلِ مُخَالِطُهُ<sup>(٩)</sup>، وقال الزجاج: الخلاء: الشركاء<sup>(١٠)</sup>.

فإن قيل: لم خص الخلاء ببغي بعضهم على بعض مع أن غير الخلاء يفعلون ذلك؟

فالجواب: أن المخالطة توجب كثرة المنازعة والمخاصمة لأنهما إذا اختلطا اطلع

كل واحد منهما على أحوال الآخر فكل ما يملكه من الأشياء النفيسة إذا اطلع عليه

عظمت رغبته فيه فيُفْضِي ذلك إلى زيادة المخاصمة والمنازعة فلهذا خص داود - عليه

(الصلاة و) السلام الخلاء بزيادة البغي والعُدْوَانِ<sup>(١١)</sup>. ثم استثنى عن هذا الحكم الذين آمنوا وعملوا الصالحات لأن مخالطة هؤلاء لا تكون لأجل الدين. وهذا استثناء متصل من قوله: «بَعْضُهُمْ»<sup>(١٢)</sup>.

قوله: «وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ» خبر مقدم و «ما» مزيدة للتعظيم. و «هم» مبتدأ<sup>(١٣)</sup>.

(١) في ب سؤال (٢) قاله البغوي في معالم التنزيل ٤٧/٦ و ٤٨.

(٣) السابق (٤) ما بين القوسين كله ساقط من ب.

(٥) الرازي ١٩٧/٢٦.

(٦) هو محمد بن القاسم بن بشار الأنباري أبو بكر كان من أكرم الناس وأفضلهم في نحو الكوفيين له تصانيف كثيرة منها: الأضداد، والمذكر والمؤنث، والهاءات. وكان ثقة صدوقاً، من أهل السنة وألف كتباً كثيرة في علوم القرآن والحديث، والنحو. مات سنة ٣٢٨هـ، انظر: نزهة الألباء ١٧٨: ١٨٥.

(٧) الرازي السابق (٨) في ب فقد وهذا رأي للرازي المرجع السابق.

(٩) اللسان ١٢٢٩ و ١٢٣٠. (١٠) معاني القرآن ٤/٣٢٧.

(١١) في ب والعداوة. وانظر: الرازي المرجع السابق.

(١٢) و (١٣) انظر: التبيان ١٠٩٩ والبيان ٣١٤/٢ والدر المصون ٤/٦٠٣.

قال الزمخشري: و «ما» في قوله: «قَلِيلٌ مَا هُمْ» للإيهام وفيه تعجب من قلتهم.  
قال: فإن أردت أن تتحقق فائدتها وموقعها فاطرحها من قول امرئ القيس:

٤٢٦٦ - وَحَدِيثٌ مَا عَلَى قَضْرِهِ<sup>(١)</sup>

وانظر هل بقي لها معنى قط<sup>(٢)</sup>؟ «وَوَظَنَ دَاوُدُ أَنَّ مَا فَتَنَاهُ» أي امتحناه، قرأ العامة فَتَنَاهُ بالتخفيف وإسناده إلى ضمير المتكلم المعظم نفسه، وعمر بن الخطاب والحسن وأبو رجاء فَتَنَاهُ بتشديد التاء. وهي مبالغة<sup>(٣)</sup>. وقرأ الضحّاك: أَفْتَنَاهُ<sup>(٤)</sup>، يقال: فَتَنَهُ وَأَفْتَنَهُ أَي حَمَلَهُ عَلَى الْفِتْنَةِ وَمَنَهُ:

٤٢٦٧ - لَيْسَ فَتَنَتْنِي لَهِيَ بِالْأَمْسِ أَفْتَنَتْ .....<sup>(٥)</sup>

وقرأ قتادة وأبو عمرو - في رواية - فَتَنَاهُ<sup>(٦)</sup> بالتخفيف وَفْتَنَاهُ<sup>(٧)</sup> بالتشديد، والألف ضمير<sup>(٨)</sup> الخصمين، و «راكعاً» حال مقدرة، قاله أبو البقاء<sup>(٩)</sup>، وفيه نظر لظهور المُقَارَنَةِ.

## فصل

قال المفسرون: إن الظن ههنا بمعنى العلم؛ لأن داود عليه (الصلاة و) السلام لما قضى بينهما نظر أحدهما إلى صاحبه فضحك، ثم صعد إلى السماء قبل وجهه فعلم داود أن الله ابتلاءً بذلك فثبت أن داود علم بذلك. وإنما جاز حمل لفظ الظن على العلم، لأن العلم الاستدلالي يشبه الظن مشابهة عظيمة والمشابهة علة لجواز المجاز. قال ابن

(١) تقدم هذا القول في البيت وما فيه.

(٢) كشافه ٣/ ٣٧١. ولقد سبق للزمخشري في قوله: جند ما هنالك أن جعل «ما» مزيدة وفيها معنى الاستعظام إلا أنه على سبيل الهزء وهنا قال قوله هذا بأن ما للإيهام وفيه تعجب فهو يريد الزيادة التي تحمل معنى لانقاً ومفيداً كما أفاد بذلك قوله.

(٣) المرجع السابق وقد ذكرها ابن جني في المحتسب ٢/ ٢٣٢ وابن خالويه في المختصر ١٣٠ وهي من الشواذ غير المتواترة.

(٤) شاذة كسابقتها قال بها الزمخشري في مرجعه السابق بدون نسبة وقد نسبها أبو حيان والسمين إلى الضحّاك. انظر: البحر ٧/ ٣٩٣ والدر المصون ٤/ ٦٠٣.

(٥) صدر بيت من الطويل مختلف في قائل: فمن قائل: إنه لأعشى همدان ومن قائل: أنه لابن قيس وتمامه:

سعيداً فأمسى قد قلبي كل مسلم

ويراد بسعيد ابن جبير أحد التابعين. وشاهده استواء (فتن وأفتن) ثلاثياً ورباعياً لمعنى واحد. ويقال: إن فتن لغة الحجاز والثاني: نجد، وقد تقدم.

(٦) حاءت في الإتحاف ٣٧٢ والسبعة ٥٥٣ والمحتسب ٢/ ٢٣٢ ومختصر ابن خالويه ١٣٠ وهي سبعة متواترة.

(٧) لم تتواتر هذه القراءة وجاء بها الزمخشري في الكشاف ٣/ ٣٧١ والسمين في الدر ٤/ ٤٠٣.

(٨) في قراءة فتناه التخفيفية. (٩) التبيان ١٠٩٩.

الخطيب: هذا الكلام إنما يلزم إذا قلنا الخصمان كانا ملكين إما إذا لم يُقَلْ ذلك لا يلزمنا حمل الظن على العلم بل لقائل أن يقول: إنه لَمَّا غَلَبَ على ظنه حصول الابتلاء من الله تعالى اشتغل بالاستغفار والإنابة.

قوله: «فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ» أي سأل الغفران من ربه، ثم ههنا وجهان إن قلنا: إنه صدرت منه زَلَّةٌ حمل هذا الاستغفار عليها وإن لم يُقَلْ به قلنا فيه وجوه:

الأول: أن القوم لما دخلوا عليه قاصدين قتله وإنه كان سلطاناً شديداً القهر عظيم القوة مع القدرة الشديدة على الانتقام ومع محصول<sup>(١)</sup> الفزع في قلبه عفا عنهم ولم يقل لهم شيئاً قَرُبَ الأمر من أن يدخل قلبه<sup>(٢)</sup> شيء من العُجْبِ فاستغفر ربّه من تلك الحالة وأتاب إلى الله، واعترف بأن إقدامه على ذلك الخير ما كان إلا بتوفيق الله فغفر له وتجاوز عنه بسبب طَرَيَانِ ذلك الخاطر.

الثاني: لعله هَمَّ بإيذاء القوم، ثم قال: إنه لم يدل دليل قاطع على أن هؤلاء قصدوا الشر فعفا عنهم ثم استغفر من<sup>(٣)</sup> ذلك الهم.

الثالث: لعل القوم تابوا إلى الله تعالى وطلبوا منه أن يستغفر الله (لهم) ولأجل أن يُقْبَلَ توبتهم فاستغفر وتضرع إلى الله فغفر له توبتهم بسبب شفاعته ودعائه. وهذه كلها وجوه محتملة ظاهرة، والقرآن مملوء من أمثال هذه الوجوه، وإذا كان اللفظ محتملاً لما ذكرناه ولم يقدّم دليل قطعي ولا ظني على التزام ما ذكرناه من المنكرات فما الذي دل عليه التزامه والقول به؟ ويؤيد ما ذكرناه أنه تعالى ختم هذه القصة بقوله: «وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ» ومثل هذه الخاتمة إنما يحصل في حق من صدر عنه امتثال الأوامر في الخدمة والطاعة وتحمل<sup>(٤)</sup> أنواعاً من الشدائد في الموافقة والانقياد.

قوله: «ذَلِكَ» الظاهر أنه مفعول «عَفَرْنَا»<sup>(٥)</sup> وجوز أبو البقاء فيه أن يكون خبر متبداً مضمراً أي الأمرُ ذَلِكَ<sup>(٦)</sup> ولا حاجة<sup>(٧)</sup> إلى هذا. والمشهور أنَّ الاستغفار إنما كان بسبب قصة النَّعْجَةِ، والنُّعَاجِ، وقيل: بسبب أنه حَكَمَ لأحد الخصمين قبل أن يسمع كلام الثاني، وذلك غير جائز.

قوله: «يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ» أي تدبر أمور العباد بأمرنا، واعلم أنه لما تمم الكلام في شرح القصة أردفها ببيان أن الله تعالى فوض إلى داود خلافة الأرض

(١) في ب والرازي: حصول. (٢) في ب فقط عليه.

(٣) في ب والرازي عن ذلك. وانظر تفسير الرازي ١٩٨/٢٦. وفي معنى الظن معاني الزجاج ٣٢٧/٤ والقرطبي ١٧٩٧/١٥ والبغوي والخازن ٤٨/٦.

(٤) في ب ويحمل. (٥) الدر المصون ٦٠٤/٤ والبيان ٣١٥/٢.

(٦) المرجعان السابقان وانظر: التبيان ١٠٩٩.

(٧) في الدر المصون وأي حاجة إلى هذا بطريق الاستضمام.

وهذا من أقوى الدلائل على فساد القول المشهور في القصة لأن من البعيد جداً أن يوصف الرجل بكونه ساعياً في سفك دماء المسلمين رغبة في انتزاع أزواجهم منهم، ثم يذكر عقبيه أن الله فوّض خلافة الأرض إليه. ثم في تفسير كونه خليفة وجهان:

**الأول:** جعلناك تَخْلُفُ من تقدمك من الأنبياء في الدعاء إلى الله تعالى وفي سياسة الناس لأن خليفة الرجل من يخلُفه وذلك إنما يعقل في حق من يصح عليه الغيبة، وذلك على الله محال.

**الثاني:** إنا جعلناك ممكناً في الناس نافذاً<sup>(١)</sup> الحكم فيهم. فبهذا التأويل يسمى خليفة، ومنه يقال خليفة الله في الأرض<sup>(٢)</sup> وحاصله أن خليفة الرجل يكون نافذاً الحكم في رعيته، وحقيقة الخلافة ممنوعة في حق الله تعالى فلما امتنعت الحقيقة جعلت اللفظة (مفيدة)<sup>(٣)</sup> للزوم نفاذ ذلك الحكم في تلك الحقيقة.

قوله: «فَاخُكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ» أي بالعدل لأن الأحكام إذا كانت مطابقةً للشريعة الحقيقية<sup>(٤)</sup> الإلهية انتظمت مصالح العالم واتسعت أبواب الخيرات، وإذا كانت الأحكام على وفق الأهوية وتحصيل مقاصد الأنفس أفضى إلى تخريب العالم ووقوع الهَرَجِ والمَرَجِ في الخلق وذلك يُفْضِي إلى هلاك ذلك الحاكم ولهذا قال: «وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ»، لأن متابعة الهوى توجب الضلال عن سبيل الله، والضلال عن سبيل الله يوجب سوء العذاب<sup>(٥)</sup>.

قوله: «فِيضِلُّكَ» فيه وجهان:

أظهرهما: أنه منصوب في جواب النهي<sup>(٦)</sup>.

**الثاني:** أنه عطف على «لَا تَتَّبِعْ» فهو مجزوم<sup>(٧)</sup>، وإنما فتحت اللام لالتقاء الساكنين. وهو نهى عن كل واحدة على حدته<sup>(٨)</sup>، والأول<sup>(٩)</sup> فيه النهي عن الجمع بينهما<sup>(١٠)</sup> وقد يترجح الثاني<sup>(١١)</sup> لهذا المعنى، وقد تقدم تقرير ذلك في البقرة في قوله: ﴿وَتَكْفُرُوا بِالْحَقِّ﴾<sup>(١٢)</sup> [البقرة: ٤٢].

(١) في ب تأخذ.

(٢) في الرازي خلفاء الله في أرضه وانظر الرازي ١٦/١٩٨ و ١٩٩.

(٣) سقطت من ب.

(٤) انظر: الفخر الرازي ٢٦/١٩٩ و ٢٠٠.

(٥) فتكون الفاء للسببية و «أن» مضمرة وجوباً.

(٦) وقال بهذين الوجهين أبو البقاء العكبري في التبيان ١٠٩٩ والسمين في الدر ٤/٦٠٤.

(٧) عن كل واحد على عدم الإتيان به وعنهما مطلقاً.

(٨) في ب والأولى تحريف.

(٩) كالعبارة المشهورة لا تأكل السمك وتشرب اللبن.

(١٠) وهو الجزم.

(١١) ولم يزد هناك على ما قاله سوى أن الآية هناك بواو المعية وهنا بفاء السببية.

وفاعل «فيضلك» يجوز أن يكون الهوى، ويجوز أن يكون ضمير المصدر المقهوم من الفعل أي فيضلك اتبأع الهوى<sup>(١)</sup>.

قوله: «إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ» قرأ العامة بفتح ياء يضلون. وقرأ ابن عباس والحسن وأبو حيوة بضمها أي يُضِلُّونَ<sup>(٢)</sup> الناس وهي مستلزمة للقراءة الأولى فإنه لا يُضِلُّ غيره إلا ضال بخلاف العكس.

قوله: «يَمَا نَسُوا» ما مصدرية<sup>(٣)</sup>، والجار يتعلق<sup>(٤)</sup> بالاستقرار الذي تضمنه «لهم»<sup>(٥)</sup>، و «لَهُمْ عَذَابٌ» يجوز أن يكون جملة خبراً لـ «إِنَّ»<sup>(٦)</sup>، ويجوز أن يكون الخبر وحده الجار، و «عَذَابٌ» فاعل به وهو الأحس لقربه من المفرد<sup>(٧)</sup>.

### فصل

قيل: معناه بما تركوا الإيمان بيوم الحساب. وقال الزجاج: بتركهم العمل لذلك اليوم، وقال عكرمة والسدي: في الآية تقديم وتأخير تقديره لهم عذاب شديد يوم الحساب بما نسوا أي تركوا القضاء بالعدل<sup>(٨)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ (٢٧) **﴿أَمْ يَحْمِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ يُحْمَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾** (٢٨) **﴿كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾** (٢٩)

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾ قال ابن عباس: أي لا شواب ولا لعقاب<sup>(٩)</sup>، اختجَّ الجبائي بهذه الآية على أنه تعالى لا يجوز أن يكون خالقاً لأعمال العباد قال: لأنها مشتملة على الكفر والفسق وكلها باطل فلما بين تعالى أنه ما خلق السماء والأرض وما بينهما باطلاً دل هذا على أنه لم يخلق أعمال العباد.

(وأيضاً<sup>(١٠)</sup>) قوله تعالى: ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾. وعند المُجْبِرَةِ أنه خلق الكافر لأجل أن يكفر والكفر باطل، فقد خلق الباطل، ثم أكد تعالى

(١) البحر المحيط ٣٩٥/٧ والدر المصون ٦٠٤/٤.

(٢) من القراءات الشاذة. انظر: المرجع السابق وانظر: مختصر ابن خالويه ١٣٠.

(٣) البحر المحيط ٣٩٥/٧ والدر المصون ٦٠٤/٤.

(٤) في ب متعلق. (٥) المرجعان السابقان.

(٦) من قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

(٧) وانظر الدر المصون ٦٠٤/٤.

(٨) انظر: زاد المسير ١٢٤/٧ والقرطبي ١٨٩/١٥ ومعاني القرآن وإعراجه للزجاج ٣٢٩/٤.

(٩) معالم التنزيل للبيهقي ٥٤/٦. (١٠) ما بين القوسين سقط من ب بسبب انتقال النظر.

ذلك بأن قال: «ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا» أي كل من قال بهذا القول فهو كافر فهذا تصريح بأن مذهب المُجْبِرَةِ من الكفر. واحتج أهل السنة بأن هذه الآية تدل على أنه تعالى خلق أعمال العباد لأن الآية دلت على أنه تعالى خلق ما بين السماء والأرض وأعمال العباد مما<sup>(١)</sup> بين السماء والأرض فوجب أن يكون تعالى خالقاً لها.

## فصل (٢)

دلت الآية على صحة القول بالحشر والنشر لأنه تعالى لما خلق الخلق في هذا العالم فيما أن يكون خلقهم للإضرار أو الانتفاع، أو لا شيء، والأول باطل، لأن ذلك لا يليق بالرحيم الكريم، والثالث أيضاً باطل؛ لأن هذه الحالة حاصلة حين كانوا معدومين، فلم يبق إلا أن يقال: خلقهم للانتفاع فذلك الانتفاع إما أن يكون في حياة الدنيا أو في حياة الآخرة، والأول باطل لأن منافع الدنيا قليلة ومضارها كثيرة وتحمل الضرر الكثير لوجدان المنفعة القليلة لا يليق<sup>(٢)</sup> بالحكمة، ولما بطل هذا القول ثبت القول بوجود حياة أخرى بعد هذه الحياة، وذلك هو القول بالحشر والنشر والقيامة.

قوله: «بَاطِلًا» يجوز أن يكون نعتاً لمصدر محذوف أو<sup>(٤)</sup> حالاً من ضمير أي خلقاً باطلاً، ويجوز أن يكون حالاً من فاعل «خَلَقْنَا» أي مُبْطِلِينَ، أو ذَوِي بَاطِلٍ، ويجوز أن يكون مفعولاً من أجله أي لِلْبَاطِلِ<sup>(٥)</sup>، وهو العَبَثُ.

قوله: «ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا» يعني أهل مكة هم الذين ظنوا أنهم خلقوا لغير شيء وأنه لا بعث ولا حساب «قَوْلِيلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ».

قوله: «أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ» أم في الموضوعين منقطعة<sup>(٦)</sup>، وقد تقدم ما فيها. قال مقاتل: قال كفار قريش للمؤمنين: إنا نُعْطَى في الآخرة من الخير ما نُعْطَوْنَ فنزلت هذه الآية: «أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ» أي المؤمنين كالكفار، قيل: أراد بالمتقين أصحاب النبي<sup>(٧)</sup> - ﷺ<sup>(٨)</sup> -.

قوله: «كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ» يجوز أن يكون «كتاب» خبر مبتدأ مضمرة، أي<sup>(٩)</sup> هذا كتاب

(١) في ب: ما. (٢) في ب بياض بدل «فصل».

(٣) في ب: تليق. (٤) في ب: أي.

(٥) ذكر هذه الأوجه أبو حيان في البحر ٣٩٥/٧ والسَّمِين في الدر المصون ٦٠٤/٤ وانظر: التبيان ١١٠٠ والكشاف ٣/٣٧٢.

(٦) التبيان ١١٠٠ والكشاف ٣/٣٧٢ ومجاز القرآن ١٨١/٢ والدر المصون ٦٠٤/٤. ومعنى المنقطعة التي لا يفارقها الإضراب، ثم تاره تكون له مجرداً، وتارة تتضمن مع ذلك استفهاماً إنكارياً أو طلبياً، والآية التي معنا متضمنة الاستفهام الإنكاري.

(٧) البغوي ٦/٥٤.

(٨) في ب: - عليه الصلاة والسلام -.. (٩) البحر المحيط ٣٩٥/٧ والدر المصون ٦٠٥/٤.

و «أَنْزَلْنَاهُ»<sup>(١)</sup> و «مبارك» خبر مبتدأ مضمرة أو خبر ثان<sup>(٢)</sup>. ولا يجوز أن يكون نعتاً ثانياً لأنه لا يتقدم عند الجمهور غير الصريح<sup>(٣)</sup> على الصريح<sup>(٤)</sup>، ومن يرى ذلك استدل بظاهرها<sup>(٥)</sup>. وقد تقدم تحرير هذا في المائدة.

قوله: «لِيَتَذَكَّرُوا» متعلق ب«أَنْزَلْنَاهُ»<sup>(٦)</sup> وقرئ: مباركاً على الحال اللازمة<sup>(٧)</sup>، لأن البركة لا تفارقه وقرأ علي - رضي الله عنه - لِيَتَذَكَّرُوا<sup>(٨)</sup>، وهي أصل قراءة العامة، فأدغمت<sup>(٩)</sup> التاء في الدال، وأبو جعفر وزويت عن عاصم والكسائي لِيَتَذَكَّرُوا<sup>(١٠)</sup> بناء الخطاب وتخفيف الدال، وأصلها لتدبروا<sup>(١١)</sup> بتاءين فحذفت إحداهما، وفيها الخلاف المشهور هل هي الأولى أو الثانية، قال الحسن: تدبروا آياته (أتباعه)<sup>(١٢)</sup> «وليتذكروا» ليتعظ أولو الأبواب أي العقول.

قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾<sup>(٣٠)</sup> إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِيَتِ الْعِيَادُ<sup>(٣١)</sup> فَقَالَ إِنْ أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَّتْ بِالْحِجَابِ<sup>(٣٢)</sup> رُدُّهَا عَلَيَّ فَطْفِقْ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ<sup>(٣٣)</sup> وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ<sup>(٣٤)</sup> قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مَلَكًا لَا يُبَغَى لِي أَحَدٌ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ<sup>(٣٥)</sup> فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُحَاءً حَيْثُ أَصَابَ<sup>(٣٦)</sup> وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بِنَاءٍ وَعَوَاصٍ<sup>(٣٧)</sup> وَأَخْرَيْنَ مُقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ<sup>(٣٨)</sup> هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ<sup>(٣٩)</sup> وَإِن لَّمْ عِنْدَنَا لُزْفٌ وَمَنْ مَنَابٍ<sup>(٤٠)</sup>

(قوله)<sup>(١٣)</sup>: «وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ» المخصوص بالمدح محذوف أي نعم العبد سليمان، وقيل: داود؛ لأنه وصفه بهذا المعنى وقد تقدم حيث قال: «داود ذا الأيد إنه أواب». والأول أظهر<sup>(١٤)</sup> لأنه هو المسوق للحديث عنه، وقرئ: بكسر العين<sup>(١٥)</sup> وهي الأصل كقوله:

(١) السابقان والبيان ١١٠٠.

(٢) الدر المصون ٦٠٥/٤ وقد جعل أبو حيان وأبو البقاء «مبارك» بالرفع على تجويز الصفة الثانية.

(٣) وهو «أنزلناه».

(٤) وهو مبارك.

(٥) الدر المرجع السابق.

(٦) السابق.

(٧) لم تنسب في البحر ٣٩٥/٧ والكشاف ٣٧٢/٣ ونسبت في الشواذ إلى ابن عمير. الشواذ ٢٠٨.

(٨) من الشواذ. انظر ابن خالويه ١٣٠.

(٩) في ب: وأدغمت.

(١٠) من المتواترة السبعة. الإتحاف ٣٧٣ والسبعة ٥٣٣.

(١١) ما بين القوسين سقط من ب وانظر: البيهقي ٥٤/٦.

(١٢) سقط من ب.

(١٣) البيان ٣١٥/٢ والبيان ١١٠٠ والدر المصون ٦٠٥/٤ والبحر المحيط ٣٩٦/٧ ومعاني القرآن وإعرابه

للزجاج ٣٣٠/٤.

(١٤) قال ابن خالويه: فتمع عقبى الدار (الوعد آية ٢٤) يحيى بن وثاب. المختصر ٦٦ و ٦٧، وكذلك نعم

العبد إنه أواب.

٤٢٦٨ - ..... نِعَمَ السَّاعُونَ فِي الْقَوْمِ فِي الْقَوْمِ الشُّطْرِ (١)

### فصل

قوله: «إِنَّهُ أَوَّابٌ» يدل على أنه كان نعم العبد لأنه كان أواباً؛ أي كثير الرجوع إلى الله في أكثر أوقاته ومهماتة.

قوله: «إِذْ عُرِضَ» في ناصبه أوجه:

أحدها: «نِعْمٌ»: وهو (٢) أضعفها؛ لأنه لا يتقيد مدحه بوَقْتِ، (و) (٣) لعدم تصرف «نِعْمٍ». قال ابن الخطيب: التقدير نعم العبد إِذْ كَانَ من أعماله أَنَّهُ فَعَلَ كَذَا (٤).

الثاني: «أواب» وفيه تقييد وصفه بذلك بهذا الوقت.

والثالث: اذكر (٥) مقدرًا، وهو أسلمها (٦).

والعَشِيُّ من العصر إلى آخر النهار. وَالصَّافِنَاتُ جمع صَافِن، وفيه خلاف بين أهل اللغة فقال الزجاج: هو الذي يقف على إحدى يديه ويقف على طرف سنكه (٧)، وقد يفعل ذلك بإحدى رجليه (٨) قال وعي علامة (٩) الفراهة وأنشد:

٤٢٦٩ - أَلِفَ الصُّفُونَ فَلَا يَزَالُ كَأَنَّهُ مِمَّا يَقُومُ عَلَى الثَّلَاثِ كَسِيرًا (١٠)

(١) عجز بيت من الرمل لطرفة صدره:

مَا أَقَلَّتْ قَدَمِ نَاعِلِهَا

وجاء في المقتضب صدره هكذا:

مَا أَقَلَّتْ قَدَمِي إِنْهُمْ

ورواية اللديوان:

خَالَتِي وَالنَّفْسُ قَدَمًا إِنْهُمْ

ويروى صدره:

مَا أَقَلَّتْ قَدَمَايَ إِنْهُمْ

والشُّطْرُ جمع شطير وهو الغريب. وشاهده استعمال نعم بفتح وكسر على الأصل. أقول وكسرهما لغة هذيل. انظر: الكتاب ٢/٤٤٠ والخزانة ٩/٣٧٦ وابن عطية ٢/٢٥٦ والبحر المحيط ٧/٢٩٦ واللديوان ٥٨، والمحتسب ١/٣٤٢ و ٣٠٧ والإنصاف ١٢٢ والمفصل ٧/١٢٧.

(٢) التبيان ١١٠٠ والسمين ٤/٦٠٦. (٣) الواو سقطت من ب.

(٤) الرازي ٢٦/٢٠٣. (٥) في ب: ذكر.

(٦) وفيها: أسلمنا. وانظر في الإعراب: التبيان ١١٠٠ والرازي السابق.

(٧) وهو طرف الحافر. (٨) معاني القرآن وإعرابه له ٤/٣٣٠.

(٩) لم أجد هذه الجملة في كتابه ذلك.

(١٠) من الكامل وهو مجهول القائل. وأنشده ابن الأعرابي كما في اللسان: «صَفَا نَهَ ٢٤٦٧ وما في

«مما» اسم موصول أي من النوع الذي يقوم على ثلاث، و «كسيرا» حال. ومن قائل: إن ما مصدرية

أي من قيامه. وقيل: إنها نكرة تامة أي من ذلك الجنس الذي يقوم على هذه الصفة. وانظر: معاني

الزجاج ٤/٣٣٠ والقرطبي ١٥/١٩٣. والاستشهاد بالبيت على أن الصَّافِن هو الذي يقف على تلك

الهيئة ذكرت أعلى.

وقيل: هو الذي يجمع بين يديه ويسويهما، وأما الذي يقف على سنبيه فاسمه المَخِيم<sup>(١)</sup>، قاله أبو عبيد<sup>(٢)</sup>.

وقيل: هو القائم مطلقاً أي سواء كان من الخيل، أو من غيرها، قاله القُتَيْبِيُّ<sup>(٣)</sup>. واستدل (بحديث) وبقوله عليه (الصلاة و) السلام «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقُومَ النَّاسُ لَهُ صُفُونًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»<sup>(٤)</sup> أي يديمون له القيام. وحكاه قطرب<sup>(٥)</sup> أيضاً. وجاء في الحديث «قُمْنَا صُفُونًا»<sup>(٦)</sup> أي صافين أقدامنا، وقيل: هو القيام مطلقاً سواء وقفت على طرف سنبك أم لا، قال الفراء: على هذا رأيت أشعارَ العرب<sup>(٧)</sup>، وقال النابغة:

٤٢٧٠ - لَنَا قَبَّةٌ مَضْرُوبَةٌ بِفَنَائِهَا عِتَاقَ الْمَهَارَى وَالْحِجَادَ الصَّوْفَانَ<sup>(٨)</sup>

والحجباد إما من الجودة، يقال: جَادَ الفرسُ يَجُودُ جَوْدَةً وَجُودَةً بالفتح والضم فهو جَوَادٌ، وللذكر والأنثى. والجمع جِيَادٌ وَأَجْوَادٌ، وأجاويد، وقيل: جمع لَجُودٍ بالفتح كَثُوبٍ وَثِيَابٍ. وقيل: جمع جَيْدٍ. وإما من الجِيدِ وهو العُنُقُ، والممنى: طويلة الأعناق الأحياد. وهو دال على فرائهتها<sup>(٩)</sup>.

قوله: «حُبُّ الْخَيْرِ» فيه أوجه:

أحدها: هو مفعول أحببت لأنه بمعنى آثرت<sup>(١٠)</sup>، و«عن» على هذا بمعنى «على» أي على ذكر ربي، لأنه روي أن عرض الخيل حتى شغلته عن صلاة العصر أول الوقت حتى غربت الشمس.

وقال أبو حيان - وكأنه منقول عن الفراء -: إنه ضمن «أَحْبَبْتُ» معنى آثرتُ، حيث نصب «حب الخير» مفعولاً (به)<sup>(١١)</sup>. وفيه نظر؛ لأنه متعدد بنفسه وإنما يحتاج إلى التضمين إن لم يكن مُتَعَدِّياً<sup>(١٢)</sup>.

(١) طرف مقدم الحافر من الفرس. وانظر السمين ٦٠٦/٤.

(٢) كذا في النسختين والدر المصون وقد نسب هذا الرأي لأبي عبيدة في البحر ٣٨٨/٧ وهو ما في المجاز ١٨٢/٢ مع اختلاف يسير في العبارة.

(٣) وهو ابن قتيبة نسب إلى الاسم المركب الإضافي. وانظر الغريب ٣٧٩.

(٤) السابق وانظر القرطبي ١٩٣/١٥ واللسان: «ص ف ن» والنهاية ٢٦٨/٢.

(٥) القرطبي السابق والبحر ٣٨٨/٧. (٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢٩٢/٢.

(٧) قاله الفراء في المعاني ٤٠٥/٢.

(٨) من الطويل. والقبة البناء من الأدم خاصة وهو معروف والعناق جمع عتيق والأنثى عتيقة الكريم من الخيل والمهاري جمع أمهار واحدها مهز، والأنثى مهرة. وشاهده: الصوافن أي الخيل التي لا تقف على استعداد.

وانظر: الدر المصون ٦٠٧/٤ والبحر ٣٨٨/٧، والقرطبي ١٩٣/١٥. وليس في ديوان الذبياني ولا الجعدي.

(٩) وانظر هذا في اللسان: «ج و د» «ج ي د» ٧٢١ و ٧٣٧ والدر ٦٠٧/٤ والتيان ١١٠٠.

(١٠) التيان والدر السابقين والمعاني للفراء ٤٠٥/٢.

(١١) كلمة (به) سقطت من «ب». وانظر البحر المحيط ٣٨٨/٧ و ٣٩٦.

(١٢) الدر المصون ٦٠٧/٤.

الثاني: أن «حب» مصدر على حذف الزوائد والناصب له «أَخْبَيْتُ»<sup>(١)</sup>.

الثالث: أنه مصدر تشبيهي أي حُبًا مِثْلَ حُبِّ الْخَيْرِ<sup>(٢)</sup>.

الرابع: أنه قيل: ضمن معنى أنبت فلذلك تعدى بعن<sup>(٣)</sup>.

الخامس: أن أحببت بمعنى لَزِمْتُ<sup>(٤)</sup>.

قال ابن الخطيب: إن الإنسان قد يحب (شيئاً ولكنه يجب أن)<sup>(٥)</sup> لا يحبه كالمريض الذي يشتهي في مرضه فأما من أحب شيئاً وأحب أن يحبه فذلك غاية المحبة، فقوله: «أَخْبَيْتُ حُبَّ الْخَيْرِ» أي أحببت حبي للخير<sup>(٦)</sup>.

السادس: أن أحببت من أَحَبَّ الْبَعِيرُ إِذَا سَقَطَ وَبَرَكَ مِنَ الْإِعْيَاءِ<sup>(٧)</sup>، والمعنى قعدت عن ذكر ربي فيكون «حب الخير» على هذا مفعولاً من أجله<sup>(٨)</sup>، والمراد بقوله: «عَنْ ذِكْرِ رَبِّي»، قيل: عن صلاة العصر<sup>(٩)</sup>، وقيل: عن كتاب ربي وهو التوراة، لأن ارتباط الخيل كما أنه في القرآن ممدوحٌ فكذلك في التوراة ممدوح<sup>(١٠)</sup> وقوله «ذِكْرُ رَبِّي» يجوز أن يكون مضافاً للمفعول أي عن أن أذكر ربي، وأن يكون مضافاً للفاعل أي عن أن ذكر بي ربي<sup>(١١)</sup> والمراد بالخير: الخيل والعرب تعاقب بين الرء واللام (تقول)<sup>(١٢)</sup>: حَتَلْتُ الرَّجْلَ وَحَتَرْتُهُ أَي حَدَّغْتُهُ، وسميت الخيل (خيراً)<sup>(١٣)</sup> لأنه معقود بنواصيها الخير الأجر والمعمم<sup>(١٤)</sup>.

قوله: «حَتَّى تَوَارَتْ» في الفاعل وجهان:

أحدهما: هو: «الضافات»، والمعنى: حتى دخلت إضطباتها فتوارت وغابت<sup>(١٥)</sup>.

والثاني: أنه<sup>(١٦)</sup>: «الشمس»<sup>(١٧)</sup> أضمرت لدلالة السياق عليها، وقيل: لدلالة «العشي»

(١) التبيان والبيان والبحر والدر المراجع السابقة وانظر هذا الوجه وما قبله في مشكل الإعراب ٢/٢٥٠.

(٢) البحر والدر المرجعين السابقين.

(٣) و (٤) انظر السابقين أيضاً وهما رأي الزمخشري في الكشاف ٣/٣٧٣.

(٥) ما بين القوسين سقط من ب.

(٦) كذا في النسختين. وفي الرازي: للخيل. وهو الأصح. وانظر الرازي ٢٦/٢٠٤.

(٧) الذي في اللسان: حبا البعير إذا برك وزحف من الإعياء. وانظر اللسان: «ح ب ا» ٧٦٦. وانظر هذا

الرأي في السمين ٤/٦٠٨ والقرطبي ١٥/١٩٤. وقد نسب القرطبي هذا الرأي إلى ثعلب وإلى أبي زيد

وفي مجالس ثعلب: أحب البعير إذا قام. (المجالس ٣٠٥).

(٨) البحر ٧/٣٩٦ والتبيان ١١٠٠. (٩) البغوي ٦/٥٥.

(١٠) الرازي ٢٦/٢٠٤. (١١) التبيان ١١٠٠ والسمين ٤/٦٠٨.

(١٢) سقط من ب. (١٣) كذلك.

(١٤) قاله الزجاج في المعاني ٤/٣٣٠. (١٥) القرطبي ١٥/١٩٥ والدر المصون ٤/٦٠٨.

(١٦) في ب: أنها.

(١٧) التبيان ١١٠٠ والزجاج ٤/٣٣٠ والرازي فيه وما قبله ٢٦/٢٠٤ وكذلك الكشاف ٣/٣٧٤ والمجاز ٢/

١٨٢ والبيان ٢/٣١٥.

عليها فإنها تشعر بها<sup>(١)</sup>، وقيل: يدل عليها الإشراق في قصة داود<sup>(٢)</sup>. وما أبعده.  
قوله: «رُدُّوْهَا» هذا الضمير للصفائف<sup>(٣)</sup>، وقيل: للشمس وهو غريب جداً<sup>(٤)</sup>. قال  
ابن الخطيب: وهذا بعيد لوجه:

منها: أن الصفائف مذكورة بالتصريح، والشمس غير مذكورة وعود الضمير إلى  
المذكور أولى من عوده إلى المقدر، ومنها: أنه لو اشتغل بالخيال حتى غربت الشمس  
وفات صلاة العصر كان ذلك ذنباً عظيماً ومن كان هذا<sup>(٥)</sup> حاله فطريقه التضرع والبكاء  
والمبالغة في إظهار التوبة فإما أن يقول على سبيل العظمة لرب العالمين مثل هذه الكلمة  
العارية عن كل جهات الأدب عقيب ذلك الجُرم العظيم<sup>(٦)</sup> (فهذا) لا يصدر عن أبعاد  
الناس عن الخير فكيف يجوز إسناده للرسول المطهر المكرم ومنها أن القادر على تحريك  
الأفلاك والكواكب هو الله تعالى فكان يجب أن يقول رُدُّهَا عَلَيَّ، ولا يقول: رُدُّوْهَا عَلَيَّ  
لأن هذا اللفظ مشعر بأعظم أنواع الاستعلاء فكيف يليق بهذا اللفظ رعاية التعظيم؟  
ومنها: أن الشمس لو رجعت بعد الغروب لصار ذلك مشاهداً لأهل الدنيا ولو كان كذلك  
لتوفرت الدواعي على نقله وحيث لم يتقل عِلْمُنَا فَسَادَهُ<sup>(٧)</sup>.

قوله: «فَطْفِقَ مَسْحاً» نصب «مسحاً» بفعل مقدر، هو خبر طفق أي (ف) طفق يُمْسَحُ  
مَسْحاً<sup>(٨)</sup>، لأن خبر هذه الأفعال لا يكون إلا مضارعاً في الأمر العام. وقال أبو البقاء - وبه بدأ -  
مصدر في موضع الحال<sup>(٩)</sup> وهذا ليس بشيء؛ لأن «طَفِقَ» لا بد لها من خَبَرٍ<sup>(١٠)</sup>.  
وقرأ زيد بن علي: مَسْحاً بزنة قَتَالَ<sup>(١١)</sup>، والباء في «بالسوق» مزيدة مثلها في قوله:  
﴿وَأَمْسَحُوا رِءُوسِكُمْ﴾ [المائدة: ٦]. وحكى سيويه: مَسَحَتْ رَأْسَهُ وَبِرَأْسِهِ بمعنى واحد<sup>(١٢)</sup>.  
ويجوز أن تكون للإصاق<sup>(١٣)</sup> كما تقدم، وتقدم همز السوق وعدمه في النمل<sup>(١٤)</sup>.

(١) الكشف السابق.

(٢) التبيان السابق.

(٣) التبيان ١١٠١ والرازي ٢٦/٢٠٤ والسمين ٤/٦٠٨.

(٤) المرجعان الأخيران.

(٥) في ب: ومن كانت هذه حاله.

(٦) زيادة للسياق وهي من الرازي.

(٧) انظر: تفسير الإمام الفخر ٢٦/٢٠٤ و ٢٠٥.

(٨) قاله الأخفش في المعاني ٦٧٠ والفراء في المعاني أيضاً ٢/٤٠٥ ونقله أبو البقاء في التبيان ١١٠١ من

أحد رأيين

(٩) المرجع السابق.

(١٠) الدر المصون ٤/٦٠٨.

(١١) ذكرها أبو حيان في البحر المحيط ٧/٣٩٧ والسمين في الدر ٤/٦٠٩.

(١٢) المرجعان السابقان.

(١٣) السمين السابق. ومعنى الإصاق هو معنى لا يفارق الياء واقتصر عليه سيويه وهو إما حقيقي كـ

«أمسكت بزيد» إذا قبضت على شيء من جسمه، أو على ما يحبسه من يد وثوب ونحوه ومجازي

نحو: مررت بزويد أي ألققت مروري بمكان يقرب من زيد. انظر: المغني ١٠١.

(١٤) عند قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا﴾ الآية ٤٤. وهي من القراءات السبعة =

وجعل الفارسيُّ الهمز ضعيفاً<sup>(١)</sup>. وليس كما قال لما تقدم من الأدلة. وقرأ زيد بن علي (أيضاً)<sup>(٢)</sup> «بالسَّاقِ» مُفْرَداً<sup>(٣)</sup> اكتفاءً بالواحد لعدم اللبس كقوله:

٤٢٧١ - ..... وَأَمَّا جِلْدُهَا فَصَلِيبٌ<sup>(٤)</sup>

وقوله:

٤٢٧٢ - ..... كُلُّوا فِي بَغْضِ بَطْنِكُمْ تَعَفُّوا<sup>(٥)</sup>

وقوله:

٤٢٧٣ - ..... فِي خَلْقِكُمْ عَظْمٌ وَقَدْ شَجِينَا<sup>(٦)</sup>

قال الزمخشري: فإن قلت: بِمَ اتَّصَلَ قَوْلُهُ «رَدَوْهَا عَلَيَّ»؟

قلت: بمحذوف تقديره قال رَدَوْهَا فَأَضْمِرُ وَأَضْمِرُ<sup>(٧)</sup> ما هو جواب له كأنَّ قائلًا

قال: فماذا قال سليمان؟ لأنه موضع مقتضٍ للسؤال اقتضاءً ظاهرًا<sup>(٨)</sup>.

قال أبو حيان: وهذا لا يحتاج إليه لأن هذه الجملة مندرجة تحت حكاية القول

وهو: «فَقَالَ: إِنِّي أَحْبَبْتُ»<sup>(٩)</sup>.

= المتواترة. وقرأ بها قبله وغيره عن ابن كثير. ولم ينسبها الزمخشري. انظر: الكشاف ٣/٣٧٤ والإتحاف ٣٧٢ والنشر ٢/٣٦١.

(١) قال: أما الهمز في: ساقها وساق فلا وجه له الحجة ٦/٦٨ و ٧/٢٨ وتأوَّل له وجهاً وهو أنهم لما جمعوها على أسوق وسوق وكل منهما يجوز فيه الهمز جوازاً حسناً فترهم أن الهمز من أصل الكلمة «٢٨/٧» بلدية.

(٢) زيادة للسياق.

(٣) البحر ٧/٣٩٧ والسمين ٤/٦٠٩ ولم يميزها الكشاف ٣/٣٧٤.

(٤) من الطويل لعقمة بن عبدة الفحل تمامه:

بِهَا جِيفَ الْحَسْرَى فَأَمَّا عِظَامُهَا فَيُبَيْضُ .....

والحسرى: جمع حسير الناقة التي سقطت من الإعياء والصليب الجلد الذي لم يدبغ وشاهده استعمال «جلدها» مفرداً على الجمع وهو جيف الحسرى، وصحَّ ذلك أمناً للبس. وقد تقدم.

(٥) سبق هذا البيت وشاهده: «بطنكم» فلم يقل بطونكم أمناً للبس.

(٦) عجز بيت من الرجز وصدرة:

لَا تَنْكُرِ الْقَتْلَ وَقَدْ سَبِينَا .....

ويروى: لَا تَنْكُرُوا الْقَتْلَ وَهُوَ الْأَوْجَهُ. كما يروى: أَنْ تَقْتُلُوا الْيَوْمَ. وهو للمسيب بن زيد مناة الغنوي، وقوله: سَبِينَا أَي أَسْرَ مَنَا مِنَ السَّبِي، وشجينا أي أحسننا بالغصة تعترض حلوقنا. فكذلك أنتم.

وشاهده قوله: «حلقكم» كان من الطبيعي أن يقول حلوقكم ولكن أفرد أمناً للبس؛ ويحتمل أن يقال إن المفرد قصد له الجنس. وقد تقدم.

(٧) في الكشاف فأضمر كما هنا وفي ب فأهمز.

(٨) الكشاف ٣/٣٧٤. (٩) بالمعنى من البحر ٧/٣٩٧.

## فصل

قال المفسرون: إنه - عليه (الصلاة و) السلام - لما فاتته صلاة العصر لاشتغاله بالنظر إلى تلك الخيل استردها وعقر سوقها وأعناقها تقرباً إلى الله تعالى، وبقي منها مائة، فالخيل التي في أيدي الناس اليوم، من نسل تلك المائة، قال الحسن: فلما عقر الخيل، أبدله الله - عز وجل - خيراً منها وأوسع وهي الريح تجري بأمره كيف شاء<sup>(١)</sup> قال ابن الخطيب: وهذا عندي بعيد لوجوه:

الأول: أنه لو كان مسح السوق والأعناق قطعها لكان معنى فامسحوا برؤوسكم أي اقطعوها وهذا لا يقوله عاقل، بل لو قيل: مسح رأسه بالسيف فربما فهم منه ضرب العنق، أما إذا لم يُذكر لفظ السيف لم يفهم منه البتة من المسح العقر والذبح.

الثاني: أن القائلين بهذا القول جمعوا على سليمان - عليه (الصلاة و) السلام - أنواعاً من الأفعال المذمومة. فأولها: ترك الصلاة.

وثانيها: أنه استولى عليه الاشتغال بحب الدنيا حيث نسي الصلاة وقال - عليه (الصلاة و) السلام -: (حُبُّ)<sup>(٢)</sup> الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ<sup>(٣)</sup>.

وثالثها: أنه بعد الإتيان بهذا الذنب العظيم لم يشتغل بالتوبة والإنابة البتة.

ورابعها: أنه خاطب رب العالمين بقوله: «رُدُّوْهَا عَلَيَّ» وهذه كلمة لا يقولها الرجل الحَصِيف<sup>(٤)</sup> إلا مع الخادم الخسيس.

وخامسها: أنه أتبع هذه المعاصي بعقر الخيل من سوقها وأعناقها وقد «نهى النبي - ﷺ - عن ذبح الحيوان إلا لمأكلة»، وهذه أنواع من الكبائر نسيها إلى سليمان - عليه (الصلاة و) السلام - مع أن لفظ القرآن لم يدل على شيء منها. وخلاصتها: أن هذه القصص إنما ذكرها الله تعالى عقيب قوله: «وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْنَا لَنَا قَطَنًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ» وأن الكفار لما بلغوا في السفاهة إلى هذا الحد قال الله عز وجل لمحمد - عليه (الصلاة و) السلام -: يا محمد اصبر على سفاهتهم، واذكر عبدنا داود، ثم ذكر عقيقه قصة سليمان فكان التقدير أنه تعالى قال لمحمد - عليه (الصلاة و) السلام -: يا محمد اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا سليمان. وهذا الكلام إنما يليق إذا قلنا: إن سليمان - عليه

(١) الرازي ٢٦/٢٠٥. (٢) سقطت من ب.

(٣) اختلف في هذا القول فقيل: إنه من قول منصور الجلي. وهو قول ابن تيمية. وعن ابن أبي الدنيا: أنه من قول مالك بن دينار. ومن قائل: إنه من قول عيسى ابن مريم وقال البيهقي وأبو نعيم في الحلية إنه للثوري. وانظر: المقاصد الحسنة ١٨٢ و ١٨٣.

(٤) في ب: الحسيف لحن.

(الصلاة و) السلام - أتى في هذه القصة بالأعمال الفاضلة والأخلاق الحميدة وصبر على طاعة الله تعالى وأعرض عن الشهوات واللذات، فلو كان المقصود من قصة سليمان في هذا الموضوع أنه أقدم على الكبائر العظيمة والذنوب لم يكن ذكر هذه القصة لائقاً. والصواب أن نقول: إن رِبَاطَ الخيل كان مندوباً إليه في دينهم كما هو في دين محمد عليه (الصلاة و) السلام؛ ثم إن سليمان - عليه (الصلاة و) السلام - احتاج إلى الغزو فجلس وأمرَ بِأَخْضَارِ الخَيْلِ وأمرَ بِإِجْرَائِهَا، وذكرَ أَنِي لا أَجْرِيهَا لِأَجْلِ الدُّنْيَا وَنَصِيبِ النَّفْسِ وَإِنَّمَا حَبِهَا لِأَمْرِ اللَّهِ وَطَلَبِ تَقْوِيَةِ دِينِهِ وَهُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: «عَنْ ذِكْرِ رَبِّي». ثم إنه - عليه السلام - أمرَ بِإِجْرَائِهَا وَسَيَّرَهَا حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ أَي غَابَتْ عَنْ بَصَرِهِ، ثم إنه أمرَ الرَّابِضِينَ<sup>(١)</sup> بِأَنْ يَرُدُّوهُا فَرَدُّوهُا تِلْكَ الخَيْلِ إِلَيْهِ فَلَمَّا عَادَتْ إِلَيْهِ طَفِقَ يَمْسُحُ سَوْقَهَا وَأَعْنَاقَهَا. والغرض من ذلك أمور:

الأول: تشريفاً لها وإبانة لعزتها لكونها من أعظم الأعوان في دفع العدو.

الثاني: أنه أراد أن يظهر أنه في ضبط السياسة والملك يتَّضَعُ إلى حيث يباشر أكثر الأمور بنفسه.

الثالث: أنه كان أعلم بأحوال الخيل ومراميتها وعيوبها فكان يمسحها ويمسح سوقها وأعناقها حتى يعلم هل فيها ما يدل على<sup>(٢)</sup> المرض. فهذا التفسير هو الذي ينطبق عليه لفظ القرآن ولا يلزم منه نسبة شيء من تلك المنكرات إلى سليمان عليه - (الصلاة و) السلام - والعَجَبُ مِنْهُمْ كَيْفَ قَبِلُوا هَذِهِ الْوُجُوهُ السَّخِيفَةَ مَعَ أَنَّ الْعَقْلَ وَالنَّقْلَ يَرُدُّهَا وَلَيْسَ لَهُمْ فِي إِثْبَاتِهَا شِبْهَةٌ فَضْلاً عَنْ حُجَّةٍ؟

فإن قيل: فالجمهور فسروا الآية بتلك الوجوه.

فالجواب: أن نقول لفظ الآية لا يدل على شيء من تلك الوجوه التي يذكرونها لما ذكرنا، وأيضاً فإن الدلائل الكثيرة قامت على عصمة الأنبياء - عليهم (الصلاة و) السلام - ولم يدل على صحة هذه الحكايات دليل قاطع، ورواية الأحاد لا تصلح معارضة للدلائل القوية فكيف الحكايات عن أقوام لا نلتفت<sup>(٣)</sup> إلى أقوالهم؟ والذي ذهبنا إليه قول الزهري وابن كيسان.

قوله: «وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ» قال بعض المفسرين: إن سليمان - عليه (الصلاة و) السلام - بلغه خبرُ مدينة في البحر يقال لها: صيد، فخرج إليها بجنوده فأخذها وقتل<sup>(٤)</sup> ملكها وأخذ بنتاً له اسمها: «جرادة» من أحسن الناس وجهاً فاصطفاها لنفسه وأسلمت فأحبها فكانت تبكي على أبيها، فأمر سليمان الشيطان فمثل لها صورة أبيها فكستها مثل

(١) كذا في النسختين وفي الرازي الراضين.

(٢) في ب: عن.

(٣) في ب: يلتفت.

(٤) في ب وقيل. وانظر: الرازي ٢٦/٢٠٦.

كسوته وكانت تذهب إلى تلك الصورة بُكْرَةً وَعَشِيًّا مع جواريتها يَسْجُدُ (و) <sup>(١)</sup> نَ لها فأخبر «أصف» سليمان بذلك فكسر الصورة وعاقب المرأة وخرج وحده إلى فلاة ففرش الرَّمَادَ وجلس عليه تائباً <sup>(٢)</sup> لله تعالى، وكانت له أم ولد يُقال لها: الأُمينة إذا دخل للطهارة أو لإصابة امرأة وضع خاتمه عندها وكان ملكه فيه موضعه عندها يوماً فأتاها الشيطان صاحب البحر واسمه صخر على صورة «سليمان» وقال لها يا أُمينة: خاتمي فناولته الخاتم ففتحتم به وجلس على كرسي سليمان فعكفت عليه الطير والجن والإنس وتغيرت هيئة سليمان فأتى الأُمينة لطلب الخاتم فأنكرته فعلم <sup>(٣)</sup> أن الخطيئة قد أدركته فكان يدور على البيوت يتكفف، وإذا قال: أنا سليمان حَثَّوا عليه التراب وسَبَّوه، وأخذ ينقل السمك للسُّمَّانِكين فيعطونه <sup>(٤)</sup> كل يوم سمكتين فمكث على هذه الحالة أربعين يوماً عدد <sup>(٥)</sup> ما عبد الوثن في بيته فأنكر أصف وعظماء بني إسرائيل حكم الشيطان وسأل أصف نساء سليمان فقلن: ما يدع امرأة (منا) <sup>(٦)</sup> في دمها ولا تغتسل من جنابة، وقيل: (بل) <sup>(٧)</sup> نفذ حكمه في كل شيء إلا فيهن، ثم طار الشيطان وقذف الخاتم في البحر فابتلعت سمكة، ووقعت السمكة في يد سليمان فبقر بطنها فإذا هو بالخاتم فتحتم به ووقع ساجداً لله تعالى ورجع إليه ملكه وأخذ ذلك الشيطان فحبسه في صخرة وألقاها في البحر.

وقيل: إن تلك المرأة لما أقدمت <sup>(٨)</sup> على عبادة تلك الصورة افتتن سليمان فكان يسقط الخاتم من يده ولا يتماسك فيها فقال له أصف إنك لمفتون بذنك فثب إلى الله تعالى.

وقيل: إن سليمان قال لبعض الشياطين: كيف تفتنون الناس، فقال: أرني خاتمك أخبرك، فلما أعطاه إياه نبذه في البحر، وذهب ملكه وقعد هذا الشيطان على كرسيه ثم ذكر الحكاية إلى آخرها فقالوا: المراد من قوله: «وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ» أن الله تعالى ابتلاه <sup>(٩)</sup>، وقوله: «وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً» عقوبة له. قال ابن الخطيب: وأستبعد أهل التحقيق هذا الكلام من وجوه:

الأول: أن الشيطان لو قدر على أن يتشبه في الصورة والخلقة بالأنبياء فحينئذ لا يبقى اعتماد على شيء من ذلك فلعل هؤلاء الذين رأهم الناس على صورة محمد وعيسى

(١) الواو زيادة على النسختين فكانت «يسجدن». (٢) في ب ثانية.

(٣) في ب: فعرف. (٤) في ب فيعطوه.

(٥) في ب عدة. (٦) و (٧) ما بين الأقواس زيادة من الرازي.

(٨) في ب لما أقبلت. وقد أخرج البغوي في تفسيره أن هذه الرواية عن ابن إسحق عن وهب بن منبه. انظر: البغوي ٥٦/٦ و ٥٧ و ٥٨ وانظر: الرازي ٢٦/٢٠٧ و ٢٠٨.

(٩) المراجع السابقة وانظر أيضاً زاد المسير في علم التفسير ٧/١٣٣: ١٣٦. وهذه الأقوال في سبب ابتلاء سليمان كلها من الإسرائيليات وهي لا تنفق وجلال هؤلاء المصطفين الأخيار. فالله أعلم بصحة هذه الأقوال.

وموسى - عليهم (الصلاة و) السلام - ما كانوا أولئك بل كانوا شياطين تشبهوا بهم في الصورة لأجل الإغواء والإضلال. وذلك يبطل الدين بالكلية.

الثاني: أن الشيطان لو قدر أن يعامل نبي الله سليمان بمثل هذه المعاملة لوجب أن يقدر على مثلها مع جميع العلماء والزهاد وحينئذ يجب أن يقتلهم ويمزق تصانيفهم، ويخرب ديارهم. ولما بطل ذلك في حق آحاد العلماء فلأن يبطل في حق أكابر الأنبياء أولى.

الثالث: كيف يليق بحكمة الله وإحسانه أن يسلط الشيطان على أزواج سليمان؟ (ولا شك أنه قبيح).

الرابع: لو قلنا: إن سليمان أذن لتلك المرأة في عبادت (ها) (١) تلك الصورة فهذا كفر منه (٢) وإن لم يأذن فيه البتة فالذنب على تلك المرأة فكيف يؤاخذ الله سليمان بفعل لم يصدر منه؟

وأما أهل التحقيق فذكروا وجوهاً:

الأول: أن فتنة سليمان أنه ولد له ابن فقال الشيطان إن عاش صار ملكاً (٣) مثل أبيه فسيلا أن نقتله فعلم سليمان ذلك فكان يريه (٤) في السحاب فيبينا هو يشتغل بمهامته إذ لقي ذلك (الولد) (٥) ميتاً على كرسيه فتنبه على خطيئته في أنه لم يثق ويتوكل على الله فاستغفر ربه وتاب.

الثاني: روي عن النبي - ﷺ - أنه قال: قَالَ سُلَيْمَانُ لِأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى سَبْعِينَ امْرَأَةً كُلُّ امْرَأَةٍ تَأْتِي بِفَارِسٍ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَمْ يَقُلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فَطَافَ عَلَيْهِنَّ فَلَمْ تَحْمَلْ إِلَّا امْرَأَةً وَاحِدَةً جَاءَتْ بِشَقِّ رَجُلٍ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ قَالَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى لَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فُرْسَانًا أَجْمَعِينَ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً﴾ وذلك لشدة المرض. والعرب تقول في الضعيف: «إِنَّهُ لَحَمٌّ عَلَى وَغَمِّ وَجَسْمٍ بِلَا رُوحٍ». «ثُمَّ أَنَابَ» أَي رَجَعَ إِلَى حَالِ الصَّحَّةِ. فاللفظ يحتمل لهذه الوجوه ولا حاجة إلى حمله على تلك الوجوه الركيكة.

الثالث: لا يبعد أيضاً أن يقال: إنه ابتلاه الله تعالى بتسليط خوف أو وقوع بلاء تَوَقَّعَهُ مِنْ بَعْضِ الْجِهَاتِ حَتَّى صَارَ بِسَبَبِ قُوَّةِ ذَلِكَ الْخَوْفِ كَالْجَسَدِ الضَّعِيفِ الْخَفِيِّ عَلَى ذَلِكَ الْكُرْسِيِّ. ثم إن الله تعالى أزال عنه ذلك الخوف وأعادته إلى ما كان عليه من القوة وطيب القلب (٦).

(١) زيادة عن الرازي في ب.

(٤) في ب يرميه.

(٢) سقط من ب.

(٥) سقط من ب. وانظر: الرازي ٢٦٧/٢٠٨.

(٣) في ب والرازي: مسلطاً.

(٦) المرجع السابق.

قوله: «جَسَدًا» فيه وجهان:

أظهرهما: أنه مفعول به لأَلْقَيْنَا.

والثاني: أنه حال، وصاحبها إما سَلِيمَانُ لأنه يروى أنه مَرِضٌ حتى صار كالجَسَدِ الذي لا رُوحَ فيه، وإما ولده، قالهما أبو البقاء<sup>(١)</sup> ولكن «جَسَدًا» جامد فلا بد من تأويله بمشتق أي<sup>(٢)</sup> ضعيفاً أو فارغاً.

قوله: «قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي» تمسك به من حَمَلَ الكلام المتقدم على صدور الرِّزَّةِ لأنه لولا تقدم الذنب لما طلب المغفرة ويمكن أن يجاب: بأن الإنسان لا ينفك عن ترك الأفضل والأولى وحينئذ يحتاج إلى طلب المغفرة لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين ولأنه أبدأ في مقام هُضم النفس وإظهار الذلَّة والخضوع كما قال - عليه (الصلاة و) السلام -: «إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ سَبْعِينَ مَرَّةً»<sup>(٣)</sup> مع أنه غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

قوله: «وَهَبْ لِي مَلِكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي» دلت هذه الآية على أنه يجب تقديم مِهْمَ الدين على مِهْمَ الدنيا لأن سليمان طلب المغفرة أولاً ثم طلب المملكة بعده، ثم دلت<sup>(٤)</sup> الآية أيضاً على أن طلب المغفرة من الله تعالى سبب لافتتاح أبواب الخيرات في الدنيا لأن سليمان طلب المغفرة أولاً، ثم توسل به إلى طلب المملكة ونوح - عليه (الصلاة و) السلام - قال: «فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُغْفِرُ رُسُلَ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُبَدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبِينُ» [١٠ - ١٢] وقال لمحمد عليه (الصلاة و) السلام: «وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصْطَبِرَ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا مِّنْ رِّزْقِكَ وَالْعَمِيقَةَ لِلْقَوَى»<sup>(٥)</sup> [طه: ١٣٢].

فإن قيل: قول سليمان - عليه (الصلاة و) السلام -: «هَبْ لِي مَلِكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي» مشعر بالحسد.

فالجواب: أن القائلين بأن الشيطان استولى على مملكته قالوا معناه هو: أن يعطيه الله ملكاً لا يقدر الشيطان على أن يقوم فيه مقامه ألبتة، وأما المنكرون فأجابوا بوجوه:

الأول: أن المُلْكُ هو القدرة فكان المراد أقدرني على أشياء لا يقدر عليها غيري ألبتة ليصير اقتداري عليها معجزة تدل على صحة نُبُوتِي ورسالتي ويدل على صحة هذا

(١) التبيان ١١٠١.

(٢) في ب أو: وانظر أيضاً: البحر المحيط ٣٩٧/٧ والدر المصون ٦١٠/٤.

(٣) الحديث كما في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «والله إنني لأستغفر» انظر: صحيح البخاري ٩٩/٤.

(٤) في ب ولدت وفي الرازي وأيضاً الآية تدل الخ...

(٥) وانظر هذا كله في تفسير الإمام الرازي ٢٠٩/٢٦.

قوله تعالى عقيبه: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ فكان<sup>(١)</sup> الريح جارية بأمره قدرة عجيبة وملك دال على صحة نبوته<sup>(٢)</sup> لا يقدر أحد على معارضته.

الثاني: أنه - عليه (الصلاة و) السلام - لما مرض ثم عاد إلى الصحة عرف أن خيرات الدنيا صائرة إلى التغيرات فسأل ربه ملكاً لا يمكن أن ينتقل عني إلى غيري.

الثالث: أن الاحتراز عن طيبات الدنيا مع القدرة عليها أشق<sup>(٣)</sup> من الاحتراز عنها حال<sup>(٤)</sup> عَدَمِ القدرة فكانه قال: يا إلهي أعطني مملكة فائقة على ممالك البشر بالكلية حتى أَخْتَرَزَ عنها مع القدرة عليها ليصير (ثوابي)<sup>(٥)</sup> أكمل وأفضل.

الرابع: سأل ذلك ليكون علماً على قبول توبته حيث أجاب الله دعاءه ورد عليه مُلْكُهُ وزاده فيه.

قوله: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً﴾ لَيْتَنِي أَي رُخْوَةً لَيْتَنِي، وهي من الرخاوة والريح إذا كانت لينة لا تززع<sup>(٦)</sup> (ولا تمتنع<sup>(٧)</sup> عليه إذا كانت طيبة).

فإن قيل: قد قال في آية أخرى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾. فالجواب من وجهين:

الأول: لا منافاة بين الآيتين فإن المراد أن تلك الريح كانت في قوة الريح العاصفة إلا أنها لما أمرت<sup>(٨)</sup> بأمره كانت لذيدة طيبة وكانت رُخَاءً.

الثاني: أن تلك الريح كانت لينة مرة وعاصفة أخرى فلا منافاة بين الآيتين<sup>(٩)</sup>.

قوله: «حَيْثُ أَصَابَ» ظرف لـ «تَجْرِي» أو «لَسَخَّرْنَا»<sup>(١٠)</sup> و «أَصَابَ» أراد بلغة جَمِيرًا.

وقيل: بلغة هَجَر<sup>(١١)</sup>. وحكى الأصمعي عن العرب أنهم يقولون: أصاب الصواب فأخطأ الجواب<sup>(١٢)</sup>.

(١) كذا في «أ» والرازي. وفي ب فتكون.

(٢) كذا هو الأصح في السابقين وفي ب ثبوته. تحريف.

(٣) في ب أسبق. (٤) في ب سأل.

(٥) كلمة «ثوابي» سقطت من «أ».

(٦) ريح زرع وزرع وزعزع: شديدة. الأخيرة عن ابن جني، انظر اللسان: «رَ عَ» ١٨٣٢.

(٧) زيادة من الفخر الرازي.

(٨) كذا في ب وفي «أ» مرت وفي الرازي: جرت وكلها متقاربة.

(٩) وانظر: تفسير الإمام الرازي ٢٦/٢٠٩ و ٢١٠.

(١٠) التبيان ١١٠١ والدر المصون ٤/٦١١ و ٦١٠.

(١١) المرجع الأخير وانظر كذلك القرطبي ١٥/٢٠٥ و ٢٠٦ وانظر: معاني الفراء ٢/٤٠٥ ومعاني الزجاج

٣٣٣/٤.

(١٢) القرطبي المرجع السابق والبهغوي ٦/٦٠.

وروي أن رجلين خرجا يقصدان «رُؤْبَةَ» ليسألاه عن هذا الحرف فقال لهما: أين تصيبان فعرفاها وقالا هذه بغيتنا<sup>(١)</sup>، وأنشد الثعلبي على ذلك:

٤٢٧٤ - أَصَابَ الْجَوَابَ فَلَمْ يَسْتَطِعْ فَأَخْطَا الْجَوَابَ لَدَى الْمَفْصَلِ<sup>(٢)</sup>

أي أراد الجواب ويقال: «أَصَابَ اللَّهُ بَكَ خَيْرًا» أي أراد بك<sup>(٣)</sup>. وقيل: الهمزة في أصاب للتعدية من (أ)<sup>(٤)</sup> صَابَ يَصُوبُ أي نزل<sup>(٥)</sup>، قال:

٤٢٧٥ - تَنْزَلُ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ يَصُوبُ<sup>(٦)</sup>

والمفعول<sup>(٧)</sup> محذوف أي أصاب جنوده أي حيث وَجَّهَهُمْ وَجَعَلَهُمْ يَصُوبُونَ صُوبَ المطر<sup>(٨)</sup>، و «الشياطين» نسق على «الريح» و «كل بناء» بدل من «الشياطين»<sup>(٩)</sup>، كانوا يبنون له ما شاء من الأبنية.

روي أن سليمان - عليه (الصلاة و) السلام - أمر الجانَ فبنت له إصْطَخَرَ، فكانت فيها قرار مملكة النزل قديماً، وبنت له الجان أيضاً «تَدْمُر» وبيت المقدس وباب جبرون وباب البريد الذين بدمشق على أحد الأقوال، وبنوا له ثلاثة قصور باليمن غدان وشالخين وبنون ومدينة صنعاء. وقوله: «وغواص» نسق على «بناء» أي يغوصون له فيستخرجون اللؤلؤ. وأتى بصيغة المبالغة لأنه في معرض الامتنان<sup>(١٠)</sup>.

قوله: «وآخرين» عطف على «كُلَّ» فهو داخل في حكم البدل<sup>(١١)</sup> وتقدم شرح «مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ» آخِرَ سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ<sup>(١٢)</sup>.

- (١) الفخر الرازي ٢٦/٢١٠ والكشاف ٣/٣٧٥ و ٣٧٦ والبحر المحيط ٧/٣٩٨ والدر المصون ٤/٦١٠.
- (٢) من المتقارب وهو مجهول قائله. وهو يبين أن واحداً أراد أن يبين الكلام فلم يستطع وأراد هو المعنى فأصاب وهو محل الشاهد. وانظر: القرطبي ١٥/٢٠٥ والبحر ٧/٣٩٨ والدر المصون ٤/٦١٠ وتفسير الغريب ٣٨٠.
- (٣) مجاز القرآن ٢/١٨٣ واللسان: «ص و ب» ٢٥٢٠.
- (٤) الهمزة مزيدة من ب خطأ.
- (٥) اللسان: «ن ز ل» ٢٥١٨ و ٢٥١٩.
- (٦) عجز بيت من الطويل لعلمقة الفحل و صدره:  
فلست لانسي ولكن لملاك  
وملاك مهموز ملاك. وشاهدة أن «يصوب» بمعنى ينزل. وانظر اللسان: «ص و ب» ٢٥١٩.
- (٧) في ب والفعل خطأ.
- (٨) قال بهذا أبو حيان في البحر ٧/٣٩٧ والسمين في الدر ٤/٦١١.
- (٩) السابق الأخير وانظر أيضاً الكشاف ٣/٣٧٦ والتبيان ١١٠١ والرازي ٢٦/٣١٠.
- (١٠) الدر المصون المرجع السابق.
- (١١) السابق وانظر الكشاف ٣/٣٧٦.
- (١٢) عند قوله: «وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد» الآية ٤٩.

## فصل

قال ابن الخطيب: دلت هذه الآيات على أن الشياطين لها قوة عظيمة قدروا بها على بناء تلك الأبنية العظيمة التي لا يقدر عليها البشر، وقدروا على الغوص في البحار واستخراج اللآلئ وقيدهم سليمان - عليه (الصلاة و) السلام - . ولقائل أن يقول: هذه الشياطين إما أن تكون أجسادهم كثيفة أو لطيفة؛ فإن كانت كثيفة وجب أن يراهم من كان شديد الحاسة؛ إذ لو جاز أن لا يراهم<sup>(١)</sup> مع كثافة أجسادهم فليجز أن تكون بحضرتنا جبال عالية وأصوات هائلة ولا نراها ولا نسمعها وذلك دخول في السفسطة وإن كانت أجسادهم لطيفة فمثل هذا يمتنع أن يكون موصوفاً بالقوة الشديدة، ويلزم أيضاً أن تفرق<sup>(٢)</sup> أجسادهم وأن تتمزق<sup>(٣)</sup> بالرياح العاصفة القوية وأن يموتوا (في الحال)<sup>(٤)</sup> وذلك يمنع وصفهم بالقوة وأيضاً فالجن والشياطين وإن كانوا موصوفين بهذه القوة والشدة فلم لا يقتلون العلماء والزهاد في زماننا هذا ولم لا يخرّبون ديار الناس مع أن المسلمين يبالبغون في إظهار لعنتهم وعداوتهم وحيث لم يحس بشيء من ذلك علمنا أن القول بإثبات الجن ضعيف.

قال ابن الخطيب: واعلم أن أصحابنا يجوزون أن تكون أجسادهم كثيفة مع أنا لا يراهم وأيضاً لا يبعد أن تكون أجسادهم لطيفة بمعنى عدم الكون ولكنها صلبة بمعنى أنها لا تقبل التفرق. وأما الجنائي فقد سلم أنها كانت كثيفة الأجسام، وزعم أن الناس كانوا يشاهدونهم في زمن سليمان - عليه (الصلاة و) السلام - ثم إنه لما توفي سليمان - عليه (الصلاة و) السلام - أمات الله أولئك الجن والشياطين وخلق أنواعاً آخر من الجن والشياطين تكون أجسادهم في غاية الرقة، ولا يكون لهم شيء من القوة، والموجود في زماننا من الجن والشياطين ليس إلا من هذا الجنس - والله أعلم - .

قوله: «هَذَا عَطَاؤُنَا» أي قلنا له: هَذَا عَطَاؤُنَا فَاْمُنُّنْ أَوْ أْمْسِكْ، قال ابن عباس: أعط من شئت وامنع من شئت<sup>(٥)</sup>.

قوله: «بغير حساب» فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه متعلق<sup>(٦)</sup> «بِعَطَاؤُنَا» أي أعطيناك بغير حساب ولا تقدير. وهو دلالة على كثرة الإعطاء.

(١) كذا في الرازي أيضاً. وفي ب يراهم بالياء.

(٢) و (٣) كذا في الرازي أيضاً وفي ب: يفرق ويتمرق بالياء.

(٤) سقط من ب فقط وانظر: تفسير الإمام الرازي ٢٦/٢١٠ و ٢١١.

(٥) المرجع السابق.

(٦) التبيان ١١٠١ والدر المصون ٤/٦١١ والكشاف ٣/٣٧٦.

الثاني: أنه حال<sup>(١)</sup> من: «عَطَاؤُنَا» أي في حال كونه غَيْرَ مُحَاسِبٍ عليه لأنه جَمٌّ كثيرٌ يعسر على الحُسَابِ ضَبْطُهُ.

الثالث: أنه متعلق ب«بِأَمْنُنْ» أو «أَمْسِكْ»<sup>(٢)</sup>، ويجوز أن يكون حالاً من فاعلهما أي غير محاسب<sup>(٣)</sup> عليه.

## فصل

قال المفسرون: معناه لا حرج عليك فيما أعطيت وفيما (أ)<sup>(٤)</sup> مَسَكْتَ، قال الحسن: ما أنعم الله على أحد نعمة إلا عليه تَبَعَةٌ إلا سليمان، فإنه (إن)<sup>(٥)</sup> أُعْطِيَ أَجْرَ وإن لم يعط لم يكن عليه تَبَعَةٌ. وقال مقاتل: هذا في أمر الشياطين يعني خل من شئت منهم وأمسك من شئت (منهم)<sup>(٦)</sup> في وثاقك لا تَبَعَةٌ عليك فيما تتعاطاه<sup>(٧)</sup>.

قوله: «وَأَنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ» نسقاً<sup>(٨)</sup> على اسم «إِنَّ» وهو «لَزُلْفَىٰ». وقرأ الحسن وابن أبي عَبْلَةَ برفعه<sup>(٩)</sup> على الابتداء، وخبره مضمرة، لدلالة ما تقدم عليه، ويقفان على (لَزُلْفَىٰ) وَيُسْتَدْتَانِ بِـ «حُسْنَ مَآبٍ»؛ أي وحسن مآب له أيضاً<sup>(١٠)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ لِيَبْئَسَ وَعَدَابِ﴾<sup>(٤١)</sup> أَزْكُضَ بِرَجَمِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ<sup>(٤٢)</sup> وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرَئِي لِأُولَى الْأَنْبِيَاءِ<sup>(٤٣)</sup> وَخَذَ بِيَدِكَ ضَعْفًا فَأَضْرَبَ بِعِصْمِهِ وَلَا تَحْتَتِ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ<sup>(٤٤)</sup>

قوله: (تعالى)<sup>(١١)</sup>: «وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ» كقوله «وَأَذْكُرْ»<sup>(١٢)</sup> عَبْدَنَا دَاوُدَ وفيه الثلاثة الأوجه<sup>(١٣)</sup>، و «إِذْ نَادَىٰ» بدل منه بدل اشتغال<sup>(١٤)</sup> أي بأني<sup>(١٥)</sup>، وقوله: «أَنِّي» جاء به على حكاية كلامه الذي ناداه بسببه ولو لم يحكه لقال: «إِنَّهُ مَسَّهُ» لأن غائب<sup>(١٦)</sup>

(١) التباين والدر المرجعين السابقين. (٢) السابقين.

(٣) الدر المصون السابق. (٤) الهمزة سقطت من ب.

(٥) سقط من ب. (٦) منهم زيادة من ب.

(٧) وانظر: معالم التنزيل للبيغوي ٦٠/٦. وكذلك لباب التأويل للخازن ٦٠/٦.

(٨) يقصد: «وحسن مآب» بالنصب وهي قراءة العامة.

(٩) ذكرها أبو حيان في البحر ٣٩٩/٧ والسمين في الدر ٦١١/٤ وهي من الشواذ.

(١٠) المرجع الأخير السابق. (١١) زيادة من أ.

(١٢) كذلك. (١٣) من البدلية وعطف البيان أو المفعولية بإضمار أعني.

(١٤) الكشاف ٣٧٦/٣ والسمين ٦١١/٤.

(١٥) كذا في النسختين ويقصد قوله: «أَنِّي مَسَّنِيَ» أي بأني مَسَّنِيَ. المرجع السابق وهو الكشاف.

(١٦) قاله في الكشاف ٣٧٦/٣ والدر المصون ٦١١/٤.

وقرأ العامة بفتح الهمزة على أنه هو المُنادي بهذا اللفظ . وعيسى بن عُمَر بكسرها<sup>(١)</sup> على إضمار القول أو على إجراء النداء مُجرّاه .

قوله: «بِئْضَبٍ» قرأ العامة بالضم والسكون، فقليل: هو جمع نَصَب بفتحتين، نحو: وَثْنٌ<sup>(٢)</sup> وَوْثْنٌ وَأَسَدٌ وَأَسْدٌ<sup>(٣)</sup>، وقيل: هو لغة في النَّصَب نحو: رَشِدٌ وَرُشْدٌ<sup>(٤)</sup> وَحَزَنٌ وَحُزْنٌ وَعَدَمٌ وَعَدْمٌ . وأبو جعفر وشيْبَةُ وَحَفْصٌ وَنَافِعٌ - في رواية - بضمّتين - وهو تثقيل نَصَبٍ بضمّة وسكّون، قاله الزمخشري<sup>(٥)</sup> . وفيه بعد لما تقرر أن مَقْتَضَى اللغة تخفيف فُعْلٌ كَعُنُقٍ<sup>(٦)</sup> لا تثقيل فُعْلٌ كَفُعْلٍ . وفيه خلاف<sup>(٧)</sup> . وقد تقدم في هذا العُسر واليُسْر في البَقْرَةِ<sup>(٨)</sup> .

وقرأ أبو حيوة ويعقوب وحفص - في رواية - بفتح وسكّون<sup>(٩)</sup> وكلها بمعنى واحد وهو التَّعب والمشقة .

## فصل

النَّصَب المشقة والضر . قال قتادة ومقاتل: النصب في الجسد والعذاب في المال<sup>(١٠)</sup> . واعلم أن داود وسُلَيْمَانٌ - عليهما (الصلاة و) السلام - كانا ممن أفاض الله عليهما أصناف الآلاء والنِّعماء، وأيوب كان ممن خصّه الله تعالى بأنواع البلاء . والمقصود من جميع هذه القصص الاعتبار كأن الله تعالى قال: يا محمد اضْبِرْ على سفاهة قومك فإنه ما كان في الدنيا أكثر نعمة ومالاً وجاهاً أكثر من داود وسليمان، وما كان أكثر بلاء ولا محنة من أيوب . فتأمل في أحوال هؤلاء لتعرف أنّ أحوال الدنيا لا تنتظم لأحد وأن العاقل لا بدّ له من الصبر على المكاره<sup>(١١)</sup> .

(١) من القراءة الشاذة وانظر: البحر ٧/٤٠٠ والقرطبي ١٥/٢٠٧ وشواذ القرآن ٣٠٨، والدر المنصور ٤/٦١١ .

(٢) تصحيح لـ «أ» ففيها دمن وفي ب وأين ووين تحريف .

(٣) وانظر: الدر المنصور ٤/٦١٢ والكشاف ٣/٣٧٦ وإعراب القرآن ٣/٤٦٥ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/٣٣٤ .

(٤) المراجع السابقة .

(٥) الكشاف ٣/٣٧٦ .

(٦) قال العلامة الرضي في شرح الشافية ١/٤٤ وهذا التخفيف في نحو عنق أكثر منه في إبل لأن الضمّتين أثقل من الكسرتين حتى جاء في الكتاب العزيز وهو حجازي: رسلنا ورسلهم . وهو في الجمع أولى منه في المفرد لثقل الجمع معنى .

(٧) حكى الرضي عن الأخفش أن كل فعل في الكلام فتثقله جائز إلا ما كان صفة أو معتل العين كحُمر وسوق وهذا القول ينسب أيضاً لعيسى بن عمر وانظر: شرح الشافية ٤٤ ، ٤٦ .

(٨) عند قوله: ﴿يريد الله بحكم اليسر ولا يريد بحكم العسر﴾ وما قلته الآن ملخص ما ذكره هناك وهذه الآية هي الآية ١٨٥ .

(٩) من المتواترات وانظر السبعة ٥٥٤ والإنحاف ٣٧٢ .

(١٠) الرازي ٢٦/٢١٢ .

(١١) البغوي ٦/٦٦ .

## فصل

قال بعض الحكماء: الآلام والأسقام الحاصلة في جسمه إنما حصلت بفعل الشيطان، وقيل: إنما حصلت بفعل الله تعالى. والعذاب المضاف في هذه الآية إلى الشيطان هو عذاب الوسوسة وإلقاء الخواطر الفاسدة أما تقرير القول الأول فهو ما روي أن إبليس سأل فيه ربه فقال: هل في عبيدك من لو سلطتني عليه يمتنع مني؟ فقال الله تعالى: نعم عبيدي أيوب فجعل يأتيه بوساوسه وهو يرى إبليس عياناً ولا يلتفت إليه فقال: رب إنه قد امتنع عليّ فسَلطني على ماله فكان يجيئه ويقول له: هَلْكَ من مالك كذا وكذا فيقول: الله أعطى والله أخذ ثم يحمد الله تعالى فقال: يا رب إن أيوب لا يبالي بماله فسَلطني على ولده فجاءه وأخبره به فلم يلتفت إليه فقال يا رب إنه لا يبالي بماله وولده فسَلطني على جسده فأذن فيه فنفخ في جلد أيوب فحدث أسقام عظيمة وآلام شديدة فيه فمكث في ذلك البلاء سنين حتى استَقْدَرَهُ<sup>(١)</sup> أهل بلده فخرج إلى الصحراء وما كان يقرَّب منه أحد فجاء الشيطان إلى امرأته، وقال: إن زوجك إن استغاث إليّ خَلَصْتُهُ من هذا البلاء فذكرت المرأة ذلك لزوجها فحلف بالله لئن عافاه الله ليجلدها<sup>(٢)</sup> مائة جلدة وعند هذه الواقعة قال: «إِنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ» فأجاب الله دعاءه وأوحى إليه أن «ازكُضْ بِرِجْلِكَ» وأظهر الله تعالى من تحت رجله عينا باردة طيبة فاغتسل منها فأذهب الله عنه كل داء في ظاهره وباطنه، ورد عليه أهله وماله. وأما القول الثاني أن الشيطان لا قدرة له البتة على إيقاع الناس في الأمراض والأسقام ويدل عليه وجوه:

الأول: أنا لو جوزنا حصول الموت والحياة والصحة والمرض من الشيطان لفعل الواحد منا وإنما وجد الحياة بفعل الشيطان ولعل ما عندنا من الخيرات والسعادات قد حصل<sup>(٣)</sup> بفعل الشيطان وحينئذ لا سبيل (لنا)<sup>(٤)</sup> إلى معرفة معطي الحياة والموت والصحة والسقم هو الله تعالى أم الشيطان.

الثاني: أن الشيطان لو قدر على ذلك فلم لا يسعَى في قتل الأنبياء والأولياء، ولم لا يخرب دورهم ولم لا يقتل أولادهم.<sup>(٥)</sup>

الثالث: أن الله حكى عن الشيطان أنه قال: ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ [إبراهيم: ٢٢] فصرح بأنه لا قدرة له في حق البشر، إلا إلقاء الوسوس والخواطر الفاسدة فدل ذلك على فساد القول بأن الشيطان هو الذي ألقاه في تلك الأمراض.

(١) في ب: استقدروه أهل بلده، وشبهه هذا: أكلوني البراغيث.

(٢) في ب والرازي: ليجلدها. (٣) في ب: يحصل.

(٤) ساقطة في ب.

(٥) كلمة «لا» ساقطة أيضاً من ب. وانظر: تفسير الرازي ٢٦/٢١٢، ٢١٣.

فإن قيل: لِمَ لا يجوز أن يقال: إن الفاعل لهذه الأحوال هو الله لكن على وفق التماس الشيطان؟

قلنا: فإذا كان لا بد من الاعتراف بأن خالق تلك الآلام والأسقام هو الله تعالى فأَي فائدة في جعل الشيطان واسطة في ذلك بل الحق أن المراد من قوله: «أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِئْضَابٍ وَعَذَابٍ» أنه سبب<sup>(١)</sup> إلقاء الوسواس الفاسدة كأن يلقيه في أنواع العذاب، والقائلون<sup>(٢)</sup> بهذا القول اختلفوا في أن تلك الوسواس كيف كانت وذكروا وجوهاً:

الأول: أن علته كانت شديدة الألم ثم طالت تلك العلة واستقدره الناس ونفروا عن مجاورته ولم يبق له مال ألبتة وامراته كانت تخدم الناس وتحصل قدر القوت، ثم بلغت نُفْرَةَ الناس عنه إلى أن منعوا امرأته من الدخول عليهم ومن خدمتهم والشيطان كان يذكر<sup>(٣)</sup> (٤) النَّعْم التي كانت، والآفات التي حصلت وكان يحتال في دفع تلك الوسواس، فلما قويت<sup>(٤)</sup> تلك الوسواس في قلبه خاف وتضرع إلى الله تعالى وقال: «مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِئْضَابٍ وَعَذَابٍ» لأنه كلما كثرت تلك الخواطر كان تألم قلبه منها أشد.

الثاني<sup>(٥)</sup>: أنه لما طال مدة المرض جاء الشيطان فكان يقنطه مدة ويَزْلِزُهُ أن يجزع فخاف من خاطر القنوط في قلبه وتضرع<sup>(٦)</sup> إلى الله تعالى وقال: «أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ».

الثالث: روي أن النبي - ﷺ - قال: «بَقِيَ أَيُّوبُ فِي الْبَلَاءِ ثَمَانِ عَشْرَةَ سَنَةً حَتَّى رَفَضَهُ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ إِلَّا رَجُلَيْنِ، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: لَقَدْ أَذْنَبَ أَيُّوبُ ذَنْبًا مَا أَتَى بِهِ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ، وَلَوْلَاهُ لَمَا وَقَعَ فِي مِثْلِ هَذَا الْبَلَاءِ فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِأَيُّوبَ فَقَالَ: لَا أَذْرِي مَا تَقُولَانِ غَيْرَ أَنِّي<sup>(٧)</sup> كُنْتُ أَمْرَ عَلى الرَّجُلَيْنِ يَتَنَازَعَانِ فَيَذَكُرَانِ اللَّهَ تَعَالَى فَأَرْجِعْ إِلَى بَيْتِي فَأَنْفِرْ عَنْهُمَا كِرَاهِيَةً أَنْ يَذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَّا فِي حَقِّ».

الرابع: قيل: إنَّ امرأته كانت تخدم الناس وتأخذ منهم قدر القوت وتجيء به إلى أيوب فاتفق أنهم ما استخدموها ألبتة وطلب بعض النساء منها قطع إحدى ذَوَابَّتَيْهَا على أن تُعْطِيهَا قدر القوت ففعلت، ثم في اليوم الثاني فعلت مثل ذلك فلم يبق لها ذُوَابَةٌ وكان أيوب - عليه (الصلاة و) السلام - إذا أراد أن يتحرك على فراشه تعلق بتلك الذُوَابَةِ فلما لم يجد الذُوَابَةَ وقعت الخواطر الرديئة في قلبه، فعند ذلك قال: «مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِئْضَابٍ وَعَذَابٍ».

الخامس: روي أنه - عليه (الصلاة و) السلام - قال في بعض الأيام: يا رب لقد علمت أنني ما اجتمع عليَّ أمران إلا آثرت طاعتك، ولما أعطيتني المال كنت للأرامل

(١) في ب والرازي: بسبب. (٢) تصحيح للنسختين ففيهما القائلين.

(٣) الضمير سقط من ب. (٤) في ب: قريت.

(٥) في أ الثالث بدل الثاني. (٦) في ب: فتضرع.

(٧) في الحديث غير أن الله يعلم أنني كنت أمر. وانظر: الفخر الرازي ٢٦/٢١٣، ٢١٤.

قيماً، ولابن السبيل معيناً ولليتامى أباً فنودي: يا أيوب ممن كان ذلك التوفيق؟ فأخذ أيوب التراب ووضع على رأسه وقال: منك يا رب ثم خاف من الخاطر الأول فقال: مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُضْبٍ وَعَذَابٍ وَذَكَرَ أَحْوَالاً أُخْرَى. والله أعلم<sup>(١)</sup>.

قوله: «ازْكُضْ بِرِجْلِكَ» معناه أنه لما اشتكى مَسَّنَ الشَّيْطَانُ فكأنه سأل ربه أن يزيل عنه تلك البلية فأجابه الله بأن قال: «ازْكُضْ بِرِجْلِكَ»، والركض<sup>(٢)</sup> هو الدفع القوي بالرجل. ومنه ركض الفرس، والتقدير: قلنا له ازْكُضْ بِرِجْلِكَ قيل: إنه ضرب برجله تلك الأرض فنبعت عين، فقيل: هذا مغتسل بارداً وشراب أي هذا ما تَغْتَسِلُ به فيبرأ ظاهرك وتشرب منه فيبرأ باطنك. وظاهر (هذا) اللفظ يدل على أنه تَبَعَتْ له عين واحدة من الماء فاغتسل منه<sup>(٣)</sup>، وشرب منه، والمفسرون قالوا: تَبَعَتْ له عَيْنَانِ فاغتسل من إحداهما وشرب من الأخرى فذهب الداء من ظاهره ومن باطنه بإذن الله تعالى<sup>(٤)</sup>. وقيل: ضرب بِرِجْلِهِ اليمين فنبعت عين حارة فاغتسل منها ثم باليسرى فنبعت عين باردة فشرب منها<sup>(٥)</sup>.

قوله: «وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ» قيل: هم عين أهله ودياره «ومثلهم» قيل: غيرهم مثلهم<sup>(٦)</sup>، والأول أولى؛ لأنه الظاهر فلا يجوز العُدُولُ عنه من غير ضرورة<sup>(٧)</sup>. ثم اختلفوا فقيل: أزلنا عنهم السقم فأعيدوا أصحاء، وقيل: بل حضروا عنده بعد أن غابوا عنه واجتمعوا بعد أن تفرقوا، وقيل: بل تمكن منهم وتمكنوا منه كما يفعل بالعشرة والخدمة<sup>(٨)</sup>.

قوله: «وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ» الأقرب أنه تعالى (مئته)<sup>(٩)</sup> بِصِحَّتِهِ وماله<sup>(١٠)</sup> وقواه حتى كثر نسله وصاروا<sup>(١١)</sup> أهله ضعف ما كانوا وأضعاف ذلك. وقال الحسن: المراد بهبة الأهل أنه تعالى أحياهم بعد أن هلكوا<sup>(١٢)</sup>.

(١) بحقيقة الحال وانظر: تفسير الرازي ٢٦/٢١٤.

(٢) انظر في هذا اللسان: «ركض» ١٧١٨ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/٣٣٤ وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٨٠ والمجاز لأبي عبيدة ٢/١٨٥ والقرطبي ١٥/٢١١ وقد نقل القرطبي رأياً عن المبرد والأصمعي قال: «وقال المبرد: الركض بالتحريك وقال الأصمعي يقال: ركضت الدابة ولا يقال ركضت هي، لأن الركض إنما هو تحريك راكبها رجله ولا فعل له في ذلك». (القرطبي السابق).

(٣) في الرازي فيه بدل من منه. وهو الأقرب.

(٤) انظر: تفسير الإمام ابن الجوزي زاد المسير ٧/١٤٣ والرازي ٢٦/٢١٤، ٢١٥.

(٥) المرجع الأخير السابق والكشاف ٣/٣٧٦، ٣٧٧.

(٦) انظر: القرطبي ١١/٣٢٣، ٣٢٤ والرازي المرجع السابق.

(٧) السابق. (٨) المرجعان السابقان.

(٩) زيادة من الرازي. (١٠) كذا في أ وفي ب والرازي: وبماله.

(١١) كذا في النسخين واللغة السائدة وصار أهله بإفراد الفعل أو بتجريده من علامات التثنية والجمع.

(١٢) المرجع السابق.

قوله: «رَحْمَةً وَذِكْرَى» مفعول من أجله أي وهبناهم له لأجل رحمتنا إياه وليتذكر بحاله أولو الألباب<sup>(١)</sup> يعني سلطنا عليه البلاء أولاً فصبر، ثم أزلنا عنه البلاء وأوصلنا إليه الآلاء والثغماء تبييناً لأولي الألباب على أن من صبر ظفر. وهو تسلية لمحمد - عليه (الصلاة و) السلام - كما تقدم. قالت المعتزلة: وهذا يدل على أن أفعال الله تعالى معللة بالأغراض والمقاصد لقوله: «رَحْمَةً مِّثًا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ»<sup>(٢)</sup>.

قوله: «وَخَذَ بِيَدِكَ ضِعْثًا» (ضغثاً)<sup>(٣)</sup> معطوف<sup>(٤)</sup> على «ارْكُضْ». والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش والقضبَان، وقيل: الحزمة الكبيرة من القضبان<sup>(٥)</sup>. وفي المثل: «ضِغْثٌ عَلَى إِبَالَةٍ»<sup>(٦)</sup> والإبالة الحزمة من الحطب، قال الشاعر:

٤٢٧٦ - وَأَسْفَلَ مِنِّي نَهْدَةٌ قَدْ رَبَطْتُهَا وَأَلْقَيْتُ ضِغْثًا مِنْ خَلْيٍ مُتَطَيَّبٍ<sup>(٧)</sup>

وأصل المادة يدل على جمع المختلطات، وقد تقدم هذا في يُوْسُفَ في قوله: «أَضَعْتُ أَخْلَبًا» [يوسف: ٤٤].

قوله: «فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَخْتِثْ» الحث الإثم ويطلق على فعل ما حُلف على تزكته أو ترك ما حلف على فعله لأنهما سيان فيه غالباً<sup>(٨)</sup>.

## فصل

هذا الكلام يدل على تقدم يمين منه<sup>(٩)</sup>، وقد روي أنه حلف على أهله، واختلفوا في سبب حلفه عليها، ويبعد ما قيل: إنها رغبة في طاعة الشيطان ويبعد أيضاً ما روي أنها قطعت ذوائبها لأن المضطر يباح له ذلك، بل الأقرب أنها خالفته في بعض المهمات، وذلك أنها ذهبت في بعض المهمات فأبطأت فحلف في مرضه ليضربها مائة إذا برىء،

(١) الدر المصون ٦١٢/٤ والتبيان ١١٠٢. (٢) نقله الرازي في تفسيره السابق ٢٦/٢١٥.

(٣) زيادة ضغثاً من أ لا معنى لها.

(٤) عطف جملة على جملة، فهو عطف جملة «وخذ بيدك ضغثاً» على جملة «اركض». وانظر الرازي ٢٦/٢١٥.

(٥) انظر: اللسان: «ص غ ث» ٢٥٩٠، ٢٥٩١ ومعاني الفراء ٢/٤٠٦ ومعاني القرآن وإعرابه ٤/٣٣٥ وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٨١ والمجاز ٢/٢٨٥.

(٦) مثل يضرب لتتابع المصائب على إنسان ما، والمثل يجوز في صدره وهو ضغث الرفع والنصب والأيل والأيلة والإبالة الحزمة من الحشيش والحطب انظر: أمثال الميداني ٢/٢٦٠ واللسان: «أ ب ل».

(٧) من الطويل وهو لعوف بن الخرج التيمي. وشاهده: ضغثاً فإنها بمعنى الحزمة الكبيرة. والتهدة أنثى الفرس الجسيم والخلّي: الحشيش الرطب. وانظر: مجاز القرآن ١/٣١٢، ٢/١٨٥، والبحر ٧/٣٩٩ والدر المصون ٤/٦١٢.

(٨) الدر المصون ٤/٦١٣.

(٩) انظر في هذا الفصل تفسير الإمام الفخر ٢٦/٢١٥، والقرطبي ١٥/٢١٢ وزاد المسير ٧/١٤٣، ١٤٤

والبغوي ٦/٦١.

ولما كانت حسنة الخدمة<sup>(١)</sup> لا جرم حلل الله يمينه بأهون شيء عليه وعليها وهذه الرخصة باقية، لما روي أن النبي - ﷺ - أتى برجل<sup>(٢)</sup> ضعيف زناً بأمة فقال: «خَدُوا عِشْكَالاً فِيهِ»<sup>(٣)</sup> مائة شِمْرَاخ فاضربوه بها ضربة واحدة.

قوله: «إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا» فإن قيل: كيف وجده صابراً وقد شكاً إليه؟ فالجواب من وجوه:

الأول: أنه شكى مَسَّ الشيطان إليه وما شكى إلى أحد.

والثاني: أن الآلام حين كانت على الجسد لم يذكر شيئاً فلما عظمت الوسوس خاف على القلب والدين (ف)<sup>(٥)</sup> تَضَرَّع.

الثالث: أن الشيطان عدو والشكاية من العدو إلى الحبيب لا تقدر في الصبر.

قوله: «نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ» يدل على أن التشريف بقوله: «نِعْمَ الْعَبْدُ» إنما حصل لكونه أواباً.

روي أنه لما نزل قوله تعالى: «نِعْمَ الْعَبْدُ» في حق سليمان تارة وفي حق أيوب أخرى عظم في قلوب أمة محمد - ﷺ - وقالوا: إن قوله: نعم العبد تشريف عظيم فإن احتجنا إلى تحمل بلاء مثل أيوب لم نقدر عليه فكيف السبيل إلى تحصيله؟ فأنزل الله تعالى قوله: «فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ» [الحج: ٧٨]. والمراد أنك إن لم تكن نعم العبد فأنا نعم المولى فإن كان منك الفضل<sup>(٦)</sup> فمني الفضل وإن كان منك التقصير فمني الرحمة والتيسير<sup>(٧)</sup>.

قوله تعالى: «وَأَذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾»

قوله: «وَأَذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ» قرأ ابن كثير: عِبْدَنَا بالتوحيد<sup>(٨)</sup> والباقون عِبَادَنَا بالجمع والرسم يحتملها، فأما قراءة ابن كثير فأبراهيم بدل<sup>(٩)</sup>، أو بيان،

(١) في الرازي: حسنة الخدمة له. (٢) في الرازي: بمخدم حيث بأمة.

(٣) ما بين القوسين سقط من ب والعنكول والعنكال الشمراخ، وهو ما عليه البسر من عيدان الكباسة وهو في النخل بمنزلة العنقود من الكرم وتعتكل العذق أي كثرت شماريخه وعشكال الهودج أي زين، فالعشكال هذا في الحديث معناه العذق من أعذاق النخل الذي يكون فيه الرطب. وانظر: الرازي ٢٦/٢١٥ واللسان: «ع ث ك ل» ٢٨٠٨.

(٤) في ب والرازي: من لأمس. (٥) الفاء سقطت من ب.

(٦) في الرازي الفضول. (٧) وانظر: الرازي ٢٦/٢١٥، ٢١٦.

(٨) من القراءة المتواترة انظر: السبعة ٥٥٤ ومعاني الفراء ٤٠٦/٢ والقرطبي ١٥/٢١٧.

(٩) السابق والتبيان ١١٠٢ والبحر ٧/٤٠١ والدر المصون ٤/٦١٣.

أو بإضمار أعني، وما بعده عطف على نفس «عبدنا» لا على: «إبراهيم»؛ إذ يلزم إبدال جمع من مفرد<sup>(١)</sup>.

ولقائل أن يقول: لما كان المراد بَعْدِنَا الجنس جاز إبدال الجمع منه كقراءة ابن عباس: «وإله أبيك إبراهيم»<sup>(٢)</sup> في البقرة [١٣٣] في أحد القولين. وقد تقدم. وأما قراءة الجماعة<sup>(٣)</sup>، فواضحة لأنها موافقة للأول في الجمع.

قال ابن الخطيب: لأن غير إبراهيم من الأنبياء قد أجري عليه هذا الوصف فجاء في حق عيسى: ﴿إِنَّهُ هُوَ إِلَهًا عَبْدًا أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ [الزخرف: ٥٩] وفي أيوب: ﴿يَعْمُ الْعَبْدُ﴾ [ص: ٤٤] وفي نوح: ﴿إِنَّهُمْ كَانَتْ عَبْدًا سَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣] والمعنى اصبر يا محمد على ما يقولون واذكر صبر أيوب على البلاء واذكر صبر إبراهيم حين أُلْقِيَ في النار وصبر إسحاق حين عرض على<sup>(٤)</sup> الذبح وصبر يعقوب حين فقد ولده وذهب بصره<sup>(٥)</sup>.

قوله: «أولي الأيدي» العامة على ثبوت الياء وهو جمع «يد» وهي إما الجارحة وكني بذلك عن الأعمال لأن أكثر الأعمال إنما تُزاول<sup>(٦)</sup> باليد، وقيل: المراد بالأيدي - جمع يد - المراد بها النعمة<sup>(٧)</sup>. وقرأ عبد الله والأعمش والحسن وعيسى: الأيدي بغير ياء<sup>(٨)</sup>، فقيل: هي الأولى. وإنما حذفت الياء اجتزاء عنها بالكسرة<sup>(٩)</sup> ولأن «أل»<sup>(١٠)</sup> تعاقب التنوين والياء تحذف مع التنوين<sup>(١١)</sup> فأجريت مع «أل» إجراؤها معه. وهذا ضعيف جداً<sup>(١٢)</sup>. وقيل: الأيد القوة، إلا أن الزمخشري قال: وتفسيره بالأيد من التأييد فليق غير متمكن<sup>(١٣)</sup>. انتهى.

وكانه<sup>(١٤)</sup> إنما قلق عنده لعطف «الأبصار» عليه فهو مناسب للأيدي لا للأيد من

(١) وإبدال الجمع من المفرد غير مستساغ إلا إذا أريد بالمفرد الجنس أو معنى الجمع كما أخبر هو أعلى. وانظر: الدر المصون ٦١٣/٤.

(٢) وقد نسبت في مختصر ابن خالويه إلى يحيى بن يعمر ص ٩ بينما نسبها الفراء في المعاني ٢٠٦/٢ إلى إمام الأمة عبد الله بن عباس كما ذهب إليه المؤلف أعلى، وكما ذهب إليه السمين في الدر ٦١٣/٤.

(٣) وهي القراءة المعتادة عبادنا. وانظر: المراجع السابقة من تلك القراءة المتواترة.

(٤) في أحد القولين. (٥) وانظر: الرازي ٢٦/٢٦٦.

(٦) في ب: يزاو. (٧) الدر المصون ٦١٣/٤.

(٨) ذكرها صاحب الإتحاف فهي من الأربع فوق العشر المتواترة، انظر: الإتحاف ٣٧٢ والمحتسب ٢/٢٣٣ وابن خالويه ١٣٠ والكشاف ٣/٣٧٨.

(٩) المرجع الأخير السابق. (١٠) في ب: أي.

(١١) قالوا حذف مع «أل» في كلمة الأيد كما يحذف التنوين مع أل.

(١٢) وحذف هذه الياء مع وجود «أل» ذكره سيبويه في الضرائر. انظر: البحر ٧/٤٠٢ والدر المصون ٦١٣/٤.

(١٣) في ب: غير ممكن. وانظر: الكشاف ٣/٣٧٨.

(١٤) في ب: وكان ما.

التأييد. وقد يقال: إنه لا يراد حقيقة الجوارح، إذ كلُّ أحدٍ كذلك إنما المراد الكناية عن العمل الصالح والتفكير ببصيرته<sup>(١)</sup>، فلم يلق حينئذٍ إذ لم يرد حقيقة الأبصار وكأنه قيل: أولي القوة والتفكير بالبصيرة<sup>(٢)</sup>، وقد نَحَا الزمخشري إلى شيء من هذا قبل ذلك<sup>(٣)</sup>، قال ابن عباس: أولي القوة في طاعة الله والأبصار في المعرفة بالله أي البصائر في الدين، وقال قتادة ومجاهد أعطوا قوة في العبادة وبصراً<sup>(٤)</sup> في الدين. قوله: «بِخَالِصَةِ ذِكْرِي الدَّارِ» بالإضافة<sup>(٥)</sup> وفيها أوجه:

أحدها: أن يكون إضافة خالصة إلى «ذكرى»، للبيان لأن الخالصة تكون ذكرى وغير ذكرى كما في قوله: ﴿شِهَابٍ قَبِيْرٍ﴾ [النمل: ٧] لأن الشهاب يكون قيساً وغيره<sup>(٦)</sup>.

الثاني: أن «خالصة» مصدر بمعنى إخلاص فيكون مصدراً مضافاً لمفعوله والفاعل محذوف أي بأن أخلصوا ذكرى الدار وتناسوا عندها ذكر (ي)<sup>(٧)</sup> الدنيا، وقد جاء المصدر على فاعله كالعافية، أو يكون المعنى بأن أخلصنا نحن لهم ذكرى الدار.

الثالث: أنها مصدر أيضاً بمعنى الخُلُوص فتكون مضافة لفاعلها أي بأن خلصت لهم ذكرى الدار<sup>(٨)</sup>. وقرأ الباقون بالتثوين وعدم الإضافة وفيها أوجه:

أحدها: أنها مصدر بمعنى الإخلاص فتكون: «ذِكْرِي» منصوباً به<sup>(٩)</sup>، وأن يكون بمعنى الخُلُوص فيكون «ذكرى» مرفوعاً به كما تقدم<sup>(١٠)</sup>.

والمصدر يعمل منوناً كما يعمل مضافاً. أو يكون خالصة اسم فاعل على يابه، «وذكرى» بدل أو بيان لها<sup>(١١)</sup>. أو منصوب بإضمار أعني<sup>(١٢)</sup>، أو مرفوع على إضمار<sup>(١٣)</sup> مبتدأ. و «الدار» يجوز أن يكون مفعولاً به «بذكرى» وأن يكون ظرفاً إما على الاتساع، وإما على إسقاط الخافض. ذكرهما أبو البقاء<sup>(١٤)</sup>. و «خالصة» إذا كانت صفة فهي صفة لمحذوف أي بسبب خُصَّة خالصة<sup>(١٥)</sup>.

(١) في ب: بالبصيرة. (٢) وانظر: الدر المصون ٦١٣/٤ والبحر ٤٠٢/٧.

(٣) الكشف ٣٧٧/٣.

(٤) في ب: وصبراً. وانظر: البغوي ٦١/٦ وهي من القراءات المتواترة انظر السبعة ٤٥٤ والإتحاف ٣٧٣.

(٥) انظر: التبيان ١١٠٢ والبيان ٣١٦/٢ والكشف ٢٣١/٢.

(٦) الياء سقطت من هنا وفي ب «ذكرت» والمعنى قريب. وقد ذكر هذه الأوجه كلها العكبري في التبيان

١١٠٢ والسمين في الدر المصون ٦١٤/٤ وذكر الثاني والثالث مكى في المشكل ٢٥١/٢.

(٧) المراجع السابقة. (٨) على المفعولية وانظر: الدر المصون المرجع السابق والتبيان ١١٠٢.

(٩) السابقان. (١٠) السابقان.

(١١) الإعراب للنحاس ٤٦٧/٣ والمعاني للزجاج ٣٣٦/٤ والمشكل ٢٥١/٢.

(١٢) التبيان ١١٠٢. (١٣) الدر المصون ٦١٤/٤.

(١٤) التبيان ١١٠٢ والسمين في الدر المرجع السابق.

(١٥) المرجع السابق.

## فصل

من قرأ بالإضافة فمعناه أخلصناهم بذكرى الدار الآخرة إن لم يعملوا لها<sup>(١)</sup>، والذكرى بمعنى الذكر. قال مالك بن دينار: نزعنا من قلوبهم حب الدنيا وذكرها وأخلصناهم بحب الآخرة وذكرها، وقال قتادة: كانوا يدعون إلى الآخرة وإلى الله عز وجل. وقال السدي: أخلصوا الخوف للآخرة، وقيل: أخلصناهم بأفضل ما في الآخرة، قاله ابن زيد. ومن قرأ بالتونين فمعناه بخلة خالصة وهي ذكرى الدار فتكون «ذكرى الدار» بدلاً عن الخالصة أو جعلناهم مخلصين بما اخترنا من ذكر الآخرة<sup>(٢)</sup>. والمراد بذكرى الدار: الذكر الجميل الرفيع لهم في الآخرة.

وقيل: (إنهم)<sup>(٣)</sup> أبقى لهم الذكر الجميل في الدنيا، وقيل: هو دعاؤهم «وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ»<sup>(٤)</sup>.

قوله: «وَأَنْتُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُضْطَفِّينَ الْأَخْيَارِ» أي المختارين من أبناء جنسهم، والأخيار: جمع خَيْرٍ أو خَيْرٍ - بالثقل والتخفيف - كأموات في جميع مَيِّتٍ أو مَيِّتٍ. واحتج العلماء بهذه الآية على إثبات عصمة الأنبياء لأنه تعالى حكم عليهم بكونهم أخياراً على الإطلاق وهذا يعم حصول الخيرية في جميع الأفعال والصفات بدليل صحة الاستثناء<sup>(٥)</sup> منه.

قوله تعالى: «وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ» وهم (قوم)<sup>(٦)</sup> آخرون من الأنبياء تحملوا الشدائد في دين الله، وقد تقدم شرح أصحاب هذه الأسماء في سورة «الأنعام»<sup>(٧)</sup>.

قوله تعالى: «هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَتَابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّتٍ عَدْنٍ مُمْنَحَةً لَهُمُ الْأَكْبُوبُ ﴿٥٠﴾ مُتَكِينِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَكَهْمٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِنْدَهُمْ قَصْرَاتُ الْأَطْرَفِ الْأَرْبَابِ ﴿٥٢﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَكُمْ مِنْ نَفَاذٍ ﴿٥٤﴾»

قوله: «هَذَا ذِكْرٌ» جملة جيء بها إيداناً بأن القصة قد تمت وأخذ في أخرى وهذا كما فعل الجاحظ في كتبه<sup>(٨)</sup> يقول فهذا باب ثم يشرع في آخر ويدل على ذلك أنه لما

(١) هذا في معالم التنزيل للبغوي ٦١/٦.

(٢) البغوي السابق ٦١/٦، ٦٢ وزاد المسير ١٤٦/٧ والقرطبي ٢١٨/١٥.

(٣) سقط من ب.

(٤) الرازي ٢٦/٢١٧.

(٥) السابق.

(٦) سقط من ب.

(٧) انظرها بالتفصيل من خلال الآيات ٨٢ إلى آخر الآية ٨٧. وانظر: اللباب ٣/٣٧.

(٨) مشى المؤلف وراء السمين الحلبي حيث جعل القرآن مشبهاً وكلام الجاحظ المؤلف مشبهاً به ولا يليق أن نشبه القرآن بغيره.

أراد أن يعقب بذكر أهل النار ذكر أهل الجنة ثم قال: «هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاعِينَ»<sup>(١)</sup> وقيل<sup>(٢)</sup> المراد هذا شرف وذكر جميل لهؤلاء الأنبياء يذكرون أبداً والصحيح الأول.

قوله: «وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنِ مَآبٍ» المآب المرجع، لما حكى سَفَاهَةَ قُرَيْشٍ عَلَى النَّبِيِّ - ﷺ - بقولهم: «سَاحِرٌ كَذَّابٌ» وقولهم له استهزاء: «عَجَلْنَا لَنَا قِطْنَا» ثم أمره بالصبر على سَفَاهَتِهِمْ واقتدائه بالأنبياء المذكورين في صبرهم على الشدائد والمكاره بين ههنا أن من أطاع الله كان له من الثواب كذا وكذا وكل من خالفه كان له من العقاب كذا وكذا. وذلك يوجب الصبر على تكاليف الله تعالى. وهذا نظم حسن، وترتيب لطيف<sup>(٣)</sup>.

قوله: «جَنَّاتٍ عَدْنٍ» العامة على نصب «جنات» بدلاً من «حسن مآب» سواء كانت «جنات عدن» معرفة أم نكرة لأن المعرفة تبدل من النكرة وبالعكس، ويجوز أن تكون عطف بيان إن كانت نكرة ولا يجوز ذلك فيها إن كانت معرفة<sup>(٤)</sup>.

(وقد جوز الزمخشري<sup>(٥)</sup> ذلك بعد حكمه) واستدلله على أنها معرفة، وهذا كما تقدم له في مواضع يجيز عطف البيان وإن تخالفاً تعريفاً وتنكيراً<sup>(٦)</sup>. وقد تقدم هذا في قوله تعالى: «فِيهِ أَمْكِنُ يُنَبِّئُ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ» [آل عمران: ٩٧]، ويجوز أن ينتصب «جَنَّاتٍ عَدْنٍ» بإضمار فعل<sup>(٧)</sup>، و«مُفْتَحَةٌ» حال من «جَنَّاتٍ عَدْنٍ» أو نعت لها إن كانت نكرة<sup>(٨)</sup>. وقال الزمخشري: حال، والعامل فيها ما في «الْمُتَّقِينَ» من معنى الفعل. انتهى<sup>(٩)</sup>.

وقد علل أبو البقاء بعلّة في «مُتَّقِينَ» تقتضي منع «مفتحة» أن تكونَ حالاً وإن كانت العلة غير صحيحة فقال: ولا يجوز أن تكون - يعني<sup>(١٠)</sup> متكتين - حالاً من «اللمتقين»<sup>(١١)</sup>؛ لأنه<sup>(١٢)</sup> قد أخبر عنهم قبل الحال<sup>(١٣)</sup>. وهذه العلة موجودة في جعل «مُفْتَحَةٌ» حالاً من للمتقين كما ذكره الزمخشري إلا أن هذه العلة ليست صحيحة. وهو نظير قولك: «إِنَّ لِهِنْدٍ (ما)<sup>(١٤)</sup> لَأَقَائِمَةٌ» وأيضاً في عبارته تجوز فإن «اللمتقين» لم يخبر

(١) وانظر: الدر المصون ٤/٦١٤، ٦١٥ والرازي ٢٦/٢١٨.

(٢) المرجع الأخير السابق.

(٣) السابق.

(٤) انظر هذا في الدر المصون ٤/٦١٥ والبيان ٢/٣١٦ والبيان ١١٠٣. والمشكل ٢/٢٥٢.

(٥) ما بين القوسين سقط من ب.

(٦) قال جار الله في الكشاف ٣/٣٧٨: وانتصابها على أنها عطف بيان «لحسن مآب». والبصريون منعوا جريان عطف البيان على النكرة وقالوا: لا يجري إلا في المعارف كذا نقله عنهم الشلوبين. وذهب الكوفيون والفارسي والزمخشري إلى جواز تنكيرهما ومثلاً بقوله تعالى: «من ماء صديد» الخ. الهمع ٢/٢.

(٧) قاله السمين في الدر ٤/٦١٥.

(٨) السابق وانظر: تبيان العكبري ١١٠٣.

(٩) الكشاف ٣/٣٧٨.

(١٠) في ب: معنى. تحريف.

(١١) في ب والبيان: المتقين.

(١٢) في ب: كأنه.

(١٣) التبيان ١١٠٣.

(١٤) لفظ (ما) سقط من أ دون ب.

عنهم صناعة إنما أخبر عنهم معنى وإلا فقد أخبر عن «حُسْن مآبٍ» بأنه لهم<sup>(١)</sup>، وجعل الحوفي العامل مقدراً أي يَدْخُلُونَهَا مَفْتَحَةً<sup>(٢)</sup>.

قوله: «الأبواب» في ارتفاعها وجهان:

أشهرهما عند الناس: أنها مرتفعة باسم المفعول<sup>(٣)</sup> كقوله: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ٧٣]. واعترض على هذا بأن «مُفْتَحَةً» إما حال، وإما نعت «لِجَنَّاتٍ». وعلى التقديرين فلا رابط. وأجيب بوجهين:

أحدهما: قول البصريين وهو أن نَمَّ خبراً مقدراً تقديره الأبواب منها.

والثاني: أن («أل»)<sup>(٤)</sup> قامت مقام الضمير، إذ الأصل أبوابها، وهو قول الكوفيين<sup>(٥)</sup>. وتقدم تحقيق هذا. والوجهان جاريان في قوله: ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: ٤١].

الثاني: أنها مرتفعة على البدل من الضمير في مفتحة العائد على جنات. وهو قول الفارسي<sup>(٦)</sup>. لما رأى خلوها من الرابط لفظاً ادعى ذلك. واعترض على هذا بأن هذا من بدل البعض أو الاشتمال وكلاهما لا بدّ فيهما من ضمير فيضطر إلى تقديره كما تقدم. ورجح بعضهم الأول بأن فيه إضماراً واحداً وفي هذا إضماران<sup>(٧)</sup> وتبعه الزمخشري فقال «والأبواب» بدل من الضمير في «مفتحة» أي مفتحة هي الأبواب كقولك: «ضرب زيد اليد والرجل» وهو من بدل الاشتمال<sup>(٨)</sup>.

فقوله: «بدل الاشتمال» إنما يعني به الأبواب لأن الأبواب قد يقال: إنها ليست بعض الجنات، وأما ضرب زيد اليد والرجل فهو بعض من كل ليس إلا<sup>(٩)</sup>.

وقرأ زيد بن علي وأبو حيوة جنات عدن مفتحة<sup>(١٠)</sup> برفعها إما على أنها جملة من

(١) الدر المصون ٦١٥/٤. (٢) وانظر: البحر المحيط لأبي حيان ٧/٤٠٥.

(٣) ذكره ابن الأنباري في البيان ٣١٦/٢ وأبو البقاء في التبيان ١١٠٣ والقرطبي في الجامع ١٥/١١٩ والسمين في الدر ٦١٥/٤ والقراء في المعاني ٤٠٨/٢.

(٤) سقط من ب.

(٥) انظر: الدر المصون ٦١٥/٤، ٦١٦ ومشكل الإعراب ٢٥٢/٢ والتبيان ١١٠٣.

(٦) قال في المقتصد ٥٤٤: «وأما قوله تعالى: ﴿جنات عدن مفتحة﴾ الآية فليس على مفتحة لهم الأبواب بدل من الضمير الذي في «مفتحة» لأنك تقول: فتحت الجنان إذا فتحت أبوابها». وانظر أيضاً الإغفال ١١٩٩، ١٢٠٠.

(٧) هذا رأي أبي حيان في البحر ٤٠٥/٧. (٨) الكشاف ٣/٣٧٨.

(٩) قاله أبو حيان في البحر ٤٠٥/٧ والسمين في الدر ٦١٦/٤.

(١٠) ذكرها ابن خالويه في المختصر ١٣٠ وهي من الشواذ كما ذكرها أبو حيان في البحر ٤٠٥/٧ والسمين في الدر ٦١٦/٤ والزمخشري ٣/٣٧٨.

مبتدأ وخبر، وإما على أن كل واحدة خبر مبتدأ مضمرة أي هي جنات هي مفتحة<sup>(١)</sup>.  
 قوله: «متكئين» حال من «لهم» العامل فيها مفتحة<sup>(٢)</sup>، وقيل: العامل «يَدْعُونَ»<sup>(٣)</sup>.  
 (و)<sup>(٤)</sup> تأخر عنها. وقد تقدم منع أبي البقاء أنها حال من «للمتقين»<sup>(٥)</sup> وما فيه، و «يَدْعُونَ»  
 يجوز أن يكون مستأنفاً وأن يكون حالاً إما من ضمير «متكئين» وإما حالاً ثانية<sup>(٦)</sup>.

## فصل

اعلم أنه تعالى وصف أحوال أهل الجنة في هذه الآية بأشياء:  
 أولها: أحوال مساكنهم جنات عدن وذلك يدل على أمرين:  
 أحدهما: كونها بساتين.

والثاني: كونها دائمة ليست منقضية، وقوله: «مُفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ» قيل: المراد أن  
 الملائكة يفتحون<sup>(٧)</sup> لهم أبواب الجنة ويحيونهم بالسلام كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا  
 جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ رَبِّكُمْ فَلَدُّهُمْ خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].  
 وقيل: الحق أنهم كلما أرادوا انفتاح<sup>(٨)</sup> الأبواب انفتحت لهم وكلما أرادوا انغلاقها<sup>(٩)</sup>  
 انغلت لهم، وقيل: المراد من هذا الفتح وصف تلك المساكن بالسعة وقرة<sup>(١٠)</sup> العيون  
 فيها، وقوله: «مُتَكِّئِينَ» قد ذكر في آيات أخر كيفية ذلك الاتكاء فقال في آية: ﴿عَلَى  
 الْأَرَائِكِ مُتَكِّئُونَ﴾ [يس: ٥٦]. وقال في أخرى: ﴿مُتَكِّئِينَ عَلَى رَقَبٍ حُضْرٍ وَعَبَقَرِي حِسَانٍ﴾<sup>(١١)</sup>  
 [الرحمن: ٧٦]، وقوله: «يَدْعُونَ فِيهَا» في الجنات بألوان الفاكهة وألوان الشراب والتقدير  
 بفاكهة كثيرة وشراب كثير، ولما بين المسكن والمأكول والمشروب ذكر أمر المنكوح فقال  
 «وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ» أي عن غيرهم وقوله «أَنْزَابٌ» أي على سن واحد<sup>(١٢)</sup>، وقيل:  
 بنات ثلاث وستين<sup>(١٣)</sup> سنة واحدها تزب. وعن مجاهد: متواخيات لا يتباعدن ولا

(١) المراجع الثلاثة الأخيرة. والتقدير في البحر والكشاف أي هو جنات عدن هي مفتحة.

(٢) التبيان ١١٠٣ والبيان ٣١٧/٢ والدر المصون ٦١٦/٤.

(٣) التبيان ١١٠٣. (٤) زيادة من ب.

(٥) في ب: المتقين بدون لام الجر.

(٦) قاله في الدر المصون ٦١٦/٤ وقال بالحالية فقط الإمام القرطبي في الجامع ٢١٩/١٥.

(٧) نون الرفع هذه سقطت من أ. (٨) كذا في أ والفخر الرازي. وفي ب افتتاح.

(٩) في ب فقط: إغلاقها.

(١٠) كذا في أ وفي ب قوة وفي الرازي مسافة. وهو الأصح ومعنى المسافة الاتساع والجمال (بتصرف من اللسان: «س ف ر» ٢٠٢٤).

(١١) والمتكئ في العربية كل من استوى قاعداً على وطاء، متمكناً، والعامه لا تعرف المتكئ إلا من قال في قعوده معتمداً على أحد شقيه وانظر: اللسان: «و ك أ» ٤٩٠٤.

(١٢) انظر: غريب القرآن ٣٨١ والمجاز ١٨٥/٢ والرازي ٢١٩/٢٦ والقرطبي ٢١٩/١٥.

(١٣) الأصح: ثلاث وثلاثين سنة كما في البغوي ٦٢/٦ والقرطبي ٢١٩/١٥.

يَتَّعَايَرُونَ<sup>(١)</sup>، وقيل: أتراب للأزواج، وقال القفال: والسبب في اعتبار هذه الصفة أنهم لما تشابهن في الصفة والسن والجيلة<sup>(٢)</sup> كان الميل إليهن على السوية وذلك يقتضي عدم الغيرة<sup>(٣)</sup>.

قوله: «هَذَا مَا تُوعَدُونَ» قرأ ابن كثير وأبو عمرو: «هذا ما يُوعَدُونَ» بياء الغيبة وفي (ق) (٤) (و) (٥) ابن كثير وحده. والباقون بالخطاب فيهما<sup>(٦)</sup>. ووجه الغيبة هنا وفي (ق) تقدم ذكر المتقين ووجه الخطاب الالتفات إليهم والإقبال عليهم؛ أي قُلْ لِلْمُتَّقِينَ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ أي في يوم الحساب. «إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ» أي فناء وانقطاع، وهذا إخبار عن دوام هذا الثواب.

قوله: «من نفاذ» إما مبتدأ وإما فاعل و «من» مزيدة، والجملة في محل نصب على الحال من رِزْقُنَا أي غير فان<sup>(٧)</sup>، ويجوز أن يكون خيراً<sup>(٨)</sup> ثانياً.

قوله تعالى: ﴿ هَذَا وَإِنَّ لِلظَّالِمِينَ لَشَرَّ مَأْتَابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ بَصُلُونَهَا فَنَسَّ إِلَيْهَا ﴿٥٦﴾ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخِرُ مِنْ سُكُلِهِمْ أَرْوَاحٌ ﴿٥٨﴾ هَذَا فَوْجٌ مُقْتَدِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْجَأَ لَهُمْ إِلَيْهِمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَمْ تَكُنْ أُمَّتَنَا فَنَسَّ الْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدَّهُ عَلَيْنَا ضَعُفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمَ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٤﴾

قوله: «هَذَا وَإِنَّ لِلظَّالِمِينَ» يجوز أن يكون «هذا» مبتدأ، والخبر مقدر، فقدره الزمخشري: «هذا كما ذكر»<sup>(٩)</sup> وقدرة أبو علي هذا للمؤمنين<sup>(١٠)</sup>، ويجوز أن يكون خبر مبتدأ مضمير أي الأمر هذا<sup>(١١)</sup>.

## فصل

لما وصف ثواب المؤمنين وصف بعده عقاب الظالمين ليكون الوعيد مذكوراً عقيب الوعد والترهيب عقيب الترغيب فقال: «هَذَا وَإِنَّ لِلظَّالِمِينَ لَشَرَّ مَأْتَابٍ» أي مرجع، وهذا في

- (١) وانظر: البغوي ٦/٦٢. (٢) في الرازي: والجبيلة.  
(٣) وانظر الرازي ٢٦/٢١٩. (٤) في قوله: «هذا ما توعدون لكل أبواب حفيظ».  
(٥) زيادة لا معنى لها من أ.  
(٦) من القراءة المتواترة وانظر: الإتحاف ٣٧٣ والكشف ٢/٢٣٢ والنشر ٢/٣٦١.  
(٧) التبيان ١١٠٣، ١١٠٤ والدر المصون ٤/٦١٧.  
(٨) السابق. (٩) الكشاف ٣/٣٧٩.  
(١٠) البحر المحيط ٧/٤٠٥ والحجة ٧/٤٠.  
(١١) هذا رأي أبي إسحاق الزجاج في المعاني ٤/٣٣٨ وأحد قولي الزمخشري في الكشاف ٣/٣٧٩.

مقابلة قوله: «وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ». والمراد «بالطاعين»: الكفار، وقال الجبائي: هم أصحاب الكبائر سواء كانوا كفاراً أم لا، واحتج الأولون بقوله: «أَتَّخَذْنَا هُمْ سَخْرِيًّا»؛ ولأن هذا ذم مطلق فلا يحمل إلا على الكامل في الطغيان وهو الكافر، واحتج الجبائي بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ﴾ [العلق: ٦ - ٧] فدل على أن الوصف بالطغيان قد يحصل لصاحب الكبيرة، لأن كل من تجاوز حد تكاليف الله وتعداها فقد طغى<sup>(١)</sup>.

قوله: «جَهَنَّمَ» يجوز أن يكون بدلاً من «سَرَّ مَآبٍ»<sup>(٢)</sup> أو منصوبة بإضمار أعني فعل<sup>(٣)</sup>، وقياس قول الزمخشري في: «جَنَّاتٍ عَدْنٍ» أي يكون عطف بيان<sup>(٤)</sup> وأن يكون جهنم منصوبة بفعل يتقدمه<sup>(٥)</sup> على الاشتغال أي يَصْلُونَ جَهَنَّمَ يَصْلُونَهَا<sup>(٦)</sup>، والمخصوص بالذم محذوف أي «هي».

قوله: «فَبِئْسَ الْمِهَادُ» هو معنى قوله: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١] شبه الله تعالى ما تحتهم من النار بالمهاد الذي يفرشه النائم<sup>(٧)</sup>.

قوله: «هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ» في هذا أوجه:

أحدها: أن يكون مبتدأ وخبره: «حَمِيمٌ»<sup>(٨)</sup> و«عَسَاقٌ». وقد تقدم أن اسم الإشارة يكتفي بواحدة في المثني كقوله: ﴿عَوَانٌ بَيْنَكَ ذَلِكَ﴾<sup>(٩)</sup> [البقرة: ٦٨] أو يكون المعنى هذا جامع بين الوصفين ويكون قوله: «فَلْيَذُوقُوهُ» جملة اعتراضية<sup>(١٠)</sup>.

الثاني: أن يكون «هذا» منصوباً بمقدر على الاشتغال أي لِيَذُوقُوا هذا<sup>(١١)</sup>، وشبهه الزمخشري بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّى فَارْهَبُونَ﴾<sup>(١٢)</sup> [البقرة: ٤٠] يعني على الاشتغال والكلام على مثل هذه الفاء قد تقدم<sup>(١٣)</sup>. و«حَمِيمٌ» على هذا خبر مبتدأ مضمرة<sup>(١٤)</sup>، أو مبتدأ وخبره مضمرة أي مِنْهُ حَمِيمٌ وَمِنْهُ عَسَاقٌ<sup>(١٥)</sup> كقوله:

(١) وانظر: تفسير الفخر الرازي ٢٦/٢٢٠، ٢٢١.

(٢) الثبيان ١١٠٤.

(٣) الدر المصون ٤/٦١٧.

(٤) الكشف ٣/٣٧٨.

(٥) في ب: صفة.

(٦) الثبيان ١١٠٤ والدر المصون ٤/٦١٧. (٧) قاله الزمخشري في الكشف ٣/٣٧٩.

(٨) في أ جهنم خطأ.

(٩) قاله العكبري ١١٠٤ والسمين ٤/٦١٧ وصاحب البيان ٢/٣١٧.

(١٠) المراجع السابقة وقال بهذا الوجه مكّي في المشكل أيضاً ٢/٢٥٢.

(١١) الثبيان ٢/٣١٧ ومعاني الفراء ٢/٤١٠ وهو قول الزمخشري في الكشف كما سيأتي الآن.

(١٢) وانظر: الكشف ٣/٣٧٩ وكان الأصل: وإياي ارهبوا فارهبون.

(١٣) من كونها إما زائدة، وإما جواب أمر مقدر أي تنهبوا. والزائدة دخولها في الكلام كخروجها وأناس كثيرين حكموا على مثل هذه الفاء بالزيادة. انظر: المغني ١٦٦ والمشكل ٢/٢٥٢ ومعاني الزجاج ٤/٣٣٨.

(١٤) الثبيان ٢/٣١٧.

(١٥) أحد قولي الفراء في المعاني ٢/٤١٠ وانظر في هذا كله الدر المصون ٤/٦١٨.

٤٢٧٧ - حَتَّىٰ إِذَا مَا أَضَاءَ النَّبْرُقُ فِي غَلَسِ وَعُوْدِرَ الْبَقْلُ مَلْوِيٍّ وَمَخْصُودٌ<sup>(١)</sup>  
أي منه ملويٌّ ومنه محصود.

الثالث: أن يكون «هذا» مبتدأ والخبر محذوف أي هذا كما ذُكِرَ أو هذا للطاغين<sup>(٢)</sup>.

الرابع: أنه خبر مبتدأ مضمرة أي الأمر هذا. ثم استأنف أمراً فقال «فَلْيَذُوقُوهُ»<sup>(٣)</sup>.  
الخامس: أن يكون مبتدأ خبره فليذوقوه<sup>(٤)</sup> وهو رأي الأخفش<sup>(٥)</sup>. ومنه:

٤٢٧٨ - وَقَائِلَةٌ حَوْلَانٌ فَأَنْكِحَ فِتَاتَهُمْ<sup>(٦)</sup>

وتقدم تحقيق هذا عند قوله: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨]. وقرأ الأخوان وحفص غَسَاقٌ بتشديد السين هنا وفي ﴿عَمَّ يَسَسَةٌ لَّنْ﴾ [النبا: ١] وخَفَقَهُ الباقون فيهما<sup>(٧)</sup>. فأما المثقل فهو صفة كالجَبَّارِ والضَّرَّابِ مثال مبالغَةٍ وذلك أن «فَعَالًا» في الصفات أغلب منه في الاسم<sup>(٨)</sup>. وَمِنْ زُرُودِهِ فِي الْأَسْمَاءِ الْكَلَاءُ<sup>(٩)</sup> وَالْحَبَّانُ<sup>(١٠)</sup> وَالْفَيْيَادُ لَذَكَرَ الْبَوْمَ<sup>(١١)</sup> وَالْعَقَّارُ<sup>(١٢)</sup> وَالْحَطَّارُ<sup>(١٣)</sup>. وأما المخفف فهو اسم لا صفة لأن فَعَالًا بالتخفيف في الأسماء كالعَذَابِ وَالتَّكَالِ أغلب منه في الصفات على أَنَّ مِنْهُمْ من جعله صفةً بمعنى «ذو كذا» أي ذِي غَسَقٍ، وقال أبو البقاء أو يكون «فَعَالٌ» بمعنى

(١) هذا بيت من بحر البسيط ولا يعرف قائله، ويروى الصبح بدل البرق والبقل: النبات الذي لا يبقى منه شيء في الأرض بعد قلعه، والملوي: الذابل. والمحصود: ما قطعت الأيدي. والشاهد: حذف الخبر لدلالة الكلام عليه كما قدره: منه ملوي ومنه محصود. وانظر معاني الفراء ١/١٩٣، ٢/٤١٠ والبحر ٧/٤٠٦ والقرطبي ١٥/٢٢١ والدر المصون ٤/٦١٨.

(٢) قد سبق أن هذا أحد قولِي الزمخشري في الكشاف ٣/٣٧٩ وانظر الدر المصون ٤/٦١٨.

(٣) مشكل الإعراب ٢/٢٥٢ والبيان ٢/٣١٧.

(٤) المرجع الأخير السابق، وإعراب النحاس ٣/٤٦٩.

(٥) انظر: البيان المرجع السابق.

(٦) سبق الكلام على هذا البيت وشاهده هنا: أن حولان مبتدأ فانكح فتياتهم، كقوله: «هذا فليذوقوه».

(٧) من القراءة المتواترة وانظر: معاني الفراء ٢/٤١٠ والبيان ١١٠٥ والسبعة ٥٥٥ والإتحاف ٢٧٣.

(٨) قال السيوطي في المزهري ٢/٧٧: «قال في ديوان الأدب» قليل أن يأتي فعال من أفعل يفعل ومنه الدراك للكثير الإدراك وقال ابن خالويه في كتاب «ليس» ليس في كلامهم فعال من أفعل إلا جبار ومنه أجز ودراك من أدرك وسنار من أسار، وكذلك قال ثعلب في أماليه. (انظر المزهري المرجع السابق).

(٩) اسم للموضع الذي تكل فيه الريح عن حملها. اللسان: «كلل» ٣٩١٨.

(١٠) اسمان موضوعان من الحب اللسان: «ح ب ب» ٧٤٤.

(١١) ويقال فيد الرجل إذا تطير من صوت الفَيَّاد. اللسان: «ف ي د» ٣٤٩٩.

(١٢) كل ما يتداوى به اللسان: «ع ق ر» ٣٠٣٨.

(١٣) نوع من الدهن له رائحة نفاذة للسان: «خ ط ر» وهو العطار وهو المقلاع، وهو الطعان بالرمح انظر: اللسان: «خ ط ر» ١١٩٦.

فَاعِلٍ<sup>(١)</sup>. قال شهاب الدين: وهذا غير معروف<sup>(٢)</sup>.

### فصل

قيل: هذا على التقديم والتأخير. والتقدير: هذا حميمٌ وعَسَاقٌ (فَلْيَذُوقُوهُ<sup>(٣)</sup>)، وقيل: التقدير: جهنم يصلونها فبئس المهاد هذا فليذوقوه ثم يبتدىء فيقول: حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ أَي مِنْهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ<sup>(٤)</sup>. وَالْعَسَقُ السَّيْلَانُ، يقال: عَسَقْتُ عَيْنَهُ أَي سَأَلْتُ، قال المفسرون: إنه ما يسيل من صديدهم، وقيل: عَسَقُ أَي امْتَلَأَ، ومنه عَسَقَتْ عَيْنُهُ أَي امْتَلَأَتْ بالدمع ومنه العَاسِقُ للقمر لامتلائه وكماله. وقيل: العَسَاقُ مَا قَتَلَ بِرِدِّهِ، ومنه قيل لليل: غَاسِقٌ، لأنه أبرد من النهار<sup>(٥)</sup>، (و) قال ابن عباس: هو الزَّمْهَرِيرُ يحرقهم ببرده كما تحرقهم النار بحرّها. وقال مجاهد وقتادة: هو الذي انتهى برده<sup>(٦)</sup>، وقيل: العَسَقُ شدة الظلمة ومنه قيل لليل غاسق، ويقال للقمر غاسق إذا كسف لاسودادِهِ، والقَوْلَانِ منقولان في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ﴾<sup>(٧)</sup> [الفلق: ٢]. وقيل: العَسَاقُ: المتن بلغة الترك<sup>(٨)</sup> وحكى الزجاج: «لَوْ قَطَرَتْ مِنْهُ قَطْرَةٌ بِالْمَغْرِبِ لَأَتَتْ أَهْلَ الْمَشْرِقِ»<sup>(٩)</sup>. وقال ابن عُمَرَ: هو القَيْحُ الذي يسيل منهم يجتمع فيُسَقُونَهُ<sup>(١٠)</sup>، قال قتادة: هو مَا يُعَسِقُ أَي يسيل من القَيْحِ والصَّدِيدِ من جلود أهل النار ولحومهم وفروج الزناة من قولهم: عَسَقَتْ عَيْنُهُ إِذَا انْصَبَّتْ وَالْعَسَقَانُ الانْصِبَابُ<sup>(١١)</sup>، قال كعب: العَسَاقُ عَيْنٌ فِي جَهَنَّمَ يسيل إليها كل ذوات حية وعقرب<sup>(١٢)</sup>.

قوله: «وَأَخْرَجْ» قرأ أبو عمرو بضم<sup>(١٣)</sup> الهمزة على أنه جمع وارتفاعة من أوجِه:

أحدها: أنه مبتدأ و «مِنْ شَكْلِهِ» خبره، و «أَزْوَاجٌ» فاعل به<sup>(١٤)</sup>.

الثاني: أن يكون مبتدأ أيضاً و «مِنْ شَكْلِهِ» خبر مقدم، و «أَزْوَاجٌ» مبتدأ. والجملة خبره<sup>(١٥)</sup>، وعلى هذين القولين فيقال: كيف يصحُّ من غير ضمير يعود على «آخر» فإن

(١) التبيان ١١٠٥. (٢) الدر المصون ٦١٨/٤.

(٣) ما بين القوسين كله سقط من ب. (٤) وانظر: الرازي ٢٦/٢٢١.

(٥) وانظر كل هذا في اللسان «غ س ق» ٣٢٥٥، ٣٢٥٦ ومعاني الفراء ٢/٤١٠ والمجاز ٢/١٨٦ ومعاني الزجاج ٤/٣٣٩ وغريب القرآن ٣٨١ والكشاف ٣/٣٧٩ والقرطبي ١٥/٢٢١.

(٦) وانظر البغوي ٦/٦٢.

(٧) وانظر: اللسان «غ س ق» ٣٢٥٥/٣٢٥٦ والقرطبي ١٥/٢٢١، ٢٢٢.

(٨) البغوي ٦/٦٢. (٩) معاني القرآن وإعرابه ٤/٣٣٩.

(١٠) الرازي ٢٦/٢٢١. (١١) البغوي ٦/٦٢.

(١٢) الرازي السابق.

(١٣) من المتواترات انظر: السبعة ٥٥٥ ومعاني الفراء ٢/٤٠، ٤١١ والبحر المحيط ٧/٤٠٦ والدر ٤/٦١٩.

(١٤) الدر المصون المرجع السابق وفيه نظر لعدم تسويغ المبتدأ بالئكرة.

(١٥) السابق وانظر: التبيان ١١٠٥ والبيان ٢/٣١٨.

الضمير في «شكله» يعود على ما تقدم أي من شكل المذوق؟ والجواب أن الضمير عائد على المبتدأ وإنما أفرد وذكر لأن المعنى من شكل ما ذكرنا. ذكر هذا التأويل أبو البقاء<sup>(١)</sup>. وقد منع مكي ذلك لأجل الخلو من الضمير. وجوابه<sup>(٢)</sup> ما ذكرنا.

الثالث: أن يكون «مِنْ شَكْلِهِ» نعتاً «لآخر» و «أزواج» خبر المبتدأ أي و «آخر من شكله المذوق أزواج».

الرابع<sup>(٣)</sup>: أن يكون «مِنْ شَكْلِهِ» نعتاً أيضاً، و «أزواج» فاعل به والضمير عائد على «آخر» بالتأويل المتقدم وعلى هذا فيرتفع «آخر» على الابتداء، والخبر مقدر أي ولهم أنواع آخر استقر من شكلها أزواج.

الخامس<sup>(٤)</sup>: أن يكون الخبر مقدرًا كما تقدم أي ولهم آخر و «مِنْ شَكْلِهِ» و «أزواج» صفتان لآخر، وقرأ العامة «من شكله» بفتح الشين، وقرأ مجاهد<sup>(٥)</sup> بكسرهما. وهما لغتان بمعنى المثل والضرب. تقول: هذا على شكلي أي مثله وضربه وأما الشكّل بمعنى الغنج<sup>(٦)</sup> فبالكسر لا غير. قاله الزمخشري<sup>(٧)</sup>. وقرأ الباقون و آخر بفتح الهمزة وبعدها ألف بصيغة أفعال التفضيل والإعراب فيه كما تقدم، والضمير في أحد الأوجه يعود عليه من غير تأويل لأنه مفرد إلا أن في أحد الأوجه يلزم الإخبار عن المفرد بالجمع أو وصف المفرد بالجمع لأن من جملة الأوجه المتقدمة أن يكون «أزواج» خبراً عن «آخر» أو نعت له كما تقدم. وعنه جوابان:

أحدهما: أن التقدير وعذاب آخر أو مذوق آخر<sup>(٨)</sup>، وهو ضروب ودرجات فكان في قوة الجمع أو يجعل كل جزء من ذلك الآخر مثل الكل وسماه باسمه وهو شائع كثير نحو غليظ الحوایج وشابت مفارقه.

(١) قال وذكر الضمير لأن المعنى من شكل ما ذكرناه التبيان المرجح السابق.

(٢) قال في الكشف ٢/٢٣٣: «وقوله: من شكله يدل على التوحيد ولو كان على الجمع لقال من شكلها». وقال في المشكل ٢/٢٥٣: لأنك إذا رفعت الأزواج بالظرف لم يكن في الظرف ضمير وهو صفة والصفة لا بد لها من الضمير يعود على الموصوف فهو رفع بالظرف والظرف لا يرفع فاعلين.

(٣) هو والثالث الذي قبله ذكرنا في البيان ٢/٣١٨ والتبيان ١١٠٥ وقد استضعف هذا الوجه ابن الأنباري في البيان ٢/٣١٨ قال: «لأنك إذا رفعت الأزواج بالظرف لم يكن في الظرف ضمير وهو صفة والصفة لا بد لها من ضمير يعود على الموصوف لأن الظرف لا يرفع فاعلين».

(٤) التبيان المرجح السابق وانظر هذا كله في الدر المصون ٤/٦١٩.

(٥) انظر: البحر ٧/٤٠٦ ولم ينسبها الزمخشري في الكشف ٣/٣٧٩ وانظر: الدر المصون ٤/٦٢٠.

(٦) وهو الدلّ دلالة المرأة وتدلها والغنج والغنج واحد. اللسان: «غ ن ج» ٣٣٠٥.

(٧) الكشف ٣/٣٧٩.

(٨) المعاني للفراء ٢/٤١١ قال: «وإذا كان الاسم فعلاً جاز أن ينعت بالانثين والكثير كقولك في الكلام عذاب فلان ضروب شتى» وانظر: الدر المصون ٤/٦٢٠.

على أن لقائل أن يقول: إن «أزواجاً» صفة للثلاثة الأشياء المتقدمة أعني الحميم والغساق وآخر من شكله فيلغى السؤال<sup>(١)</sup>.

قوله: «هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَعَكُمْ» مفعول «مقتحم» محذوف أي مُّقْتَحِمٌ النار، والاقترحام الدخول في الشيء بشدة<sup>(٢)</sup> والقُحْمَةُ الشدة<sup>(٣)</sup>. وقال الراغب: الاقترحام توسط شدة مخيفة ومنه قَحِمَ الفرسُ فارسه أي توغل به ما يخاف منه، والمقاهيم الذين يقتحمون في الأمر الذي يتجنب<sup>(٤)</sup>.

قوله: «مَعَكُمْ» يجوز أن يكون نعتاً ثانياً «لِفَوْجٍ» وأن يكون حالاً منه لأنه قد وصف وأن يكون حالاً من الضمير المستتر في «مُقْتَحِمٌ»<sup>(٥)</sup>. قال أبو البقاء: ولا يجوز أن يكون طرفاً لفساد<sup>(٦)</sup> المعنى، قال شهاب الدين: ولم أدر من أي وجه يفسد والحالية والصفة في المعنى كالظرفية<sup>(٧)</sup>، وقوله: «هَذَا فَوْجٌ» إلى «النار» يجوز أن يكون من كلام الرؤساء بعضهم لبعض بدليل قول الأتباع «لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا» وأن يكون من كلام الحزنة، ويجوز أن يكون «هَذَا فَوْجٌ» من كلام الملائكة والباقي من كلام الرؤساء. وكان القياس على هذا أن يقال: بل هُم لا مرحباً بهم لا يقولون للملائكة ذلك إلا أنهم عدلوا عن خطاب الملائكة إلى خطاب أعدائهم تشفياً منهم. والمعنى هنا جمع كثيف وقد اقتحم معكم النار كما كانوا قد اقتحموا معكم في الجهل والضلال<sup>(٨)</sup>، والفَوْجُ القطيعُ من النَّاسِ وجمعه أفواج<sup>(٩)</sup> (قوله)<sup>(١٠)</sup>: «لَا مَرْحَبًا» في «مرحبا» وجهان:

أظهرهما: أنه مفعول بفعل مقدر أي لا أتيتم مرحباً (أو لا<sup>(١١)</sup> سمعتم مرحباً). والثاني: أنه منصوب على المصدر. قاله أبو البقاء<sup>(١٢)</sup> أي لا رَحِبْتُمْ<sup>(١٣)</sup> دَارَكُمْ مَرْحَبًا بل ضيقاً، ثم في الجملة المنفية وجهان:

- (١) قاله الفراء من قبل انظر: المعاني ٤١١/٢.
- (٢) قال في اللسان: «قحِم الرجل في الأمر يقحم قحوماً واقترحم وانقحم - وهما أفصح - رمى بنفسه فيه من غير روية».
- (٣) معاني القحمة الإثم والمهلكة والسنة الشديدة. المرجع السابق وانظر: الكشاف ٣/٣٧٩ والدر المصون ٤/٦٢٠.
- (٤) نقله في المفردات «٣٩٤».
- (٥) ذكرها أبو البقاء في التبيان ١١٠٥ والسمين في الدر ٤/٦٢١.
- (٦) التبيان السابق.
- (٧) الدر المصون ٤/٦٢١.
- (٨) الدر المصون ٤/٦٢١ والكشاف ٣/٣٧٩ والبحر المحيط ٧/٤٠٦.
- (٩) المجاز ٢/١٨٦.
- (١٠) سقط من ب.
- (١١) ما بين القوسين سقط من ب.
- (١٢) التبيان ١١٠٥ والدر المصون ٤/٦٢١.
- (١٣) لم يقل بتعدي فعل إلى المفعول إلا أبو علي عن هذيل وجاء في قول نصر بن سيار «أرجيكم الدخول في طاعة ابن الكرماني» على الشذوذ ومن الجائر أن تقول: تعدي ربح إذا تضمن معنى (وسع). انظر: شرح الشافية للرضي ١/٧٥ واللسان: «رح ب» ١٦٠٦ والدر المصون ٤/٦٢١.

أحدهما: أنها مستأنفة سبقت للدعاء عليهم، وقوله: «بِهِمْ» بيان للمدعو عليهم.  
والثاني: أنها حالية<sup>(١)</sup>، وقد يعترض عليه بأنه دعاء والدعاء طلب (والطلب)<sup>(٢)</sup> لا يقع حالاً والجواب أنه على إضمار القول أي مقولاً لهم لا مرحباً<sup>(٣)</sup>. قال المفسرون قوله تعالى: ﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾ دعاء منهم على أتباعهم يقول الرجل لمن يدعو له: مرحباً أي أتيت رخباً من البلاد لا ضيقاً أو رَحَبْتُ بِلَادَكَ رَخْباً، ثم تدخل عليه كلمة «لا» في دعاء النفي<sup>(٤)</sup>.

قوله: «إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارَ» تعليل<sup>(٥)</sup> لاستجابة الدعاء عليهم. ونظير هذه الآية قوله: ﴿كَلِمًا دَخَلَتْ أَتَى لَمَسَتْ أَهْنًا﴾ [الأعراف: ٣٨] «قالوا» أي الأتباع «بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ» يريدون أن الدعاء الذي دعوتهم به علينا أيها الرؤساء أنتم أحق به وعللوا ذلك بقولهم: «أَنْتُمْ قَدْ مَتَمُّوهُ لَنَا» والضمير للعذاب أو للضلال.

فإن قيل: ما معنى تقديمهم<sup>(٦)</sup> العذاب لهم؟

فالجواب: الذي أوجب التقديم هو عمل السوء كقوله تعالى: ﴿وَنُذِيقُهُ عَذَابَ الْحَرِيقِ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ﴾ [الحج: ٩، ١٠] إلا أن الرؤساء لما كانوا هم السبب فيه بإغوائهم وكان العذاب جزاءهم عليه قيل: أنتم قدمتموه لنا<sup>(٧)</sup>، وقوله: «فبئس القرار» أي بئس المستقر والمستقر<sup>(٨)</sup> جهنم.

قوله: «مَنْ قَدَّمَ» يجوز أن تكون «مَنْ» شرطية و «فَزِدْهُ»<sup>(٩)</sup> جوابها، وأن تكون استفهامية وقدم خبرها أي (أن)<sup>(١٠)</sup> أي شخص قدم لنا هذا؟ ثم استأنفوا دعاءً، بقولهم: «فَزِدْهُ» وأن تكون موصولة<sup>(١١)</sup> بمعنى الذي وحينئذ يجوز فيها وجهان: الرفع بالابتداء والخبر «فَزِدْهُ» والفاء زائدة تشبيهاً له بالشرط، والثاني: أنها منصوبة بفعل مقدر على الاشتغال<sup>(١٢)</sup> والكلام في مثل هذه الفاء (قَدْ)<sup>(١٣)</sup> تقدم.

وهذا الوجه يجوز عند بعضهم حال كونها شرطية أو استفهامية أعني الاشتغال إلا أنه لا يقدر الفعل إلا بعدها لأن لها صدر الكلام<sup>(١٤)</sup> و «ضِعْفًا» نعت لعذاب أي مضاعفاً.

(١) ذكر هذين الوجهين أبو البقاء ١١٠٥. (٢) سقط من ب.

(٣) السابق. (٤) الكشاف ٣/٣٧٩.

(٥) المرجع السابق. (٦) السابق وفي ب: تقدمهم.

(٧) قاله الإمام الفخر الرازي ٢٦/٢٢٢. (٨) كذا هي هنا. وفي ب والرازي: المسكن.

(٩) الفاء من أ فقط دون ب. (١٠) زيادة لا معنى لها.

(١١) انظر هذه الأوجه في التبيان ١١٠٦ والدر المصون ٤/٦٢١ ومعاني الفراء ٢/٤١١ جاء بوجه الاستفهام فقط وكذلك فعل أبو جعفر النحاس ٣/٤٧٠.

(١٢) التبيان ١١٠٦ والدر المصون ٤/٦٢٢. (١٣) سقطت «قد» من «ب».

(١٤) نقله شهاب الدين السمين في الدر المصون ٤/٦٢٢.

قوله: «فِي النَّارِ» يجوز أن تكون ظرفاً «لِزْدَةٍ» أو نعتاً «لِعَذَابٍ» أو حالاً منه لتخصيصه أو حالاً من مفعول «زِدَةٌ»<sup>(١)</sup>.

قوله: «قَالُوا» يعني الأتباع «رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا» أي شرعه وسئته<sup>(٢)</sup> لنا فزده عذاباً ضعفاً أي مضاعفاً «فِي النَّارِ» ونظيره قوله تعالى: «رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَصَلُّوا فَعَانِهِمْ عَذَابٌ (ضِعْفًا)»<sup>(٣)</sup> مِنْ النَّارِ ﴿[الأعراف: ٣٨] وقولهم ﴿إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِرِهْنَا فَأَصَلُّوا السَّبِيلَ رَبَّنَا إِنَّا أَتَيْنَاهُمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنِيمُ لَنَا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٧ - ٦٨].

فإن قيل: كل مقدار<sup>(٤)</sup> يفرض من العذاب فإن كان بقدر الاستحقاق لم يكن مضاعفاً وإن كان زائداً عليه كان ظلماً وإنه لا يجوز.

فالجواب: المراد منه قوله - ﷺ - : «مَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ وَزُرْهَا وَوَزُرْ مِنْ عَمَلٍ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» والمعنى أنه يكون أحد القسمين عذاب الضلال، والثاني عذاب الإضلال، والله أعلم<sup>(٥)</sup>.

وهذا آخر شرح أحوال الكفار مع الذين كانوا أحبباً لهم في الدنيا، وأما شرح أحوالهم مع الذين كانوا أعداء لهم في الدنيا فهو قوله: «وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ» أي أن صنديد قريش قالوا، وهم في النار: «مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ» في الدنيا يعنون فقراء المؤمنين عماراً وخباباً وصهيباً وبلالاً وسلمان وسموهم أشراراً إما بمعنى الأردال الذين لا خير فيهم ولا جدوى أو لأنهم كانوا على خلاف دينهم فكانوا عندهم أشراراً<sup>(٦)</sup>.

قوله: «أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا» قرأ الأخوان وأبو عمرو بوصل الهمزة<sup>(٧)</sup>، وهي تختمل وجهين:

أحدهما: أن يكون خيراً محضاً<sup>(٨)</sup>، وتكون الجملة في محل نصب صفة ثانية «لِرِجَالًا» كما وقع «كُنَّا نَعُدُّهُمْ» صفة<sup>(٩)</sup> وأن يكون المراد الاستفهام وحذفت أداته لدلالة «أُمَّ»<sup>(١٠)</sup> عليها كقوله:

(١) المرجع السابق وقد ذكر هذه الإعرابات العكبري في التبيان ١١٠٦.

(٢) قاله الفراء في المعاني ٤١١/٢. (٣) سقط من ب.

(٤) في ب: كل مقدر بدون ألف. (٥) نقله فخر الدين الرازي في التفسير الكبير ٢٦/٢٢٢.

(٦) المرجع السابق.

(٧) من القراءات السبعة المتوازنة وقد ذكرها أبو البقاء في التبيان ١١٠٦ وذكرها صاحب السبعة ٥٥٦، وصاحب الإتحاف ٣٧٣.

(٨) الكشف ٢/٢٣٤ وابن خالويه في حجته ٣٠٧ والسمين في الدر ٤/٦٢٢.

(٩) السابق وانظر أيضاً هذا الإعراب لجار الله الزمخشري في الكشاف ٣/٣٨٠.

(١٠) الحجة والكشف والسمين السابقات وقد قاله أيضاً صاحب التبيان ١١٠٦.

٤٢٧٩ - تَرَوْحُ مِنَ الْحَيِّ أَمْ تَبْتَكِرُ وَمَاذَا عَلَيْكَ إِنْ تَنْتَظِرُ<sup>(١)</sup>

«فأم» متصلة على هذا، وعلى الأول منقطعة، بمعنى «بل» والهمزة لأنها لم يتقدمها همزة استفهام ولا تسوية<sup>(٢)</sup>، والباقون<sup>(٣)</sup> بهمزة استفهام سقطت لأجلها همزة الوصل، والظاهر أنه لا محل للجملة حينئذ لأنها طلبية، وجوز بعضهم أن تكون صفة لكن على إضمار القول أي رجلاً مقولاً فيهم أتخذناهم كقوله:

٤٢٨٠ - ..... جَاؤُوا بِمَذْقِ هَلْ رَأَيْتَ الذَّنْبَ قَطَّ<sup>(٤)</sup>

إلا أن الصفة في الحقيقة ذلك القول المضمر، وقد تقدم الخلاف في «سُخْرِيًّا» في «قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ»<sup>(٥)</sup> والمشهور أن المكسور من الهُزء كقوله:

٤٢٨١ - إني أَنَانِي لِسَانَ لَا أَسْرُبَهَا مِنْ عَلَوٍ لَا كَذِبَ فِيهَا وَلَا سُخْرُ<sup>(٦)</sup>

وتقدم معنى لحاق الياء المشددة في ذلك، و «أم» مع الخبر منقطعة فقط كما تقدم ومع الاستفهام يجوز أن تكون متصلة، وأن تكون منقطعة كقولك: (أ) زَيْدٌ عِنْدَكَ أَمْ عِنْدَكَ عَمْرُو، ويجوز أن يكون «أَمْ زَاعَتْ» متصلاً بقوله: «مَا لَنَا»؛ لأنه استفهام إلا أنه يتعين انقطاعها لعدم الهمزة ويكون ما بينهما معترضاً على قراءة «أَتَّخَذْنَاهُمْ» بالاستفهام إن لم

(١) من المتقارب لأمريء القيس ويروي الشطر الثاني: وماذا يضريك لو تنتظر. وتروح من الروح وتبتكر من البكور والروح في العشي والتبكير: الذهاب في الغداة. وشاهده: حذف ألف الاستفهام دلالة عليها بأم والأصل: أتروح. وانظر: الدر المصون ٤/٦٢٢ وحجة ابن خالويه ٣٠٧ والقرطبي ١٥/٢٢٥ والطبري ٢٩/٤٣ رديوانه ١٥٤.

(٢) البحر المحيط ٧/٤٠٧ والكشاف ٣/٣٨٠ والدر المصون ٤/٦٢٢.

(٣) ابن كثير ونافع وابن عامر، وعاصم. انظر مراجع القراءات السابقة.

(٤) رجز مشهور ورغم ذلك فهو مجهول وهذا عجز بيت صدره:

حَسْبِي إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ وَاخْتَلَطَ .....

وجنّ الظلام جاء وأقبل كقوله: «فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا» والمذق اللبن. وشاهده: «هل رأيت الذنب» فإنها جملة طلبية استفهامية وقعت نعتاً لمذق ولكن مع التأويل أي بمذق مقول فيه كبت وكبت وقد تقدم.

(٥) عند قوله: «فَاتَّخَلْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا حَتَّى أَنْسُوكُمْ ذِكْرِي» [١١٠]. فقد قرأ نافع والأخوان بضم السين والباقون بالكسر فيها وفي «ص» هنا. وقد أجمع السبعة على الضم في سورة الزخرف وقراءة الضم من التسخير وهو الخدمة وقراءة الكسر من السخرية وهو الاستهزاء كما أخبر أعلى.

(٦) مختلف في نسبة هذا البيت فمن قائل أنه لأعشى باهلة وقيل غير ذلك. والبيت من البسيط. واللسان بمعنى الرسالة وروى أبو زيد البيت في النوادر أناني شيء والبيت هنا كما رواه أبو حيان في البحر والسمين في الدر. والشاهد: «ولا سخر» فإنه بمعنى الاستهزاء. وانظر: الخزانة ١/١٩١ والمذكر والمؤنث ١/٣٩١ والبحر المحيط ٧/٤٠٧، والأصمعيات ٨٨، والكمال ٤/٦٥. والنوادر لأبي زيد ٢٨٨ والدر المصون ٤/٦٢٣.

تجعله<sup>(١)</sup> صفةً على إضمار القول كما تقدم. قال أهل المعاني: قراءة الأخوين أولى لأنهم علموا أنهم اتخذوهم سخرياً لقوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوَكُم ذِكْرِي﴾ فلا يستقيم الاستفهام. وتكون «أم» على هذه القراءة بمعنى «بل»<sup>(٢)</sup> وأجاب الفراء عن هذا بأن قال: هذا من الاستفهام الذي معناه التعجب والتوبيخ. ومثل هذا الاستفهام جائز عن الشيء المعلوم<sup>(٣)</sup> ومن فتح الألف قال هو على اللفظ لا على المعنى ليعادل «أم» في قوله «أم زاعث»<sup>(٤)</sup>.

فإن قيل<sup>(٥)</sup>: فما الجملة المعادلة بقوله: «أم زاعث» على القراءة الأولى؟

فالجواب: أنها محذوفة، والتقدير: أم زاعث عنهم الأبصار<sup>(٦)</sup>. وقرأ نافع سخرياً - بضم السين - والباقون بكسرها. فقيل: هما بمعنى، وقيل: الكسر بمعنى الهُزء، وبالضم التذليل والتسخير<sup>(٧)</sup> وأما نظم الآية على قراءة الإخبار فالتقدير: ما لنا نراهم حاضرين لأجل أنهم لحقارتهم تركوا لأجل<sup>(٨)</sup> أنهم زاعث عنهم الأبصار، ووقع التعبير عن حقارتهم بقولهم: «اتَّخَذْنَاَهُمْ سُخْرِيًّا» وأما على قراءة الاستفهام فالتقدير لأجل أننا قد اتخذناهم سخرياً وما كانوا كذلك فلم يدخلوا<sup>(٩)</sup> لأجل أنه زاعث عنهم الأبصار.

### فصل

معنى الآية: وما لنا لا نرى هؤلاء الذين اتخذناهم سخرياً لم يدخلوا معنا النار أم دخلوا (ها) فزاعث أي فمالت عنهم أبصارنا<sup>(١٠)</sup> فلم نرهم حتى دخلوا. وقيل: (أم)<sup>(١١)</sup> هم في النار ولكن احتجبوا عن أبصارنا، وقال ابن كيسان أم كانوا خيراً منا ونحن لا نعلم فكان أبصارنا تزيغ عنهم في الدنيا فلا نعدُّهم شيئاً<sup>(١٢)</sup>.

(١) في ب: تجعل.

(٢) نقله البغوي في معالم التنزيل ٦٣/٦ والرازي في التفسير الكبير ٢٦/٢٢٣.

(٣) قال: «واستفهم الحسن وعاصم وأهل المدينة وهو من الاستفهام الذي معناه التعجب والتوبيخ، فهو يجوز بالاستفهام وبطره». المعاني ٤١١/٢.

(٤) البغوي المرجع السابق، والرازي ٢٦/٢٢٣.

(٥) هذا طرح لسؤال من الرازي في التفسير الكبير المرجع السابق.

(٦) الأصح كما فيه: (المقصودون هم) أم زاعث.

(٧) سبق هذا ولكن المثلف نقل كلام الرازي في تلك القراءة وكان الأولى أن لا يذكرها ما دام قد ذكرها قبل وانظر الرازي ٢٦/٢٢٣ وفيه «بمعنى واحد، وبالضم هو التذليل والسخير».

(٨) في الرازي: أو لأجل.

(٩) وفيه: فلم يدخلوا النار أم لأجل الخ... وانظر: الرازي المرجع السابق.

(١٠) في ب: الأبصار.

(١١) ما بين القوسين سقط من ب.

(١٢) قال هذا البغوي في معالم التنزيل ٦٣/٦.

قوله: «إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ» أي الذي ذكرت لحق أي لا بد وأن يتكلموا به، ثم بين ذلك الذي حكاه عنهم فقال: «تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ» العامة على رفع «تخاصم» مضافاً «لأهل» وفيه أوجه:

أحدها: أنه بدل من «لَحَقٌّ»<sup>(١)</sup>.

الثاني: أنه عطف بيان<sup>(٢)</sup>.

الثالث: أنه بدل من «ذَلِكَ» على الموضع حكاه مكى<sup>(٣)</sup> وهذا يوافق قول بعض

الكوفيين.

الرابع: أنه خبر ثانٍ لـ «إِنَّ»<sup>(٤)</sup>.

الخامس: أنه خبر مبتدأ مضمرة<sup>(٥)</sup> أي هُوَ تَخَاصُمُ.

السادس: أنه مرفوع بقوله: «لَحَقٌّ»<sup>(٦)</sup> إلا أن أبا البقاء قال: ولو قيل: هو مرفوع «بحق»<sup>(٧)</sup> لكان بعيداً لأنه يصير جملة ولا ضمير فيها يعود على اسم «إِنَّ»<sup>(٨)</sup>، وهذا رد صحيح<sup>(٩)</sup>. وقد يجاب عنه بأن الضمير مقدر أن لحقَّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ فِيهِ<sup>(١٠)</sup>، كقوله: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَصَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣] أي مِنْهُ، وقرأ ابن مُحَيِّصِنِ بِنْتَيْنِ «تَخَاصُمُ»<sup>(١١)</sup> ورفع «أهل» فرفع «تخاصم» على ما تقدم، وأما رفع «أهل» فعلى الفاعلية بالمصدر المنون كقولك: «يعجبني تَخَاصُمُ الزيدون» أي (أَنْ)<sup>(١٢)</sup> تَخَاصُمُوا وهذا قول البصريين، وبعض الكوفيين خلاً الفراء<sup>(١٣)</sup>، وقرأ ابن أبي عبيدة تَخَاصُمُ بالنصب مضافاً «لأهل»<sup>(١٤)</sup> وفيه أوجه:

(١) في ب: الحق وانظر: البيان ٢/٢١٩ والسمين ٤/٦٢٣، والتيان ١١٠٦ والمشكل ٢/٢٥٥.

(٢) الدر المصون ٤/٦٢٣.

(٣) المشكل المرجع السابق والبيان والدر المرجعين السابقين.

(٤) البيان ٢/٣١٩ والمشكل ٢/٢٥٥ والدر المصون ٤/٦٢٣.

(٥) التبيان ١١٠٦ بالإضافة إلى المراجع السابقة.

(٦) قاله أبو البقاء في التبيان ناقلاً له ١١٠٦ وذكره السمين ٤/٦٢٣.

(٧) في التبيان «لحق» باللام. (٨) التبيان ١١٠٦.

(٩) في ب: صريح والتصحيح من أ. (١٠) قاله السمين في الدر ٤/٦٢٣.

(١١) ذكرها أبو حيان في بحره ٧/٤٠٧ والسمين في المرجع السابق.

(١٢) كلمة أن سقطت من ب.

(١٣) قد سبقت هذه القضية ورفع الكلمة على الفاعلية بالمصدر اختيار الأخص ومن تبعه ووافقه الشلوبين إلا أن الجمهور أولوا المصدر المنون بالمبني للمفعول وما بعده على النيابة عن الفاعل نحو المثال الذي هنا تخاصم أهل النار ونحو: «عجبت من ضرب زيد» ووافق أبو حيان الجمهور في رأيه إن لزم البناء للمجهول فعل المصدر نحو عجبت من جنون بالعلم زيد بخلاف ما ليس كذلك. (بتصرف من الهمع ٢/٩٤).

(١٤) الكشاف ٣/٣٨٠ بدون نسبة ونسبت في البحر ٧/٤٠٧.

أحدها: أنه صفة «لذلك»<sup>(١)</sup> على اللفظ، قال الزمخشري: لأن أسماء الإشارة توصف بأسماء الأجناس<sup>(٢)</sup> وهذا فيه نظر لأنهم نصوا على أن أسماء الإشارة لا توصف إلا بما فيه أل نحوه: (مَرَزْتُ)<sup>(٣)</sup> بهَذَا الرجل ولا يجوز: (مَرَزْتُ)<sup>(٤)</sup> بهذا غلام الرجل، فهذا أبعد، ولأن الصحيح أن الواقع بعد اسم الإشارة المقارن «لأل» إن كان مشتقاً كان صفة وإلا كان بدلاً، و«تخاصم» ليس مشتقاً<sup>(٥)</sup>.

الثاني: أنه بدل من «ذلك»<sup>(٦)</sup> الثالث: أنه عطف بيان<sup>(٧)</sup>.

الرابع: على إضمار أعني<sup>(٨)</sup>، وقال أبو الفضل: ولو نصب «تَخَاصُم» على أنه بدل من «ذلك» لجاز انتهى<sup>(٩)</sup>. كأنه لم يطلع عليها قراءة. وقرأ ابن السَّمِيع «تَخَاصُم»<sup>(١٠)</sup> فعلاً ماضياً «أهل» فاعل به وهي جملة استئنافية، وإنما سمى الله تعالى تلك الكلمات تخاصماً لأن قول الرؤساء: «لا مرحباً بهم» وقول الأتباع «بل أنتم لا مرحباً بكم» من باب الخُصومة<sup>(١١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنَّ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (٦٥) رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (٦٦) قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (٦٧) أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ (٦٨) ﴿

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ﴾ لما شرح الله نعيم أهل الثواب وعقاب أهل العقاب عاد إلى تقرير التوحيد والنبوة والبعث المذكورين أول السورة فقال: قُلْ يَا مُحَمَّدُ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ مخوف ولا بد من الإقرار بأنه ما من إله إلا الله الواحد القهار فكونه واحداً يدل على عدم التشريك وكونه قهاراً مشعراً بالترهيب والتخويف ولما ذكر ذلك أردفه بما يدل على الرجاء والترغيب فقال: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ فكونه رباً يشعر بالتربية والإحسان والكرم والجود وكونه غفاراً يشعر بأن العبد لو أقدر على المعاصي والذنوب فإنه يغفر برحمته. وهذا الموصوف هو الذي (يجب)<sup>(١٢)</sup> عبادته لأنه هو الذي يخشى عقابه ويترجى ثوابه ويجوز أن يكون «رب السموات» خبر مبتدأ مضمراً، وفيه معنى المدح.

قوله: ﴿هُوَ نَبَأٌ﴾ (هو) يعود على القرآن وما فيه من القصص والأخبار، وقيل: على

(١) الكشاف المرجع السابق والدر المصون ٦٢٤/٤ والبحر ٤٠٧/٧.

(٢) الكشاف السابق.

(٣) و (٤) كلمة مرتت زيادة للسياق.

(٥) فبقي أن يكون معرباً بالإعراب الآخر وهو البدلية، أو عطف البيان، أو على إضمار أعني. وانظر هذا

التوجيه والاعتراض على الزمخشري في الدر المصون ١٢٤/٤.

(٦) و (٧) و (٨) المرجع السابق.

(٩) نقله عنه صاحب البحر ٤٠٧/٧.

(١٠) من الشواذ غير المتواترة أوردها ابن خالويه في المختصر ١٣٠.

(١١) قاله الإمام الرازي ٢٦/٢٢٣.

(١٢) ما بين القوسين سقط من ب وانظر الرازي ٢٦/٢٢٤، ٢٢٥.

تخاصم أهل النار وقيل: على ما تقدم من إخباره - ﷺ - بأنه نذير مبين وبأن الله إله واحد متصف بتلك الصفات الحُسنى<sup>(١)</sup> و «أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ» صفة «لنبا»<sup>(٢)</sup>، أو مستأنفة<sup>(٣)</sup>، قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: المراد بالنبا العظيم القرآن، وقيل: القيامة لقوله: ﴿عَمَّ يَسْمَعُونَ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ﴾ [النبا: ١ و ٢].

قال ابن الخطيب: هذا النبا العظيم يحتمل وجوهاً: فيمكن أن يكون المراد به القول بأن «الإله» واحد، وأن يكون المراد القول بإثبات الحشر والقيامة نبأ عظيم ويمكن أن يكون المراد (كون)<sup>(٤)</sup> القرآن معجزاً لتقدم ذكره في قوله: «كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ»، وهؤلاء الأقوام أعرضوا عنه<sup>(٥)</sup>. قوله: «مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى» يعني الملائكة فقوله: «بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى» متعلق بقوله: «مِنْ عِلْمٍ» وضمن معنى الإحاطة فلذلك تعدى بالباء. و (قد)<sup>(٦)</sup> تقدم تحقيقه<sup>(٧)</sup>.

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ (٦٩) ﴿إِنْ يُوحَىٰ إِلَىٰ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (٧٠) ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾ (٧١) ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُمْ سَجِدِينَ﴾ (٧٢) ﴿فَسَجَدَ الْمَلَأِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ (٧٣) ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (٧٤) ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ (٧٥) ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ (٧٦) ﴿قَالَ فَأَخْرِجْهُمَا مِنْهَا فَإِنَّكَ رَاجِعٌ﴾ (٧٧) ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (٧٨) ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (٧٩) ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ (٨٠) ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ (٨١) ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٨٢) ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخَلَصِينَ﴾ (٨٣) ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ﴾ (٨٤) ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٨٥)

قوله: «إِذْ يَخْتَصِمُونَ» فيه وجهان:

أحدهما: هو منصوب بالمصدر<sup>(٨)</sup> أيضاً.

والثاني: بمضاف مقدر أي بكلام الملائكة الأعلى إذ<sup>(٩)</sup>؛ قاله الزمخشري، والضمير

(١) في ب: الحسنة وانظر هذه الأقوال في الكشاف ٣/٣٨١ والبحر ٧/٤٠٨، ٤٠٩ والسمين ٤/٦٢٤ والقرطبي ١٥/٢٢٩.

(٢) البيان ٢/٢١٩ والسمين ٤/٦٢٤. (٣) المرجع السابق.

(٤) سقط من ب. (٥) مع تغيير طفيف في عبارته وانظر تفسيره ٢٦/٢٢٥.

(٦) سقط من ب وانظر: الدر المصون ٤/٦٢٥.

(٧) عند قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩] فالإحاطة فيه بمعنى العلم. وانظر اللباب ١/

٢٧ ب.

(٨) وهو العلم وانظر التبيان ١١٠٦ والدر المصون ٤/٦٢٥ وقال الكشاف ٣/٣٨١ بالثاني كم سيجيء.

(٩) السابق.

في «يَخْتَصِمُونَ» للملأ الأعلى هذا هو الظاهر، وقيل: لقرئش أي يختصمون في الملأ الأعلى فبعضهم يقول: بنات الله، وبعضهم يقول غير ذلك فالتقدير إذ يختصمون فيهم<sup>(١)</sup>؛ (يعني)<sup>(٢)</sup> في شأن آدم، حين قال الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾<sup>(٣)</sup> [البقرة: ٣٠].

فإن قيل: الملائكة لا يجوز أن يقال: إنهم اختصموا بسبب قولهم: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء، والمخاصمة مع الله كفر.

فالجواب: لا شك أنه جرى هناك سؤال وجواب وذلك يشبه المخاصمة والمناظرة<sup>(٤)</sup> والمشابهة علة<sup>(٥)</sup> لجواز المجاز فهذا السبب حسن إطلاق لفظ المخاصمة عليه، ولما أمر الله تعالى محمداً - ﷺ - أن يذكر هذا الكلام على سبيل الرمز أمره أن يقول: «إِن يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ» يعني أنا ما عرفت هذه المخاصمة إلا بالوحي<sup>(٦)</sup>.

قوله: «إِلَّا أَنَّمَا أَنَا» العامة على فتح همزة «أنا»، وفيها وجهان:

أحدهما: أنها مع ما في خبرها في محل رفع لقيامها مقام الفاعل أي ما يوحى إليّ (إلا)<sup>(٧)</sup> الإنذار أو<sup>(٨)</sup> إلا كونني نذيراً مبيناً.

والثاني: أنها في محل نصب أو جر بعد إسقاط<sup>(٩)</sup> لام العلة والقائم مقام الفاعل على هذا الجار والمجرور أي ما يوحى إليّ إلا للإنذار<sup>(١٠)</sup>، أو<sup>(١١)</sup> لكوني نذيراً<sup>(١٢)</sup>، ويجوز أن يكون القائم مقام الفاعل على هذا ضميراً يدل عليه السياق أي ما يوحى إليّ ذلك الشيء<sup>(١٣)</sup> إلا للإنذار. وقرأ أبو جعفر بالكسر<sup>(١٤)</sup>؛ لأن الوحي قول، قاله<sup>(١٥)</sup> البغوي. وهي القائمة مقام الفاعل على سبيل الحكاية كأنه قيل: ما يوحى إليّ إلا هذه

(١) الدر المصون ٤/٦٢٥.

(٢) سقط من ب.

(٣) وهذا رأي الرازي في تفسيره ٢٦/٢٢٥.

(٤) كذا في الرازي وأوفي ب المناكرة. (٥) في ب: محلة.

(٦) المرجع السابق. (٧) سقط من ب.

(٨) في ب: و. (٩) في ب: إسقاطه.

(١٠) في ب: الإنذار. والتصحيح من أ هنا. (١١) في ب: «و» كالسابقة.

(١٢) وقد قال بهذا صاحب البيان ٢/٣١٩ ورجح الرفع فقال: «والوجه الأول - يعني الرفع - أوجه الوجهين». كما قال بهما شهاب الدين السمين ٤/٦٢٥.

(١٣) وهو مفهوم كلام الزمخشري في الكشاف ٣/٣٨١ قال: «على معنى ما يوحى إليّ إلا هذا وهو أن أُنذر وأبلغ ولا أفرط في ذلك أي ما أومر إلا بهذا الأمر وحده».

(١٤) كسر «إنما» وتلك القراءة مزوية في المتواتر فقد ذكرها البناء في الإنحاف ٣٧٤، ويزعم ذلك فقد أوردها ابن جني في المحاسب ٢/٢٣٤، ٢٣٥ وابن خالويه في المختصر ١٣٠.

(١٥) معالم التنزيل ٦/٦٤.

الجملة المتضمنة لهذا الإخبار، وقال الزمخشري: (على)<sup>(١)</sup> الحكاية أي إلا هذا القول وهو أن أقول لكم إنما أنا نذيرٌ مبينٌ ولا أدعي شيئاً آخر<sup>(٢)</sup>. قال أبو حيان: وفي تخريجه تعارض لأنه قال إلا هذا فظاهره<sup>(٣)</sup> الجملة التي هي «إنما أنا نذيرٌ مبين» ثم قال: وهو أن أقول لكم إني نذير، فالقائم<sup>(٤)</sup> مقام الفاعل هو أن أقوال لكم وإني<sup>(٥)</sup> وما بعده في موضع نصب. وعلى قوله: «إلا هذا القول» يكون في موضع رفع فتعارضاً<sup>(٦)</sup>.

قال شهاب الدين: ولا تعارض البتة لأنه تفسير<sup>(٧)</sup> معنى في التقدير الثاني وفي الأول تفسير إعراب فلا تعارض<sup>(٨)</sup>.

قوله: «إذ قال» يجوز أن يكون بدلاً من «إذ» الأولى وأن يكون منصوباً بأذكرُ مقدراً. قال الأول الزمخشري وأطلق<sup>(٩)</sup>، (و)<sup>(١٠)</sup> أبو البقاء الثاني وأطلق<sup>(١١)</sup>. وفصل أبو حيان فقال بدل من «إذ يختصمون» هذا إذا كانت الخصومة في شأن من يستخلف في الأرض وعلى غيره من الأقوال يكون منصوباً «بأذكر» انتهى<sup>(١٢)</sup>. قال شهاب الدين: وتلك الأقوال أن التخاصم إما بين المملأ الأعلى أو بين قريش وفي ما (إ)<sup>(١٣)</sup> إذا كان المخاصمة خلاف<sup>(١٤)</sup>.

قوله: «من طين» يجوز أن يتعلق بمحذوف صفة «ليشراً»<sup>(١٥)</sup> وأن يتعلق بنفس «خالق»<sup>(١٦)</sup>.

## فصل

اعلم أن المقصود من ذكر هذه القصة المنع من الحسد والكبر؛ لأن إبليس إنما وقع فيما وقع فيه بسبب الحسد والكبر والكفار إنما نازعوا محمداً - ﷺ - بسبب الحسد والكبر فذكر الله تعالى هذه القصة ههنا ليصير سماعها<sup>(١٧)</sup> زاجراً لهم عن هاتين الخصلتين

(٢) الكشاف ٣/٣٨١.

(١) ساقط من ب.

(٤) في ب: فالمقام.

(٣) في ب: وظاهره.

(٦) البحر المحيط ٧/٤٠٩.

(٥) في البحر: وإن وما بعده.

(٨) الدر المصون ٤/٦٢٥.

(٧) كذا في الدر المصون وفي ب مفسر.

(١٠) الواو سقطت من ب.

(٩) الكشاف ٣/٣٨١.

(١٢) البحر ٧/٤٠٩.

(١١) التبيان ١١٠٧.

(١٣) الألف في النسختين.

(١٤) في ب: بخلاف. وأحسن ما يقال فيه: إنه تعالى لما قال: «إني جاعلٌ في الأرض خليفة قالوا أنجعل

فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون»

والمعنى أنهم قالوا أي فائدة في خلق البشر مع أنهم يشتغلون بقضاء الشهوة وهو المراد من قوله: «من

يفسد فيها». انظر: الرازي ٢٦/٢٢٥، ٢٢٦.

(١٦) قال بهما صاحب التبيان ١١٠٧.

(١٥) الدر المصون ٤/٦٢٦.

(١٧) في ب: سماعنا.

المذمومتين، والمراد بالبشر ههنا: آدم - عليه (الصلاة و) السلام - .

قوله: «فَإِذَا سَوَّيْتُهُ» أتممت خلقه «وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي» فأضاف الروح إلى نفسه وذلك يدل على أنه جوهر شريف علوي قدسي، والفاء في قوله: «فَفَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ» يدل على أنه كما تم (نفخ)<sup>(١)</sup> الروح في الجسد توجه أمر الله عليهم بالسجود. وقد تقدم الكلام في الملائكة المأمورين بالسجود (و)<sup>(٢)</sup> هل هم ملائكة الأرض أو يدخل فيه ملائكة السموات مثل جبريل وميكائيل والروح الأعظم المذكور في قوله: «يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا» [النبا: ٣٨]. وقال بعض الصوفية: الملائكة الذين أمروا بالسجود لآدم هم القوى النباتية والحيوانية والحسية والحركية فإنها في بدن الإنسان خوادم النفس الناطقة، وإبليس الذي لم يسجد هو القوى الوهمية التي هي المنازعة لجوهر العقل<sup>(٣)</sup>.

قوله: «كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ» تأكيدان. وقال الزمخشري «كل» للإحاطة و «أَجْمَعُونَ» للاجتماع، فأفادوا معاً أنهم سجدوا<sup>(٤)</sup> عن آخرهم ما بقي منهم ملك إلا سجد وأنهم سجدوا جميعاً في وقت واحد غير متفرقين<sup>(٥)</sup>.

وقد تقدم الكلام معه في ذلك في سورة الحجر<sup>(٦)</sup>.

قوله: «أَنْ تَسْجُدَ» قد يستدل به من يرى أن «لا» في «أَنْ لَا تَسْجُدَ» في السورة الأخرى<sup>(٧)</sup> زائدة، حيث سقطت هنا والقصة واحدة. وقوله: «لِإِمَّا خَلَقْتُ» قد يستدل به<sup>(٨)</sup> من يرى جواز وقوع «ما» على العاقل<sup>(٩)</sup>؛ لأن المراد به آدم، وقيل: لا دليل فيه لأنه كان فخاراً غير جسم حساس فأشير إليه في تلك الحالة<sup>(١٠)</sup>. وهذا ليس بشيء؛ لأن هذا الخطاب إنما كان بعد نفخ الروح فيه لقوله: «فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ

(١) سقط من ب.

(٢) الواو من أ.

(٣) انظر في هذا التفسير للإمام الرازي ٢٢٨/٢٦، ٢٢٩.

(٤) الكشاف ٣٨٢/٣ وفيها «غير متفقين في أوقات».

(٥) في ب: يسجدوا.

(٦) من الآية ٣٠ منها: «فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ» وانظر الكلام في الملائكة المأمورين بالسجود

في سورة البقرة عند قوله: «وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى» [٣٤]. وانظر

اللباب ٣٨/١ ب و ٧٢/٣ ب

(٧) وهي قوله: «قَالَ مَا مَنَعَكَ أَنْ لَا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ» [الأعراف: ١٢] وقال بزيادتها أبو البقاء وأبو حيان

انظر: البحر المحيط ٤١٠/٧.

(٨) في ب: على بدل من به.

(٩) ولم أجد من نسب إليه هذا القول لأنه قليل ونادر والدليل على ذلك ما نقله صاحب الهمع ٩١/١ فقد

قال: «والغالب في «ما» وقوعها على غير العاقل وقد يقع للعاقل نادراً نحو: لما خلقت بيدي،

والسماء وما بناها» وقال الفراء في المعاني ١٠٢/١: «وقد تجعل العرب ما في بعض الكلام للناس -

أي العقلاء - وليس بالكثير».

(١٠) في ب: الخال.

رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ» فلما امتنع من السجود قال: «مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ». وقيل<sup>(١)</sup>: ما مصدرية والمصدر غير مراد فيكون واقعاً موقع المفعول به أي لمخلوق. وقرأ الجحدري «لَمَّا» بتشديد الميم وفتح<sup>(٢)</sup> اللام وهي<sup>(٣)</sup> «لَمَّا» الظرفية عند الفارسي، وحرف وجوب لوجوب عند سيبويه<sup>(٤)</sup>. والمسجود<sup>(٥)</sup> له على هذا غير مذكور؛ أي ما منعك من السجود لَمَّا خَلَقْتُ أي حين خلقتُ لمن أمرتك بالسجود له. قرىء: «بِيَدَيَّ» بكسر الياء<sup>(٦)</sup> كقراءة حمزة: ﴿بِمُضْرِحِي﴾ [إبراهيم: ٢٢]، وتقدم ما فيها<sup>(٧)</sup> وقرىء: بِيَدَيَّ بالإفراد<sup>(٨)</sup>.

قوله: «أَسْتَكْبِرْتَ» قرأ العامة بهمزة الاستفهام<sup>(٩)</sup>، وهو استفهام توبيخ وإنكار، و«أم» متصلة هنا، وهذا قول جمهور النحويين ونقله ابن عطية عن بعض النحويين أنها لا تكون معادلة للألف مع اختلاف الفعلين وإنما تكون معادلة إذا دخلتا على فعل واحد كقولك: أَمَّ زَيْدٌ أُمَّ عَمْرٍو، وأزيدَ قَامَ أُمَّ عَمْرٍو، وإذا اختلفت الفعلان كهذه الآية فليست معادلة<sup>(١٠)</sup>. وهذا الذي حكاه عن بعض النحاة مذهب فاسد بل جمهور النحاة على خلافه. قال سيبويه: وتقول: أَضْرَبْتُ زَيْدًا أُمَّ قَتْلَتَهُ، فالبداءة<sup>(١١)</sup> هنا<sup>(١٢)</sup> بالفعل أحسن لأنك إنما تسأل عن أحدهما لا تدري أيهما كان، ولا تسأل عن موضع أحدهما كأنك قلت: أي ذلك<sup>(١٣)</sup> كان. انتهى<sup>(١٤)</sup>، فعادل<sup>(١٥)</sup> بها الألف<sup>(١٦)</sup> مع اختلاف الفعلين، وقرأ جماعة منهم ابن كثير - وليست مشهورة عنه - اسْتَكْبِرْتَ بألف الوصل<sup>(١٧)</sup>؛ فاحتملت وجهين:

- (١) قال بهذا الرأي أبو حيان في البحر ٤١٠/٧.
- (٢) من القراءات الشاذة غير المتواترة انظر ابن خالويه ١٣٠.
- (٣) في ب: على بدل هي.
- (٤) قال في الكتاب ٤/ ٢٣٤: «وأما لما فهي للأمر الذي وقع لوقوع غيره». وانظر: الدر المصون ٤/ ٦٢٦.
- (٥) في ب: السجود.
- (٦) لم تنسب في كل من الكشاف ٣/ ٣٨٣ والبحر ٧/ ٤١٠ والدر المصون ٤/ ٦٢٧ ونسبها صاحب شواذ القرآن في ص ٢٠٩ إلى ابن محيصن.
- (٧) عد هذه القراءة بعض الناس لحناً، وليست بلحن إنما هي مستعملة وقد قال قطرب: إنها لغة في بني يربوع يزيدون على ياء الإضافة ياء، فحمزة وحده هو الذي كسر الياء كما أنه قدر الزيادة على الياءين كما زيدت الباء في الهاء في به وذلك هو الأصل ولكنه مرفوض غير مستعمل لثقل الياءين والكسرة قبلهما والكسرة بينهما، فلما قدر الياء مزيدة على الياء التي للإضافة حذفها استخفافاً لاجتماع ياءين وكسرتين إحداهما على ياء الإضافة. وانظر: الكشاف ٢/ ٢٦ واللباب ٣/ ٣٧٧ ب.
- (٨) هي قراءة الجحدري وانظر: ابن خالويه ١٣٠ والكشاف ٣/ ٣٨٢.
- (٩) الإنحاف ٣٧٤.
- (١٠) البحر ٧/ ٤١٠.
- (١١) في الكتاب و «ب»: فالبدء.
- (١٢) في ب: ههنا.
- (١٣) في ب: ذاك. وكذلك الكتاب.
- (١٤) وانظر الكتاب ٣/ ١٧١.
- (١٥) في ب: وعادل.
- (١٦) أي الهمزة.
- (١٧) نقلها صاحب الإنحاف ٣٧٤. وانظر: القرطبي ١٥/ ٢٢٨ والمختصر ١٣٠، وهي من الأربع فوق العشر المتواترة.

أحدهما: أن يكون الاستفهام مراداً يدل عليه «أم» كقوله:

٤٢٨٢ - ..... بِسَبْعِ رَمِيْنِ الْجَمْرِ أَمْ بِمَمَانِ<sup>(١)</sup>

وقوله:

٤٢٨٣ - تَرَوْحُ<sup>(٢)</sup> مِّنَ الْحَيِّ أَمْ تَبْتَكِرُ<sup>(٣)</sup> .....

فتفتق<sup>(٤)</sup> القراءتان في المعنى، واحتمل أن يكون<sup>(٥)</sup> خبراً محضاً، وعلى هذا «فأم» منقطعة لعدم شرطها<sup>(٦)</sup>.

### فصل

المعنى استكبرت الآن أم كنت من المتكبرين أبداً أي من القوم الذين يتكبرون فتكبرت عن السجود لكونك منهم فأجاب إبليس بقوله: «أنا خيرٌ منه خلقتني من نارٍ وخالقتُهُ من طينٍ» فبين كونه خيراً منه بأن أصله من النار، وأصل آدم من الطين، والنار أشرف من الطين، والدليل على أن النار أفضل من الطين أن الأجرام الفلكية أفضل من الأجرام العنصرية، والنار أقرب العناصر من الفلك والأرض أبعدا عنه، فوجب كون النار أفضل من الأرض وأيضاً فالنار خليفة الشمس والقمر في إضاءة العالم عند غيبتهما، والشمس والقمر أشرف من الأرض فخليفتهما في الإضاءة أفضل من الأرض وأيضاً فالكيفية الفاعلة الأصلية إما الحرارة أو البرودة والحرارة أفضل من البرودة لأن الحرارة تناسب الحياة والبرودة تناسب الموت، وأيضاً فالنار لطيفة، والأرض كثيفة، واللطافة أشرف من الكثافة وأيضاً فالنار<sup>(٧)</sup> مشرقة والأرض مظلمة، والنور خير من الظلمة، وأيضاً فالنار خفيفة<sup>(٨)</sup> تشبه الروح، والأرض كثيفة تشبه الجسد، والروح أفضل من الجسد فالنار أفضل من الأرض، وذهب آخرون إلى تفضيل الأرض على النار، وقالوا<sup>(٩)</sup>: إن الأرض

(١) عجز بيت من الطويل لعمر بن أبي ربيعة صدره:

لعمرك ما أدري وإن كنت دارياً

والشاهد: «بسبع» فإن المقام والسياق يقتضيان همزة وسؤالاً فهي محذوفة والتقدير: أسبع فالمقام مقام استفهام وحذفت لعدم اللبس. وقد تقدم.

(٢) في ب: تزوج.

(٣) صدر بيت من المقارب لامرئ القيس عجزه:

وماذا عليك بأن تنتظر

وشاهده كسابقه من حذف همزة الاستفهام المتقدمة على أم المتصلة لعدم اللبس وانظر: الديوان ١٥٤

والدر المصون ٦٢٧/٤ وحجة ابن خالويه ٣٠٧ والطبري ٤٣/٢٩.

(٤) في أ: فتفتي فالتصحيح من ب.

(٥) في ب: تكون.

(٦) وهو تقدم الاستفهام وهي هنا الآن بمعنى بل.

(٧) في ب: والنار.

(٨) تصحيح من الرازي ففي أخفة وفي ب حقيقة.

(٩) في ب: قالوا.

أَمِينٌ مُصْلِحٌ فَإِذَا أَوْدَعَتْهُ حَيَّةٌ رَدَّهَا<sup>(١)</sup> إِلَيْكَ شَجَرَةً مُثْمَرَةً، وَالنَّارُ خَائِنٌ مُفْسِدٌ كُلُّ مَا سَلَّمْتَهُ إِلَيْهِ وَأَيْضاً فَالنَّارُ بِمَنْزِلَةِ الْخَادِمِ لِمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ احتِيجَ إِلَيْهَا اسْتُدْعِيَتْ اسْتِدْعَاءَ الْخَادِمِ وَإِنْ اسْتَغْنِي عَنْهَا طَرَدَتْ وَأَيْضاً وَالْأَرْضُ مُسْتَوْلِيَةٌ عَلَى النَّارِ فَإِنَّهَا تَطْفِئُ النَّارَ وَأَيْضاً فَإِنْ اسْتَدْلَالَ إِبْلِيسُ بِكَوْنِ أَصْلِهِ خَيْراً مِنْ أَصْلِهِ فَهُوَ اسْتَدْلَالٌ فَاسِدٌ لِأَنَّ أَصْلَ الرَّمَادِ وَأَصْلَ الْبَسَاتِينِ<sup>(٢)</sup> الْمَزْهَرَةُ وَالْأَشْجَارُ الْمُثْمَرَةُ هُوَ الطِّينُ، وَمَعْلُومٌ بِالضَّرُورَةِ أَنَّ الْأَشْجَارَ الْمُثْمَرَةَ خَيْرٌ مِنَ الرَّمَادِ وَأَيْضاً (هَب) <sup>(٣)</sup> أَنَّ اعْتِبَارَ هَذِهِ الْجِهَةِ يُوجِبُ<sup>(٤)</sup> الْفَضِيلَةَ إِلَّا أَنَّ هَذَا يُمْكِنُ أَنْ يَعَارِضَ بِجِهَةٍ أُخْرَى فَوْجِبَ الرُّجْحَانُ مِثْلَ إِنْسَانٍ نَسِيبٌ<sup>(٥)</sup> عَارٍ عَنِ كُلِّ الْفَضَائِلِ فَإِنَّ نَسَبَهُ<sup>(٦)</sup> يُوجِبُ رُجْحَانَهُ إِلَّا أَنَّ مَنْ لَا يَكُونُ نَسِيباً قَدْ يَكُونُ كَثِيرَ الْعِلْمِ وَالزَّهْدِ فَيَكُونُ أَفْضَلَ مِنَ النَّسِيبِ بِدَرَجَاتٍ لَا حُدَّ لَهَا فَكَذَبْتَ مَقْدَمَةَ إِبْلِيسِ .

فَإِنْ قِيلَ<sup>(٧)</sup> : هَبْ أَنَّ إِبْلِيسَ أَخْطَأَ فِي هَذَا الْقِيَاسِ لَكِنَّهُ كَيْفَ لَزِمَهُ الْكُفْرُ فِي تِلْكَ الْمَخَالَفَةِ؟ وَتَقْرِيرُ هَذَا السُّؤَالِ مِنْ وَجْهِهِ:

الأول: أن قوله: «اسْجُدُوا» أمرٌ والأمر لا يقتضي الوجوب بل التَّذَبُّبُ، ومخالفة التذنب لا تقتضي العصيانَ فضلاً عن الكفر، (وأيضاً فالذين<sup>(٨)</sup> يقولون: إن الأمر للوجوب فهم لا ينتكرون كونه محتملاً للتذنب احتمالاً ظاهراً ومع قيام الاحتمال الظاهر كيف يلزم العصيان فضلاً عن الكفر؟!).

الثاني: هب أنها للوجوب إلا أن إِبْلِيسَ ما كان من الملائكة فالأمر (بالسجود)<sup>(٩)</sup> لآدم لا يدخل فيه إِبْلِيسِ .

الثالث: هب أنه تناوله إلا أن تخصيص العام بالقياس جائز فجاز أن يخص نفسه من عموم ذلك الأمر بالقياس .

الرابع: هب أنه لم يسجد مع علمه بأنه كان مأموراً به إلا أن هذا القدر يوجب العصيانَ ولا يوجب الكفر فكيف لزمه الكفر؟! .

فالجواب: هب أن صيغة الأمر لا تدل على الوجوب ولكن يجوز أن ينضم إليها من القرائن ما يدل على الوجوب وهنا حصلت تلك القرائن وهي قوله تعالى: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾، فلما أتى إِبْلِيسَ بقياسه الفاسد ودل ذلك على أنه إنما ذكر القياس

(١) كذا في النسختين وفي الرازي فإذا أودعتها حية ردها بتأنيث الفعلين عائداً على الأرض وهنا التذكير يعود على لفظ أمين، وكلاهما صحيح معنى وإن اختلفا لفظاً. وانظر: الرازي ٢٦/٢٣٢ مع تغيير طفيف في الأسلوب.

(٢) كذا في أ هنا وفي ب الزهرة وفي الرازي الزهرة. (٣) سقط من نسخة ب.

(٤) في ب: توجب. (٥) كذا في الرازي وفي ب نسبة.

(٦) كذا في الرازي وفي ب نسيه. (٧) في ب: فصل يدل من فإن قيل.

(٨) ما بين القوسين كله سقط من ب بسبب انتقال النظر. (٩) سقط منها كذلك.

ليتوسل<sup>(١)</sup> به إلى القَدْح في أمر الله وتكليفه وذلك يوجب الكفر. وإذا عرفت هذا فنقول: إن إبليس لما ذكر هذا القياس الفاسد قال تعالى: ﴿اخرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ وقد ثبت في أصول الفقه أن ذكر الحكم عقيب الوصف المناسب يدل على كون ذلك الحكم معللاً بذلك الوصف، وههنا الحكم بكونه رجيماً ورد عقيب ما حكى عنه أنه خصص النص بالقياس فهذا يدل على أن تخصيص النص بالقياس يوجب هذا الحكم<sup>(٢)</sup>.

قوله: «مِنْهَا» أي من الجنة أو من الخلقة لأنه كان حَسَنًا فَرَجَعَ قَبِيحًا؛ وكان نُورَانِيًا فَعَادَ مُظْلِمًا. وقيل: من السَّمَوَاتِ<sup>(٣)</sup>. وقال هنا لَعْنَتِي وفي غيرها اللعنة<sup>(٤)</sup>، وهما وإن كانا في اللفظ عامًا وخاصًا إلا أنهما من حيث المعنى عامان بطريق اللزوم لأن من كانت عليه لعنة الله كانت عليه لعنة كل أحدٍ لا مَحَالَةَ، وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [البقرة: ١٦١] وباقي الجملة تقدم نظيرها.

قوله<sup>(٥)</sup>: «الرَّجِيمُ» المرجوم والرجم ههنا عبارة عن الطرد؛ لأن الظاهر أن من طُرِدَ فقد يرمى بالحجارة وهو الرجم<sup>(٦)</sup> فلما كان الرجم من لوازم الطرد جعل الرجم كناية عن الطرد<sup>(٧)</sup>.

فإن قيل: الطرد هو اللعن، فلو حملنا قوله: «رَجِيمٌ» (على الطرد)<sup>(٨)</sup> لكان قوله بعد ذلك: «وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي» تَكَرَّرًا. فالجواب: من وجهين:

الأول: أنا نحمل الرجم على الطرد من الجنة ومن السموات ونحمل اللعن على الطرد من رحمة الله.

الثاني: أنا نحمل الرجم على الطرد ونحمل قوله: «عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ» على أنه الطرد إلى يوم القيامة فيكون على هذا فيه فائدة زائدة ولا يكون تَكَرَّرًا، وقيل: المراد بالرجم كون الشياطين مرجومين بالشهب.

فإن قيل: كلمة «إلى» لانتهاء<sup>(٩)</sup> الغاية فقوله<sup>(١٠)</sup>: «إِلَى يَوْمِ الدِّينِ» يقتضي<sup>(١١)</sup>

(١) كذا في أ هنا وفي الرازي من التوسل والوسيلة وفي ب ليتوصل من التوصل.

(٢) وانظر في هذا تفسير الإمام الفخر الرازي ٢٦/٢٣٣.

(٣) السابق. وانظر الكشاف ٣/٣٨٤ والدر المصون ٤/٦٢٨.

(٤) يشير إلى قوله عز وعلا: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَةَ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الحجر: ٣٥]. وانظر: البحر ٧/٤١٠ معنى، والدر المصون ٤/٦٢٨ لفظاً.

(٥) في ب: فصل، بدل قوله هنا. (٦) في ب: الرجم.

(٧) قاله الزمخشري في الكشاف ٣/٣٨٤ والرازي في تفسيره ٢٦/٢٣٣، ٢٣٤ وانظر أيضاً القرطبي ١٥/٢٢٩ واللسان: «رج م» ١٦٠١، ١٦٠٢.

(٨) ما بين القوسين سقط من ب. (٩) في ب: انتهاء.

(١٠) وفيها: فيقول بدل فقوله. (١١) في ب: مقتضى.

انقطاع تلك اللعنة عند مجيء يوم الدين وأجاب الزمخشري بأن اللعنة باقية عليه في الدنيا فإذا جاء يوم القيامة حصل مع اللعنة أنواع من العذاب فتصير اللعنة مع حصرها منفية<sup>(١)</sup> واعلم أن إبليس لما صار مغلوباً قال: «فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يَبْعَثُونَ»، قيل: إنما طلب الإنظار إلى يوم القيامة لأجل أن يتخلص من الموت لأنه إذا أنظر إلى يوم البعث لم يمُت قبل يوم البعث وعند مجيء البعث لا يموت فحينئذ يتخلص من الموت فقال تعالى: ﴿إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ أي إنك من المنظرين إلى يوم يعلمه الله ولا يعلمه أحد سواه فقال إبليس: «فَبِعِزَّتِكَ» وهو قسم بعزة الله وسلطانه لأغويهم أجمعين» فهنا أضاف الإغواء إلى نفسه على مذهب القدرية، وقال مرة أخرى: رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي فَأُضَافُ الْإِغْوَاءَ إِلَى اللَّهِ عَلَى مَا هُوَ مَذْهَبُ الْجَبْرِيَّةِ. ثم قال: «إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ» قيل: إن غرض إبليس من هذا الاستثناء أن لا يقع في كلامه الكذب لأنه لو لم يذكر هذا الاستثناء أو ادعى أنه يغوي الكل لظهر كذبه حين يعجز عن إغواء عباد الله المخلصين وعند هذا يقال: إن الكذب شيء يستنكف منه إبليس فكيف يليق بالمسلم (الإقدام<sup>(٢)</sup> عليه)؟ وهذا يدل على أن إبليس لا يُغوي عباد الله المخلصين، وقد قال الله تعالى في صفة يوسف عليه (الصلاة و) السلام -: ﴿إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤] فتحصل من مجموع الآيتين أن إبليس ما أغوى يوسف عليه السلام فدل على كذب المانوية<sup>(٣)</sup> فيما نسبوه إلى يوسف - عليه (الصلاة و) السلام - من القبائح<sup>(٤)</sup>.

قوله: «فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ» قرأهما<sup>(٥)</sup> العامة منصوبين، وفي نصب الأول أوجه:

أحدها: أنه مقسم به حذف منه حرف القسم فانتصب كقوله:

٤٢٨٤ - فَذَلِكَ أَمَانَةُ اللَّهِ الثَّرِيدُ<sup>(٦)</sup>

وقوله: لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ<sup>(٧)</sup> جواب القسم، قال أبو البقاء<sup>(٨)</sup>: إِلَّا أَنْ سَيَّبَوْنِي يَدْفَعُهُ

(١) هذا كلام الرازي عن صاحب الكشاف الذي قال في ٣/ ٣٨٤ «فإن قلت: قوله: لعنتي إلى يوم الدين كأن لعنة إبليس غايتها إلى يوم الدين ثم تنقطع، قلت: كيف تنقطع وقد قال الله تعالى: ﴿فَأَذِّنْ مُؤَدِّنَ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ ولكن المعنى أن عليه اللعنة في الدنيا فإذا كان يوم الدين اقترن له باللعنة ما ينسى عنده اللعنة فكانها انقطعت» انظر: الرازي ٢٦/ ٢٣٤.

(٢) تكلمة من الرازي.

(٣) كذا في النسختين المانوية وفي الرازي الحشوية أي الحاشون كذباً.

(٤) وانظر: الرازي ٢٦/ ٢٣٤.

(٥) مشى المؤلف وراء السمين في تجاوزه ذلك فحمزة وعاصم يقرآن الأول بالرفع والباقون بنصبه، والجميع ينصبون الثاني وانظر: السبعة ٥٥٧ وإبراز المعاني ٦٦٨ والدر المصون ٤/ ٦٢٨ وحجة ابن خالويه ٣٠٧ والنشر ٢/ ٣٦٢.

(٦) سبق هذا البيت مكرراً. وهو هنا يستشهد بأمانة المنصوبة بعد خفض. وانظر: الكشف ٢/ ٢٣٤، ٢٣٥ والبيان ٢/ ٣٢٠ والدر المصون ٤/ ٦٢٨.

(٧) زيادة من ب.

(٨) التبيان ١١٠٧.

لأنه لا يجوز حذف حرف القسم إلا مع اسم الله<sup>(١)</sup> ويكون قوله: «وَالْحَقُّ أَقُولُ» معترضاً بين القسم وجوابه<sup>(٢)</sup> قال الزمخشري: كأنه قيل: ولا أقول إلا الْحَقَّ<sup>(٣)</sup> يعني أن تقديم المفعول أفاد الحصر. والمراد بالحق إما الباري تعالى كقوله: ﴿وَيَسْمَعُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٥] وإما نقيض الباطل<sup>(٤)</sup>.

والثاني: أنه منصوب على الإغراء أي الزموا الحقَّ<sup>(٥)</sup>.

والثالث: أنه مصدر مؤكد لمضمون<sup>(٦)</sup> قوله: «لَأَمْلَأَنَّ»<sup>(٧)</sup>، قال الفراء: هو على معنى قولك: حَقًّا لَاتِيَنَّكَ، ووجود الألف واللام وطرحهما سواء<sup>(٨)</sup> (أي لأملأن<sup>(٩)</sup> جهنم حقاً) انتهى. وهذا لا يتمشى مع قول البصريين، فإن شرط نصب المصدر المؤكد لمضمون الجملة أن يكون بعد جملة ابتدائية جزءاها معرفتان جامدان<sup>(١٠)</sup>. وجوز ابن العِجْلُج<sup>(١١)</sup> أن يكون الخبر نكرة<sup>(١٢)</sup>، وأيضاً فإن المصدر المؤكد لا يجوز تقديمه على الجملة المؤكد هو لمضمونها؛ وهذا قد تقدم.

وأما الثاني فمنصوب «بأقول» بعده، والجملة معترضة كما تقدم، وجوز الزمخشري أن يكون منصوباً على التكرير<sup>(١٣)</sup> بمعنى (أَنْ)<sup>(١٤)</sup> الأول والثاني كليهما منصوبان بأقول وسيأتي إيضاح ذلك في عبارته وقرأ عاصم وحزمة برفع الأول ونصب الثاني، فرفع الأول من أوجه:

- (١) قال إمام النحاة في الكتاب ٤٩٨/٣: «ومن العرب من يقول: الله لأفعلن وذلك أنه أراد حرف الجر وإياه نوى فجاز حيث كثر في كلامهم وحذفوه تخفيفاً وهم ينوونه».
- (٢) التبيان المرجع السابق والمعاني للفراء ٤١٢/٢ والدر المصون ٦٣٨/٤ والكشاف ٣٨٤/٣.
- (٣) السابق.
- (٤) الكشاف المرجع السابق والدر المصون ٦٢٨/٤.
- (٥) البيان ٣١٩/٢ ومشكل إعراب القرآن ٢٥٥/٢ فضلاً عن الدر المصون المرجع السابق.
- (٦) في ب: بمضمون.
- (٧) هذا مفهوم كلام الفراء الآتي في المعاني ٤١٣/٢.
- (٨) المرجع السابق.
- (٩) زيادة على قول الفراء في المعاني وفي المعاني: «لَاتِيَنَّكَ» وفي النسختين والسمين «لا شك».
- (١٠) قال الأشموني ١٩/٢: إن المصدر المؤكد لنفسه هو الواقع بعد جملة هي نص في معناه وسمي بذلك لأنه بمنزلة إعادة الجملة فكانه نفسها (له عليّ ألف عرفاً) أي اعترافاً والمؤكد لغيره هو الواقع بعد جملة تحتمل غيره فتصير به نصاً وسمي بذلك لأنه أثر في الجملة فكانه غيرها.
- (١١) تقدم التعريف به.
- (١٢) قال أبو حيان عنه: ونقل صاحب البسيط أنه يجوز أن يكون الخبر نكرة قال: والمبتدأ يكون ضميراً نحو: هو زيد معروفاً وهو الحقُّ بَيِّنًا وأنا الأمير مفتخراً ويكون ظاهراً كقولك: زيد أبوك عطوفاً. وانظر هذا كله في الأشموني ١١٩/٢، ١٢٠ والبحر ٤١١/٧ والدر المصون ٦٢٩/٤.
- (١٣) أي التوكيد اللفظي قال الزمخشري: «ومعناه التوكيد والتشديد. وهذا الوجه جائز في المنصوب والمرفوع أيضاً». الكشاف ٣٨٤/٣.
- (١٤) سقط من ب.

أحدهما: أنه مبتدأ وخبره مضمّر تقديره فالحق مَبْنِيٌّ أو فالحقُ<sup>(١)</sup> أَنَا.

والثاني: أنه مبتدأ خيره «لَأَمْلَأَنَّ»، قاله ابن عطية، قال: لأن المعنى إني<sup>(٢)</sup> أَمْلَأُ. قال أبو حيان: وهذا ليس بشيء؛ لأن «لَأَمْلَأَنَّ» جواب قسم ويجب أن يكون جملة فلا تَتَقَدَّرُ<sup>(٣)</sup> بمفرد، وأيضاً ليس مصدرأً مقدراً بحرف مصدرِي والفعل حتى ينحل إليهما وَلِكَيْتَهُ لما صحَّ إسناد ما قدر إلى المبتدأ حكم أنه خيرٌ عنه<sup>(٤)</sup>.

قال شهاب الدين: وتأويل ابن عطية صحيحٌ من حيث المعنى لا من حيث الصناعة<sup>(٥)</sup>.

الثالث: أنه مبتدأ خبره مضمّر تقديره فالحقُ قَسَمِيٌّ و «لَأَمْلَأَنَّ» جواب القسم<sup>(٦)</sup>، كقوله ﴿لَمَتْرِكُ إِنْتُمْ لَيْ سَكْرَتِهِمْ يَمْعُونُ﴾ [الحجر: ٧٢] ولكن حذف الخبر هنا ليس بواجب لأنه ليس نصاً<sup>(٧)</sup> في اليمين، بخلاف «لعمرك» ومثله قول امرئ القيس:

٤٢٨٥ - فَقُلْتُ يَمِينُ اللَّهِ أَبْرَحُ قَاعِدًا      وَلَوْ قَطَعُوا رَأْسِي لَدَيْنِكَ وَأَوْصَالِي<sup>(٨)</sup>

وأما نصب الثاني فبالفعل بعده، أي وأنا أقولُ الحقَّ وقرأ ابنُ عَبَّاسٍ ومجاهدٌ والأعمشُ برفعهما<sup>(٩)</sup>، فرفع الأول على ما تقدم، ورفع الثاني بالابتداء وخبره الجملة بعده، والعائدُ محذوف<sup>(١٠)</sup> كقوله تعالى في قراءة ابن عارم: «وَكُلُّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى»<sup>(١١)</sup> وقول أبي النَّخَم:

٤٢٨٦ - قَدْ أَضْبَحَتْ أُمُّ الْخَيْارِ تَدْعِي      عَلَيَّ ذَنْباً كُلَّهُ لَمْ أَضْنِعِ<sup>(١٢)</sup>

ويجوز أن يرتفع على التكرير عند الزمخشري وسيأتي، وقرأ الحسن وعيسى بجرّهما<sup>(١٣)</sup> وتخريجهما على أن الأول مجرور بواو القسم مقدرة أي فَوَالْحَقِّ و «الْحَقِّ»

(١) التبيان ١١٠٧ والبيان ٣٢٠/٢.

(٢) في البحر: أن أملاً. وانظر البحر ٤١١/٧.

(٣) في النسختين يتقدر.

(٤) البحر ٤١١/٧.

(٥) الدر المصون ٦٢٩/٤.

(٦) قاله الزمخشري في الكشاف ٣/٣٨٤. (٧) في أ: نعماً فالتصحيح من ب.

(٨) من الطويل والشاهد: حذف الخبر لأنه نص في القسم والحذف على سبيل الوجوب عند النحاة والتقدير يمين الله قسمي، وأبرح معناه لا أبرح وقد تقدم.

(٩) ذكرها ابن خالويه في المختصر ١٣٠ والبحر المحيط ٤١١/٧ والدر المصون ٦٣٠/٤.

(١٠) هذا إعراب الزمخشري في الكشاف ٣/٣٨٤ وقال به أيضاً أبو حيان في البحر ٤١١/٧ والسمين ٤/٦٣٠.

(١١) [الحديد: ١٠] وهي من القراءة المتواترة. السبعة ٦٢٥ والدر المصون ٦٣٠/٤ والبحر المحيط ٧/٤١١.

(١٢) من الرجز المشهور في كتب النحو لأبي النجم. وشاهده «كله» فقد روي مرفوعاً ومنصوباً. وقد تقدم.

(١٣) أوردها الزمخشري في الكشاف بدون نسبة ٣/٣٨٤ كما أوردها ابن خالويه في المختصر ١٣٠.

عطف عليه كقولك : **وَاللَّهُ وَاللَّهُ لَأَقْوَمَنَ** ، و«أقول» اعتراض بين القسم وجوابه ويجوز أن يكون مجروراً على الحكاية وهو منصوب المحل «بأقول» بعده<sup>(١)</sup> ، قال الزمخشري : ومجرورين - أي وقربنا مجرورين - على أن الأول مقسم به قد أضيف حرف قسمه كقولك : «(و)<sup>(٢)</sup> الله لأفعلن والحق أقول» أي ولا أقول إلا الحق على حكاية لفظ المقسم به ومعناه التوكيد والتشديد ، وهذا الوجه جائز في المرفوع والمنصوب أيضاً وهو وجه دقيق حسن<sup>(٣)</sup> . انتهى .

يعني أنه أعمل القول في قوله : **وَالْحَقَّ** على سبيل الحكاية فيكون منصوباً بأقول سواء نُصب أو رُفِع أو جر كأنه قيل : وأقول هذا اللفظ المتقدم مقيداً بما لفظ به أولاً<sup>(٤)</sup> .

### فصل

معنى **لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ** أي من جنسك وهم الشياطين وممن تبعك منهم من ذرية آدم<sup>(٥)</sup> . قوله : «أجمعين» فيه وجهان<sup>(٦)</sup> :

أظهرهما : أنه توكيد للضمير في «منك» ولمن عطف عليه في قوله «وممن تبعك» والمعنى **لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ** من (المُتَّبِعِينَ)<sup>(٧)</sup> والتابعين لا أترك منهم أحداً ، وحيء بأجمعين دون كل ، وقد تقدم أن الأكثر خلافة وجوز الزمخشري أن يكون تأكيداً للضمير في «منهم» خاصة ، فقدر : **لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ** من الشياطين وممن تبعهم من جميع الناس لا تفاوت في ذلك بين ناس وناس<sup>(٨)</sup> .

قوله تعالى : **﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾** (٨٦) **إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ**

**لِلْعَالَمِينَ﴾** (٨٧) **وَلَتَعْلَمَنَّ يَوْمَ بَعْدَ حِينٍ﴾** (٨٨)

قوله : «قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ» أي على تبليغ الرسالة «من أجر» جعل<sup>(٩)</sup> فقوله : «عليه» متعلق «بأسألكم» لا «بالأجر» لأنه مصدر ، ويجوز أن يكون حالاً منه<sup>(١٠)</sup> والضمير إما للقرآن وإما للوحي وإما للدعاء إلى الله<sup>(١١)</sup> .

(١) قاله أبو حيان في البحر ٤١١/٧ معنى والسمين في الدر لفظاً .

(٢) الواو زيدت خطأ من ب . (٣) الكشف ٣/٣٨٤ .

(٤) قاله السمين في الدر ٤/٦٣١ .

(٥) قاله الرازي في تفسيره ٢٦/٢٣٥ .

(٦) الرازي المرجع السابق والسمين في الدر ٤/٦٣١ والكشاف ٣/٣٨٤ .

(٧) ما بين القوسين كله ساقط من ب بسبب انتقال النظر .

(٨) الكشف المرجع السابق . (٩) قاله البغوي والخازن في تفسيرهما ٦/٦٦ .

(١٠) الدر المصون ٤/٦٣١ .

(١١) البحر المحيط ٤١١/٧ وقال بالاولين الزمخشري في الكشف ٣/٣٨٥ .

قوله: «وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ» المتقولين القرآن من تلقاء نفسي، وكل من قال شيئاً من تلقاء نفسه فقد تكلف له<sup>(١)</sup> وقيل: معناه أن هذا الدين الذين أدعوكم إليه ليس يحتاج في معرفة صحته إلى التكاليفات الكثيرة بل هو دين يشهد صريح<sup>(٢)</sup> العقل بصحته.

قوله: «إِنْ هُوَ» ما هو يعني القرآن «إِلَّا ذِكْرٌ» موعظة «لِلْعَالَمِينَ» أي للخلق أجمعين<sup>(٣)</sup> «لَتَعْلَمُنَّ» جواب قسم مقدر ومعناه لَتَعْرِفُنَّ<sup>(٤)</sup> «نَبَأَهُ» أنتم يا كفار (مكة)<sup>(٥)</sup> خبر صدقه «تَعَدَّ جِينٍ» قال ابن عباس وقتادة: بعد الموت، وقال عكرمة: يعني يوم القيامة، وقال الكلبي: من بقي علم ذلك إذا ظهر أمره وعلا من مات عَلِمَهُ بعد الموت. قال الحسن: ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين<sup>(٦)</sup>.

روى الثعلبي في تفسيره أن النبي - ﷺ - قال: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ «ص» أُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ بِعَدَدِ كُلِّ جَبَلٍ سَخَّرَهُ اللَّهُ لِدَاوُدَ - عليه السلام - عَشْرَ حَسَنَاتٍ وَعُصِمَ أَنْ يَصْرَ»<sup>(٧)</sup> على ذنب صغير أو كبير<sup>(٨)</sup>، وقال أبو أمامة عصمه الله من كل ذنب صغير أو كبير. والله أعلم (وهو الرحيم الغفور، وإليه<sup>(٩)</sup> ترجع الأمور).

(١) البغوي والخازن السابقين. (٢) هذا رأي الرازي في تفسيره ٢٦/٢٣٥، ٢٣٦.

(٣) البغوي والخازن في تفسيريهما ٦٦/٦٦. (٤) قاله صاحب الدر المصون ٤/٦٣١.

(٥) لفظ مكة سقط من النسختين.

(٦) أورد هذه الأقوال البغوي والخازن في معالم التنزيل ولباب التأويل ٦٦/٦٦، وقال بالثلاثة الأقوال الأولى ابن الجوزي في زاد المسير ٧/١٥٩ وانظر الجامع لأحكام القرآن ١٥/٢٣١ ومعاني الفراء ٢/٤١٣، ومعاني القرآن وعرابه للزجاج ٤/٣٤٢.

(٧) في ب: يصير من الصيرورة.

(٨) انظر: مجمع البيان للطبرسي ٨/٧٢٣، والبيضاوي ٢/١٦٧ والسراج المنير ٣/٤٣٠ والكشاف ٣/٣٨٥ وهذه الأقوال كلها بدون سند في هذه التفسيرات.

(٩) ما بين القوسين كله زيادة من ب.

## سورة «الزمر» (١)

مكية (٢) إلا قوله: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ (٣). وهي خمس وسبعون (٤) آية وألف ومائة واثنان وتسعون (٥) كلمة وأربعة آلاف وسبعمائة (٦) وثمانية أخرف.

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾

قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ في «تنزيل» وجهان:

أحدهما: أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره هذا تنزيل (٧). وقال أبو حيان: وأقول: إنه خبر والمبتدأ «هو» ليعود على قوله: «إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ» كأنه قيل: وهذا الذكر ما هو؟ فقيل: هو تنزيل الكتاب (٨).

الثاني: أنه مبتدأ، والجار بعده خبره أي تنزيل الكتاب كائن من الله (٩)، وإليه ذهب الزجاج (١٠) والفراء (١١).

قال بعضهم: وهذا أولى من الأول؛ لأن الإضمار خلاف الأصل فلا يضار إليه إلا

(١) ويقال لها: سورة الغرف.

(٢) هذا رأي ابن عباس وقال بآية أخرى وهي: «اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ» وقال آخرون: إلا سبع آيات من قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾. وانظر: القرطبي ٢٣٢/١٥.

(٣) وقيل: اثنان وسبعون آية المرجع السابق. (٤) في البغوي: وسبعون.

(٥) وفيه: وتسعمائة. وانظر: البغوي ٦٦/٦.

(٦) ذكره في التبيان ١١٠٨ والبيان ٣٢١/٢ والمعاني للفراء ٤١٤/٢ والقرطبي ٢٣٣/١٥ والمشكل ٢٥٧/٢.

(٧) البحر ٤١٤/٧. (٨) المراجع السابقة.

(٩) معاني القرآن وإعرابه ٣٤٣/٤ وقد ذكر الأول أيضاً.

(١٠) قال: «وإن شئت جعلت رفعه بمن. والمعنى من اللّه تنزيل الكتاب». المرجع السابق.

لضرورة، وأيضاً فإننا إذا قلنا: «تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ» جملة تامة من المبتدأ والخبر أفاد فائدة شريفة وهي تنزيل الكتاب يكون من الله لا من غيره، وهذا الحصر معنى مُعْتَبَرٌ، وإذا أضمرنا المبتدأ لم تَحْصُلْ هذه الفائدة، وأيضاً فإننا إذا أضمَرْنَا المبتدأ صار التقدير: هذا تنزيل الكتاب، وحينئذ يلزم مجاز آخر لأن هذا إشارة إلى السورة وهي ليست نفس التنزيل بل السورة منزلة فحينئذ يحتاج إلى أن يقول: المراد منه المفعول وهو مجاز تحملناه لا لضرورة<sup>(١)</sup>.

قوله: «مِنَ اللَّهِ» يجوز فيه أوجه:

أحدها: أنه مرفوع المحل خبر التنزيل كما تقدم<sup>(٢)</sup>.

الثاني: أنه خبر بعد خبر إذا جعلنا تَنْزِيلُ خبر مبتدأ مضمراً، كقولك: هَذَا زَيْدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ<sup>(٣)</sup>.

الثالث: أنه خبر مبتدأ مضمراً أي هَذَا تنزيل هذا من الله<sup>(٤)</sup>.

الرابع: أنه متعلق بنفس «تَنْزِيلِ» إذا جعلناه خبر مبتدأ مضمراً<sup>(٥)</sup>.

الخامس: أنه متعلق بمحذوف على أنه حال من «تَنْزِيلِ» عَمِلَ فِيهِ اسم الإشارة المقدر قاله الزمخشري<sup>(٦)</sup>.

قال أبو حيان: ولا يجوز أن يكون حالاً عمل فيها معنى الإشارة؛ لأن معاني الأفعال لا تعمل إذا كان ما هي فيه محذوفاً، ولذلك ردوا على أبي العباس قوله في بيت الفرزدق:

٤٢٨٧ - ..... وَإِذْ مَا مِثْلَهُمْ بَشَرٌ<sup>(٧)</sup> .....

(١) قاله الرازي في تفسيره ٢٦/٢٣٧ و ٢٣٨. وهو بهذا يرجح رأي الزجاج والقراء الثاني.

(٢) قاله الزمخشري أيضاً في الكشاف ٣/٣٨٥.

(٣) المرجع السابق.

(٤) السابق أيضاً وقال بالأربعة الأوجه صاحب الدر المصون في تفسيره ٤/٦٣٢.

(٥) المرجع السابق.

(٦) قال: أو حال من التنزيل عمل فيها معنى الإشارة. الكشاف ٣/٣٨٥.

(٧) هذا بعض بيت من البيط وتامه:

فأصبحوا قد أماد اللئى نعمتهم إذ هم قريش وإذ ما مثلهم بشر

وهو للفرزدق كما أخبر هو أعلى يمدح فيه عمر بن عبد العزيز. والشاهد: نصب «مثلهم» فذهب أبو العباس إلى أن نصبه على النعت المقدم وإضمار الخبر على الحال مثل قولك: فيها قائماً رجل وذلك أن النعت لا يكون قبل المنعوت والحال مفعول فيها والمفعول يكون مقدماً ومؤخراً وهذا على إهمال «ما». ورأى سيبويه في هذا أنه خير مقدم «لما» الحجازية. وهذا تجويز منه على تقديم خبرها. وقد رد قول المبرد بمثل ما قال أبو حيان به في البحر من أن معاني الأفعال لا تعمل مضمرة، وبأن الحال فضلة يتم الكلام بدونها وهنا لا يتم الكلام بدون «مثلهم» فلا يكون حالاً والمبتدأ أيضاً قد حذف خبره في موضع لا يعلم المخاطب به ما حذف منه ولا دلالة على المحذوف وهذا لا يجوز. وقد تقدم.

أَنَّ «مِثْلَهُمْ» منصوب بالخبر المحذوف وهو مقدر وإذ ما في الوجود في حال مماثلتهم بشراً.

السادس: أنه حال من «الكتاب». قاله أبو البقاء، وجاز مجيء الحال من المضاف إليه لكونه مفعولاً للمضاف، فإن المضاف مصدر مضاف لمفعوله<sup>(١)</sup>.

والعامة على رفع «تَنْزِيلٍ» على ما تقدم، وقرأ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ (وَعَيْسَى) <sup>(٢)</sup> وابنُ أَبِي عَبْلَةَ بنصبه بإضمار فعل تقديره الزَّمْ أو اقرأ وَنَحْوَهُمَا <sup>(٣)</sup>.

## فصل

احتج القائلون بخلق القرآن بأن الله تعالى وصف القرآن بكونه تنزيلاً ومنزلاً. وهذا الوصف لا يليق إلا بالمُخْدَثِ المخلوق، قال ابن الخطيب: والجواب أننا نحمل هذه اللفظة على الصَّيغِ والحُرُوفِ <sup>(٤)</sup>.

قوله: «العَزِيزِ الْحَكِيمِ» والعزیز هو القادر الذي لا يُغْلَبُ، والحكيم هو الذي يفعل (لداعية) <sup>(٥)</sup> الحكمة وهذا إنما يتم إذا كان عالماً بجميع المعلومات غنياً عن جميع الحاجات <sup>(٦)</sup>.

قوله: «إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ» اعلم أن لفظ «تنزيل» يُشْعِرُ بأنه تعالى أنزله نجماً نجماً على سبيل التدریج، ولفظ الإنزال يشعر بأنه تعالى أنزله دفعة واحدة <sup>(٧)</sup>، وطريق الجمع أن يقال: إنا حكمنا حكماً كلياً بأن نوصل إليك هذا الكتاب وهذا الإنزال ثم أوصلنا <sup>(٨)</sup> إليك نجماً نجماً على وفق المصالح. (وهذا <sup>(٩)</sup> هو التنزيل).

قوله: «بِالْحَقِّ» يجوز أن يتعلق «بالإنزال» أي بسبب الحق وأن يتعلق بمحذوف على أنه حال من الفاعل أو المفعول وهو الكتاب أي ملتبسين بالحق أو ملتبساً بالحق <sup>(١٠)</sup> والصِّدْقِ والصواب، والمعنى كل ما فيه من إثبات التوحيد والنبوة والمعاد وأنواع التكاليف فهو حق يجب العمل به <sup>(١١)</sup> وفي قوله: «إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ» تكرير

(١) ومعروف أن الحال لا تجيء من المضاف إليه إلا في مواضع ثلاثة: الأول: إذا كان المضاف عاملاً في الحال نحو: «إلى الله مرجعكم جميعاً». والثاني: أن يكون المضاف جزء المضاف إليه نحو: «ونزعا ما في صدورهم من غل إخواناً»، الثالث: أن يكون المضاف مثل جزء المضاف إليه في صحة الاستغناء عنه نحو: «ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً». وانظر الأشموني ١٧٩/٢ (بتصرف).

(٢) سقط من ب.

(٣) مختصر ابن خالويه ١٣١ والكشاف بدون تعيين ٣/٣٨٥ وانظر الإعراب في المعاني ٤١٤/٢ للفراء والكشاف المرجع السابق والدر المصون ٦٣٣/٤.

(٤) التفسير الكبير ٢٦/٢٣٨.

(٥) سقط من ب.

(٦) السابق.

(٧) في ب والرازي أوصلناه.

(٨) في ب والرازي أوصلناه.

(٩) زيادة من الرازي.

(١٠) قاله السمين في الدر ٤/٦٣٣.

(١١) الرازي ٢٦/٢٣٩.

تعظيم بسبب إبرازه في جملة أخرى مضافاً إنزاله إلى المعظم نفسه<sup>(١)</sup>.

قوله: «فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً» لما بين أن هذا الكتاب مشتمل على الحق والصدق وأردفه ببيان بعض ما فيه من الحق والصدق وهو أن يشتغل الإنسان بعبادة الله على سبيل الإخلاص فقال: «فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ»<sup>(٢)</sup>، فقوله «مُخْلِصاً لَهُ» حال من فاعل «فاعبُد»<sup>(٣)</sup> و «الدِّينَ» منصوب باسم الفاعل<sup>(٤)</sup>، والفاء في «فاعبُد» للربط، كقولك: «أَحْسَنَ إِلَيْكَ فَلَانَ فَاشْكُرْهُ»<sup>(٥)</sup> والعامّة على نصب «الدِّينِ»، وقرأ ابن أبي عبلة برفعه<sup>(٦)</sup>، وفيه وجهان:

أحدهما: أنه مرفوع بالفاعلية رافعه «مخلصاً». وعلى هذا فلا بد من تجوز وإضمار، أما التجوز فإسناد الإخلاص للدين وهو لصاحبه في الحقيقة ونظيره قولهم: شِعْرُ شَاعِرٍ، وأما الإضمار فهو إضمارٌ عائِد على ذِي<sup>(٧)</sup> الحال، أي مخلصاً له الدين منك، هذا رأي البصريين في مثل هذا، وأما الكوفيون فيجوز أن يكون عندهم «أل» عوضاً عن الضمير أي مُخْلِصاً دِينَكَ<sup>(٨)</sup>.

قال الزمخشري: وحق لمن<sup>(٩)</sup> رفعه أن يقرأ مُخْلِصاً - بفتح اللام - لقوله تعالى: ﴿وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ [النساء: ١٤٦] حتى يطابق قوله: «أَلَّا لِيْلَهُ الدِّينُ الْخَالِصُ» والخَالِصُ والمُخْلِصُ واحد إلا أن يصف الدين بصفة صاحبه على الإسناد المجازي كقولهم: «شِعْرُ شَاعِرٍ»<sup>(١٠)</sup>.

الثاني: أن يتم الكلام على: «مُخْلِصاً» وهو حال من فاعل «فَاعْبُدِ»، و «لَهُ الدِّينُ» مبتدأ وخبر، وهو قول الفراء<sup>(١١)</sup>. وقد ردّه الزمخشري وقال: فقد جاء بإعراب رجع به الكلام إلى قولك: لِيْلَهُ الدِّينُ أَلَّا لِيْلَهُ الدِّينُ الْخَالِصُ<sup>(١٢)</sup>. قال شهاب الدين: وهذا الذي ذكره الزمخشري لا يظهر فيه ردٌّ على هذا الإعراب<sup>(١٣)</sup>.

(٢) قاله الرازي في المرجع السابق.

(١) الدر المرجع السابق.

(٤) السَّابِق وانظر: التبيان أيضاً ١١٠٨.

(٣) الدر المرجع السابق.

(٦) المرجع السابق والكشاف دون تعيين في ٣/٣٨٦.

(٥) قاله أبو حيان في البحر ٧/٤١٤.

(٧) في ب: دين؛ تحريف ولحن.

(٨) وقال بهذا الرأي أبو حيان في البحر ٧/٤١٤ والسمين في الدر ٤/٦٣٣ وقال الزمخشري: وحق من

رفعه أن يقرأ مخلصاً بفتح اللام كقوله تعالى: ﴿وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ حتى يطابق قوله: ﴿أَلَّا لِيْلَهُ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾

الكشاف ٣/٣٨٦.

(١٠) قاله في الكشاف ٣/٣٧٦.

(٩) في الكشاف: «وحق من رفعه».

(١٢) الكشاف ٣/٣٨٦.

(١١) انظر المعاني ٢/٤١٤.

(١٣) نقله في الدر المصون ٤/٦٣٤.

## فصل

المراد بإخلاص الدين الطاعة، «أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ» قال قتادة: شهادة أن لا إله إلا الله<sup>(١)</sup>. واعلم أنّ العبادة فعل أو قول أو ترك فعل أو ترك قول يؤتى به لمجرد<sup>(٢)</sup> اعتقاد أن الأمر به عظيم يجب الانقياد له وأما الإخلاص فهو أن أن يكون الداعي إلى الإتيان بذلك الفعل أو الترك مجرد الانقياد والامتثال، واحتج قتادة بما روي عن النبي - ﷺ -: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حِصْنِي، وَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي أَمِنَ عَذَابِي»<sup>(٣)</sup> وهذا قول من يقول لا تضر المعصية مع الإيمان كما لا ينتفع بالطاعة مع الكفر، وقال الأكثرون الآية متناولة لكل ما يخلق<sup>(٤)</sup> الله به من الأوامر والنواهي لأن قوله تعالى «فاعبد الله» عام<sup>(٥)</sup>

وروي أن امرأة الفرزدق لما قرئت وفاتها أوصت أن يصلي الحسن البصري عليها، فلما دفنت قال الحسن للفرزدق: أبا فراس ما الذي أعددت لهذا الأمر؟ قال شهادة أن لا إله إلا الله. قال الحسن: هذا العمود فأين الطنب<sup>(٦)</sup>؟ فيبين هذا<sup>(٧)</sup> اللفظ الوجيز أن عمود الخيمة لا ينتفع به إلا مع الطنب حتى يمكن الانتفاع بالخيمة. قال القاضي<sup>(٨)</sup>: فأما ما يروي أن النبي - ﷺ - قال لمعاذ وأبي الدرداء: «وإن زنا وإن سرق على رغم أنف أبي الدرداء فإن صح فإنه يجب أن يحمل عليه بشرط التوبة وإلا لم يجز قبول هذا الخبر لأنه مخالف للقرآن، ولأنه يوجب أن لا يكون الإنسان مزجوراً عن الزنا والسرقه ويكون إغراء له بفعل القبيح، وذلك ينافي بحكمة الله، وهذا يدل على أن اعتقاد فعل القبيح لا يضر مع التمسك بالشهادتين، هذا تمام قول القاضي.

قال ابن الخطيب: فيقال له: أما قولك: إن القول بالمغفرة مخالف للقرآن فليس كذلك بل القرآن يدل عليه قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] وقال: ﴿وإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ [الرعد: ٦] كما يقال: رأيت الأمير على أكله وشربه أي حين كونه أكلاً وشارباً. وقال: ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾ [الزمر: ٥٣] وأما قوله: إن ذلك يوجب الإغراء بالقبيح فيقال له: إن كان الأمر كذلك وجب أن يقبح غفرانه عقلاً. وهذا

(١) تفسير البغوي ٦/٦٧. (٢) في ب بمجرد.

(٣) أورده الرازي في تفسيره ٢٦/٢٣٨. (٤) في ب والرازي: كلف.

(٥) انظر: الرازي السابق ٢٦/٢٣٧ و ٢٣٨.

(٦) الطنب والطنب معاً: جبل الخباء والسرادق ونحوهما، وأطناب الشجر عروق تشعب من أرومتها، وقيل: الطنب: الرود والجمع أطناب وطينة، وخباء مطنب ورواق مطنب أي مشدود بالأطناب وفي الحديث: «ما بين طنبي المدينة أحوج مني إليها». اللسان: «ط ن ب» والمحكم «طنب» كذلك.

(٧) في ب لهذا.

(٨) هو القاضي عبد الجبار من أكابر المعتزلة وقد سبقت ترجمته.

مذهب البَغْدَادِي<sup>(١)</sup> من المعتزلة، وأنت لا تقول به لأن مذهب البصريين غفرانُ الذنب جائز عقلاً، وأيضاً فيلزم عليه أن لا يحصل الغفران بالتوبة لأنه إذا علم أنه إذا أذنب ثم تاب غفر الله له لم ينزجر، وأما الفرق الذي ذكره القاضي فبعيد لأنه إذا عزم على أن يتوب عنه في الحال علم أنه لا يضر<sup>(٢)</sup> (هـ) ذلك الذنب البتة. ثم نقول: مَذْهَبُنَا أَنَا نَقْطَعُ بِحُصُولِ الْعَفْوِ عَنِ الْكِبَائِرِ فِي الْجُمْلَةِ إِلَّا أَنَّهُ تَعَالَى لَمْ يَقْطَعْ بِحُصُولِ هَذَا الْغُفْرَانِ فِي حَقِّ كُلِّ أَحَدٍ بَلْ فِي حَقِّ مَنْ يَشَاءُ<sup>(٣)</sup> وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ كَانَ الْخَوْفُ حَاصِلًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ<sup>(٤)</sup>.

قوله: «وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ» يجوز فيه أوجه:

أحدها: أن يكون «الذين» مبتدأ، وخبره قول مضممر حذف وبقي معموله وهو قوله: «مَا نَعْبُدُهُمْ» والتقدير: يَقُولُونَ مَا نَعْبُدُهُمْ<sup>(٥)</sup>.

الثاني: أن يكون الخبر قوله: «إِنَّ اللَّهَ يَخُكُمُ بَيْنَهُمْ» ويكون ذلك القول المضممر (في<sup>(٦)</sup>) محل نصب على الحال أي والذين اتخذوا قَائِلِينَ كَذَا إِنَّ اللَّهَ يَخُكُمُ بَيْنَهُمْ<sup>(٧)</sup>.

الثالث: أن يكون القول المضممر بدلاً من الصلة التي هي «اتخذوا» والتقدير: والذين اتخذوا قالوا ما نعبدهم<sup>(٨)</sup>، والخبر أيضاً: إِنَّ اللَّهَ يَخُكُمُ بَيْنَهُمْ<sup>(٩)</sup>. و«الذين» في هذه الأقوال عبارة عن المشركين المتخذين غيرهم أولياء.

الرابع: أن يكون «الذين» عبارة عن الملائكة وما عبدوا من دون الله كعزير، واللات والعزى ويكون فاعل «اتَّخَذَ»<sup>(١٠)</sup> عائداً على المشركين ومفعول الاتخاذ الأول محذوف هو عائد الموصول، والمفعول الثاني هو: «أَوْلِيَاءَ»<sup>(١١)</sup> والتقدير: والذين اتخذهم المشركون أولياء. ثم لك في خبر هذا المبتدأ وجهان:

(١) هو الكعبي السابق ترجمته الإمام عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي الحنفي الكعبي أبو القاسم المعتزلي البغدادي المتوفى بها سنة ٣١٧هـ صنف من الكتب أدب الجدل، أوائل الأدلة في أصول الدين، تجريد الجدل، تحفة الوزراء، تفسير القرآن، التهذيب في الجدل، عيون المسائل وغير ذلك انظر: «هدية العارفين» ٥/٤٤٤.

(٢) الهاء من ب والرازي. (٣) في ب فقط يشاء بالمضارعة.

(٤) وانظر في هذا كله تفسير الإمام فخر الدين الرازي ٢٦/٢٤٠ و٢٤١.

(٥) قاله في التبيان أبو البقاء ١١٠٨ وابن الأنباري في البيان ٢/٣٢١ ومكي في المشكل ٢/٢٥٧.

(٦) ما بين القوسين كله سقط من ب بسبب انتقال النظر.

(٧) التبيان ٢/٣٢١ والكشاف ٣/٣٨٦. (٨) الكشاف السابق.

(٩) بتوضيح من الدر المصون الذي ذكر هذه الأقوال في ٤/٦٣٤ وقد اختار الفراء والزجاج القول الأول وهو القول المضممر بالنسبة للخبر انظر: معاني الفراء ٢/٤١٤ ومعاني الزجاج ٤/٣٤٤.

(١٠) في ب اتخذوا.

(١١) بالمعنى من الكشاف ٣/٣٨٦ وباللفظ من الدر ٤/٦٣٤ وانظر أيضاً البحر ٧/٥.

أحدهما: القول المضمّر والتقدير وَالَّذِينَ اتَّخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ أَوْلِيَاءَ يَقُولُ (١) فِيهِمُ الْمُشْرِكُونَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا.

الثاني: أن الخبر هي (٢) الجملة من قوله: «إِنَّ اللَّهَ يَخُكِّمُ بَيْنَهُمْ» (٣) وقرئ: «مَا نَعْبُدُهُمْ» بضم النون إتباعاً للباء (٤)، ولا يعتد (٥) بالساكن.

قوله: «زُلْفَى» مصدر مؤكّد على غير المصدر ولكنه مُلَاقٍ لعامله في المعنى، والتقدير (والمعنى) (٦) لِيَزْلِقُونَا زُلْفَى وَلِيَقْرَبُونَا قُرْبَى (٧). وجوز أبو البقاء أن يكون حالاً مؤكّدة (٨).

### فصل

والذين اتخذوا من دونه أي من دون الله أولياء يقولون ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله. وهذا الضمير عائد إلى الأشياء التي عبدت، وهذا الكلام إنما يليق بالعقلاء لأن الضمير في: «نَعْبُدُهُمْ» ضمير العقلاء فيحمل (٩) على المسيح وعزير والملائكة لكي يشفعوا لهم عند الله. ويمكن أن يُحْمَل على الأصنام أيضاً لأن العاقل لا يعبد الصنم من حيث إنه خشب أو حجر، وإنما يعبد ربه لاعتقادهم أنها تماثيل الكواكب أو تماثيل الأرواح السماوية أو تماثيل الملائكة أو تماثيل الصالحين الذين مضوا ويكون مقصودهم من عبادتها توجيه (١٠) تلك العبادات إلى أصحاب تلك الصور.

ولما حكى الله تعالى مذاهبهم أجاب عنها من وجوه:

الأول: أنه اقتصر في الجواب على مجرد القول فقال: «إِنَّ اللَّهَ يَخُكِّمُ بَيْنَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ».

واعلم أن المبطل إذا ذكر مذهباً باطلاً وأصرّ عليه فعلاجه أن يحتال بحيلةٍ توجب زوال الإصرار عن قلبه، فإذا زال الإصرار عن قلبه فبعد ذلك يذكر له الدليل الدالّ على

(١) في ب مقول.

(٢) كذا في التسخين وصاحب الدر المصون والأصح: هو الجملة.

(٣) بالمعنى من الكشاف للزمخشري ٣/٣٨٦ قال: فإن قلت: فالخبر ما هو؟ قلت: هو على الأول إما «إِنَّ اللَّهَ يَخُكِّمُ بَيْنَهُمْ» أو ما أصر من القول قبل قوله: «ما نعبدهم» وعلى الثاني: «إِنَّ اللَّهَ يَخُكِّمُ بَيْنَهُمْ».

(٤) لم ينسبها الكشاف كعاداته ولا أبو حيان إلى أحد وكذلك السمين الذي أخذ عنهما. انظر: البحر ٧/٤١٥ والكشاف ٣/٣٨٦ والدر المصون ٤/٦٣٤.

(٥) في ب ولا يفيد. تحريف.

(٦) زيادة من «أ».

(٧) نقل في المشكل ٢/٢٥٧ والتبيان ١١٠٨ والقرطبي ١٥/٢٣٣.

(٨) التبيان المرجع السابق.

(٩) في ب فيحتمل.

(١٠) وفيها توجه لا توجيه كما هنا.

بُطْلَانِهِ فَيَكُونُ هَذَا الطَّرِيقَ أَفْضَى إِلَى الْمَقْصُودِ كَمَا يَقُولُ الْأَطْبَاءُ: لَا بَدَّ مِنْ تَقْدِيمِ (الْمُنْضِجِ) <sup>(١)</sup> عَلَى سَقْيِ الْمُسْهَلِ، فَإِنْ تَنَاوَلَ الْمُنْضِجَ يَصِيرُ الْمَوَادُّ الْفَاسِدَةُ رَخْوَةً قَابِلَةً <sup>(٢)</sup> لِلزَّوَالِ، فَإِذَا سَقِيَ الْمُسْهَلُ بَعْدَ ذَلِكَ حَصَلَ النِّقَاءُ التَّامُّ فَكَذَلِكَ هَهُنَا سَمَاعُ التَّهْدِيدِ وَالتَّخْوِيفِ أَوَّلًا يَجْرِي مَجْرَى سَقْيِ الْمُنْضِجِ أَوَّلًا، وَإِسْمَاعُ الدَّلِيلِ ثَانِيًا يَجْرِي مَجْرَى الْمُنْضِجِ <sup>(٣)</sup> الْمُسْهَلِ ثَانِيًا. فَهَذَا هُوَ الْفَائِدَةُ فِي تَقْدِيمِ هَذَا التَّهْدِيدِ.

ثُمَّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ أَي مِنْ أَصْرٍ عَلَى الْكُذْبِ وَالْكَفْرِ بَقِي (مَخ) <sup>(٤)</sup> رُومًا مِنَ الْهِدَايَةِ. وَالْمُرَادُ بِهَذَا الْكُذْبِ وَصْفُهُمُ لِلْأَصْنَافِ بِأَنَّهَا آلِهَةٌ مُسْتَحَقَّةٌ لِلْعِبَادَةِ مَعَ عِلْمِهِمْ بِأَنَّهَا جِمَادَاتٌ خَسِيسَةٌ، وَيَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالْكَفَّارِ <sup>(٥)</sup> كُفْرَانَ النِّعْمَةِ لِأَنَّ الْعِبَادَةَ نَهَايَةُ التَّعْظِيمِ وَذَلِكَ لَا يَلِيقُ إِلَّا مِمَّنْ <sup>(٦)</sup> يَصْدُرُ عَنْهُ غَايَةُ الْإِنْعَامِ وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى، وَالْأَوْثَانُ لَا مَدْخَلَ لَهَا فِي الْإِنْعَامِ فَعِبَادَتُهَا تَوْجِبُ كُفْرَانَ نِعْمَةِ الْمُنْعَمِ الْحَقِّ <sup>(٧)</sup>.

قَوْلُهُ: «كَاذِبٌ كَفَّارٌ» قَرَأَ الْحَسَنُ وَالْأَعْرَجُ - وَتُرْوَى عَنْ أَنَسٍ <sup>(٨)</sup> - كَذَّابٌ كَفَّارٌ <sup>(٩)</sup>، وَزَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ كَذُوبٌ كَفُورٌ <sup>(١٠)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ ﴿٤﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْفَقِيرُ ﴿٥﴾ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنْ الْأَنْعَامِ ثَمِينًا زَوْجِي خَلَقَكُمْ فِي بَطُونٍ أَمْهَنَتْكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقِي فِي ظُلْمَتٍ ثَلَاثِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَإِنَّ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّكُمْ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ ﴿٧﴾ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ

(١) سقط من ب.

(٣) في ب والرازي: سقى بدل من المنضج.

(٢) في ب كاملة. والمعنيان قريبان.

(٤) ما بين القوسين سقط من «أ» فقط.

(٦) في ب لمن وفي الرازي بمن.

(٥) في ب بالكفر.

(٧) في الرازي: يوجب كفران. وانظر هذا كله في تفسير الرازي ٢٦/٢٤١ و٢٤٢ مع اختلاف سير.

(٨) هو أنس بن مالك بن النضر الأنصاري أبو حمزة صاحب النبي وخادمه روى القراءة عن الرسول سمعاً وردت عنه الرواية في حروف القرآن، قرأ عليه قتادة ومحمد بن مسلم الزهري مات سنة ٩١هـ، انظر: غاية النهاية ١/١٧٢.

(٩) من الشواذ انظر: المختصر ١٣٠ والكشاف ٣/٣٨٦.

(١٠) انظر: الكشاف المرجع السابق والبحر المحيط ٧/٤١٥ وانظر القراءتين في الدر المصون ٤/٦٣٤.

ضُرُّ دَعَا رَبَّهُ مُبْتَلِيًّا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوًا إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّضُلِّهِ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَلْبُكَ عِندَ آتَاءِ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾

قوله: «لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وُلْدًا لَّا ضَطْفَى» لاختار «مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ» يعني الملائكة كما قال: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَّأَخَذْتَهُ مِن لَّدُنَّا﴾ [الأنبياء: ١٧] ثم نزه نفسه فقال: «سُبْحَانَهُ» تنزيهاً له عن ذلك وعمّا لا يليق بطهارته<sup>(١)</sup> «هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ». والمراد من هذا الكلام إقامة الدلائل القاهرة على كونه منزهاً عن الولد.

قوله: «خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ» لما بين في الآية المتقدمة كونه منزهاً عن الولد بكونه إلهاً واحداً قهاراً أي كامل القدرة ذكر عقيبتها ما يدل على الاستغناء. وأيضاً لما أبطل<sup>(٢)</sup> إلهية الأصنام ذكر عقيبتها الصفات التي باعتبارها تحصل الإلهية، وقد تقدم أن الدلائل التي يذكرها الله تعالى في إثبات الإلهية إما أن تكون فلكية أو أرضية أما الفلكية فأقسام:

أحدها: خلق السموات والأرض. وقد تقدم شرحها في تفسير قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ١].

وثانيها: اختلاف أحوال الليل والنهار، وهو المراد ههنا من قوله: «يَكُونُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ»<sup>(٤)</sup>. وفي هذه الجملة وجهان:

أظهرهما: أنها مستأنفة، أخبر تعالى بذلك.

والثاني: أنها حال، قاله أبو البقاء<sup>(٥)</sup>، وفيه ضعف من حيث أن تكوير أحدهما على الآخر إنما كان بعد خلق السموات والأرض إلا أن يقال: هي حال مقدرة، وهو خلاف الأصل<sup>(٦)</sup>.

والتكوير: اللَّفُّ واللِّيُّ يقال: كَارَ الْعِمَامَةَ عَلَى رَأْسِهِ وَكَوَّرَهَا<sup>(٧)</sup>، ومعنى تكوير الليل على النهار وتكوير النهار على الليل على هذا المعنى أن الليل والنهار خلفه يذهب هذا ويغشى مكانه هذا وإذا غشي مكانه فكأنما<sup>(٨)</sup> لف عليه وألبسه كما يلف اللباس على

(١) قاله البغوي في: معالم التنزيل ٦٧/٦. (٢) في الرازي: طعن.

(٣) وانظر: اللباب ٢/٣٣٥ ب. (٤) الرازي ٢٦/٢٤٣ و ٢٤٤.

(٥) التبيان ١١٠٨ و الدرر المصون ٤/٦٣٥. (٦) قاله شهاب الدين في كتابه الدر المصون ٤/٦٣٥.

(٧) اللسان: «ك» و «ر» ٣٩٥٣ والمجاز ٢/٢٨٨، والغريب ٢٨٢ والقرطبي ١٥/٢٣٤ و ٢٣٥ والبحر

المحيط ٧/٢٨٦ و ٣٨٧.

(٨) في ب فكانه.

اللابس أو أن كل واحد منهما يغيب الآخر إذا طرأ عليه فشبّه في<sup>(١)</sup> تغييره إياه بشيء لف عليه ما غيبه عن مطامح الأبصار أو إن هذا يكر على هذا كزوراً متتابعاً فشبّه<sup>(٢)</sup> ذلك بتتابع إكرار العِمَامَةِ بعضها على بعض<sup>(٣)</sup>. قاله الزمخشري. وهذا أوفق للاشتقاق من أشياء قد ذكرت<sup>(٤)</sup>. وقال الراغب: كَوَّرَ الشيء إدارته وضمّ بعضه إلى بعض ككَوَّرَ العِمَامَةَ<sup>(٥)</sup>، وقوله: «يَكْوَرُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ» إشارة إلى جريّان الشمس في مطالعها وانتقاص الليل والنهار وازديادهما. وكوَّره إذا ألقاه مجتمعاً. واكْتَارَ الفرس إذا ردَّ ذَنَبَهُ في عَدْوِهِ، وكَوَّارَةٌ<sup>(٦)</sup> النَّخْلُ معروفة، والكُورُ الرَّحْلُ. وقيل لكل مِصر كُورَةٌ وهي البقعة التي يجتمع فيها قَرَى ومحال<sup>(٧)</sup>. قال ابن الخطيب: إن النور والظلمة عسكران عظيمان، وفي كل يوم يغلب هذا ذاك وهذا، وذلك يدل على أن كل واحد منهما يكون مغلوباً مقهوراً، ولا بد من غالب قاهر لهما يكونان تحت تدبيره وقهره وهو الله تعالى، والمراد من هذا التكوير أنه يزيد في كل واحد منهما بقدر ما ينقص من الآخر، والمراد من تكوير الليل والنهار ما ورد في الحديث: «نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْحَوَرِ بَعْدَ الْكَوْرِ»<sup>(٨)</sup> أي من النقصان بعد الزيادة، وقيل: من الإديار بعد الإقبال.

قوله: «وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ» فإن الشمس سلطان النهار، والقمر سلطان الليل وأكثر مصالح هذا العالم مربوطة بهما كل يجري لأجل مسمى إلى يوم القيامة لا يزالان يَجْرِيانِ إلى هذا اليوم، فإذا كان يوم القيامة ذهباً، والمراد من هذا التسخير أن هذه الأفلاك تدور كدَوْرَانِ الْمَنْجُونِ على حدٍ واحدٍ.

ثم قال: «أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْعَفَّارُ» ومعناه أن خلق هذه الأجرام العظيمة وإن دلَّ على كونه عزيزاً، أي كامل القدرة إلا أنه غفارٌ عظيم الرحمة والفضل والإحسان، فإنه لما كان الإخبار عن كونه عظيم القدرة يوجب الخوف والرهبه فكَوَّنَهُ غفاراً كثير الرحمة يوجب الرجاء والرغبة.

ثم إنه تعالى لما ذكر الدلائل الفلكية أتبعها بذكر الدلائل السفلية فبدأ بذكر الإنسان فقال: «خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ» يعني آدم<sup>(٩)</sup>.

(١) في ب فيشبه هو. (٢) في ب فيشبه.

(٣) في الكشاف: على أثر بعض وانظر: الكشاف ٣/٣٨٧.

(٤) ذكر صاحب اللسان أشياء أخرى كالزيادة والإبل وخرقة تجعلها المرأة على رأسها والقطيع من الإبل. انظر: اللسان «ك و ر» ٣٩٥٣ و ٣٩٥٤.

(٥) المفردات ٤٤٣. (٦) في ب كورة بدون ألف.

(٧) قد ذكر صاحب اللسان هذه الأقوال في المرجع السابق.

(٨) جاء في غريب الحديث لابن الجوزي ١/٢٥١ وغريب الحديث لأبي عبيد ١/٢٢٠ و ٢/١٥ و ٣/٧٠ و ٤/٤٩٨ وانظره في مسند الإمام أحمد ٥/٨٢ والرازي ٢٦/٢٤٤.

(٩) المرجع الأخير ٢٤٣ و ٢٤٤.

قوله: «ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا» في «ثم» هذه أوجه:

أحدها: أنها على بابها من الترتيب بمهله وذلك أنه يروى أنه تعالى أخرجنا من ظهر آدم كالذَّرِّ، ثم خلق حواء بعد<sup>(١)</sup> ذلك بزمان.

الثاني: أنها على بابها أيضاً ولكن لَمَذْرِكِ آخر وهو أن يعطف بها ما بعدها على ما فهم من الصفة في قوله «وَاحِدَةً» إذ التقدير من نفس وَحَدَّثَ أي انفردت ثم جعل منها زوجها<sup>(٢)</sup>.

الثالث: أنها للترتيب في الإخبار لا في الزمان الوجودي كأنه قيل: كان من أمرها قبل ذلك أن جعل منها زوجها<sup>(٣)</sup>.

(الرابع<sup>(٤)</sup>): أنها للترتيب في الأحوال والرُّتَبِ، قال الزمخشري: فَإِنْ قُلْتَ: ما وجه قوله: «ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا» وما تعطيه<sup>(٥)</sup> من التراخي؟ قلت: هما آيتان من جملة الآيات التي عددها دالاً على وحدانيته وقدرته بتشعيب<sup>(٦)</sup> هذا الخلق الثابت للحصر من نفس آدم عليه (الصلاة و) السلام وخلق حواء<sup>(٧)</sup> من قُصَيْرَاهُ<sup>(٨)</sup> إلا أن إحديهما جعلها الله عادة مستمرة والأخرى لم تجر بها العادة ولم تخلق أنثى غير حواء من قُصَيْرَى رجل فكانت أدخل في كونها آية وأُخْلِيبَ لِعَجَبِ السامع فعطفها «بِئْسَ» على الآية الأولى للدلالة على مُبَايَنَتِهَا فضلاً ومزِيَّةً وتراخيها عنها فيما يرجع إلى زيادة كونها آية فهي<sup>(٩)</sup> من التراخي في الحال والمنزلة لا من التراخي في الوجود<sup>(١٠)</sup>.

قال ابن الخطيب: إن كلمة «ثم» كما تجيء لبيان كون إحدى الواقعتين متأخرة عن الثانية فكذلك تجيء لبيان تأخر أحد المكانين<sup>(١١)</sup> عن الآخر كقول القائل: بَلَّغْنِي مَا صَنَعْتَ الْيَوْمَ ثُمَّ مَا صَنَعْتَ أَمْسٍ أَعْجَبُ، وَأَعْطَيْتُكَ الْيَوْمَ شَيْئاً ثُمَّ الَّذِي أَعْطَيْتُكَ أَمْسٍ أَكْثَرَ<sup>(١٢)</sup>.

قوله: «وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ» عطف على «خَلَقَكُمْ». والإنزال يُخْتَمَلُ الحقيقةً، يروى أنه خلقها في الجنة ثم أنزلها. وَيُخْتَمَلُ المجاز. وله وجهان:

- (١) قاله أبو حيان في البحر ٤١٦/٧. والسمين في الدر المصون ٦٣٥/٤.
- (٢) السابق وانظر معاني الفراء ٤١٥/٢.
- (٣) المرجعين السابقين.
- (٤) ما بين القوسين سقط من ب بسبب انتقال النظر.
- (٥) في الكشاف يعطفه بالياء.
- (٦) وفيه تشعيب.
- (٧) كذا في الكشاف وفي النسخين حوى قصراً.
- (٨) القصيرى: أسفل الأضلاع وقيل: هي آخر ضلع في الجنب وقيل: القصوى والقصيرى: الضلع التي تلي الشاكلة بين الجنب والبطن. انظر: اللسان: «ق ص ر» ٣٦٤٩.
- (٩) في الكشاف: فهو.
- (١٠) انظر: الكشاف ٣٨٨/٣.
- (١١) في الرازي الكلامين.
- (١٢) الرازي ٢٦/٢٤٤.

أحدهما: أنها لما لم تعش إلا بالنبات والماء والنبات إنما يعيش بالماء والماء ينزل من السحاب أطلق الإنزال عليها وهو في الحقيقة مطلق على سبب السبب كقوله:

٤٢٨٨ - أَسْنِمَةُ الْآبَالِ فِي رَبَائِهِ<sup>(١)</sup>

وقوله:

٤٢٨٩ - صَارَ الثَّرِيدُ فِي رُؤُوسِ الْعَيْدَانِ<sup>(٢)</sup>

وقوله:

٤٢٩٠ - إِذَا نَزَلَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَابًا<sup>(٣)</sup>

والثاني: أن قضاياه وأحكامه منزلة من السماء من حيث كتبها في اللوح المحفوظ، وهو أيضاً سبب في إيجادها<sup>(٤)</sup>. وقال البغوي: معنى الإنزال ههنا الإحداث والإنشاء كقوله: ﴿أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِكَا بُورِي سَوَاءً يَكُمُ﴾<sup>(٥)</sup> [الأعراف: ٢٦]، وقيل: معناه: أنزل لكم من الأنعام جعلها نزلاً لكم ورزقاً ومعنى ثمانية أزواج أي ثمانية أصناف، وهي الإبل والبقر والضأن والمعز<sup>(٦)</sup>، وتقدم تفسيرها في سورة الأنعام.

قوله: «يَخْلُقُكُمْ» هذه الجملة استثنائية، ولا حاجة إلى جعلها خبر مبتدأ مضمرب بل استؤنفت للإخبار بجملة فعلية<sup>(٧)</sup>، وقد تقدم خلاف القراء في كسر الهمزة في «أُمَّهَاتِكُمْ»<sup>(٨)</sup>.

(١) من الرجز وقيله: كأنما الوابل في مصابه، والآبال جمع إبل، والأسنمة جمع سنام: وهو ما ارتفع من ظهر البعير والرَّيَاب: السحاب الأبيض المثقل بالماء. وشاهده: «في ربابه» فهي محل للأسنمة فهو مجاز مرسل علاقته اعتبار ما سيكون. وانظر: البحر ٤١٦/٧ والدر المصون ٦٣٦/٤ وشرح شواهد الكشاف ٣٣٩/٤.

(٢) رجز كالذي قبله صدره

#### الحمد لله العزيز المَنَّان

ولم أهتم إلى قائله وشاهده كالذي قبله فمن غير المعقول أن يكون الثريد - وهو معروف - في رؤوس العيدان بل يكون فيها الحب الذي يوجد منه الدقيق ثم الخبز ثم الثريد فهو مجاز علاقته ما سيكون. وانظر: البحر ٤١٦/٧ والدر المصون ٦٣٦/٤.

(٣) من الوافر لمعاوية بن مالك ويروي «السحاب» بدل السماء. وشاهده كما قبله أيضاً من المجازية في «رعيناه» فإن المرعي هو النبات لا المطر وإنما المطر سبب فالعلاقة ما سيكون وانظر: الأصمعيات ٢١٤ والاقطصاب ٨٣/٣ واللسان: «س م ا» وإصلاح المنطق ٣٢٩ وديوان المفضليات ٣، والحماسة البصرية ١٧٣/١ وفتح القدير ٤٥٠/٤.

(٤) نقله الزمخشري في الكشاف ٣٨٧/٣ وأبو حيان في البحر ٣١٧/٧.

(٥) وانظر معالم التنزيل ٦٧/٦. (٦) السابق.

(٧) قاله السمين في الدر ٦٣٦/٤ وأبو البقاء في التبيان ١١٠٨.

(٨) فقد قرأ حمزة بكسر الألف والميم والكسائي بكسر الهمزة وفتح الميم، والباقون بضم الألف وفتح =

قوله: «خَلَقًا» مصدر «خَلَقَ»، وقوله: «مِنْ بَعْدِ خَلَقٍ» صفة له فهو لبيان النوع من حيث إنه لما وصف زاد معناه على معنى عامله، ويجوز أن يتعلق «مِنْ بَعْدِ خَلَقٍ» بالفعل قبله، فيكون خلقاً لمجرد التوكيد.

قوله: «فِي ظُلُمَاتٍ» متعلق «بِخَلَقٍ» الذي قبله<sup>(١)</sup>، ولا يجوز تعلقه «بِخَلَقًا» المنصوب، لأنه مصدر مؤكد، وإن كان أبو البقاء جوزة ثم منعه بما ذكرت فإنه قال: و «فِي» يَتَعَلَّقُ به؛ أي «بِخَلَقًا» أو «بِخَلَقٍ» الثاني، لأن الأول مؤكد فلا يعمل<sup>(٢)</sup>، ولا يجوز تعلقه بالفعل قبله لأنه قد تعلق<sup>(٣)</sup> به حرف مثله، ولا يتعلق حرفان متحدان لفظاً ومعنى إلا بالبدلية أو العطف، فإن جعلت «فِي ظُلُمَاتٍ» بدلاً من «فِي بَطُونٍ أُمَّهَاتِكُمْ» بدل اشتمال لأن البطون مشتملة عليها وتكون بدلاً بإعادة العامل جاز ذلك أعني تَعَلَّقَ الْجَارَيْنِ بِـ «يَخْلُقِكُمْ»<sup>(٤)</sup> ولا يضر الفصل بين البَدَل والمبدل منه بالمصدر لأنه من تَمَّة العامل فليس بأجنبي<sup>(٥)</sup>.

### فصل

هذه الحالة مشتركة بين الإنسان وبين الأنعام وهي كونها مخلوقة في بطون الأمهات، وقوله: «خَلَقًا مِنْ بَعْدِ خَلَقٍ» معناه ما ذكر الله تعالى<sup>(٦)</sup> في قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ...﴾ الآيات [المؤمنون: ١٢ - ١٤].

وقوله: ﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ قال ابن عباس: ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة<sup>(٧)</sup>، وقيل: الصلب والرحم والبطن<sup>(٨)</sup>. ووجه الاستدلال بهذه الآيات مذكور في قوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٦].

قوله: «ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ» يجوز أن يكون «الله» خبراً «لِذَلِكُمْ» و «رَبُّكُمْ» نعت لله أو بيان له أو بدل منه<sup>(٩)</sup>. ويجوز أن يكون «الله» بدلاً من «ذلكم» و «ربكم» خبره، والمعنى: ذَلِكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ رَبُّكُمْ<sup>(١٠)</sup>.

قوله: «لَهُ الْمُلْكُ» يجوز أن يكون مستأنفاً<sup>(١١)</sup>، ويجوز أن يكون خبراً بعد

= الميم. انظر: السبعة ٢٢٧ و ٢٢٨ والإتحاف ٣٧٥ وهو يشير إلى الآية: «حرمت عليكم أمهاتكم» ٢٣ من النساء.

(١) هذه الإعرابات للسمين في الدر ٦٣٧/٤ وأبي البقاء في التبيان ١١٠٨.

(٢) المرجع السابق. (٣) في ب يتعلق.

(٤) في ب من خلقكم خطأ. (٥) قاله شهاب الدين ابن السمين في الدر ٦٣٧/٤.

(٦) قاله الرازي ٢٦/٢٤٥.

(٧) هي الجلدة التي فيها الولد والجمع مشيم ومشايم وهي الغرص وانظر: اللسان والتهديب: «ش ي م».

(٨) وانظر: الكشاف ٣/٣٨٨. (٩) التبيان ١١٠٨ والدر المصون ٦٣٧/٤.

(١٠) المرجع الأخير والتبيان ٢/٣٢١. (١١) التبيان ١١٠٨.

خبر<sup>(١)</sup>، وأن يكون «الله» بدلاً من «ذلكم» و «ربكم» نعت لله أو بدل منه، والخبر الجملة من «له الملك»<sup>(٢)</sup>. ويجوز أن يكون الخبر نفس الجار والمجرور وحده، و «المُلْكُ» فاعل به فهو من باب الإخبار بالمفرد<sup>(٣)</sup>.

قوله: «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» يجوز أن يكون مستأنفاً، وأن يكون خبراً بعد خبر<sup>(٤)</sup>.

## فصل

قوله: «له الملك» يفيد الحصر أي له الملك لا غيره، ولما ثبت أنه لا مُلْكُ إلا له وجب القول بأن لا إله إلا هو.

ولما بين بهذه<sup>(٥)</sup> الدلائل كمال قدرته وحكمته ورحمته زَيَّفَ طريقة<sup>(٦)</sup> المشركين وقال: «فَأَتَى تُضْرَفُونَ» عن طريق الحق بعد هذا البيان، وهذا يدل على أنهم لم يصرفوا بأنفسهم عن هذه البيانات بل صرفهم عنها غيرهم وما ذلك الغير إلا الله وأيضاً فدليل<sup>(٧)</sup> العقل يقوي ذلك لأن كل أحد يريد تحصيل الحق والصواب فلماً لم يحصل ذلك فإنما حصل الجهل والضلال علمنا أنه من غيره لا منه. واستدللت المعتزلة بهذه الآيات<sup>(٨)</sup> أيضاً لأن قوله تعالى: «فَأَتَى تُضْرَفُونَ» تعجب من هذا الانصراف ولو كان الفاعل لذلك الصرف هو الله لم يبق لهذا<sup>(٩)</sup> التعجب معنى. قوله: «إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ» أي إنه تعالى ما كلف المكلفين ليجز إلى نفسه منفعة أو ليدفع عن نفسه مضرة لأنه تعالى غني على الإطلاق فيمتنع في حقه جر المنفعة ودفع المضرة، لأنه واجب الوجود لذاته وواجب الوجود لذاته في جميع صفاته يكون غنياً على الإطلاق وأيضاً فالقادر على خلق السموات والأرض والشمس والقمر والنجوم والعرش والكرسي والعناصر الأربعة والمواليد الثلاثة ممتنع<sup>(١٠)</sup> أن ينتفع بصلاة «زَيْدٍ» وصيام «عَمْرٍو» وأن يستضر<sup>(١١)</sup> بعدم صلاة هذا وعدم صيام ذلك.

ثم قال: «وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ» أي وإن كَانَ لا يتفعه إيمانهم ولا يضره كفرهم، إلا أنه لا يرضى بالكفر. قال ابن عباس والسدي: لا يرضى لعباده المؤمنين الكفر وهم

(١) السابق والبيان ٣٢١.

(٢) التبيان ١١٠٨ وانظر هذا كله في الدر المصون ٤/٦٣٧.

(٣) نقله السمين في الدر المصون ٤/٦٣٧.

(٤) التبيان ١١٠٨ والبيان ٢/٣٢١ بتعدد الخبر فقط والدر المصون ٤/٦٣٧ بالوجهين.

(٥) كذلك الرازي كما هنا وفي ب هذه.

(٦) في الرازي: رتب عليه تزييف وفي ب: طريق.

(٧) في ب فقط: دليل.

(٨) الأصح: الآية.

(٩) في ب والرازي: يمتنع.

(١٠) وانظر: الرازي ٢٦/٢٤٦.

(١١) كذا هنا. وفي «ب»: يستنصر وفي الرازي: يضر. وانظر: الرازي ٢٦/٢٤٦.

الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢] فيكون عاماً في اللفظ خاصاً في المعنى كقوله: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ [الإنسان: ٦] يريد بعض العباد، وقال قتادة: لا يرضى لأحد من عباده الكفر أي لا يرضى لعباده أن يكفروا به. وهو قول السلف قالوا: كُفِرَ الكافر غير مرضي لله وإن كان بإرادته<sup>(١)</sup>.

واحتج الجبائي بهذه الآية من وجهين:

الأول: أن المُجبرة يقولون: إن الله تعالى خلق العباد وأفعالهم وأقوالهم وكل ما خلقه حق وصواب، وإذا كان كذلك كان قد رَضِيَ بالكفر من التوجه الذي خلقه وذلك ضد الآية.

الثاني: لو كان الكفر بقضاء الله تعالى لوجب علينا أن نرضى به لأن الرضا بقضاء الله واجب وحيث اجتمعت الأمة على أن الرضا بالكفر كفر ثبت أنه ليس بقضاء الله وليس أيضاً برضا الله<sup>(٢)</sup> تعالى. وأجيب بوجوه:

أحدها: إن عادة القرآن جارية بتخصيص لفظ العباد بالمؤمنين كما قدمناه عن ابن عباس.

وثانيها: قول السلف المتقدم وأنشد ابن دُرَيْد:

٤٢٩١ - رَضِيْتُ قَسْرًا أَوْ عَلَى الْقَسْرِ رِضًا مَن كَانَ ذَا سَخِطٍ عَلَى صَرْفِ الْقَضَا<sup>(٣)</sup>  
أثبت الرضا مع القسر.

وثالثها: هب أن الرضا هو الإرادة إلا أن قوله: «وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ» عام فيتخصص بالآيات الدالة على أنه تعالى لا يريد الكفر لقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠].

قوله: «وَأَنْ تَشْكُرُوا» أي تؤمنوا بربكم وتطيعوه «يَرْضَى لَكُمْ» فيشيبكم عليه. قرأ ابن كثير والكسائي وابن ذكوان يَرْضَهُ بالصلة<sup>(٤)</sup>. وهي الأصل من غير خلاف وهي قراءة واضحة. قال الواحدي: من أشبع الهاء (حتى ألحق<sup>(٥)</sup> فيها واو) لأن ما قبل الهاء متحرك فصار بمنزلة ضربه، وقرأ: «يَرْضَى» بضم الهاء من غير صلة بلا خلاف نافع وعاصم

(١) البغوي ٦٨/٦ وكذلك الخازن (٢) الرازي ٢٦/٢٤٦.

(٣) هو له كما في المقصورة ٢٥ والقسر المنع يقال قسرت فلاناً على كذا أي منعت. وهو أيضاً القهر على المكروه والمعنى رميت بمكايذك من هو أصلب من الحديد وأقوى على الدهر من مكاييد الدهر من لو سقطت خطوط الأفلاك وشواظها النارية على جسمه ما شكها وقعا ولا أن لحدوثها ومصابها على أنني راض على القهر غير مختار وإنما يقسر على الرضا من لا يقدر على تصارييف القضاء. فقد فهمنا الشاعر أن القضاء لا محيد عنه.

(٤) أي حرف المد، وهو الواو. (٥) ما بين القوسين كله سقط من ب بسبب انتقال النظر.

وحمزة. وقرأ «يَرْضَهُ» بإسكانها وصلأ من غير خلاف الشوسني<sup>(١)</sup> عن أبي عمرو، وقرأ بالوجهين أعني الإسكان والصلة الدوري عن أبي عمرو. وقرأ بالإسكان والتحريك من غير صلة هشام<sup>(٢)</sup> عن ابن عامر<sup>(٣)</sup>. فهذه خمس مراتب<sup>(٤)</sup> للقراءة وقد تقدم توجيه الإسكان والقصر والإشباع أول الكتاب وما أنشد عليه، ولا<sup>(٥)</sup> يلتفت إلى أبي حاتم في تعليله راوي السكون؛ فإنها لغة ثابتة عن بني عقيل وبني كلاب<sup>(٦)</sup>.

قوله: «وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى» قال الجبائي: هذا يدل على أنه لا يجوز أن يقال: إنه تعالى يأخذ<sup>(٧)</sup> الأولاد بذنوب الآباء واحتج به أيضاً من أنكر وجوب ضرب الدية على العاقلة. ثم قال: «ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ» وهذا يدل على إثبات البعث والقيامة «فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» وهذا يدل على تهديد العاصي وبشارة المطيع. وقوله: «إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» كالعلة<sup>(٨)</sup> لما سبق أي إنه إنما ينبئكم بأعمالكم لأنه عالم بجميع المعلومات فيعلم ما في قلوبكم من الدواعي والصوراف قال - ﷺ -: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَلَا إِلَى أَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ».

قوله: «وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ» لما بين فساد القول بالشرك وبين أنه تعالى هو الذي يجب أن يعبد بين ههنا أن طريقة الكفار متناقضة لأنهم إذا مسهم الضر طلبوا دفعه من الله، وإذا أزال ذلك الضر عنهم رجعوا إلى عبادة غيره فكان الواجب عليهم أن يتعرفوا بالله تعالى في جميع الأحوال لأنه القادر على إيصال الخير ودفع الشر فظهر تناقض طريقهم. والمراد بالإنسان الكافر، وقيل المراد: أقوام معينين<sup>(٩)</sup> كعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وغيره. والمراد بالضر جميع المكاره سواء كان في جسمه أو ماله أو في أهله وولده، لأن اللفظ مطلق فلا معنى لتقييده.

(١) صالح بن زياد بن عبد الله بن اسماعيل أبو شعيب التوسي، الرقي. مقرئ، ضابط محرر ثقة أخذ عرضاً وسماعاً عن أبي محمد اليزيدي وحفص وروى عنه ابنه أبو المعصوم محمد وموسى بن جرير النحوي، وأبو الحارث محمد بن أحمد الطرسوسي الرقي مات سنة ٢٧١هـ. انظر: غاية النهاية ٢٣٢/١ و ٢٣٣.

(٢) هو هشام بن عمار إمام أهل دمشق أبو الوليد السلماني، الخطيب والمقرئ، والمحدث، والمفتي أخذ عن أيوب بن ميمم كان مشهوراً بالنقل والفصاحة والعلم والدراية مات سنة ٢٤٥هـ انظر: غاية النهاية في طبقات القراء.

(٣) وقد مر ترجمة أبي عامر أحد السبعة الكبار فيما مضى.

(٤) انظر هذه القراءات في الإتحاف ٣٧٥ والسبعة ٥٦٠ و ٥٦١ وإبراز المعاني ١٠٩ والكشف ٢٣٦/٢ وتفسير الرازي ٢٤٧/٢٦.

(٥) في ب ما يلتفت نفيأ بما.

(٦) قاله أبو حيّان في البحر ٤١٧/٧ والسمين في الدر المصون ٤/٦٣٧ و ٦٣٨.

(٧) في ب يؤاخذ وكلاهما واحد. (٨) في ب كالعلم. تحريف.

(٩) كذا في النسختين. والأصح: معيّنون على النعت، وانظر هذا في تفسير الرازي ٢٤٧/٢٦ و ٢٤٨ و

قوله: «مُنِيْبًا» حال من فاعل «دَعَا» و «إِلَيْهِ» متعلق «بِمُنِيْبًا» أي راجعاً إليه<sup>(١)</sup> في إزالة<sup>(٢)</sup> ذلك الضر، ولأن الإنابة الرجوع.

قوله: «ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ» أعطاه «نعمة منه» أي أعطاه إياه ابتداء من غير مقتضى. ولا يستعمل في الجزاء بل في ابتداء العطية<sup>(٣)</sup>، قال زهير:

٤٢٩٢ - هُنَالِكَ إِنْ يُسْتَحْوَلُوا الْمَالَ يُخْوَلُوا

(٤)

ويروى: يُسْتَحْبَلُوا الْمَالَ يُخْبَلُوا، وقال أبو النجم:

٤٢٩٣ - أَعْطَى فَلَمْ يَبْحَلْ وَلَمْ يَبْحَلِ كَوْمِ الدَّرِيِّ مِنْ حَوْلِ الْمُحْوَلِ<sup>(٥)</sup>

وحقيقة حوّل من أحد معنيين إما من قولهم: هو خائل مال إذا كان متعهداً له حسن القيام عليه، وإما من حَالٍ يَحْوَلُ إِذَا اخْتَالَ وَافْتَحَرَ<sup>(٦)</sup>، ومنه قول العرب: إِنْ الْعَنِي طَوِيلُ الذَّيْلِ مَيَّاسُ الْحَيْلِ<sup>(٧)</sup>، وقد تقدم اشتقاق هذه المادة مُسْتَوْفَى فِي الْأَنْعَامِ<sup>(٨)</sup>.

قوله: «منه» يجوز أن يكون متعلقاً «بِحَوْلٍ» وأن يكون متعلقاً بمحذوف على أنه صفة: «لِلنِّعْمَةِ»<sup>(٩)</sup>.

قوله: «تَسِيٍّ» أي تَرَكْ «مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ» يجوز في «ما» هذه أربعة أوجه:

(١) نقله السمين في دره المصون ٦٣٨/٤.

(٢) الرازي السابق.

(٣) انظر: السمين ٦٣٨/٤، ومجاز القرآن ١٨٨/٢ وقال الزجاج: «أذهب الضّر عنه وأنعم عليه»، المعاني

٣٤٦/٤ وقال صاحب اللسان: «حوّله الله نعمة ملكه إياها» اللسان: «خ و ل» ١٢٩٣.

(٤) من الطويل له وتمامه:

.....  
وإن يسألوا يعطوا وإن ييسروا يغلوا

وييسروا يلعبوا الميسر، والشاهد على الرواية الأولى، أي إن يطلب منهم أحد يعطوه وإذا قامروا عليه قامروا بأعلى ما عندهم. أما الرواية الثانية فمعنى الإخبال الإعارة أي يعيرون الناقة للانتفاع بلبنيها، والفرس للغزو عليه وتلك الرواية شاهدها على التضمين لا للتصريح. وانظر: المجاز ١٨٨/٢ والقرطبي ٢٣٧/١٥، والبحر ٤١٣/٧ واللسان: «خ و ل» والديوان ١١٢.

(٥) من الرجز وهو يخبر أن هذا الرجل أعطى السائل ناقة كوماً أي عطيمة وهذا الإعطاء للسائلين من إعطاء الله إياه. وحيء بالبيت استشهاداً بأن حول معناه العطية في «من حوّل المحوّل» وانظر البيت في القرطبي ٢٣٧/١٥ والبحر ٤١٣/٧، واللسان: «خ و ل» ١٢٩٣ والدر المصون ٦٣٨/٤ والطرائف الأدبية ٥٧ - ٦١.

(٦) اللسان ١٢٩٣ و١٢٩٤ والكشاف ٣٨٨/٣.

(٧) الاستشهاد بهذا المثال في معنى الاختيال والتكبر. وانظر: الكشاف المرجع السابق والبحر ٤١٨/٧.

(٨) عند قوله: «ووتركنتم ما حوّلناكم وراء ظهوركم» من الآية ٩٤ منها. وقال هناك: حال يخال حوّل إذا صار ذا حول بعد انفراد، وحوّله المال أي أعطاه إياه، وذكر تفصيلاً جاء منها هنا مكررة. وانظر: اللباب ٢٩٧/٣ ب.

(٩) ذكره أبو البقاء في الشبان ١١٠٩.

أحدها: أن تكون موصولة بمعنى الذي مراداً بها الضمير أي نسي الشِّرَّ الذي يدعو إلى كشفه<sup>(١)</sup> أي ترك دعاءه كأنه (لم) يتضرع إلى ربه<sup>(٢)</sup>.

الثاني: أنها بمعنى الذي مراداً<sup>(٣)</sup> الباري تعالى أي نسي الله الذي كان يتضرع إليه<sup>(٤)</sup>. وهذا عند من يجيز وقوع «ما» على أولي العلم<sup>(٥)</sup>، وقال ابن الخطيب: وما بمعنى «مَنْ» كقوله: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ [الليل: ٣] ﴿وَلَا أَنْتَ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٣] ﴿فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾<sup>(٦)</sup> [النساء: ٣].

الثالث: أن تكون<sup>(٧)</sup> «ما» مصدرية أي نسي كونه داعياً<sup>(٨)</sup>.

الرابع: أن تكون<sup>(٩)</sup> «ما» نافية وعلى هذا فالكلام تام على قوله: («نسي») ثم استأنف إخباراً بجملته منفية، والتقدير: نسي ما كان فيه لم يكن دعاء هذا الكافر خالصاً لله تعالى<sup>(١١)</sup>. وقوله: «مِنْ قَبْلُ» أي من قبل الضر على القول الأخير، وأما على الأقوال قبله فالتقدير من قبل تحويل النعمة.

قوله: «وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَاداً» يعني الأوثان «لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ» قرأ ابن كثير وأبو عمرو «لِيُضِلَّ» بفتح الياء أي ليفعل الضلال بنفسه، والباقون بضمها<sup>(١٢)</sup> فمفعوله محذوف، وله نظائر تقدمت، واللام يجوز أن تكون للعلة، وأن تكون لام العاقبة كقوله: «فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا»<sup>(١٣)</sup>.

ثم قال: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لَهَذَا الْكَافِرِ «تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا» في الدنيا أي إلى انقضاء أجلك، وليس المراد منه الأمر بل المراد منه الزجر وأن يعرفه قلة تَمَتَّعِهِ في الدنيا ثم مصيره إلى النار، قيل: نزلت في عتبة بن ربيعة، وقال مقاتل: نزلت في حذيفة بن المغيرة المَخْزُومِي، وقيل: عامٌّ في كل كافر.

قوله تعالى: «أَمَّنْ هُوَ قَانِثٌ» لما شرح الله تعالى صفات المشركين وتمسكهم بغير

(١) نقله الزمخشري في الكشاف ٣/٣٨٩ والسمين في الدر ٤/٦٣٩ والرازي في التفسير الكبير ٢٦/٢٤٩.

(٢) المرجع السابق وما بين القوسين سقط من ب.

(٣) في ب مراد.

(٤) المراجع السابقة وقال الزجاج في المعاني ٤/٣٤٦ بالقولين والثاني الفراء في المعاني ٢/٤١٥.

(٥) الزجاج والفراء في المرجعين السابقين.

(٦) وقد أجاز «ما» بمعنى «من» الزمخشري أيضاً في الكشاف المرجع السابق ٣/٣٨٩ وانظر: الرازي ٢٦/٣٤٩.

(٧) في ب يكون. (٨) قاله الفراء في المعاني ٢/٤١٥.

(٩) في ب يكون وانظر كل هذه الأقوال في الدر المصون ٤/٦٣٩.

(١٠) سقط من ب. (١١) سقط كذلك من ب.

(١٢) الإتحاف ٣٧٥ والدر المصون ٤/٦٣٩ والنشر ٢/٣٦٢.

(١٣) قاله في البحر أبو حيان ٧/٤١٨ والسمين في الدر ٤/٦٣٩ والرازي ٢٦/٣٦٢.

الله أردفه بشرح أحوال المحققين<sup>(١)</sup>. قرأ الحَرَمِيَّانَ نافعُ وابنُ كثيرٍ بتخفيف الميم والباقون بتشديدها<sup>(٢)</sup> فأما الأولى ففيها وجهان:

أحدهما: أنها همزة الاستفهام دخلت على «مَنْ» بمعنى الذي، والاستفهام للتقرير، ومقابله محذوف تقديره: أَمَنْ هُوَ قَانَتْ كَمَنْ جَعَلَ لِلَّهِ أُنْدَاداً؟ أو: أَمَنْ هُوَ قَانَتْ كغيره؟ أو التقدير: أَهَذَا الْقَانِتُ خَيْرٌ أَمْ الْكَافِرُ الْمُخَاطَبُ بقوله: «قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا؟» ويدل عليه قوله: «قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ»<sup>(٣)</sup> محذوف خبر المبتدأ وما يعادل المستفهم عنه. والتقدير أن الأولان أولى لقلة الحذف ومن حذف المعادل للدلالة قول الشاعر:

٤٢٩٤ - دَعَانِي إِلَيْهَا الْقَلْبُ إِنِّي لِأَمْرِهَا سَمِيعٌ فَمَا أَذْرِي أُرْشِدُ طَلَابَهَا<sup>(٤)</sup>  
يريد: أم غي<sup>(٥)</sup>.

الثاني: أن تكون الهمزة للنداء<sup>(٦)</sup> و «مَنْ» مُتَادَى ويكون المتادى هو النبي - ﷺ - وهو المأمور بقوله: «قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ» كأنه قال: يا مَنْ هُوَ قَانَتْ قُلْ كَيْتٌ وكَيْتٌ كقول الآخر:

٤٢٩٥ - أَرِزْدُ أَخَا وَرَقَاءَ إِنْ كُنْتَ نَائِرًا<sup>(٧)</sup> .....

(١) في ب المحققين، وانظر: الرازي ٦٨/٢٦ و ٦٩.

(٢) وكذا هي قراءة حمزة. وانظر: السبعة ٥٦١ والإنحاف ٣٧٥ ومعاني الفراء ٤١٦/٢ حيث أشار إلى ذلك وانظر كذلك النشر ٣٦٢/٢.

(٣) وانظر: الكشاف ٣٩٠/٣ والبيان ٣٢٢/٢ والكشف ٢٢٧/٢ والدر المصون ٦٣٩/٤.

(٤) يرؤى: عصيت إليها، وعصاني إليها وهو المشهور. وهو من الطويل لأبي ذؤيب الهذلي. والشاهد: حذف المعادل للدلالة عليه، والتقدير كما هو أعلى: أرشد طلابها أم غي، وانظر: البحر ٤١٨/٧ والدر المصون ٦٤٠/٤ والأشموني ١١٦/٣ والهمع ١٣٢/٢ ومعاني الفراء ٢٣٠/١ ومعاني الزجاج ٤٧٠/١ وتأويل مشكل القرآن ١٦٦، والمعني ١٣ و ٤٣ و ٦٢٨ ديوان الهذليين ٧١/١.

(٥) انظر: المراجع السابقة.

(٦) قال بهذا الرأي ابن الأنباري أيضاً في البيان ٣٢٢/٣ والفراء في معانيه ٤١٦/٢ قال يا مَنْ هُوَ قَانَتْ وهو وجه حسن العرب تدعو بألف كما يدعون بيا فيقولون: يا زيد أقبل وأزيد أقبل. وقال به شهاب السمين في الدر أيضاً ٦٤٠/٤.

(٧) صدر بيت من الطويل مجهول القائل وعجزه:

فقد عرضت أحناء حق فخاصم

والأحناء جمع حنو، وورقاء: أحد أحياء قيس القديمة، والثائر: من يطلب ثأره والشاهد: استعمال الهمزة للنداء مع «من» في الآية كما استعمل الهمزة مع زيد هنا في البيت وقد ضعف هنا من المؤلف من جهة أن القرآن لم يناد إلا بياء. وانظر الكتاب ١٨٣/٣ وابن يعيش ٤/٢ واللسان «حنا» ١٠٣٣، والمقتصد ٧٧١.

وفيه بعد، ولم يقع في القرآن نداء بغير يا حتى يحمل هذا عليه. وضعف أبو حيان هذا الوجه بأنه أجنبي مما قبله ومما بعده<sup>(١)</sup>، قال شهاب الدين: وقد تقدم أنه ليس أجنبياً مما بعده إذ المنادى هو المأمور بالقول<sup>(٢)</sup>. وضعفه الفارسي أيضاً بقريب من هذا<sup>(٣)</sup>. وتجراً على قارىء هذه القراءة أبو حاتم والأخفش<sup>(٤)</sup>، وأما القراءة الثانية فهي «أم» داخلة على من الموصولة أيضاً فأدغمت الميم في الميم. وفي «أم» حينئذ قولان: أحدهما: أنها متصلة ومعادلتها محذوف تقديره: الكافر خير أم الذي هو قانت، وهذا معنى قول الأخفش<sup>(٥)</sup>.

قال أبو حيان: ويحتاج حذف المعادل إذا كان أوّل إلى سماع<sup>(٦)</sup>، وقيل: تقديره أمّن يعصي أمن هو مطيع يستويان وحذف الخبر لدلالة قوله «هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ»<sup>(٧)</sup>.

والثاني: أنها منقطعة فتقدّر<sup>(٨)</sup> ببل والهمزة أي بل أمّن هو قانت كغيره أو كالكافر المقول له تمتع بكفرك<sup>(٩)</sup>.

وقال أبو جعفر: هي بمعنى «بَلْ» و «مَنْ» بمعنى الذي تقديره بل الذي هو قانت أفضل مما ذكر قبله<sup>(١٠)</sup>.

وانتقد عليه هذا التقدير من حيث إن من تقدم ليس له فضيلة البتة حتى يكون هذا أفضل منه والذي ينبغي أن يقدر: بَلِ الَّذِي هُوَ قَانِتٌ من أصحاب الجنة لدلالة ما لِقَسِيمِهِ<sup>(١١)</sup> عليه من قوله: «إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»<sup>(١٢)</sup>. وقال البغوي من شدّد فله وجهان:

(١) قال: وقال الفراء الهمزة للنداء كأنه قيل: يا من هو قانت ويكون قوله: «قل» خطاباً له وهذا القول أجنبي مما قبله ومما بعده. البحر ٤١٨/٧.

(٢) الدر المصون ٦٤٠/٤.

(٣) قال: «ولا وجه للنداء هنا لأن هذا موضع معادلة فليس النداء مما يقع في هذا الموضع». الحجة ٥٦/٧.

(٤) قال أبو حيان: ولا التفات لتضعيف الأخفش وأبي حاتم هذه القراءة. انظر: المرجع السابق من البحر.

(٥) البحر المرجع السابق.

(٦) السابق وقد أخبر الأنباري في البيان عن تقدير هذا دون تعليق: «العاصون ربهم خير أم من هو قانت» البيان ٣٢٢/٢.

(٧) التبيان ١١٠٩.

(٨) كذا في النسختين وفي السمين فتقدر بتاء واحدة فلا فرق في المعنى بين الكلمتين.

(٩) هذا رأي أبي إسحاق الزجاج في المعاني ٣٤٧/٤: «وأثر القراءة بتشديد الميم على معنى بل أم من هو قانت».

(١٠) تبع أبو جعفر أستاذه الزجاج في هذا انظر الإعراب ٨/٤ له.

(١١) في ب لتسمية خطأ.

(١٢) هذا رد أبي حيان ومن بعد السمين المحلي انظر: البحر ٤١٩/٧ والدر المصون ٦٤١/٤.

أحدهما: أن تكون الميم في «أم» صلة ويكون معنى<sup>(١)</sup> الكلام استفهاماً وجوابه محذوف مجازة: **أَمْنْ هُوَ قَائِتٌ كَمَنْ هُوَ غَيْرُ قَائِتٍ** كقوله: **﴿أَمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾** [الزمر: ٢٢] يعني كمن لم يشرح صدره.

والثاني: أنه عطف على الاستفهام مجازة: الذي جعل لله أنداداً<sup>(٢)</sup>.

### فصل

القائت: هو القائم بما يجب عليه من الطاعة، ومنه قوله عليه (الصلاة و) السلام: **«أَفْضَلُ الصَّلَاةِ صَلَاةُ الْقُنُوتِ»** وهو القائم فيها ومنه القنوت لأنه يدعو قائماً، وعن ابن عمر أنه قال: **لَا أَعْلَمُ الْقُنُوتَ إِلَّا قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ وَطَوَّلَ الْقِيَامَ وَتَلَا: «أَمْنْ هُوَ قَائِتٌ»**. وعن ابن عباس: القنوت الطاعة كقوله: **«كُلُّ لَهْ قَائِتُونَ»** أي مطيعون<sup>(٣)</sup>.

قوله: **«آتَاءَ اللَّيْلِ»** آتاء منصوب على الظرف<sup>(٤)</sup>. وتقدم اشتقاقه<sup>(٥)</sup>، والكلام في مفرده، والمعنى ساعات الليل. وفي هذه الآية دلالة على أن قيام الليل أفضل من قيام النهار، قال ابن عباس - في رواية عطاء - **نَزَلَتْ فِي (أَبِي بَكْرٍ<sup>(٦)</sup> الصَّدِيقِ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ: نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَعَنْ ابْنِ عَمْرٍو: أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي عَثْمَانَ وَعَنْ الْكَلْبِيِّ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي) ابْنِ مَسْعُودٍ، وَعَمَّارٍ وَسَلْمَانَ<sup>(٧)</sup>**.

قوله: **«سَاجِدًا»** حال و **«قَائِمًا»** حال أيضاً وفي صاحبها وجهان:

**أظهرهما: أنه الضمير المستتر (في)<sup>(٨)</sup> «وقانت»**.

والثاني: أنه الضمير المرفوع **«بِيْحَذَرُ»** قدما على عاملهما<sup>(٩)</sup>، والعامّة على نصيهما.

- (١) في البغوي فيكون معنى وفي ب ويكون بمعنى.
- (٢) نسي الناسخ وربما المؤلف أن ينقل كلام البغوي كاملاً حتى يستقيم المراد الذي جعل لله أنداداً أخيراً أم من هو قائت. ومن قرأ بالتخفيف فهو ألف استفهام دخلت على من معناه هذا كالذي جعل لله أنداداً. انظر: معالم التنزيل ٦/٦٩.
- (٣) انظر: الرازي ٢٦/٢٥٠ ومعالم البغوي وتفسير الخازن ٦/٦٩ والقرطبي ١٥/٢٣٩ وغريب القرآن ٣٨٢ وتأويل المشكل ٣٥٠.
- (٤) في الأصل الظروف.
- (٥) في ب: انقسامه. تحريف: عند قوله: **«آتَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ»** [آل عمران: ١١٣] والآتاء من المحتمل أن تكون جمع أي وزنة عصا بفتح الأول والثاني وأن تكون بزنة أي بفتح الأول وكسر الثاني مثل معي أو بفتح الأول وسكون الثاني أي ككلب في الصحيح وظبي في المعتل وب س الأول وسكون الثاني إني، أو بالكسر والسكون لكن مع واو كجرو والهمزة منقلبة عن ياء أو واو مثل: كساء وعطاء. اللباب ٢/٨٦ ب.
- (٦) ما بين الأقواس سقط من ب: (٧) زاد المسير ٧/١٦٦ و ١٦٧.
- (٨) سقط من ب.
- (٩) قال بهذا الإعراب صاحب الثيان ١١٠٩ والسمين في الدرر ٤/٦٤١.

وقرأ الضحاك برفعهما على أحد وجهين، إما النعت «لِقَائِبٍ»<sup>(١)</sup> وإما أنهما خبرٌ بعد خبرٍ<sup>(٢)</sup>.

قوله: «يَخَذِرُ الآخِرَةَ» يجوز أن يكون حالاً من الضمير في «قَائِبٍ» وأن يكون حالاً من الضمير في «ساجداً» و «قائماً» وأن يكون مستأنفاً جواباً لسؤال مقدر كأنه قيل: ما شأنه يقنت آناء الليل ويتعب<sup>(٣)</sup> نفسه ويكدها؟ فقيل: يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه<sup>(٤)</sup>، أي عذاب الآخرة. وفي الكلام حذف<sup>(٥)</sup>، والتقدير كمن لا يفعل شيئاً من ذلك، وإنما حَسَّنَ هذا الحذف دلالةً ذكر الكافر قبل هذه الآية وذكر بعدها «قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَظُنُّونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» والتقدير: هل يستوي الذين يعلمون وهم الذين صفتهم أنهم يقنتون آناء الليل ساجداً وقائماً والذين لا يعلمون وهم الذين صفتهم عند البلاء والخوف يوحدون وعند الراحة والفراغ<sup>(٦)</sup> يشركون، وإنما وصف الله الكفار بأنهم لا يعلمون لأنه تعالى وإن آتاهم آلة العلم إلا أنهم أعرضوا عن تحصيل العلم فلماذا جعلهم الله كأنهم ليسوا أولي الألباب من حيث إنهم لم ينتفعوا بعقولهم وقلوبهم<sup>(٧)</sup>.

قوله: «هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَظُنُّونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» قيل: الذين يعلمون «عمار» والذين لا يعلمون أبو حذيفة المَحْزُومِي<sup>(٨)</sup>، وهذا الكلام تنبيه على فضيلة العلم قيل لبعض العلماء: إنكم تقولون العلم أفضل من المال (ثم نرى<sup>(٩)</sup> العلماء عند أبواب الملوك) ولا نرى الملوك عند أبواب العلماء فأجاب بأن هذا أيضاً يدل على فضيلة العلم لأن العلماء علموا ما في المال من المنفعة فطلبوه، والجهال<sup>(١٠)</sup> لم يعرفوا ما للعلم من المنافع فلا جرم تركوه.

(قوله)<sup>(١١)</sup>: «إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ» قرىء: إِنَّمَا يذكر<sup>(١٢)</sup> بإدغام التاء في الذال.

قوله تعالى: ﴿قُلْ يٰعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾

قوله: «قُلْ يَا عِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ» أي بطاعته، واجتناب معاصيه. قال

(١) السابق ومعاني الفراء ٤١٧/٢ والبحر المحيط ٤١٩/٧.

(٢) نقله الزمخشري في الكشاف ٣/٣٩٠.

(٣) في ب ويقنت. خطأ. (٤) الدر المصون ٤/٦٤١.

(٥) كرر المؤلف ثانية في الحذف وأتى بكلام الرازي وكان من باب أولى أن يضع له عنواناً كعادته في النقل عن السابقين.

(٦) في الرازي والفراغة. (٧) الرازي ٢٦/٢٥١.

(٨) الجوي ٦/٦٩. (٩) ما بين القوسين سقط من ب بسبب انتقال النظر.

(١٠) في «أ» الجبال فالصحيح من «ب» والرازي.

(١١) سقط من ب.

(١٢) في ب يتذكر لحن وخطأ وانظر: الكشاف ٣/٣٩٠ والبحر ٧/٤١٩.

القاضي أمرهم بالتقوى لكي لا يحبطوا إيمانهم بأعمالهم لأن عند الاتقاء من الكبائر يسلم لهم الثواب وبالإقدام عليها يحبط.

فيقال (له)<sup>(١)</sup>: هذا بأن يدل على ضد قولك أولى لأنه أمر المؤمنين بالتقوى فدل ذلك على أنه يبقى مؤمناً مع عدم التقوى وذلك يدل على أن الفسق لا يزيل الإيمان<sup>(٢)</sup>.  
واعلم أنه تعالى لما أمر المؤمنين بالاتقاء بين لهم ما في هذا الاتقاء من الفوائد فقال: «لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ».

قوله: «في هذه الدنيا» يجوز أن يتعلق بالفعل قبله، وحذفت صفة «حسنة» إذ المعنى حسنة عظيمة لأنه لا يوعد<sup>(٣)</sup> من عمل حسنة في الدنيا حسنة مطلقاً بل مقيدة بالعظم، وأن يتعلق بمحذوف على أنه حال من «حسنة» كانت صفة لها فلما تقدمت بقيت حالاً<sup>(٤)</sup>.

## فصل

قوله: «في هذه الدنيا» يحتمل أن يكون صلة<sup>(٥)</sup> لقوله: «لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا» أي آمنوا وأحسنوا العمل في الدنيا حسنة في الآخرة وهي دخول الجنة، والتنكير في «حسنة» للتعظيم أي حسنة لا يصل العقل إلى كنه كمالها، قاله مقاتل. ويحتمل أن يكون صلة لقوله: «حسنة». وعلى هذا قال السدي: معناه في هذه الدنيا حسنة يريد<sup>(٦)</sup> الصحة. قال ابن الخطيب: الأولى أن يحمل على الثلاثة المذكورة في قوله ﷺ: ثلاثة ليس لها نهاية الأيمن والصحة والكفاية<sup>(٧)</sup>، وقال بعضهم: الأول أولى لوجوه:

أحدها: أن التنكير يفيد النهاية في التعظيم والرفعة، وذلك لا يليق بأحوال الدنيا لأنها خسيصة منقطعة وإنما يليق بأحوال الآخرة.

وثانيها: أن الثواب للتوحيد والأعمال الصالحة إنما يحصل في الآخرة، وأما الأيمن والصحة والكفاية فحاصل للكفار أكثر من حصولها للمؤمنين كما قال - عليه (الصلاة و) السلام -: «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ»<sup>(٨)</sup>.

(١) سقط من ب. (٢) قاله الرازي ٢٥٢/٢٦.

(٣) في ب يؤخذ خطأ. (٤) بالمعنى من البحر ٤١٩/٧ وباللفظ من الدر ٦٤٢/٤.

(٥) الواقع أن المؤلف على كثير من عاداته قد خلط خطأ بين قولين منقولين بين الرازي والبخاري يقول الرازي: «يحتمل أن يكون صلة لقوله: أحسنوا، أو الحسنة فعلى التقدير الأول معناه للذين أحسنوا في هذه الدنيا كلهم حسنة في الآخرة وهي دخول الجنة، وأما على التقدير الثاني فمعناه الذين أحسنوا فلهم في هذه الدنيا حسنة» [الرازي ٢٥٢/٢٦]. ويقول البخاري: أي آمنوا وأحسنوا العمل حسنة يعني الجنة [٦٩/٦].

(٦) السابق. (٧) لم أجده إلا في الرازي المرجع السابق.

(٨) أورده مسلم في صحيحه باب الزهد عن أبي هريرة ٢١/٨.

وقال تعالى: ﴿لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرْ بِالرَّحْمَنِ لِيُوتِيَهُم سُقُفًا مِّن فِصَّةٍ﴾ [الزخرف: ٣٣]  
 وثالثها: قوله: «الَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً» يفيد الحصر، ومعناه أن حسنة  
 هذه الدنيا لا تحصل إلا للذين أحسنوا وهذا باطل. أما لو حملنا هذه الحسنة على حسنة  
 الآخرة صح هذا الحصر فكان حمله على حسنة الآخرة أولى.

قوله: «وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ» قال ابن عباس: يعني ارتحلوا من مكة، وفيه حثٌ على  
 الهجرة من البلد الذي يظهر فيه المعاصي، ونظيره قوله تعالى: ﴿قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا  
 مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا﴾<sup>(١)</sup> [النساء: ٩٧].

وقيل: نزلت في مهاجري الحبشة، وقال سعيد بن جبير: من أمر بالمعاصي<sup>(٢)</sup>  
 فليهرب، وقال أبو مسلم<sup>(٣)</sup>: لا يمتنع أن يكون المراد من الأرض أرض الجنة؛ لأنه  
 تعالى أمر المؤمنين بالتقوى وهي خشية<sup>(٤)</sup> الله، ثم بين أن من اتقى فله في الآخرة الحسنة  
 وهي الخلود في الجنة، ثم بين أن أرض الله أي جنته واسعة كقوله تعالى: ﴿تَتَوَارَأُ مِنْ  
 الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ [الزمر: ٧٤] وقوله تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ  
 لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]. قال ابن الخطيب: والأول عندي أولى لأن قوله: «إِنَّمَا  
 يُؤْفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ»<sup>(٥)</sup> لا يليق إلا بالأول.

قوله: «إِنَّمَا يُؤْفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ» أي الذين صبروا على دينهم فلم  
 يتركوه للأذى، وقيل: نزلت في جعفر بن أبي طالب وأصحابه حيث لم يتركوا دينهم لما  
 اشتد بهم البلاء وصبروا وهاجروا<sup>(٦)</sup>. قوله: «بِغَيْرِ حِسَابٍ» أي بغير نهاية؛ لأن كل شيء  
 دخل تحت الحساب فهو متناهٍ فما لا نهاية له كان خارجاً عن الحساب<sup>(٧)</sup> قال عليّ -  
 رضي الله عنه -: كل مطيع يكال له كيلاً أو يوزن له<sup>(٨)</sup> وزناً إلا الصابرين فإنه يُحْتَسَى لهم  
 حثياً، يروى: أنه يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوانٌ ويُصَبَّ  
 عليهم الأجر صبباً قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ حتى يتمنى  
 أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض مما ذهب به أهل البلاء من  
 الفضل<sup>(٩)</sup>.

(١) وانظر البغوي ٦/٦٩، ٧٠.

(٢) في البغوي: يبلد فليهرب منها. وانظر: البغوي المرجع السابق.

(٣) هو أبو مسلم الأصفهاني وقد ترجم له.

(٤) خشية الله تصحيح من الرازي. وفي النسختين: حسنة الله.

(٥) كذا في كتابه وفي ب: إنما يليق بالأول. وانظر هذا في الرازي ٢٦/٢٥٣.

(٦) البغوي ٦/٦٩ و ٧٠. (٧) هذا رأي الرازي في ٢٦/٢٥٤.

(٨) كذا رواه البغوي وفي القرطبي: قال أهل العلم كل أجر يكال كيلاً ويوزن وزناً إلا الصوم فإنه يحسى  
 حثواً ويغرف غزفاً ١٥/٢٤١.

(٩) البغوي ٦/٧٠ والقرطبي السابق.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلْ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لِمُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِي قُلْ إِنَّ الْخَيْرِينَ الَّذِينَ خَيْرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُمْ مِنْ قَوْفِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَجَادُونَ فَأَنْقَوْنِ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾

قوله: «إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين» أي مخلصاً له<sup>(١)</sup> التوحيد لا أشرك به شيئاً، وهذا هو النوع الثامن<sup>(٢)</sup> من البيانات التي أمر الله رسوله أن يذكرها.

قوله: «وأمرت لأن أكون» في هذه اللام وجهان:

أحدهما: أنها للتعليل تقديره وأمرت بما أمرت به لأن أكون قال الزمخشري: فإن قلت: كيف عطف «أمرت» على «أمرت» وهما واحد؟ قلت: ليسا بواحد لاختلاف جهتهما؛ وذلك أن الأمر بالإخلاص وتكليفه شيء والأمر به ليحوز<sup>(٣)</sup> به قصب السبق في الدين شيء آخر، وإذا اختلف وجه الشيء وصفاته ينزل بذلك منزلة شيئين مختلفين.

الثاني: أن تكون اللام مزيدة في «أن» قال الزمخشري: وذلك أن تجعل اللام مزيدة مثلها في قولك: أرذت لأن أفعل. ولا تزد إلا مع «أن» خاصة دون الاسم الصريح كأنها زيدت عوضاً من ترك الأصل إلى ما يقوم مقامه، كما عوض السين في «أسطاع» عوضاً من ترك الأصل الذي هو «أطوع» والدليل على هذا الوجه مجيئه بغير لام في قوله: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢ والنمل: ٩١] (و) ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٤] (و)<sup>(٤)</sup> ﴿أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسَلْتُ﴾ [الأنعام: ١٤] انتهى<sup>(٥)</sup>

قوله: «ولا تزد إلا مع أن» فيه نظر من حيث إنها تزد باطراد إذا كان المعمول متقدماً<sup>(٦)</sup>

(١) ما بين القوسين سقط من ب بسبب انتقال النظر.

(٢) في ب والرازي النوع الثاني لا الثامن، فالتصحیح من ب والرازي.

(٣) في الكشف ليحز القائم به الخ... (٤) زيادة للسياق.

(٥) وانظر: الكشف للزمخشري ٣/٣٩١ و٣٩٢ والدر المصون للسمين ٤/٦٤٢.

(٦) إذا كان معمول الفعل متقدماً وكان عامله متأخراً عنه في اللفظ مثل: «الذين هم لرهبهم برهبون» من الأعراف يقول أبو العباس في المقتضب: «وتقول: لزيد ضربت ولعمرو أكرمت، إذا قدمت المفعول لتشغل اللام ما وقعت عليه فإن أخرته فالأحسن ألا تدخلها» المقتضب ٢/٣٦.

أو كان العامل<sup>(١)</sup> فرعاً وبغير اطراد في غير الموضوعين. ولم يذكر أحد من النحويين هذا التفصيل. وقوله: كما عوض السين في «أسطاع»<sup>(٢)</sup> هذا على أحد القولين، والقول الآخر أنه اسْتَطَاعَ، فحذف تاء الاستفعال، وقوله: والدليل عليه مجيئه بغير لام قد يقال: إن أصله باللام، وإنما حذفت لأن حرف الجر يطرد حذفه مع «أَنْ» و «أَنَّ» ويكون المأمور به محذوفاً تقديره: أن أعبد لأنْ أَكُونُ.

## فصل

المراد من الكلام: أن يكون أول من تمسك بالعبادات التي أرسلت بها. واعلم أن العبادة لها ركنان عمل القلب وعمل الجوارح وعمل القلب أشرف من عمل الجوارح وهو الإسلام فقال: «وَأَمِرْتُ لِأَنْ أَكُونُ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ» أي من هذه الأمة.

قوله: «إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي» وعبدت غيره «عَدَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ» وهذا حين دعا إلى دين آياته<sup>(٣)</sup>، والمقصود منه المبالغة في زجر الغير عن المعاصي. ودلت هذه الآية على أن الأمر للوجوب لقوله في أول الآية: «إِنِّي أَمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ» ثم قال بعده: «قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي» فيكون معنى هذا العِصْيَانِ ترك الأمر الذي تقدم ذكره، ودلت الآية أيضاً على أن المرتب على المعصية ليس حصول العقاب بل الخوف من العقاب<sup>(٤)</sup>.

قوله: «قُلْ (٥) اللَّهُ أَعْبُدُ» قدمت الجلالة عند قوم لإفادة الاختصاص<sup>(٦)</sup>. قال الزمخشري: ولدلالته على ذلك قدم المعبود على فعل العبادة هنا وأخره في الأول فالكلام أولاً وقع في الفعل نفسه وإيجاده، وثانياً فيمن<sup>(٧)</sup> يفعل الفعل من أجله فلذلك رتب عليه قوله: «فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ»<sup>(٨)</sup>. قال ابن الخطيب: فإن قيل: ما معنى التكرير في قوله: «قُلْ إِنِّي أَمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ» وقوله: «قُلْ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي»؟ قلنا: هذا ليس بتكرير لأن الأول إخبار بأنه مأمور من جهة الله بالإيمان<sup>(٩)</sup> بالعبادة والثاني إخبار بأنه أمر أن لا يعبد أحداً غير الله، وذلك لأن قوله: «أَمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ» لا يفيد الحصر وقوله تعالى: «قُلْ اللَّهُ أَعْبُدُ» يفيد الحصر أي الله أعبد ولا أعبد أحداً سواه، ويدل عليه أنه لما قال: «قُلْ اللَّهُ أَعْبُدُ» قال بعده: «فَاعْبُدُوا مَا

(١) أي إذا كان العامل غير أصيل مثل اسم الفاعل في قوله: «فَعَالَ لِمَا يَرِيدُ» وهذه اللام تسمى لام التقوية لأنها قوت العامل - وهو اسم الفاعل - لما كان فرعاً عن الفعل وهو فعل.

(٢) في ب استطاع لحن وخطأ. (٣) قاله البغوي في معالم التنزيل [٦٠/٧٠].

(٤) قاله الرازي ٢٦/٢٥٥. (٥) في ب قل كما القرآن وفي «أ» بل فالتصحيح من ب.

(٦) نقله السمين في الدر ٤/٦٤٣.

(٧) كذا في ب والكشاف وفي «أ» ضمير بدل من «فيمن». خطأ.

(٨) انظر: الكشاف ٣/٣٩٢.

(٩) كذا في النسختين وفي تفسير ابن الخطيب وهو الرازي بالإتيان. وانظر: الرازي ٢٦/٢٥٥.

سِتْنْتُمْ مِنْ دُونِهِ» وهذا أمر توبيخ وتهديد. والمراد منه الزجر كقوله: ﴿أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠]. ثم بين كمال الزجر بقوله: «قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ» أوقعوها في هلاك لا يعقل هلاك أعظم منه وخسروا أهاليهم أيضاً لأنهم إن كانوا من أهل النار فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم وإن كانوا من أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهاباً لا رجوع بعده البتة. وقيل: خُسْرَانُ النفس بدخول النار وخُسْرَانُ الأهل أن يفرق بينه وبين أهله.

ولما شرح الله تعالى خسرانهم وصف ذلك الخُسْرَانَ (المبينَ بالفضاعة فقال: «أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ» وهذا يدل على غاية المبالغة من وجه: أحدها: أنه وصفهم بالخُسْرَانِ، ثم أعاد ذلك بقوله: «أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ» وهذا التكرير لأجل التأكيد.

وثانيها: ذكره حرف «أَلَا» وهو للتثنية، وذكر التثنية يدل على التعظيم كأنه قيل: بلغ في العظم إلى حيث لا تصل عقولكم إليه فتنبهوا له.

وثالثها: قوله: «هُوَ الْخُسْرَانُ»، ولفظ «هو» يفيد الحصر كأنه قيل: كل خسران يصير في مقابلته كلا خسران.

ورابعها: وصفه بكونه خسراناً مبيناً وذلك يدل على التهويل<sup>(١)</sup>.

قوله: «لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ» يجوز أن يكون الخبر أحد الجارين المتقدمين وإن كان الظاهر جعل الأول هو الخبر، ويكون «مِنْ فَوْقِهِمْ» إما حالاً من «ظُلَلٌ» فيتعلق بمحذوف، وإما متعلقاً بما تعلق به الخبر و«مِنْ النَّارِ» صفة لظُلَلٍ، وقوله: «وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ» كما تقدم<sup>(٢)</sup>.

وسماها ظللاً بالنسبة لمن تحتهم، ونظيره قوله: «لَكُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ» [الأعراف: ٤١] وقوله: «يَوْمَ يَعْشَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ» [العنكبوت: ٥٥]. والمعنى أن النار محيطة بهم من جميع الجوانب.

فإن قيل: الظلة ما علا الإنسان فكيف سمي ما تحته بالظلة؟

فالجواب من وجوه:

الأول: أنه من باب إطلاق اسم أحد الضدين على الآخر، كقوله: «وَحَرَوْنَا سِتْرَ سِتَّةٍ وَمَثَلُهَا» [الشورى: ٤٠].

الثاني: أن الذي تحته يكون ظلة لغيره لأن النار درجات كما أن الجنة دَرَجَاتٌ.

(١) انظر: الرازي في تفسيره ٢٥٤/٢٦ و ٢٥٤.

(٢) هذا إعراب أبي البقاء في التبيان ١١١٠ والسمين في الدرر ٦٤٣/٤.

**الثالث:** أن الظلة التحتانية إذا كانت مشابهة للظلة الفوقانية في الحرارة والإحراق والإيذاء<sup>(١)</sup> أطلق اسم أحدهما على الآخر لأجل المماثلة والمشابهة<sup>(٢)</sup>.

قوله: «ذَلِكَ» مبتدأ. وقوله «الَّذِي يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ» خير، والتقدير ذلك العذاب المعد للكفار هو الذي يخوف الله به عباده أي المؤمنين، لأن لفظ العباد في القرآن يختص بأهل الإيمان، وقيل: تخويف للكفار والضلال والأول أقرب لقوله بعده: «يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ». والظاهر أن المراد منه المؤمنون.

قوله: «وَالَّذِينَ اجْتَنَّبُوا الطَّاغُوتَ» الذين مبتدأ، والجملة من «لَهُمُ الْبُشْرَى» الخبر، وقيل: «لَهُمُ» هو الخبر نفسه، و «الْبُشْرَى» فاعل به<sup>(٣)</sup>.

وهذا أولى لأنه من باب الإخبار بالمفردات<sup>(٤)</sup>. والطَّاغُوتُ قال الزمخشري: فَمَلُوتٌ من الطُّغْيَانِ كالمَلَكُوتِ والرَّهْبُوتِ إلا أن فيها قلباً بتقديم اللام<sup>(٥)</sup> على العين. لما ذكر وعيد عبدة الأصنام ذكر وَعَدَ من اجْتَنَّبَ عبادتها واخْتَرَزَ عن أهل الشرك ليكون الوعد مقروناً بالوعيد أبداً فيحصل كمالُ الترغيب والترهيب.

قيل: المراد بالطاغوت هنا: الشيطان<sup>(٦)</sup>.

فإن قيل: إنما عبدوا الصنم.

فالجواب: أن الداعي إلى عبادة الصنم هو الشيطان فلما كان الشيطان هو الداعي كانت عبادة الصنم عبادة للشيطان<sup>(٧)</sup>، وقيل المراد بالطاغوت: الصنم وسميت طَوَاغِيَتٍ على سبيل المجاز لأنه لا فعل لها، (والطغاة<sup>(٨)</sup> هم الذين يعبدونها إلا أنه لما حصل الطغيان بسبب عبادتها والقرب منها وُصِفَتْ بذلك) إطلاقاً لاسم السبب على المسبب بحسب الظاهر. وقيل: الطاغوت كل من يُعْبَدُ ويَطَاع دون الله. نقل (ذلك)<sup>(٩)</sup> في التواريخ أن الأصل في عبادة الأصنام أن القوم (كانوا)<sup>(١٠)</sup> مشبهة واعتقدوا في الإله أنه نورٌ عظيم وأن الملائكة أنواع<sup>(١١)</sup> مختلفة في الصغر والكبر فوضعوا تماثيل صورها<sup>(١٢)</sup> على وفق تلك الخيالات فكانوا يعبدون

(١) كذا في «أ» والرازي وفي ب: والإيذاء.

(٢) الرازي ٢٦/٢٥٧ والدر المصون ٤/٦٤٣.

(٣) قاله السمين في المرجع السابق وابن الأثير في البيان ٢/٣٣٣.

(٤) المرجع السابق وهو الدر.

(٥) وهي الألف حالياً المنقلبة عن الياء قاله في الكشاف ٣/٣٩٢ أقول: وما دام هذا رأي الزمخشري فلماذا لا يكون وزنه فلعموت؟ كأيس بزنة عقل؛ فإن القلب المكاني ممَّا يراعى فيه الصورة الحاضرة وأمثله كثيرة في العربية.

(٦) وهو قول الزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٤/٣٤٩ والزمخشري ٣/٣٩٢.

(٧) في ب الشيطان وانظر الرازي ٢٦/٢٥٨.

(٨) ما بين القوسين كله ساقط من ب.

(٩) كذلك.

(١٠) زائد من «أ».

(١٢) في ب صور وفي الرازي: تماثيل وصوراً.

(١١) في ب والرازي: أنوار لا أنواع.

تلك التماثيل على اعتقادهم أنهم يعبدون الله والملائكة<sup>(١)</sup>.

قوله: «أَنْ يَعْْبُدُوَهَا» الضمير يعود على الطَّاغوت لأنها تَوْث، وقد تقدم الكلام عليها مستوفى في البقرة<sup>(٢)</sup>. و «أَنْ يَعْْبُدُوَهَا» في محل نصب على البدل من «الطَّاغوت» بدل اشتمال كأنه قيل: اجْتَنَبُوا عِبَادَةَ الطَّاغوت<sup>(٣)</sup>.

قوله: «فَبَشِّرْ عِبَادِ» من إيقاع الظاهر موقع<sup>(٤)</sup> المضممر أي فبشِّرْهُمْ أي أولئك المجتبيين، وإنما فعل ذلك تصريحاً بالوصف المذكور<sup>(٥)</sup>.

## فصل

الذين اجتنبوا الطَّاغوت. أي عرضوا عن عبادة<sup>(٦)</sup> ما سوى الله وأتابوا أي رَجَعُوا بالكلية إلى الله وأقبلوا بالكلية على عبادة الله. ثم إنه تعالى وعد هؤلاء بأشياء:

أحدها: قوله: «لَهُمُ الْبُشْرَى»<sup>(٧)</sup> وهذه البشري تحصل عند القرب من الموت وعند الوضع في القبر، وعند الخروج من القبر، وعند الوقوف في عَزْصَةَ القيامة وعند ما يصير فريق في الجنة وفريق في السعير، ففي كل موضع من هذه المواضع تحصل البشارة بنوع من الخير، وهذا المَبْشَرُ يحتمل أن يكون هم الملائكة عند الموت لقوله: «الَّذِينَ نُوَفِّئُهُمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ» [النحل: ٣٢] أو بعد دخول الجنة لقوله: «وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ» [الرعد: ٢٣ - ٢٤]. ويحتمل أن يكون هو الله تعالى كما قال: «يَحْيَتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُمْ سَلَامٌ» [الأحزاب: ٤٤]، ثم قال «فَبَشِّرْ عِبَادِ (ي)»<sup>(٨)</sup> الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ» وهم الذين اجتنبوا وأتابوا<sup>(٩)</sup> غيرهم. وهذه الآية تدل على وجوب النظر والاستدلال لأنه مدح الإنسان الذي إذا سمع أشياء كثيرة يختار منها ما هو الأحسن الأصوب وتمييز الأحسن الأصوب عما سواه لا يتأتى بالسمع وإنما بحجة العقل. واختلفوا في المراد باتباع الأحسن، فقيل: هو مثل أن

(١) وانظر: الرازي السابق والقرطبي ٢٤٥/١٥.

(٢) عند قوله: «فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى» وبين هناك ما تستخلصه من أن الطَّاغوت من الإمكان أن يراد به الجماعة أو يراد به المفرد المؤنث أو يراد به الجمع المؤنث والمذكر ولم يغير لكونه مصدرأ وفي تسميته بالمصدر مبالغة كأن عين الشيطان طغيان وأن البناء بناء مبالغة. انظر: الباب ١/٤٨٣ ب.

(٣) قاله ابن الأنباري في البيان ٣٢٢/٢ و ٣٢٣ والكشاف ٣/٣٩٢ و ٣٩٣ والسمين في الدر ٦٤٤.

(٤) قاله الزمخشري في الكشاف ٣/٣٩٣.

(٥) السمين ٤/٦٤٤.

(٦) في ب عبودية. وهو الموافق لما في الرازي.

(٧) في ب في هذه البشري.

(٨) الياء مزيدة في النسختين وقراءة حفص المعتادة: عباد.

(٩) في ب إلى غيرهم وانظر في هذا الرازي ٢٦٠/٢٦ و ٢٦١.

يسمع القصاص والعفو فيعفو، لأن العفو مندوب إليه لقوله: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [البقرة: ٢٣٧]، وقيل: يسمع العزائم والرخص فيتبع الأحسن وهو العزائم، وقيل: يستمعون القرآن وغير القرآن فيتبعون القرآن<sup>(١)</sup>. وروى عطاء عن ابن عباس: آمن أبو بكر بالنبي - ﷺ - فجاءه عثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد فسأله فأخبرهم بإيمانه فآمنوا فنزل فيهم: «فَبَشِّرْ عِبَادِ (ي) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ»<sup>(٢)</sup>. وقال ابن الخطيب: إنا قبل البحث عن الدلائل وتقريرها والشبهات وتزييفها نعرض<sup>(٣)</sup> تلك المذاهب وأضدادها على عقولنا فكل ما حكم به أول العقل بأنه أفضل وأكمل كان أولى بالقبول، مثاله أن صريح العقل شاهد بأن الإقرار بأن (إله العالم حي عالم قادر حكيم رحيم أولى من إنكار ذلك فكان ذلك المذهب أولى. والإقرار)<sup>(٤)</sup> بأن الله لا يجري في ملكه وسلطانه إلا ما كان على وفق مشيئته أولى من القول بأن أكثر ما يجري<sup>(٥)</sup> في سلطان الله على خلاف إرادته، والإقرار بأن الله تعالى فزّد أحد صمد، منزّه عن التركيب والأعضاء أولى من القول بكونه متبعصاً<sup>(٦)</sup>، مؤلفاً، وأيضاً القول باستغنائه عن المكان والزمان أولى من القول بأنه لا يستغني عنه ألبتة، فكل هذه الأبواب داخلة تحت قوله: «الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ»، فهذا في أبواب الاعتقادات وأما أبواب التكاليف فهي قسمان: عبادات ومعاملات، أما العبادات فكقولنا: الصلاة التي يذكر في تحريمها<sup>(٧)</sup>: الله أكبر وهي بينة ويقرأ فيها بالفاتحة<sup>(٨)</sup> ويؤتى فيها بالطمأنينة في المواقف الخمسة ويُشْهَدُ فيها ويخرج منها بالسلام فلا شك أنها أحسن من تلك التي لا يُرَاعَى فيها شيء من هذه الأحوال، فوجب على العاقل أن يختار هذه الصلاة دون غيرها، وكذا القول في جميع أبواب العبادات.

وأما المعاملات فكما تقدم في القصاص والعفو عنه، وروى عن ابن عباس: أن المراد منه أن الرجل يجلس مع القوم فيسمع الحديث فيه محاسن ومساوي<sup>(٩)</sup> فيحدث بأحسن ما سمع ويترك ما سواه.

قوله: «الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ» الظاهر أنه نعت «لعبادي»، أو بدل منه، أو بيان له<sup>(١٠)</sup>،

(١) المرجع السابقة وانظر أيضاً معالم التنزيل وتفسير الخازن كلاهما ٦/٧١.

(٢) المرجعان السابقان.

(٣) في ب بعرض خطأ.

(٤) ما بين القوسين سقط من ب بسبب انتقال النظر.

(٥) في ب ما يحركهم.

(٦) كذا في الرازي. وفي النسختين: مشقفاً. لحن وتحريف وتصحيف.

(٧) في ب فتحريمها. لحن.

(٨) في الرازي: ويقرأ فيها سورة الفاتحة. وفي ب الفاتحة بدون حرف جر.

(٩) كذا في الرازي و «أ». وفي ب مساوات.

(١٠) قال بالثلاثة السمين في الدر ٤/٦٤٤ والبديلة وعطف البيان ظاهر كلام الزمخشري فقال «الذين اجتنبوا وأنابوا لا غيرهم». الكشاف ٣/٣٩٣.

وقيل: يجوز أن يكون مبتدأ، وقوله: «أُولَئِكَ الَّذِينَ» إلى آخره خبره، وعلى هذا فالوقف على قوله: «عِبَادِي» والابتداء بما بعده<sup>(١)</sup>.

قوله: «أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَكْبَابِ» قال ابن زيد: نزلت: «والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها...» الآيتان في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون: لا إله إلا الله زيد<sup>(٢)</sup> بن عمرو<sup>(٣)</sup> وأبو ذر العفاري وسلمان الفارسي، والأحسن قول لا إله إلا الله. وفي هذه الآية لطيفة وهي أن حصول الهداية في العقل والروح حادث فلا بد له من فاعل وقائل أما الفاعل فهو الله تعالى وهو المراد من قوله «أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ»، وأما القائل فإليه الإشارة بقوله: «وأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَكْبَابِ» فإن الإنسان ما لم يكن عاقلاً كامل الفهم امتنع حصول هذه المعارف والحقيقة في قلبه<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ (١٩) لكن الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ هُمْ عُرْفٌ مِّنْ فَوْقَهَا عُرْفٌ مَّيْنَةٌ مَّجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾

قوله: «أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ» في «من» هذه وجهان:

أظهرهما: أنها موصولة في محل رفع بالابتداء وخبره محذوف فقدرة أبو البقاء: «كَمَنْ نَجَا»<sup>(٥)</sup>. وقدره الزمخشري: «فَأَنْتَ تُخَلِّصُهُ» قال: حذف لدلالة: «أَفَأَنْتَ تُنقِذُ» عليه<sup>(٦)</sup> وقدره غيره: تَنَاسَفُ عَلَيْهِ، وقدره آخرون: تَخَلَّصَ مِنْهُ، أي من العذاب<sup>(٧)</sup>.

وقدر الزمخشري على عادته جملة بين الهمزة والفاء تقديره: أَأَنْتَ مَالِكُ أَمْرِهِمْ فَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ<sup>(٨)</sup>؟

وأما غيره<sup>(٩)</sup> فيدعي أن الأصل تقديم الفاء، وإنما أخرت لما تستحقه الهمزة من التصدير. وقد تقدم تحقيق هذين القولين<sup>(١٠)</sup>.

الثاني: أن تكون «مَنْ» شرطية وجوابها: «أَفَأَنْتَ» فالفاء فاء الجواب دخلت على جملة الجزاء، وأعيدت الهمزة لتوكيد معنى الإنكار. وأوقع الظاهر وهو «مَنْ فِي النَّارِ»

(١) المرجع السابق وبه قال السمين أيضاً.

(٢) ابن نفيل أبو سعيد أحد المسمين للجنة قتل من النصارى. المعارف ٥٩.

(٣) وانظر: البغوي ٧١/٦.

(٤) قال بتلك اللطيفة الرازي في تفسيره ٢٦٢/٢٦.

(٥) الكشاف ٣/٣٩٣.

(٦) التبيان ١١١٠.

(٧) ذكر هذين التقديرين أبو حيان في بحره ٤٢١/٧ والسمين في الدر ٦٤٤ والتقدير: يتخلص منه أو ينجو منه تقدير الزجاج في الإعراب ٤/٣٥٠.

(٨) من الجمهور وسيبويه.

(٩) الكشاف ٣/٣٩٣.

(١٠) تقدم هذا مبسوطاً.

موقع المضمّر إذ كان الأصل أفانت تنقذه وإنما وقع موقعه شهادةً عليه بذلك، وإلى هذا نَحَا الحَوْفِيُّ<sup>(١)</sup> والزَمْخَشَرِيُّ<sup>(٢)</sup>، قال الحَوْفِيُّ: وجيء بألف الاستفهام لَمَّا طال الكلام توكيداً ولولا طولُه لم يجز الإتيان بها لأنه لا يصلح في العربية أن يؤتى بألف الاستفهام في الاسم، وألف أخرى في الجزاء ومعنى الكلام أفانت تُنْقِذُهُ<sup>(٣)</sup>.

وعلى القول بكونها شرطية يترتب على قول الزَمْخَشَرِيِّ وقول الجمهور مسألة وهو أنه على قول الجمهور يكون قد اجتمع شرط واستفهام. وفيه حينئذ خلافٌ بين سيبويه ويونس هل الجملة الأخيرة في جواب الاستفهام وهو قول يونس أو جواب الشرط وهو قول سيبويه<sup>(٤)</sup>.

وأما على قول الزَمْخَشَرِيِّ فلم يجتمع<sup>(٥)</sup> شَرْطٌ<sup>(٦)</sup> (و) استفهام؛ إذ أداة الاستفهام عنده داخلةٌ على جملةٍ مَحذُوفَةٍ عطفت عليها جملة الشرط ولو<sup>(٧)</sup> لم يدخل على جملة الشرط<sup>(٨)</sup>. وقوله: «أفانت تُنْقِذُ استفهام توقيف، وقدم فيها الضمير إشعاراً بأنك لست قادراً على إنقاذه إنما القادرُ عليه اللهُ وَخَدَهُ<sup>(٩)</sup>».

## فصل

قال ابن عباس: معنى الآية من سبق في علم الله أنه في النار. وقيل كلمة العذاب قوله تعالى: «لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ». وقيل: هي قوله: «هَؤُلَاءِ فِي النَّارِ وَلَا أَبَالِي<sup>(١٠)</sup>».

## فصل

احتج أهل السنة بهذه الآية في مسألة الهدى والضلال بقوله: «أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ»، فإذا حقت كلمة العذاب عليه امتنع منه فعل الإيمان والطاعة وإلا لزم (انقلاب)<sup>(١١)</sup> خير الله الصديق كذباً وانقلاب علمه جهلاً، وهو محال، وأيضاً فإنه تعالى

(١) البحر المحيط ٤٢١/٧.

(٢) قال: «أصل الكلام أمن حق عليه كلمة العذاب فانت تنقذه، جملة شرطية دخل عليها همزة الإنكار والفاء فاء الجزاء، ثم دخلت الفاء التي في أولها للعطف على محذوف يدل عليه الخطاب تقديره أنت مالك أمرهم فمن حق عليه العذاب فانت تنقذه، والهمزة الثانية هي الأولى كررت لتوكيد معنى الإنكار والاستبعاد ووضع «من في النار» موضع الضمير فالآية على هذا جملة واحدة». الكشاف ٣/٣٩٣.

(٣) نقله عنه أبو حيان في البحر ٤٢١/٧.

(٤) قد تقدم هذا أيضاً وانظر الكتاب ٨٢/٣، ٨٣.

(٥) في ب: يجمع.

(٦) الواو سقط من ب.

(٧) البحر المحيط ٤٢١/٧.

(٨) «لو» سقط من ب.

(٩) نقله السمين في تفسيره ٦٤٥/٤. (١٠) قاله البغوي في معالم التنزيل ٧١/٦.

(١١) سقط من ب.

حكم بأن حقية<sup>(١)</sup> كلمة العذاب (توجب)<sup>(٢)</sup> الاستنكار التام من صدور الإيمان والطاعة منه ولو كان ذلك ممكناً ولم تكن حقية كلمة العذاب) مانعة منه لم يبق لهذا الاستنكار والاستبعاد معنى<sup>(٣)</sup>.

## فصل

احتج القاضي بهذه الآية على أن النبي - ﷺ - لا يشفع لأهل الكبائر لأنه حق عليهم العذاب فتلك الشفاعة تكون جارية مجرى إنقاذهم من النار وأن الله تعالى حكم عليهم بالإنكار<sup>(٤)</sup> والاستبعاد، وأجيب: بأنا لا نسلم أن أهل الكبائر قد حق عليهم العذاب وكيف يحق عليهم العذاب مع أن الله تعالى قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ١١٦] وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾<sup>(٥)</sup> [الزمر: ٥٣].

قوله: «لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ» استدراك بين شيئين نقيضين، أو (بين) ضدين، وهما المؤمنون والكافرون وقوله: «لَهُمْ عُزْفٌ مِنْ فَوْقِهَا عُزْفٌ» وهذا كالمقابل لما ذكر في وصف الكفار: «لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظِلٌّ مِنَ النَّارِ وَمَنْ تَحْتَهُمْ ظِلٌّ». والمعنى لهم منازل في الجنة رفيعة، وفوقها منازل أرفع منها.

فإن قيل: ما معنى قوله «مبنية»؟

فجوابه: أن المَنزِلَ إذا بُنِيَ على مَنْزِلٍ آخَرَ كان الفُوقَانِي أضعف بناءً من السُّحْتَانِي، فقوله «مبنية» معناه أنه وإن كان فوق غيره لكنه في القوة والشدة مساوٍ المنزل الأسفل، ثم قال: «تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» وذلك معلوم<sup>(٦)</sup>.

قوله: «وَعَدَّ اللَّهُ» مصدر مؤكد لمضمون الجملة فهو منصوب بواجب الإضمار لأن قوله: «لَهُمْ عُزْفٌ» في معنى وَعَدَّهُمُ اللَّهُ ذَلِكَ<sup>(٧)</sup>، وفي الآية دقيقة شريفة وهي أنه تعالى في كثير من آيات الوعد يصرح بأن هذا وعد الله وأنه لا يخلف وعده ولم يذكر في آيات الوعيد البتة مثل هذا التأكيد والتقوية، وذلك يدل أن جانب الوعد أرجح من جانب الوعيد بخلاف قول المعتزلة إنه قال في جانب الوعيد: «مَا يَبْدُلُ الْقَوْلَ لَدَيَّْ وَمَا أَنَا بِظَلْمٍ لِلْيَسِيدِ» [ق: ٢٩] وأجيبوا بأن قوله: «ما يبدل القول لدي» ليس تصريحاً بجانب الوعيد بل هو عام يتناول القِسْمَيْنِ الوعد والوعيد فثبت أن الترجيح الذي ذكرنا حق. والله أعلم<sup>(٨)</sup>.

(١) في ب: حقيقة.

(٢) سقط ما بين القوسين بسبب انتقال النظر من ب.

(٣) الرازي ٢٦٣/٢٦.

(٤) في ب دون أ والرازي: الاستنكار.

(٥) وانظر: تفسير الإمام الفخر الرازي ٢٦٣/٢٦.

(٦) وانظر: الرازي ٢٦٣/٢٦.

(٧) هذا رأي الزنجشيري في الكشاف ٣/٣٩٤ وتبعه الرازي في المرجع السابق، والسمين في الدر ٤/٦٤٦.

(٨) الرازي ٢٦٣/٢٦، ٢٦٤.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهيجُ فَتَرْتَهُ مُضْفَرًا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾ أَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلنَّفْسِيَّةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ (الآية) (١) لما وصف الآخرة بوصف يوجب (٢) الرغبة العظيمة فيها وصف الدنيا بصفة توجب (اشتداد) (٣) النفرة عنها، وذلك أنه أنزل من السماء ماء وهو المطر وقيل: كل (٤) ماء في الأرض فهو من السماء، ثم إنه تعالى ينزله إلى بعض المواضع ثم يقسمه «فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ» أي عيوناً ومسالكاً وَرَكَايَا (٥) في الأرض ومجاري كالعروق في الأجساد (٦) «ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ» من حُضْرَةٍ وَحُمْرَةٍ، وَصُفْرَةٍ وَبَيَاضٍ وغير ذلك مختلفاً أصنافه من بُرٍّ وَشَعِيرٍ وَسِمْسِمٍ «ثُمَّ يَهيجُ» أي يَبْسُ (٧) «فَتَرْتَهُ مُضْفَرًا» لأنه إذا تم جفافه جاز (له) (٨) أن ينفصل عن منابته (٩) وإن لم تتفرق أجزاءه فتلك الأجزاء كأنها هاجت لأن تتفرق ثم تصير حُطَامًا فَتَأْتَا مُتَكْسِرًا (٩) «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ» يعني من شاهد هذه الأحوال في النبات علم أن أحوال الحيوان والإنسان كذلك وأنه وإن طال عمره فلا بد من الانتهاء إلى أن يصير مُضْفَرًا اللون متحطم الأعضاء والأجزاء ثم يكون عاقبته الموت، فإذا كانت مشاهدة هذه الأحوال في النبات (١٠) مذكرة حصول (مثل) (١١) هذه الأحوال في نفسه وفي حياته فحينئذ تعظم نُفْرَتُهُ عن الدنيا ولذاتها.

قوله: «ثُمَّ يَجْعَلُهُ» العامة على رفع الفعل نَسَقًا على ما قبله، وقرأ أبو بشر (١٢) ثم يَجْعَلُهُ منصوباً (١٣).

(١) زيادة من ب. (٢) في ب: فوجب. (٣) سقط من «ب».

(٤) لعل قصد المؤلف - نقلاً عن الرازي - كل ماء. وفي النسختين «كلما في الأرض» وفي الرازي كل ما في الأرض بلفظ «ما» فقط.

(٥) جمع ركية وهي البئر تحفر وجمعها ركايا، وجمعها ابن سيده ركاوي لأنه من ركوت الأمر أصلحته، اللسان «رك» ١/ ١٧٢٢.

(٦) في ب: الأجسام.

(٧) قال الزجاج: يجف وقال أبو عبيدة يذوي، انظر: الزجاج ٣٥١/٤ والمجاز ١٨٩/٢ والغريب ٣٨٣.

(٨) سقط من ب. (٩) في ب: مباينة.

(١٠) في الرازي تذكره. (١١) سقط من ب.

(١٢) هارون بن حاتم أبو بشر الكوفي، مقرئ، مشهور روى الحروف عن أبي بكر بن عياش والقراءة عن أحمد بن محمد بن عبد الله وعنه أحمد بن يزيد الحلواني وابن العباس الرازي مات سنة ٢٤٩ هـ. انظر: غاية النهاية ٣٤٥/٢، ٣٤٦.

(١٣) وانظر: البحر ٢٢٤/٧ والشواذ ٢٠٩ والكامل مخطوط. وصاحب الكامل: هو أبو القاسم يوسف بن =

قال أبو حيان: قال صاحب الكامل - يعني الهذلي -: وهو ضعيف. ولم يبين هو ولا صاحب الكامل وجه ضعفه ولا تخريجه<sup>(١)</sup>، فأما ضعفه فواضح حيث لم يتقدم ما يقتضي نصبه في الظاهر، وأما تخريجه فذكر أبو البقاء فيه وجهين:

أحدهما: أن ينتصب بإضمار «أن» ويكون معطوفاً على قوله: «أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً» في أول الآية والتقدير: ألم تر إنزال الله ثم جعله.

والثاني: أن يكون منصوباً بتقدير: ترى أي ثم ترى جعله حطاماً يعني أنه ينصب «بأن» مضمرة وتكون أن وما في حيزها مفعولاً به بفعل مقدر وهو «ترى» لدلالة: «أَلَمْ تَرَ» عَلَيْهِ<sup>(٢)</sup>.

قوله (تعالى)<sup>(٣)</sup>: «أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ» الآية، لما بين الدلائل الدالة على وجوب الإقبال على طاعة الله ووجوب الإعراض عن الدنيا وذكر أن الانتفاع بهذه البيانات لا تكمل<sup>(٤)</sup> إلا إذا شرح الصدر ونور القلب، والكلام في قوله (تعالى): «أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ» وقوله: «أَفَمَنْ يَتَّقِي» كالكلام في «أَفَمَنْ حَقَّ» والتقدير: أَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ كَمَنْ قَسَا قَلْبُهُ، أو كالتقاسي المغرّض لدلالة: «فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ» عليه وكذا التقدير في: «أَفَمَنْ يَتَّقِي» أي كمن أمن العذاب، وهو تقدير الزمخشري<sup>(٥)</sup>، أو كالمُنْعَمِينَ في الجنة وهو تقدير ابن عطية.

## فصل

معنى شرح الله صدره للإسلام أي وسعه لقبول الحق «فَهُوَ عَلَى ثَوْرٍ مِنْ رَبِّهِ» كمن أقسى الله قلبه «فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَوْلَيْكَ فِي ضَلَالٍ مَبِينٍ». قال مالك بن دينار: ما ضرب عبدٌ بعقوبة أعظم من قسوة القلب وما غضب الله على قوم إلا نزع منهم الرحمة<sup>(٦)</sup>.

فإن قيل: إن ذكر الله - عز وجل - سبب لحصول النور والهداية وزيادة الاطمئنان قال تعالى: «أَلَا يَنْذِرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ» [الرعد: ٢٨] فكيف جعله في هذه الآية ميئناً لحصول القسوة في القلب؟

= جبارة الهذلي المغربي الذي طاف البلاد، وروى عن أئمة القراءة حتى انتهى إلى بلاد «ما وراء النهر» انظر: طبقات ابن الجزري ٢/٣٩٧، ٣٩٨ ولطائف الإرشادات ١/٨٧، ٨٨ وإبراز المعاني ٢٣.

(١) البحر ٧/٤٢٢ والدر المصون ٤/٤٦.

(٢) بتوضيح من صاحب الدر ٤/٦٤٦. وانظر: التبيان ١١١٠ ولم يرتض صاحب البيان قراءة النصب قال: «وقرىء بالنصب وهي قراءة ضعيفة وليس في توجيهها قول مرض جار على القياس» البيان ٢/٣٢٣.

(٣) سقط من ب. (٤) في ب: يكمل.

(٥) الكشاف ٣/٣٩٦ عند الآية ٢٤ الآية.

(٦) قاله البغوي في معالم التنزيل ٦/٧٢.

فالجواب: أن النفس إذا كانت خبيثة الجوهر كدرة العُنُصر بعيدة عن مناسبة الرُوحانيَّات شديدة الميل إلى الطباع البهيمية والأخلاق الذميمة فإن سماعها لذكر الله يزيدُها قسوةً وكُدُورةً<sup>(١)</sup>، مثاله أن الفاعل الواحد تختلف<sup>(٢)</sup> أفعاله بحسب اختلاف القوابل كنور الشمس تسود<sup>(٣)</sup> وجه القصار<sup>(٤)</sup> وبييض ثوبه، وحرارة الشمس تلين الشمع وتعقد الملح. وقد نرى إنساناً (واحداً)<sup>(٥)</sup> يذكر كلاماً واحداً في مجلس واحد فيستطيعه واحد ويستكرهه غيره، وما ذاك إلا بحسب اختلاف جواهر النفوس، ولما نزل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلْطَانٍ مِّنْ طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢] وعمر بن الخطاب حاضر وإنسان آخر فلما انتهى رسول الله - ﷺ - إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ قال كل (واحد)<sup>(٦)</sup> منهما: «فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ» فقال رسول الله - ﷺ -: «كتب فكذا نزلت فأزادَ عمرُ إيماناً على إيمان، وازداد ذلك الإنسان (كفراً)<sup>(٧)</sup> على كُفْرٍ» وإذا عرف هذا لم يبعد أن يكون ذكر الله - عز وجل - يوجب النور والهداية والاطمئنان في النفوس الطاهرة الروحانيَّة ويوجب القسوة والبعد عن الحق في النفوس الخبيثة الشيطانيَّة.

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَابِي فَنَفَعَهُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَنْ يَنْتَفِي بِوَجْهِهِ سَوْءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَاَتَتْهُمْ الْعَذَابُ مِن حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَابَهُمُ اللَّهُ لِيُزَيَّ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾

قوله: «اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ» احتج القائلون بحدوث القرآن بهذه الآية من وجوه:

الأول: أنه تعالى وصفه بكونه: «حديثاً» في هذه الآية وفي قوله: «قُلْ فَأَتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ»<sup>(٨)</sup> وفي قوله: «أَفَبِعَدَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُّذْهِبُونَ» [الواقعة: ٨١] والحديث لا بد وأن يكون حادثاً بل الحديث أقوى في الدلالة على الحدوث من الحادث لأنه (لا)<sup>(٩)</sup> يصح أن يقال:

(١) في ب: كدرة. (٢) في ب: يختلف.

(٣) كذا في أ وفي ب والرازي: يسود عاتداً على نور.

(٤) قال سيبويه - نقله عنه ابن منظور -: قصر الثوب قصارةً وقصره بمعنى حوره ودقه اللسان: «ق ص ر» ٣٦٤٩.

(٥) سقط من ب. (٦) سقط من ب.

(٧) ما بين القوسين سقط من أ وانظر: الرازي ٢٦/٢٦٦.

(٨) الآية ٣٤ من سورة الطور؛ وتصحيحها: «فليأتوا بحديث مثله».

(٩) زيادة خطأ من أ.

هذا حديث وليس بعتيق، وهذا عتيق<sup>(١)</sup> وليس بحديث، ولا يضح أن يقال: هذا عتيق وليس بحديث فثبت أن الحديث هو الذي يكون قريب العهد بالحدوث. وسمي الحديث حديثاً لأنه مؤلف من الحروف والكلمات وتلك الحروف والكلمات تحدث<sup>(٢)</sup> حالاً فحالاً وساعة فساعة.

الثاني: قالوا بأنه تعالى وصفه بأنه أنزله والمُنزَل يكون في محل تصرف الغير وما كان كذلك فهو مُحدثٌ وحديثٌ.

الثالث: قالوا: إن قوله: «أحسن الحديث» يقتضي أن يكون هو من جنس سائر الأحاديث كما أن قوله: «زيد أفضل الإخوة» (يقتضي<sup>(٣)</sup>) أن يكون زيداً مشاركاً لأولئك الأقسام في صفة الأخوة) ويكون من جنسهم، فثبت أن القرآن من جنس سائر الأحاديث، ولما كان سائر الأحاديث حادثاً وجب أيضاً أن يكون القرآن حادثاً.

الرابع: قالوا: إنه تعالى وصفه بكونه كتاباً والكتاب مشتق من الكتيبة وهي الاجتماع، وهذا يدل على كونه حادثاً.

قال ابن الخطيب: والجواب أن نحمل هذا الدليل على الكلام المؤلف من الحروف والألفاظ والعبارات، وذلك الكلام عندنا محدث مخلوق<sup>(٤)</sup>.

## فصل

كَوْنُ الْقُرْآنِ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ إِمَّا أَنْ يَكُونَ بِحَسَبِ اللَّفْظِ وَذَلِكَ مِنْ وَجْهَيْنِ:

الأول: أن يكون ذلك الحسن لأجل الفصاحة والجزالة.

الثاني: أن يكون بحسب النظم في الأسلوب وذلك لأن القرآن ليس من جنس الشعر ولا من جنس الخطب ولا من جنس الرسالة بل هو نوعٌ يخالف الكل مع أن كل (ذي)<sup>(٥)</sup> طبع سليم يستلذه ويستطيعه، وإما أن يكون أحسن الحديث لأجل المعنى. وهو من وجوه:

الأول: أنه كتاب منزّه عن التناقض قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، ومثل هذا الكتاب إذا خلا عن التناقض كان ذلك من المعجزات.

الثاني: اشتماله<sup>(٦)</sup> على الغيوب الكثيرة في الماضي والمستقبل.

(١) أي قديم. (٢) في ب: بحدوث.

(٣) ما بين القوسين سقط من ب بسبب انتقال النظر.

(٤) وانظر في هذا تفسير الإمام الفخر الرازي ٢٦/٢٦٧.

(٥) زيادة من الرازي عن السخطين.

(٦) في ب: استعماله.

الثالث: أن العلوم الموجودة<sup>(١)</sup> فيه كثيرة جداً. وقد شرح ابن الخطيب منها أقساماً كثيرة<sup>(٢)</sup>.

قوله: «كتاباً» فيه وجهان:

أظهرهما: أنه بدل من: «أَحْسَنَ الْحَدِيثِ»<sup>(٣)</sup>.

والثاني: أنه حال منه<sup>(٤)</sup>، قال أبو حيان، لما نقله عن الزمخشري: وكأنه بناه على أن «أَحْسَنَ الْحَدِيثِ» معرفة لإضافته إلى معرفة، وأفعل التفضيل إذا أضيف إلى معرفة فيه خلاف، ف قيل: إضافته مَحْضَةً، وقيل: غيرُ محضة.

قال شهاب الدين: وعلى تقدير كونه نكرة يحسن أيضاً أن يكون حالاً؛ لأن النكرة متى أضيفت سَأَغُ مجيء الحال منها بلا خلاف، والصحيح أن إضافة «أَفْعَلُ» محضة<sup>(٥)</sup> وقوله: «مُتَشَابِهًا» نعت «لِكِتَابٍ». وهو<sup>(٦)</sup> المسوِّغُ لمجيء الجامد حالاً، أو لأنه في قُوَّةِ «مَكْتُوبٍ»<sup>(٧)</sup>، أو تمييزاً منقولاً من الفاعلية أي متشابهاً مَثَانِيهِ. وإلى هذا ذهب الزمخشري<sup>(٨)</sup>.

قوله: «مَثَانِي» قرأ العامة مَثَانِي - بفتح الياء - صفة ثانية، أو حالاً<sup>(٩)</sup> أخرى. وقرأ هشامٌ عن ابن عامر وأبو بشر بسكونها<sup>(١٠)</sup>، وفيها وجهان:

أحدهما: أنه من تسكين حرف العلة استثقلاً للحركة عليه كقراءة: ﴿تَطْمَئِنُّونَ أَهْلِيكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩]، (و) (قوله)<sup>(١١)</sup>:

٤٢٩٦ - كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ ..... (١٢)

(١) وفيها المؤخرة بدل الموجودة وانظر: الرازي ٢٦/٢٦٨.

(٢) تفسيره السابق ٢٦/٢٦٦: ٢٧١ وقد نقل الإمام السيوطي في الإتيان بعدما أفرد نوعاً خاصاً بإعجازه: أفرده بالتصنيف خلافتهم الزماني والخطابي والملكاني والإمام الرازي، وابن سراقه، والقاضي أبو بكر الباقلاني. وانظر: الإتيان ٢/١٤٨، وإعجاز القرآن للباقلاني بهامش الإتيان ٥٨.

(٣) التبيان ١١١٠ والدر المصون ٤/٦٤٦.

(٤) المرجع السابق وقال بالوجهين أيضاً: الزمخشري في الكشاف ٣/٣٩٤ وأبو حيان في البحر ٧/٤٢٣.

(٥) قاله في الدر المصون ٤/٦٤٧. (٦) أي التعت وهو متشابهاً.

(٧) اسم مفعول. وانظر هذه الإعرابات في الدر المصون ٤/٦٤٧.

(٨) الكشاف ٣/٣٩٥. (٩) الدر المصون المرجع السابق.

(١٠) ذكرها أبو حيان في البحر ٧/٤٢٣ والسمين في الدر ٤/٦٤٧.

(١١) زيادات للسياق.

(١٢) بعض شطر بيت من الرجز لرؤية بن العجاج وتمامه:

..... بالقاع القرقي ..... أيدي جوار يتعاطين الورق

وهو يتحدث عن الإبل، والقاع: المكان المستوي، والقرق: الأملس الذي لا حجارة فيه، والورق: الدراهم والشاهد عند المؤلف الذي تبع أبا حيان تسكين حرف العلة فلم يفتح برغم أن «كأن» قبله =

ونحوهما .

والثاني: أنه خبر مبتدأ محذوف أي هُوَ مَثَانِي . كذا ذكره أبو حيان<sup>(١)</sup>، وفيه نظر من حيث إنه كان ينبغي أن ينون وتحذف ياؤه لالتقاء السَّاكِنَيْنِ، فيقال: مَثَانٍ كما تقول: هُوَ لَاءٌ جَوَارٍ، وقد يقال: إنه وقف عليه ثم أُجْرِي الوصل مُجْرَى الوقف لكن يعترض عليه بأن الوقف على المنقوص المنون بحذف الياء نحو: هَذَا قَاضٍ وَإِبَاتِهَا لَعْنَةٌ قَلِيلٌ<sup>(٢)</sup>، ويمكن الجواب عنه بأنه قد قرئ بذلك في المتواتر نحو: ﴿مَنْ وَالِي﴾ [الرعد: ١١] و ﴿بَاقِي﴾ [النحل: ٩٦] و ﴿هَادِي﴾ [الرعد: ٧] في قراءة ابن كثير<sup>(٣)</sup>.

### فصل

تقدم تفسير الكتاب عند قوله: «ذَلِكَ الْكِتَابُ»، وقوله: «مُتَشَابِهًا» أي يشبه بعضه بعضاً (في الحُسْنِ وَيُصَدِّقُ<sup>(٤)</sup> بعضه بعضاً) ليس فيه تناقض ولا اختلاف، قاله ابن عباس، وقوله: «مَثَانِي» جمع «مَثْنِي» أي يُثْنِي فيه ذَكَرُ الوَعْدِ، والوَعِيدِ، والأمرِ، والنهي، والأخبار، والأحكام، أو جمع «مَثْنِي» مفعول من التَّثْنِيَةِ بمعنى التَّكْرِيرِ، وإنما وصف كتاب وهو مفرد «بِمَثَانِي» وهو جمع لأن الكتاب مُشْتَمِلٌ على سُورٍ وآيَاتٍ، وهو من باب: بُزْمَةٌ<sup>(٥)</sup> أَعْشَارٌ، وَثُوبٌ أَخْلَاقٌ. قاله الزمخشري<sup>(٦)</sup>. وقيل: ثُمَّ موصوف محذوف أي فصولاً مَثَانِي<sup>(٧)</sup>، حذف للدلالة عليه، وقال ابن الخطيب: إن أكثر الأشياء المذكورة رَوَّجَيْنِ رَوَّجَيْنِ مثل الأمر، والنهي، والعام، والخاص، والمجمل، والمفصل، وأحوال

= وهذا التسكين للاستئصال أي استئصال الفتحة على الياء. وقد قال ابن جني في الخصائص: إن الياء هنا نزلت منزلة الألف حيث لا تظهر عليها الحركة، وانظر: الخصائص ٣٠٦/١، ٢٩١/٢ وشواهد الشافية ٤٠٥ وشرح ديوان المفضليات (٧٧) والخزانة ٣٤٧/٨، والدر المصون ٦٤٧/٤ وملحق الديوان ١٧٩. (١) البحر ٤٢٣/٧.

(٢) يحدثنا بذلك الرضي في شرح الشافية وسيبويه في الكتاب. ويقول سيبويه: وذلك قولك: هذا قاض، وهذا غاز، وهذا عم، تريد العمي، أذهبها في الوقف كما ذهب في الوصل «يقصد الياء» ولم يريدوا أن تظهر في الوقف كما يظهر ما ثبت في الوصل فهذا الكلام الجيد الأكثر. وحديثنا أبو الخطاب ويونس أن بعض من يوثق بعربيته يقول: هذا رامي، وغازي وعمي؛ أظهروا في الوقف. الكتاب ٤/١٨٤، وشرح الشافية للرضي ٣٠٠/٢، ٣٠٢.

(٣) هذه القراءة ذكرها أبو حيان بدون نسبة في البحر ٤٢٣/٧ والمصون في الدر بنسبة ٦٤٨/٤.

(٤) ما بين القوسين سقط من ب.

(٥) في ب: يومة. خطأ. والبرمة قدر من الحجارة كأنها كسرت إلى عشرة أجزاء ومفردها عشر، وكذلك الثوب الأخلاق لأنه من أجزاء، ومن هنا قال الزمخشري: «فإنما صح ذلك لأن الكتاب جملة ذات تفاصيل وتفصيل الشيء جملة لا غير، ألا تراك تقول: القرآن أسباع وأخماس وسور وآيات». وانظر: الكشاف ٣/٣٩٥ والدر المصون ٦٤٨/٤.

(٦) المرجع السابق.

(٧) قاله أبو حيان في البحر ٤٢٣/٧.

السموات والأرض والجنة والنار، والضوء<sup>(١)</sup>، والظلمة، واللوح، والقلم، والملائكة، والشياطين، والعرش، والكرسي، والوعد، والوعيد، والرجاء والخوف والمقصود منه أن بيان كل ما سوى الحق زوج يدل على أن كل شيء ممثل<sup>(٢)</sup> بضده ونقيضه وأن الفرد الأحد الحق هو الله تعالى.

قوله: «تَقْشَعِرُّ» هذه الجملة يجوز أن تكون صفة «لكتاب»<sup>(٣)</sup> وأن تكون حالاً منه لاختصاصه بالصفة، وأن تكون مستأنفة<sup>(٤)</sup>، واقشعر جلده إذا تَقَبَّضَ<sup>(٥)</sup> وتجمّع من الخوف وقفّ شعره، والمصدر الاقْشِعْرَازُ والقَشْعِرِيرَةُ أيضاً<sup>(٦)</sup> ووزن اقْشَعَرَ افْعَلَلْ، ووزن القَشْعِرِيرَةَ فُعْلِيلَةً<sup>(٧)</sup>.

## فصل

قال المفسرون: تقشعر تضطرب وتشمئز «منه جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ» والاقشعرار تغير في جلد الإنسان عند الوجَل والخوف، وقيل المراد من الجلود القلوب أي قلوب الذين يخشون ربهم «ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ» (أي لذكر الله)<sup>(٨)</sup>. قيل: إذا فكرت آيات العذاب اقشعرت جلود الخائفين لله وإذا ذكرت آيات الرحمة لانت وسكنت قلوبهم كما قال الله: ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] وحقيقة المعنى أن قلوبهم تقشعر عند الخوف وتلين عند الرجاء<sup>(٩)</sup>. قال عليه (الصلاة و) السلام: «إِذَا اقْشَعَرَ جِلْدُ الْعَبْدِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَحَاثَّتْ<sup>(١٠)</sup> عَنْهُ ذُنُوبُهُ كَمَا يَتَحَاثُّ<sup>(١١)</sup> عَنِ الشَّجَرَةِ الْيَابِسَةِ وَرَفَقَهَا<sup>(١٢)</sup>»، وقال: «إِذَا اقْشَعَرَ جِلْدُ الْعَبْدِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ حَرَمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ<sup>(١٣)</sup>»، قال قتادة: هذا نعت أولياء الله نعتهم الله بأنهم تقشعروا جلودهم وتطمئن قلوبهم ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والعشيان عليهم إنما ذلك في أهل البدع وهو

(١) في ب: والنور.

(٢) في ب: يمثل. وفي الرازي: مبتلى خطأ. وانظر: الرازي ٢٦/٢٧٢.

(٣) قاله التبيان ١١١٠ وفي الدر المصون ٤/٦٤٨.

(٤) المرجع السابق. (٥) في ب: انقبض.

(٦) قاله ابن منظور في اللسان: «ق ش ع» ٣٦٣٨.

(٧) وزنها ابن عصفور في الممتع فعليل بدون تاء التأنيث لأن التاء التأنيثية ليست من حروف الزيادة حتى تجيء في الميزان.

(٨) ما بين القوسين سقط من ب وانظر: معالم التنزيل للبخاري ٦/٧٣ ومعاني القرآن وإعراجه للزجاج ٤/٣٥٢ وتفسير الرازي ٢٦/٢٧٢ والكشاف ٣/٣٩٥.

(٩) البغوي المرجع السابق. (١٠) و (١١) في ب: تناحت في اللفظين.

(١٢) أخرجه البغوي في تفسيره عن العباس بن عبد المطلب.

(١٣) المرجع السابق عن يزيد بن عبد الله بن الهاد. انظر: البغوي ٦/٧٣ بينما خرج الحديث الثاني الحكيم الترمذي في نوادر الأصول عن أبي بن كعب وانظر الدر المثور ٧/٢٢٢.

من الشيطان، وعن عروة بن الزبير قال: قلت لجذتي أسماء بنت أبي بكر كيف كان أصحاب رسول الله - ﷺ - يفعلون إذا قرئ عليهم القرآن؟ (قالت<sup>(١)</sup>): كانوا كما نعتهم الله عز وجل: تَدْمَعُ أَعْيُنُهُمْ وَتُقَشَعُرُ جُلُودُهُمْ، قال: فقلتُ لها: إن ناساً اليوم إذا قرئ عليهم القرآن) خَرَّ أَحَدُهُمْ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ فَقَالَتْ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. وعن ابن عمر أنه مرَّ برجل من أهل العراق ساقطٍ فقال: ما بالُ هذا؟ قالوا: إنه إذا قرئ عليه القرآن أو سمع ذكر الله سَقَطَ فقال ابن عمر: إنا لنخشى الله (- عز وجل) - وما نَسْقُطُ. وقال ابن عمر: إن الشيطان يدخل في جوف أحدهم ما كان هذا صنيع<sup>(٢)</sup> أصحاب رسول الله - ﷺ - .

### فصل

قال الزمخشري: تركيب لفظ القُشْعِرِيَّة من حروف التَّقْشُعِ<sup>(٣)</sup> وهو الأديم وضموا إليه حرفاً رابعاً وهو الراء ليكون رباعياً دالاً على معنى زائد، يقال: اقشعر جلدك من الخوف (إذا)<sup>(٤)</sup> وقف شعره وهو مثل في شدة الخوف<sup>(٥)</sup> فإن قيل: كيف قال: «تَلِينُ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ» فعده بحرف «إلى»؟

فالجواب: التقدير: تلين جلودهم وقلوبهم حال وصولها إلى حضرة الله وهو لا يحس الإدراك.

فإن قيل: كيف قال: إلى ذكر الله ولم يقل: إلى ذكر رحمة الله؟

فالجواب: أن من أحب الله لأجل رحمته فهو ما أحب الله وإنما أحب شيئاً غيره، وأما من أحبَّ الله لا لشيء سواه فهو المحب الحق وفي الدرجة العالية فهذا لم يقل: تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر رحمة الله وإنما قال: إلى ذكر الله وقد بين الله تعالى هذا بقوله: «أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ»<sup>(٦)</sup>.

فإن قيل: لم ذكر في جانب الخوف قُشْعِرِيَّة الجلود فقط، وفي جانب الرجاء لين الجلود والقلوب؟

فالجواب: لأن المكاشفة في مقام الرجاء أكمل منها في مقام الخوف لأن الخير مطلوب بالذات، والشر مطلوب بالعرض ومحل المكاشفات هي القلوب والأرواح والله أعلم<sup>(٧)</sup>.

(١) ما بين القوسين كله ساقط من نسخة ب.

(٢) في النسختين صنع وفي البغوي المصدر السابق: صنيع.

(٣) في الكشاف القشع وليس القشع فقد نقلها الرازي عنه كذا ونقلها المؤلف بدوئه عن الرازي.

(٤) لفظ إذا زائد من النسختين.

(٥) الكشاف ٣/٣٩٥ والرازي ٢٦/٣٧٣.

(٦) و (٧) قاله الإمام الرازي في تفسيره التفسير الكبير ٢٦/٣٧٣، ٣٧٤.

ثم إنه تعالى: لما وصف القرآن بهذه الصفات قال: «ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ» فقولُه «ذَلِكَ» إشارة إلى الكتاب وهو هُدَى الله وهو الذي شَرَحَ اللهُ صدره (أولاً) لقبول الهداية ومن يضل الله أي يجعل قلبه قاسياً مظلماً «فَمَا لَهُ مِنْ<sup>(١)</sup> هَادٍ».

واعلم أن سؤالات المعتزلة وجوابها عن مثل هذه الآية قد تقدم في قوله: «فَمَنْ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يُشَرِّحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ» [الأنعام: ١٢٥] ونظائرهما.

قوله: «أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ» الآية لما حكم على القاسية قلوبهم بحكم في الدنيا وهو الضلال التام حكم عليهم في الآخرة بحكم آخر وهو العذاب الشديد فقال: «أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» وتقريره أن أشرف الأعضاء الظاهرة هو الوجه لأنه محل الصبابة وصومعة الحواس (والسعادة<sup>(٢)</sup> والشقاوة) لا تظهر إلا فيه، قال تعالى: «وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ صَابِحَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَاثِرَةٌ رَهْمَةٌ فَذُرَّةٌ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجِرَةُ» [عبس: ٣٨ - ٤٢]. ويقال لمقدم القوم: يَا وَجْهَ الْعَرَبِ، ويقال للطريق الدال على حال الشيء: إن وجه كذا هو كذا. فثبت بما ذكرنا أن أشرف الأعضاء الظاهرة هو الوجه وإذا وقع الإنسان في نوع من أنواع العذاب فإنه يجعل يده وقاية لوجهه، وإذا عرف هذا فنقول: إذا كان القادر على الاتقاء يجعل كل ما سوى الوجه فداءً<sup>(٣)</sup> للوجه لا جرمَ حسن جعل الاتقاء بالوجه كناية<sup>(٤)</sup> (عن العجز) عن الاتقاء ونظيره قول النابغة:

٤٢٩٧ - وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سُيُوفُهُمْ بِيَهِنٍ فُلُوقٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ<sup>(٥)</sup>

أي لا عيبَ فيهم إلا هذا، وهو<sup>(٦)</sup> ليس بعيب<sup>(٧)</sup> فلا عيبَ فيهم إذنٌ بوجهٍ من الوجوه فكذا ههنا لا يقدرُونَ على الاتقاء بوجه من الوجوه إلا بالوجه، وهذا ليس باتقاء، فلا قدرة لهم على الاتقاء البتة، وقيل: إنه يُلْقَى في النار مغلولة يده إلى عنقه، فلا يتهيأ له أن يتقي النار إلا بوجهه<sup>(٨)</sup>، وتقدم الكلام على الإعراب<sup>(٩)</sup>. و«سوء العذاب» أشده، وقال مجاهد<sup>(١٠)</sup>: يجر على وجهه في النار، وقال عطاء: يرمى به في النار منكوساً، فأول شيء يمس النار منه وجهه.

(١) بدل هذه الجملة في ب: «قاله ابن عمار» خطأ.

(٢) ما بين القوسين بياض من ب وتكملة من أ وفي الرازي وأثر السعادة والشقاوة لا يظهر إلا في الوجه.

(٣) في ب: وقاية. (٤) وفيها كفاية وما بين القوسين سقط من ب.

(٥) من الطويل له. والبيت من الشواهد البلاغية التي تسمى المدح بما يشبه الدم فلاستدراك والاستثناء

بغير ما هو إلا تكملة وتفضلة لمدحه الأول. والبيت في الهمع ٢٣٢/١ ومعاهد التنصيص ٣١/٢

والمغني ١١٤ وشرح شواهد ٣٤٩ والكامل ٣٤٦/١ والرازي ٢٦/٢٧٥.

(٦) كذا في الرازي وهنا وفي ب: «وهذا» بدل من «وهو».

(٧) في ب: بعجب غير مراد. (٨) في الرازي يوجه وانظر: الرازي ٢٦/٢٧٥.

(٩) في قوله السابق: «أفمن شرح الله صدره للإسلام».

(١٠) يجر من الجر على ما في كتب التفسير وفي ب يخر من خر له ساجداً.

قوله: «وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ» أي تقول الخزنة للظالمين: «ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ» أي وباله .

ولما بين كيفية عقاب القاسية قلوبهم في الآخرة وبين كيفية وقوعهم في العذاب قال: «كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» أي من قبل كفار مكة كذبوا الرسل «فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ» يعني وهم آمنون غافلون عن العذاب<sup>(١)</sup> أي من الجهة التي لا يخشون ولا يخطر ببالهم أن الشر يأتيهم منها، «فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» وهو الذل والصغار والهوان ثم قال «وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» يعني أن أولئك وإن نزل بهم العذاب والخزي في الدنيا فالعذاب المدخر لهم يوم القيامة أكبر وأعظم من ذلك الذي وقع بهم في الدنيا .

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾<sup>(٢٧)</sup> قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾

ولما ذكر الله تعالى هذه الفوائد الكثيرة في هذه المطالب بين أن هذه البيانات بلغت حد الكمال والتمام فقال: «وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» يتعظون، قالت المعتزلة: دلت الآية على أن أفعال الله تعالى وأحكامه معللة، ودلت أيضاً على أنه تعالى يريد الإيمان والمعرفة من الكل؛ لأن قوله: «وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ» مشعر بالتعليل، وقوله في آخر الآية: «لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» مشعر بالتعليل أيضاً ومشعر بأن المراد من ضرب هذه الأمثال حصول التذكرة والعلم<sup>(٢)</sup>.

قوله: «قُرْآنًا عَرَبِيًّا» فيه<sup>(٣)</sup> ثلاثة أوجه:

أحدها: (أن يكون منصوباً على المدح<sup>(٤)</sup>)؛ لأنه لما كان نكرة امتنع إتباعه للقرآن<sup>(٥)</sup>.

الثاني: أن ينتصب بـ «يتذكرون»<sup>(٦)</sup> أي يتذكرون قرآناً.

الثالث: أن ينتصب<sup>(٧)</sup> على الحال<sup>(٨)</sup> من «القرآن» على أنها حال مؤكدة وتسمى حالاً موطئة؛ لأن الحال في الحقيقة «عربياً»، و «قُرْآنًا» توطئة له، نحو: جاء زيد رجلاً

(١) انظر في هذا البغوي ٦/٧٤. (٢) الرازي ٢٦/٢٧٥.

(٣) أي عربياً. (٤) وهو قول الزمخشري في الكشاف ٣/٣٩٦.

(٥) قال بالتعليل السمين في الدر ٤/٦٤٨.

(٦) هو قول أبي البقاء في التبيان ١١١١ وما بين القوسين ساقط من ب.

(٧) في ب: ينصب.

(٨) التبيان والكشاف والدر السابقة وانظر أيضاً البيان ٢/٣٢٣ ومشكل الإعراب ٢/٢٥٩.

صالحاً، وقوله: «غَيْرُ ذِي عِوَجٍ» نعت «الْقُرْآنَا»، أو حال أُخْرَى<sup>(١)</sup>.

قال الزمخشري: فإن قلت: فهلا قيل مستقيماً أو غير مُعْوَجٍ؟ قلت: فيه فائدتان:

إحدهما: نفي أن يكون فيه عِوَجٌ قط كما قال: ﴿وَلَوْ يَجْعَلُ لَكُمْ عِوَجًا﴾<sup>(٢)</sup> [الكهف: ١].

والثانية: أن العِوَجَ يختص بالمعاني دون الأعيان وقيل: المراد بالعِوَجِ الشك

واللُبْسِ وأنشد:

٤٢٩٨ - وَقَدْ أَتَاكَ بِقِيْنٍ غَيْرُ ذِي عِوَجٍ مِّنَ الْإِلَهِ وَقَوْلٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ<sup>(٣)</sup>

## فصل

اعلم أنه تعالى وصف القرآن بصفات ثلاثة:

أولها: كونه قرآناً، والمراد كونه مثلاً في المحارِبِ إلى قيام الساعة.

وثانيها: كونه عربياً أي أنه أعجز الفصحاء والبلغاء عن معارضته كما قال: ﴿قُلْ لِّئِنِ

اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ [الإسراء: ٨٨].

وثالثها: كونه غير ذي عِوَجٍ، والمراد براءته من التناقض<sup>(٤)</sup>، قال ابن عباس: غير

مختلف، وقال مجاهد: غير ذي لبس وقال السدي: غير مخلوق، ويروى ذلك عن

مالك بن أنس، وحكى سفيان بن عيينة عن سبعين من التابعين أن القرآن ليس بخالقي ولا

مخلوق<sup>(٥)</sup>.

قوله: «لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ» الكفر والتكذيب به. وتمسك المعتزلة به في تعليل أحكام الله

تعالى، وقوله في الآية الأولى: «لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ»، وههنا: «لعلهم يتقون» لأن التذکر

يتقدم على الاتقاء والاحتراز. والله أعلم<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا» قال الكسائي: نصب «رجلاً» لأنه تفسير

للمَثَلِ<sup>(٧)</sup>(٨).

واعلم أنه تعالى لما شرح وعيد الكفار مثلاً بما يدل على فساد مذهبهم وقبح

طريقتهم، فقال: «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا».

(١) قاله شهاب الدين السمين في الدر ٦٤٩/٤. (٢) وانظر: الكشاف ٣/٣٩٦.

(٣) بيت من بحر البسيط تكلمة لما قاله الزمخشري في الكشاف ولم أعر على قائل معين. وجيء بالبيت

شاهداً أن العوج في المعنويات دون المحسوسات وهو هنا بمعنى الشك واللبس، وانظر: الكشاف ٣/

٣٩٦، وشرح شواهد ٤/٣٤١ والقرطبي ١٥/٢٥٢ والبحر ٧/٤٢٤ والدر المصون ٤/٦٤٩ وفتح

القدر ٤/٤٦١.

(٤) وانظر: الرازي ٢٦/٢٧٦. (٥) البغوي ٦/٧٤.

(٦) الرازي المرجع السابق. (٧) في ب: للميل. خطأ.

(٨) نقله عنه القرطبي في الجامع ١٥/٢٥٢.

قوله: «فِيهِ شُرَكَاءُ» يجوز أن يكون هذا جملة من مبتدأ وخبر في محل نصب صفة «لِرَجُلٍ»<sup>(١)</sup> ويجوز أن يكون الوصف الجار وحده، و «شُرَكَاءُ» فاعل به، وهو أولى لقربه من الْمُفْرَدِ<sup>(٢)</sup>، و «مُتَشَاكِسُونَ» صفة «لشُرَكَاءُ»، و التَّشَاكُسُ (التخالف)<sup>(٣)</sup>، وأصله سوء الخُلُقِ وَعُسْرُهُ، وهو سبب التخالف، والتشاجر، ويقال: التَّشَاكُسُ والتَّشَاخُسُ - بالحاء - موضع<sup>(٤)</sup> الكاف، وقد تقدم الكلام على نصب المثل وما بعده الواقعين بعد ضَرْبِ. وقال الكسائي: انتصب «رجلاً» على إسقاط الجار، أي لِرَجُلٍ أو في رَجُلٍ<sup>(٥)</sup>، و المُمْتَشَاكِسُونَ المختلفون العسرون<sup>(٦)</sup>، يقال: شَكَسَ يَشْكُسُ شَكُوساً وشَكُوساً إذا عسر، وهو رجل شَكِسَ أي عَسِرَ وشَاكَسَ إذا تَعَاَسَرَ قال الليث: التَّشَاكُسُ التضاد والاختلاف ويقال: الليل والنهار يَتَشَاكِسَانِ أي يتضادان إذا جاء أحدهما ذهب الآخر<sup>(٧)</sup>. وقوله «فيه» صلة «الشركاء» كما تقول اشتركوا فيه أي في رَقَبِهِ، قال<sup>(٨)</sup> شهاب الدين: وقال أبو البقاء كلاماً لا يشبه أن يصدر من مثله بل ولا أقل منه قال: «وَفِيهِ شُرَكَاءُ» الجملة صفة «لِرَجُلٍ» و «فيه» متعلق<sup>(٩)</sup> بِمُتَشَاكِسُونَ، وفيه دلالة على جواز تقديم خبر المبتدأ عليه انتهى أما هذا فلا أشك أنه سهو لأنه من حيث جعله جملة كيف يقول بعد ذلك: إن «فيه» يتعلق «بِمُتَشَاكِسُونَ». وقد يقال: أراد من حيث المعنى. وهو بعيد جداً، ثم قوله: «وفيه دلالة» إلى آخره يناقضه أيضاً وليست المسألة غريبة حتى يقول: «وفيه دلالة» وكأنه أراد وفيه دلالة على تقديم معمول الخبر على المبتدأ بناءً منه على أن «فيه» يتعلق بِمُتَشَاكِسُونَ، ولكنه فاسد، والفاسد لا يُرَامُ صَلَاحُهُ<sup>(١٠)</sup>.

(١) التبيان ١١١١ والدر ٦٤٩/٤.

(٢) أورد ابن الأنباري في هذه الجملة مذهبي البصريين والكوفيين فقال: ضرب الله مثلاً رجلاً تقديره ضرب الله مثلاً مثل رجل فحذف المضاف و «فيه شركاء متشاكسون» شركاء مرفوع بالظرف على المذهبين لأن الظرف وقع صفة لقوله «رجلاً». والكوفيون يقدرون المتعلق اسماً تقديره كائن أو مستقر، والبصريون يقدرونه فعلاً «استقر» وعلى ذلك فقول المؤلف بالرفع على القاعلية مندرج في رأي الكوفيين. انظر: البيان ٣٢٣/٢ والدر المصون ٦٤٩/٤.

(٣) ما بين القوسين سقط كله من «ب» بسبب انتقال النظر.

(٤) أخذ المؤلف هذا من كلام الزمخشري في الكشف قال: «والتشاكس والتشاخص الاختلاف تقول: تشاكست أحواله، وتشاخست أسنانه وهما وإن كانا مادتين مختلفتين إلا أن معانيهما واحد لكن يغلب التشاخص في الأشياء الحسية ذات الأجزاء المتنافرة» الكشف ٣٩٧/٣ واللسان: «ش خ س» ٢٢١١.

(٥) ذكره عنه أبو حيان في بحره ٤٢٤/٧.

(٦) في ب بدل العسرون: قال المفسرون. تحريف.

(٧) انظر هذا كله في اللسان «ش ك س» ٢٣٠٨ وانظر معنى التشاكس في غريب القرآن لابن قتيبة ٣٨٣ ومعاني الفراء ٤١٩/٢ وزاد المسير ١٧٩/٧ والمجاز ١٨٩/٢ وتفسير الرازي ٢٦/٢٧٧.

(٨) ما بين القوسين سقط من نسخة ب.

(٩) في الدر المصون لشهاب الدين ونسخة ب: تتعلق. وانظر: الدر المصون ٦٥٠/٤ والتبيان لأبي البقاء ١١١١.

(١٠) هذا كله رد صاحب الدر المصون وهو شهاب الدين السمين على أبي البقاء الذي تناقض كلامه.

قوله: «سَلَمًا لِرَجُلٍ» قرأ ابن كثير وأبو عمرو سَالِمًا بالألف وكسر اللام، والباقون سَلَمًا بفتح السين واللام<sup>(١)</sup>، وابن جبير بكسر السين وسكون اللام<sup>(٢)</sup>، (قال ابن<sup>(٣)</sup> الخطيب: ويقال أيضاً: بفتح السين وسكون اللام)، فالقراءة الأولى اسم فاعل من سلم له كذا فهو سالم. والقراءتان الأخيرتان سَلَمًا وسَلَمًا فهما مصدران وصف بهما على سبيل المبالغة أو على حذف مضاف، أو على وقوعهما موقع اسم الفاعل فيعود كالقراءة الأولى<sup>(٤)</sup>، وقرئ: «وَرَجُلٌ سَالِمٌ» برفعهما<sup>(٥)</sup> وفيه وجهان:

أحدهما: أن يكون مبتدأ والخبر محذوف تقديره وهناك رجلٌ سالمٌ لرجل<sup>(٦)</sup>، كذا قدره الزمخشري.

الثاني: أنه مبتدأ، و«سالم» خبره<sup>(٧)</sup>، وجاز الابتداء بالنكرة لأنه موضع تفصيل كقول امرئ القيس:

٤٢٩٩ - إِذَا مَا بَكَى مِنْ خَلْفِهَا انصَرَفْتُ لَهُ بِسِيقٍ وَشِيقٍ عِنْدَنَا لَمْ يُحَوِّلِ<sup>(٨)</sup>  
وقولهم: «النَّاسُ رَجُلَانِ رَجُلٌ أَكْرَمْتُ وَرَجُلٌ أَهَنْتُ».

قوله: «مَثَلًا» منصوب على التمييز المنقول من الفاعلية إذ الأصل: هل يستوي مِثْلُهُمَا، وأفرد التمييز لأنه مقتصر<sup>(٩)</sup> عليه أولاً في قوله: «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا»<sup>(١٠)</sup>. وقرئ «مَثَلَيْنِ»<sup>(١١)</sup> فطابق حَالِ الرجلين. وقال الزمخشري فيمن<sup>(١٢)</sup> قرأ مَثَلَيْنِ: إنَّ الضمير في «يَسْتَوِيَانِ» «للمثليين» لأن التقدير: مَثَلٌ رَجُلٍ وَمَثَلٌ رَجُلٍ، والمعنى هل يستويان فيما يرجع إلى الوصفية كما تقول: كَفَى بِهِمَا رَجُلَيْنِ<sup>(١٣)</sup>. قال أبو حيان: والظاهر أنه يَعُودُ<sup>(١٤)</sup>

(١) من القراءة المتواترة نقلها صاحب الإتحاف ٣٧٥، وصاحب السبعة ٥٦٢ والإمام القرطبي ٢٥٣/١٥ والكشاف ٣/٣٩٧.

(٢) الكشاف المرجع السابق والبحر المحيط ٧/٤٢٤ والقرطبي ٢٥٣/١٥.

(٣) ما بين القوسين سقط من ب وانظر: الرازي ٢٦/٢٧٧.

(٤) قاله الزمخشري في الكشاف ٣/٣٩٧، والسمين في الدر ٤/٦٥٠.

(٥) المرجعين السابقين وانظر أيضاً صاحب البحر ٧/٤٢٤، والرازي ٢٦/٢٧٧.

(٦) الكشاف ٣/٣٩٧ وذكره أيضاً صاحب الدر ٤/٦٥٠.

(٧) السابق وقال بهذا الرأي أبو حيان في البحر ٧/٤٢٥.

(٨) البيت من الطويل وهو من معلقته المشهورة وشاهده: «وشق عندنا لم يحول» حيث ابتداء بالنكرة لأن الموضوع موضع تفصيل. وهذا أحد المواضع التي يجوز فيها الابتداء بالنكرة. وقد تقدم.

(٩) في «ب» يقتصر.

(١٠) قاله الزمخشري في الكشاف ٣/٣٩٧ والسمين في الدر ٤/٦٥٠.

(١١) المرجعان السابقان ولم تعز لأحد فيهما.

(١٢) في ب: فمن.

(١٣) الكشاف المرجع السابق.

(١٤) في «ب»: يقول خطأ.

الضمير في «يستويان» على «رجلين»، وأما إذا جعلته عائداً إلى المثليين اللذين ذُكر أن التقدير: مثل رجل ومثل رجل، فإن التمييز يكون إذ ذاك قد فهم من المميز الذي هو الضمير إذ يصير التقدير: هل يستوي المثلان مثليين<sup>(١)</sup> في الوصفية<sup>(٢)</sup>، فالمثلان الأولان معهودان والثانيان جنسان مُبْهَمَانِ كما تقول: كَفَى بِهِمَا رَجُلَيْنِ، فإن الضمير في بهما عائذ على ما يراد بالرَجُلَيْنِ فلا فرق بين المسألتين فما كان جواباً عن: «كفى بهما رجلين» يكون جواباً له.

## فصل

تقدير الكلام: اضرب لقومك مثلاً وقل ما تقولون<sup>(٣)</sup> في رجلٍ مَمْلُوكٍ لشركاء بينهم اختلاف وتنازع فيه وكل واحد يدعي أنه عبده فهم يتجادبون في حوائجهم وهو متحير في أمره وكلما أرضى أحدهم غضب الباقيون، وإذا احتاج إليهم فكل واحد منهم يرده إلى الآخر فيبقى متحيراً لا يعرف أيهم أولى أن يطلب رضاه؟ وأيهم يُعِينُهُ في حاجاته؟ فهو بهذا السبب في عذاب دائم، وآخر له مخدوم واحد يخدمه على سبيل الإخلاص وذلك المخدوم يعينه في مهماته فأَيُّ هذا (من)<sup>(٤)</sup> العبيد أحسنُ حالاً؟ والمراد أن من أثبت<sup>(٥)</sup> آلهةً أخرى فإن الآلهة تكون متنازعة متغالبة كما قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهَا إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] وقال: ﴿وَلَمَّا بَقَضْتُمْ عَلَيَّ بَعْضَ﴾ [المؤمنون: ٩١] فيبقى ذلك المشرك متحيراً ضالاً لا يدري أَيُّ هؤلاء الآلهة يعبد؟ وعلى ربوبية أيهم يعتمد؟ ومن يطلب رزقه؟ فهمه مشاع<sup>(٦)</sup> وقلبه أوزاع أما من لم يُثبت إلا إلهاً واحداً فهو قائم بما كلفه عارف بما يرضيه ويسخطه فكان حال هذا أقرب إلى الصلاح من حال الأول، وهذا المثال في غاية الحسن في تقييح الشُّرك<sup>(٧)</sup> وتحسين التوحيد.

فإن قيل: هذا المثال لا ينطبق على عبادة<sup>(٨)</sup> الأصنام لأنها جمادات فليس بينها منازعة ولا تشاكس.

فالجواب: أن عبدة الأصنام مختلفون منهم من يقول: هذه الأصنام تماثيل

(١) البحر ٤٢٥/٧ مع اختلاف قليل في عباراته.

(٢) الواقع أن هذه الكلمات التي تبدأ «بفي الوصفية» من كلام السمين الذي بدأه بقوله قلت: وهذا لا يضر، إذ التقدير: هل يستوي المثلان مثليين في الوصفية. الخ. . . . وانظر الدر المصون ٤/٦٥٠.

(٣) في ب والرازي: يقولون بالياء.

(٤) زيادة من أ. وفي الرازي: فأَيُّ هذين العبيد.

(٥) في ب: أثبتته. وفي الرازي: من يثبت آلهة شتى.

(٦) كذا في النسختين وفي الرازي شفاع. (٧) في ب: المشرك.

(٨) في ب: في عبادة.

الكواكب السبعة وهم يشبتون بينها منازعة ومشاكسة، ألا ترى أنهم يقولون: زُحَل هو النحاس الأعظم، (والمشترى<sup>(١)</sup>): هو السعد الأعظم)، ومنهم من يقول: هذه الأصنام تماثيل الأرواح السماوية وحينئذ (يحصل)<sup>(٢)</sup> بين تلك الأرواح منازعة ومشاكسة وحينئذ يكون المثال مطابقاً، ومنهم من يقول: هذه الأصنام تماثيل الأشخاص من العلماء والزهاد (الذين)<sup>(٣)</sup> مَضَوْا فهم يعبدون هذه التماثيل ليصير أولئك الأشخاص من العلماء والزهاد شفعاء لهم عند الله. والقائلون بهذا القول يزعم<sup>(٤)</sup> كل طائفة منهم أن المحق هو ذلك الرجل الذي هو على دينه، وأن من سواه مبطل وعلى هذا التقدير أيضاً ينطبق المثال.

قوله: «قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ» يعني أنه لما أبطل القول بإثبات الشركاء والأنداد وثبت أنه لا إله إلا الواحد الأحد المحق ثبت أن الحمد له لا لغيره، ثم قال «بل أكثرهم لا يعلمون» أن الحمد له لا لغيره، وأن المستحق العبادة هو الله. وقيل: لا يعلمون ما يصيرون إليه، وقيل: المراد أنه لما سيقت عنده الدلائل الظاهرة قال: «الْحَمْدُ لِلَّهِ» على حصول هذه البيانات، وظهور هذه البيِّنات وإن كان (أكثر)<sup>(٥)</sup> الخلق لا يعرفونها. قال البغوي: والمراد بالأكثر الكل<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصُّمُونَ ﴿٣١﴾ ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالْحَقِّ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴿٣٧﴾﴾

قوله: «إِنَّكَ مَيِّتٌ» أي سَتَمُوتُ «وإنهم مَيِّتُونَ» أي سيموتون. قال الفراء<sup>(٧)</sup> والكسائي: المَيِّتُ - بالتشديد - من لم يَمُتْ وَسَيَمُوتُ والمَيِّتُ - بالتخفيف - مَنْ فَارَقَهُ<sup>(٨)</sup>

(١) سقط من ب. (٢) كذلك.

(٣) تكملة من الرازي عن النسختين.

(٤) في ب والرازي تزعم وانظر: الرازي ٢٦/٢٧٧، ٢٧٨.

(٥) سقط من ب. وهي في الرازي بصيغة: وإن كان أكثر الخلق لم يعرفوها ولم يقفوا عليها وانظر: الرازي ٢٦/٢٧٨.

(٦) البغوي في معالم التنزيل ٦/٧٥.

(٧) لم أجد نصه هذا أو رأيه في المعاني له بل وجدته في القرطبي ١٥/٢٥٤ والبغوي ٦/٧٥.

(٨) في ب: وفارق بدون عائد.

الروح ولذلك لم يخفف ههنا. والعامه على مَيّت ومَيّتون، وقراءة ابن مُحَيِّصِين وابن أبي عبلة واليماني: مَائِتٌ ومَائِتُونَ<sup>(١)</sup>، وهي صفة مشعرة بحدوثها دون مَيّت، وقد تقدم أنه لا خلاف بين القراء في تَفْقِيلِ مثل هذا.

### فصل

والمراد أن هؤلاء الأقوام وإن لم يلتفتوا إلى هذه الدلائل القاهرة لأجل الحسد فلا تبال<sup>(٢)</sup> يا محمد بهذا فإنك ستموت وهم أيضاً يموتون<sup>(٣)</sup> «ثُمَّ إِنَّكُمْ» تحشرون يوم القيامة وتختصمون عند الله تعالى والعاقل الحق<sup>(٤)</sup> يحكم بينكم فيوصل إلى كل أحد حقه وحيثئذ يتميز المحق من<sup>(٥)</sup> المبطل.

ثم إنه تعالى بين نوعاً آخر من قبائح أفعالهم وهم أنهم يكذبون ويضمون إليه أنهم يكذبون القائل المحق أما كذبيهم فبهم أثبتوا لله ولداً وشركاء، وأما تكذبيهم الصادق فلأنهم يكذبون (القائل<sup>(٦)</sup> المحق) محمداً - ﷺ - بعد قيام الدلائل القاطعة على كونه صادقاً في ادعاء النبوة، ثم أردفه بالوعيد فقال: «الَّذِينَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ» أي منزل ومقام<sup>(٧)</sup> للكافرين، وهذا استفهام بمعنى التقرير<sup>(٨)</sup>.

ولما ذكر (الله) من افتري على الله الكذب أو كذب بالحق ذكر مقابله وهو الذي جاء بالصدق وصدق به، وقوله: «وَالَّذِي جَاءَ بِالصُّدُقِ» لفظ مفرد، ومعنا جمع<sup>(٩)</sup> لأنه أريد به الجنس، وقيل: لأنه قصد به الجزاء وما كان كذلك كثر فيه وقوع: «الذي» موقع «الذين» ولذلك روعي معناه فجمع في قوله: «أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ» كما روعي معنى «مَنْ» في قوله: «لِّلْكَافِرِينَ» فإن «الكافرين» ظاهر واقع موقع المضمرة؛ إذ الأصل مَثْوًى لَهُمْ<sup>(١٠)</sup>، وقيل: بل الأصل: والذين جاء بالصدق فحذفت النون تخفيفاً كقوله: ﴿كَأَلَّذِي خَاضُوا﴾ [التوبة: ٦٩] وهذا وهم؛ إذ لو قصد ذلك لجاء بعده ضمير الجمع فكان يقال: وَالَّذِي جَاءُوا، كقوله: «كَأَلَّذِي خَاضُوا»<sup>(١١)</sup>. ويدل عليه أن نون التثنية إذا حذفت عاد الضمير مثنى كقوله:

(١) من الأربع فوق العشر المتواترة فقد ذكرها صاحب الإتحاف ٣٧٥ كما ذكرها من الشواذ ابن خالويه ١٣١.

(٢) في ب: فلا تقال. خطأ. (٣) في ب: سيموتون.

(٤) في ب: المحق. (٥) كذا في الرازي وفي ب الحق عن الباطل.

(٦) تكرير من ألسطر الأعلى. (٧) في ب: وقيام.

(٨) كقوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾.

(٩) قال أبو زكريا الفراء: «الذي غير مؤقت فكأنه في مذهب جماع في المعنى» الفراء في معانيه ٤١٩/٢.

وانظر: التبيان ١١١١ والبيان ٣٢٣/٢.

(١٠) هذا معنى كلام أبي حيان في البحر ٤٢٨/٧ وباللفظ من الدر المصون ٦٥١/٤.

(١١) أورد هاذ الرأي ورده أبو حيان والسمين كل في كتابه الأول في البحر ٤٢٨/٧، والثاني في الدر ٦٥١/٤.

٤٣٠٠ - أَبْنِي كُنَيْبٍ إِنَّ عَمِّي الذَّا قَتَلَا الْمُلُوكَ وَفَكَكَا الْأَغْلَالَ<sup>(١)</sup>  
وَلَجَاء<sup>(٢)</sup> كَقَوْلِهِ:

٤٣٠١ - [وَأَنَّ الذِّي حَانَتْ بِفَلَجٍ دِمَاؤُهُمْ هُمُ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدٍ<sup>(٣)</sup>

وقرأ عبد الله: «والذي جاءوا بالصدقِ وصدقوا به»<sup>(٤)</sup>. وقد تقدم تحقيق نظير هذه الآية في أوائل البقرة وغيرها، وقيل: «الذي» صفة لموصوف محذوف بمعنى<sup>(٥)</sup> الجمع تقديره والفريق أو الفوج، ولذلك قال: «أولئك هم الممتقون». وقيل: المراد بالذي واحد<sup>(٦)</sup> بعينه وهو محمد - ﷺ - ولكن لما كان المراد هو وأتباعه اعتبر ذلك فجمع فقال: «أولئك هم» كقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٩] قاله الزمخشري<sup>(٧)</sup>، وعبارته: هو رسول الله - ﷺ - أراد به إياه ومن تبعه كما أراد بموسى إياه وقومه<sup>(٨)</sup>، وناقشه أبو حيان في إيقاع الضمير المنفصل موقع المتصل، قال: وإصلاحه أن يقول: وأراد به كما أرادته بموسى وقومه<sup>(٩)</sup>، قال شهاب الدين: ولا مناقشة لأنه مع تقديم «به» و«موسى» لغرض من الأغراض استحال اتصال الضمير، وهذا كالبحت في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ آتَيْنَا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾<sup>(١٠)</sup> [النساء: ١٣١] وقوله:

(١) بيت من الكامل للأخطل يفتخر بقومه كعادة أهل الجاهلية والأغلال جمع غل وهو القيد يجعل في عنق الأسير، وشاهده: عود الضمير في «قتلا» و«فككا» على المثني المحذوف نونه تخفيفاً لاستطالة الموصول بالصلة وهذا بخلاف الآية فإن الموصول فيها مفرد وانظر: البحر المحيط ٤٢٨/٧ والدر المصون ٦٥٢/٤ والكتاب ١٨٦/١ والمقتضب ١٤٦/٤ وشرح المفصل ١٥٤/٣، ١٥٥ والخزانة ٦/٦ وتصريح ابن هشام ١٣٢/١ والحجة للفارسي ٩٣/١، ١١٢ والهمع ٤٩/١ والديوان ٣٨٧.

(٢) في ب: ونحا بدل «ولجاء».

(٣) من الطويل للأشهب بن ثور التميمي ويعزى أيضاً لإحريث بن مخفض، و«فلج» موضع في طريق البصرة إلى مكة و«حانت دماؤهم» هلكوا ولم تؤخذ لهم دية أو قصاص. وشاهده كسابقه حيث عاد الضمير الجمعي في دماؤهم على «الذي» وهو مفرد لفظاً لكنه حذف منه النون للرخفة وأن الأصل «الذين». وانظر البيت في مجمع البيان للطبرسي ١٠٩/٧ و١٣٣ والمقتضب ١٤٦/٤ والخزانة ٦/٢٥، ٣٤ والمحتسب ١٨٥/١ وشرح المفصل لابن يعيش ١٥٤/٣، ١٥٥ والمجاز ١٩٠/٢ والكتاب ١٨٧/١ والحجة لأبي علي ١١٢/١ والدر ٦٥٢/٤.

(٤) انظر: مختصر ابن خالويه ١٣٢ وفيه: «والذي جاء وصدقوا» بجمع في الثاني وإفراد في الأول.

(٥) في ب: يعني. وقد ذكر هذا الرأي الزمخشري في الكشاف ٣٩٨/٣ والسمين في الدر ٦٥٢/٤.

(٦) المرجعين السابقين أيضاً. (٧) المرجع السابق.

(٨) المرجع السابق. (٩) البحر المحيط له ٤٢٨/٧.

(١٠) وقد بحث هناك في تلك الآية انفصال الضمير وهو «إياكم» فلم يقل وصيناكم ولكنه أفرد وفصل الضمير لغرض بلاغي. فقوله «من قبلكم» و«إياكم» كقول الزمخشري: أراد به إياه ومن تبعه، كما أراد بموسى إياه وقومه. فلا معنى لتعقب أبي حيان الزمخشري إذن. وهذا يشبه قول الله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ بالفصل فلم يقل: نعبدك وذلك لغرض بلاغي وهو التقديم وأن الله له العبادة لا لغيره. وانظر الباب ٤١١/٢ ب.

﴿يُخْرِجُونَ الرُّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ [المتحنة: ١] وهو أن بعض الناس زعم أنه يجوز الانفصال مع القدرة على الاتصال. وتقدم الجواب بقريب مما ذكرنا ههنا، وتقدم بيان حكمة التقديم ثمة. وقول الزمخشري إن الضمير إن الضمير في: «لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ» لموسى وقومه فيه نظر بل الظاهر خصوص الضمير بقومه فإنه لأنهم هم المطلوب منهم الهداية، وأما موسى - عليه (الصلاة و) السلام - فمهتدٍ ثابتٌ على الهداية<sup>(١)</sup> وقال الزمخشري أيضاً: ويجوز أن يريد: والفوج أو الفريق الذي جاء بالصدق وصدق به وهم الرسول الذي جاء بالصدق وصحابته الذين صدقوا به<sup>(٢)</sup>. قال أبو حيان: وفيه توزيع للصلة، والفوج هو الموصول فهو كقولك: «جَاءَ الْفَرِيقُ الَّذِي شَرَفَ وَشَرَفَ» والأظهر عدم التوزيع بل المعطوف على الصلة صلة لمن له الصلة الأولى<sup>(٣)</sup>.

وقرأ أبو صالح<sup>(٤)</sup> وعكرمة بن سليمان<sup>(٥)</sup> ومحمد بن جحادة<sup>(٦)</sup> مخففاً<sup>(٧)</sup> بمعنى صدق فيه ولم يغيره بل أذاه من غير تحريف، وقُرِءَ: «وَصَدَّقَ بِهِ» مشدداً مبنياً للمفعول<sup>(٨)</sup>.

### فصل

المعنى فمن أظلم ممن كذب على الله فزعم أن له ولداً وشريكاً وكذب بالصدق بالقرآن، أو بمحمد إذ جاءه، ثم قال «وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ» قال ابن عباس: والذي جاء بالصدق رسول الله - ﷺ - وصدق به محمد - ﷺ - تلقاه بالقبول، وقال أبو العالية والكلبي: والذي جاء بالصدق: رسول الله - ﷺ - وصدق به: أبو بكر - رضي الله عنه - وقال قتادة: والذي جاء بالصدق رسول الله - ﷺ - وصدق به: هم المؤمنون لقوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الأنفال: ٤]. وقال عطاء والذي جاء بالصدق: الأنبياء وصدق به: الأتباع وحينئذ يكون «الَّذِي» بمعنى «الَّذِينَ» كقوله: «مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا

(١) هذا اعتراض أبي حيان وتلميذه شهاب الدين السمين على جار الله الزمخشري. وانظر: البحر المحيط ٤٢٨/٧ والدر المصون ٦٥٣/٤.

(٢) الكشاف ٣٩٨/٣.

(٣) البحر المحيط ٤٢٨/٧.

(٤) هو محمد بن عمير بن الربيع أبو صالح الهمداني الكوفي القاضي مقرئ عارف بحرف حمزة. توفي في حدود سنة ٣١٠ هـ. انظر: غاية النهاية لابن الجزري ٢٢٢/٢.

(٥) هو عكرمة بن سليمان بن كثير بن عامر أبو القاسم المكي كان إمام أهل مكة في القراءة بعد شبل وأصحابه بقي إلى قبيل الماتنين. انظر: طبقات القراء ٥١٥/١.

(٦) الأودبي الكوفي عن أنس وأبي حازم. وعنه ابن عون وشريك وآخرون مات سنة ١٣١ هـ. وانظر الخلاصة ٣٢٠.

(٧) وانظر هذه القراءة في الكشاف ٣٩٨/٣ والدر المصون ٦٥٣/٤.

(٨) السابقين. وانظر أيضاً المحتسب ٢٣٧/٢ وابن خالويه ١٣٢ وهي من الشواذ.

أَصَابَتْ مَا حَوَّلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ يَبُورِهِمْ ﴿ [البقرة: ١٧]. وقال الحسن: هم المؤمنون صدقوا به في الدنيا وجاءوا به في الآخرة<sup>(١)</sup>، «أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ. لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ». وهذا لا يفيد<sup>(٢)</sup> العبودية بمعنى الجهة والمكان بل بمعنى الإخلاص، كقوله: ﴿عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ﴾ [القمر: ٥٥].

ثم قال: «ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ» قالت المعتزلة: وهذا يدل على أن الأجر مستحق لهم على إحسانهم في العبادة.

قوله: «لِيُكَفِّرَ اللَّهُ» في تعلق الجار وجهان:

أحدهما: أنها متعلقة بمحذوف أي يَسَّرَ لَهُمْ ذَلِكَ لِيُكَفِّرَ.

والثاني: أن تتعلق بنفس الْمُحْسِنِينَ كأنه قيل: الذين أحسنوا لِيُكَفِّرَ أي لأجل التكفير<sup>(٣)</sup>.

قوله: «أَسْوَأَ الَّذِي» الظاهر أنه أفعل تفضيل، وبه قرأ العامة وقيل: ليست للتفضيل بل بمعنى سيء الذي عملوا كقولهم: «الْأَشْجُ وَالثَّاقِصُ أَعْدَلَا بَنِي مَرْوَانَ» أي عَادِلَاهُمْ<sup>(٤)</sup>. ويدل عليه قراءة ابن كثير - في رواية - : أسوَاءَ بِالْف بين الواو والهَمْزَة<sup>(٥)</sup> بزنة أعمال جمع سُوءٍ، وكذا قرأ في: «حَمَّ» السَّجْدَةِ<sup>(٦)</sup>.

## فصل

قوله: «لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ» يدل على حصول الثواب على أكمل الوجوه، وقوله تعالى: ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ يدل على سقوط العقاب عنهم على أكمل الوجوه<sup>(٧)</sup> ومعنى تكفيرها أي يسترها عليهم بالمغفرة ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا

(١) وانظر كل ما سبق من أقوال في: تفسيري الإمامين البغوي والخازن معالم التنزيل ولباب التأويل ٦/٧٦.

(٢) قاله الإمام الرازي ٢٦/٢٨٠.

(٣) قال بهذين الوجهين السمين في الدر ٤/٦٥٣ وأبو حيان في بحره ٧/٤٢٨.

(٤) السابقين أيضاً. والأشج هو عمر بن عبد العزيز وسمي كذلك لشجة من حافر دابة كانت في جهته والتاقص هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك وسمي كذلك لأنه نقص من رواتب الجند. والشاهد في «أعدلا» فإنه بمعنى العادلين ولم يقصد به التفضيل ولو قصد به التفضيل لكان موحداً. وانظر: شرح المفصل لابن يعيش ٣/٦.

(٥) ذكرها صاحب المختصر ١٣٢ والبحر المحيط ٧/٤٢٩ ولم ترو عنه في الكتب المتواترة، وانظرها في الكشاف بدون نسبة ٣/٣٩٨.

(٦) عند قوله تعالى: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٧] وانظر الدر المصون ٤/٦٥٤.

(٧) قاله الرازي في تفسيره ٢٦/٢٨١، ٢٨٠.

يعملون. وقال مقاتل: يجزيهم بالمحاسن من أعمالهم ولا يجزيهم بالمساويء<sup>(١)</sup>، قال ابن الخطيب: واعلم أن مقاتلاً كان شيخ المُرْجِئَة وهم الذين يقولون: لا يضُرُّ شيء من المعاصي مع الإيمان كما لا ينفع شيء من الطاعات مع الكفر. واحتج بهذه الآية فقال: إنها تدلُّ على أن من صدق الأنبياء والرسل فإنه تعالى يكفر عنهم أسوأ الذي عملوا ولا يجوز حمل هذا الأسوأ على الكفر السابق لأن ظاهر الآية أن التكليف<sup>(٢)</sup> إنما حصل في حال وصفهم بالتَّقْوَى<sup>(٣)</sup>، (وهو التقوى)<sup>(٤)</sup> من الشرك وإذا كان كذلك وجب أن يكون المراد منه الكبائر التي يأتي بها بعد الإيمان فتكون هذه الآية تَنْصِيصاً على أنه تعالى يكفر عنهم بعد إيمانهم (أسوأ)<sup>(٥)</sup> ما يأتون به وذلك هو الكبائر.

قوله: «أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ» العامة على توحيد «عبدته»، والأخوان<sup>(٦)</sup> عِبَادَةُ جمعاً، وهم الأنبياء وأتباعهم، وقرىء «بِكَافِي عِبَادِهِ»<sup>(٧)</sup> بالإضافة. وَيُكَافِي مضارع كافي عِبَادَةُ نُصِب على المفعول<sup>(٨)</sup> به.

ثم المفاعلة<sup>(٩)</sup> هنا تحتل أن تكون بمعنى «فَعَلَ» نحو: يُجَازِي بمعنى يَجْزِي وبني على لفظ المفاعلة لما تقدم من أن بناء المفاعلة يشعر بالمبالغة لأنه للمغالبة، ويحتمل أن يكون أصله يُكَافِيءُ بالهمز من المكافأة بمعنى يَجْزِيهِمْ فخففت الهمزة<sup>(١٠)</sup>، وهذا استفهام تقرير.

قوله: «وَيُخَوِّفُونَكَ» يجوز أن يكون حالاً؛ إذ المعنى أليس (الله) كَافِيكَ حال تخويفهم إياك بكذا كأنَّ المعنى أنه كافيهِ في كل حال حتى في هذه الحال، ويجوز أن تكون مستأنفة<sup>(١١)</sup>.

## فصل

من قرأ بكافٍ عبده يعني محمداً - ﷺ - ومن قرأ عباده<sup>(١٢)</sup> يعني الأنبياء عليهم (الصلاة و) السلام قَصَدَهُمْ قَوْمُهُمْ بالسوء كما قال تعالى: «وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ

(١) البغوي في معالم التنزيل ٧٦/٦. (٢) في الرازي: يدل على أن التكفير.

(٣) وفيه: بالتبري. (٤) تكملة من الرّازي.

(٥) سقط من أ وانظر: تفسير الإمام الفخر الرازي ٢٦/٢٨١.

(٦) قراءة متواترة سبعة ذكرت في الإتحاف ٣٧٥ والسبعة ٥٦٢ ومعاني الفراء ٢/٤١٩.

(٧) و (٨) قراءتان من الشواذ وذكرهما صاحب الكشاف ٣/٣٩٩ وصاحب البحر ٧/٤٢٩. وصاحب الدر

المصون ٤/٦٥٤ وفيه: بكافي عبده.

(٩) وهي المكافأة أو المكافأة بالهمز وغيره.

(١٠) قال بذلك الزمخشري في الكشاف ٣/٣٩٩ وانظر: البحر ٧/٤٢٩، والدر المصون ٤/٦٥٤.

(١١) أعربه السمين في الدر في المرجع السابق.

(١٢) وهي قراءة جعفر وحمزة والكنائي. قراءة سبعة كما أسلفت.

لِيَأْخُذُوهُ ﴿ [غافر: ٥] وكفاهم <sup>(١)</sup> اللَّهُ شَرَّ مِنْ عَادَاهُمْ. وقيل <sup>(٢)</sup>: المراد أن الله تعالى كفى نوحاً - عليه (الصلاة و) السلام - وإبراهيم النار ويونس ما دفع إليه فهو سبحانه وتعالى كافيك يا محمد كما كفى هؤلاء الرسل قبلك.

وقوله تعالى: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ وذلك أن قريشاً خوفوا النبي - ﷺ - مُعَادَاةً <sup>(٣)</sup> الأوثان وقالوا: لَتَكْفُرَنَّ عَنْ شَتْمِ آلِهَتِنَا أَوْ لِيُصِيبَنَّكَ مِنْهُمْ حَبْلٌ أَوْ جُنُودٌ، فأنزل الله هذه الآية <sup>(٤)</sup>.

ولما شرح الوعد والوعيد والترغيب والترهيب ختم الكلام بخاتمة هي المفصل الحق فقال: «وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ» أي هذه الدلائل والبيئات لا تنفع إلا إذا خص الله العبد بالهداية والتوفيق، ثم قال: «أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ». وهذا تهديد للكفار <sup>(٥)</sup>.

### فصل

احتج أهل السنة بهذه الآية على مسألة خلق الأعمال لأن قوله: «وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ» صريح في ذلك، وتمسك المعتزلة بقوله أليس الله بعزيز ذي انتقام ولو كان الخالق للكفر فيهم هو الله تعالى لكان الانتقام والتهديد غير لائق. والله أعلم <sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرُّوهُ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُتَمَكِّنَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾... الآية . لما بين وعيد المشركين ووعد الموحدین عاد إلى إقامة الدليل على تزييف طريق عبدة الأوثان وهذا التزييف مبني على أصليين:

**الأصل الأول:** أن هؤلاء المشركين مقرون بوجود الإله القادر العالم الحكيم وهو المراد من قوله: «وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ». قال بعض العلماء العلم بوجود الإله القادر الحكيم الرحيم علم متفق عليه بين جمهور الخلائق لا نزاع بينهم فيه وفطرة العقل شاهدة بصحة هذا العلم فإن من تأمل في <sup>(٧)</sup> عجائب بدن

(١) في البغوي فكفاهم بالفاء. (٢) نقله الرازي في التفسير الكبير ٢٦ / ٢٨١.

(٣) في البغوي معرّة معاداة. (٤) الرازي والبغوي السابقين.

(٥) قاله الرازي في المرجع السابق. (٦) نقله الرازي في المرجع السابق.

(٧) في الرازي: فإن من تأمل في عجائب أحوال السموات والأرض وفي عجائب أحوال النبات والحيوان خاصة وفي عجائب بدون الخ...

الإنسان وما فيه من أنواع الحكم الغريبة والمصالح العجيبة علم أنه لا بد من الاعتراف بالإله القادر الحكيم الرحيم.

والأصل الثاني: أن هذه الأصنام لا قدرة لها على الخير والشر وهو المراد من قوله: «قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ» فثبت أنه لا بد من الإقرار بوجود (الله) الإله القادر الحكيم الرحيم، وثبت أن هذه الأصنام لا قدرة لها على الخير والشر وإذا كان الأمر كذلك كانت عبادة الله كافيةً والاعتماد عليه كافياً وهو المراد من قوله: «قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ»<sup>(١)</sup>.

قوله: «أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ» هي<sup>(٢)</sup> المتعدية لاثنتين أولهما: «ما تدعون»، وثانيهما: الجملة الاستفهامية<sup>(٣)</sup> والعائد على المفعول منها قوله «هُنَّ». وإنما أتته تحقيراً لما يدعون من دونه ولأنهم كانوا يسمونها بأسماء الإناث اللات ومناة والعزى<sup>(٤)</sup>، وتقدم تحقيق هذا.

قوله: «هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ» قرأ أبو عمرو كاشفات وممسكات - بالتثنية - ونصب «ضُرُّهُ وَرَحْمَتُهُ» وهو الأصل في اسم الفاعل<sup>(٥)</sup>. والباقون بالإضافة. وهو تخفيف<sup>(٦)</sup>.

## فصل

قال مقاتل: لما نزلت هذه الآية سألهم النبي - ﷺ - عن ذلك فسكتوا فقال الله لرسوله - ﷺ -: «قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ يُقْتَى بِاللَّهِ وَاعْتِمَادِي «عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ» يثق الوثاقون»<sup>(٧)</sup>.

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا قَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٣٩)</sup>  
مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾<sup>(٤٠)</sup>

قوله: «قُلْ يَا قَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ» وهذا أمر تهديد أي أنكم تعتقدون في أنفسكم أنكم في نهاية القوة والشدة فاجتهدوا في أنواع مكرم وكيدكم فإني عامل في

(١) انظر: الرازي ٢٨٢/٢٦. (٢) يقصد: «رأى».

(٣) وهي: «هل هنَّ كاشفات ضُرُّهُ».

(٤) قال بذلك أبو حيان في البحر ٤٢٩/٧ والسمين في الدرر ٦٥٤/٤.

(٥) ومعروف أن اسم الفاعل يعمل عمل فعله إذا كان بمعنى الحال والاستقبال بشرط كونه منوناً وإذا أضيف كما في القراءة هنا فيحذف التنوين وهو منوي مراد. وإن كانت إضافته إلى معرفة فإضافته في تلك الحال لفظية القصد منها التخفيف. وانظر شرح الأشموني ٢/٢٩٣، ٢٩٤ وابن يعيش ١١٩/٢ (بتصرف منهما).

(٦) السبعة ٥٦٢، والنشر ٣٦٣/٢ وإبراز المعاني ٦٦٩.

(٧) البغوي ٧٧/٦.

تقرير ديني فسوف تعلمون أن العذاب والخزى يصيبني أو يصيبكم<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَكَيْتَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِ وَمَا أَنْتَ بِمُكَيِّلٍ﴾ (٤١)

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ الآية . . اعلم أن النبي - ﷺ - كان يعظم عليه إصرارهم على الكفر كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ﴾ [الكهف: ٦] وقال: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ [فاطر: ٨] وقال: ﴿لَمَّا بَلَغَ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣] فلما بين الله تعالى في هذه الآيات فساد مذاهب المشركين تارة بالدلائل البيّنات وتارة بضرب الأمثال وتارة بذكر الوعد والوعيد أردفه بكلام يزيل ذلك الخوف العظيم عن قلب الرسول - ﷺ - فقال: إنا أنزلنا إليك الكتاب الكامل الشريف لنفع الناس وهداهم وجعلنا إنزاله مقروناً بالحق وهو المعجز الذي يدل على أنه من عند الله فمن اهتدى ففعله يعود إليه ومن ضل فضير ضلاله يعود إليه «وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِرُكِيْلٍ»<sup>(٢)</sup> أي لست مأموراً بأن تحملهم على الإيمان على سبيل القهر بل القبول، وعدم القبول مفوض إليهم وذلك تسلياً للرسول - عليه (الصلاة و) السلام - ثم بين تعالى أن الهداية لا تحصل إلا بتوفيق الله تعالى، وكما أن الموت والنوم لا يحصلان إلا بتخليق الله تعالى، كذلك الضلال لا يحصل إلا بأمر الله تعالى، ومن عرف هذه الدقيقة فقد عرف سرّ الله في القدر ومن عرف سرّ الله تعالى في القدر هانت عليه المصائب فيصير التنبيه على هذه الدقيقة سبباً لزوال ذلك الحزن عن قلب الرسول - ﷺ - فهذا وجه النظم، وفيه وجه آخر وهو أن الله تعالى ذكر حجة أخرى في إثبات أنه إله عالم ليدل على أنه بالعبادة أحقّ من هذه الأصنام<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمِمْسَكٍ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأَخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٤٢) ﴿أَمْ أَخَذْنَا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلُوبِ الْأُولَىٰ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ (٤٣) ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٤٤) ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (٤٥)

قوله: «اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا» أي الأرواح حين موتها فيقبضها عند انقضاء أجلها، وقوله: «حِينَ مَوْتِهَا» يريد موت أجسادها «وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ» يريد يتوفى الأنفس

(٢) الرازي السابق.

(١) الرازي ٢٨٣/٢٩.

(٣) وانظر ما مضى في تفسير الرازي ٢٨٤/٢٦.

التي لم تمت في منامها فالتى تتوفى عند النوم هي النفس التي بها العقل والتمييز ولكل إنسان نَفْسَانِ إحداهما نفس الحياة وهي التي تفارقه عند الموت وتزول بزوالها النفس والأخرى هي النفس التي تفارقه إذا نام وهو بعد النوم يتنفس «فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ» فلا يردها إلى الجسد «وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى» أي يردها إلى الجسد وهي التي لم يقض عليها الموت «إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى» وهو وقت موته<sup>(١)</sup>.

قوله: «وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ» عطف على «الْأَنْفُسَ» أي يتوفى الأنفس حين تموت ويتوفى أيضاً الأنفس التي لم تمت في منامها ف «في منامها» ظرف «لَيَتَوَفَّى»<sup>(٢)</sup>. وقرأ الأخوان: «قَضَى» مبنياً للمفعول الْمَوْتُ رفعا لقيامه مقام الفاعل<sup>(٣)</sup>.

### فصل

قيل: إنَّ للإنسان نَفْساً وروحاً، فعند النوم يخرج النَّفْسُ وتبقى الروح، وعن علي قال: تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعه في الجسد، فبذلك يرى الرؤيا فإذا انتبه من النوم عاد الروح إلى جسده بأسرع من لحظة ويقال: إن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام فتتعارف ما شاء الله فإذا أرادت الرجوع إلى أجسادها أمسك الله أرواح الأموات عنده وأرسل أرواح الأجساد حتى ترجع إلى أجسادها إلى انقضاء مدة حياتها «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» للدلالات على قدرته حيث لم يغلط في إمساك ما يمسك من الأرواح وإرسال ما يرسل منها.

وقال مقاتل: لعلامات لقوم يتفكرون في أمر البعث يعني أن توفي نفس النائم وإرسالها بعد التوفي دليل على البعث<sup>(٤)</sup>.

فإن قيل: قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ﴾ يدل على أن المتوفي هو الله تعالى فقط، ويؤكد قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ [الملك: ٢] وقوله: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨] وقال في آية أخرى: ﴿قُلْ بَنَوْنَكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ﴾ [السجدة: ١١] (وقال في<sup>(٥)</sup> آية ثالثة: ﴿إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ﴾ تَوَفَّتْهُ رُسُلَنَا﴾ [الأنعام: ٦١] فكيف الجمع؟

فالجواب: أن المتوفي في الحقيقة هو الله تعالى إلا أنه تعالى فوض كل نوع إلى ملك من الملائكة ففوض قبض الأرواح إلى ملك الموت وهو الرئيس وتحتة أتباع وحَدَم

(١) معالم التنزيل للبخاري ولباب التاويل للخازن ٧٧/٦، وانظر أيضاً تفسير الرازي السابق.

(٢) نقل هذا الإعراب شهاب الدين السمين في الدر ٦٥٤/٤.

(٣) من القراءات المتواترة وانظر السبعة ٥٦٢ والنشر ٣٦٣/٢ وإبراز المعاني ٦٦٩ وزاد المسير ٧/١٨٥.

(٤) وانظر كل ما مضى في تفسير البغوي والخازن معالم التنزيل ولباب التاويل ٧٨/٦.

(٥) ما بين القوسين زيادة من الرازي.

فأضيف التوفّي في آية إلى الله تعالى وهي الإضافة الحقيقية، وفي آية إلى ملك الموت لأن الرئيس في هذا العمل وفي آية إلى أتباعه والله أعلم<sup>(١)</sup>.

قوله: «أَمْ اتَّخَذُوا» أم منقطعة فتقدر بيل والهمزة<sup>(٢)</sup>.

واعلم أن الكفار أوردوا على هذا الكلام سؤالاً قالوا: نحن لا نعبد هذه الأصنام لاعتقاد أنها تضر وتنفع وإنما نعبدها لأجل أنها تماثيل لأشخاص كانوا عنده من المقربين فنحن نعبدها لأجل أن يصير أولئك الأكابر شفعاء فأجاب الله تعالى بأن قال «أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءً»<sup>(٣)</sup>.

قوله: «قُلْ أَوْلَوْ كَانُوا» تقدم الكلام على نحو «أَوْلَوْ» وكيف هذا التركيب<sup>(٤)</sup>، والمعنى قُلْ يَا مُحَمَّدُ أَوْ لَوْ كَانُوا أَي وَإِنْ كَانُوا يَعْنِي الْآلِهَةَ «لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا» من الشفاعة «وَلَا يَغْفِلُونَ» أنكم تعبدونهم، وجواب هذا محذوف تقديره وإن كانوا بهذه الصفة تتخذونهم<sup>(٥)</sup>.

قوله: «قُلْ لِلَّهِ الشُّفَاعَةُ جَمِيعًا» قال مجاهد: لا يشفع أحدٌ إلا بإذنه «لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ».

قوله: «وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَخِدَهُ اشْمَأَزَّتْ» نفرت، قال ابن عباس ومجاهد ومقاتل: أي انقبضت عن التوحيد وقال قتادة استكبرت، وأصل الاشتزاز الثفور والاشتكبار<sup>(٦)</sup> «قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ» وهذا نوع آخر من أعمال المشركين القبيحة «وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ» يعني الأصنام «إِذَا هُمْ يَسْتَنْشِرُونَ» يعني يفرحون. قال مجاهد ومقاتل: وذلك حين قرأ النبي - ﷺ - سورة والنجم فألقى الشيطان في أمنيته تلك الغرائق<sup>(٧)</sup> العلاء ففرح به الكفار.

قوله: «وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ» قال الزمخشري: فإن قلت: ما العامل في: «إِذَا ذُكِرَ»؟

(١) وانظر هذا مع تغيير طفيف في الرازي ٢٦/٢٨٥.

(٢) قاله الزمخشري في الكشاف ٣/٤٠٠ والسمين في الدر ٤/٦٥٤.

(٣) الرازي السابق.

(٤) لعل المؤلف يقصد: «أفمن شرح الله، وأفمن يتقي» مما تدخل عليه همزة الاستفهام من الواو وقد سبق رأي الجمهور بما فيهم سبويه ورأي الزمخشري.

(٥) قاله الإمام البغوي في معالم التنزيل ٦/٧٨.

(٦) قاله الزجاج في معاني القرآن وإعرابه: ٤/٣٥٦ وانظر أيضاً مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/١٩٠ ولسان العرب لابن منظور «ش م ز» ٢٣٢٤.

(٧) هي الأصنام وهي في الأصل الذكور من طير الماء وواحد غرنوق وغريق سمي به لياضه وقيل: هي الكركي ويجوز أن تكون جمع الغرائق وهو الحسن، وانظر تفاصيل أخرى لها في اللسان «غ ر ن ق»

قلت: العامل فيه «إذا» الفجائية<sup>(١)</sup> تقديره وقت ذكّر الَّذِينَ من دونه فَاجَأُوا وَقَتَّ الاستبشار<sup>(٢)</sup>.

قال أبو حيان: أما قول الزمخشري فلا أعلمه من قول من ينتمي إلى النحو وهو أن الطرفين مَعْمُولَان<sup>(٣)</sup> «لِفَجَأُوا» ثُمَّ «إِذَا» الأولى تنصب على الظرفية والثانية على المفعولية<sup>(٤)</sup>. وقال الحوفي: «إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ» «إِذَا» مضافة إلى الابتداء والخبر، و«إِذَا» مكررة للتوكيد، وحذف ما يضاف إليه، والتقدير: إِذَا كَانَ ذَلِكَ هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ، فيكون (هم يستبشرون) هو العامل في «إِذَا» المعنى: إِذَا كَانَ كَذَلِكَ اسْتَبْشَرُوا<sup>(٥)</sup>.

قال أبو حيان: هذا يبعد<sup>(٦)</sup> جداً عن الصواب إِذَا<sup>(٧)</sup> جعل «إِذَا» مضافة إلى الابتداء والخبر، ثم قال و«إِذَا» مكررة للتوكيد وحذف ما يضاف<sup>(٨)</sup> إليه إلى آخر كلامه. (فإذا كانت<sup>(٩)</sup> إِذَا حذف ما يضاف إليه) فكيف تكون مضافة إلى الابتداء والخبر الذي هو «هم يستبشرون»! وهذا كله يوجب عدم الإتيان لعلم النحو والتحقق<sup>(١٠)</sup> فيه، انتهى<sup>(١١)</sup>.

قال شهاب الدين: وفي هذه العبارة تحامل على أهل العلم المرجوع إليهم فيه<sup>(١٢)</sup>. واختار أبو حيان أن يكون العامل في «إِذَا» الشرطية الفعل بعدها لا جوابها وأنها ليست مضافة لما بعدها سواء كانت زماناً أم مكاناً أم إذا قيل: إنها حرف فلا يحتاج إلى عامل. وهي رابطة لجملة الجزاء بالشرط كالفاء<sup>(١٣)</sup>.

والاشمئزازُ النفور والتقبُّض<sup>(١٤)</sup>، وقال أبو زيد: هو الذعر<sup>(١٥)</sup>، اشمأزُ فلانٌ أي ذعر ووزنه افعللٌ كاشعرٌ، قال الشاعر:

(١) في الكشف: العامل في إذا المفاجأة. (٢) نقله الكشاف ٤٠١/٣.

(٣) في البحر: معمولان لعامل واحد ثم إذا الأولى....

(٤) وفيه: على المفعول به. وانظر بحر أبي حيان ٤٣١/٧.

(٥) المرجع السابق وانظر كذلك الدر المصون لشهاب الدين السمين ٦٥٥/٤.

(٦) في البحر: فيبعد جداً.

(٧) نقله المؤلف عن السمين ففي السمين «إِذَا» المستقبلية وفي البحر «إِذَا» التعليلية الماضية.

(٨) في البحر: تضاف بالتاء.

(٩) ما بين القوسين زيادة توضيحية من السمين في «الدر» عن البحر المحيط. انظر الدر ٦٥٥/٤.

(١٠) في البحر: والتحدث من الحديث لا من الحذق وما أثبتته المؤلف هو ما أثبتته صاحب الدر المصون السابق.

(١١) البحر ٤٣١/٧، ٤٣٢.

(١٢) الدر المصون ٦٥٥/٤ وذلك أنه كعادته قد تعقب الزمخشري ومن بعده الحوفي ونسب إليهم عدم التحري والدقة في النحو.

(١٣) انظر البحر المحيط ٤٣٢/٧.

(١٤) انظر: المراجع السابقة. (١٥) قاله في اللسان «شمز» ٢٣٢٤.

٤٣٠٢ - إِذَا عَضُّ الثَّقَافُ بِهَا اشْمَأَزَّتْ وَوَلَّتْهُ عَشْوَزْنَةٌ زُبُونًا<sup>(١)</sup>

قال الزمخشري: ولقد تقابل الاستبشار والاشمئزاز إذ كل واحد منهما في بابه لأن الاستبشار أن يمتلىء قلبه سروراً حتى يظهر ذلك السرور في أسيمة<sup>(٢)</sup> وجهه ويتهلل، والاشمئزاز أن يعظم (غمه)<sup>(٣)</sup> وغيظه فينقبض الروح إلى داخل القلب فيبقى في أديم الوجه أثر الغبرة والظلمة الأرضية<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (٤٦) ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَاقْتَدُوا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَأَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ (٤٧) ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتِ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ (٤٨) ﴿إِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْتَهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٤٩) ﴿قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَعْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٥٠) ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتِ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هُنَالِكَ سَيَصِيبُهُمْ سَيِّئَاتِ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ (٥١) ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٥٢)

ولما حكى هذا الأمر العجيب الذي تشهد فطرة العقل بفساده أردفه بذكر الدعاء العظيم فقال: «قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ» روى أبو سلمة قال سألت عائشة بم كان يفتح رسول الله ﷺ - صلواته بالليل؟ قالت: كان يقول: «اللَّهُمَّ رَبِّ جِبْرِيلَ وَميكائيلَ وإسرافيلَ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ»<sup>(٥)</sup> اختلف فيه الحق بإذتك إنك تهدي من تشاء إلى صراطٍ مستقيم.

(١) البيت جاهلي اللفظ فهو لعمرو بن كلثوم من معلقته وهو من الوافر والثقف: ما تقوم به الرماح واشمأزت أي نفرت وهو محل الشاهد هنا حيث إن الاشمئزاز بمعنى النفور والتقبض، وعشوزنة صلبة وزبون تدفع وتضرب برجلها والزبون وصف للعشوزنة يقول: إن رماح قومه قوية تدفع الأعداء فلا يتألون منهم. وانظر: السبع الطوال لابن الأنباري ٤٠٤ والقرطبي ٢٦٤/١٥ بلفظ «وولتكم». وانظر شرح معلقة عمرو هذه لابن كيسان ٨٥ واللسان «ثقف» ٤٩٢ والبحر ٤٢٦/٧ والدر ٦٥٥/٤.

(٢) في الكشف: بشرة وجهه.

(٣) تكملة من الكشف فهي بياض من النسخ.

(٤) بالمعنى من الكشف ٣/٤٠١ وبالفظة من الفخر الرازي الذي نقل عنه رأيه هذا معنى ٢٦/٢٨٦.

(٥) الأصح: لما اختلف أي للذي اختلف وانظر معالم التنزيل للبغوي ٦/٧٨ وتفسير الرازي ٢٦/٢٨٦.

ولمَّا حكى عنهم هذا المذهب الباطل ذكر في وعيدهم أشياء:  
أولها: أن هؤلاء الكفار لو ملكوا كل ما في الأرض من الأمور<sup>(١)</sup> وملكوا مثله معه  
جعلوا الكل فِدْيَةً لأنفسهم من العذاب الشديد.

وثانيها: قوله: «وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ» أي ظهرت لهم أنواع من  
العذاب<sup>(٢)</sup> لم يكن في حسابهم، وهذا كقوله - عليه (الصلاة و) السلام - في صفة الثواب  
في الجنة: «فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ» فكذلك حصل  
في العقاب مثله وهو قوله: «وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ»<sup>(٣)</sup> وقال مقاتل:  
ظهر لهم حين بعثوا ما لم يحتسبوا في الدنيا أنه نازل بهم في الآخرة. وقال السدي: ظنوا  
أن أعمالهم حسنة فبدت لهم سيئات والمعنى أنهم كانوا يتقربون إلى الله بعبادة الأصنام  
فلما عوقبوا عليها بدا لهم من الله ما لم يحتسبوا.

وثالثها: قوله تعالى: «وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا كَسَبُوا» أي مساوية أعمالهم من الشرك  
وظلم أولياء الله<sup>(٤)</sup> «وَحَاقَ بِهِمْ» أي أحاط بهم من جميع الجوانب «مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ»  
فتبه تعالى بهذه الوجوه على عظم عقابهم<sup>(٥)</sup>.

قوله: «سَيِّئَاتٍ مَا كَسَبُوا» يجوز أن يكون «ما» مصدرية أي سيئات كسبهم أو بمعنى  
الذي أي سيئات أعمالهم التي اكتسبها<sup>(٦)</sup>.

قوله: «فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضَرْبٌ دَعَانًا...» الآية. وهذه حكاية طريقة أخرى من  
طرائقهم الفاسدة وهي أنهم عند الوقوع في الضر الذي هو القفر والمَرَضُ يفرعون إلى الله  
تعالى ويرون أن دفع ذلك البلاء لا يكون إلا منه، ثم إنه تعالى إذا حَوَّلَهُ أعطاه نعمة  
يقول: إنما أوتيته على علم أي علم من الله أنني أهل له.

وقيل: إن كان ذلك سعادة<sup>(٧)</sup> في الحال أو عافية في النفس يقول إنما حصل له ذلك  
بجده واجتهاده، وإن كان مالا يقول: إنما أوتيته بكسبي وإن كان صحة قال: إنما حصل  
بسبب العلاج الفلاني، وهذا تناقض عظيم، لأنه لما كان عاجزاً محتاجاً أضاف الكل إلى الله  
وفي حال السلامة والصحة قطعه من الله وأسنده إلى كسب نفسه وهذا تناقض قبيح<sup>(٨)</sup>.

(١) في الرازي: من الأموال. (٢) وفيه: العقاب.

(٣) انظر الرازي ٢٦/٢٨٧.

(٤) نقله البغوي والخازن في تفسيريهما اللباب ومعالم التنزيل.

(٥) الرازي السابق. والحق ما حاق بالإنسان من مكر أو سوء عمل يعمله فينزل ذلك به. اللسان: «ح ي

ق» ١٠٧٢ ومجاز القرآن ٢/١٩٠.

(٦) هو معنى كلام الزمخشري في الكشاف ٣/٤٠١ قال أي سيئات أعمالهم التي كسبها أو سيئات كسبهم  
حين تعرض صحائفهم. وانظر: الدر المصون ٤/٦٥٦.

(٧) في الرازي سعة.

(٨) مع تصرف من المؤلف في عبارة الرازي ٢٦/٢٨٧، ٢٨٨. والتخويل مختص بالفضل يقال: خولني =

قوله: «إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ» يجوز أن تكون (ما) مهية زائدة على نحو: إنما قام زيداً، وأن تكون موصولة، والضمير عائد عليها من: «أوتيته» أي إن الذي أوتيته على علم مني، أو على علم من الله في أي<sup>(١)</sup> أستحق ذلك.

قوله: «بَلْ هِيَ» الضمير للنعمة ذكرها أولاً في قوله: «إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ» لأنها بمعنى الإنعام، وقيل: تقديره «شيئاً». وأنت هنا اعتباراً بلفظها، وقيل: بل الحالة أو الإتيانة<sup>(٢)</sup>، وإنما عظمت هذه الجملة وهي قوله: «فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ» بالفاء والتي في أول السورة بالواو لأن هذه مسببة عن قوله: «وَإِذَا ذُكِرَ» أي يشتمزون من ذكر الله ويستبشرون بذكر آلهتهم فإذا مس أحدهم بخلاف الأولى حيث لا تسبب فيها، فجيء بالواو التي لمطلق العطف وعلى هذا فما بين السبب والمسبب جمل اعتراضية. قال معناه الزمخشري<sup>(٣)</sup>. واستبعده أبو حيان من حيث إن أبا علي يمنع الاعتراض بجملتين فكيف بهذه الجمل الكثيرة؟<sup>(٤)</sup>.

ثم قال: «والذي يظهر في الربط أنه لما قال: «وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا...» الآية كان ذلك إشعاراً بما ينال الظالمين من شدة العذاب وأنه يظهر لهم القيامة من العذاب<sup>(٥)</sup> أتبع ذلك بما يدل على ظلمه وبغيه إذ كان إذا مسه ضرر دعا الله فإذا أحسن إليه لم ينسب ذلك إليه<sup>(٦)</sup>. وقال ابن الخطيب: إن السبب في عطف هذه الآية بالفاء أنه تعالى حكى عنهم قبل هذه الآية أنهم يَشْتَمِرُونَ من سماع التوحيد، ويستبشرون بسماع ذكر الشركاء، ثم ذكر «بفاء» التعقيب أنهم إذا وَقَعُوا<sup>(٧)</sup> في الضرر والبلاء التَجَأُوا<sup>(٨)</sup> إلى الله وحده، فكان الفعل الأول مناقضاً للفعل الثاني، فذكر بفاء التَّعْقِيبِ ليدل به على أنهم واقعون في المناقضة الصريحة في الحال وأنه ليس بين الأول والثاني فاصل<sup>(٩)</sup> مع أن كل واحد منهما مناقض للثاني، فهذا فائدة ذكر فاء التعقيب ههنا وأما الآية الأولى فليس المقصود منها بيان وقوعهم في التناقض في الحال فلا جرم ذكره تعالى بحرف الواو لا بحرف الفاء<sup>(١٠)</sup>.

= إذا أعطاك على غير جزاء الكشاف ٤٠١/٣، ٤٠٢ ومعاني القرآن وإعرابه ٣٥٧/٤.

(١) في الدر المصون: في أي أستحق ذلك. وهذان الوجهان قال بهما الزمخشري في الكشاف ٤٠٢/٣ والسمين في الدر ٦٥٦/٤. واختار أبو حيان الوجه الأول قال: «والظاهر أن (ما) في أنها كافة مهية لدخول أن على الجملة الفعلية البحر ٤٣٣/٧.

(٢) اسم مرة من غير ثلاثي وانظر هذه الأقوال في المراجع السوابق.

(٣) في الكشاف المرجع السابق وذكره أبو حيان وعقب عليه كما سيأتي كما ذكره صاحب الدر المصون ٦٥٦/٤ وهو ما ذكره المؤلف أعلى.

(٤) قال أبو حيان معقباً على هذا العطف وهو ملتقط أكثره من كلام الزمخشري وهو متكلف.

(٥) في البحر بعده «ما لم يكن في حسابهم».

(٦) البحر المحيط ٤٣٣/٧. (٧) في الرازي: وقعوا في الضر بدل الضرر.

(٨) وفيه: والتجأ بالواو. (٩) في أ: فاصلة.

(١٠) مع تصرف بسيط في مقولته تلك انظر الفخر الرازي ٢٦/٢٨٨.

ومعنى قوله: «فتنة» استدراج من الله تعالى وامتحان.

قوله: «قَدْ قَالَهَا» أي قال القولة المذكورة وهي قوله: «إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ» لأنها كلمة أو جملة من القول<sup>(١)</sup>. وقرىء: قَدْ قَالَهُ أي هذا القول أو الكلام<sup>(٢)</sup>. والمراد بالذين من قبلهم قارون وقومه، حيث قال: ﴿إِنَّمَا أُوتِيْتُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: ٧٨] وقومه راضون به فكانهم قالوها، ويجوز أن يكون في الأمم الماضية قائلون مثلها<sup>(٣)</sup>.

قوله: «فَمَا أَغْنَىٰ» يجوز أن يكون «ما» هذه نافية أو استفهامية مؤولة بالنفي<sup>(٤)</sup>. وإذا احتجنا إلى تأويلها بالنفي فلنجعلها نافية استراحة من المجاز. ومعنى الآية ما أغنى عنهم الكفر من العذاب شيئاً.

قوله: «فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَّا كَسَبُوا» أي جزاؤها يعني العذاب، ثم أوعد كفار مكة فقال: «وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتٌ مَّا كَسَبُوا»، ثم قال: «وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ» أي بفاتنين لأن مرجعهم إلى الله - عز وجل<sup>(٥)</sup>.

قوله: «أَوْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَنْسُطُ الرُّزُقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ» يعني أو لم يعلموا أن الله هو الذي يبسط الرزق تارة ويقبض أخرى، ويدل على ذلك أنا نرى الناس مختلفين في سعة الرزق وضيقه فلا بد لذلك من سبب وذلك السبب ليس هو عقل الرجل وجهله لأننا نرى العاقل القادر في أشد الضيق ونرى الجاهل الضعيف في أعظم السعة وليس ذلك أيضاً لأجل الطبائع والأنجم والأفلاك لأن في الساعة التي ولد فيها ذلك الملك الكريم<sup>(٦)</sup> والسُلْطَانُ القاهر قد ولد فيها أيضاً عالم من الناس وعالم من الحيوانات غير الإنسان ويولد أيضاً في تلك الساعة عالم من النبات، فلما شاهدنا حدوث هذه الأشياء الكثيرة في تلك الساعة الواحدة مع كونها مختلفة في السعادة والشقاوة علمنا أن الفاعل لذلك هو الله تعالى فصح بهذا البرهان (العقلي)<sup>(٧)</sup> القاطع صحة قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَنْسُطُ الرُّزُقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ وقال الشاعر:

٤٣٠٣ - فَلَا السَّغْدُ يَقْضِي بِهِ الْمُشْتَرِي  
وَلَا النَّحْسُ يَقْضِي عَلَيْنَا رُحْلٌ  
وَلَكِنَّهُ حُكْمُ رَبِّ السَّمَاءِ  
وَقَاضِي الْقَضَاةِ تَعَالَىٰ وَجَلُّ

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَكْفُرُ الَّذِينَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾

(١) المرجع السابق.

(٢) حكى هذه القراءة في كتابه أبو حيان في البحر ٤٣٣/٧ والزمخشري في الكشاف ٤٠٣/٣.

(٣) نقله في الرازي السابق وفي الكشاف ٤٠٣/٣.

(٤) قال بهذين الوجهين أبو حيان في البحر ٤٣٣/٧ والسمين في الدر ٦٥٦/٤.

(٥) وانظر هذه التوضيحات في معالم التنزيل للبعوي ٧٩/٦ والخازن في لباب التأويل.

(٦) في الرازي «الكبير» بدل «الكريم» ٢٦٦/٢٨٩.

(٧) سقط من ب.

إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ بِإِسْمِهِ تَبَتُّلًا وَنُصْرًا رَبِّكَ وَتَبَّكَّرَ عَلَيْهِمْ أَهْلُ الْأَقْصَابِ أُولَٰئِكَ نَدْعُوا تَبَتُّلًا وَصَوْرَةَ رَبِّكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ اتَّبَعُوا أَصْحَابَ الْأَنْبِيَاءِ لَا كُفْرَانَ لِلَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يَسْتَأْذِنُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِن رَّبِّكُمْ مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِكَ عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي حَسْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تِلْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمِقَاتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ الشُّؤْمُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾

قوله (تعالى) (١): ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ...﴾ الآية لما ذكر الوعيد أردفه بشرح كمال رحمته وفضله، قيل: في هذه الآية أنواع من المعاني والبيانات حسنة منها إقباله عليهم ونداؤهم ومنها إضافتهم إلى الله إضافة تشریف ومنها الالتفات من التكلم إلى الخطاب (٢)، في قوله: «مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ» ومنها إضافة الرحمة لأجل أسمائه الحسنی، ومنها إعادة الظاهر بلفظه في قوله: «إِنَّ اللَّهَ»، ومنها: إبراز الجملة من قوله «إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» مؤكدة بـ «إِنَّ»، وبالفصل، وبإعادة الصِّفَتَيْنِ اللتين تضمنتهما الآية السابقة (٣).

## فصل

روى سعيد بن جبیر عن ابن عباس أن ناساً من أهل الشرك كانوا قتلوا وأكثروا فأتوا النبي - ﷺ - وقالوا (٤): إن الذي تدعو إليه لحسن إن كان لما عملنا كفارة فنزلت هذه الآية، وروى عطاء بن رباح عن ابن عباس أنها نزلت في وحشي (٥) قاتل حمزة حين بعث إليه النبي - ﷺ - يدعو إلى الإسلام فأرسل إليه كيف تدعوني إلى دينك وأنت تزعم أنه من قتل أو أشرك أو زنا ﴿يَلْقَىٰ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الفرقان: ٦٨ و ٦٩] وأنا قد فعلت ذلك كله فانزل الله: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ [الفرقان:

(١) سقط من ب.

(٢) في ب والسمن والبحر وهو الأصح: الغيبة وليس بالخطاب.

(٣) وانظر هذا كله بالمعنى من بحر أبي حيان ٤٣٤ / ٧ وباللفظ من الدر المصون ٦٥٧ / ٤.

(٤) في ب: وقال بالافراد.

(٥) هو وحشي بن حرب ويكنى أبا وسمه، وكان من سودان مكة عبداً لجبیر بن مطعم قتل حمزة وأتى

النبي مسلماً وهو أول من حد بالشام في الخمر. المعارف لابن قتيبة ٣٣٠.

[٧٠]. فقال وَحْشِي: هذا شرط شديد لَعَلِّي لا أقدر عليه فهل غير ذلك فأنزل الله - عز وجل -: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ١١٦] فقال وحشي: أراني بعد في شبهة فلا أدري أيعفو لي أم لا فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ قال وحشي: نعم هذا ف جاء وأسلم فقال المسلمون: هذا له خاصة أم للمسلمين عامة؟ قال: بل للمسلمين عامة.

وروي عن ابن عمر قال: نزلت هذه الآية في عياش بن <sup>(١)</sup> أبي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين كانوا قد أسلموا ثم فتنوا وعذبوا فافتتوا وكنا نقول لا يقبل الله من هؤلاء صرفاً ولا عدلاً أبداً (قوم) <sup>(٢)</sup> قد أسلموا ثم تركوا دينهم لعذاب عذبوا فيه، فأنزل الله هذه الآيات فكتبها عمر بن الخطاب بيده ثم بعث بها إلى عياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد وإلى أولئك النفر فأسلموا وهاجروا. واعلم أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب <sup>(٣)</sup>.

### فصل

دلت هذه الآية على أنه تعالى يعفو عن الكبائر لأن عرف القرآن جارٍ بتخصيص اسم العباد بالمؤمنين قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣] وقال: ﴿عَنَّا يَتُوبَ يَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ [الإنسان: ٦] وإذا كان لفظ العبد مذكوراً في معرض التعظيم وجب أن لا يقع إلا على المؤمنين وإذا ثبت هذا ظهر أن قوله: «يَا عِبَادِي» مختص بالمؤمنين، ولأن المؤمن هو الذي يعترف بكونه عبد الله وأما المشركون فإنهم يسمون أنفسهم بعبد اللات وعبد العزى (وعبد <sup>(٤)</sup> المسيح). وإذا ثبت ذلك فقوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ عام في جميع المسرفين، ثم قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ وهذا يقتضي كونه غافراً لجميع الذنوب الصادرة عن المؤمنين وهو المَطْلُوبُ.

فإن قيل: هذه الآية لا يمكن إجراؤها على ظاهرها وإلا لزم القطع بكون الذنوب مغفورة قطعاً وأنتم لا تقولون به فسقط الاستدلال، وأيضاً فإنه تعالى قال عقيب هذه الآية ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ...﴾ الآية؛ ولو كان المراد من الآية أنه تعالى يغفر الذنوب قطعاً لما أمر عقيبه بالتوبة، ولما خوفهم بنزول العذاب عليهم من حيث لا يشعرون وأيضاً قال: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ...﴾ الآية؛ وأيضاً لو كان المراد ما دل عليه ظاهر الآية لكان ذلك إغراءً بالمعاصي

(١) عمرو بن المغيرة المخزومي هاجر إلى الحبشة له أحاديث وعنه أنس وعبد الرحمن بن سابط قتل يوم اليرموك أو اليمامة. وانظر: الخلاصة ٣٠٠.

(٢) زيادة من البغوي. وانظر: البغوي والخازن ٧٩/٦ و ٨٠ و القرطبي ٢٦٨/١٥ و ٢٦٩ والكشاف ٣/٤٠٣.

(٣) البغوي والمراجع السابقة. (٤) ما بين القوسين سقط من ب.

وإطلاقاً في الإقدام عليها وذلك لا يليق بحكمة الله تعالى . وإذا ثبت هذا وجب أن يحمل على أن المراد منه التنبيه على أنه لا يجوز أن يظن (العاصي)<sup>(١)</sup> أن لا مخلص له من العذاب البتة فإن اعتقد ذلك فهو قانطٌ جميعاً أي بالتوبة والإنابة .

فالجواب: (قوله)<sup>(٢)</sup> إن الآية تقتضي كون كل الذنوب مغفورة قطعاً وأنتم لا تقولون<sup>(٣)</sup> به قلنا: بلَى نحن نقول به لأن صيغة «يَغْفِر» للمضارع وهي الاستقبال وعندنا أن الله يُخْرِج من النار من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله وعلى هذا التقدير فصاحب الكبيرة مغفور له قطعاً إما قبل دخول النار وإما بعد دخولها فثبت أن دلالة ظاهر الآية عينٌ مذهبتنا وأما قوله: لو صارت الذنوب بأسرها مغفورة لما أمر بالتوبة .

فالجواب: أن عندنا التوبة واجبة وخوف العقاب قائم فإذن لا يُقْطَع بإزالة العقاب<sup>(٤)</sup> بالكلية بل نقول لعله يعفو<sup>(٥)</sup> مطلقاً ولعله يعذب بالنار مدة ثم يعفو بعد ذلك وبهذا يخرج الجواب عن بقية الأسئلة والله أعلم<sup>(٦)</sup> .

وروى مقاتل بن حيان عن نافع عن ابن عمر قال: كنا معشر أصحاب رسول الله - ﷺ - نرى أو نقول ليس شيء من حسناتنا إلا وهي مقبولة حتى نزلت: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ١٠] فلما نزلت هذه الآية قلنا: ما هذا الذي يبطل أعمالنا؟ فقلنا: الكبائر والفواحش وكنا إذا رأينا من أصاب شيئاً منها (قلنا: قد<sup>(٧)</sup> هلك فأنزل الله هذه الآية فَكَفَفْنَا عن القول في ذلك، فكننا إذا رأينا أحداً أصاب) منها شيئاً خُفْنَا عليه وإن لم يُصَب منها شيئاً رجونا له، وأراد بالإسراف ارتكاب الكبائر. (وروي)<sup>(٨)</sup> عن ابن مسعود أنه دخل المسجد فإذا قاصٌّ (يَقْصُ)<sup>(٩)</sup> وهو يذكر النار والأغلال فقام على رأسه فقال: يا مُذَكِّرُ لِمَ تَقْنَطُ النَّا؟ ثُمَّ قرأ: «قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ». وعن أسماء بنت يزيد<sup>(١٠)</sup> قالت: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: يَا عِبَادِيَ<sup>(١١)</sup> الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله (إن الله يغفر الذنوب جميعاً)<sup>(١٢)</sup> ولا يبالي، وروى أبو هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال: قَالَ رَجُلٌ لِمَ يَعْمَلُ خَيْرًا قَطٍ لِأَهْلِهِ: إِذَا مَاتَ<sup>(١٣)</sup> فَحَرَّقُوهُ ثُمَّ دَرَّوْا نِصْفَهُ<sup>(١٤)</sup> فِي الْبَرِّ وَنِصْفَهُ فِي الْبَحْرِ

(١) سقط من ب. (٢) سقط من ب.

(٣) في ب: وإنهم لا يقولون به بالغائب. (٤) في ب العذاب.

(٥) في ب يعقوب. (٦) وانظر في هذا كله تفسير الرازي ٢٧/٣.

(٧) ما بين القوسين سقط من ب. (٨) و (٩) ساقطان من «أ» وهما الأصح إثباتاً.

(١٠) في ب زيد، وليس يزيد. وما في البغوي يوافق «أ» هنا.

(١١) في ب يقرأ بدل يقول. والأخيرة موافقة لما في البغوي.

(١٢) ما بين القوسين ساقط من ب. (١٣) في ب: مت فحرقوني.

(١٤) وفيها نصفي وفيها عليّ كلها بصيغة التكلم والحديث في «أ» كما أخرجه البغوي في تفسيره بطريق

الغيبية مروى عن أبي هريرة - رضي الله عنه - .

فوالله لئن قَدَّرَ اللهُ عليه ليعذبَّه عذاباً لا يعذبه أحداً من العالمين فلما مات فعلوا ما أمرهم فأمر الله البحرَ فجمع ما فيه وأمر البرَّ فجمع ما فيه، ثم قال له: لِمَ فَعَلْتَ هذا قال: مِنْ خشيتك يا رب وأنت أعلمُ فَعَفَّرَ لَهُ. وعن ضَمُضَمِ بْنِ حَوْشَدٍ (ب) (١) قال: دخلت مسجد المدينة فناداني شيخ فقال: يا يمانِي تَعَالَ وما أعرفه فقال: لا تقولن لرجل والله لا يغفر الله لك أبداً ولا يدخلك الجنة قلت: ومن أنت يرحمك الله؟ قال: أبو هريرة قال: فقلت إن هذه الكلمة يقولها أحدنا لبعض أهله إذا غضب أو زوجه (٢) أو لخدمه قال: فإني سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: إِنَّ رَجُلَيْنِ كَانَا فِي (٣) بني إسرائيل مَتَحَابِّينِ أَحَدُهُمَا مجتهدٌ (٤) في العبادة والآخر كأنه (٥) يقول: مذنب فجعل يقول أقصر عما أنت فيه قال: فيقول خلني وربِّي قال: حتى وجده يوماً على ذنب استعظمه فقال أقصر فقال: خلني وربِّي أبعث علي رقيباً فقال: والله لا يغفر لك الله أبداً ولا يدخلك الجنة أبداً قال: فبعث الله إليهما ملكاً فقبض أرواحهما فاجتمعا عنده فقال للمذنب ادخل الجنة برحمتي وقال للآخر: أنتستطيع أن تحظر على عبيدي رحمتي؟ فقال: لا يا رب فقال: اذهبوا به إلى النار، قال أبو هريرة: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَ (قد) (٦) تكلم بكلمة أويقت دنياه وآخرته (٧). قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَفْوُ الرَّحِيمُ﴾.

قوله: «يَا عِبَادِي» قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم يا عبادي بفتح الباء، والباقون وعاصم - في بعض الروايات - بغير فتح، وكلهم يقفون عليها بإثبات الباء؛ لأنها ثابتة في المصحف إلا في بعض رواية أبي بكر عن عاصم أنه يقف بغير ياء (٨).

قوله: «لَا تَقْنَطُوا» قرأ أبو عمرو والكسائي بكسر النون، والباقون بفتحها، وهما لُعْتَان (٩)، قال الزمخشري: وفي قراءة ابن عباس وابن مسعود «يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً لِمَنْ يَشَاءُ» (١٠).

قوله: «وَأَنبِئُوا إِلَى رَبِّكُمْ» قال الزمخشري أي ثوبوا إليه «وَأَسْلِمُوا لَهُ» أي وأخلصوا

(١) الباء ساقطة من «أ»، وفي «ب» حرت. ولم أقف عليه.

(٢) في ب لزوجه.

(٣) في ب من.

(٤) في ب يجتهد والتصحيح من «أ». (٥) في البغوي: كان مذنباً بالقطع.

(٦) «قد» زيادة من البغوي.

(٧) وقد أخرج هذه الروايات جمعا الإمام البغوي والخازن في «معالم التنزيل» و «الباب التأويل» ٦/٨٠ و ٨١ و ٨٢.

(٨) ذكرها صاحب السبعة ٥٦٣ والإتحاف ٣٧٦.

(٩) المرجع الأخير والكشاف ٣/٤٠٣ ولم ترو عنهما في المتواتر فهي من الأربع فوق العشر.

(١٠) الكشاف ٣/٤٠٣ وفي مختصر ابن خالويه (إن الله يغفر الذنوب جميعاً ولا يبالي) النبي ﷺ وقاطمة رضي الله عنها: (إن الله يغفر الذنوب جميعاً لمن يشاء) ابن مسعود انظر: المختصر ١٢٣ لابن خالويه.

له العمل<sup>(١)</sup> مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ. «وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ» يعني القرآن، والقرآن كله حسن، ومعنى الآية ما قال الحسن: الزموا طاعته واجتنبوا معصيته، فإن (في)<sup>(٢)</sup> القرآن ذكر القبيح ليجتنبه<sup>(٣)</sup> وذكر الأذون لثلاثا نرغب<sup>(٤)</sup> فيه، وذكر الأحسن لتؤثِّره<sup>(٥)</sup>، وقيل: الأحسن الناسخ دون المنسوخ، لقوله تعالى: ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نَسِيَهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾<sup>(٦)</sup>.

ثم قال: «مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَعَثْنَا وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ» وهذا تهديد وتخويف<sup>(٧)</sup>. والمعنى يفاجتكم العذاب وأنتم غافلون عنه.

واعلم أنه تعالى لما خوفهم بالعذاب بين أنهم بتقدير نزول العذاب عليهم ماذا يقولون؟ فحكّم تعالى عليهم بثلاثة أنواع من الكلام:

**فالأول:** (قوله: «أَنْ تَقُولَ»)<sup>(٨)</sup> مفعول من أجله فقدره الزمخشري: كَرَاهَةَ أَنْ تَقُولَ<sup>(٩)</sup>، (وابن<sup>(١٠)</sup> عطية: أنيبوا من أجل أن تقول<sup>(١١)</sup>، وأبو البقاء<sup>(١٢)</sup> والحوّافي<sup>(١٣)</sup> أَنْذَرْنَاكُمْ مَخَافَةَ أَنْ تَقُولَ) ولا حاجة إلى إضمار هذا العامل<sup>(١٤)</sup> مع وجود «أَنْيبُوا». وإنما نكّر نفساً لأنه أراد التكثر كقول الأعشى:

٤٣٠٤ - وَرَبِّ بَقِيْعٍ لَوْ هَتَفْتُ بِجَوْهٍ أَنَانِي كَرِيْمٍ يَنْغُضُ الرَّأْسَ مُغْضَبًا<sup>(١٥)</sup>

يريد أتاني (كرام<sup>(١٦)</sup>) كثيرون لا كريم فذّ لمنافاته المعنى المقصود، ويجوز أن يريد نفساً متميزة عن الأنفس) باللجاج الشديد في الكفر والعذاب العظيم.

قوله: «يَا حَسْرَتِي» العامة على الألف بدلاً من ياء الإضافة، وعن ابن كثير: يَا

(١) الكشاف ٤٠٣/٣. (٢) سقط من ب.

(٣) كذا في ب أيضاً وفي البغوي لتجنبه. (٤) وفيه وفي ب لثلاثا يرغب فيه.

(٥) وانظر الرازي ٥/٢٧ والبغوي ٦/٨٢.

(٦) هذا رأي الرازي في المرجع السابق. والآية ١٠٦ من سورة البقرة.

(٧) في ب تخويف وتهديد. (٨) ساقط من ب.

(٩) الكشاف ٤٠٤/٣. (١٠) ما بين القوسين كله ساقط من ب.

(١١) البحر المحيط ٤٣٥/٧. (١٢) التبيان ١١١٢.

(١٣) نقله صاحب البحر في المرجع السابق.

(١٤) في ب العالم خطأ وتحريف وانظر: الدر المصون ٦٥٧/٤.

(١٥) البيت له من الطويل، والبقيع: الأرض المتسعة، وبها أصول شجر وجوه: أي داخله، وقد شرحه المؤلف أعلى. وشاهده «كريم» منكرأ حيث لا يقصد كريماً بعينه وإنما يقصد كثيرين كما بينه أعلى.

وانظر: الكشاف ٤٠٤/٣ والبحر ٤٣٥/٧ والقرطبي ٢٧٠/١٥ وديوان الأعشى ٨.

(١٦) ما بين القوسين كله ساقط من «أ» الأصل وتكملة من ب فالتصحيح من ب.

حَسْرَتَاهُ بِهَاءٍ<sup>(١)</sup> السكوت وَقَفَاءً وَأَبُو جَعْفَرٍ يَا حَسْرَتِي عَلَى الْأَصْلِ<sup>(٢)</sup>، وَعَنْهُ أَيْضاً: يَا حَسْرَتَايَ بِالْأَلْفِ وَالْيَاءِ<sup>(٣)</sup>. وَفِيهَا وَجْهَانِ:

أحدهما: الجمع بين العوض والمعوّض منه<sup>(٤)</sup>.

والثاني: أنه تشبیه «حَسْرَةَ» مضافة لياء المتكلم، واعتراض على هذا بأنه كان ينبغي أن يقال: يَا حَسْرَتِي - بإدغام ياء النصب في ياء الإضافة - وَأَجِيبُ: بأنه يجوز أن يكون راعى لغة الحرث بن كعب وغيرهم نحو: رَأَيْتُ الزَّيْدَانَ<sup>(٥)</sup>، وقيل: الألف بدل من الياء والياء (بعدها)<sup>(٦)</sup> مزيدة.

وقيل: الألف مزيدة بين المتضايقين<sup>(٧)</sup> وكلاهما ضعيف.

قوله: «عَلَى مَا فَرَطْتَ» ما مصدرية أي على تفريطي، وثم مضاف أي في جنب طاعة الله<sup>(٨)</sup>، وقيل: في جنب الله المراد به الأمر والجهة يقال: هُوَ فِي جَنْبِ فُلَانٍ وَجَانِبِهِ أَي جِهَتِهِ وَنَاحِيَتِهِ<sup>(٩)</sup>، قال:

٤٣٥ - النَّاسُ جَنْبٌ وَالْأَمِيرُ جَنْبٌ<sup>(١٠)</sup>

وقال آخر:

٤٣٦ - أَنِّي جَنْبٌ بَكَرٍ قَطَعْتَنِي مَلَامَةً سَلِمْتِي لَقَدْ كَانَتْ مَلَامَتَهَا ثَنِي<sup>(١١)</sup>

(١) ذكرها ابن خالويه في المختصر ١٣١ والسمين في الدر ٤/٦٥٧، كما ذكر عن عاصم «يا أسفاه» صاحب المختصر أيضاً.

(٢) المرجعين السابقين وانظر أيضاً الإتحاف ٣٧٦، والمحتسب ٢/٢٣٧.

(٣) المراجع السابقة.

(٤) قاله أبو حيان في البحر ٧/٤٣٥ وابن جني في المحتسب ٢/٢٣٨ والسمين في الدر ٤/٦٥٧.

(٥) هذا كلام أبي الفضل الرازي صاحب اللوامح نقله عنه صاحب البحر ٧/٤٣٥ وانظر أيضاً الدر المصون ٤/٦٥٨.

(٦) سقط من «ب». وقد نقل هذا الرأي ابن جني في المحتسب ٢/٢٣٨ ونقله السمين في الدر ٤/٦٥٨.

(٧) المرجع الأخير السابق.

(٨) نقله صاحب الكشاف ٣/٤٠٤ وانظر أيضاً الخصائص ٣/٢٤٧.

(٩) نقله أبو حيان في البحر ٧/٤٣٥ والسمين في الدر ٤/٦٥٨.

(١٠) من الرجز ومعناه أن الممدوح في جنب يساوي جنب الآخرين من الخلق كلهم واستشهد بالبيت على أن معنى جنب الجهة والناحية. وانظر اللسان «جنب» ٦٩٢ والبحر ٧/٤٣٥ والقرطبي ١٥/٢٧٢ و ٢٧١ وقبله:

نَسِمَ مَجْهُوداً لِذَلِكَ الْقَلْبِ

(١١) هذا البيت من الطويل ويعزى لكعب بن زهير كما قال ابن منظور في اللسان. وشاهده «جنب بكر» حيث استعمل بمعنى الجهة والناحية. وانظر: البحر المحيط ٧/٤٣٥ والدر المصون ٤/٦٥٨ واللسان: «ثنى» وملحقات ديوان أوس ١٤١ وغريب الحديث لابن سلام ١/٩٨ وديوان كعب ١٢٨.

ثم اتسع فيه فقيل: فَرَطَ فِي جَنْبِهِ أَي فِي حَقِّهِ، قَالَ:  
٤٣٠٧ - أَمَا تَتَّقِينَ اللَّهَ فِي جَنْبِ عَاشِقٍ لَهُ كَبِدٌ حَرَّى عَلَيْكَ تَقَطُّعٌ<sup>(١)</sup>

### (فصل)

المعنى: أن تقول نفس يا حسرتي يعني لأن تقول<sup>(٢)</sup> نفس كقوله: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوًى أَنْ يَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥] و [لقمان: ١٠] أي لئلاً تَمِيدَ بِكُمْ، قال المبرد: أي بَادِرُوا وَاحْذَرُوا أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ<sup>(٣)</sup>، قال الزجاج: خوف أن تصيروا إلى حال تقولون يا حسرتنا يا ندامتنا<sup>(٤)</sup>، والتحسر الاغتمام على ما فات<sup>(٥)</sup>، وأراد: يا حسرتي على الإضافة لكن العرب تحول ياء الكناية ألفاً في الاستغائة فتقول: يَا وَيْلَتَا، وَيَا نَدَامَتَا، وربما ألحقوا بها الياء بعد الألف ليدل على الإضافة<sup>(٦)</sup> كقراءة أبي جعفر المتقدمة، وقيل: معنى قوله: «يَا حَسْرَتَا» أي يَا أَيُّهَا الْحَسْرَةُ هَذَا وَقْتُكَ<sup>(٧)</sup>. «عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ». قال الحسن: قَصُرْتُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وقال مجاهد: في أمر الله، وقال سعيد بن جبير في حق الله، وقيل: قصرت في الجانب الذي يؤدي إلى رضا الله، والعرب تسمي الجنب<sup>(٨)</sup> جانباً.

ثم قال: «وَإِنْ كُنْتُ لِمَنْ السَّاحِرِينَ» المستهزئين بدين الله، قال قتادة ولم يكفه أن ضيع<sup>(٩)</sup> طاعة الله حتى جعل السخر<sup>(١٠)</sup> بأهل طاعته، ومحل «وَإِنْ كُنْتُ» النصب على الحال كأنه قال فرطت وأنا ساحر أي فرطت في حال سُخْرَتِي.

النوع الثاني من الكلمات التي حكاها الله تعالى (عنهم)<sup>(١١)</sup> بعد نزول العذاب عليهم قوله: «أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ».

النوع الثالث: «أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ» عياناً «لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً» رجعة إلى الدنيا «فَأَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ» الموحدين.

فتحسروا أولاً: على التفريط في طاعة الله، وثانياً: عللوا بفقد الهداية، وثالثاً: تَمَنَوْا الرَّجْعَةَ.

(١) البيت مختلف في نسبه، فقد نسبه القرطبي في الجامع ٢٧١/١٥ إلى كثير، ونسبه الزمخشري في الكشاف وأبو حيان في البحر إلى سابق البربري. وشاهده أن الجنب هنا بمعنى الحق والبيت كما هو واضح من الطويل كسابقه، ويروى: في جنب وامق بدل من عاشق. وانظر: ديوان كثير ٧٣ والكشاف ٤٠٤/٣ وشرح شواهد الكشاف ٤٥١ ومجمع البيان ٧٨٦/٧ والبحر المحيط ٤٣٥/٧.

(٢) هذا التقدير للكوفيين لأن تقول أو لئلا تقول وعند البصريين حذراً أن تقول انظر: القرطبي ٢٧٠/١٥.

(٣) البغوي في معالم التنزيل ٧٢/٦. (٤) قاله في معاني القرآن وإعرابه ٣٥٩/٤.

(٥) البغوي السابق. (٦) السيوطي في الهمع ١٨١/١.

(٧) نقله البغوي في المرجع السابق. (٨) السابق وانظر أيضاً لباب التأويل للخازن ٨٢/٦.

(٩) في ب. يضيع.

(١٠) سقط من ب.

قوله: «فَأَكُونُ» في نصبه وجهان:

أحدهما: عطفه على «كِرَّةً» فإنها مصدر، فعطف مصدراً مؤولاً على مصدر مَضْرَح به كقولها<sup>(١)</sup>:

٤٣٠٨ - لَلْبَيْسِ عِبَاءَةٌ وَتَقَرَّرَ عَيْنِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لُبْسِ الشُّفُوفِ<sup>(٢)</sup>

وقول الآخر:

٤٣٠٩ - فما لك منها غير كبرى وحسرة وتسال عن ركبائها أين يمموا<sup>(٣)</sup>

والثاني: أنه منصوب على جواب التمني<sup>(٤)</sup> المفهوم من قوله: «لَوْ أَنَّ لِي كِرَّةً»<sup>(٥)</sup> والفرق بين الوجهين أن الأول يكون فيه الكون مُتَمَنَّى ويجوز أن تضمّر «أن» وأن تُظهِرَ والثاني يكون فيه الكون مترتباً على حصول التمني لا متمنى ويجب أن تضمّر «أن»<sup>(٦)</sup>.

قوله: «بَلَى» حرف جواب وفيما وقعت جواباً له وجهان:

أحدهما: هو نفي مقدر، قال ابن عطية: وحق «بلى» أن تجيء بعد نفي عليه تقرير، كأن النفس قالت: لم يتسع لي النظر<sup>(٧)</sup> أو لم يبين لي الأمر<sup>(٨)</sup>، قال أبو حيان: ليس<sup>(٩)</sup> حقها النفي المقدر بل حقها النفي ثم حمل التقرير عليه ولذلك أجاب بعض العرب النفي المقدر بنعم دون بلى، وكذا وقع في عبارة سيويه<sup>(١٠)</sup> نفسه.

(١) الدر المصون ٦٥٨/٤ والبحر ٤٣٦/٧ والفراء في المعاني ٤٢٢/٢ قال: «جعلته مردوداً على تأويل أن تضمّرها في الكرة كما تقول لو أن لي أن أكر فأكون».

(٢) من الوافر وهو لميسون بنت بحدل وشاهده نصب «تقرّر» بأن مضمرة جوازاً حيث وقعت بعد واو العطف وقد تقدم.

(٣) رواه الفراء «وحسرة». وهو من الطويل. وشاهده كسابقه من عطف المصدر المؤول وهو «وتسال» المضمّر بعد واو جوازاً عطفاً على اسم خالص أو مصدر صريح وهو: «وحسرة» وانظر: معاني الفراء ٤٢٣/٢ والدر المصون ٦٥٨/٤، وجامع البيان للطبري ١٤/٢٤ والبحر المحيط ٤٣٦/٧ والقرطبي ٢٧٢/١٥.

(٤) وهو أحد الأنواع التي تدخل تحت الطلب من الاستفهام والعرض والتمني والرجاء، والأمر، والنهي، والدعاء والطلب أحد النوعين أيضاً اللذين ينصب المضارع بعد فاء السببية أقصد النفي والطلب فالنفي مثل: ما تأتينا فتحدثنا.

(٥) وقال بهذا الوجه أيضاً الفراء في المعاني ٤٢٢/٢.

(٦) بالمعنى من البحر المحيط ٤٣٦/٢ وباللفظ من الدر المصون ٦٥٩/٤.

(٧) في البحر: فعمري في الدنيا لم يتسع للنظر. وانظر البحر ٤٣٦/٧.

(٨) المرجع السابق. (٩) السابق.

(١٠) وعبارته: قيل له: ألت تعلم أن الصفة... فإنه لا يجد بداً من أن يقول: نعم... أفلست تجعل هذا العمل... فإنه قائل نعم. الكتاب ٦٥٩/٢.

والثاني: أن التمني المذكور وجوابه متصّمان لنفي الهداية كأنه قال: لم أهدت فرد الله عليه ذلك<sup>(١)</sup>.

قال الزجاج: «بلى» جواب النفي وليس في الكلام لفظ النفي إلا أنه حصل فيه معنى النفي لأن قوله: «لو أن الله هداني» أنه ما هداني فلا جرم حسن ذكر «بلى» بعده<sup>(٢)</sup>.

قال الزمخشري: فإن قلت: هلا<sup>(٣)</sup> قرن الجواب بينهما بما هو جواب له وهو قوله: لو أن الله هداني ولم يفصل بينهما قلت: لأنه لا يخلو إما أن يقدم على أخرى القرائن الثلاث فيفرق بينهما، وإما أن يؤخر<sup>(٤)</sup> القرينة الوسطى فلم يحسن الأول لما فيه من تغير<sup>(٥)</sup> النظم بالجمع بين القراءتين، وأما الثاني فلما فيه من نقض الترتيب وهو التحسر على التفريط في الطاعة ثم التعلل بفقد الهداية ثم تمني الرجعة فكان الصواب ما جاء عليه وهو أنه حكى أقوال النفس على ترتيبها ونظمها، ثم أجاب من بينها عما اقتضى الجواب<sup>(٦)</sup>.

قوله: «جَاءَتْكَ» قرأ العامة بفتح الكاف «فَكَذَّبْتَ وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ» بفتح التاء خطاباً للكافرين دون النفس. وقرأ الجحدري وأبو حنيفة وابن يعمر والشافعي عن ابن كثير وروتها أم سلمة عنه - عليه (الصلاة و) السلام - وبها قرأ أبو بكر وابنته عائشة - رضي الله عنهما - بكسر الكاف والتاء<sup>(٧)</sup>؛ خطاباً للنفس والحسن والأعرج والأعمش «جَاءَتْكَ»<sup>(٨)</sup> بوزن «جَعَتْكَ» بهمزة دون ألف؛ فيحتمل أن يكون قصراً كقراءة قُتِلَ «أَنْ رَأَاهُ اسْتَفْتَى»<sup>(٩)</sup> [العلق: ٧] وأن يكون في الكلمة قلباً بأن قُدِمَت اللام على العين فالتقى ساكنان، فحذفت الألف لالتقائهما نحو: رُمْتُ وَعُزْتُ<sup>(١٠)</sup>، ومعنى الآية يقال لهذا القائل: بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي يعني القرآن «فَكَذَّبْتَ» وقلت ليست من الله واستكبرت أي تكبرت عن الإيمان بها وكنت من الكافرين.

(١) قاله ابن الأنباري في البيان ٣٢٥/٢ والزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٣٥٩/٤ والسمين في الدر ٦٥٩/٤.

(٢) بإيضاح وتفصيل من الفخر الرازي لكلمة الزجاج في المرجع السابق وانظر التفسير الكبير له ٧/٢٧.

(٣) في ب فهلا بزيادة فاء عن الكشاف.

(٤) في الكشاف تؤخر بالتاء.

(٥) كذا هنا في «أ» وفي الكشاف تبير وفي ب تيسر خطأ.

(٦) الكشاف ٤٠٥/٣.

(٧) من القراءة الشاذة غير المتواترة ذكرها الكشاف ٤٠٥/٣ والبحر ٤٣٦/٧ والدر المصون ٦٥٩/٤

ومختصر ابن خالويه ١٣١ ومعاني القرآن للفراء ٤٢٣/٢.

(٨) وهي من الأربع فوق العشر انظر الإتحاف ٣٧٦ وانظر المختصر والبحر والدر المراجع السابقة.

(٩) وانظر السبعة ٦٩٢ والبحر ٤٩٣/٨.

(١٠) البحر المحيط ٤٣٧/٧ وفي وجه القصر يكون محذور واحد وهو الحذف أي حذف المد، أما وجه

القلب والحذف فمحذوران تقديم العين على اللام فيصير قلباً مكانياً كأيس، ثم حذف العين هذه،

فكان وجه القصر أحسن.

قوله: «وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ» العامة على رفع «وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ» وهي جملة من مبتدأ وخبر، وفي محلها وجهان:

أحدهما: النصب على الحال من الموصول لأن الرؤية بصرية، وكذا أعربها<sup>(١)</sup> الزمخشري ومن مذهبه أنه لا يجوز إسقاط الواو من مثلها إلا شاذاً<sup>(٢)</sup> تابعاً في ذلك الفراء، فهذا رجوع منه عن ذلك<sup>(٣)</sup>.

والثاني: أنها في محل نصب مفعولاً ثانياً، لأن الرؤية قلبية وهو بعيد لأن تعلق الرؤية البصرية بالأجسام وألوانها أظهر من تعلق القلبية بهما<sup>(٤)</sup>، وقرىء: «وُجُوهُهُمُ»<sup>(٥)</sup> مُسْوَدَّةٌ بنصبهما على أن «وجوههم» بدل بعض من «كل»، و«مسودة» على ما تقدم من النصب على الحال أو على المفعول الثاني.

وقال أبو البقاء: ولو قرىء وجوههم بالنصب لكان على بدل الاشتمال<sup>(٦)</sup>، قال شهاب الذين: قد قرىء به والحمد لله ولكن ليس كما قال: على بدل الاشتمال بل على بدل البعض، وكأنه سبق لسان أو طغيان قلم<sup>(٧)</sup>. وقرأ أبي أجوههم بقلب الواو<sup>(٨)</sup> همزة وهو فصيح<sup>(٩)</sup> نحو: «أَفْتَتَ» [المرسلات: ١١] وبابه، وقوله: «أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ» عن الإيمان.

قوله: «وَيَنْجِي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ» قرأ الأخوان وأبو بكر بمَفَازَتِهِمْ<sup>(١٠)</sup> جمعاً لِمَا اختلفت أنواع المصدر<sup>(١١)</sup> جُمِعَ كقوله تعالى: «وَتَطَّوَّنَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا» [الأحزاب: ١٠]، ولأن لكل متق نوعاً آخر من المفازة، والباقون بالإفراد على الأصل.

(١) في ب قرأ بها. وقد قال في الكشاف ٤٠٦/٣: «جملة في موضع الحال إن كان «ترى» من رؤية البصر، ومفعول ثان إن كان من رؤية القلب».

(٢) قال في مفصله والجملة تقع حالاً ولا تخلو من أن تكون اسمية أو فعلية فإن كانت اسمية فالواو إلا ما شذ من قولهم: كلمته فوه إلى في وما عسى أن يعثر عليه في النذرة المفضل ٦٥/١ بشرح ابن يعيش وانظر أيضاً البحر ٤٣٧/٧ والدر المصون ٦٦٠/٤.

(٣) المرجعين الأخيرين السابقين. (٤) السابقان.

(٥) معاني الفراء ٤٢٤/٢ ومعاني الزجاج ٣٦٠/٤ وقد اختار الزجاج الرفع.

(٦) التبيان ١١١٣.

(٧) في ب تام بدل من قلم وقلم هنا هي الموافقة لما في الدر لشهاب الدين ٦٦٠/٤ وبدل البعض هو الذي قال به أبو حيان في البحر ٤٣٧/٧ والسمين في الدر في المرجع السابق.

(٨) ذكرها ابن خالويه في المختصر ١٣١.

(٩) ولكنه على الجواز فإن الواو المتصدرة المضمومة من الجائز أن تقلب همزة ومن الجائز أن تبقى فتقول أجوه ووجوه.

(١٠) قراءة سبعة متواترة السبعة ٥٦٣ والإتحاف ٣٧٦.

(١١) وقد نقل أبو حيان في البحر هذا عن أبي علي. انظر: البحر ٤٣٧/٧.

وقيل: ثم مضاف محذوف أي بدوإعبي مفازتهم أو بأسبابها. والمفازة المنجاة، وقيل: لا حاجة إلى ذلك، إذ المراد بالمفازة الفلاح<sup>(١)</sup>. قال البغوي: لأن المفازة بمعنى الفوز أي يُنجيهم بفوزهم من النار بأعمالهم الحسنة<sup>(٢)</sup>. وقال المبرد: المفازة مفعلة من الفوز والجمع حسن كالسعادة والسعادات<sup>(٣)</sup>.

قوله: «لَا يَمْسُهُمُ السُّوءُ» يجوز أن تكون هذه الجملة مفسرة لمفازتهم كأنه قيل: وما مفازتهم؟ فقيل: «لا يمسهم السوء» فلا محل لها، ويجوز أن تكون في محل نصب على الحال من «الَّذِينَ اتَّقَوْا»<sup>(٤)</sup>.

ومعنى الكلام لا يصيبهم مكروه ولا هم يحزنون.

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ تَأْمُرِيَّ أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكَتَ لَيَجْحَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ...﴾ الآية تقدم الكلام على هذه الآية في الأنعام وأنها تدل على أن أعمال العباد مخلوقة لله تعالى، وقال الكعبي هنا: إن الله تعالى مدح نفسه بقوله: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ وليس من المدح أن يخلق الكفر والقبائح فلا يصح احتجاج المخالف به، وأيضاً فلفظة «كل» قد لا توجب العموم لقوله تعالى: ﴿وَأَوْتَيْتَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَهَذَا عَرْشُ عَظِيمٍ﴾ [النمل: ٢٣] يريد كل شيء يحتاج الملك إليه وأيضاً لو كانت أعمال العباد من خلق الله لما أضافها إليهم بقوله: ﴿كُفَّارًا حَسَكًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ [البقرة: ١٠٩] ولما صح قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٨]. وقال الجبائي الله<sup>(٥)</sup> خالق كل شيء سوى أفعال خلقه التي صح فيها الأمر والنهي، واستحقوا بها الثواب والعقاب ولو كانت أفعالهم خلقاً لله لما جاز ذلك فيها كما لا يجوز في ألوانهم وصورهم، وقال أبو مسلم: الخلق هو التقدير لا الإيجاد، فإذا أخبر الله أنهم يفعلون الفعل الفلاني فقد قدر ذلك الفعل فصح أن يقال: إنه تعالى خلقه وإن لم يكن موجداً له، والجواب عن هذه الوجوه تقدم في سورة الأنعام، وأما قوله «وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ» أي الأشياء كلها موكولة إليه فهو القائم بحفظها وتديريها من غير مشارك، وهذا أيضاً يدل على أن فعل العبد مخلوق لله تعالى لأن فعل

(١) الدر المصون ٤/٦٦١.

(٢) معالم التنزيل ٦/٨٣.

(٣) نقله عنه البغوي في المرجع السابق ولم أهد إليه في الكامل له.

(٤) ذكرهما الزمخشري في كشافه ٣/٤٠٦ والبيان ١١٢. الأول الزمخشري والثاني أبو البقاء.

(٥) في ب أنه بدل من الله.

العبد لو وقع بخلق العبد لكان ذلك الفعل غير موكول إلى الله تعالى فلم يكن الله وكيلاً عليه وذلك ينافي عموم الآية<sup>(١)</sup>.

قوله: «لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» «له مقاليد» جملة مستأنفة<sup>(٢)</sup>، والمقاليد جمع مقلاد أو مقليد، ولا واحد له من لفظه كأساطير وإخوته، ويقال أيضاً إقليد وأقاليد وهي المفاتيح، والكلمة فارسية معربة<sup>(٣)</sup>. وفي هذا الكلام استعارة بديعة نحو قولك: بيد فلان مفتاح هذا الأمر<sup>(٤)</sup>، وليس ثم مفتاح، وإنما هو عبارة عن شدة تمكنه من ذلك الشيء. قال الزمخشري: قيل سأل عثمان رسول الله - ﷺ - عن تفسير قوله: «له مقاليد السموات والأرض» فقال: يا عثمان ما سألتني عنها أحد قبلك تفسيرها لا إله إلا الله، والله أكبر وسبحان الله وبحمده (و)<sup>(٥)</sup> أستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله وهو الأول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير<sup>(٦)</sup>.

وقال قتادة ومقاتل: مفاتيح السموات والأرض بالرزق والرحمة، وقال الكلبي خزائن المطر والنبات<sup>(٧)</sup>.

قوله: «وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ» وهذا يقتضي أنه لا خاسر إلا الكافر وأن من لم يكن كافراً فإنه لا بد وأن يحصل له حظ من رحمة الله. قال الزمخشري: فإن قلت: بِمَ اتصل قوله «والذين كفروا بآيات الله» بقوله «له مقاليد السموات والأرض»؟ قلت: إنه اتصل بقوله: «وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا» أي ينجي الله المتقين بمفازتهم، والذين كفروا هم الخاسرون واعترض ما بينهما أنه خالق الأشياء كلها<sup>(٨)</sup> وأنه له مقاليد السموات والأرض.

قال ابن الخطيب: وهذا عندي ضعيف من وجهين:

الأول: أن وقوع الفصل الكثير بين المعطوف والمعطوف عليه بعيد.

الثاني: أن قوله: «وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا» (جملة فعلية)<sup>(٩)</sup>، وقوله: «وَالَّذِينَ كَفَرُوا

(١) وانظر كل هذا في تفسير الإمام الرازي ١١/٢٧.

(٢) الدر المصون ٤/٦٦١.

(٣) قال بهذا الزمخشري في الكشاف ٤٠٦/٣ ونقله السمين في الدر ٤/٦٦١ وفي اللسان: والمقلد مفتاح كالمنجل وقيل: الإقليد معرب وأصله كليد. أبو الهيثم: الإقليد المفتاح وهو المقلد، والإقليد المفتاح يمانية والمقلد والإقلاد كالإقليد [٣٧١٧ و ٣٧١٨] وانظر: الخصائص ٩١/١ والمعرب للجواليقي (٢٠).

(٤) الدر المصون ٤/٦٦١. (٥) زيادة من ب موافقة للكشاف.

(٦) الكشاف ٣/٤٠٧. (٧) قاله البغوي في معالم التنزيل ٨٣/٦.

(٨) في الكشاف: وهو مهمم عليها فلا يخفى عليه شيء من أعمال المكلفين فيها وما يستحقون عليها من الجزاء.

(٩) سقط من ب دون الرازي و «أ».

بآيَاتِ اللَّهِ أَوْلَتْكَ هُمْ الْخَاسِرُونَ» جملة اسمية وعطف الجملة الاسمية على الجملة الفعلية لا يجوز<sup>(١)</sup>.

قال شهاب الدين: وهذا الاعتراض معترض إذ لا مانع من ذلك<sup>(٢)</sup>.

ثم قال ابن الخطيب: بل الأقرب عندي أن يقال: إنه لما وصف الله تعالى بصفات الإلهية<sup>(٣)</sup> والجلالة وهو كونه خالقاً للأشياء كلها وكونه مالكاً لمقاليذ السموات والأرض بأسرها قال بعده: «والذين كفروا بآيات الله» الظاهرة الباهرة هم الخاسرون. قوله: «قُلْ أَفَعَيَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ» فيه ثلاثة أوجه:

أظهرها: أن<sup>(٤)</sup> «غير» منصوب «بأعبد»<sup>(٥)</sup> و «أعبد» معمول «لتأمروني» على إضمار «أن» المصدرية، فلما حذفت بطل عملها وهو أحد الوجهين والأصل أَفْتَأْمُرُونِي بِأَنْ أَعْبُدَ غير الله ثم قدم مفعول «أعبد» على «تأمروني» العامل في عامله، وقد ضعف بعضهم هذا بأنه يلزم منه تقديم معمول الصلة على الموصول، وذلك أن «غير» منصوب «بأعبد» و «أعبد» صلة «لأن» وهذا لا يجوز<sup>(٦)</sup>.

وهذا الرد ليس بشيء لأن الموصول لما حذف لم يراع حكمه فيما ذكر بل إنما يراعى معناه لتصحيح الكلام<sup>(٧)</sup>.

قال أبو البقاء: لو حكمنا بذلك<sup>(٨)</sup> لأفضى إلى حذف الموصول وإبقاء صلته وذلك لا يجوز إلا في ضرورة شعر<sup>(٩)</sup>.

وهذا الذي ذكر فيه نَظَرٌ من حيث إن هذا مختص «بأن» دون سائر الموصولات وهو أنها تحذف ويبقى صلتها وهو منقاس عند البصريين في مواضع<sup>(١٠)</sup> تحذف ويبقى عملها وفي غيرها إذا حذفت لا يبقى عملها إلا في ضرورة أو قليل، وينشد بالوجهين (قوله):

٤٣١٠ - أَلَا أَيُّهَذَا الرَّاجِرِي أَخْضَرُ الْوَعَى وَأَنْ أَشْهَدُ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدي<sup>(١١)</sup>

(١) تفسير الرازي ١٣/٢٧. (٢) هذا اعتراض السمين في الدرر ٦٦١/٤.

(٣) في ب الهيبة. (٤) في ب أنه غير. تحريف وخطأ.

(٥) قاله الزمخشري في الكشاف ٤٠٧/٣ والسمين في الدرر ٦٦١/٤.

(٦) بالمعنى من البحر ٤٣٨/٧ وانظر: السمين ٦٦١/٤.

(٧) نقله السمين في الدرر ٦٦٢/٤ بالمعنى من البيان لابن الأنباري ٣٢٥/٢ قال: «إلا أنه لما حذفت «أن» سقط حكمها والدليل على ذلك أن الفعل قد ارتفع ولو كان حكم أن ثابتاً لوجب أن يكون الفعل منصوباً فلما لم ينصب دل على سقوط حكمها».

(٨) أي بقاء حكم أن.

(٩) التبيان ١١١٣.

(١٠) يريد مواضع إضمار أن وجوباً. وقد ذكرها النحويون في كتبهم ومنهم ابن يعيش في شرح المفصل ٧/

٢٧ و ١٩.

(١١) من الطويل لطفة بن العبد، والزاجري الذي يكفني ويمنعني. والوعى: الحرب وهو يفتخر بمنازلة =

ويدل على إرادة «أن» في الأصل قراءة بعضهم: «أَعْبُدَ»<sup>(١)</sup> بنصب الفعل اعتداداً بأن  
الثاني: أن «غَيْرَ» منصوب «بتَأْمُرُونِي» و «أَعْبُدَ» بدل منه بدل اشتمال، و «أَنْ»  
مضمرة معه أيضاً.

والتقدير: أفعيّر الله تأمروني في عبادته، والمعنى: أفتأمروني بعبادة غير الله<sup>(٢)</sup>.  
الثالث: أنها منصوبة بفعل مقدر (تقديره)<sup>(٣)</sup> أفتلزموني غير<sup>(٤)</sup> الله أي عبادة غير الله،  
وقدره الزمخشري تعبدون (ني)<sup>(٥)</sup> وتقولون لي أعبد<sup>(٦)</sup>، والأصل: تأمروني أن أعبد  
(فحذفت) أن، ورفع الفعل، ألا ترى أنك تقول: أفعير الله تقولون لي أعبد<sup>(٧)</sup>، وأفعير الله  
تقولون لي أعبد، فكذلك، أفعير الله تقولون<sup>(٧)</sup> لي أن أعبد<sup>(٧)</sup>، وأفعير الله تأمروني أن أعبد<sup>(٨)</sup>.  
والدليل على صحة هذا الوجه قراءة من قرأ «أَعْبُدَ» بالنصب، وأما «أعبد» ففيه ثلاثة  
أوجه:

أحدها: أنه مع «أن» المضمرة في محل نصب على البدل من «غير»، وقد تقدم.  
الثاني: أنه في محل نصب على الحال.  
الثالث: أنه لا محل له ألبتة<sup>(٩)</sup>.

قوله: «تَأْمُرُونِي» قرأ الجمهور «تَأْمُرُونِي» بإدغام نون الرفع في نون الوقاية، وفتح  
الياء ابن كثير، وأرسلها<sup>(١٠)</sup> الباقون، وقرأ نافع «تَأْمُرُونِي» بنون خفيفة وفتح الياء وابن  
عامر تأمروني بالفك وسكون الياء<sup>(١١)</sup>، وقد تقدم في سورة الأنعام<sup>(١٢)</sup>، والججر<sup>(١٣)</sup>،

= الأقران ويرى أن امتناعه عن الحرب عيب، فهو ليس بخالد، وسيأتي الموت يوماً. والشاهد: أحضر  
فقد رويت بروايتين نصب ورفع فالنصب على أنه مضارع منصوب بأن المصدرية محذوفة وهذه ضرورة  
كما قال الأعمش. وانظر: الإنصاف ٥٦٠ وشرح ابن يعيش ٧/٢ و ٥٢/٧ والمغني ٣٨٣ و ٦٤١  
واللسان [أن] والكتاب ٩٩/٣ و ١٠٠ والدر المصون ٦٦٢/٤ والكشاف ٤٠٧/٣.

- (١) لم تنصب في ابن خالويه ولا في البحر ٤٣٩/٧ ولا في الدر المرجع السابق.
- (٢) قال بهذا الوجه ابن الأباري في البيان ٣٢٥/٢ و ٣٢٦ والسمين في الدر ٦٦٢/٤ والبيان ١١١٣.
- (٣) سقط من ب.
- (٤) المرجع السابق.
- (٥) الياء سقطت من ب.
- (٦) في الكشاف: أعبد بدون هاء.
- (٧) وفيه تأمروني أن أعبد.
- (٨) وانظر: الكشاف ٤٠٧/٣.
- (٩) قال بهذين الوجهين أبو البقاء في التبيان ١١١٣ والسمين في الدر ٦٦٣/٤.
- (١٠) والإرسال هنا إسكان الياء مع المد فيها.
- (١١) وتلك قراءات متواترة انظر: السبعة لابن مجاهد ٥٦٣ والإتحاف للبناء ٣٧٦ و ٣٧٧ والنشر لابن  
الجزري ٢٦٣/٢ والكشاف لمكي ٢٤٠/٢ وحجة ابن خالويه ٣١١.
- (١٢) عند قوله: «قال أتأجوني في الله وقد هدان» الآية ٨٠.
- (١٣) عند قوله: «فبم تبشرون».

وغيرهما أنه متى اجتمع نون الرفع مع نون الوقاية جاز ذلك أوجه وتقدم تحقيق الخلاف في أيتهما المحذوفة<sup>(١)</sup>.

قال مقاتل: وذلك حين قال له المشركون: دَعِ دِينَكَ وَاتَّبِعْ دِينَ آبَائِكَ وَنُؤْمِنُ بِإِلَهِكَ، ونظير هذه الآية: ﴿قُلْ أَعْيَبَ اللَّهُ آخِذُوا بِبِلَاءٍ﴾ [الأنعام: ١٤]، وتقدم في تلك الآية وجه الحكمة في تقدم المفعول ووصفهم بالجهل لأنه تقدم وصف الإله بكونه خالقاً للأشياء كلها وبكونه له مقاليد السموات والأرض وكون هذه الأصنام جمادات لا تُنْصَرُ ولا تنفع فمن أغْرَضَ عن عبادة الإله الموصوف بتلك الصفات المقدسة الشريفة واشتغل بعبادة هذه الأصنام الحسيسة فقد بلغ في الجهل مبلغاً لا مزيد عليه، فلهذا قال: «أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ»<sup>(٢)</sup>.

قوله: «وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ» الذي عملت قبل الشرك، واعلم أن الظاهر (أن)<sup>(٣)</sup> قوله «لَئِنْ أَشْرَكْتَ» هذه الجملة هي القائمة مقام الفاعل لأنها هي الموحاة وأصول البصريين تأبى ذلك<sup>(٤)</sup>، ويقدر أن القائم مقامه ضمير المصدر لأن الجملة لا تكون فاعلاً عندهم والقائم هنا مقام الفاعل الجار والمجرور وهو «إليك». وقرئ لِيُحْبَطَنَّ - بضم الياء وكسر الباء - أي الله<sup>(٥)</sup> وَلَيُحْبَطَنَّ<sup>(٦)</sup> بنون العظمة (وَلَيُحْبَطَنَّ)<sup>(٧)</sup> على البناء للمفعول<sup>(٨)</sup> و «عملك» مفعول به على القراءتين الأوليين ومرفوع على الثالثة لقيامه مقام الفاعل.

قال ابن الخطيب: واللام الأولى موطنه للقسم المحذوف والثانية لام الجواب.

فإن قيل: كيف أوحى إليه وإلى من قبله حال شركه على التعمين؟

فالجواب: تقرير الآية أوحى إليك لئن أشركت ليحبطن عملك وإلى الذين من قبلك مثله أي أوحى (إليك)<sup>(٩)</sup> وإلى كل أحد منهم لئن أشركت كما تقول: كَسَانَا حُلَّةً: أي كل واحد منا<sup>(١٠)</sup>.

فإن قيل: كيف صَحَّ هذا الكلام مع علم الله تعالى أن رسله لا يشركون ولا يحبط أعمالهم؟

(١) وللعلماء في ذلك أقوال فمن قائل إن المحذوف - وهو مذهب الغالب - هو نون الوقاية، ومن قائل:

إن المحذوف هو النون الأولى نون الرفع والأفعال الخمسة، ويؤيد المذهب الأول وهو حذف نون

الوقاية أنها طرف والطرف محل تغيير.

(٢) وانظر: الرازي ٢٧/١٢. (٣) سقط من ب.

(٤) نقل ذلك أبو حيان في البحر ٧/٤٣٩ والسمين في الدر ٤/٦٦٣.

(٥) ذكره أبو حيان في البحر ٧/٤٣٩ والسمين في الدر ٤/٦٦٣.

(٦) مختصر ابن خالويه ١٣١. (٧) سقط من ب.

(٨) ذكره جار الله في الكشاف ٣/٤٠٧. (٩) سقط من ب.

(١٠) تفسير الرازي ٢٧/١٣. وقد سبقه الكشاف ٣/٤٠٧ وأخذه أبو حيان عنهما ٧/٤٣٩.

فالجواب: أن قوله: «لئن أشركت ليحبطن عملك» قضية شرطية والقضية الشرطية لا يلزم (من)<sup>(١)</sup> صدقها صدق جزئها ألا ترى أن قولك: لو كانت الخمسة زوجاً لكانت منقسمة بمتساويين قضية صادقة مع أن كل واحد من جزئها غير صادق.

قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] ولم يلزم من هذا صدق القول بأن فيهما آلهة وأنهما قد فسدتا<sup>(٢)</sup>، قال المفسرون: هذا خطاب مع الرسول ﷺ - والمراد منه غيره، وقيل: هذا أدب من الله لبيبه وتهديد لغيره، لأن الله تعالى - عز وجل - عصمه من الشرك<sup>(٣)</sup>، وقوله: «وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ» قال ابن الخطيب: كما أن طاعات الأنبياء والرسول أفضل من طاعات غيرهم فكذلك القبائح التي تصدر عنهم فإنها بتقدير الصدور تكون أقيح لقوله تعالى: ﴿إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾ [الإسراء: ٧٥] فكان المعنى أن الشرك الحاصل منه بتقدير حصوله منه يكون تأثيره في غضب الله تعالى أقوى وأعظم<sup>(٤)</sup>.

قوله: «بَلِ اللّٰهُ فَاعْبُدْ» الجلالة منصوبة بـ «اعْبُدْ». وتقدم الكلام في مثل هذه الفاء في البقرة<sup>(٥)</sup>، وجعله الزمخشري جواب شرط مقدر أي إن كنت<sup>(٦)</sup> عاقلاً فاعْبُدِ اللّٰهَ، فحذف الشرط، وجعل تقديم المفعول عوضاً منه<sup>(٧)</sup>، ورد أبو حيان عليه بأنه يجوز أن يجيء «زَيْدًا فَعَمْرًا اضْرِبْ»، فلو كان التقديم عوضاً لجمع بين العوض والمعوّض<sup>(٨)</sup> عنه. وقرأ عيسى بل اللّٰه - رفعاً - على الابتداء، والعائد محذوف أي فاعْبُدْهُ<sup>(٩)</sup>.

## فصل

لما قال الله تعالى: «قل أغير الله تأمروني أعبد» يفيد أنهم أمره بعبادة غير الله فقال الله تعالى له لا تعبد إلا الله، فإن قوله (بَلِ اللّٰهُ فَاعْبُدْ) يفيد الحصر «وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ» لإنعامه عليك بالهداية.

قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَتَّى قَدَرِهِ وَالْأَرْضَ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (١٧) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَبَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ بِنُظُرٍ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ

(١) سقط من ب.

(٢) قاله البغوي في تفسيره معالم التنزيل ٨٣/٦.

(٣) وانظر: الرازي المرجع السابق. (٥) عند قوله: «ولياي فارهون» من الآية ٤٠ منها.

(٦) في الكشاف كذا وفي السخطين عاملاً.

(٧) الكشاف ٤٠٧/٣ و ٤٠٨.

(٨) من القراءة الشاذة ذكرها ابن خالويه في مختصره ١٣١. والسمين في الدر ٦٦٣/٤.

يَالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسَيِّقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُرَّارًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابَهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسَيِّقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُرَّارًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدُّهُ وَأَوْزِنَّا الْأَرْضَ نَبَوًّا مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَرَبِّ الْمَلَائِكَةِ حَافِيَتٍ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾

قوله: «وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ» قرأ الحسن وأبو حيوة وعيسى قَدَرُوا بتشديد الدال حَقَّ قَدْرِهِ بفتح الدال<sup>(١)</sup>، وافقهم الأعمش على فتح الدال من<sup>(٢)</sup> «قَدْرِهِ» والمعنى وما عظموه حق عظمته حين أشركوا به غيره.

قوله: «وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ» مبتدأ وخبر<sup>(٣)</sup> في محل نصب على الحال أي ما عظموه حق تعظيمه والحال أنه موصوف بهذه القدرة الباهرة<sup>(٤)</sup>، كقوله: «كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أُمُوتًا فَأَحْيَاكُمْ» [البقرة: ٢٨] أي (كيف)<sup>(٥)</sup> تكفرون بمن هذا وصفه وحال ملكه كذا. و «جميعاً» حال<sup>(٦)</sup> وهي دالة على أن المراد بالأرض الأرضون فإن هذا التأكيد لا يحسن إدخاله إلا على الجمع<sup>(٧)</sup>. قال ابن الخطيب: ونظيره قوله تعالى: «كُلُّ الْأَطْعَامِ كَانَ حَلًّا لِنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ» [آل عمران: ٩٣] وقوله: «أَوِ الْوَالِدِ الَّذِي لَمْ يَطْهَرُوا» [النور: ٣١] وقوله: «إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ» [العصر: ٢] ولأن الموضع موضع تفخيم<sup>(٨)</sup> ولعطف الجمع عليها. (والعامل)<sup>(٩)</sup> في هذه الحال ما دل عليه «قَبْضَتُهُ»<sup>(١٠)</sup>، (ولا يجوز أن<sup>(١١)</sup>) يعمل فيها «قَبْضَتُهُ» سواء جعلته مصدرًا؛ لأن المصدر لا يتقدم عليه معموله أم مراداً به

(١) ذكرها ابن خالويه في المختصر ١٣١ وأبو حيان في البحر ٤٣٩/٧ وهي من الشواذ غير المتواتر.

(٢) من الأربع فوق العشر فقد ذكرها صاحب الإتحاف ٣٧٧ وذكرها البحر المحيط أيضاً وذكر القراءتين السمين في الدر ٤/٦٦٣ و ٤/٦٦٤.

(٣) التبيان ١١١٣ والبيان ٣/٣٢٦.

(٤) وانظر: السمين ٤/٦٦٤.

(٥) سقط من ب. ذكرها أبو البقاء وابن الأنباري في مرجعيهما السابقين.

(٦) قاله الرازي في ١٦/٢٧.

(٧) في ب تعميم. وانظر: الدر المصون ٤/٦٦٤.

(٨) سقط من ب. نقله أبو حيان في بحره عن الحوفي ٧/٤٤٠.

(٩) ما بين القوسين سقط من ب.

المقدار<sup>(١)</sup>. قال الزمخشري: ومع القصد إلى الجمع «يعني في الأرض» فإنه<sup>(٢)</sup> أريد به الجمع وتأكيده بالجميع أتبع الجميع مؤكداً قبل مجيء الخبر ليعلم أول الأمر أن الخبر الذي يرد لا يقع عن أرض واحدة ولكن عن الأرض كلها<sup>(٣)</sup>.

وقال أبو البقاء: و «جَمِيعاً»<sup>(٤)</sup> حال من الأرض، والتقدير: إذا كانت مجتمعة قَبَضَتْهُ أي مقبوضةً، فالعامل في «إِذَا» المصدر، لأنه بمعنى المفعول، وقال أبو علي في<sup>(٥)</sup> الحجة: التقدير: «ذَاتُ قَبْضَتِهِ». وقد رد عليه ذلك بأن المضاف إِلَيْهِ لا يَعْمَلُ فيما قبله، وهذا لا يصح لأنه الآن غير مضاف إليه، وبعد حذف المضاف لا يبقى حكمه<sup>(٦)</sup> انتهى. وهو كلام فيه إشكال؛ إذ لا حاجة إلى تقدير العامل في «إِذَا» التي لم يلفظ بها<sup>(٧)</sup>.

وقوله: «قَبْضَتُهُ» إِنْ قَدَرْنَا مضافاً - كما قال الفارسي أي ذات قبضته - لم يكن فيه وقوع المصدر موقع «مفعول» وإن لم يُقَدَّر ذلك احتمال أن يكون المصدر واقعاً موقعه، وحينئذ يقال: كيف أتت المصدر الواقع موقع مفعول<sup>(٨)</sup> وهو غير جائز! لا يقال: حُلَّةٌ نَسَجَةُ اليمَن بل نَسَجُ اليمَن أي مَنْسُوجُهُ.

والجواب: أن الممتنع دخول التاء الدال على التحديد<sup>(٩)</sup>، وهذه لمجرد التأنيث كذا أجب. وليس بذاك فإن المعنى على التحديد لأنه أبلغ في القدرة، واحتمل أن يكون أريد بالمصدر مقدار (ذلك)<sup>(١٠)</sup> (التحديد)<sup>(١١)</sup>.

والقَبْضَةُ - بالفتح - المَرَّةُ، وبالضم اسم<sup>(١٢)</sup> المقبوض كالعُرْفَةُ والعُرْفَةُ، قال تعالى: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَسْرِ الرَّسُولِ﴾ [طه: ٩٦].

والعامة على رفع «قبضته». والحسن ينصبها<sup>(١٣)</sup>، وخرَّجها ابن خالويه<sup>(١٤)</sup>

(١) هذا قول أبي حيان معترضاً على أن المصدر هو العامل في الحال انظر المرجع السابق.

(٢) في ب والكشاف: وإنه بالواو.

(٣) في الكشاف: الأراضي كلهن. وانظر: الكشاف ٤٠٩/٣ والدر المصون ٦٦٤/٤.

(٤) في ب وجميعها.

(٥) ذكره أبو البقاء في التبيان عن أبي علي وأبو حيان في البحر ولم يعزه إلى معين. انظر التبيان ١١١٣ والبحر ٤٤٠/٧.

(٦) التبيان ١١١٣.

(٧) هذا اعتراض شهاب الدين السمين على أبي البقاء وانظر: الدر المصون ٦٦٤/٤.

(٨) في ب مفعوله بالهاء. (٩) التي تدل على الوحدة والمرة.

(١٠) ما بين القوسين سقط من ب. (١١) زيادة من ب بدل بذلك. وانظر في هذا المرجع السابق.

(١٢) قاله الزمخشري في الكشاف ٤٠٩/٣.

(١٣) ذكرها الزمخشري في الكشاف ٤٠٩/٣ وهي من الأربع الشواذ فوق العشر المتواترة فقد ذكرت في الإتحاف ٣٧٧ وانظر أيضاً مختصر ابن خالويه ١٣١.

(١٤) ذكر رأيه أبو حيان في البحر ٤٤٠/٧.

وجماعة<sup>(١)</sup> على النصب على الظرفية أي «(في)<sup>(٢)</sup> قَبَضَتْهُ». ورد هذا بأنه ظرف مختص فلا بد من وجود «في». وهذا هو رأي البصريين، وأما الكوفيون فهو جائز عندهم إذ يجيزون: زَيْدٌ ذَارِكٌ - بالنصب - أي في ذارك<sup>(٣)</sup>، وقال الزمخشري: جعلها ظرفاً تشبيهاً للمؤقت بالمبهم<sup>(٤)</sup>، فوافق الكوفيين.

قوله: «وَالسَّمَوَاتِ مَطْوِيَّاتٍ» العامة على رفع «مَطْوِيَّاتٍ» خبراً، و «بِيَمِينِهِ» فيه أوجه:

أحدها: أنه متعلق «بمطويات».

الثاني: أنه حال من الضمير في: «مَطْوِيَّاتٍ».

الثالث: أنه خبر ثان<sup>(٥)</sup>، وعيسى والجنخدري نصبها حالاً<sup>(٦)</sup>. واستدل بها الأخفش على جواز تقديم الحال إذا كان العامل فيها حرف جر نحو: زَيْدٌ قَائِمٌ فِي الدَّارِ<sup>(٧)</sup>. وهذه لا حجة فيها لإمكان تخريجها على وجهين:

أظهرهما: أن يكون «السموات» نسقاً على الأرض ويكون قد أخبر عن الأرضين والسموات بأن الجميع قبضته ويكون «مطويات» حالاً من السموات، كما كان جميعاً حالاً من الأرض و «بيمينه» متعلق «بمَطْوِيَّاتٍ»<sup>(٨)</sup>.

والثاني: أن يكون «مطويات» منصوباً بفعل مقدر و «بِيَمِينِهِ» الخبر<sup>(٩)</sup>، و «مَطْوِيَّاتٍ» وعامله جملة معترضة وهو ضعيف.

### (فصل ١٠)

لما حكى عن المشركين أنهم أمروا الرسول بعبادة الأصنام ثم إنه تعالى أقام الدلائل على فساد قولهم وأمر الرسول بأن يعبد الله ولا يعبد سواه بين أنهم لو عرفوا الله حق

(١) منهم أبو زكريا الفراء في معانيه ٤٣٥/٢ والزمخشري في الكشاف ٤٠٩/٣ وقد ذكرها أبو البقاء في التبيان ١١١٤ واعترض عليها.

(٢) سقط من ب.

(٣) لم يعقب الزجاج على قبضته بعد إعرابه «جميعاً» حالاً في المعاني ٣٦١/٤.

(٤) الكشاف ٤٠٩/٣.

(٥) وقد ذكر هذه الأوجه الثلاثة صاحب التبيان ١١١٤.

(٦) يقصد «مطويات» ويكون الخبر «بيمينه» انظر مختصر ابن خالويه ١٣١ ومشكل مكّي ٢٦١/٢ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٦٢/٤.

(٧) لم أجدها في معاني الأخفش وقد ذكرها عنه أبو حيان في البحر ٤٤٠/٧.

(٨) وهذا اعتراض أبي حيان على الأخفش انظر المرجع السابق والدر المصون ٢٦١/٤ والكشاف ٤٠٩/٣.

(٩) قاله الفراء ٤٢٥/٢.

(١٠) هذا الفصل كله وما بين القوسين ساقط من ب تماماً.

معرفة لما جعلوا هذه الأشياء الخسيسة مشاركة له في العبودية فقال: «وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ» أي ما عظموا الله حقَّ عظمته فقال: «وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ»، وروى البخاري أن خبراً من الأخبار أتى النبي - ﷺ - فقال: يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السموات على أصبع والأرضين على أصبع والماء والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع، ويقول: أنا الملك فضحك النبي - ﷺ - حتى بدت نواجذُهُ تصديقاً لقول الخبر ثم قرأ: «وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(١)</sup> وروى مسلم قال: والجبال والشجر على إصبع وقال: ثم يهزهن فيقول: أنا الملك أنا الله<sup>(٢)</sup>. وروى شيبه عن ابن أبي شيبة بإسناده عن ابن عمر قال: قال رسول الله - ﷺ -: «يَطْوِي اللَّهُ السَّمَوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ»<sup>(٣)</sup> ولما بين سبحانه وتعالى عظمته قال: «سُبْحَانَكَ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ».

## فصل

قال ابن الخطيب: وههنا سؤالات:

الأول: أن العرش أعظم من السموات السبع، والأرضين السبع، ثم إنه تعالى قال في صفة العرش: «وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةَ» فإذا وصف الملائكة بكونهم حاملين للعرش العظيم فكيف يجوز تقرير عظمة الله عز وجل بكونه حاملاً للسموات والأرض؟!.

السؤال الثاني: قوله تعالى: «وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ» شرح حالاً لا يحصل إلا في القيامة والقوم ما شاهدوا ذلك فإن كان هذا الخطاب مع المصدقين للأنبياء فهم مقرون بأنه لا يجوز القول بجعل الأصنام شركاء لله فلا فائدة في إيراد هذه الحجة عليهم وإن كان الخطاب مع المكذبين في النبوة فهم ينكرون قوله: «والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة» فكيف يمكن الاستدلال به على إبطال القول بالشرك؟

السؤال الثالث: حاصل القول بالقبضة واليمين هو القدرة الكاملة الوافية بحفظ هذه الأجسام العظيمة فكما أن حفظها وإمسакها يوم القيامة ليس إلا بقدر الله تعالى فكذلك الآن فما الفائدة في تخصيص هذه الأحوال بيوم القيامة؟.

والجواب عن الأول: أن مراتب التعظيم كثيرة فأولها تقرير عظمة الله بكونه قادراً على حفظ هذه الأجسام العظيمة كما أن حفظها وإمسākها يوم القيامة عظيم، ثم بعده تقرير عظمته بكونه قادراً على إمساك أولئك الملائكة الذين يحملون العرش.

(١) أخرجه البغوي في معالم التنزيل عن ابن مسعود ٨٤/٦.

(٢) السابق وانظر الكشف ٤٠٨/٣. (٣) البغوي المرجع السابق.

والجواب عن الثاني: أن المقصود منه أن المتولي لإبقاء السموات والأرضين من وجوه العمارة في هذا الوقت هو المتولي لتخريبها وإبقائها يوم القيامة وذلك يدل على حصول قدرة تامة على الإيجاد والإعدام ويدل أيضاً على كونه قادراً غنياً على الإطلاق فإنه يدل على أنه إذا حاول تخريب الأرض فكأنه يقبض قبضة صغيرة، وذلك يدل على كمال الاستغناء.

والجواب عن الثالث: أنه إنما خصص تلك الحالة بيوم القيامة ليدل على أنه كما ظهر كمال قدرته في الإيجاد عند عمارة الدنيا يظهر كمال قدرته في الإعدام عند خراب الدنيا والله أعلم<sup>(١)</sup>.

قوله: «وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ» العامة على سكون الواو، وزيد بن علي وقتادة بفتحها جمع «صُورَة»<sup>(٢)</sup>. وهذه ترد قول ابن عطية أن الصور هنا يتعين أن يكون القرن، ولا يجوز أن يكون جمع صورة<sup>(٣)</sup>. وقرئ: فصعق - مبنياً للمفعول<sup>(٤)</sup> - وهو مأخوذ من قولهم: صَعَقْتُهُمُ الصَّاعِقَةَ، يقال: صَعَقَهُ اللهُ فَصُعِقَ<sup>(٥)</sup>.

قوله: «إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ» (استثناء)<sup>(٦)</sup> متصل، والمستثنى إما جبريل وميكائيل وإسرافيل، وإما رِضْوَانٌ والحدور والزبانية، وإما البارئ تعالى، قاله الحسن<sup>(٧)</sup>، وفيه نظر من حيث قوله «مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ» فإنه لا يتحيز فعلى هذا يتعين أن يكون منقطعاً<sup>(٨)</sup>.

قوله: «ثُمَّ نُفِّخَ فِيهِ أُخْرَى» يجوز أن يكون «أخرى» هي القائمة مقام الفاعل وهي في الأصل صفة لمصدر محذوف أي نفخ فيه نفخة أخرى ويؤيده التصريح بذلك في قوله: «إِذَا نُفِّخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ» [الحاقة: ١٣] فصرح بإقامة المصدر ويجوز أن يكون القائم مقامه الجاز<sup>(٩)</sup>، و«أخرى» منصوبة على ما<sup>(١٠)</sup> تقدم.

(١) وانظر هذا كله في تفسير ابن الخطيب وهو الإمام الفخر الرازي ١٧/٢٧ و ١٨.

(٢) هذه قراءة من الأربع فوق العشر المتواترة. انظر الإتحاف ٣٧٧ والبحر المحيط ٤٤١/٧ وقال الفراء: «وذكر عن الحسن أو عن قتادة أنه قال: الصُّور جمع الصُّورَة». المعاني ٢/٤٢٥. وقد ذكر هذه القراءة أيضاً السمين في الدر ٤/٦٦٦.

(٣) هذا معنى عبارته التي نقلها أبو حيان في بحره وعقب عليها كعادته. وانظر البحر ٤٤١/٧ والمرجع السابق.

(٤) نسبها ابن الجوزي في زاد المسير إلى ابن السَّمِيعِ والجحدريّ وابن يعمر في ١٩٧/٧ ولم تنسب في البحر والدر المصون المرجعين السابقين وكذلك في مختصر ابن خالويه ١٣١ ونسبها صاحب شواذ القرآن إلى زيد بن علي ٢١١.

(٥) انظر: اللسان: «ص ع ق» ٢٤٥٠. (٦) زيادة لتكميل السياق وتوضيحه.

(٧) وانظر: البحر ٤٤١/٧ والقرطبي ١٥/٢٨٠. (٨) قاله شهاب الدين السمين في الدر ٤/٦٦٦.

(٩) وهو قوله: «فيه».

(١٠) أي على أنها صفة لمصدر ولكن المصدر منصوب أي ثم نفخ فيه نفخة أخرى وهذا أحد قولي =

قوله: «فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ» العامة على رفع «قيام» خبراً، وَزَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ نَصَبَهُ<sup>(١)</sup> حالاً، وفيه حينئذ أوجه:

أحدها: أن الخبر «ينظرون» وهو العامل في هذه الحال أي فإذا هُمْ يَنْظُرُونَ قِيَاماً.  
والثاني: أن العامل في الحال ما عمل في «إذا» الفجائية إذا كانت ظرفاً. فإن كانت مكانية - كما قال سيبويه -<sup>(٢)</sup> فالتقدير فَبِالْحَضْرَةِ هُمْ قِيَاماً، وإن كان زمانية كقول الرَّمَانِي<sup>(٣)</sup> فتقديره: ففِي ذَلِكَ الزَّمَانِ هُمْ قِيَاماً أي وجودهم، وإنما احتيج إلى تقدير مضاف في هذا الوجه لأنه لا يخبر بالزمان<sup>(٤)</sup> عن الجُثْثِ.  
الثالث: أن الخبر محذوف هو العامل في الحال أي فإذا هم مبعوثون أو مجموعون قِيَاماً، وإذا جعلنا الفجائية حرفاً كقول بعضهم<sup>(٥)</sup> فالعامل في الحال إما «ينظرون»، وإما الخبر المقدر كما تقدم تحقيقهما.

### فصل (٦)

لما ذكر كمال قدرته وعظمته بما سبق ذكره أردفه بذكر طريق آخر يدل أيضاً على كمال عظمته وهو شرح مقدمات يوم القيامة، لأن نفخ الصور يكون قبل ذلك اليوم، فقال: «وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ...» الآية.

اختلفوا في الصعقة فقيل: إنها غير الموت لقوله تعالى في موسى - عليه (الصلاة) والسلام -: «وَحَرَّ مُوسَى صَعِقًا» [الأعراف: ١٤٣] وهو لم يمض فنفخ الصور نفخة واحدة تورث الفزع الشديد وعلى هذا فالمراد من نفخ الصعقة ومن نفخ الفزع واحد وهو المذكور في سورة النمل في قوله تعالى: «وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ»

= الزمخشري في الكشاف ٤٠٩/٣ قال: فإن قلت: (أخرى) ما محلها من الإعراب؟ قلت: يحتمل الرفع والنصب أما الرفع فعلى قوله فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة وأما النصب فعلى قراءة من قرأ نفخة واحدة. والمعنى: ونفخ في الصور نفخة واحدة ثم نفخ فيه أخرى.

(١) الكشاف المرجع السابق والبحر ٤٤١/٧، وشواذ القرآن ٢٦١. وفي الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي ٢٨١/١٥: «وأجاز الكسائي قياماً بالنصب كما تقول: خرجت فإذا زيد جالساً».

(٢) وأما «إذا» «فلما يستقبل من الدهر وفيها مجازاة وهي ظرف وتكون للشيء توافقه في حال أنت فيها وذلك قولك: مرت فإذا زيد قائم. الكتاب ٢٣٢/٤.

(٣) كذا في النسختين وفي البحر الرياشي. والرَّمَانِي هو علي بن عيسى أبو الحسن كان إماماً في العربية علامة في الأدب أخذ عن الزجاج وابن السراج وابن دريد. من مصنفاته التفسير، الحدود الأصغر والأكبر. مات سنة ٣٨٤هـ [بغية الوعاة ١٨٠/٢].

(٤) في ب الزمانية.

(٥) نسب البحر المحيط هذا إلى الكوفيين ونسبه الارتشاف إلى البصرة وانظر: البحر المحيط ٤٤١/٧ ونقل في الارتشاف أن القائل هو الأخفش انظر: الارتشاف ٥٦٧ والدر المصون ٦٦٧/٤.

(٦) هذا الفصل كله إلى أول قوله: «وأشرق» سقط من نسخة ب.

شَكَاءَ اللَّهِ ﴿ [النمل: ٧٨] وعلى هذا القول فنفتح الصور ليس إلا مرتين. وقيل: الصعقة عبارة عن الموت، والقائلون بهذا قالوا: المراد بالفزع أي كادوا يموتون من الفزع وشدة الصوت، وعلى هذا التقدير فالنفخة تحصل ثلاث مرات أولها نفخة الفزع وهي المذكورة في سورة النمل، والثانية نفخة الصعق، والثالثة نفخة القيام وهما مذكورتان في هذه السورة، وقوله: «إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ» قال ابن عباس: نفخة الصعق يموت من في السموات ومن في الأرض إلا جبريل وميكائيل وإسرافيل، وَيَبْقَى جبريل وملك الموت، ثم يموت عزرائيل جبريل ثم يموت ملك الموت، وقيل: المستثنى هم الشهداء لقوله تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾، وروى أبو هريرة عن - ﷺ - أنه قال: «هُمُ الشَّهَدَاءُ مُتَقَلِّدُونَ أَسْيَافَهُمْ حَوْلَ الْعَرْشِ»<sup>(١)</sup>، وقال جابر: هو موسى - ﷺ - لأنه صُعِقَ، ولا يصعق.

وقيل: هم الحور العين وسكان العرش والكرسي، وقال قتادة: الله أعلم بهم وليس في القرآن والأخبار ما يدل على أنهم من هم.

ثم قال: «ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ» وهذا يدل على أن هذه النفخة متأخرة عن النفخة الأولى لأن لفظة «ثم» للتراخي<sup>(٢)</sup>. وروى أبو هريرة قال: قال رسول الله - ﷺ - «مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ»، قالوا: أَرْبَعُونَ يَوْمًا قال: أُبَيِّتُ قالوا: أَرْبَعُونَ شَهْرًا قال: أُبَيِّتُ قالوا أَرْبَعُونَ سَنَةً، قال: أُبَيِّتُ قال: ثم ينزل الله من السماء ماءً فَتَنْبُتُونَ كما ينبت البقل ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عَظْمٌ واحد وهو عَجَبُ الذَّنْبِ، وفيه يركب الخلق يوم القيامة<sup>(٣)</sup>.

وقوله: «فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ» يعني أن قيامهم من القبور يحصل عقيب هذه النفخة الأخيرة في الحال من غير تراخ لأن الفاء في قوله: «فَإِذَا هُمْ» يدل على التعقيب، وقوله «يَنْظُرُونَ» أي يقبلون أبصارهم في الجهات نظر المبهور إذا فاجأه خطب عظيم، وقيل: ينظرون ماذا يفعل بهم، ويجوز أن يكون القيام بمعنى الوقوف والجمود في مكان لأجل استيلاء الخيرة والدهشة عليهم<sup>(٤)</sup>.

قوله: «وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ» العامة على بنائه للفاعل، وابن عباس وأبو الجوزاء<sup>(٥)</sup>

(١) الحديث رواه أبو هريرة ورواه الشوكاني في فتح القدير ٤/٤٧٧ عن أبي يعلى والدارقطني في الأفراد، وابن المنذر والحاكم وصححه.

(٢) هذا في تفسير الجامع للإمام القرطبي ١٥/٢٨٠ والرازي ٢٧/١٨ و ١٩.

(٣) الحديث أخرجه البغوي في معالم التنزيل عن أبي صالح عن أبي هريرة ٦/٨٥ وقد رواه الإمام البخاري في صحيحه ٣/١٨٢ عن أبي هريرة.

(٤) انظر: الرازي ٢٧/١٨ و ١٩.

(٥) أوس بن عبد الله الربيعي أبو الجوزاء البصري، عن عائشة وأبي هريرة وابن عباس وعنه بدليل بن ميسرة، وقاتدة ومحمد بن جحادة مات سنة ٨٣هـ انظر: الخلاصة ٤١.

وَعَبِيدُ بَنِ عُمَيْرٍ<sup>(١)</sup>، على بناءه للمفعول<sup>(٢)</sup>. وهو منقول بالهمزة من شَرَقَتْ إِذَا طَلَعَتْ، وليس من أَشْرَقَتْ بمعنى أضاءت لأن ذلك لازم<sup>(٣)</sup>، وجعله ابن عطية مثل رَجَعَ وَرَجَعْتُهُ، وَوَقَفَ وَوَقَفْتُهُ فيكون أشرق لازماً ومتعدياً<sup>(٤)</sup>.

### فصل

هذه الأرض عَرَصَةُ الْقِيَامَةِ وليست بأرضنا الآن لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ عَرْضَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ﴾ [إبراهيم: ٤٨] وقوله: «بشور ربها» أي خالقها يتجلى الرب لفصل القضاء بين خلقه، وقال الحسن والسدي: ينور ربها أي يعدل ربها قال عليه (الصلاة و) السلام: «إِنكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ» وقال: «كما لا تُضَارُونَ فِي الشَّمْسِ فِي الْيَوْمِ الصَّخْوِ»، وقوله: «وَوَضِعَ الْكِتَابَ» أي كتاب الأعمال لقوله: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلَمَتْهُ طَلِيمُهُ فِي عُنُقِهِ وَنُحِرَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣] وقوله: ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَقَاوُرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾<sup>(٥)</sup> [الكهف: ٤٩] وقيل: المراد بالكتاب اللوح المحفوظ.

وقوله: «وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشَّهَدَاءِ» قال ابن عباس: يعني الذين يشهدون للرسول بتبليغ الرسالة، وهم أمة محمد - ﷺ - وقال عطاء ومقاتل: يعني الحَقِيقَةُ لقوله تعالى: ﴿وَحَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١]، وقيل: أراد بالشهداء<sup>(٦)</sup>: المستشهدون في سبيل الله.

ثم قال: «وَقَضِيَ بَيْنَهُمُ بِالْحَقِّ» أي بالعدل «وَهُمْ لَا يُظَلَمُونَ» أي يزدادون في سيئاتهم ولا يُنْقَضُ من حسناتهم «وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ» أن ثواب ما عملت. واعلم أنه تعالى لما بين أنه يوصل إلى كل أحد حقه عبر عن هذا المعنى بأربع عبارات:

أولها: قوله تعالى: ﴿وَقَضِيَ بَيْنَهُمُ بِالْحَقِّ﴾

وثانيها: قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يُظَلَمُونَ﴾.

وثالثها: قوله تعالى: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ﴾.

ورابعها: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ يعني أنه (إن)<sup>(٧)</sup> لم يكن عالماً بكيفيات أحوالهم فلعله لا يقضي (إلا)<sup>(٨)</sup> بالحق لأجل عدم العلم أما إذا كان عالماً

(١) ابن قتادة أبو عاصم الليثي المكي القاص وردت عنه الرواية في حروف القرآن عن عمر وأبي، وعنه مجاهد وعطاء وغيرهما مات سنة ٧٤هـ الغاية ٤٩٧/١.

(٢) من القراءة الشاذة غير المتواترة فقد رواها في المحتسب ابن جني ٢٣٩/٢ و ٢٤٠ وابن خالويه في المختصر ١٣٢.

(٣) هذا هو المفهوم من كلام أبي حيان في البحر ٤٤١/٧ وقد قال بذلك السمين في الدر ٦٦٧/٤.

(٤) السابقان.

(٥) وانظر ما مضى في تفسير الإمام الرازي ١٧/٢٧ و ١٨ و ١٩.

(٦) في ب بالشهيد مفرداً.

(٧) لفظ إن سقط من ب.

(٨) زيادة من «أ».

بمقادير أفعالهم وبكيفياتها امتنع دخول الخطأ عليه، والمقصود من الآية المبالغة في تَقْرِير أن كل مؤمن فإنه يصل إلى حقه، قال عطاء يريد آتي عالم بأفعالهم لا أحتاج إلى كاتب ولا شاهد<sup>(١)</sup>.

قوله: «وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا» لما شرح أحوال أهل القيامة على سبيل الإجمال وقال: «وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ» بين بعده كيفية أحوال العقاب ثم كيفية أحوال الثواب، فأما شرح أحوال العقاب فهو هذه الآية وهذا السُّوق يكون بالعُنُق والدفع بدليل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوتُ إِلَىٰ تَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً﴾ [الطور: ١٣] أي يدفعون دفعاً، وقوله: ﴿وَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾<sup>(٢)</sup> [مريم: ٨٦].

قوله: «زُمَرًا» حال، و «زُمَرٌ» جمع «زُمرة» وهي الجماعات في تفرقة بعضها في إثر بعض، و «تَزُمَرُوا» تجمعوا قال:

### ٤٣١١ - حَتَّىٰ اخْرَأَلْتَ زُمَرَ بَعْدَ زُمَرٍ<sup>(٣)</sup>

هذا قول أبي عبيدة<sup>(٤)</sup>، والأخفش<sup>(٥)</sup>، وقال الراغب: الزُمرة الجماعة القليلة، ومنه شاة زمرة أي قليلة الشعر، ورجل زُمِرٌ أي قليل المروءة، وَزَمَرَتِ النَّعَامَةُ تَزُمُرُ زِمَارًا ومنه اشتق الزُمرة. والزُمارة كناية عن الفاجرة<sup>(٦)</sup>.

قوله: «حَتَّىٰ إِذَا» تقدم الكلام في «حتى» الداخلة على «إِذَا» مِرَارًا<sup>(٧)</sup>، وجواب «إِذَا»

(١) وانظر: تفسير البغوي معالم التنزيل ٨٥/٦ ولباب التأويل للخانزاد ٨٥/٦ أيضاً والتفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي ١٩/٢٧ و ٢٠.

(٢) وانظر: الرازي ١٩/٢٧ و ٢٠.

(٣) من الرجز ولم أعرف قائله. وقيله: إن العفاة بالسيوب قد غمر. وخرألت اجتمعت وارتفعت في سيرها يعني الإبل التي تحمل العطايا وهي السيوب. والعفاة جمع عاف وهو طالب المعروف. وجيء بالبيت شاهداً على أن الزمرة بمعنى الجماعة تلو الجماعة. وانظر: القرطبي ٢٨٣/١٥ والكشاف ٤١٠/٣ وشرح شواهد ٤٢٠/٤ والبحر المحيط ٤٣٧/٧ واللسان «زمر» ١٨٦١، والمجاز ١٩١/٢.

(٤) انظر المجاز ١٩١/٢.

(٥) كذا قال أبو حيان في البحر ٤٢٦/٧ والسمين في الدر ٦٦٧/٤ ولم أجد في المعاني له ولعله في مرجع آخر من تأليفه.

(٦) مع اختلاف بسيط في عبارة الراغب في المفردات ٢١٥ وانظر أيضاً اللسان: «ز م ر» ١٨٦١. وقد ذكر ابن منظور في اللسان المرجع السابق كثيراً من هذه المعاني وغيرها فارجع إليها إن أردت.

(٧) من ذلك قوله [النمل: ٨٥] «حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا قَال أَلَدَّبَّتُمْ بآيَاتِي وَلَمْ تحيطوا بها علماء». وحتى هذه من أوجهها أن تكون للابتداء كما هنا. وهذا هو قول الجمهور. دخلت على الجملة الفعلية التي فعلها ماض نحو: حتى عفوا، وعارض ابن مالك والأخفش فزعماً أن «حتى» جارة و «إِذَا» في موضع جر بها. والصواب ما عليه الجمهور من أنها حرف ابتداء وأن «إِذَا» في موضع نصب بشرطها أو جوابها، والجواب محذوف، انظر: اللباب ٣٤٠/٧ والمغني ١٢٩.

قوله: فتحت. وتقدم خلاف القراءة في التشديد والتخفيف في سورة الأنعام<sup>(١)</sup>  
 قوله: «وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ» قرأ ابن هُرْمَزُ أَلَمْ تَأْتِكُمْ بناء التانيث للتأنيث  
 الجمع<sup>(٢)</sup>، و «مِنْكُمْ» صفة «لرسل» أو متعلق بالإتيان و «يَثْلُونَ» صفة أخرى،  
 و «خَالِدِينَ» في الموضوعين حال مقدره.

## فصل

بين تعالى أنهم يُسَاقُونَ إلى جهنم فإذا جاءوها فتحت أبوابها، وهذا يدل على أن  
 أبواب جهنم تكون مغلقة قبل ذلك وإنما تفتح عند وصول الكفار إليها فإذا دخلوا جهنم  
 قال لهم خزنة جهنم: ألم يأتكم رسل منكم أي من جنسكم يتلون عليكم آيات ربكم  
 وينذرونكم لقاء يومكم هذا.  
 فإن قيل: لِمَ أُصِيفَ اليَوْمَ إليهم؟

فالجواب: أراد لقاء وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار لا يوم القيامة واستعمال  
 لفظ اليوم (إليهم)<sup>(٣)</sup> والأيام في أوقات الشدة مستفيض فعند هذا تقول الكفار «بلى» أتونا  
 وتلأوا علينا «وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ» أي وجبت كلمة العذاب على  
 الكافرين وهي قوله عز وجل: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة:  
 ١٣]. وهذا صريح في أن السعيد (لا ينقلب)<sup>(٤)</sup> شقياً والشقي لا ينقلب سعيداً، ودلت  
 الآية على أنه لا وجوب قبل مجيء<sup>(٥)</sup> الشرع لأن الملائكة بينوا أنهم ما بقي لهم عذر ولا  
 علة بعد مجيء الأنبياء - عليهم (الصلاة و) السلام - (ولو)<sup>(٦)</sup> لم يكن مجيء الأنبياء  
 شرطاً في استحقاق العذاب لما بقي في هذا الكلام فائدة.

ثم إن الملائكة إذا<sup>(٧)</sup> سَمِعُوا منهم هذا الكلام قالوا<sup>(٨)</sup> لهم: اذْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ  
 خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ.

(قالت المعتزلة<sup>(٩)</sup>): لو كان دخولهم النار لأجل أنهم حقت عليهم كلمة العذاب لم

(١) عند قوله: «فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء» من الآية ٤٤. فالتشديد قراءة ابن  
 عامر وابن كثير، ونافع، والتخفيف قراءة عاصم والأخوين حمزة والكسائي والقراءات سبعة متواترة  
 انظرها في السبعة ٥٦٤ والإتحاف ٢٠٨ و ٣٧٧.

(٢) هذه القراءة شاذة ورويت عن الحسن أيضاً وقد ذكرها ابن خالويه في المختصر ١٣٢ والسمين في الدر  
 ٦٦٨/٤ وانظر أيضاً الإعرابات المتعلقة بتلك الآية في المرجع الأخير السابق وهي قوله «منكم» و  
 «خالدين».

(٣) سقط من ب. (٤) سقط من «ب».

(٥) في ب النهي بدل مجيء.

(٦) «لو» سقطت من ب.

(٧) في ب لما.

(٨) في ب «قال» مفرداً.

(٩) ما بين القوسين سقط من ب.

يبقى لقول الملائكة: «فَيْسَسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ» فائدة<sup>(١)</sup>، وأجيبوا بأن (هذا)<sup>(٢)</sup> الكلام إنما يبقى مفيداً إذا قلنا: إنهم إنما دخلوا النار لأنهم تكبروا<sup>(٣)</sup> على الأنبياء ولم يقبلوا قولهم ولم يلتفتوا إلى دلائلهم، وذلك يدل على صحة قولنا. والله أعلم.

قوله: «وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا».

فإن قيل: السُّوقُ في أهل النار معقول لأنهم لما أمروا بالذهاب إلى موضع العذاب لا بد وأن يُسَاقُوا إليه، وأما أهل الثواب فإذا أمروا بالذهاب إلى موضع السعادة والراحة فأئى حاجة فيه إلى السُّوق؟!.

فالجواب: من وجوه:

الأول: أن المحبة والصدقة باقية بين المتقين يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿الْأَخْلَافُ يَوْمَئِذٍ بِغَضَمِهِ لَبِغْضٍ عَدُوٍّ إِلَّا الْمَتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]. فإذا قيل لواحد منهم: اذهب إلى الجنة فيقول: لا أدخلها إلا مع أحبائي وأصدقائي فيتأخرون لهذا السبب فحينئذ يحتاجون إلى السُّوق إلى الجنة.

والثاني: أن المتقين قد عبدوا الله لا للجنة ولا للنار فتصير شدة استغراقهم في مشاهدة مواقف الجلال مانعاً لهم من الرغبة في الجنة فلا جرم يحتاجون إلى أن يُسَاقُوا إلى الجنة.

والثالث: أن النبي - ﷺ - قال: «أكثر أهل الجنة البُلَّه» فهذا السبب يساقون إلى الجنة.

الرابع: أن أهل النار وأهل الجنة يساقون إلا أن المراد بسوق أهل النار طردهم إليها بالهَوَانِ والشدة كما يفعل بالأسير الذي يساق إلى الحبس والقتل، والمراد بسوق أهل الجنة سوق مراكبهم لأنه لا يُذهب بهم إلا رَاكِبِينَ، والمراد بذلك السوق إسراعهم إلى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يكرم من الوافدين إلى الملوك فستان ما بين السُّوقَيْنِ<sup>(٤)</sup>.

قوله: «حتى إذا جاءوها وَفَّتِحَتْ» في جواب «إذا» ثلاثة أوجه:

أحدها: قوله: «وَفَّتِحَتْ» والواو زائدة<sup>(٥)</sup>. وهو رأي الكوفيين<sup>(٥)</sup> والأخفش<sup>(٦)</sup>.

(١) كذلك. (٢) في ب كفروا وكذبوا الأنبياء.

(٣) في ب الفريقين وما هنا في «أ» أعلى يوافق الرازي. وانظر هذا كله في الرازي ٢٧/٢٠ و ٢١. وقد سبقه - ولكن بإجمال - العلامة الزمخشري في الكشاف ٣/٤١٠ و ٤١١.

(٤) وعبر عنها الزجاج ناقلاً لهذا الرأي بسقطه أي زائدة تسقط تقديراً انظر: معاني القرآن وإعرابه ٤/٣٧٣ والبيان ٢/٣٢٧ والبيان ١١١٤ ومشكل إعراب القرآن ٢/٢٦١ والبحر ٧/٤٤٣ والدر المصون ٤/٦٦٨.

(٥) أورد ابن الأنباري في كتابه الإنصاف في مسائل الخلاف في المسألة ٦٤ من ص ٤٥٦ إلى ٤٦٢ مزيداً من التفصيل متناولاً رأي كل فريق.

(٦) معاني القرآن له ٦٧٣.

وإنما جيء هنا بالواو دون التي قبلها لأن أبواب السجن تكون مغلقة إلى أن يجيئها صاحب الجريمة فيفتح<sup>(١)</sup> له ثم تغلق عليه فناسب ذلك عدم الواو فيها بخلاف أبواب السرور والفرح فإنها تفتح انتظاراً لمن يدخلها فعلى ذلك أبواب جهنم تكون مغلقة لا تفتح إلا عند دخول أهلها فيها فأما أبواب الجنة ففتحها يكون متقدماً على دخولهم إليها كما قال تعالى: ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُّفْتَحَةً لِّمَنَ الْأَبْوَابِ﴾<sup>(٢)</sup> [ص: ٥٠] فلذلك جيء بالواو فكأنه قيل: حتى إذا جاؤوها وقد فتحت أبوابها<sup>(٣)</sup>.

والثاني: أن الجواب قوله: «وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا» على زيادة الواو أيضاً أي حتى إذا جاءوها قال لهم خزنتها<sup>(٤)</sup>.

والثالث: أن الجواب<sup>(٥)</sup> محذوف قال الزمخشري: وحقه أن يقدر بعد: «خَالِدِينَ» انتهى<sup>(٦)</sup> يعني لأنه يجيء بعد متعلقات الشرط وما عطف عليه، والتقدير: اطمأنوا<sup>(٧)</sup>، وقدره المبرد: سَعِدُوا<sup>(٨)</sup>، وعلى هذين الوجهين فتكون الجملة من قوله: «وَوُتِّحَتْ» في محل نصب على الحال<sup>(٩)</sup>. وقال البغوي: قال الزجاج: القول عندي أن الجواب محذوف تقديره: حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفَتَحَتْ أَبْوَابَهَا، وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتهم فأدخلوها خالدين «دخلوها». فحذف «دَخَلُوهَا» للدلالة الكلام عليه<sup>(١٠)</sup>، وسمى بعضهم الواو في قوله «وفتحت» واو الثمانية قال: لأن أبواب الجنة ثمانية وكذا قالوا في قوله: ﴿وَأَنبَأَهُمُ اللَّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾<sup>(١١)</sup> [الكهف: ٢٢]. وقيل: تقديره: حتى إذا جاءوها (جاءوها)<sup>(١٢)</sup> وفتحت أبوابها<sup>(١٣)</sup> يعني أن الجواب بلفظ الشرط، ولكنه بزيادة تقييده بالحال فلذلك صَحَّ<sup>(١٤)</sup>.

- (١) في ب فتفتح بالياء.
- (٢) والكشاف المرجع السابق.
- (٣) نقله البيان ٣٢٧/٢ والقرطبي ٢٨٥/١٥ والمشكل ٢٦١/٢ والدر المصون ٦٦٧/٤.
- (٤) وهو المرجح لدى الغالبية فقد رجحه أبو البقاء والزجاج والمبرد وابن الأنباري.
- (٥) وما هو الزمخشري يرجح أيضاً الحذف حذف الجواب فيقول: «والجملة بعدها - يقصد حتى - هي الشرطية إلا أن جزاءها محذوف وإنما حذف لأنه في صفة ثواب أهل الجنة فدل بحذفه على أنه شيء لا يحيط به الوصف وحق موقعه ما بعد خالدين». الكشاف ٤١١/٣.
- (٦) هذا توضيح شهاب الدين السمين لكلام الزمخشري انظر: الدر المصون ٦٦٨/٤.
- (٧) المرجع السابق. وانظر أيضاً بحر أبي حيان ٤٤٣/٧. وأورد ابن خالويه في الحجة رأي المبرد أيضاً ٣١٢ وفي المقتضب ٧٨/٢ ظهر رأي المبرد بالحذف - حذف الجواب - مبطلاً قول الكوفيين بزيادة الواو ولكنه لم يذهب إلى التقدير الذي أثار عنه وهو سعدوا.
- (٨) الدر المصون المرجع السابق.
- (٩) معاني القرآن وإعرابه المرجع السابق وانظر معالم التنزيل للبغوي ٨٦/٦.
- (١٠) نقل هذا الرأي السمين في المرجع السابق ٦٦٨/٤ و ٦٦٩.
- (١١) سقط من ب.
- (١٢) نقله الزمخشري في الكشاف ٤١١.
- (١٣) بتوضيح من السمين في المرجع السابق.

قوله: «وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ» يريد أن خزنة الجنة يسلمون عليهم ويقولون: طبتم قال ابن عباس: طاب لكم المقام. وقال قتادة: إنهم إذا قطعوا النار حَبِسُوا على قَنْطَرَةٍ بين الجنة والنار فيقتص بعضهم من بعد حتى إذا هذبوا وطيبوا أَدْخِلُوا الجنة فيقول لهم رضوان وأصحابه: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طبتم فادخلوها خالدين<sup>(١)</sup>.

وروي عن علي قال: سيقوا إلى الجنة فإذا انتهوا إليها وجدوا عند بابها شجرة يخرج من تحت ساقها عَيْنَانِ فيغتسل المؤمن من إْحْدَيْهِمَا فيطهر ظاهره ويشرب من الأخرى فيطهر باطنه وتتلقاهم الملائكة على أبواب الجنة يقولون: «سَلَامٌ عَلَيْكُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ» فعند ذلك يقول المتقون: الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض أي أرض الجنة وهو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

قوله: «تَتَّبِعُوا» جملة حالية و «حَيْثُ» مفعول به<sup>(٢)</sup>، ويجوز أن تكون ظرفاً على بابها، وهو الظاهر<sup>(٣)</sup>، قال ابن الخطيب: إنما عبر عن أرض الجنة بالأرض لوجه:  
الأول: أن الجنة كانت في أول الأمر لأدم - عليه (الصلاة و) السلام - لأنه تعالى قال: ﴿وَكَلَّا مِنْهَا رَعْدًا حَيْثُ شِئْنَا﴾ [البقرة: ٣٥] فلما عادت الجنة إلى أولاد آدم كان ذلك سبباً للإرث.

الثاني: أن هذا اللفظ مأخوذ من قول القائل: هذا الذي<sup>(٤)</sup> أورث كذا وهذا العمل أورث كذا. فلما كانت طاعاتهم قد أفادتهم الجنة لا جَزَمَ قالوا: وأورثنا الأرض، والمعنى أن الله تعالى أورثنا الجنة بأن وفقنا للإتيان بأعمال أورثت الجنة.

الثالث: أن الوارث يتصرف فيما يرثه كيف يشاء من غير منازع فكذلك المؤمنون المتقون يتصرفون في الجنة حين شاءوا وأرادوا.  
فإن قيل: هل يتبوا أحدهم مكان غيره؟

فالجواب: يكون لكل واحد منهم جنة لا يحتاج معها إلى جنة غيره.

ثم قال تعالى: «فَيَنْعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ» أي ثواب المطيعين، قال مقاتل: هذا ليس من كلام أهل الجنة بل الله تعالى لما حكى ما جرى بين الملائكة وبين المتقين من صفة ثواب أهل الجنة قال بعده: «فَيَنْعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ»<sup>(٥)</sup>.

قوله: «وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ» حَافِينَ جمع حَافٍ: وهو المحقق

(١) وانظر معالم التنزيل للبغوي ٨٦/٦. (٢) قاله في الدر المصون ٦٦٩/٤ والبيان ١١١٤.

(٣) الدر المصون السابق. (٤) في ب هذا القول.

(٥) وانظر الرازي ٢٧/٢٠ و ٢١..

بالشيء من حَفَقْتُ بالشيء إذا أَحَطَّت<sup>(١)</sup> به، قال:

٤٣١٢ - يَحْفُهُ جَانِبًا نَيْقٍ وَيُسْبِعُهُ مِثْلَ الرَّجَاجَةِ لَمْ تَكْحَلْ مِنَ الرَّمْدِ<sup>(٢)</sup>

وهو مأخوذ من الحفاف وهو الجانب قال:

٤٣١٣ - لَهُ لَحَظَاتٌ عَنِ حِفَافِي سَرِيرِهِ إِذَا كَرَّهَا فِيهَا عِقَابٌ وَنَائِلٌ<sup>(٣)</sup>

وقال الفراء - وتبعه الزمخشري<sup>(٤)</sup> - لا واحد لحافين وكأنهما<sup>(٥)</sup> رأيا أن الواحد لا

يكون «حافًا» إذ الحفوف هو الإحداق بالشيء والإحاطة به وهذا لا يتحقق إلا في جمع<sup>(٦)</sup>.

## فصل

لما ذكر صفة (الثواب) ثواب البشر ذكر عقبيه ثواب الملائكة فكما دار ثواب المتقين هو الجنة فكذلك دار ثواب الملائكة جوانب العرش فقال: «حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ» أي محققين محيطين بالعرش بحفافية أي جوانبه، قال الليث حَفَّ الْقَوْمُ بَسْتَيْدِهِمْ يَحْفُونَ حَفًّا إِذَا طَافُوا بِهِ<sup>(٧)</sup>.

قوله: «مِنْ حَوْلِ» في «من» وجهان:

أحدهما، وهو قول الأخفش: أنها مزيدة<sup>(٨)</sup>.

والثاني: أنها للابتداء<sup>(٩)</sup>.

(١) اللسان «ح ف ف» ٩٣.

(٢) من البسيط للنايعة الذبياني من قصيدة في مدح النعمان والاعتذار إليه. والضمير في «يحفه» راجع إلى سرب الحمام في بيت سابق فيما ذكر من قصة زرقاء اليمامة، و «يحفه»: يحيط به من كل جوانبه وذلك هو موطن الشاهد في البيت. والنيق: الحبل وتبعه مثل الزجاجاة يقصد أن عينها صافيتان مثل صفاء الزجاجاة وعينها لم يصبها رمد فتكتحل لتشفى منه الديوان ٣٤ والبحر ٤٢٧/٧ والمفضليات ٧٢٢ و ٨٧٩.

(٣) من بحر الطويل لابن هرمة واللحظات مفردها لحظة وهي النظرة الخاطفة، وكُرِّها أعادها، والعقاب: العقوبة ونائل: الثواب. والمعنى أن فراسته تهرب الخائنين ويعجل العطاء لمن قصده طالباً فضله. والشاهد في «حفافي سريره» فإن الحفاف هو الجانب. وانظر البيت هو سابقه في الدر المصون ٤/ ٦٦٩ والبحر ٤٢٧/٧ ومفردات الراغب الأصفهاني ١٢٣. والبداية والنهاية ١/ ١٧١٠ وذيل الأمالي والنوادر لأبي علي القالي ٤٠ والديوان ١٦٨.

(٤) كذا نقل الإمام مكي في المشكل ٢/ ٢٦٢ والسمين في الدر ٤/ ٦٦٩ وأبو حيان في البحر ٧/ ٤٤٣ ولم أعثر عليه في كتابيهما معاني القرآن والكشاف ونقله القرطبي في الجامع عن الفراء ١٥/ ٢٨٧.

(٥) في ب وكأنا. (٦) الدر ٤/ ٦٦٩.

(٧) اللسان خفف ٩٣٠. (٨) معاني القرآن ٦٧٣.

(٩) البحر ٧/ ٤٤٣ والدر ٤/ ٦٦٩.

وقوله «يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ» «يسبحون» حال من الضمير في «حافين»<sup>(١)</sup>، قيل هذا تسبيح تلذذ لا تسبيح تعبد، لأن التكليف يزول<sup>(٢)</sup> في ذلك اليوم. وهذا يشعر بأن ثوابهم هو عين ذلك التسبيح<sup>(٣)</sup>.

قوله: «وَقَضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ» هذا الضمير إما للملائكة، وإما للعبادة<sup>(٤)</sup>، وقيل: قضي بين أهل الجنة والنار بالعدل. «وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ». وقيل: إن الملائكة لما قضي بينهم (بالحق)<sup>(٥)</sup> قالوا: الحمد لله رب العالمين على قضائه بيننا بالحق.

روى أبو أمامة عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله - ﷺ - (وشرف وكرم وبجل<sup>(٦)</sup> ومجد وعظم)<sup>(٧)</sup>: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الزُّمَرِ لَمْ يَفْطَحِ اللَّهُ رِجَاءَهُ وَأَعْطَاهُ ثَوَابَ الْخَائِفِينَ»<sup>(٨)</sup>. وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان رسول الله - ﷺ - يقرأ كل ليلة بني إسرائيل والزُّمَرِ<sup>(٩)</sup>. رواهما الثعلبي في تفسيره. والله (تعالى)<sup>(١٠)</sup> أعلم.

(تم الجزء الثاني)<sup>(١١)</sup> عشر بحمد الله وعونه وحسن توفيقه. ويتلوه إن شاء الله أول سورة غافر).

تَمَّ الْجُزْءُ السَّادِسُ عَشْرَ، وَيَلِيهِ الْجُزْءُ السَّابِعُ عَشْرَ

وَأَوَّلُهُ: تَفْسِيرُ سُورَةِ غَافِرٍ

(١) التبيان ١١١٤.

(٢) في ب نزوله وفي البغوي متروك.

(٣) معالم التنزيل ٨٦/٦.

(٤) التاء زيادة من ب.

(٥) زيادة من (أ).

(٦) الكشاف ٤١١/٣ والقرطبي ٢٨٧/١٥.

(٧) ما بين القوسين كله زيادة من ب.

(٨) في ب الحافين والكشاف السابق ومجمع البيان السابق ٧٦٠/٨ والسراج المنير ٤٦٥/٣ والبيضاوي ٢/

١٧٥.

(٩) الكشاف والبيضاوي السابقين وفتح القدير ٤٤٧/٤.

(١٠) زيادة من ب.

(١١) زيادة من (أ).



فهرس محتويات  
الجزء السادس عشر  
من  
اللباب



## فهرس المحتويات

### سورة سبأ

٣	الآيات: ١ - ٦ .....
	فصل في معنى الآية: «له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد
٤	في الآخرة...» .....
٦	فصل في أن قوله: «قل بلى وربّي لتأتينكم» رد على منكري الساعة .....
٩	فصل في معنى قوله: «ولا أصغر من ذلك» .....
	فصل في أنه تعالى ذكر منهم أمرين الإيمان والعمل الصالح وذكر لهم أمرين المغفرة
١٠	والرزق الكريم .....
١٠	فصل في معنى قوله: «أولئك لهم مغفرة ورزق كريم» .....
١٠	فصل: اللام في «ليجزى» للتعليل ومعناه الآخرة للجزاء .....
	فصل في معنى الآية «ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك
١٣	هو الحق...» .....
١٤	الآيات: ٧ - ٩ .....
	فصل في تفسير الآية: «وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا
١٤	مرّتم كلّ ممزّج...» .....
١٦	فصل في معنى هذه الآية .....
١٨	فصل في معنى قوله: «أفترى على الله كذباً...» .....
	فصل في أنه لما ذكر الدليل بكون عالم الغيب وكونه جازياً على السيئات والحسنات
١٩	ذكر دليلاً آخر فيه التهديد والتوحيد .....
١٠	الآيات: ١٠ - ١٤ .....

- ٢٢ ..... فصل في معنى الآية: «ولقد آتينا داود منا فضلاً يا جبال أوبي معه والطير...»
- ٢٣٢ ..... فصل في معنى قوله: «وألثنا له الحديد»
- ٢٤ ..... فصل في معنى الآية: «أن اعمل سابعات وقدر في السرد...»
- ٢٥ ..... فصل في معنى الآية: «ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر...»
- ..... فصل في معنى الآية: «وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه
- ٢٦ ..... بإذن ربه...»
- ٢٩ ..... فصل في معنى الآية: «وقدور راسيات اعملوا آل داود شكراً...»
- ٣٠ ..... فصل في معنى الآية: «فلما قضينا عليه الموت...»
- ..... فصل في معنى قوله: «فلما خرّ تبيّنت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في
- ٣٦ ..... العذاب المهين»
- ٣٧ ..... الآيات: ١٥ - ١٩
- ٣٨ ..... فصل في معنى «سبأ»
- ..... فصل في معنى الآية: «فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم
- ٤٤ ..... بجثثهم جثتين...»
- ٤٧ ..... فصل: في العقوبة يجازي وفي التوبة يجزي
- ٥٠ ..... الآيات: ٢٠ - ٢٣
- ..... فصل في معنى الآية: «ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً
- ٥٢ ..... من المؤمنين»
- ٥٣ ..... فصل: قال ابن الخطيب: إن علم الله من الأزل إلى الأبد محيط بكل معلوم
- ٥٥ ..... فصل في معنى الآية: «ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له...»
- ٥٨ ..... فصل في اختلافهم في الموصوفين بهذه الصفة
- ٥٩ ..... الآيات: ٢٤ - ٣٠
- ..... فصل في معنى الآية: «قل أروني الذي ألحقتم به شركاء كلاً بل هو الله
- ٦٢ ..... العزيز الحكيم»
- ٦٥ ..... فصل في المقصود بالآية: «وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً...»
- ٦٦ ..... فصل في معنى الآية: «قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون»
- ٦٧ ..... الآيات: ٣١ - ٣٣

- ٦٨ ..... فصل في معنى الآية: «وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن...»
- فصل في معنى الآية: «وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر
- ٧١ ..... الليل والنهار...»
- ٧٣ ..... الآيات: ٣٤ - ٣٩
- ٧٦ ..... فصل في معنى الآية: «والذين يسعون في آياتنا معاجزين...»
- ٧٧ ..... فصل في معنى الآية: «وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين»
- ٧٨ ..... الآيات: ٤٠ - ٤٥
- فصل في معنى الآية: «ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء
- ٧٨ ..... إياكم كانوا يعبدون»
- فصل في معنى الآية: «وما آتيناكم من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم
- ٨٢ ..... قبلك من نذير»
- ٨٣ ..... الآيات: ٤٦ - ٥٠
- ٨٧ ..... فصل في معنى الآية: «قل ما سألتكم من أجرٍ فهو لكم إن أجري إلا على الله...»
- ٨٩ ..... فصل في معنى الآية: «قل إن ضللت فإنما أضلّ على نفسي...»
- ٨٩ ..... الآيات: ٥١ - ٥٤
- ٩٣ ..... فصل في معنى الآية: «وقالوا آمنا به وأنتى لهم التناوش من مكان بعيد»
- ٩٤ ..... فصل في معنى الآية: «وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد»

### سورة فاطر

- ٩٧ ..... الآيات: ١ - ٥
- ٩٨ ..... فصل في معنى الآية: «الحمد لله فاطر السموات والأرض...»
- ١٠٠ ..... فصل في معنى قوله: جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع...»
- فصل في معنى قوله: «هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض
- ١٠٢ ..... لا إله إلا هو فأتى توفكون»
- ١٠٣ ..... الآيات: ٦ - ٩
- ١٠٥ ..... فصل فيمن نزلت الآية: «أفمن زُين له سوء عمله فرآه حسناً...»
- فصل في المراد بالآية: «والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى
- ١٠٨ ..... بلدٍ ميتٍ...»

- الآيات: ١٠ - ١٤ ..... ١٠٩
- فصل في معنى قوله: «من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً...» ..... ١١٠
- فصل في معنى قوله: «إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه...» ..... ١١٠
- فصل في معنى قوله: «والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد...» ..... ١١٢
- فصل في معنى قوله: «وما يعتمر من معتمر ولا ينقص من عمره...» ..... ١١٤
- فصل في معنى قوله: «وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه...» ..... ١١٤
- فصل في معنى الآية: «وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه...» ..... ١١٥
- فصل في معنى قوله: «وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحماً طرياً...» ..... ١١٦
- فصل في معنى الآية: «ذلکم الله ربکم له الملك والذین تدعون من دونه ما يملكون من قطمير» ..... ١١٧
- الآيات: ١٥ - ٢٣ ..... ١١٩
- فصل في إعراب الآية: «يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله...» ..... ١٢٠
- فصل في معنى قوله: «وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء...» ..... ١٢١
- فصل في معنى قوله: «ومن تزكى فإنما يتركى لنفسه وإلى الله المصير...» ..... ١٢٢
- فصل في معنى الآيات: «وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور...» ..... ١٢٥
- فصل في تفسير الآيات: «ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات...» ..... ١٢٦
- الآيات: ٢٤ - ٢٦ ..... ١٢٦
- الآيات: ٢٧ - ٣٨ ..... ١٢٨
- فصل في لطائف هذه الآية: «الم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمراتٍ مختلفاً ألوانها...» ..... ١٣٢
- فصل في معنى قوله: «إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور» ..... ١٣٥
- فصل في معنى قوله: «إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم...» ..... ١٣٦
- فصل في معنى الآية: «والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصداقاً لما بين يديه...» ..... ١٣٧
- فصل في معنى قوله: «فمنهم ظالم لنفسه ومنهم متقصد ومنهم سابق بالخيرات...» ..... ١٣٨

فصل في معنى قوله: «سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير،

- ١٤٠ ..... جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور...»
- ١٤١ ..... فصل في المراد بالداخلين
- ١٤٤ ..... فصل في معنى الآية: «الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسننا فيها نصب...»
- ١٤٦ ..... فصل في معنى الآية: «لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها...»
- ١٤٨ ..... فصل في معنى الآية: «أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكّر...»
- ١٥٠ ..... الآيات: ٣٩ - ٤٣
- فصل في معنى الآية: «قل أرايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني
- ١٥١ ..... ماذا خلقوا من الأرض...»
- ١٥٥ ..... فصل في معنى الآية: «فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفوراً»
- فصل في معنى الآية: «استكباراً في الأرض ومكر السيء ولا يحيق المكر
- ١٥٧ ..... السيء إلا بأهله...»
- ١٥٨ ..... فصل في معنى الآية: «فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلاً...»
- ١٦٠ ..... الآيات: ٤٤، ٤٥

### سورة يس

- ١٦٢ ..... الآيات: ١ - ٦
- ١٦٥ ..... فصل في ورود حروف التهجي
- ١٦٦ ..... فصل في ورود «يس»
- ١٦٧ ..... فصل: أقسم بالقرآن على أن محمداً من المرسلين
- ١٧٠ ..... الآيات: ٧ - ١٢
- ١٧٥ ..... فصل في معنى قوله: «فأغشيناهم فهم لا يبصرون»
- ١٧٧ ..... فصل في المراد بقوله: «إننا نحن نحیی الموتى...»
- ١٧٨ ..... فصل في معنى قوله: «ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين»
- ١٨٠ ..... الآيات: ١٣ - ١٩
- ١٨٢ ..... فصل في معنى الآية: «إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث...»
- ١٨٩ ..... فصل في المقصود بقوله: «أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون»
- ١٩٠ ..... الآيات: ٢٠ - ٢٧

- ١٩١ ..... فصل في معنى قوله: «اتَّبِعُوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون»
- ١٩٢ ..... فصل في معنى قوله: «وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون»
- ..... فصل في معنى قوله: «أأنتخذ من دونه آلهة إن يردني الرحمن بضرٍ  
١٩٣ ..... لا تغني عني...»
- ١٩٧ ..... الآيات: ٢٨ - ٣٢
- ..... فصل في معنى قوله: «وما أنزلنا على قومه من بعده من جندٍ من السماء  
١٩٨ ..... وما كنا بمنزلين»
- ..... فصل في المراد بالآية: «يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسولٍ إلا كانوا  
٢٠٣ ..... به يستهزئون»
- ٢٠٣ ..... فصل في معنى الآية: «ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون...»
- ٢٠٧ ..... فصل في معنى قوله: «أنهم إليهم لا يرجعون وإن كُلُّ لَمَّا جميع لدينا محضرون»
- ..... فصل: لما بين الإهلاك بين أن من أهلكه ليس بتارك له بل بعده جمع  
٢٠٨ ..... وحبس وحساب
- ٢٠٩ ..... الآيات: ٣٣ - ٣٦
- ٢١١ ..... فصل في تعلق هذه الآية: «وآية لهم الأرض الميتة...» بما قبلها
- ٢١٢ ..... فصل في معنى قوله: «أحييناها وأخرجنا منها حياً...»
- ٢١٥ ..... فصل في معنى الآية: «ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون»
- ٢١٥ ..... الآيات: ٣٧ - ٤٠
- ٢١٧ ..... فصل في المراد بـ«المستقر»
- ٢٢٢ ..... فصل في معنى «فلك»
- ٢٢٣ ..... فصل في معنى قوله «يسبحون»
- ٢٢٤ ..... الآيات: ٤١ - ٤٤
- ٢٢٥ ..... فصل في المراد بالآية: «وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون»
- ٢٢٩ ..... فصل في الحكمة في قوله: «وآية لهم»
- ٢٣٠ ..... فصل في فائدة قوله: «وإن نشأ نغرقهم»
- ٢٣٠ ..... فصل في معنى الآية: «وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون»
- ٢٣٢ ..... الآيات: ٤٥ - ٤٧

- ٢٣٣ ..... فصل في معنى قوله: «أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا...»
- ٢٣٤ ..... فصل في ورود «إن»
- ٢٣٥ ..... فصل في المقصود بقوله: «إن أتمتم»
- ٢٣٥ ..... فصل في وصف المؤمنين بأنهم في ضلال مبين
- ٢٣٦ ..... الآيات: ٤٨ - ٥٤
- ٢٣٦ ..... فصل في معنى «إن» و «متى»
- ٢٣٦ ..... فصل في المقصود بقوله: «متى هذا الوعد إن كنتم صادقين»
- ٢٣٧ ..... فصل في ذكر أمور تدل على عظم الصيحة
- ٢٣٨ ..... فصل في معنى قوله: «فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون»
- ٢٤١ ..... فصل في معنى قوله: «ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون»
- ٢٤٣ ..... الآيات: ٥٥ - ٥٩
- ٢٤٤ ..... فصل في اختلافهم في «الشغل»
- ٢٤٦ ..... فصل في معنى قوله: «على الأرائك متكئون، لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون»
- ٢٤٨ ..... فصل في المراد بقوله: «سلام»
- ٢٤٩ ..... فصل في معنى قوله: «سلام قولاً من رب رحيم»
- ٢٤٩ ..... فصل في معنى الآية: «وامتازوا اليوم أيها المجرمون»
- ٢٥٠ ..... الآيات: ٦٠ - ٦٨
- ٢٥٢ ..... فصل في معنى الآية: «ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان...»
- ٢٥٣ ..... فصل في كيفية الإضلال
- ٢٥٥ ..... فصل في ترتيب هذه الآيات
- ..... فصل في معنى قوله: «ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط
- ٢٥٨ ..... فإني يبصرون»
- ٢٥٨ ..... فصل في معنى قوله: «ومن نعمره ننكسه في الخلق أفلا يعقلون»
- ٢٥٨ ..... الآيات: ٦٩، ٧٠
- ٢٦١ ..... فصل في معنى قوله: «ليُنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين»
- ٢٦٢ ..... الآيات: ٧١ - ٧٦
- ٢٦٣ ..... فصل في معنى قوله: «ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون»

- الآيات: ٧٧ - ٨٣ ..... ٢٦٤
- فصل في معنى قوله: «ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم» ..... ٢٦٤
- فصل: في هذه الآيات إشارة إلى بيان الحشر ..... ٢٦٥
- فصل في معنى الآية: «الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون» ..... ٢٦٧

### سورة الصافات

- الآيات: ١ - ٥ ..... ٢٧٠
- فصل في معنى الصافات ..... ٢٧٢
- فصل: قال أبو مسلم الأصفهاني: لا يجوز حمل هذه الألفاظ على الملائكة ..... ٢٧٣
- فصل: اختلف الناس في المقسم به على قولين ..... ٢٧٣
- فصل في دلالة قوله تعالى: «رب السموات والأرض وما بينهما» على كونه تعالى خالقاً لأعمال العباد ..... ٢٧٥
- الآيات: ٦ - ١١ ..... ٢٧٥
- فصل في معنى قوله: «إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب» ..... ٢٧٧
- فصل في معنى الآية: «لا يسمعون إلى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب» ..... ٢٨٠
- فصل في معنى الآية: «إلا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب» ..... ٢٨٣
- فصل في وجه النظم في الآية: «فاستفتهم أهم أشد خلقاً أم من خلقنا إنا خلقناهم من طين لازب» ..... ٢٨٤
- الآيات: ١٢ - ١٨ ..... ٢٨٥
- فصل في أن القوم كانوا يستبعدون الحشر والقيامة ..... ٢٨٧
- الآيات: ١٩ - ٢٦ ..... ٢٩٠
- فصل في معنى «هي» ..... ٢٩٠
- فصل في دلالة الآية: «فإنما هي زجرة واحدة» على أحوال القيامة ..... ٢٩١
- فصل: المراد بالأزواج أشباههم وأمثالهم وأتباعهم ..... ٢٨٣
- الآيات: ٢٧ - ٣٧ ..... ٢٩٥
- الآيات: ٣٨ - ٤٩ ..... ٢٩٧
- الآيات: ٥٠ - ٦١ ..... ٣٠٥

- فصل في معنى قوله: «قال هل أنتم مظلعون فأطلع فرآه في سواء الجحيم» ..... ٣٠٦
- فصل في معنى الآية: «قال تالله إن كدت لتردين» ..... ٣١١
- الآيات: ٦٢ - ٧١ ..... ٣١٢
- فصل في معنى قوله: «أذلك خير نزلاً أم شجرة الزقوم، إنا جعلناها
- فتنة للظالمين» ..... ٣١٣
- الآيات: ٧٢ - ٧٤ ..... ٣١٧
- الآيات: ٧٥ - ٨٢ ..... ٣٢٨
- فصل في معنى الآية: «سلام على نوح في العالمين» ..... ٣٢٠
- الآيات: ٨٣ - ١٠٠ ..... ٣٢٠
- فصل في معنى قوله: «إذ جاء ربه بقلب سليم، إذ قال لأبيه وقومه
- ماذا تعبدون» ..... ٣٢٢
- فصل في دلالة الآية: «والله خلقكم وما تعملون» على أن فعل العبد
- مخلوق لله تعالى ..... ٣٢٧
- الآيات: ١٠١ - ١١١ ..... ٣٢٩
- فصل في معنى الآية: «فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى
- في المنام أني أذبحك...» ..... ٣٣٠
- فصل في اختلاف الناس في أن إبراهيم عليه السلام كان مأموراً بهذا ..... ٣٣٣
- فصل في احتجاجهم بهذه الآية على أنه تعالى قد يأمر بما لا يريد وقوعه ..... ٣٣٤
- فصل في الحكمة في ورود هذا التكليف في النوم لا في اليقظة ..... ٣٣٤
- فصل في الحكمة في مشاوره الابن ..... ٣٣٤
- فصل في معنى الآية: «فلما أسلما وتله للجبين» ..... ٣٣٦
- الآيتان: ١١٢، ١١٣ ..... ٣٣٧
- الآيات: ١١٤ - ١٢٢ ..... ٣٣٨
- فصل في معنى قوله: «ونصرناهم فكانوا الغالبين، وآتيناهما الكتاب المستبين» ..... ٣٣٨
- الآيات: ١٢٣ - ١٣٢ ..... ٣٣٩
- فصل في معنى قوله: «وإن إلیاس لمن المرسلين، إذ قال لقومه ألا تتقون...» ... ٣٤١
- الآيات: ١٣٣ - ١٤٨ ..... ٣٤٣

٣٤٤	فصل في معنى قوله: «إذ أبق إلى الفلك المشحون، فساهم فكان من المدحضين فالتقمه الحوت وهو مليم»
٣٥٤	فصل في سرد قصة يونس عليه الصلاة والسلام
٣٤٨	فصل في معنى قوله: «وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون»
٣٤٩	الآيات: ١٤٩ - ١٦٠
٣٥٣	الآيات: ١٦١ - ١٧٠
٣٥٦	فصل في معنى قوله: «فإنكم وما تعبدون، ما أنتم عليه بفاتنين»
٢٥٧	فصل في معنى قوله: «وما منّا إلا له مقامٌ معلومٌ»
٣٥٨	الآيات: ١٧١ - ١٨٢
٣٦٠	فصل في دلالة: «رب العزة» على كمال القدرة الإلهية

### سورة ص

٣٦٢	الآيات: ١ - ٣
٣٦٣	فصل في تفسير «ص»
٣٦٦	فصل في دلالة قوله: «ذي الذكر» على أنه محدث
٣٦٦	فصل في معنى قوله: «بل الذين كفروا في عزة وشقاق»
٣٦٧	الآيات: ٤ - ١١
	فصل في معنى الآية: «وعجبوا أن جاءهم منذرٌ منهم وقال الكافرون هذا ساجر كذاب»
٣٧٧	فصل في معنى الآية: «إن هذا لشيء يراد، وما سمعنا بهذا في الملة الآخرة
٣٧٨	إن هذا إلا اختلاق»
٣٧٩	فصل في معنى الآية: «أنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكري»
٣٨٢	فصل في معنى الآية: «جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب»
٣٨٢	الآيات: ١٢ - ١٧
٣٨٤	فصل في معنى الآية: «إن كلُّ إلا كذب الرّسل فحق عقاب»
٣٨٥	فصل في معنى الآية: «وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق»
٣٨٨	فصل في معنى الآية: «وقالوا ربنا عجل لنا قطنًا قبل يوم الحساب»
٣٩٠	الآيات: ١٨ - ٢٦

- ٣٩١ ..... فصل في معنى الآية: «إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق»
- ٣٩٨ ..... فصل: قال ابن الخطيب: للناس في هذه القصة ثلاثة أقوال
- فصل في معنى قوله: «أكفنيها وعزّتي في الخطاب، قال لقد ظلمك بسؤال  
٤٠٦ ..... نعجتك إلى نعاجه . . .»
- ٤٠٧ ..... فصل في معنى قوله: «وظنّ داود أنما فتناه فاستغفر ربّه وخزّ راعماً وأناب»
- ٤١٠ ..... الآيات: ٢٧ - ٢٩
- فصل في معنى الآية: «وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظنّ الذين  
٤١١ ..... كفروا فويل للذين كفروا من النار»
- ٤١٢ ..... الآيات: ٣٠ - ٤٠
- ٤١٣ ..... فصل في معنى الآية: «ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنّه أواب»
- ٤١٨ ..... فصل في معنى قوله: «ردّوها عليّ فطفت مسحاً بالسوق والأعناق»
- ٤٢٥ ..... فصل في دلالة الآيات على أن للشياطين قوة عظيمة
- ٤٢٦ ..... فصل في معنى قوله: «هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب»
- ٤٢٦ ..... الآيات: ٤١ - ٤٤
- ٤٢٧ ..... فصل في المراد بالآية: «واذكر عبدنا أيوب . . .»
- ٤٢٨ ..... فصل في معنى الآية: «إذ نادى ربّه أني مسني الشيطان بنصبٍ وعذاب»
- فصل في معنى الآية: «وخذ بيدك ضعفاً فاضرب به ولا تحنث إنّا وجدناه صابراً نعم  
٤٣١ ..... العبد إنّه أواب»
- ٤٣٢ ..... الآيات: ٤٥ - ٤٨
- فصل في معنى قوله: «إنّا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار، وإنهم  
٤٣٥ ..... عندنا لمن المصطفين الأخيار»
- ٤٣٥ ..... الآيات: ٤٩ - ٥٤
- ٤٣٨ ..... فصل في وصف أحوال أهل الجنة
- ٤٣٩ ..... الآيات: ٥٥ - ٦٤
- ٤٣٩ ..... فصل في وصف عقاب الظالمين بعد وصف ثواب المؤمنين
- ٤٤٢ ..... فصل في معنى قوله: «فليذوقوه حميمٍ وغساقٍ»
- ٤٤٨ ..... فصل في معنى الآية: «أتخذناهم سخرىً أم زاغت عنهم الأبصار»

٤٥٠	.....	الآيات : ٦٥ - ٦٨
٤٥١	.....	الآيات : ٦٩ - ٨٥
٤٥٣	.....	فصل في أن المقصود بهذه القصة المنع من الحسد والكبر فصل في معنى قوله : «أستكبرت أم كنت من العالين، قال أنا خير منه
٤٥٦	.....	خلقتني من نار وخلقته من طين»
٤٦٢	.....	فصل في معنى الآية : «لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين»
٤٦٢	.....	الآيات : ٨٦ - ٨٨

### سورة الزمر

٤٦٤	.....	الآيات : ١ - ٣
		فصل في احتجاج القائلين بخلق القرآن بأن الله تعالى وصف القرآن بكونه تنزيلاً ومنزلاً
٤٦٦	.....	تنزيلاً ومنزلاً
٤٦٨	.....	فصل في أن المراد بإخلاص الدين : الطاعة
		فصل في معنى قوله : «والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا
٤٧٠	.....	إلى الله . . . .»
٤٧٢	.....	الآيات : ٤ - ٩
		فصل في أن الحالة المشتركة بين الإنسان وبين الأنعام هي كونها مخلوقة
٤٧٦	.....	في بطون الأمهات
٤٧٧	.....	فصل في دلالة قوله : «له الملك لا إله إلا هو» على كمال قدرته وحكمته
٤٨٤	.....	فصل في معنى قوله : «أمن هو قانت آناء الليل ساجداً . . .»
٤٨٥	.....	الآية : ١٠
		فصل في معنى قوله : «قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا
٤٨٦	.....	في هذه الدنيا حسنة . . .»
٤٤٨	.....	الآيات : ١١ - ١٨
٤٨٩	.....	فصل في معنى الآية : «وأمرت لأن أكون أول المسلمين»
		فصل في معنى الآية : «والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله
٤٩٢	.....	لهم البشرى فبشر عبادي»
٤٩٤	.....	الآيتان : ١٩ ، ٢٠

- ٤٩٥ ..... فصل في معنى الآية: «أفمن حقّ عليه كلمة العذاب...»
- ٤٩٥ ..... فصل في احتجاج أهل السنة بهذه الآية في مسألة الهدى والضلال
- فصل في احتجاج القاضي بهذه الآية على أن النبي ﷺ لا يشفع لأهل الكبائر
- ٤٩٦ ..... لأنه حق عليهم العذاب
- ٤٩٧ ..... الآيتان: ٢١، ٢٢
- ٤٩٨ ..... فصل في معنى قوله: «أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نورٍ من ربه...»
- ٤٩٩ ..... الآيات: ٢٣ - ٢٦
- ٥٠٠ ..... فصل في معنى قوله: «الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً...»
- ٥٠٣ ..... فصل في معنى قوله: «تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم...»
- ٥٠٤ ..... فصل في معنى قوله: «ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله...»
- ٥٠٦ ..... الآيات: ٢٧ - ٢٩
- فصل في معنى وصف القرآن في هذه الآية: «قرآناً عربياً غير ذي عوج
- ٥٠٧ ..... لعلمهم يتقون»
- ٥١٠ ..... فصل في معنى قوله: «ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون...»
- ٥١١ ..... الآيات: ٣٠ - ٣٧
- فصل في معنى قوله: «إنك ميت وإنهم ميتون، ثم إنكم يوم القيامة عند
- ٥١٢ ..... ربكم تختصمون»
- ٥١٤ ..... فصل في معنى قوله: «والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون»
- ٥١٥ ..... فصل في معنى قوله: «لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين»
- ٥١٦ ..... فصل في معنى قوله: «أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه»
- فصل في احتجاج أهل السنة بالآية: «ومن يضلل الله فما له من هاد»
- ٥١٧ ..... على مسألة خلق الأعمال
- ٥١٧ ..... الآية: ٣٨
- ٥١٨ ..... الآيتان: ٣٩، ٤٠
- ٥١٩ ..... الآيات: ٤١ - ٤٥
- ٥٢٠ ..... فصل في معنى قوله: «الله يتوفى الأنفس حين موتها...»
- ٥٢٣ ..... الآيات: ٤٦ - ٥٢

٥٢٧	.....	الآيات: ٥٣ - ٦١
٥٢٧	.....	فصل في سبب نزول الآية: «قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم...»
٥٢٨	.....	فصل في دلالة هذه الآية على أن الله تعالى يعفو عن الكبائر
٥٣٣	.....	فصل في معنى قوله: «أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله...»
٥٣٧	.....	الآيات: ٦٢ - ٦٦
٥٤٣	.....	الآيات: ٦٧ - ٧٥
٥٤٥	.....	فصل في معنى قوله: «وما قلذروا الله حق قدره...»
٥٤٦	.....	فصل في معنى قوله: «ونفخ في الصور فصعق من في السموات...»
٥٤٨	.....	فصل في اختلافهم في الصعقة
٥٥٠	.....	فصل في معنى الآية: «وأشرقفت الأرض بنور ربها...»
٥٥٢	.....	فصل في معنى قوله: «وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً...»
٥٥٦	.....	فصل في معنى قوله: «وترى الملائكة حافين من حول العرش...»